

# البحر المختار في علوم الآخرة

تصنيف الإمام العلامة  
محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل السقايني الحنبلية

تحقيق

محمد بن إسماعيل بن أبي شامة

(ت ١١٨٨ هـ)



# البحر الرخوة في علوم الآخرة

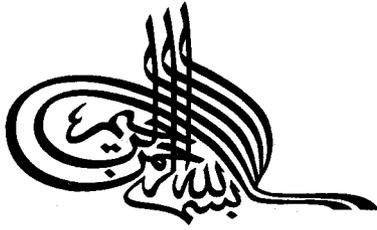
تصنيف إمام العلامة  
محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل السقايني الحنفاي

تحقيق

محمد إسماعيل بن علي شومر  
(ت ١١٨٨هـ)

الجزء الأول





البحر الرَّاخِص

في  
مِلْهُمِ الْأَخِيَّةِ

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة  
لشركة غراس للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية  
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥  
الكويت - الخالدية: ص. ب: ١٧٠١٢ - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١  
Website: [www.gheras.com](http://www.gheras.com)  
E-Mail: [info@gheras.com](mailto:info@gheras.com)

### مقدمة

الحمد لله الأول قبل الإنشاء والإحياء، والآخر بعد فناء الأشياء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الدنيا دار ممر  
وجعل الآخرة دار مقر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ  
كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المختار، والرسول المبعوث  
بالبشارة والإنذار، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ما تعاقب الليل  
والنهار.

وبعد:

فإن الإيمان باليوم الآخر ركن ركين من أركان العقيدة الإسلامية، لا  
يصح إيمان مؤمن ولا إسلام مسلم إلا باليقين به، ولا تكون النجاة إلا  
بالعمل من أجله.

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى حقيقة هذا اليوم الآخر، وأوضح أن فيه  
الحياة الدائمة، التي يجازى فيها المحسنون بإحسانهم، ويعاقب المجرمون  
بإجرامهم ويقتص منهم.

ولقد جاءت الآيات في القرآن الكريم، وكذا الأحاديث النبوية  
الصحيحة التي تتحدث عن اليوم الآخر، وعن أحوال الآخرة، فتارة يتحدث  
القرآن عن ضرورة الإيمان باليوم الآخر أو الحث على العمل الصالح من  
أجله، وأخرى يتحدث عن التحذير من الكفر به، وقد يأخذ حديث القرآن  
طابع ضرب المثل لتقريب حقيقة هذا اليوم إلى الأذهان، وأحياناً أخرى

يقيم الأدلة والبراهين على إمكانه وتحققه اليقيني، مع مناقشة شبهات منكري البعث وإبطالها، وأحياناً يصف القرآن ما في هذا اليوم من نعيم وعذاب، وجنة ونار، وعرض وحساب وميزان وصراط، وغير ذلك من مشاهد القيامة واليوم الآخر.

وكانت هذه هي طبيعة حديث السنة عن هذا الجانب المهم من جوانب العقيدة الإسلامية، الأمر الذي جعل اليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، حقيقة ثابتة وعقيدة راسخة، حتى أصبحت في الإسلام أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، متى أخل المنتسب للإسلام بها كَفَرَ وخرج من الملة.

ومن هنا كانت الدار الآخرة موضع اهتمام المسلمين وعناية علمائهم، فألفت المؤلفات الكثيرة في بيان كل ما يتصل بها، ووصف كل مشاهدتها، وكانوا في ذلك بين مقل ومكثر فمنهم من جمع وأوعب ومنهم من لخص وهذب.

ومن هؤلاء الذين اعتنوا بأمر الآخرة عناية فائقة الإمام السفاريني - صاحب المؤلفات المتعددة - وكان كتابه «البحور الزاهرة في علوم الآخرة» من أجمع الكتب التي تحدثت عن اليوم الآخر، إذ هو نمط من التأليف عجيب، ونسق من الجمع غريب، فرأينا أن إخراجها والعناية به يعتبر إخراجاً لموسوعة ضخمة في هذا الجانب.

وإننا إذ نقدم هذا الكتاب لعامة المسلمين وخاصتهم نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به، وأن يساهم في إزالة هذه الغفلة عن اليوم الآخر والعمل له، والتي وقع فيها كثير من الناس.

وفي الختام أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الشيخ الفاضل والأخ الكريم فضيلة الشيخ/ فيصل يوسف العلي - الذي أمدني بمخطوطات

الكتاب وكان معي دائماً بنصائحه المخلصة، وآرائه النيرة، وتوجيهاته السديدة، ونظراته الثاقبة، والتي كان لها أكبر الأثر في إخراج هذا الكتاب في هذه الحلة.

أسأل الله أن يجزيه عني وعن الباحثين خير ما يجزي به العاملين الصالحين، وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحقق

محمد إبراهيم شلبي شومان

الكويت

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

## ترجمة المصنف

اسمه:

هو الإمام العلامة أبو العون وقيل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي.

مولده:

ولد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قرية سفارين من قرى نابلس سنة ألف ومائة وأربع عشرة من الهجرة.

طلبه للعلم:

بدأ الإمام السفاريني طلب العلم في سن مبكرة من حياته، حيث أتم حفظ القرآن الكريم سنة ألف ومائة وإحدى وثلاثين، وسنه إذ ذاك سبعة عشر عاماً، وبعدها بستين رحل في طلب العلم حيث توجه إلى دمشق وأقام بها خمس سنوات، وهناك أخذ العلم عن كبار العلماء فيها من مكّيين ومدّنيين وشاميين ومصريين.

شيوخه:

أخذ الإمام السفاريني العلم عن كوكبة من أهل العلم في زمانه - ذكر معظمهم في ثبته - ومن هؤلاء:

- ١- الشيخ/ عبد القادر التغلبي.
- ٢- عبد الرحمن بن محي الدين المجلّد الحنفي.
- ٣- أبو المجد مصطفى بن مصطفى السواري.

- ٤- الشهاب أحمد بن علي المنيني .
- ٥- العلامة/ محمد بن عبد الرحمن الغزي .
- ٦- الشيخ/ أحمد الغزي .
- ٧- الشيخ/ مصطفى بن عبد الحق اللبدي الحنفي .
- ٨- الشيخ/ إسماعيل بن محمد جراح العجلوني - صاحب «كشف الخفا» .
- ٩- الشيخ/ عبد الغني النابلسي .
- ١٠- الملا/ إلياس الكردي الكوراني .
- ١١- الشيخ/ عبد السلام بن محمد الكاملي .
- ١٢- الشيخ/ عواد بن عبيد الكوري .
- ١٣- الشيخ/ موسى المحاسني .
- ١٤- الشيخ/ طه أحمد اللبدي .
- ١٥- الشيخ/ مصطفى بن يوسف الكرمي .
- ١٦- الشيخ/ عبد الرحيم الكرمي .
- ١٧- الشيخ/ محمد السلفيتي .
- ١٨- الشيخ/ محمد الخليلي .
- ١٩- الشيخ/ حامد أفندي مفتي الشام .
- ٢٠- الشيخ/ محمد حياة السندي .
- ٢١- الشيخ/ الشيخ محمد الدقاق المغربي .
- ٢٢- الشيخ/ عبد الله البصروي .
- ٢٣- الشيخ/ محمد العجلوني .

ومعظم هؤلاء الشيوخ قد قرأ عليهم كثيراً من الكتب والمتون وأجازوه فيها وفي غيرها، وتلمذ على غيرهم ممن لم يُذكروا، حيث يقول: «وأخذت عن عدة أوادم من المشايخ، تركنا ذكرهم لعدم اشتهارهم، رحمهم الله تعالى وعفا عنهم وأكرم مثوهم».

ويمكن أن نضيف إلى شيوخه علمين كبيرين كان لهما أثر كبير على تكوينه العلمي - وإن كانت بينه وبينهم مسافات زمنية كبيرة - ألا وهما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم، حيث أكثر من النقل عنهما والإشادة بأرائهما في مواضع كثيرة من كتبه، وانظر إليه وهو يقول عن ابن القيم بعد أن عدّد كتبه «وسائر كتبه المفيدة، العديمة المثل في تحريرها وجودة تأليفها، وأكثرها قرأناها وهي كثيرة شهيرة».

#### علمه بالقراءات:

كان الإمام السفاريني على علم بالقراءات ووجوهها، ويظهر ذلك من أنه في مواضع متعددة من كتابنا هذا «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» قد أورد عدة آيات بروايات أخرى غير رواية حفص ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] حيث أوردتها برواية أبي عمرو هكذا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

#### تلاميذه:

نفع الله بالإمام السفاريني نفعاً عظيماً؛ حيث تلقى العلم عنه جمع غفير من الناس، وكان له العدد الكثير من التلاميذ، ومن هؤلاء:

- ٢- الشيخ / محمد بن أحمد بن محمد البخاري الحنفي - مسند الشام .
  - ٣- الشيخ / كمال الدين محمد الغزي العامري .
  - ٤- الشيخ / مصطفى بن سعد الرحياني السيوطي .
  - ٥- المحدث / عبد القادر بن خليل بن عبد الله المعروف بكديك زاده -  
الرومي أصلاً المدني داراً .
  - ٦- الشيخ / محمد شاكر بن علي العقاد .
  - ٧- الشيخ / محمد زيتون الحنبلي .
- حجّه :

أدى الإمام السفاريني فريضة الحج سنة ثمان وأربعين ومائة وألف ،  
وفي المدينة المنورة التقى بالشيخ / محمد الدقاق المغربي .

مؤلفاته :

- ١- الأجوبة النجدية عن الأسئلة النجدية .
- ٢- الأجوبة الوهية عن الأسئلة الزعبية .
- ٣- البحور الزاهرة في علوم الآخرة - وهو كتابنا هذا .
- ٤- تحبير الوفا في سيرة المصطفى .
- ٥- تحفة النساك في فضل السواك .
- ٦- تعزية اللبيب بأحب حبيب .
- ٧- تناضل العمال بشرح حديث أفضل الأعمال .
- ٨- ثبت في الحديث .
- ٩- الجواب المحرر في الكشف عن الخضر والإسكندر .
- ١٠- الدر المنثور في فضل يوم عاشور .

- ١١- الدر المنظم في فضل شهر الله المحرم.
- ١٢- الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات.
- ١٣- الدررة المضية في عقيدة الفرقة الناجية.
- ١٤- رسالة في بيان الثلاث والسبعين فرقة والكلام عليها.
- ١٥- رسالة في بيان كفر تارك الصلاة.
- ١٦- رسالة في ذم الوسواس.
- ١٧- رسالة في شرح حديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة».
- ١٨- رسالة فضل الفقير الصابر.
- ١٩- رسالة في الكلام على أن من صلى على ميت فله بالصلاة عليه قيراط وله بتمام دفنه قيراطان.
- ٢٠- شرح دليل الطالب.
- ٢١- شرح نظم الخصائص الواقعة في الإقناع.
- ٢٢- عَزَفُ الزَّرْتَبِ فِي شَأْنِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ سَيِّدِ الْعِجْمِ وَالْعَرَبِ  
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
- ٢٣- غذاب الألباب لشرح منظومة الآداب.
- ٢٤- غرر الذخائر لشرح منظومة الكبائر.
- ٢٥- فتاوى متفرقة.
- ٢٦- قرع السياط في قمع أهل اللواط.
- ٢٧- القول العلي في شرح أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام.
- ٢٨- كشف اللثام في شرح عمدة الأحكام.
- ٢٩- اللمعة في فضائل الجمعة.

٣٠- لوامع الأفكار السنية في شرح قصيدة أبي بكر بن أبي داود الحائية.

٣١- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية.

٣٢- معارج الأنوار في سيرة النبي ﷺ: «وهو شرح لنونية الصرصري».

٣٣- المُلحُ الغرامية في شرح منظومة ابن فزح اللامية «وهي شرح لقصيدة غرامي صحيح لابن فزح الإشبيلي في مصطلح الحديث».

٣٤- منتخب كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل.

٣٥- نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار.

٣٦- نفثات صدر المكمد وقرّة عين المسعد بشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد.

شعره:

للإمام السفاريني شعر حسن، وفي كتابنا هذا طائفة كبيرة من أشعاره تترجم عن جودة قريحته وفصاحة بيانه.

ثناء العلماء عليه:

نقل المحقق/ محمد بن ناصر العجمي - حفظه الله - بعضاً من ثناء العلماء على الإمام السفاريني ووصفهم له، ومن ذلك ما قاله عنه العلامة/ محمد بن محمد المغربي «الإمام البارع الذكي اللوذعي العذب المشارع لخفي المدارك الذي هو في فنون العلوم مشارك».

وقال العلامة/ المرادي: «وله الباع الطويل في علم التاريخ وحفظ وقائع الملوك والأمراء والعلماء والأدباء، وما وقع في الأزمان السالفة، وكان يحفظ من أشعار العرب العرباء والمولدين شيئاً كثيراً».

وقال تلميذه/ الغزي العامري: «أكمل المتأخرين، حجة المناظرين، محرر المذهب، منقح الفروع، الجامع بين المعقول والمنقول، مُخرِّج الفروع على الأصول، مطرِّز أردية الفتاوى بحريير التحرير، ملبس هامات المباحث بتيجان التقرير، سيد التحقيق، وسند التدقيق».

وقال العلامة/ عبد الرحمن بن سليمان الأهدل: «مسند الشام، الإمام الكبير».

#### وفاته:

توفي الإمام السفاريني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة ثمان وثمانين ومائة وألف، بنابلس ودفن بها<sup>(١)</sup>.

(١) مصادر ترجمة المصنف: «ثبت الإمام السفاريني» بتحقيق محمد بن ناصر العجمي، «الأعلام» للزركلي، «معجم المؤلفين» لرضا كحالة، «صفحات في ترجمة الإمام السفاريني» محمد بن ناصر العجمي.

## عملي في الكتاب

- ١- نسخُ الأصل وكتابتهُ على طريقة الإملاء الحديث.
  - ٢- تحقيق النص وضبطه وذلك بمقابلته على نسخة الأصل ونسخة (أ).
  - ٣- إذا حصل الشك في صحة عبارة أو نصّ فإنني أستعين على ضبطه بالرجوع إلى المصدر الذي نقل منه المصنف إن توفر لدي، أو التعليق عليه في الحاشية بما يوضح المراد.
  - ٤- التعليق على بعض المسائل الواردة في الكتاب والتي تحتاج إلى تعليق.
  - ٥- قمت بتخريج الآيات القرآنية الواردة في الكتاب، وذلك بعزوها إلى السور التي وردت فيها وكتابة رقم الآية، وذلك في متن الكتاب.
  - ٦- قمت بتخريج الأحاديث المرفوعة أو التي لها حكم الرفع، وذلك بعزوها إلى مصادرها التي ذكرها المصنف، وكذا غيرها من دواوين السنة، وما لم أعثر عليه اجتهدت في تخريجه من الكتب الأخرى حسب الاستطاعة.
  - ٧- بالنسبة للحكم على الأحاديث الواردة في الكتاب فقد اتبعت فيه منهجاً وهو:
- أ - أن الحديث إذا كان في الصحيحين أو أحدهما فإنني أكتفي بعزوه إليهما أو لأحدهما، وألحقت بهما في ذلك موطأ الإمام مالك، وذلك نظراً لثناء كثير من المحدثين عليه ووضعهم له في

مرتبة الصحيحين .

ب- إذا لم يكن الحديث موجوداً في الصحيحين ولا في الموطأ فإنني أنقل ما قاله الأئمة السابقون - ومنهم المصنف - في الحكم على الحديث ولا أتعداهم إلى غيرهم إلا في القليل النادر، وما لم أجد عليه حكماً فإنني أكتفي بعزوه إلى من خرّجه دون الحكم عليه، وهذا قليل جداً بالمقارنة مع العدد الضخم من الأحاديث الواردة في الكتاب والتي قمت بتخريجها والحكم عليها بفضل الله تعالى، وقد استفدت في بعض المواضع من اصطلاحات المنذري في الترغيب والترهيب، فما ضعفه ذكرت أنه صدّره بصيغة التمريض .

٨- قمت بتفسير الكلمات الغريبة الواردة في الكتاب، وذلك بالرجوع إلى المعاجم اللغوية .

٩- قمت بعمل عناوين للفصول التي لم يذكر لها المصنف عنواناً وجعلتها في فهرس الكتاب، وتميز العناوين التي كتبها المصنف عن العناوين التي كتبها بأن عناوين المصنف في متن الكتاب وفي فهرسه، أما العناوين التي وضعتها فلا توجد إلا في فهرس الكتاب فقط، وقد فعلت ذلك ولم أدخلها لمتن الكتاب لتبقى نسخة المؤلف مضبوطة دون زيادة أو نقص .

## توثيق نسبة الكتاب إلى المصنف

هناك عدة أمور من خلالها نقطع بصحة نسبة كتاب «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» إلى الإمام السفاريني ومنها:

١- كتابة اسمه على النسخ الخطية التي عثر عليها له وأنها من تأليفه، وكذا ذكر اسمه صراحة في تعليقات عدة داخل الكتاب وكذا في نهايته؛ فقد جاء في نهاية الكتاب «ووافق الفراغ من تبييضه نهار الخميس لثلاثة عشر بقيت من ذي القعدة المبارك الذي هو من شهور سنة ثلاثة وأربعين ومائة وألف من الهجرة النبوية على يد فقير رحمة ربه، الخائف وصمة ذنبه، المعترف بتقصيره وذنوبه الراجي لطف سيده ومطلوبه، المفتقر لمولاه العلي مؤلفها الضعيف محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي.

٢- في حواشي الكتاب تعليقات لحفيده سعيد صرح فيها باسم الإمام السفاريني وبأنه مؤلفه.

٣- صرح أبو الفضل محمود الألوسي في تفسيره «روح المعاني» بنسبة الكتاب إلى الإمام السفاريني، ومن ذلك قوله في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] وهو يُرَدُّ بعض الأقوال في موت إبليس: «ولم يرتض ذلك الفاضل السفاريني وقال في كتابه البحور الزاخرة أخرج نعيم بن حماد في الفتن...» (روح المعاني) (٨/٩١).

وقال في موضع آخر: «وقد تصدى السفاريني في كتابه البحور الزاخرة للجمع بين بعض هذه الأخبار المتعارضة» (روح المعاني ٢٤/٢٠) وغير ذلك من المواضع.

## وصف النسخ الخطية التي اعتمدت عليها في إخراج الكتاب

لقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على نسختين خطيتين:

الأولى بخط المصنف، وتتكون من جزئين:

وهذه النسخة مصدرها: الظاهرية، رقمها: الجزء الأول ٥٣٩٦ تصوف - والجزء الثاني ورقمها: ٥٣٩٧، سنة النسخ ١١٤٣ هـ، الجزء الأول يقع في ٢١١ ورقة في كل ورقة صفحتان في كل صفحة سبعة وعشرين سطراً، وفي كل سطر ثلاث عشرة كلمة تقريباً، الجزء الثاني ويقع في ١٥٧ ورقة في كل ورقة صفحتان في كل صفحة سبعة وعشرين سطراً، وفي كل سطر خمس عشرة كلمة تقريباً.

وهذه النسخة مكتوبة بخط نسخ واضح وعليها تعليقات وتصويبات للمؤلف وبعض أهل العلم.

وقد جعلت هذه النسخة أصلاً واعتمدها في كتابة النص وذلك لما تتميز به من مميزات عدة، وقد رمزت لهذه النسخة بـ «الأصل».

وإلى جانب هذه النسخة استفدت من نسخة أخرى لم تتوفر لها مميزات نسخة الأصل وهذه النسخة مصدرها: الظاهرية.

رقمها: ٣٥٨٧ تصوف، عدد الأوراق ١٤٢ ورقة.

ومما يلاحظ على هذه النسخة أن بها نقصاً في بعض الأوراق في أولها وآخرها ومن هنا كانت استفادتي منها مقصورة على قراءة كلمة مطموسة أو غير واضحة، واعتمدها اعتماداً كاملاً في صفحتين ساقطتين من نسخة الأصل أشرت إلى موضعهما في مكانه من الكتاب.

وقد رمزت لهذه النسخة بـ (أ).





البحور الزاهرة في علوم الآخرة  
البحور الزاهرة في علوم الآخرة  
البحور الزاهرة في علوم الآخرة

هو كعلم على القدم والحديث أو سمي التوفيق عليه وتوفيقه على  
مركباته التي كونه كلام الحبيب الخاتم وحديثه بؤا والآن لا يخفى  
العقد والقطران الحبيب بهوي كلام حبيب في سائر أطوار شعره  
له اسم وطالب الحديث السبعة أو الاحتجاج القديم وحدثه ٥٥٥ هـ  
كله وأما لقب لعاصم به هو تعلق بالشيخ حديثه ٥٥٥ هـ  
فلم يكن الخلف شيئا شئ بلق وما رويته جلدوا بل من صنف كثير  
الشيء فغير الرقي في تفسيره الكعطي والفتن في سائر ما  
تزيد على عشرة مائة الخصاصات لغيره في علمه في ما فيها من  
بعد أن تتبعته الكتب الكرافات في هذا الباب وألفته على ما فيها من  
الحجج الخيرات فاجتهدت في جمع وترتيبها وتعليقها وتبويبها  
للميزوت سلوة والفتان جارة بحكم القلوب لإجل مظهره وبعث  
الشعرى الحسنى بوجهة تلك التوفيق لا يسلمه الخليل لا يجلد إلا يس  
مشكل من يدع النواذب ومزايا النبلاء على ما يعرضه على  
الطلائح في سوى هذه الكتاب إذا نظر فيه الكرم زاده إجمالا  
علم الآخرة حتى كان يشاهد ها هنا فهو كثير التوفيق على ما يروى  
الملك البديع وراجعه لوجهه الذي يثبت عن اقتراحه كما في  
وتسميته بالبحور الزاهرة في علوم الآخرة فانه اسم يوافق سائر  
بها في سعة والده يعلم ما به نعمته وما تحمته واليه ردت  
بوعده لسائر كل عبد وتلقه وهو الكليل على بيته وكسبه  
الناظر فيه لك غير على مؤلفه بمرورك مشوق عليه وهو وهذه  
بما فيه الكفاية تعرفه عليك وبما في كتابه ترونه كما قاله  
كثيرا كرميا أن تقدم مناسكا كما هو من أو سريما باحسانه  
كان غيره فآله المستعان وعليه التكلان والرهبة والحبس والأيمن  
والعدوى في نقله متعريف شعوره ٥٥٥ هـ



صورة الورقة الأولى من نسخة (١)



# البحور الزاخرة

في

## علوم الآخرة

تصنيف الإمام العلامة

محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي

(ت ١١٨٨هـ)

تحقيق

محمد إبراهيم شلبي شومان



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## وبه ثقتي

الحمد لله الذي قهر بالموت العباد، وأذل به رقاب أهل التجبر والعدا، وجعله تذكرة لأهل المعرفة والسداد، وسأوى به بين الشريف والخسيس والقريب والناد، وشرح صدور عباده المتقين، وألهمهم المعرفة والرشاد، وأحيا بذكره قلوب المخلصين وعمرها بحبه وشاد، وجعل زبدة أعمالهم السكون لعظمتهم والانقياد، وأقام لهم من يدعوهم إلى منازل الأفراح فذلك حادي الأرواح والأجساد، وأبهج وجوههم بنور معرفته فأصبحوا كالبدور السافرة فمن اقتدى بهم ساد، وجعل لهم السعادة في الدنيا والعاقبة في الآخرة يوم النفخ والتناد، وجعل قلوبهم قبور أسرارهم وصدورهم محشر نوره الوقاد، فسبحانه من إله تفرد بالعظمة والبقاء والإيجاد، وقضى على عباده بالسعادة والشقاء، فكم من متكبر أباد، وجعل الدور ثلاثة، طيبة لأهل الطاعة والازدياد، وخبثة لأهل الكفر والإلحاد، ومشوبة بهما<sup>(١)</sup> امتحاناً لتظهر الحكمة من الكريم الجواد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مذنب قد قالها من صميم الفؤاد، وأدخرها عند من لا تضع لديه الودائع يوم تذوب الأكباد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحيبيه وصفيه وخليته النبي الهادي، الذي أرسله رحمة للعالمين، فأظهر الحق وأباد الفساد، صلى الله وسلم

(١) يقصد بهما الطيبة والخبثة.

عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه الأئمة الأمجاد، صلاة وسلاماً دائماً ما دامت السموات والأرض والبياض والسواد، وعلى العلماء العاملين والأئمة المجتهدين الذين بذلوا نفوسهم النفيسة في مرضاتك وجاهدوا حق الجهاد.

أما بعد، فلما كانت فوائد العلوم لا تحصى، وعوائده لا تستقصى، إذ هو البحر لكن لا ساحل له، والفضاء الذي لا ندرك آخره ولا أوله، وكنت قد انقطعت للاشتغال بالعلوم الشرعية النقلية، وعكفت على التقاط الفوائد الذهنية العقلية، غير أنني جعلت جل مطلوبي وغاية مقصودي ومرغوبي علم الحديث، الذي<sup>(١)</sup> هو المعول عليه في القديم والحديث، إذ مبنى الشريعة عليه، وقواعد الدين موكولة إليه، كونه كلام الحبيب المختار، وحديث نور الأنوار، لا شك عند العقلاء والنظار، إن الحبيب يهوى كلام محبوبه في سائر الأطوار: (شعر)

لم أسع في طلب الحديث لسمعة أو لاجتماع قديمه وحديثه  
لكن إذا فات المحب لقاء من يهوى تعلق باستماع حديثه

فلما خالطت بشاشته قلبي، ومازجت حلاوته لبي صنفت فيه كتابي المسمى (بتحبير الوفا في سيرة المصطفى) وألفت فيه رسائل ومقدمات تزيد على عشرة من المختصرات، ثم إنني عزمت على جمع كتاب في أحوال الآخرة، بعد أن تتبعت الكتب المؤلفات في هذا الباب، واطلعت على ما فيها من العجب العجائب، فاجتهدت في جمعه وترتيبه، وتفصيله وتبويبه، فصار للمحزون سلوة، وللمشتاق جلوة، محرك للقلوب إلى أجل مطلوب، وباعث النفوس إلى مجاورة الملك القدوس، لا يسأمه الجليس

(١) من هنا بداية نسخة (أ).

ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد وفرائد القلائد على ما يعسر تحصيله على الطلاب في سوى هذا الكتاب، إذا نظر فيه المؤمن زاده إيماناً، وجلاً عليه الآخرة حتى كأنه يشاهدها عياناً، فهو مشير النفوس إلى مجاورة الملك القدوس، وزاجر الهمم الدنيات عن اقتراف المعاصي والشبهات وسميته (بالبحور الزاخرة في علوم الآخرة) فإنه اسم يوافق مسماه، ولفظ يوافق معناه، والله يعلم ما به قصدت، وما بجمعه وتأليفه أردت، فهو عند لسان كل عبد وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه وعليه هفوه، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره ترف إليك، فإن صادفت كفوؤاً كريماً لن تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان، وإن كان غيره فالله المستعان وعليه التكلان، ولا شك أن الحسود لا ينصف، والعدو في نظره متعسف. (شعر):

عين الرضا عن كل عيب كليله      كما أن عين السخط تبدي المساويا  
وما كان في هذا الكتاب من صواب فمن الله ورسوله وخلفائه  
العلماء، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه ورسوله،  
ويأبى الله العصمة لغير كتابه، والسعيد من عدت هفواته في جنب صوابه.

\* \* \*

## فصل

وقد خطر لي أن أذكر في صدر كتابي هذا بعض مثالب الحسد.

أخرج القاسم بن أصبغ وأبو بكر ابن أبي شيبة عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، البغضاء هي الحالقة، لا أقول أنها تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بما يثبت ذلك أفشوا السلام بينكم»<sup>(١)</sup>. ورواه الترمذي والإمام أحمد وهو صحيح.

وفي الحديث: «إن الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب»<sup>(٢)</sup>.

وصح عنه ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخواناً»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي باختلاف يسير في بعض ألفاظه (٤ / ٦٦٤) رقم ٢٥١٠ وقال: هذا حديث صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة آخره (٥ / ٢٤٨) رقم ٢٥٧٤٢ وأصله في مسلم ٥٤.

وأحمد في المسند (١ / ١٦٧) رقم ١٤٣٠ رقم ١٤٣٨ كلهم عن الزبير بن العوام.

(٢) أخرجه أبو داود بلفظ «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب» عن أبي هريرة (٢ / ٦٩٣) رقم ٤٩٠٣ وابن ماجه عن أنس (٢ / ١٤٠٨) رقم ٤٢١٠ وابن عدي في الكامل (٥ / ٢٤٧) في ترجمة عيسى بن أبي عيسى الحنات رقم ١٣٩١ قال عنه أحمد عيسى ليس بشيء، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء ولا يكتب حديثه، وقال ابن عدي في آخره: وأحاديثه لا يتابع عليها متنا ولا إسناداً.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٦٥ ومسلم ٢٥٥٩ بلفظ «ولا تدابروا» بدلا من لفظ «ولا تناجشوا» عن أنس.

وفي الخبر إن لنعم الله أعداء قيل: من أعداء نعم الله يا رسول الله؟ قال: «الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»<sup>(١)</sup>.

وقال معاوية: يا بني إياك والحسد فإنه يبين فيك قبل أن يبين في محسودك.

وقال ابن عبد الملك:

وأظلم من في الأرض من بات حاسداً لمن كان في نعمائه يتقلب

وقال بعض الحكماء: وإياكم والحسد، فإن الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، يشير إلى إبليس وقابيل.

وقال الأحنف بن قيس: لا راحة لحسود، ولا وفاء لبخيل، ولا صديق لملول، ولا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لسيئ الخلق.

وقال محمد بن سيرين: ما حسدت أحداً على شيء من الدنيا، فإن كان من أهل الجنة فكيف أحسده وهو صائر إلى الجنة؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده وهو صائر إلى النار؟

وقال الحسن البصري: يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه الله إياه لكرامته فلم تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك فلا ينبغي لك أن تحسد من مصيره إلى النار. وقال بعضهم: ليس شيء أضر من الحسد يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود، غم لا

(١) أخرج الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢٠٤) رقم ٧٢٧٧ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «إن لأهل النعم حسادا فاحذروهم»، وذكره الهيثمي (٣٥٧/٨) رقم ١٣٧٣٨ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف وقد وثقه ابن حبان.

ينقطع، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومذمة لا يحمد بها، ويسخط عليه الرب، ويغلق عنه أبواب التوفيق.

ومما ينسب للإمام الشافعي في ذم الحسد. شعر:

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب  
أسأت على الله في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب  
فجازاك منه بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب

ولا ريب أن اشد الناس تحاسدا العلماء، سيما في هذه الأزمان، ومن ثم ورد عن ابن عباس: استعملوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغاوراً من التيوس في زربها، وفي رواية عنه خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا<sup>(١)</sup> أقوال الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغايبون تغاير التيوس في الزريبة، وهذا الداء قد فشا في الناس سيما في أهل العلم، فنسأل الله العافية والموازن الوافية، واعلم أن النصح من الحسود مفقود، كما أن الوفاء من النساء ليس بموجود، وقد قلت في ذلك نظماً وهو:

اسمع مقالة ناصح لك منصف يغنيك عن سؤال من لم يعرف  
طلب الوفاء من النساء متعذر والنصح من شخص حسود منتف  
والهيبة العظمى من ذي فاقة والحرمة اعدد من جهول مسرف  
واحذر تسأل يوماً عدوك حاجة فلقد علمنا أنه لم يسعف

وقد رتبت هذا الكتاب على خمسة كتب وخاتمة.

المقدمة: في ذكر الموت وما يتعلق به والروح وتشتمل على ثمان فصول:

(١) في حاشية الأصل قوله: ولا تقبلوا... إلخ أقول: ونظيره قول العلامة الشامي رحمه الله تعالى في كتابه «عقود الجمان في الذب عن أبي حنيفة النعمان» كلام المعاصرين مردود

## الفصل الأول

## في النهي عن تمني الموت وحكمته

أخرج الإمام أحمد في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف عن الحسن قال: لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: إن الأرض لا تسعهم، قال إني جاعل موتاً، قالوا: إذاً لا يهنتهم عيش، قال: إني جاعل أملاً<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال: لما هبط آدم ﷺ إلى الأرض قال له ربه: ابن للخراب ولد للفناء<sup>(٢)</sup>.

واعلم أن الموت ليس بعدم<sup>(٣)</sup> محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وانتقال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب، وقد سماه الله مصيبة بقوله فإن: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةً أَلْمُوتِ﴾ [المائدة: ١٠٦] فهو المصيبة العظمى والرزية الكبرى، وأعظم منه الغفلة عنه والإعراض عن ذكره وقلة التفكير فيه، وترك العمل له، مع أنه فيه عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن افكر.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمياً»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصنف لابن أبي شيبة (٧/ ١٩٠) رقم ٣٥٢٢٢.

(٢) أبو نعيم - حلية الأولياء (٣/ ٢٨٦).

وابن المبارك- الزهد (٨٧).

(٣) في حاشية الأصل/ شعر من بحر الوافر:

قليل عمرنا في دار دنيا وخرجنا إلى تحت التراب

... نادى كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧: ٣٥٣) رقم ١٠٥٥٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء

(٦/ ٣٩٢)، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥٠)، والعجلوني في كشف

الخفا (٢/ ١٠٩٣) رقم ٢٠٩٧ وعزاه للبيهقي والقضاعي والديلمي.

وقد نهى ﷺ عن تمني الموت والدعاء به لضر نزل به . فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، إن كان لا بد متمنياً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي »<sup>(١)</sup> متفق عليه وفي رواية : « لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً »<sup>(٢)</sup> ، وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد ، أو مسيئاً فلعله أن يستعيب »<sup>(٣)</sup> أي يرجع ، قال في الصحاح : أعتبني فلان إذا عاد إلى مسرتي راجعاً عن الإساءة ، واستعيب وأعتب بمعنى . وقال القرطبي في «التذكرة» : الاستعاب طلب العُتْبَى وهو الرضى وذاك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب .

وأخرج الإمام أحمد والبخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة »<sup>(٤)</sup> .

قال في النهاية : المطلع بالتحديد مكان الاطلاع من موضع عال ، والمراد به هنا ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقب الموت ، تشبيهاً له بالمطلع الذي يشرف عليه من موضع عال .

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه «لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن

(١) أخرجه البخاري ٦٣٥١ ومسلم ٢٦٨٠ .

(٢) مسلم ٢٦٨٢ عن أبي هريرة .

(٣) البخاري ٥٦٧٣ بزيادة «خيراً» بعد يزداد .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٣٢) رقم ١٤٦٠٤ بلفظ «ويرزقه الله» بدلا من «حتى يرزقه الله»، وعبد بن حميد في مسنده (٣٤٩) رقم ١١٥٥ ، وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٣٦) رقم ١٧٥٤٣ وقال : رواه أحمد والبخاري وإسناده حسن .

نتمنى الموت لتميناه»<sup>(١)</sup>، وتمنى سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه الموت والنبي ﷺ يسمع فقال ﷺ: «لا تتمن الموت فإن كنت من أهل الجنة فالبقاء خير لك، وإن كنت من أهل النار فما يعجلك إليها»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمن أحدكم الموت فإنه لا يدري ماذا قدم لنفسه»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني والحاكم عن أم الفضل رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليهم وعمه العباس رضي الله عنه يشتكي، فتمنى الموت فقال له: «يا عم لا تتمن الموت، فإنك إن كنت محسناً كنت تؤخر تزداد حسناً إلى إحسانك خيراً لك، وإن كنت مسيئاً فإن تؤخر تستعيب من إساءتك خيراً لك فلا تتمن الموت»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به قبل أن يأتيه إلا أن يكون قد وثق بعمله»<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري ٧٢٣٣ بلفظ «قال أنس رضي الله عنه: لولا أني سمعت رسول الله يقول «لا تتمنوا الموت لتمنيت».

ومسلم ٢٦٨٠ بلفظ قال أنس «لولا أن رسول الله قال «لا يتمنين أحدكم الموت لتمنيت».

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥ / ٢٣٦) رقم ٤٢١٤٨ وعزاه للمروزي في الجنائز عن القاسم مولى معاوية مراسلاً.

(٣) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٦ / ١٢٥) وذكره الهندي في كنز العمال (١٥ / ٥٥٥) رقم ٤٢١٥٤.

(٤) أخرجه أحمد (٦ / ٣٣٩) رقم ٢٦٩١٦، والحاكم في المستدرک (١ / ٤٨٩) رقم ١٢٥٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

والطبراني - المعجم الكبير (٢٥ / ٢٨) رقم ٤٤ وذكره الهيثمي (١٠ / ٣٣٥) رقم ١٧٥٤١، وما بعده وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٥) أخرجه أحمد (٢ / ٣٥٠) رقم ٨٥٩٢ بلفظ «لا يتمنى» وفي آخره «فإنه إن مات أحدكم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً»، وابن حبان في صحيحه (٧ / ٢٨٥) رقم ٣٠١٥ وله شواهد في الصحيح.

واعلم أن خير الناس من طال عمره وحسن عمله . كما أخرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه والحاكم عن أبي بكره رضي الله عنه «أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: من طال عمره<sup>(١)</sup> وحسن عمله قال: فأبي الناس شر؟ قال: من طال عمره وساء عمله»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً»<sup>(٣)</sup>.

والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً»<sup>(٤)</sup>.

والطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً: «ألا أنبئكم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: أطولكم أعماراً في الإسلام إذا سدّدوا»<sup>(٥)</sup>.

- (١) في حاشية الأصل العمر بضم الميم وإسكانها . انتهى  
 (٢) أخرجه أحمد (٥ / ٤٠) رقم ٢٠٤٣١ والترمذي (٤ / ٥٦٦) رقم ٢٣٣٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح . والحاكم (١ / ٤٨٩) رقم ١٢٥٦ وذكره الهيثمي (١٠ / ٣٣٧) رقم ١٧٥٤٨ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وسنده جيد . . .  
 (٣) أخرجه الحاكم (١ / ٤٨٩) رقم ١٢٥٥ بلفظ «أحسنكم عملاً» وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأحمد (٢ / ٢٣٥) رقم ٧٢١١ عن أبي هريرة . والبيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٣٧١) رقم ٦٣١٩ ، وابن أبي شيبة (٧ / ٩٠) رقم ٣٤٤٢٢ .  
 (٤) أخرجه الحاكم (١ / ٤٨٩) رقم ١٢٥٥ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم .  
 وأحمد (٢ / ٢٣٥) رقم ٧٢١١ عن أبي هريرة رضي الله عنه والبيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٣٧١) رقم ٦٣١٩ وابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٩٠) رقم ٣٤٤٢٢ وذكره الهيثمي (١٠ / ٣٣٧) رقم ١٧٥٤٩ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة وقد وثق .

- (٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أنس (٦ / ٢١٤) رقم ٣٤٩٦ .  
 وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٠٤) رقم ١٧٥٥٠ عن عبادة وقال: رواه الطبراني وفيه أبو أمية بن يعلى وهو ضعيف .

وأخرج عن عوف مرفوعاً: «كلما طال عمر المسلم كان له خيراً»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رجلان من بلي - حي من قضاة - أسلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشهد أحدهما وآخر الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: فرأيت الجنة فأريت الرجل المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد، فعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة»<sup>(٢)</sup>.

وأحمد والبخاري عن طلحة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله»<sup>(٣)</sup>.

وأبو نعيم عن سعيد بن جبير قال: بقاء المسلم كل يوم غنيمة، لأداء الفرائض والصلوات وما يرزقه الله من ذكره.

وابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن أبي عيلة قال: بلغني أن المؤمن إذا مات تمنى الرجعة إلى الدنيا، ليس ذلك إلا ليكبر تكبيره، أو يهليل تهليله، أو يسبح تسبيحه.

واعلم أنه يجوز تمنى الموت والدعاء به لخوف الفتنة في الدنيا.

فقد أخرج الإمام مالك عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨ / ٥٧) رقم ١٠٤ وابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٥٣٠) رقم ٣٧٧٤٦ وروى نحوه أحمد (٦ / ٢٣) رقم ٢٤٠١٩ وذكره الهيثمي (١٠ / ٣٣٨) رقم ١٧٥٥٢ وقال: رواه الطبراني وفيه النهاس بن قهم وهو ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد باختلاف يسير في بعض الألفاظ (٢ / ٣٣٣) رقم ٨٣٨٠، وذكره والهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٣٩) رقم ١٧٥٥٣ وقال: رواه أحمد وإسناده حسن.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١ / ١٦٣) رقم ١٤٠١ بتقديم لفظة تكبيره على لفظة تهليله. وعبد بن حميد في مسنده (١ / ٦٥) بزيادة لفظة وتسبيحه، وذكره والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٩) رقم ١٧٥٥٤ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري ورجالهم رجال الصحيح.

يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني كنت مكانه»<sup>(١)</sup>.

والبزار عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بالناس<sup>(٢)</sup> فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»<sup>(٣)</sup>.

ومالك عن عمر رضي الله عنه قال: اللهم قد ضعفت قوتي وكبرت سني وانتشرت رعيتي فاقبضني غير مضيع ولا مقصر، فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وابن عبد البر في التمهيد والمروزي في الجنائز والطبراني في الكبير عن عليم الكندي قال: كنت مع عيسى الغفاري على سطح، فرأى قوماً يتحملون من الطاعون فقال: يا طاعون خذني إليك - ثلاثاً - فقال عليم: لم تقول هذا؟ ألم يقل رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت، فإنه عند ذلك انقطاع عمله ولا يُرد فيستعذب» فقال أبو عيسى: أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بادروا بالموت ستاً، إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفافاً بالدم، وقطيعة الرحم، ونشوءاً يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل ليغنيهم بالقرآن وإن كان أقلهم فقهاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٤١) رقم ٥٧٢ وليس فيه كلمة (كنت) والبخاري رقم ٧١١٥ ومسلم رقم قبل ٢٩٠٨.

(٢) في حاشية الأصل (وفي رواية بعبادك بدل الناس) انتهى.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٧٠٨) رقم ١٩٣٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري والترمذي (٥/ ٢٤٣) رقم ٣٢٣٣ عن ابن عباس، وأحمد في المسند (٥/ ٢٤٣) رقم ٢٢١٦٢.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٤) رقم ١٦٠٨٣ باختلاف في بعض الألفاظ، وابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١٤٧) وعبد الرزاق في المصنف (٢/ ٤٨٨) رقم ٤١٨٦ باختلاف يسير، وذكره الهيثمي (٣/ ٥٤) رقم ٣٨٧٦ وقال: رواه الطبراني في الكبير وأحمد بنحوه.

قوله: يتحملون: أي يرتحلون كما في الصحاح، وفي الحديث: «إن رأيتم في الإسلام ستة خصال فتمنوا الموت، وإن كانت نفسك في يدك فأرسلها، إضاعة الدم، وإمارة الصبيان، وكثرة الشرط، وإمارة السفهاء، وبيع الحكم، ونشوء يتخذون القرآن مزامير»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود مرفوعاً: «لا يخرج الدجال حتى لا يكون شيء أحب إلى المؤمن من خروج نفسه»<sup>(٢)</sup> وقال سفيان: يأتي على الناس زمان يكون الموت فيه أحب إلى قراء ذلك الزمان من الذهب الأحمر.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: يوشك أن يكون الموت أحب إلى المؤمن من الماء البارد يصب عليه الغسل<sup>(٣)</sup> فيشره.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أم الدرداء قالت: كان أبو الدرداء إذا مات الرجل على الحال الصالحة قال: هنيئاً لك يا ليتني كنت مكانك، فقالت أم الدرداء له في ذلك. قال: هل تعلمين يا حمقاء أن الرجل يصبح مؤمناً ويمسي ملفتاً يسلب إيمانه وهو لا يشعر، فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصوم.

وفي فروع ابن مفلح اتجاهها يستحب، يعني تمنى الموت للخبر المشهور، «إذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»<sup>(٤)</sup>، إسناده جيد، رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه، وقال الإمام أحمد في رواية

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٧ / ٨٠) وأخرج نحوه أبو نعيم موقوفاً على ابن أبي هريرة (١ / ٣٨٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧ / ١٢٣) باختلاف في بعض الألفاظ، وقال: تفرد به مصعب عن الثوري.

(٣) هكذا بالأصل ولعلها «العسل».

(٤) تقدم ص ٣٦.

المروزي: إنما أتمنى الموت صباحاً ومساءً أخاف أن أفتن في الدنيا. انتهى  
وسمعت أستاذي الشيخ عبد القادر التغلبي يقول: قال الشيخ  
أبو المواهب: تمنى الموت في عصرنا هذا غير مكروه بل يجب، كذا  
سمعته.

وفي فنون ابن عقيل: قال عالم يوماً - يعني نفسه - لكرب دخل  
عليه، يا ليتني لم أعش لهذا الزمان، فقال متحذلق يدعي الزهد يريد أن  
يظهر اعتراضه على أهل العلم: لا تقل هذا وأنت إمام، تمنى على الله  
تعالى؟ ما أراد الله بك خير مما تمناه لنفسك، وهذا اتهام لله، فأجابه:  
ومن أين لك لسان ينطق بما لا يكبر على العلماء، كأنك تعلمهم ما لا  
يعلمون، وتوهم أنك تدرك عليهم ما يجهلون، أليس الله قد حكى عن  
مريم: ﴿يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا﴾ [مريم: ٢٣]. وقال أبو بكر الصديق: يا ليتني  
كنت مثلك يا طائر. انتهى.

والمراد غير تمنى الشهادة، وأما تمنى فلا خلاف في ذلك، فقد  
تمناها عمر كما في البخاري<sup>(١)</sup> وفي الحديث (من تمنى مخلصاً من قلبه  
أعطاه الله منازل الشهداء)<sup>(٢)</sup> والله أعلم.

\*\*\*

(١) البخاري رقم ١٨٩٠ .

(٢) مسلم ١٩٠٩ بلفظ (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه).

## الفصل الثاني

### في فضل الموت وذكره

تقدم أن الموت ليس بعدم محض ، ولا فناء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدل وانتقال من دار إلى دار .

أخرج أبو نعيم عن بلال بن سعد أنه قال في وعظه : يا أهل الخلود ويا أهل البقاء إنكم لم تخلقوا للفناء ، وإنما خلقتم للخلود والأبد ، ولكنكم تنتقلون من دار إلى دار .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما خلقتم للأبد ولكنكم تنتقلون من دار إلى دار<sup>(١)</sup> .

وأخرج الحاكم في مستدركه والطبراني في الكبير وابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً : «الموت تحفة المؤمن»<sup>(٢)</sup> .

والديلمي عن الحسين بن علي رضي الله عنهما مرفوعاً : «الموت ريحانة المؤمن»<sup>(٣)</sup> .

(١) في حاشية الأصل ومن هذا قول المقرئ في قصيدته الدالية :

خلق الناس للبقاء فَضَلْتُ أمة يحسبونهم لنفاد

إنما ينقلون من دار أعما ل إلى دار شقوة أو رشاد

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٥٥ / ٤) رقم ٧٩٠٠ بلفظ [تحفة المؤمن الموت] عن عبد الله ابن عمرو وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه والطبراني في الكبير (٩ / ١٥٤) رقم ٨٧٧٤ وص ١٥٥ رقم ٨٧٧٥ ورقم ٨٧٧٦ موقوفاً ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٥٥٥) رقم ١٨٢١٠ وقال : رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما جيد .

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥ / ٥٥٠) رقم ٤٢١٣٦ وعزاه للديلمي عن الحسين . وذكره أيضاً العجلوني في كشف الخفاء في سياق تخريجه للحديث السابق (١ / ٣٥١) رقم ٩٤٨ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : «الموت غنيمة، والمعصية مصيبة، والفقر راحة، والغنى عقوبة»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ : «اثنان يكرههما ابن آدم، يكره الموت والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الشيخان عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : مر على النبي ﷺ بجنابة فقال : «مستريح ومستراح منه» قالوا : يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ فقال : «العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة»<sup>(٤)</sup>. بفتح أوله القحط والجذب. رواه ابن المبارك والطبراني من حديث عمرو بن العاص.

وأخرج ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثله رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الأرض وينفسح فيها.

(١) جزء من حديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥ / ٣٨٨) رقم ٧٠٤٠ وقال : تفرد به النهرواني وهو مجهول وابن عساكر في تعزية المسلم (٤٩).

وذكره الهندي في كنز العمال (١٦ / ١٢٢) رقم ٤٤١٤٤ وعزاه للبيهقي في شعب الإيمان وضعفه والدليمي، والعجلوني في كشف الخفا (٢ / ١٦٦٤) رقم ٢٦٦٧.

(٢) أخرجه أحمد (٥ / ٤٢٧) رقم ٢٣٦٧٤ عن محمود بن لبيد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٦٢) رقم ٣٩٠٤ وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) البخاري ٦٥١٢ ، ومسلم ٩٥٠ .

(٤) أخرجه أحمد (٢ / ١٩٧) رقم ٦٨٥٥ عن عبد الله بن عمرو والحاكم في المستدرک (٤ / ٣٥١) رقم ٧٨٨٢ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٥١٥) رقم ١٨٠٧٩ وقال : رواه أحمد والطبراني باختصار ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن جنادة وهو ثقة.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: «يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن، والقبر أمته، والجنة مصيره، يا أبا ذر إن الدنيا جنة الكافر، والقبر عذابه والنار مصيره»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن مسعود: حبذا المكروهان الفقر والموت.

وقال بعض السلف: بلغني أن أول سرور يدخل على المؤمن الموت؛ لما يرى من كرامة الله وثوابه.

وقال ابن مسعود ﷺ: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عتبة الخولاني الصحابي ﷺ أنه قيل له: إن عبد الملك خرج هارباً من الطاعون، فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ما كنت أرى أن أبقى حتى أسمع بمثل هذا، أفلا أخبركم عن خلال<sup>(٣)</sup> كان عليها إخوانكم؟ أولها: لقاء الله كان أحب إليهم من الشهيد.

والثانية: لم يكونوا يخافون عدواً قتلوا أو كثروا.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦ / ٣٥٣).

وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢ / ٢٢٧٨) رقم ٣٢٧٦ وقال رواه الطبراني عن ابن عمر.

(٢) في حاشية الأصل قال الشاعر من بحر الكامل:

فقلت من مدحوا الحياة وأطنبوا في الموت ألف فضيلة لا تعرف  
منها أمان لقاءه بلفائه وفراق كل معاند لا ينصف

(٣) في حاشية الأصل أي عن طبائع، قال الشاعر:

لنا صديق له خلال تعرب عن أصله الأخرس  
له يد مثل حيث يا ليتها أصبحت كأمس

قلت: البيتان لأبي المحاسن الشواء ونصهما:

لنا خليل له خلال تعرب عن أصله الأخرس  
أضحت له مثل حيث كف وددت لو أنها كأمس

والثالثة : لم يكونوا يخافون عوزاً من الدنيا ، كانوا واثقين بالله أن يرزقهم .  
والرابعة : إن نزل بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضي الله فيهم ما قضى .  
وقال أبو عبد ربه لمكحول : أتحب الجنة؟ قال : ومن لا يحب الجنة .  
قال : فأحب الموت ، فإنك لن تر الجنة حتى تموت .

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أكثرُوا ذكر هاذم اللذات الموت»<sup>(١)</sup> وعن عمر مثله<sup>(٢)</sup> .  
وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أكثرُوا ذكر هاذم اللذات فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه ، ولا في سعة إلا ضيق عليه»<sup>(٣)</sup> .

وسئل رسول الله ﷺ أي المؤمنين أكيس أي أعقل؟ قال : «أكثرهم للموت تذكراً وأحسنهم لما بعده استحساناً أولئك الأكياس ، أي : العقلاء»<sup>(٤)</sup> . رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر .

وقال ﷺ : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من

(١) أخرجه الترمذي (٤ / ٥٥٣) رقم ٢٣٠٧ وقال حسن غريب وابن ماجه (٢ / ١٤٢٢) رقم ٤٢٥٨ ، والنسائي (٤ / ٤) رقم ١٨٢٤ .

(٢) في المعجم الأوسط للطبراني (٦ / ٥٦) رقم ٥٧٨٠ عن ابن عمر .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥ / ٢٦٥) موقوفاً على عمر بن عبد العزيز باختلاف يسير ، وكذا ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (١٠٨) رقم ٨٤ ، وابن عساکر في تاريخ دمشق (٤٧ / ١٠) وذكره الهيثمي (١٠ / ٥٥٤) رقم ١٨٢٠٥ مرفوعاً بلفظ المصنف عن أنس وقال : رواه البزار والطبراني باختصار وإسنادهما حسن .

(٤) أخرجه ابن ماجه بلفظ (أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعده استعداداً أولئك الأكياس) (٢ / ١٤٢٣) رقم ٤٢٥٩ .

وذكره الهيثمي في المجمع (٥ / ٥٧٢) رقم ٩٦١٥ وقال روى ابن ماجه بعضه ، رواه البزار ورجاله ثقات .

أتبع نفسه هواها وتمني على الله»<sup>(١)</sup> رواه الترمذي من حديث شداد بن أوس .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه قال: «أكثرُوا ذكر الموت، فإنه يمحص الذنوب، ويزهد في الدنيا، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه، وإن ذكرتموه عند الفقر أَرْضَاكُمْ بعِيشِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أيضاً عن عطاء الخراساني قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس قد استعلاه الضحك فقال: «شوبوا مجلسكم بمكدر اللذات قالوا: وما مكدر اللذات؟ قال: الموت»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الطبراني عن عمار مرفوعاً: «كفى بالموت واعظاً»<sup>(٤)</sup> وفسر السدي قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال: أكثركم للموت ذكراً.

قال الجلال السيوطي في (شرح الصدور) عن بعضهم: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة،

(١) رواه الترمذي (٦٣٨ / ٤) رقم ٢٤٥٩ وقال: هذا حديث حسن. والحاكم في المستدرک (٢٨٠ / ٤) رقم ٧٦٣٩ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤٥٠ / ٤) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف جداً، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١٨٧ / ١) في تخريجه لحديث رقم ٥٠٠ وضعفه.

(٣) ذكره الغزالي في الإحياء (٤٥٠ / ٤) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا مرسلًا ورويناه في أمالي الخلال من حديث أنس ولا يصح.

(٤) جزء من حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٣ / ٧) رقم ١٠٥٥٦، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٠٢ / ٢) رقم ١٤١٠، وذكره الهيثمي (٥٥٤ / ١٠) رقم ١٨٢٠٤ وقال: رواه الطبراني وفيه الربيع بن بدر وهو متروك.

ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

وقال التيمي: شيئان قطعاً عني لذاذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الوقوف بين يدي الله تعالى، ومن ذكر الموت<sup>(١)</sup> في اليوم واللييلة عشرين مرة حشر مع الشهداء.

قال القرطبي في التذكرة قوله ﷺ: «أكثرُوا ذكرَ هَازِمِ اللذاتِ الموتِ»<sup>(٢)</sup> كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من عينها<sup>(٣)</sup> في المستقبل، وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الذاهلة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ وتزويق الألفاظ، وإلا ففي قوله ﷺ: «أكثرُوا ذكرَ هَازِمِ اللذاتِ»<sup>(٤)</sup> مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ما يكفي السامع له ويستقل الناظر فيه.

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثيراً ما ينشد هذه الأبيات:

لا شيء مما يرى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويودي <sup>(٥)</sup> المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له	والإنس والجن فيما بينها يرد
أين الملوك التي كانت لعزتها	من كل أوب إليها وافد يفد

(١) في حاشية الأصل / أي تذكره في.

(٢) سبق (ص ٤٢) .

(٣) هكذا في الأصل والصواب (تمنيها) كما في التذكرة.

(٤) سبق (ص ٤٢) .

(٥) في حاشية الأصل: أي يهلك، قال الشاعر:

ألم تروا إرمأ وعادا أودى بها الليل والنهار

حوض هنالك مورود بلا كذب لابد من وروده يوماً كما وردوا  
 وحكى القرطبي في التذكرة وعبد الحق الإشبيلي في العاقبة: أن  
 أعرابياً كان يسير على جبل له، فخر الجمل ميتاً، فنزل الأعرابي عنه وجعل  
 يطوف به ويتفكر فيه ويقول: ما لك لا تقوم؟ ما لك لا تبعث؟ هذه  
 أعضاؤك كاملة، وجوارحك سالمة، ما شأنك؟ ما الذي كان يحملك؟ ما  
 الذي كان يبعثك؟ ما الذي صرعتك؟ ما الذي عن الحركة منعك؟ ثم تركه  
 وانصرف متفكراً في شأنه متعجباً في أمره وأنشد في ذلك:

جاءته من قبل المنون إشارة	فهوى صريعاً لليدين وللقم
ورمى بمحكم درعه وبرمحه	وامتد ملقى كالقتيل الأعظم
لا يستجيب لصارخ أن يدعه	أبدأ ولا يرجى لخطب معظم
ذهبت بسالته ومر غرامه	لما رأى خيل المنية ترمي
يا ويحه من فارس ما باله	ذهبت مرووته ولم يتكلم
هذي يده وهذه أعضاؤه	ما منه من عضو غدا بمثلم
هيهات من خيل الردا محتاجة	للمشرفي ولا السنان للهدم <sup>(١)</sup>
هي ويحكم أمر الإله وحكمه	والله يقضي بالقضاء المحكم
يا حسرة لو كان يقدر قدرها	ومصيبة عظمت ولما يعظم
خبر علمنا كلنا بمكانه	وكأننا في حالنا لم نعلم

قال في العاقبة: فكيف إذا أضاف الفكرة في الموت إلى الفكرة فيما  
 بعد الموت؟ وفي حال الموت وما له وما يجازى به من أقواله وأفعاله؟ وفي

(١) جاء في لسان العرب: البعير اللهيذ الذي أصاب جنبه ضغطة من جمل ثقيل فأورثه داء  
 أفسد عليه رتته، واللهيذ من الإبل: الذي لهذ ظهره أو جنبه حمل ثقيل أي ضغطه  
 أو شدخه فورم حتى صار دبراً، ولهذه لهذا أي دفعه لذه - لسان العرب/ مادة:  
 لهد.

أي متجر فاته؟ وأي بضاعة فرط فيها، وأي علق<sup>(١)</sup> نفيس من العمر ضيعه؟ هنالك تطيش العقول، وتخرس الألسن، وتنبذ الدنيا بالعراء، و تطرح بجميع ما فيها بالوراء.

قال ابن السماك رحمه الله : إن الموتى لم يبكوا من الموت ولكن يبكون من حسرة الفوت، فاتتهم واللّه دار لم يتزودوا منها، ودخلوا داراً لم يتزودوا لها، فأية ساعة مرت على من مضى؟ وأية ساعة بقيت علينا؟ واللّه إن المتفكر في هذا لجدير أن يترك الأوطان، ويهجر الخلان، ويدع له ما عز وما هان.

### حكاية:

قال الإشبيلي في العاقبة: روي أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان كلما ولد له ولد فبلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما يعقل الرجال لبس مسوحة وتعلق براءوس الجبال وسلك بطون الأودية يعبد الله عز وجل، فلم يزل ذلك دأبه حتى ولد له مولود، فجمع رجاله وخاصته وقال: تعلمون ما كان من أمر بني وإنه ليس منهم واحد بقى معي، ولا التفت إلي وأنه ليس يصلح بكم ولا يستقيم أمركم إلا بأن يليكم واحد من ولدي، وإني أخاف إن لم يكن ذلك تهلکوا بهلاكي، فخذوا ولدي هذا فربوه وقوموا بأمره، فإذا شب وعقل فزينوا له الدنيا وعظموا قدرها عنده، ثم أمر فبني له قصر عظيم - فرسخ في فرسخ - وجمع له المراضع وأكثر له من الحواضن، ووكل به رجالاً من عقلاء أصحابه ووجوه دولته، وأمر إذا فهم وعقل أن لا يخرج من ذلك القصر، وأن لا يذكر عنده الموت، ولا يكون ميت في موضع يكون فيه مخافة أن يسمع بالموت، أو يرى ميتاً فيسأل عنه فيفسر له فتتغص عليه

(١) كذا في الأصل.

لذته، وتكدر عليه حياته، ويزهد في الملك، ويسلك مسلك إخوته ويلحق بهم، فبقى الغلام على ذلك لا يذكر له موتاً ولا يسمعون خبر موت، ولا يطلعونه عليه، ولا يذكر عنده إلا الدنيا وتعظيمها والفرح بها والإقبال عليها، وتعظيم آبائه الملوك، وأجداده العظماء والترغيب في الاقتداء بهم، والمشي على طريقتهم، والاستئان بستهم، إلى أن شب الغلام وعقل ما يعقله الناس، فمشي ذات يوم في ذلك القصر وطاف في أرجائه<sup>(١)</sup> وقد أحدق به خاصته الموكلون به، فأنتهى إلى سور القصر فقال: ما وراء هذا السور وما خلف هذا الحائط؟ فقالوا له: وراء الأرض الواسعة والبلاد الكثيرة والجسم الغفير من الناس، وكل ذلك لك وللملك أيبك. فقال: أخرجوني حتى أنظر وأرى، فأبوا حتى يشاوروا أباه، فشاوروه وأخبروه أنه يريد الخروج ويرى الناس وظنوا أنه يحكمهم، فأذن لهم فأخرجوه فرأى ونظر فأول من وقع عليه بصره من الناس شيخ كبير قد سال لعباه وسقط حاجباه على عينيه من الكبر. فقال: ما هذا؟ قالوا: شيخ كبير. قال: وما شيخ كبير؟ قالوا: كان شاباً فعمر وعاش حتى أصابه الهرم فعمل به ما ترى. قال: وما الهرم؟ قالوا: الكبر وطول العمر. يعيش إلى أن تقل طاقته وتضعف حركته، حتى لا يقدر أن يمكس لعباه في فيه، مع علل أخرى تعتريه من طول الحياة. قال: أويصيبكم هذا أو هو يصيب قوماً دون قوم؟ قالوا: ليس هو مختصاً بأحد دون أحد بل يصيب كل من طال عمره. قال: ويصيبني أنا مع أنا فيه من النعيم وضروب اللذات وبلوغ الشهوات؟ قالوا: ويصيبك أنت إن طال عمرك<sup>(٢)</sup> فقال: أف يعيش يكون آخره هذا، ثم رجع

(١) في حاشية الأصل/ أي في أطرافه، قال تعالى: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَيَّ أَرْجَائِيهَا﴾ انتهى.

(٢) في حاشية الأصل/ إن طال بك الحياة.

ورجعوا إلى قصره، وقد تكدر<sup>(١)</sup> عليه بعض نعيمه، وتنخص عليه بعض ما كان فيه، فعالجوه بكل لهو وباطل، حتى استخرجوا من قلبه ما كان وقع فيه من أمر الهرم والكبر، فأقام عاماً ثم إنه أمرهم بأن يخرجوه ثانياً؟ فأبوا عليه وخافوا من أبيه، ثم إنه عزم عليهم فأخرجوه، فأول من رأى من الناس شاباً به جذام أو غيره من الأدواء فقال: ما هذا؟ ومما يكون هذا؟ قالوا: هذا فساد في المزاج وتحريك في الأخلاط فيتولد عنه هذا وغيره. قال: وهذا وحده أصابه أو كلكم خائف معه أن يصيبه هذا الداء؟ فقالوا: ما عند أحد أمان، كل واحد خائف من هذا الداء ومن غيره، الدار دار أمراض وأسقام وبلايا ورزايا. قال: وأنا خائف؟ قالوا: وأنت خائف، قد أخبرناك أنه ليس لأحد أمان في هذه الدنيا، فأصابه من الغم أكثر مما أصابه في المرة الأولى، فرجع ورجعوا ولم يزالوا يشغلونه بضروب المحاب وأصناف الملاذ حتى أخرجوا من قلبه ما كان قد وقع فيه، فأقام كذلك حولاً ثم قال: أخرجوني فأخرجوه فنظر فإذا ميت يحمل على سرير قال: ما هذا؟ قالوا: رجل مثلنا نزل به قضاء إلهي وحادث سماوي فأطفأ شرارته، وأخمد حرارته، وردّه حجراً من الحجارة، وجماداً من الجمادات، فقال: علي به حتى أراه، فجاءوا به فكشف له عنه. فقال: كلموه، فقالوا: إنه لا يتكلم، وقال: أجلسوه، فقالوا له: لا يجلس، فجعل ينظر إليه ويتفكر فيه ثم قال: وهذا وحده خص بهذا الحادث أو أنتم كلكم ينزل به الحادث؟ قالوا: كلنا فيه سواء وكلنا ينزل بنا هذا الحادث. قال: وأنا؟ قالوا: وأنت. قال: ولا يدفع عني أبي؟ قالوا: لا يدفع عنك أبوك ولا يدفع عن نفسه، فقال: إن نعيماً يصير آخره إلى هذا لجدير أن يتكدر وإن قلباً يخطر به ذكر هذا لحقيق أن يتفطر. قال: وما تصنعون به؟ قالوا: نحفر له حفرة في الأرض نلقيه فيها

(١) في حاشية الأصل/ أي تضجر.

ونتركه هنالك ونرد عليه التراب إلى يوم النشور والعرض، قال: وما يوم النشور والعرض؟ قالوا له: هو يوم تبعث فيه الأموات وتظهر فيه المخبات. قال: ويكون ولا بد منه؟ قالوا: ولا بد منه. فقال: وهذه أشد، فعمل الكلام في نفسه عمله وأخذ من قلبه مأخذه، فتغير وجهه، وضعف جسمه، وشحب لونه، وأقصر عما كان فيه من تلك الراحة وتلك البطالات، فأخبر أبوه بخبره ووُصِف له حديثه فقال: أوقد فعلها؟ قالوا: نعم. فداراه أبوه بكل شيء فلم ينفع فيه شيء، وهون عليه الأمر فلم يهن، وسلاه فلم يتسل، فقال له أبوه: لا جرم والله لأدعنك تلحق بإخوتك فبعث إليه شأنه من المسوح<sup>(١)</sup> فلبسها وخرج من جوف الليل، فتعلق بالجبال ولحق بإخوته فتعبد معهم.

وكان يقول في مناجاته: اللهم إني أسألك أمراً ليس إليّ قد سبقت به المقادير، ولوددت أني لو كنت كالطير في الهواء، والسماك في الماء، ولم أك شيئاً مذكوراً، مخافة الحساب والعقاب.

وأنشد الإمام ابن الجوزي في تبصرته:

أنتكر أمر الموت أم أنت عارف	بمنزلة تفنى وفيه المتالف
كأنك قد غيبت في اللحد والثرى	كما لقي الموت القرون السوالف
أرى الموت قد أفنى القرون التي مضت	فلم يبق مألوف ولم يبق آلف
كأن الفتى لم يصحب الناس ليلة	إذا عصبت يوماً عليه اللفائف
وقامت عليه عصابة يدفنونه	فمستذكر يبكي حزيناً وهاتف
وغيب في لحد كريبه فناؤه	وقد نضد من لبن عليه السقائف
وما صاحب البحر الفظيع مكانه	إذا هاج آذى عليه وقاصف

<sup>(١)</sup> في حاشية الأصل/ آلة السياحة - انتهى.

أحق بطول الحزن من ضيق غربة

تصدع عنه أهله والمعارف

ثم قال :

أين من ربح في متاجر الدنيا واكتسب  
أما رحل عن قصره الذهب فذهب  
أما نازله التلف فأسره العطب  
أنفعه بكاء من بكى أو ندب من ندب  
أما توقنون أن طالبه لكم في الطلب  
أين من أعطى وأولى ثم والى ووهب  
أما حل به في الحرب المصطلم الحرب  
أما نابته نائبة لا تشبه النوب  
أما ندم على كل ما جرى وارتكب  
تدبروا قول ناصحكم صدق أو كذب

انتهى

واعلم أن ذكر الموت يورث الاستشعار بالانزعاج عن هذه الدار  
الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك  
عن حالتي ضيق وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة فذكر  
الموت سهل عليه بعض ما هو فيه، إذ لا مصيبة إلا والموت أعظم منها،  
وهو ذائقه ولا يد، أو في حالة نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار  
بها والركون إليها، لتتحقق عدم دوامها وذهابها عنه وانصرامها، وما أحسن  
قول من قال :

اذكر الموت هاذم اللذات

وتجهز لمصرع سوف يأتي

وقول الآخر :

اذكر الموت تجده راحة

في ادكار الموت تقصير الأمل

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته أما بعد: فإنك إن  
استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك بغض إليك كل فان، وحب إليك  
كل باق.

وقال مجمع التيمي: ذكر الموت غنى. وقال أبو نعيم: كان الثوري

إذا ذكر الموت لا يُنتفع به أياماً، فإن سئل عن شيء قال: لا أدري. وذكر القرطبي في تذكرته: «قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل فأتى عليه فقال ﷺ: كيف ذكره للموت؟ فلم يذكر منه - أي الموت - فقال: ما هو كما تقولون»<sup>(١)</sup> ثم قال: فتفكر يا مغرور بالموت وسكراته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، فكفى بالموت مفرحاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهاذما للذات، وقاطعاً للأمنيات، فهلا تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك؟ وانتقالك من موضعك إذا نقلت من سعة إلى ضيق، وفارقك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأخذت من فرشك وغطائك إلى غرر<sup>(٢)</sup>، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامع المال، والمجتهد في البنيان، ليس لك من مالك واللّه إلا الأكفان، بل هي للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذي جمعته من المال؟ فهلا أنقذك من الأهوال، كلا بل تتركه إلى من لا يحمذك، وقدمت بأوزار على من لا يعذرك، وقد فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] بالكفن. قال القرطبي: فهو وعظ متصل بما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَأَبْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص: ٧٧] أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة، فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في الطين والماء والتجبر والبغي، فكأنه قال: لا تنس أن تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن، وما أحسن قول القائل:

هي القناعة لا تبغي لها بدلا      فيها النعيم وفيها راحة البدن

(١) ذكر الغزالي في الإحياء (٤/ ٤٥١) [ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنوا الثناء عليه، فقال: كيف ذكر صاحبكم للموت؟ قالوا: ما كنا نسمعه يذكر الموت، قال: فإن صاحبكم ليس هنالك] وقال عنه العراقي أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت من حديث أنس بسند ضعيف.  
(٢) في حاشية الأصل الغرر - بفتحتين - الخطر الذي لا... لها أيكون أم لا؟.

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن  
واعلم أن مما يعين على تذكر الموت زيارة القبور كما في حديث  
مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن  
زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة»<sup>(١)</sup>.

وعند الحاكم «فإن فيها عبرة»<sup>(٢)</sup> وعنده أيضاً: عن أنس رضي الله عنه  
مرفوعاً: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنه يرق القلب،  
وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجراً»<sup>(٣)(٤)</sup>.

وفي التذكرة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه مر إلى  
المقبرة فلما أشرف عليها قال: يا أهل القبور خبرونا عنكم أو نخبركم، أما  
خبر ما قبلنا فالمال قد قسم، والنساء قد تزوجن، والمسكن قد سكنها قوم  
غيركم، ثم قال: أما والله لو استطاعوا لقالوا: لم نر زاداً خيراً من التقوى،  
وقد أحسن القائل حيث قال:

يا عجباً للناس لو فكروا  
وغيروا الدنيا إلى غيرها  
لا فخر إلا فخر أهل التقوى<sup>(٥)</sup>  
ليعلمن الناس أن التقى  
عجبت للإنسان في فخره  
وحاسبوا أنفسهم وأبصروا  
فإنما الدنيا لهم معبر  
غدا إذا ضمهم المحشر  
والبر كانا خير ما يدخر  
وهو غداً في قبره يقبر

(١) أخرجه مسلم رقم ٩٧٧ بلفظ [نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها] وابن ماجه باللفظ الذي  
أورده المصنف (١/ ٥٠١) رقم ١٥٧١ .

(٢) المستدرک (١/ ٥٣٠) رقم ١٣٨٦ وقال وهذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه عن أبي  
سعيد، وذكره الهيمثي (٣/ ١٨٤) رقم ٤٢٩٩ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) المستدرک (١/ ٥٣٢) رقم ١٣٩٣، وأحمد (٤/ ٨٩) رقم ٢٠٣٣ باختلاف يسير

(٤) في حاشية الأصل/ أي فحش الكلام .

(٥) في حاشية الأصل/ صوابه التقى - انتهى .

ما بال من أوله نطفة      وجيفة آخره يفخر  
أصبح لا يملك تقديم ما      يرجو ولا تأخير ما يحذر  
وأصبح الأمر إلى غيره      في كل ما يقضى وما يُفدَّرُ

قال القرطبي: قال العلماء: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور، وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور:

أحدها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكير والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب.

الثاني: ذكر الموت، فيكثر من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات ومموت البنين والبنات.

يروى أن امرأة شكت إلى سيدتنا عائشة رضي الله عنها قساوة في قلبها، فقالت لها: أكثري من ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت ذلك فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة.

قال القرطبي عن العلماء: فذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا، ويهون المصائب فيها.

الثالث: مشاهدة المحتضرين، فإن في النظر إلى الميت، ومشاهدة سكراته ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرده عن القلوب مسراتها، ويمنع الجفون من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل والاجتهاد في عبادة الكريم الجواد.

فروي أن الحسن البصري رضي الله عنه دخل على مريض يعود فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله فقال: هلاه عليكم

بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه .  
الرابع: زيارة القبور، فإنها تبلغ في ذلك ما لا يبلغه الأول والثاني  
والثالث .

وينبغي للإنسان لاسيما عند الاحتضار أن يحسن ظنه بالله، فقد قال  
ﷺ «لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله»<sup>(١)</sup> متفق عليه .

وأخرج الترمذي وابن ماجه عن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ دخل على  
شاب وهو في الموت فقال له: «كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله وأخاف  
ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن  
إلا أعطاه الله ما يرجوه وآمنه مما يخاف»<sup>(٢)</sup> .

وأخرج الحكيم الترمذي عن الحسن قال: بلغني عن رسول الله ﷺ أنه  
قال: «قال ربكم لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمانين، فمن خافني  
في الدنيا أمنت في الآخرة، ومن أمنتني<sup>(٣)</sup> في الدنيا أخفت في الآخرة»<sup>(٤)</sup> .

وأخرجه أبو نعيم موصولاً من حديث شداد بن أوس .

وقال إبراهيم النخعي كانوا يستحبون أن يلقن العبد محاسن عمله عند  
الموت، حتى يحسن ظنه بربه .

(١) لم أجده في البخاري، وهو في مسلم ٢٨٧٧ من حديث جابر بلفظ (يحسن) بدل (حسن) .  
(٢) أخرجه الترمذي (٣١١/٣) رقم ٩٨٣ وقال هذا حديث حسن غريب وابن ماجه (٢) /  
١٤٢٣ رقم ٤٢٦١ .

(٣) في حاشية الأصل/ أي أمن مكرى، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الفاسقون . انتهى .  
(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٠٦) رقم ٦٤٠ عن أبي هريرة باختلاف في يسير في  
بعض ألفاظه .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٥٥٣) رقم ١٨٢٠٠ ولم يتكلم عليه .

والهندي في الكنز (٣/ ١٥٠) رقم ٥٩٢٠ وقال ابن المبارك والحكيم عن الحسن مرسلاً .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : والذي لا إله غيره لا يحسن أحداً الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه .

وأخرج الإمام أحمد عن وائلة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»<sup>(١)</sup> .

### حكاية :

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي غالب صاحب أبي أمامة قال : كنت بالشام ، فنزلت على رجل من قيس من خيار الناس ، وله ابن أخ مخالف له ، يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه ، فمرض الفتى فبعث إلى عمه فأبى أن يأتيه ، فأتيته أنا به حتى أدخلته عليه ، وأقبل عليه يشتمه ويقول : أي عدو الله ألم تفعل كذا؟ قال : أرأيت أي عم لو أن الله دفعني إلى والدتي ما كانت صانعة بي؟ قال : كانت والله تدخلك الجنة قال : فوالله لله أرحم بي من والدتي ، فقبض الفتى ودفنه عمه ، فلما سوى اللبن سقط منه لبنة فوثب عمه ليأخذها ثم تأخر ، فقلت ما شأنك؟ قال : ملئ قبره نوراً وفسح له مد البصر .

وقال ناصر السنة الحافظ ابن الجوزي في تبصرته : كان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع أوصاله<sup>(٢)</sup> ، فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه ، وفي التبصرة أيضاً عن المزني قال : دخلت على الشافعي في مرض موته فقلت : كيف أصبحت؟ فقال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، ولسوء عملي ملاقياً ، وبكأس المنية شارباً ، وعلى الله وارداً ، فلا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها؟ ثم

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩١) رقم ١٦٠٥٩ ، وأخرج مسلم أوله رقم ٢٦٧٥ .

(٢) في حاشية الأصل / أي عظامه .

أنشأ<sup>(١)</sup> يقول:

ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي      جعلت رجائي نحو بابك سلماً<sup>(٢)</sup>  
تعاظمني ذنبي فلما قرنته      بعفوك ربي كان عفوك أعظماً  
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل      تجود وتعفو منة وتكرماً

فحسن الظن بالله سبحانه وتعالى واجب، لاسيما عند الموت، فانظر كلام الإمام الشافعي رحمته الله كيف قال في حال احتضاره (تعاظمني) أي عظم في عيني وكبر ذنبي، لأن دأب المؤمن أن يرى ذنبه عظيماً كبيراً، ويرى عمله قليلاً حقيراً، فلما رأى الإمام رحمته الله أن ذنبه في عينه عظيم وكبر ذلك في مرآة قرنه بعفو الله ورحمته فرآه صغيراً بالنسبة إلى عفو تلك الحضرة الإلهية، ورحمة تلك العزة الصمدانية، فلذا قال: فلما قرنته يعني ذنبي بعفوك ربي، أي يا ربي كان عفوك عن ذنبي أعظماً، بل ذنبي بالنسبة إلى عفوك لا يبلغ قطرة من بحر لجي، فهذا دأب السلف أن يخافوا ذنوبهم ويرجو، رحمة ربهم ومعبودهم.

ولهذا قال رحمته الله: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن»<sup>(٣)</sup>

(١) في الحاشية/ قوله: ثم أنشأ يقول . . . إلخ، أقول الذي رأيته بخط قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن محمد بن قطب الدين الخيضر الشافعي تغمده الله برحمته إن الشافعي رحمته الله أنشأ يقول إليه إياه الخلق إلخ:

إليك إله الخلق أرفع رغبتني      وإن كنت يا ذا المن والجود مجرماً  
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل      بجود وتعفو منة وتكرماً  
فإن تعف عني تعف عن متمردي      ظلوم غشوم ما برأ ير مائماً  
وإن تنتقم مني فلست بآيس      ولو أدخلت نفسي لجرم جهنماً  
فجرمي عظيم من قديم وحادث      وعفوك يا ذا العفو عني واجسماً

كتبه الحقير عبد السلام الشطي الحنبلي عفا الله عنه سنة ١٢٧٨ .

(٢) في حاشية الأصل/ جعلت الرجائي لعفوك سلماً.

(٣) سبق (ص ٥٤).

الحديث . وقال ﷺ: « لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بربه»<sup>(١)</sup> . وكان ذلك قبل موته بثلاثة أيام، فإن أشد الشدائد عند الموت عدم حسن الظن بالله، وربما أدى ذلك إلى القنوط من رحمة الله فيهلك، وربما غاب عن حواسه فخرجت روحه وهو يظن بالله الظنون السيئة .

ولخوف هذا قال ﷺ: «احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله، وبشروهم بالجنة، فإن الحكيم العليم من النساء والرجال يتحIRON عند ذلك المصرع، وإن إبليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الأحبة، ولا تقنطوهم فإن الكرب شديد، والأمر عظيم، والذي نفس محمد بيده لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، وما من ميت يموت إلا كل عرق منه يألم على حدته»<sup>(٢)</sup> . فانظر كيف قال ﷺ: «وبشروهم بالجنة ولا تقنطوهم» فهذا كله من شفقتة ﷺ، فإن أسباب الرجاء قوية عندنا، فإننا نقول لمن خفنا عليه من غلبة الخوف، علل ما عندك بالرجاء، غير أنه ينبغي أن تتوب وترجو القبول وتبذر وترجو الحصاد، لكن الرجاء مع العصيان حماقة، كما نقرره في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى، وفي الصحيحين «سددوا وقاربوا وأبشروا»<sup>(٣)</sup>، وفي صحيح مسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»<sup>(٤)</sup> وتقدم .

قال الحافظ ابن الجوزي في (تبصرته): إذا اشتد خوف المؤمن لذنب تقدم منه فليرج العفو وليحذر القنوط، وليعلم أن مراد الحق منه التوبة والاستغفار .

(١) سبق (ص ٥٤) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥ / ١٨٦ باختلاف يسير في بعض ألفاظه، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥ / ٥٥٦) رقم ٤٢١٥٨ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٣٩ ومسلم رقم ٢٨١٨ .

(٤) سبق (ص ٥٤) .

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»<sup>(١)</sup>.

وفي المسند أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن إبليس قال لربه عز وجل: بعزتك وجلالك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله عز وجل: بعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»<sup>(٢)</sup> فلا ريب أن حسن الظن بمن خلق فسوى، وقدر فهدي، وهو سبحانه وتعالى مستغن عنا وعن عملنا وعن تعذيبنا وعقابنا من أعظم ما نتقرب به إليه، ومن أجزل ما نتوجه به عليه، وأي عبادة أعظم من حسن ظننا بربنا مع خوف أن يعاملنا بعدله، فالعاقل يكون بين الرجاء والخوف، لكن يغلب الرجاء عند الاحتضار ويحسن الظن ثم بالكريم الغفار، ويستحضر أنه قدم على أكرم الأكرمين، إذ هو الكريم الستار، ولذا لما قال ذلك الفتى لعمه وهو يعنف فيه: فوالله لله أرحم بي من والدتي، فلما قبض الفتى ودفنه عمه، ثم نظر في قبر الفتى لإصلاح بعض شأنه فإذا بالقبر قد ملئ نوراً من كرم الله سبحانه وتعالى وفسح له مد البصر.

وحكي في الإحياء أن الإمام أحمد رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لولده عبد الله: الق علي أحاديث الرجاء.

واعلم أن للموت سكرات، وإن الأعضاء يسلم بعضها على بعض، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٩) رقم ٨٠٦٨ ومسلم رقم ٢٧٤٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٩) رقم ١١٢٥٥، والحاكم في المستدرک (٤/ ٢٩٠) رقم ٧٦٧٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴿ [الأنعام: ٩٣] وقال: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿ [الواقعة: ٨٣] وقال: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسَ ﴿ [القيامة: ٢٦] .

وفي البخاري أن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبه فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات»<sup>(١)</sup>.

وفي تذكرة القرطبي عن أنس مرفوعاً «أن العبد ليعالج كرب الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض، يقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>. رواه إبراهيم بن هذبة.

وحكى المحاسبي في الرعاية: إن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: يا خليلي كيف وجدت الموت؟ قال: كسفود<sup>(٣)</sup> محمي جعل في صوف رطب ثم جذب، قال: أما إنا قد هونا عليك، ونحوه عن موسى، وإنه قال: وجدت نفسي كالعصفور الحي يقلى على المقلى، لا يموت فيستريح، ولا ينجو فيطير.

وروي عنه أنه قال: وجدت نفسي كشاة تسلخ بيد القصاب. وروي أن الموت أشد من الضرب بالسيوف والنشر بالمناشير والقرض بالمقاريض.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن واثلة مرفوعاً: «والذي نفسي بيده

(١) رواه البخاري رقم ٦٥١٠ .

(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٦٣) وقال عنه العراقي: رويناه في الأربعين لأبي هذبة إبراهيم بن هذبة عن أنس، والهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٦٣) ٤٢١٨٣ .

(٣) في حاشية الأصل/ السفود - بؤرة التنور الحديد التي يشوي بها اللحم. انتهى

لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف»<sup>(١)</sup>. وجاء أن ملك الموت إذا تولى قبض نفسه بعد موت الخلائق يقول: وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن. ذكره القاضي أبو بكر بن العربي ويأتي قريباً الكلام على شدة الموت.

واعلم أن للموت نذيراً، قال القرطبي: ورد في الخبر أن بعض الأنبياء قال لملك الموت: أما لك رسول تقدمه بين يديك يكون الناس على حذر منك قال: نعم لي والله رسل كثيرة من الأعلال والأمراض والهزم وتغير السمع والبصر والشيب، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب ناديته إذا قبضته ألم رسولاً بعد رسول، وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير، فما من يوم تطلع شمسه إلا وملك الموت ينادي: يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد، أذهانكم حاضرة، وأعضاؤكم قوية شداد، يا أبناء الخمسين قد دنا الأخذ والحصاد، يا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب، فما لكم من نصير، ﴿أَوْلَتْ نِعْمَتَكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]. ذكره ناصر السنة أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه «روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق».

وفي صحيح البخاري: «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغه ستين سنة»<sup>(٢)</sup> أي أعذره غاية الإعذار الذي لا إعذار بعده، وأكبر الإعذار إلى بني آدم بعثة الرسل إليهم لتتم الحجة عليهم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

(١) جزء حديث أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٦) عن وائلة وفي (٨/ ٢٠١) عن عطاء مرسلًا عن النبي ﷺ قال: «معالجة الموت أشد من ألف ضربة بالسيف». وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٩٥) رقم ٦٧٧٣ موقوفاً على الثوري، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٥٦) رقم ٤٢١٥٨ وكذا العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٩٥٢) رقم ٢٩٥٢.

(٢) رواه البخاري رقم ٦٤١٩.

[الإسراء: ١٥] قال تعالى: ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] فقيل: المراد بالندير القرآن وقيل الرسل وقيل الشيب فإنه يأتي في سن الاكتهال، فهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب.

قال الشاعر:

رأيت الشيب من نذر المنايا      لصاحبه وحسبك من نذير  
فقلت لها الشيب نذير عمري      ولست مسودا وجه النذير

وقال القاضي منذر ابن سعد البلوطي:

كم تصابي وقد علاك المشيب      وتعامى عمداً وأنت اللبيب  
كيف تلهو وقد أتاك نذير      وشباك الحمام منك قريب  
يا مقيماً قد حان منه رحيل      بعد ذلك الرحيل يوم عصيب  
إن للموت سكرة فارتقبها      يداويك إن أتتك طبيب  
كم تنوي حتى تصير رهيناً      ثم تأتيك دعوة فتجيب  
بأمور المعاد أنت عليم      فاعملن جاهداً لها يا أديب  
وتذكر يوماً تحاسب فيه      إن من يذكر فسوف ينيب  
ليس من ساعة من الدهر إلا      للمنايا عليك فيها رقيب  
كل يوم يرميك فيه بسهم      إن تخطئ يوماً فسوف تصيب

وقال بعضهم المراد بالندير: الحمى ومنه قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الحمى رائد الموت»<sup>(١)</sup> قال الزهري: معناه أن الحمى رسول الموت، فكأنها تشعر

(١) جزء حديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٦٧/٧) رقم ٩٨٧٠، والقضاعي في مسند الشهاب (٦٩/١) رقم ٥٨، ٥٩ وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٧٣) رقم ٧٣، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩ / ٥) رقم ٨٣٤٦ عن عبد الله بن المرقع وقال رواه الطبراني وفيه المحير بن هارون ولم أعرفه وبقيه رجاله ثقات. والعجلوني في كشف الخفاء (١٥٠ / ٢) رقم ١١٧١ وقال: قال في المقاصد وبالجملة فهو حديث حسن.

بقدمه وتندر بمجيئه، وقيل: موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان، فإن ذلك إنذار بالرحيل في كل وقت وأوان وحين وزمان، وما أحسن قول القائل:

وأراك تحملهم وليس تردهم      وكأنني بك حملت فلم ترد  
وقول الآخر:

الموت في كل حين ينشر الكفنا      ونحن في غفلة عما يراد بنا  
لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها      وإن توشحت من أثوابها الحسنات  
أين الأحبة والجيران ما فعلوا      أين الذين هم كانوا لنا سكنا  
سقامهم الموت كأساً غير صافية      فصيرتهم لأطباق الشرى رهنا

وذكر القرطبي: أنه روي أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال: من أنت؟ قال: من لا يهاب الملوك ولا يمتنع من القصور ولا يقبل الرشا، قال: فإذا أنت ملك الموت ولم أستعد بعد؟ قال: يا داود أين فلان جارك؟ أين فلان قريبك؟ قال: ماتا، قال: أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد. وقيل: التذير العقل؛ لأنه يميز بين الحسنات والسيئات والقبیح والحسن.

وذكر القرطبي حكايات في الشيب منها عن بعض المترفين<sup>(١)</sup> أنه رفض ما كان يفتنه فسئل عن السبب فقال: كانت لي أمة لا يزيدني طول الاستمتاع منها إلا غراما بها، فقلبت شغرها يوماً فإذا فيه شعرتان بيضاوان،

(١) في حاشية الأصل / أي المنعمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا قَالَ مَثْرُوْهَا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤] انتهى.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمْرًا مَّتْرُوْبًا﴾ [الإسراء: ١٦] أي رؤساءها المنعمين. انتهى.

فأخبرتها فارتاعت وقالت: أرني، فأريتها فقالت: جاء الحق وزهق الباطل، أعلم أنني لو لم تفترض علي طاعتك لما أويت إليك، فدع لي ليلي أو نهاري لأتزود فيه لآخرتي، فقلت: لا ولا كرامة، فغضبت وقالت: تحول بيني وبين ربي وقد آذني بلاقائه، اللهم بدل حبه بغضاً، قال: فبت وما شيء أحب إلي من بعدها عني وعرضتها للبيع، فأتاني من أعطاني فيها ما أريد، فلما عزمت على البيع بكت فقلت: أنت أردت هذا، فقالت: واللّه ما اخترت عليك شيئاً من الدنيا، هل لك إلى ما هو خير من ثمني؟ قلت: وما هو؟ قالت: تعتقني لله عز وجل، فإنه أملك لك، وأعود عليك منك عليّ. فقلت: قد فعلت فقالت: أمضى الله صفقتك وبلغك أضعاف ملكك، فترهدت وبُغِضت إليّ الدنيا ونعيمها.

قال القرطبي: وفي الإسرائيليات، إن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما رجع من تقيرب ولده على ربه عز وجل رأت سارة في لحيته شعرة بيضاء، وكان ﷺ أول من شاب، فأنكرتها<sup>(١)</sup> وأرته إياها، فجعل يتأملها وأعجبه، وكرهتها<sup>(٢)</sup> سارة وطالبته بإزالتها، فأبى، وأتاه ملك فقال: السلام عليك يا إبراهيم وكان اسمه إبرام فزاده في اسمه هاء، والهاء في السريانية للتفخيم والتعظيم، ففرح بذلك وقال: أشكر إلهي وإله كل شيء، فقال له الملك: إن الله قد صيرك معظماً في أهل السموات وأهل الأرض، وقد وسمك بسمه الوقار في اسمك وفي خلقك، أما اسمك فإنك تدعى في أهل السموات وأهل الأرض إبراهيم، وأما خلقك فقد أنزل وقاراً

(١) في حاشية الأصل/ أي استهجنتها انتهى.

(٢) في حاشية الأصل قال الشاعر:

رأين الغواني الشيب لاح بعارض فأعرض عني بالخدود والنواضر

جمع غانية وهي التي لا تحتاج للزينة لحسنها وجمالها - الحسان الجميلة. انتهى

ونوراً على شعرك، فأخبر سارة بما قال له الملك: وقال هذا الذي كرهته نور ووقار، قالت: فإني كارهة له. قال: لكنني أحبه، اللهم زدني نوراً ووقاراً، فأصبح وقد أبيضت لحيته كلها.

وفي الآثار النبوية: من شاب شبية في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليستحيي أن يعذب ذا شبية»<sup>(١)</sup> ذكره القرطبي.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله: «وعزتي وجلالي وفاقة خلقي إليّ إنني لأستحيي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام» ثم بكى فقبل له: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «أبكي ممن يستحيي الله منه وهو لا يستحيي من الله»<sup>(٢)</sup> وما أحسن قول بعض العرب في الشيب:

يا بؤس من فقد الشباب وغيرت      منه مفارق رأسه بخضاب  
يرجو نضارة وجهه بخضابه      ومصير كل عمارة لخراب  
إنني وجدت أجل كل مصيبة      فقد الشباب وفرقة الأحباب

فائدة: روى أبو نعيم من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الموت كفارة لكل مسلم»<sup>(٣)</sup> قال أبو بكر بن العربي: حديث حسن صحيح.

\* \* \*

(١) لم أجده فيما تحت يدي من مراجع حديثة، وذكره القرطبي في التذكرة بهذه الصيغة (١٥).  
(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢ / ٣٨٧) بزيادة يسيرة واختلاف في بعض الألفاظ. وروى نحوه أبو يعلى في مسنده (١٥٣ / ٥) رقم ٢٧٦٤ وابن عساكر في تاريخ دمشق (٩٠ / ٦٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٨٤) رقم ٨٧٧٧ وقال رواه أبو يعلى وفيه نوح بن ذكوان وغيره من الضعفاء.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣ / ١٢١) وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤ / ٤٥٠) وقال عنه العراقي: قال ابن العربي إنه حسن صحيح، وضعفه ابن الجوزي.

## الفصل الثالث

## في علامة خاتمة الخير

## ومن دنا أجله والكلام على شدة الموت

أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله قالوا: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد والبخاري والحاكم عن عمرو بن الحمق مرفوعاً: «إذا أحب الله عبداً غسله، قالوا: وما غسله؟ قال: يوفق له عملاً صالحاً بين يدي أجله حتى يرضى جيرانه»<sup>(٢)</sup>.

وابن أبي الدنيا عن عائشة مرفوعاً: «إذا أراد الله بعبده خيراً بعث إليه قبل موته بعام ملكاً يسدده ويوفقه حتى يموت على خير أحيائه»<sup>(٣)</sup>، فيقول الناس: مات فلان على خير أحيائه»<sup>(٤)</sup> الحديث.

فائدة: قال بعض العلماء، الأشياء المقتضية لسوء الخاتمة والعياذ

(١) أخرجه الترمذي (٤٥٠ / ٤) رقم ٢١٤٢ وقال هذا حديث حسن صحيح.

وأحمد (٣ / ١٠٦) رقم ١٢٠٥٥ ، وفي (٣ / ٢٣٠) رقم ١٣٤٣٢ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥ / ٢٢٤) رقم ٢١٩٩٩ بلفظ «إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله، قيل وما استعمله؟ قال: يفتح له عمل صالح بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله» وإسناده صحيح.

والحاكم بلفظ المصنف (١ / ٤٩٠) رقم ١٢٥٨ .

(٣) في حاشية الأصل / جمع حين أي على خير أوقات . انتهى .

(٤) مصنف عبد الرزاق (٣ / ٥٨٧) رقم ٦٧٤٩ بلفظ «إن الله إذا أراد بعبده خيراً قبض له ملكاً قبل موته بعام فرده ويسره حتى يموت وهو خير ما كان» .

وذكره الهندي في كنز العمال (١٥ / ٦٩٥) رقم ٤٢٧٨٧ وعزاه لابن أبي الدنيا في ذكر الموت .

باللَّه تعالى أربعة: التهاون بالصلاة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وإيذاء المسلمين، وزاد بعضهم: النظر في الأحداث، يعني الغلمان المرد أي: بشهوة، فإن ابن القيم قال تبعاً لغيره: ما ابتلى بمحبة المردان إلا من سقط من عين الرحمن.

### مطلب:

وتقدم بعض الكلام على شدة الموت ولنلحقه بتكملة.

أخرج الطبراني في الكبير وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نفس المؤمن تخرج رشحاً، وإن نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت؛ ليُكَفَّرَ بها عنه، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه الموت ليجزى بها»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الدينوري في المجالسة عن وهيب بن الورد يقول الله تعالى: «إني لا أريد أن أخرج أحداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقماً في جسده، ومصيبة في أهله وولده، وضيقاً في معاشه، وافتقاراً في رزقه، حتى أبلغ منه مثاقيل الذرة، فإن بقى عليه شددت عليه عند الموت حتى يفضي إليّ كيوم ولدته أمه، وعزتي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها صحة في

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧٩/١٠) رقم ١٠٠١٥ وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥٩ / ٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٠ / ٣) رقم ٣٩٢٩ وقال رواه الطبراني في الكبير وفيه القاسم بن مطيب وهو ضعيف، ونحوه في (٣ / ٦٥) رقم ٣٩١٥ بلفظ [لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإن نفس المؤمن تخرج رشحاً، ونفس الكافر تخرج منه شرقة كما تخرج نفس الحمار] وقال رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

جسمه، وسعة في رزقه، ورغداً في عيشه، وأمناً في سربه<sup>(١)</sup>، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر، فإن بقى له شيء هونت عليه الموت حتى يفضي إلي وليس له حسنة يتقي بها النار.

قال في الصحاح فلان آمن في سربه بالكسر أي في نفسه.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال: إذا بقى على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكراته وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار.

وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن يموت بعرق الجبين»<sup>(٢)</sup>. وأخرج الحاكم والترمذي في نوادره عن سلمان رضي الله عنه مرفوعاً: «ارقبوا الميت عند الموتة»<sup>(٣)</sup> ثلاثاً إن رشحت جبينه وذرفت عيناه أي سالت وانتشر منخاره أي: انتفخ فهي رحمة الله تعالى قد نزلت به، وإن غط غطيظ البكر - أي: تردد صوته بحيث لا يجد مساعاً، والبكر من الإبل بمنزلة الفتى - من الناس - المخنوق صفة للبكر وخمد لونه، وأزبد شدقاه، فهو عذاب من الله قد حل به»<sup>(٤)</sup>.

(١) في حاشية الأصل قال الشاعر:

شكوت إلى سرب القطا إذ مررن بي      قلت ومثلي بالبكاء جدير  
أسرب القطا هل من يعير جناحه      لعلي إلى من قد هويت أطير  
انتهى

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٠/٣) رقم ٩٨٢ وقال هذا حديث حسن، والحاكم في المستدرک (٥١٣/١) رقم ١٣٣٣ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولن يخرجاه.  
وابن ماجه (٤٦٧/١) رقم ١٤٥٢.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤ / ٤٦٥) وقال عنه العراقي، أخرجه الترمذي =

وقال ابن مسعود: إن المؤمن يبقى عليه خطايا يجازى بها عند الموت فيعرق لذلك جبينه .

وقال سفيان: كانوا يستحبون العرق للموت، ومن ثم قال علقمة لبعض أصحابه: أحضرني فلقني لا إله إلا الله، فإن عرق جبرني فبشرني .

قال بعض العلماء: وإنما يعرق جبينه حياء من ربه لما اقترب من مخالفته؛ لأن ما سفّل منه قد مات، وإنما بقيت منه قوة الحياة وحركاتها فيما علا، والحياء في العينين، والكافر في عمى عن هذا كله، والموحد المعذب في شغل عن هذا بالعذاب الذي قد حل به .

وأخرج الإمام أحمد في الزهد وابن أبي شيبة في مسنده وابن أبي الدنيا عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «حدثوني عن بني إسرائيل فإنه كان فيهم أعاجيب»<sup>(١)</sup>، ثم أنشأ يحدثنا قال: خرجت طائفة منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم، فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت، ففعلوا، فطلع رجل أسود اللون، بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم إليّ؟ لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن، فادعوا الله أن يعيدني كما كنت .

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن عمر بن حبيب أن رجلين من بني

= الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح .

والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٦٧) رقم ١٨٧ وضعفه، والهندي في كنز العمال (٥٦٢/١٥) رقم ٤٢١٧٨ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥ / ٣١٨) رقم ٢٦٤٨٦ بلفظ [تحدثوا]، وعبد بن حميد في مسنده (١ / ٣٤٩) رقم ٢٦٤٨٦، وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت (٥٢) رقم ٥٨، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢ / ١٠٤) رقم ١١١٩، وله شواهد في الصحيح .

إسرائيل عبداً حتى سئما العبادة فقالوا: لو خرجنا إلى القبور فجاورناها لعلنا أن نراجع، فجاؤا القبور، فعبداً الله، فنشر<sup>(١)</sup> لهما ميت فقال لهما: لقد مت من ثمانين سنة وإني لأجد ألم الموت بعد.

وقال كعب: لا يذهب عن الميت ألم الموت ما دام في قبره، وإنه لأشد ما يمر على المؤمن وأهون ما يصيب الكافر، رواه أبو نعيم.

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند رجاله ثقات عن الحسن أن رسول الله ﷺ «ذكر الموت وغصته فقال قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أيضاً عن الضحاك سئل رسول الله ﷺ عن الموت فقال: «أدنى جذبات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف»<sup>(٣)</sup>. وقال عليٌّ رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش.

وأخرج أبو الشيخ في كتاب (العظمة) عن الفضيل ابن عياض أنه قيل له: ما بال الميت تنزع نفسه وهو ساكت وابن آدم يضطرب من القرصة؟ قال: إن الملائكة توثقه.

وأخرج المروزي في الجنائز، وابن أبي الدنيا عن ميسرة مرفوعاً: «لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على أهل السماء والأرض لماتوا جميعاً، وإن في القيامة لساعة تتضاعف عن شدة الموت سبعين ضعفاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) في حاشية الأصل/ أي أحياء. انتهى

(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٦٢) وقال عنه العراقي أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله ثقات.

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٦٩) رقم ٤٢٢٠٨ وعزاه لابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الضحاك بن حمرة مرسلًا.

(٤) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٦٥) رقم ١٧٧ وقال: قال في المختصر: لم يوجد.

وأخرج ابن أبي الدنيا في التاريخ عن أنس مرفوعاً: «لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أيضاً أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال له ابنه لما احتضر: يا أبت إنك كنت تقول: ليتني ألقى رجلاً عاقلاً عند الموت حتى يصف لي ما يجد وأنت ذلك الرجل فصف لي الموت، قال: يا بني واللّه لكأني أتنفس من سم إبرة، وكأن غصن شوك يجربه من قدمي.

وقال في العاقبة: كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: لوددت أني لو رأيت رجلاً لبيياً حازماً قد نزل به الموت فيخبرني عن الموت، فلما نزل به الموت قيل له: يا أبا عبد الله كنت تقول أيام حياتك لوددت أني رأيت رجلاً لبيياً حازماً قد نزل به الموت فيخبرني عن الموت، وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه، فقال: أجد كأن السموات أطبقت على الأرض وأنا بينهما، وكأن نفسي تخرج على ثقب إبرة، وكأن غصن شوك يجذب به من هامتي<sup>(٢)</sup> إلى قدمي، ثم قال متمثلاً بقول أمية بن أبي الصلت:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

وأخرج الحاكم في المستدرک وابن سعد عن عوانة بن الحكم أن عمرو بن العاص كان يقول: عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا

(١) ذكره الهندي في كثر العمال (٥٧٠/١٥) رقم ٤٢٢١٠ وسبق (ص ٦٠) ولكن من حديث واثلة.

(٢) في حاشية الأصل/ أي رأسي، لأن هامة الشيء أعلاه، قال الشاعر:  
تَزْرُ الجمامم بارزا هاماتها بل هل أكف كأنها لم تخلق

يصفه، فلما نزل به قال له ابنه عبد الله: يا أبت إنك كنت تقول عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه فصف لنا الموت؛ قال: يا بني الموت أجل من أن يوصف، ولكن سأصف لك منه شيئاً، أجدني كأن علي عنقي جبال رضوى، وأجدني كأن في جوفي شوك السلان، وأجدني كأن نفسي - أي أجد نفسي - تخرج من ثقب إبرة.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وأبو نعيم عن ابن أبي مليكة أن عمر رضي الله عنه قال لكعب: أخبرني عن الموت، قال: يا أمير المؤمنين هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم، فليس منه عرق ولا مفصل إلا وفيه شوكة، ورجل شديد الذراعين فهو يعالجها ويتزعها.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه قال: الموت أشد من ضرب السيف، ونشر بالمنشير وغلي في القدور، ولو أن ألم عرق من عروق الميت قسم على أهل الأرض لوسعهم ألماً، ثم هو أول شدة يلقاها الكافر وآخر شدة يلقاها المؤمن.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: «احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة، فإن الحلیم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصراع، وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصراع، والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب»<sup>(٢)</sup>

(١) سبق (ص ٥٧).

(٢) في حاشية الأصل/ العظم فيه اللب. انتهى

والأنامل فأعني على الموت وهونه علي»<sup>(١)</sup>. رواه ابن أبي الدنيا.

وأخرج الحارث ابن أبي أسامة بسند جيد عن عطاء بن يسار مرفوعاً: «معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، وما من مؤمن يموت إلا وكل عرق يألم منه على حدة، وأقرب ما يكون عدو الله يعني الشيطان منه تلك الساعة»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه قال: لم يلق ابن آدم شيئاً قط منذ خلقه الله أشد من الموت عليه.

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر شدة يلقاها المؤمن الموت.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن يهون علي سكرات الموت لأنه آخر ما يؤجر به المسلم<sup>(٣)</sup>.

وقال رجل لكعب: ما الداء الذي لا دواء له؟ قال: الموت. قال زيد ابن أسلم: دواءه رضوان الله.

وقال الحسن: أشد ما يكون من الموت على العبد إذا بلغت الروح التراقي، فعند ذلك يضطرب وتغلو نفسه.

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٢٠٤/٢) رقم ٣٧٦٨ وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/٤٦٢) وقال عنه العراقي أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث صعمة ابن غيلان الجعفي وهو معضل، سقط منه الصحابي والتابعي.

(٢) أخرجه الحارث في مسنده (١/٣٥٨) رقم ٢٥٦ بزيادة [وبشره بالجنة فإن الكرب عظيم والهول شديد - وأقرب] وذكره الهندي بهذا اللفظ الذي أورده المصنف (١٥/٥٦٤) رقم ٤٢١٩٠ وقال: الحارث عن عطاء بن يسار مرسلًا.

(٣) في حاشية الأصل/ قف على آخر ما يؤجر عليه المسلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن كعب القرظي قال: بلغني أن آخر من يموت ملك الموت يقال له: يا ملك الموت مت، فيصرخ عند ذلك صرخة لو سمعها أهل السموات والأرض لمتوا فرعاً ثم يموت.

وأخرج زياد النميري قال: قرأت في بعض الكتب أن الموت أشد على ملك الموت منه على جميع الخلق.

وقد قال ﷺ: «ليس أحد أشد بلاء من الأنبياء، كما يشدد علينا البلاء كذلك يضاعف لنا الأجر»<sup>(١)</sup> وقال في مرض موته: «اللهم أعني على سكرات الموت»<sup>(٢)</sup>.

فإن قلت: ما وجه تشديد البلاء على الأكابر من الأنبياء والصالحين فهل له من حكمة؟ قلت: نعم بل له حكم، فقد قال الإمام ابن عقيل: كان له سبحانه وتعالى فيهم جواهر مودعة أحب أن يظهرها، ويجعلهم حججاً على المتخلفين عنه صبراً على بلائه ورضي بقضائه.

وقال القرظي: لتشديد الموت على الأنبياء فائدتان:

إحداهما: تكميل فضائلهم، ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصاً ولا عذاباً، بل هو كما جاء أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١ / ٣١٠) رقم ٢٠٦٢٦ بلفظ «وضع رجل يده على النبي ﷺ فقال: والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حمأك فقال النبي إنا معاشر الأنبياء يضاعف لنا . . . كما يضاعف لنا الأجر . . .» من حديث أبي سعيد الخدري.

وأخرج أحمد في مسنده (٦ / ٣٦٩) رقم ٢٧١٢٤ عن فاطمة [إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم].

(٢) أخرجه الترمذي عن عائشة (٣ / ٣٠٨) رقم ٩٧٨ وقال هذا حديث حسن غريب، والحاكم (٢ / ٥٠٥) رقم ٣٧٣١ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

**والثانية:** أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً، ويرى سهولة خروج روحه فيظن بسهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقاً بأخبار الصادقين عنه ما عدا الشهداء.

أي لما أخرج الطبراني عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج النسائي مثله عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>.

**فائدتان: الأولى:** ذكر جماعة من العلماء أن السواك يسهل خروج الروح واستدلوا بحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في الصحيحين في قصة سواكه رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند موته<sup>(٣)</sup>.

**الثانية:** أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] خلق الموت في صورة كبش لا يمر على أحد إلا مات، وخلق الحياة في صورة فرس لا تمر على أحد إلا أحي.

وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال: خلق الله

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٦٤) رقم ١٨٣٠٦ والترمذي (٤/ ١٩٠) رقم ١٦٦٨ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) النسائي في سننه (٦/ ٣٦) رقم ٣١٦١ بلفظ (مس) بدل (ألم)، وزيادة (يقرصها) في آخره.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٦٥) وقال ثابت مشهور، كلهم عن أبي هريرة.

(٣) لم أفق عليها في صحيح مسلم وهي في البخاري رقم ٤٤٣٨.

الموت كبشا أملح مستتراً بسواد وبياض له أربعة أجنحة، جناح تحت العرش، وجناح في الثرى، وجناح في المشرق، وجناح في المغرب، قال له: كن فكان، ثم قال له: أبرز فبرز الموت عزرائيل.

وبهذه الآثار عرف أن الموت جسم خلق في صورة كبش لا عرض، ويؤيده ما ورد في حديث الصحيحين: «يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يقال: هل تعرفون هذا فيقولون نعم، وكل قد رآه، هذا الموت فيذبح»<sup>(١)</sup> زاد أبو يعلى في رواية غير أنس: «كما تذبح الشاة»<sup>(٢)</sup> ولا شك أن ألم الموت شديد، والحرص منه لا يفيد، فيا من غفل عن هذا الخطب العظيم، والداء الجسيم، انتبه قبل أن يحل بك الحمام، وتذوق طعم الآلام، فلا ينفع ثم عذر ولا ندامة، سوى التقوى والاستقامة، فما بالك تطلب الدنيا طلب من لا يموت، وتجهد - أي تتعب - نفسك في جمعها، مع أن حظك من ذلك القوت، انتبه يا مسكين لذلك الوقت المحتوم، واعبد مولاك الجواد الحي القيوم، فإن الدنيا لا تدوم، والندم على ذي الفعل المذموم وما أحسن قول القائل:

اذكر الموت ولا أرهبه      إن قلبي لغليظ كالحجر  
اطلب الدنيا كأنني خالد      ووراي الموت يقفوا بالأثر  
وكفى بالموت فاعلم واعظاً      لمن الموت عليه قد قدر  
والمنايا حوله ترصده      ليس ينجي المرء منهم مفر

فمثل لنفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل: أن فلانا قد أوصى وماله قد أحصى، ومن قائل

(١) البخاري رقم ٤٧٣٠ ومسلم رقم ٢٨٤٩ بزيادة بعض الألفاظ عن أبي سعيد الخدري.

(٢) مسند أبي يعلى (٥ / ٢٧٨) رقم ٢٨٩٨ عن أنس أيضاً.

يقول: إن فلاناً ثقل لسانه فلا يعقل يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه، وكأنني أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تحسن رد الجواب، ثم تبكي ابتك كالأسيرة، وتتضرع وتقول من ليتمي بعدك يا حسن السيرة، وأنت تسمع ذلك ولا ترد جواباً فمالك؟ وأنشدوا:

فأقبلت الصغرى تمرغ خدها      على وجنتي حيناً وحيناً على صدري  
وتخمش خديها وتبكي بحرقة      تنادى أباي إني غلبت عن الصبر  
حبيبي أباي من الليتامى تركتهم      كأفراخ زغب في بعيد من الوكري

\* \* \*

## الفصل الرابع

فيما يقول الإنسان في مرض الموت

وما يقرأ عنده وما يقال إذا احتضر وتوابع ذلك

قال عليه السلام: «ما من ميت يقرأ على رأسه يس إلا هون الله عليه»<sup>(١)</sup> رواه ابن أبي الدنيا والديلمي عن أبي الدرداء.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اقرأوا على موتاكم سورة يس»<sup>(٢)</sup> قال ابن حبان: أراد به من حضره الموت.

وأخرج المروزي عن جابر بن زيد قال: كان يستحب إذا حضر الميت أن يقرأ عليه سورة الرعد، فإن ذلك يخفف عن الميت، وإنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه، وكان يقال قبل أن يموت الميت بساعة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اغفر لفلان بن فلان، وبرد عليه مضجعه، ووسع عليه في قبره، وأعطه الراحة بعد الموت، وألحقه بنبيه، وتول نفسه، وصعد روحه في أرواح الصالحين، واجمع بيننا وبينه في دار تبقى فيها الصحة ويذهب عنا فيها

(١) جزء من حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٨١/٢) رقم ٢٤٦٧ موقوفاً على أبي قلابة وقال في آخره: هذا نقل إلينا بهذا الإسناد من قول أبي قلابة، وكان من كبار التابعين ولا يقوله إن صح ذلك عنه إلا بلاغاً، وذكره القرطبي في التفسير (٤/٢٨٨) وعزاه للأجري في كتاب النصيحة من حديث أم الدرداء، وذكره العجلوني في كشف الخفاء وهو يتحدث عن حديث «يسن لما قرئت له» (٢/٢٢١٥) رقم ٣٢١٣.

(٢) روى أحمد عن معقل بن يسار (٥/٢٦) رقم ٢٠٣١٦ بلفظ «اقرأها على موتاكم يعني يسن». وأبو داود بلفظ «اقرأوا يسن على موتاكم» (٢/٢٠٨) رقم ٣١٢١ والحاكم (١/٧٥٣) رقم ٢٠٧٤، وابن حبان (٧/٢٦٩) رقم ٣٠٠٢.

الغضب واللغوب، ويصلي على رسول الله ﷺ، ويكرر ذلك حتى يقبض.

وأخرج عن الشعبي: كانت الأنصار يقرءون عند الميت سورة البقرة وقال ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم.

قال ابن حبان وغيره: أراد من حضره الموت. وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن المحاربي قال: حضرت رجلاً الوفاة فقيل له: قل لا إله إلا الله فقال: لا أقدر كنت أصحب قوماً يأمروني أن أشتم أبا بكر وعمر.

وأخرج أبو يعلى والحاكم بسند صحيح عن طلحة وعمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني أعلم كلمة لا يقولها رجل يحضره الموت إلا وجدت روحه لها راحة حتى تخرج من جسده وكانت له نوراً يوم القيامة»<sup>(٣)</sup> وفي رواية: «إلا نفس الله عنه وأشرق لونه ورأى ما يسره، لا إله إلا الله».

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما مرفوعاً «من قال عند موته لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله

(١) أخرجه مسلم ٩١٦ .

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٠٧) رقم ٣١١٦ .

وأحمد (٥/ ٢٣٣) رقم ٢٢٠٨٧ بلفظ (وجبت له) بدل (دخل)، والحاكم (١/ ٦٧٨) رقم ١٨٤٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ١٣) رقم ٦٤٠ باختلاف في بعض الألفاظ وابن ماجه (٢/ ١٢٤٧) رقم ٣٧٩٥، وأحمد (١/ ٢٨) رقم ١٨٧ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٩٧) رقم ٣٩٢٠ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

لا تطعمه<sup>(١)</sup> النار أبداً<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الحاكم عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «هل أدلكم على اسم الله الأعظم؟ دعاء يونس لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فأيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وإن برئ مغفوراً له»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (المرض والكفارات) وابن منيع في مسنده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: «ألا أخبركم بأمر حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار؟ قلت: بلى، قال: لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت، وسبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على كل حال، الله أكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان، اللهم إن كنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنی، وأعدني من النار كما أعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنی، فإن مت في مرضك ذلك فإلى رضوان الله تعالى والجنة، وإن كنت قد اقترفت ذنباً تاب الله عليك»<sup>(٤)</sup>.

(١) في حاشية الأصل/ أي لا تأكله. انتهى

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢١٦/٣) رقم ٢٩٥٨، وذكره ابن حجر في تلخيص الحبير

(٢/ ١٠٣) في سياق كلامه على حديث (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)

رقم ٧٣٣، قال: وفيه جابر بن يحيى الحضرمي، قلت: وثقه البخاري في التاريخ الكبير

(٨/ ٤٥٠) حيث قال عنه (معروف عزيز الحديث).

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٦٨٥) رقم ١٨٦٥ باختلاف يسير وزيادة في بعض الألفاظ عن سعد ابن مالك.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (١٢٩) رقم ١٥٦.

وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ٢١٠) وقال أخرجه ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والكفارات وسكت عنه.

وأخرج ابن عساكر عن الإمام علي عليه السلام سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله كلمات من قالها عند وفاته دخل الجنة: «لا إله إلا الله الحليم الكريم - ثلاث مرات - الحمد لله رب العالمين - ثلاث مرات - تبارك الذي بيده الملك يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير»<sup>(١)</sup>.

والمروزي قالت أم سلمة: إذا رأيته احتضر فقل السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وأخرج البزار والطبراني في الأوسط عن أبي بكر قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على أبي سلمة وهو في الموت، فلما شق بصره مد رسول الله صلى الله عليه وآله يده فأغمضه، فلما أغمض صاح أهل البيت فسكتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إن النفس إذا خرجت تبعها البصر، وإن الملائكة تحضر الميت فتؤمن على ما يقول أهل الميت، ثم قال صلى الله عليه وآله: «اللهم ارفع درجة أبي سلمة في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يوم الدين»<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وآله: «إذا حضرتم الميت فاغمضوا البصر، فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيراً فإن الملائكة تؤمن على دعاء أهل الميت»<sup>(٣)</sup> رواه الحاكم.

وقال ابن عباس لمجاهد: لا تنامن إلا على وضوء فإن الأرواح تبع على ما قبضت عليه، وقال صلى الله عليه وآله: «من أتاه ملك الموت وهو على وضوء

(١) أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/٣٢٥) عن علي (أن النبي صلى الله عليه وآله علمه كلمات إذا نزل به كرب دعا بهن، لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين).

(٢) أخرجه مسلم باختلاف يسير في بعض الألفاظ رقم ٩٢٠ والطبراني في الأوسط (٨/٢٠٥) رقم ٨٤١١.

(٣) أخرجه الحاكم بلفظ أهل البيت بدلا من أهل الميت (١/٥٠٣) رقم ١٣٠١ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أعطي الشهادة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج المروزي عن بكر بن عبد الله المزني قال: إذا أغمضت ميتاً  
فقل بسم الله وعلى ملة رسول الله، زاد في التذكرة وسبح.

\* \* \*

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٢٤) رقم ٥٩٩١ عن أنس، وفي الصغير (٢/ ١٠٠)

رقم ٨٥٦.

وذكره الهندي في كنز العمال (٩/ ٢٩٣) رقم ٢٦٠٦٦.

## الفصل الخامس

### فيما جاء في ملك الموت وأعوانه

قال تعالى: ﴿قُلْ بَنَوْنَكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]  
وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١].

أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿توفته رسلنا﴾ قال: أعوان ملك الموت من الملائكة، زاد إبراهيم النخعي فيما رواه أبو الشيخ ثم يقبضها ملك الموت.

وأخرج أبو الشيخ وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أراد الله أن يخلق آدم بعث ملكاً من حملة العرش يأتي بتراب من الأرض، فلما هوى ليأخذ قالت الأرض: أسألك بالذي أرسلك لا تأخذ مني اليوم شيئاً يكون منه للنار نصيب غداً، فتركها، فلما رجع إلى ربه قال: ما منعك أن تأتي بما أمرتك؟ قال: سألتني بك فعظمت أن أرد شيئاً سألتني بك، فأرسل آخر فقال مثل ذلك، حتى أرسلهم كلهم، فأرسل ملك الموت، فقالت له مثل ذلك، فقال: إن الذي أرسلني أحق بطاعتك منك، فأخذ من وجه الأرض كلها من طيبها وخبيثها، فجاء به إلى ربه فصب عليه من ماء الجنة فصار حملاً مسنوناً، فخلق منه آدم عليه السلام، زاد ابن عساكر عن يحيى بن خالد فسماه ملك الموت ووكله بالموت.

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي في (شعب الإيمان) عن ابن سابط قال: يدبر أمر الدنيا أربعة، جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فأما جبرائيل فصاحب الجنود والريح، وأما ميكائيل فصاحب القطر

والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فينزل بالأمر عليهم بما يؤمرون.

وأخرج أبو الشيخ في (العظمة) عن الربيع بن أنس أنه سئل عن ملك الموت هل هو الذي وحده يقبض الأرواح؟ قال: هو الذي يلي أمر الأرواح وله أعوان على ذلك، غير أن ملك الموت هو الرئيس، وكل خطوة منه من المشرق إلى المغرب، قلت: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال عند السدرة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَأَلْمَدَّتْ أَمْثَرَ﴾ [النازعات: ٥] ملائكة تكون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم، فمنهم من يعرج بالروح، ومنهم من يؤمن على الدعاء، ومنهم من يستغفر للميت حتى يصلي عليه ويدلى<sup>(١)</sup> في حفرته.

وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿رَقِيعٌ مِّنْ رَّاقٍ﴾ [المدثر: ٢٧] أعوان ملك الموت، يقول بعضهم لبعض من يزقي بروحه من أسفل قدمه إلى موضع خروج نفسه.

وأخرج الطبراني في الكبير وأبو نعيم وابن منده عن الحارث ابن الخزرج عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ونظر<sup>(٢)</sup> إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: طب نفساً وقر عيناً، واعلم أنني بكل مؤمن رفيق، واعلم يا محمد أنني لا أقبض روح ابن آدم، فإذا صرخ صارخ من أهل بيته قمت في الدار ومعى روحه، فقلت: ما هذا الصارخ؟ والله ما ظلمناه، ولا سبقنا أجله، ولا استعجلنا قدره، وما لنا في قبضه من ذنب، فإن ترضوا

(١) في حاشية الأصل/ أي ينزل. انتهى

(٢) في الأصل (وانظر) والمثبت هو الموافق للحديث.

بما صنع الله تؤجروا، وإن تسخطوا تأثموا وتؤزروا، وإن لنا عندكم عودة بعد عودة فالحذر الحذر، وما من أهل بيت شعر ولا مدر، بر ولا فاجر، سهل ولا جبل، إلا أنا أتصفحهم في كل يوم وليلة، أنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم، والله لو أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو يأذن بقبضها»<sup>(١)</sup>.

قال جعفر بن محمد: بلغني أنه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة، فإذا نظره عند الموت فإن كان يحافظ على الصلاة دنا منه ملك الموت وطرده الشيطان عنه ويلقنه الملك: لا إله إلا الله محمد رسول الله في ذلك الحال العظيم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن: ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح في كل بيت ثلاث مرات، فمن وجده منهم قد استوفي رزقه وانقضى أجله قبض روحه، وإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء، فأخذ ملك الموت بعضادتي<sup>(٢)</sup> الباب فيقول: ما لي إليكم من ذنب وإني لمأمور، والله ما أكلت له رزقاً، وما أفنيت له عمراً ولا انتقصت له أجلاً، وإن لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحداً.

قال الحسن: والله لو رأوا مقامه وسمعوا كلامه لذهلوا عن ميتهم

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٢٠) رقم ٤١٨٨ بزيادة لفظة [مالكم عندنا من عتبي] بعد يؤزروا.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٩) رقم ٣٩٢٨ وقال رواه الطبراني في الكبير، وفيه عمر بن شمر الجعفي والحارث بن الخزرج ولم أجد من ترجمها وبقيت رجاله رجال الصحيح.

(٢) عَضَادَاتُ الباب ناحيته، والعَضَادَاتَانِ الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله. لسان العرب/ مادة: عضد.

ولبكوا على أنفسهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبيد بن عمير قال: بينما إبراهيم عليه السلام يوماً في داره إذ دخل عليه رجل حسن الشارة - أي بالشين المعجمة والراء المخففة الهيثة - فقال: يا عبد الله من أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربها، قال ربها أحق بها. فمن أنت؟ قال: ملك الموت، قال: لقد نعت لي منك أشياء ما أراها فيك. قال: أدبر فأدبر فإذا عيون مقبلة وإذا عيون مدبرة، وإذا كل شعرة منه كأنها إنسان قائم، فتعوذ إبراهيم عليه السلام من ذلك وقال: عد إلى الصورة الأولى، قال: يا إبراهيم إن الله إذا بعثني إلى من يحب لقاءه بعثني في الصورة التي رأيت أولاً.

وأخرج نحوه الإمام ابن الإمام عبد الله في زوائد الزهد، وابن أبي الدنيا عن كعب، غير أنهما قالوا: قال إبراهيم إن كنت صادقاً فأرني منك آية أعرف أنك ملك الموت، قال له ملك الموت: اعرض بوجهك، فأعرض ثم نظر فأراه الصورة التي يقبض المؤمنين، قال: فرأى من النور والبهاء شيئاً لا يعلمه إلا الله، ثم قال: اعرض بوجهك، فأعرض ثم نظر فأراه الصورة التي يقبض فيها الكفار والفجار، فرعب إبراهيم رعباً حتى ارتعدت فرائضه وألصق بطنه بالأرض وكادت نفسه تخرج.

وفي «شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور» للسيوطي عن ابن مسعود وابن عباس معاً قالوا: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشره بذلك، فأذن له في إبراهيم فبشره، فقال الحمد لله، ثم قال: يا ملك الموت أرني كيف تقبض أنفاس الكفار؟ قال: يا إبراهيم لا تطيق، قال: بلى، فأعرض ثم نظر فإذا برجل أسود ينال رأسه السماء، يخرج من فيه لهب النار، ليس من شعرة في جسده إلا في صورة رجل

يخرج من مسامعه لهب النار، فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الأولى، فقال: يا ملك الموت لو لم ير الكافر من النار والخزي إلا صورتك لكفاه، فأرني كيف تقبض أرواح المؤمنين؟ قال: أعرض، ثم التفت فإذا هو برجل شاب أحسن الناس وجهاً وأطيبه ريحاً في ثياب بيض فقال: يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك لكان يكفيه.

أخرج الإمام أحمد وأبو الشيخ وأبو نعيم عن مجاهد قال: جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء وجعل له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا قيل لملك الموت: ما من نفس منفوسة إلا وأنت تقبض روحها؟ قال: نعم، قيل: كيف وأنت هاهنا، والأنفس في أطراف الأرض؟ قال: إن الله سخر لي الدنيا فهي كالطست يوضع قدام أحدكم فيتناول من أي أطرافها شاء كذلك الدنيا عندي.

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ وأبو نعيم عن شهر بن حوشب قال: ملك الموت جالس والدنيا بين ركبتيه، واللوح الذي فيه أجال بني آدم في يده، وبين يديه ملائكة قيام، وهو يعرض اللوح لا يطرف فإذا أتى على أجل عبد قال اقبضوا هذا.

وأخرج ابن أبي الدنيا أن الدنيا سهلها وجبلها بين فخذي ملك الموت ومعه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فيقبض الأرواح فيعطي هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء - يعني ملائكة الرحمة وملائكة العذاب - قيل: فإذا كانت ملحمة وكان السيف مثل البرق؟ قال: يدعوها فتأتيه الأنفس.

وقال سيدنا سليمان بن داود عليه السلام لملك الموت - وكان له صديقاً -

ما لك تأتي أهل البيت فتقبضهم جميعاً وتدع أهل البيت إلى جنبهم لا تقبض منهم أحداً؟ قال: لا أعلم بما أقبض منها إنما أكون تحت العرش فتلقى إلي صكاك فيها أسماء من يموت. رواه ابن أبي شيبة عن خيثمة.

وأخرج أيضاً عنه قال: دخل ملك الموت إلى سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت. قال: رأيته ينظر إلي كأنه يريدني. قال: فما تريد؟ قال: أريد أن تحملني على الريح حتى تلقيني بالهند، فدعا الريح فحمله عليها فألقته في الهند، ثم أتى ملك الموت سليمان فقال: إنك كنت تديم النظر إلى رجل من جلسائي؟ قال: كنت أعجب منه، أمرت أن أقبضه بالهند وهو عندك.

وذكر الجلال السيوطي في أحوال الموتى والقبور عن ابن عساكر من خبر خيثمة: قال سليمان بن داود لملك الموت: إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني فقال: ما أنا بأعلم بذلك منك إنما، هو كتب تلقى إلي فيها تسمية من يموت.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه أن ملكاً استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس، فأتاه فسلم عليه فقال له إدريس: هل بينك وبين ملك الموت شيء؟ قال ذلك أخي من الملائكة، قال: هل تستطيع أن تنفعني عنده بشيء؟ قال: إما أن تؤخر شيئاً أو تقدمه فلا، ولكن سأكلمه فيرفق بك عند الموت، قال اركب بين جناحي فركب إدريس فصعد به إلى السماء العليا فلقي ملك الموت وإدريس بين جناحه، فقال له: يا ملك الموت إن لي إليك حاجة قال: علمت حاجتك، تكلمني في إدريس وقد محي اسمه من الصحيفة ولم يبق من أجله إلا نصف طرفه، فمات إدريس بين جناحي ذلك الملك.

وأخرج المروزي وابن أبي الدنيا عن جابر بن زيد أن ملك الموت كان يقبض الأرواح بغير وجع، فسبه الناس ولعنوه فشكى إلى ربه، فوضع الله الأوجاع ونسي ملك الموت، يقال مات فلان بوجع كذا وكذا.

وأخرج الإمام أحمد والبخاري عن النبي ﷺ قال: «كان ملك الموت يأتي الناس عياناً، فأتى موسى فلطمه فقأ عينه، فأتى ربه فقال: يا رب عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه، قال له: اذهب إلى عبدي فقل له: فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة، فاتاه فقال له، فقال: ما بعد هذا؟ قال الموت، قال: فالآن، فشمه شمة فقبض روحه ورد الله عليه عينه، فكان يأتي الناس خفية»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «كان داود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيه غيرة شديدة، فكان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، فخرج ذات يوم ورجع، وإذا في الدار رجل قائم، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوكة ولا يمنع مني الحجاب، قال داود: أنت إذاً والله ملك الموت، مرحباً بأمر الله، فرمل داود مكانه، فقبضت نفسه»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الطبراني عن الحسين أن جبرائيل هبط على النبي ﷺ يوم موته فقال: كيف تجددك؟ قال «أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني مكروباً، فاستأذن

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥٣٣) رقم ١٠٩١٧.

والحاكم (٢/ ٦٣٢) رقم ٤١٠٧ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد في البخاري رقم ٣٤٠٧ ومسلم ٢٣٧٢.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤١٩) رقم ٩٤٢٢ باختلاف في بعض ألفاظه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٧٩) رقم ١٣٧٩٦ وقال - زواه أحمد وفيه المطلب بن عبدالله بن حنظب وثقة أبو زرعة وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح.

ملك الموت على الباب، فقال جبريل: يا محمد هذا ملك الموت يستأذن عليك، ما استأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك، قال: ائذن له، فأقبل حتى وقف بين يديه، فقال: إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها وإن كرهت تركتها، قال: وتفعل يا ملك الموت؟ قال: نعم بذلك أمرت، فقال له جبريل: إن الله اشتاق إلى لقائك، فقال رسول الله ﷺ: امض ما أمرت به<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو نعيم عن ثابت البناني قال: الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس فيها ساعة تأتي على ذي روح إلا وملك الموت قائم عليها فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب.

وأخرج الإمام أحمد في (الزهد) وأبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «أن ملك الموت ينظر في وجوه العباد في كل يوم سبعين نظرة، فإذا ضحك العبد الذي بعث إليه يقول: عجباً بعثت إليه لأقبض روحه وهو يضحك»<sup>(٢)</sup>.

تنبيه: أخرج أبو الشيخ الفضلي في الضعفاء والديلمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آجال البهائم وحشاش الأرض كلها في التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها، وليس لملك الموت من ذلك شيء»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٢٩) رقم ٢٨٩٠ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦١٠) رقم ١٤٢٦١ وقال رواه الطبراني وفيه عبدالله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث.

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٦٣) رقم ٤٢١٨٥ وعزاه لابن النجار عن أبي هدبة عن أنس.

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (١/ ٤٤٥) رقم ١٩٢١ باختلاف في بعض الألفاظ، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٧١) رقم ٢٠٣ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هو موضوع.

قال السيوطي: وله طريق آخر أخرجه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر مثله.

قال ابن عطية والقرطبي: وكأن معنى ذلك أن الله يعدم حياتها بلا مباشرة ملك، فالأدومي شرف بأن خلق له ملكاً وأعوانه، وجعل قبض روحه وإسلاها<sup>(١)</sup> من جسده على يده، وقد قال عزرائيل للنبي ﷺ لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها كما تقدم.

قال السيوطي: ولكن أخرج الخطيب في الرواة عن مالك عن سليمان بن مهير الكلبي قال: حضرت مالك بن أنس وسأله رجل عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق طويلاً ثم قال: ألهها نفس؟ قال: نعم، قال: فإن ملك الموت يقبض أرواحها، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

قال السيوطي: ثم رأيت جوير أخرج في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس قال: وكل ملك الموت يقبض أرواح الأدميين فهو الذي يلي قبض أرواحهم، وملكاً في الجن، وملكاً في الشياطين، وملكاً في الطير والوحش والسباع والحيتان والنمل، فهم أربعة أملاك، والملائكة يموتون في الصعقة الأولى، وأن ملك الموت يلي قبض أرواحهم ثم يموت، فأما الشهداء في البحر فإن الله يلي قبض أرواحهم لا يكل ذلك إلى ملك الموت لكرامتهم عليه، حيث ركبوا لجاج البحر في سبيله قال: وجوير ضعيف جداً، والضحاك عن ابن عباس منقطع قال: ولاخره شاهد مرفوع.

(١) كذا بالأصل، وفي التذكرة (وانسلاها).

فأخرج ابن ماجه عن أبي أمامة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله وكل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهداء البحر فإنه يتولى قبض أرواحهم»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد الله بن عيسى قال: كان فيمن كان قبلكم رجل عبد الله أربعين سنة في البر ثم قال: يا رب قد اشتقت أن أعبدك في البحر، فأتى قوماً، فاستحملهم فحملوه، وجرت بهم سفينتهم ما شاء الله أن تجري، ثم قامت فإذا شجرة في ناحية الماء، قال ضعوني على هذه الشجرة، فوضعه، وجرت بهم سفينتهم، فأراد ملك أن يعرج إلى السماء، فتكلم بكلامه الذي كان يعرج به فلم يقدر على ذلك فعلم أن ذلك لخطيئة كانت منه<sup>(٢)</sup>، فأتى صاحب الشجرة فسأله أن يشفع له إلى ربه، فصلى ودعا للملك، فعرج وطلب من ربه أن يكون هو يقبض نفسه ليكون أهون عليه من ملك الموت، فأتاه حين حضر أجله فقال: إني طلبت إلى ربي أن يشفعني فيك كما شفعتك في، وأن أكون أنا أقبض نفسك من حيث شئت قبضتها، فسجد سجدة فخرجت من عينه دمعة فمات.

فائدة: أخرج ابن عساكر في تاريخه عن أبي زرعة قال: قال لي نجيب بن أبي عبيد رأيت ملك الموت في النوم وهو يقول قل لأبيك يصلى على حتى أرفق به عند قبض روحه، فحدثت أبي بما رأيت فقال: يا بني

(١) أخرجه ابن ماجه (٢ / ٩٢٨) رقم ٢٧٧٨ بزيادة بعض الألفاظ وإفراد (شهداء) والطبراني في الكبير (٨ / ١٧٠) رقم ٧٧١٦ وذكره المناوي في فيض القدير (٤ / ١٦٦) رقم ٤٩٠٦ وضعفه تبعاً لابن حجر، وذكره الهندي في كنز العمال (٤ / ٤٠٠) رقم ١١١١٣.

(٢) يقول الله تعالى عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، ويقول أيضاً: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، ويقول: ﴿لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

لأنا بملك الموت آنس مني بأملك .

وأخرج ابن عساكر من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال ذكرت حديثاً رواه ابن عمر عن النبي ﷺ: «ما حق امرء مسلم يبيت ثلاث ليال إلا وصيته مكتوبة عند رأسه»<sup>(١)</sup> فدعوت بدواة وقرطاس لأكتب وصيتي، فغلبني النوم فنمت ولم أكتبها، فبينما أنا نائم إذ دخل داخل أبيض الثياب حسن الوجه طيب الرائحة، فقلت: يا هذا من أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها رها. قلت: من أنت؟ قال: ملك الموت، فرعبت منه، فقال: لا ترع إني لم أومر بقبض روحك؟ قلت: فاكتب لي إذا براءة من النار. قال: هات لي دواة وقرطاساً، فمددت يدي إلى الدواة والقرطاس الذي نمت عنه وهو عند رأسي فناولته، فكتب لي بسم الله الرحمن الرحيم، أستغفر الله أستغفر الله حتى ملأ ظهر الكاغد وبطنه ثم ناولنيه، وقال: هذا براءتك رحمك الله، وانتبهت فرعاً ودعوت بالسراج ونظرت فإذا القرطاس الذي نمت وهو عند رأسي مكتوب ظهره وبطنه أستغفر الله».

تتمة: قال القرطبي: لا تنافي بين قوله تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] وقوله: ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله ﴿تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨، ٣٢] وقوله: ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] لأن إضافة التوفي إلى ملك الموت لأنه المباشر للقبض وللملائكة الذين هم أعوانه، لأنهم يأخذون في جذبها من البدن فهو قابض

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٧٣٨ بلفظ «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» ومسلم رقم ١٦٢٧ بلفظ «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته عنده مكتوبة».

(٢) في الأصل «تتوفاكم» والمثبت هو الصواب.

وهم معالجون، وإلى الله لأنه الفاعل الحقيقي.

وقال الكلبي: يقبض ملك الموت الروح من الجسد ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

وأما اختلاف صفة ملك الموت بالنسبة إلى المؤمن والكافر فواضح، كما تقرر أن الملائكة لهم قوة التشكل بأي شكل أرادوا.

تنبيه: قبض الأرواح على قسمين، فمنهم من يطعنه الملك بحربة مسمومة قد سقيت سمأ من نار، فتفر الروح خارجة فيأخذها في يده وهي ترعد أشبه شيء بالزئبق على قدر الجرادة شخصاً إنسانياً ثم يناولها الزبانية، ومن الموتى من يجذب نفسه رويداً حتى تنحصر في الحنجرة إلا<sup>(١)</sup> شعبة متصلة بالقلب فحينئذ يطعنها بتلك الحربة الموصوفة.

قال في (التذكرة) لم أجد لهذه الحربة في الأخبار ذكر إلا ما ذكره أبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: إن لملك الموت عليه السلام حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، فإذا انقضى أجل عبد من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال الآن يزداد بك عسكر الأموات. والله أعلم.

واعلم أنه تقطع الآجال كل سنة، فقد أخرج الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تقطع الآجال من شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى»<sup>(٢)</sup>.

(١) كذا في الأصل ولعلها (إلى).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٨٦) رقم ٣٨٣٩ بزيادة لفظ «إلى شعبان» والطبري في التفسير (١١/ ٢٢٢) والبيهقي في التفسير (١/ ٢٢٧) وذكره ابن رجب في لطائف المعارف (١٣٨) وقال: إنه مرسل.

وابن أبي الدنيا مثله عن عثمان بن المغيرة ابن الأحنس ، وأخرج أبو يعلى بسند حسنه الترمذي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ كان يصوم شعبان كله فسألته قال : «إن الله يكتب فيه كل نفس ميتة تلك السنة فأحب أن يأتيني أجلي وأنا صائم»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عطاء بن يسار قال : إذا كانت ليلة النصف من شعبان رفع إلي ملك الموت صحيفة فيقال : اقْبِضْ ما في هذه الصحيفة ، فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه قد نسخ في الموتى .

وأخرج ابن أبي الدنيا والحاكم في المستدرک عن عقبة بن عامر الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : أول من يعلم بموت العبد<sup>(٢)</sup> الحافظ ، لأنه يعرج بعمله وينزل برزقه ، فإذا لم يخرج له رزق علم أنه ميت .

وأخرج أبو الشيخ في تفسيره عن محمد بن جحادة قال : إن شجرة تحت العرش ليس مخلوق إلا له فيها ورقة ، فإذا سقطت ورقة عبد خرجت روحه من جسده ، فذلك قوله عز وجل : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾<sup>(٣)</sup> [الأنعام : ٥٩] .

\* \* \*

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨ / ٣١١) رقم ٤٩١١ والهيتمي في مجمع الزوائد (٣ / ٤٤٠) رقم ٥١٥٦ باختلاف يسير في بعض الألفاظ ، وقال رواه أبو يعلى وفيه مسلم بن خالد الزنجي وفيه كلام وقد وثق .

(٢) في حاشية الأصل / قف على أول من يعلم بموت العبد .

(٣) في حاشية الأصل / قوله : «من ورقة إلا يعلمها» أي سواء كانت الورقة الساقطة من الشجرة التي تحت العرش أو غيرها من الأشجار ؛ لأن النكرة إذا جاءت بسياق النفي تفيد العموم ، كقولك : «ما جاءني من أحد» انتهى .

## الفصل السادس

فيما يحضر الميت من الملائكة وغيرهم وما يراه المحتضر وما يقال

له وما يبشر به المؤمن وينذر به الكافر

أخرج الإمام أحمد وأبو داود في سننه والحاكم في المستدرک وابن أبي شيبه في المصنف والبيهقي في كتاب (عذاب القبر) وغيرهم من طرق صحيحة عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه الملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من كفن الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السماء وإن كنتم ترون غير ذلك، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفه عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله: اكتبوا

كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم  
ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه  
فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول:  
ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول  
الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله تعالى فأمنت به  
وصدقت، فنادى مناد من السماء صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له  
باباً إلى الجنة، فيأتيه من رَوْحِهَا وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه  
رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا  
يومك الذي كنت توعده، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي جاء  
بالخير، فيقول: أنا عمك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى  
أهلي ومالي. قال: وإن العبد الكافر إذا كان بانقطاع من الآخرة وإقبال من  
الدنيا نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون  
منه مد البصر، ثم يحيي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها  
النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب، فَتَفْرُقُ في جسده،  
فينتزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم  
يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها  
كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها  
على ملام من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون فلان بن  
فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء  
الدنيا فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾  
[الأعراف: ٤٠]. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض  
السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ ﷺ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ  
السَّمَاءَ فَتَخْطَفُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد  
روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول:

هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب متنن الرياح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي جاء بالشر، فيقول: أنا عمك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا من طريق يزيد الرقاشي عن أنس عن تميم الداري عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله لملك الموت: انطلق إلى وليي فأنتي به، فإني قد خبرته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب، فأنتي به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها، فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة، معهم أكفان وحنوط من حنوط الجنة، ومعهم ضبائر الريحان - والضبائر بالضاد المعجمة وبعدها موحدة آخره راء كعمائر: هي الجماعات كما في نهاية ابن الأثير، وواحدتها ضبارة كعمارة، أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لوناً، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه - ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر، فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحوشه الملائكة، ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه، ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر»<sup>(٢)</sup> الحديث بطوله.

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان والحاكم واللفظ له والبيهقي عن أبي

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧) رقم ١٨٥٥٧ وفيه اختلاف يسير في العبارة قبل الأخيرة، وأبو داود (٢/ ٦٥٢) رقم (٤٧٥٣)، والحاكم (١/ ٩٣) رقم ١٠٧ وفي نفس العبارة بلفظ (فوجهك الوجه يبشر بالشر) وابن أبي شيبة في مصنفه، (٣/ ٥٤) رقم ١٢٠٥٩، وهو صحيح كما ذكر المصنف.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٥٥) ولم أقف عليه عند أبي يعلى.

هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن المؤمن إذا قبض أنته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوول بعضهم بعضاً، فيشمونه حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءت من قبل الأرض، كلما أتوا به سماء قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين، فلهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم عليه، يسألونه ما فعل فلان؟ فيقولون دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال لهم ما آتاكم؟ فإنه قد مات يقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية. وأما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله وسخطه، فتخرج كأنتن ريح جيفة، فينطلقون به إلى باب الأرض، فيقولون ما أنتن هذه الريح، كلما أتوا على أرض قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح الكفار»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تحضر الملائكة فإن كان الرجل صالحاً قال: اخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان، فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة، فإذا كان الرجل السوء قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة وأبشري بجحيم وغساق وآخر من شكله

(١) أخرجه ابن حبان (٧ / ٢٨٤) رقم ٣٠١٤ باختلاف بسيط وزيادة يسيرة.

أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يُعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان بن فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم يصير إلى القبر»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن المؤمن إذا حضر أته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبابر<sup>(٢)</sup> وريحان، فتستل روحه كما تسل الشعرة من العجين، ويقال: أيتها النفس الطيبة اخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح الله وكرامته، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان، وطويت عليه الحريرة، وذهب به إلى عليين، وإن الكافر إذا حضر أته الملائكة بمسح فيه جمرة فتزع روحه انتزاعاً شديداً، ويقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ويطوى عليها المسح ويذهب به إلى سجين»<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤٢٣ / ٢) رقم ٤٢٦٢ وأحمد (١٣٩ / ٦) رقم ٢٥١٣٣ .  
وذكره الهندي في كنز العمال (٦٢٩ / ١٥) رقم ٤٢٤٩٦ وقال أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه وإسناده صحيح .

(٢) في حاشية الأصل / الضَّبْرُ: الجوز البري شجر، وشجر الجوز ولا يحمل جوزاً، وقيل الضبر الرمان الجبلي . انتهى

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١ / ٢٢٥) رقم ٧٤٢ وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤ / ٥٠٠) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف، والبزار بلفظ المصنف .

## الفصل السابع

### في الكلام على الروح وما يتعلق بذلك

اعلم رحماني الله وإياك أن الناس اختلفوا في حقيقة الروح، ومنهم من سكت عن الخوض في ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] وأما الذين خاضوا في الكلام عليها تباينت مذاهبهم واختلفت آراؤهم، والصحيح أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار في الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح، اختار هذا القول الإمام المحقق ابن القيم في كتابه (الروح) من أقوال عديدة. وقال إنه الصواب في هذه المسألة وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة، وذكر لهذا القول مائة دليل وخمسة عشر دليلاً، وأجاد وفاد، وزيف قول ابن سينا وابن حزم وأمثالهما، وكتابه هذا من أجل ما رأينا في هذا الفن، بل هو أجلها وأعظمها، ولا ينبغي لمن له رغبة في العلوم أن يجهله ولا شيئاً منه، فعليك به فإنه مفيد جداً.

فائدة: نقل بعض المتكلمين أن محل الروح القلب واستدل له

بحديث ابن عساكر أن النبي ﷺ قال: «وأما النفس ففي القلب والقلب بالنياط والنياط يسقي العروق فإذا هلك القلب انقطع العرق»<sup>(١)(٢)</sup> وهذا الحديث مرسل وقال ابن حجر في الإصابة الحديث فيه غريب كثير وأسانيد ضعيفة جداً والله أعلم.

فإن قلت: هل تموت الروح أم الموت على البدن وحده؟

قلت: أجاب عن هذا الإمام المحقق في (الروح) فقال: قد اختلف الناس في هذا، فقالت طائفة: تموت وتذوق الموت؛ لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، قالوا: وقد دلت الآية على أنه لا يبقى إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] الآية وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [التقصص: ٨٨] قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى، قالوا: وقد أخبر الله عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] فالموتة الأولى هذه المشهورة وهي للبدن، والأخرى للروح.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية، هذا مع القطع بأن أرواحهم فارقت أجسادهم، وقد ذاقت أجسادهم الموت.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦ / ٣٧٤) في سياق حديث طويل وذكره الهندي في كنز العمال (١٣ / ٣٨٤) رقم ٣٧٠٤٣، وعزاه لابن عساكر وابن شاهين.

(٢) في حاشية الأصل / ... عرق في الصلب، والنياط أيضاً ويريد القلب الذي اتصله من الوتين، وفي الضياء: عرق في الصلب منوط بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. انتهى لغة.

قال: والصواب أن يقال موت النفس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتضمحل أو تصير عدماً محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، قال: وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله:

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شحب<sup>(١)</sup> والخلق في شحب  
فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

فإن قلت: فعند النفخ في الصور هل تبقى الأرواح حية كما هي أو تموت ثم تحيا؟ فالجواب ما ذكره المحقق أنها مستثناة من قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فقد استثنى الله بعض من في السموات ومن في الأرض من هذا الصعق فقيل: هم الشهداء وهو قول أبي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير، وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل: هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها، وهذا قول أبي إسحاق ابن شاقلا من أصحابنا، وقد نص إمامنا عليه السلام على أن الحور العين لا يمتن عند النفخ في الصور، وقد أخبر الله تعالى أن أهل الجنة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦] وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك الموتة الأولى، فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان.

وأما قول أهل النار ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَنا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْتَنا﴾ [غافر: ١١]

(١) في حاشية الأصل/ الشحوب بالضم أن يتغير لون البشرة، وبابه دخل، وشحب شحوبة من باب ظرف. لغة.

فتفسير هذه الآية والتي في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فكانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات، وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها.

ففي الصحيح «أن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى أخذ بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور»<sup>(١)</sup> فهذا صعق في موقف يوم القيامة إذا جاء الله سبحانه لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنور ربها، فحينئذ تصعق الخلائق كلهم، قال تعالى: ﴿فَدَرَّهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥] ولو كان هذا الصعق موتاً لكانت موتة أخرى.

قال: وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء، فقال القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة، لا صعقة الموت الحادثة عند نفخ الصور.

وحاصل الجواب أن الروح لا تموت ولا تفتنى، والله الموفق.

فإن قلت: فأين مستقر الأرواح بعد مفارقتها الأجساد إلى يوم القيامة هل في السماء أم في الأرض؟ وهل هي في الجنة أم في النار أم لا؟ وهل تودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها فتتعم وتعدب فيها أم تكون مجردة؟

(١) أخرجه البخاري ٣٣٩٨ وأخرج نحوه مسلم ٢٣٧٣.

قلت: قد أجاب عن هذه المسألة الإمام المحقق في (الروح)، وهي مسألة عظيمة قد تكلم فيها الناس واختلفوا، وهي إنما تتلقى من السمع فقط، وحاصل ما اعتمده من الجواب بعد أن ذكر مذاهب الناس في ذلك وأطال نحو كراسين أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلى عليين، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ في ليلة الإسراء.

ومنها في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم كما قد يتوهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في المسند عن محمد بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: الجنة، فلما ولي قال: إلا الدين، سارني به جبرائيل آنفاً»<sup>(١)</sup> ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الآخر «رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة»<sup>(٢)</sup>.

ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تزل روحه إلى الملاء الأعلى، فإنها كانت روحاً سفلية أرضية، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه، بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك، كما أن النفس العلوية التي كانت في

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٠) رقم ١٩١٠٠ وأخرج نحوه الترمذي (٤/ ٢١٢) رقم ١٧١٢ وقال: وفي الباب عن أنس ومحمد بن جحش وأبي هريرة وهذا الحديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١١) رقم ٢٠١٣٦ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٣٠) رقم ٦٦٣٢ وقال: حيان بن علي وقد وثقه قوم وضعفه قوم.

الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب إليه والأنس به تكون بعد المفارقة في الأرواح المناسبة لها، فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم المعاد، فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وإخوانها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك، وفي الحديث «وتجعل روحه - يعني المؤمن - مع النسيم الطيب»<sup>(١)</sup> أي الأرواح الطيبة المشاكلة لروحه.

قال: ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية، وإذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب وكان لك فضل اعتناء عرفت حجة ذلك، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تناقضاً، فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضاً، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأناً غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بالقبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً، وصعوداً وهبوطاً، وأنها تنقسم إلى مرسله ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض، ولذة ونعيم. وألم أعظم مما كان لها في حال اتصالها بالبدن بكثير، فهناك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة، وهنالك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق، وما أشبه حالها في هذا البدن بحال الجنين في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار، قال: فلهذه الأنفس أربع دور، وكل دار أعظم من التي قبلها.

الدار الأولى: بطن الأم وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات

الثلاث<sup>(٢)</sup>.

(١) جزء من حديث طويل أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٦٧) رقم ٦٧٠٣ عن أبي هريرة.

(٢) في حاشية الأصل/ ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة. انتهى تفسير

الدار الثانية: هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتست فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة.

الدار الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأولى.

الدار الرابعة: دار القرار هي الجنة أو النار، فلا دار بعدها، واللّه سبحانه وتعالى ينقلها في هذه الدار طبقاً بعد طبق حتى ينقلها إلى الدار التي لا يصلح لها غيرها، وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى، فتبارك اللّه فاطرها ومنشيها، ومميتها ومحيتها، ومسعدتها ومشقيها، فهو الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها، كما فاوت بينها في مراتب علوها وأعمالها، وقواها وأخلاقها، فمن عرفها كما ينبغي شهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، الذي له الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، وله القوة والقدرة كلها، والعزة والكمال المطلق من جميع الوجوه، وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله، وأن الذي جاءوا به هو الحق الذي تشهد به العقول وتقر به الفطر، وما خالفه هو الباطل، وباللّه التوفيق.

وسياتي الكلام على مستقر الأرواح أوفى من ذلك.

فإن قلت: هل الروح قديمة أم مخلوقة؟ وإن قلت أنها محدثة فما الجواب عن قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] وكيف يكون أمر اللّه مخلوقاً وقد أخبر اللّه سبحانه أنه نفخ في آدم من روحه؟

قلت: قد أجاب عنها الإمام المحقق، وهي مسألة عظيمة كم زل فيها عالم، وضل فيها طوائف من بني آدم، وهدى اللّه أتباع رسله فيها للحق

المبين والصواب المستبين، فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنها محدثة مصنوعة، وهذا معلوم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث، وأن معاد الأبدان واقع، وأن الله وحده هو الخالق وكل ما سواه مخلوق له، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون الفضيلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة، حتى نبعت نابعة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة، فزعم أنها قديمة غير مخلوقة، واحتج على أنها من أمر الله وأمره قديم، وبأن الله تعالى أضافها إليه كما أضاف إليه علمه وكتابه وقدرته وسمعه وبصره ويده، وتوقف آخرون وقالوا لا نقول شيئاً.

وسئل عن ذلك حافظ أصبهان أبو عبد الله بن منده من أصحابنا فقال: أما بعد فإن سائلاً سألتني عن الروح التي جعلها الله قوام أنفس الخلق وأبدانهم، وذكر أن أقواماً تكلموا في الروح زعموا أنها غير مخلوقة، وخص بعضهم منها روح القدس وأنها من ذات الله، قال: وأنا أذكر اختلاف أقاويل الناس وأبين ما يخالف أقاويلهم من الكتب والأثر، وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم، وأذكر بعد ذلك وجوه كلام الذين تكلموا على الروح بغير علم، وأن كلامهم يوافق قول جهم وأصحابه.

فنقول وبالله التوفيق: إن الناس اختلفوا في معرفة الأرواح ومحلها من النفس، فقالت طائفة: الأرواح كلها مخلوقة، وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر، واحتجت بقول النبي ﷺ: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»<sup>(١)</sup> والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

وقالت طائفة: الأرواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٣٣٦ عن عائشة، ومسلم رقم ٢٦٣٨ عن أبي هريرة.

الخلق، واحتجت بقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقالت طائفة: الأرواح نور من نور الله تعالى وحياء من حياته واحتجت بقول النبي ﷺ: «إن الله خلق خلقه من ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره»<sup>(١)</sup> ثم ذكر الخلاف في الأرواح هل تموت أم لا؟ وهل تعذب مع الأجساد في البرزخ وفي مستقرها بعد الموت؟ وهل هي النفس أو غيرها؟

وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه: تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح آدم ما تأوله النصراني في روح عيسى، وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله فصار في المؤمن، فعند صنف من النصارى أن عيسى ومريم جميعاً غير مخلوقين؛ لأن عيسى عندهم صار في مريم فهو غير مخلوق على زعمهم، وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض: إن روح آدم مثل ذلك أنه غير مخلوق، قالوا: ثم صار بعد آدم في الوصي بعده، ثم هي في كل نبي ووصي إلى أن صار في علي، ثم في الحسن والحسين، ثم في كل وصي وإمام، فيه يعلم الإمام كل شيء لا يحتاج أن يعلم من أحد، ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله، خلقها وأنشأها وكونها وأخبر عنها، ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه الزكية: روح الآدمي مخلوقة مبتدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكي إجماع الأمة على أنها مخلوقة غير واحد من المسلمين مثل محمد بن نصر

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد (١٧٦ / ٢) رقم ٦٦٤٤ عن عبد الله بن عمرو، والترمذي

(٥ / ٢٦) رقم ٢٦٤٢ وقال هذا حديث حسن.

المروزي الإمام المشهور الذي هو من أعلم زمانه بالإجماع والاختلاف، وكذلك أجاب أبو إسحاق بن شاقلا من أصحابنا بلفظ: سألت رحمك الله عن الروح مخلوقة هي أم غير مخلوقة؟ قال: وهذا لا يشك فيه من وفق للصواب أن الروح من الأشياء المخلوقة، وقد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة، وصنف الحافظ أبو عبد الله بن مندة في ذلك كتاباً، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي وغيره، والشيخ أبو سعيد الخراز وأبو يعقوب النهرجوري، والقاضي أبو يعلى، وقد نص على ذلك الأئمة الكبار، واشتد نكيرهم على من يقول في ذلك في روح عيسى بن مريم فكيف بروح غيره كما ذكره سيدنا الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما كتبه في محتسبه في الرد على الزنادقة والجهمية؟

قال ثم إن الجهمي ادعى أمراً فقال أنا أجد آية في كتاب الله على أن القرآن مخلوق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] وعيسى مخلوق؟ قلنا له: إن الله منعك الفهم للقرآن، إن عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، لأننا نسميه مولوداً وطفلاً وغلماً يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، ويجري عليه الخطاب الوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم، فلا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، فهل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى؟ ولكن المعنى في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ فالكلمة التي ألفاها إلى مريم حين قال له: كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن، ولكن كان بكن، فكن من الله قول وليس كن مخلوقاً، وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: روح الله وكلمته، إلا أن كلمته مخلوقة، وقالت النصارى: عيسى روح الله وكلمته في ذاته، كما

يقال هذه الخرقه من هذا الثوب. قلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان وليس هو الكلمة، وإنما الكلمة قول الله كن، وقوله (وروح منه) نقول: من أمره كان الروح فيه، كقوله ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ [الجاثية: ١٣] يقول من أمره، وتفسير روح الله إنما معناه بكلمة الله خلقها، كما يقال عبد الله وسماء الله وأرض الله، فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف سائر الأرواح؟ وقد أضاف الله إليه الروح الذي أرسله إلى مريم، وهو عبده ورسوله، ولم يدل ذلك أنه قديم غير مخلوق، فقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِیَهَبَ ﴿١﴾ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ [مريم: ١٧-١٩]. فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله، ثم استدل على خلقها الإمام المحقق في كتابه باثني عشر وجهاً وأطنب فراجعه.

ثم قال: وأما ما احتجت به هذه الطائفة فإن الذي أتوا به من متشابه القرآن، والعدول عن محله وهذا شأن كل ضال ومبتدع، فحكم القرآن من أوله إلى آخره يدل على أن الله خالق الأرواح ومبتدعها وأما قوله تعالى ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥] فمعلوم قطعاً أنه ليس المراد هاهنا بالأمر الطلب الذي هو أحد الأنواع للكلام، فيكون المراد أن الروح كلامه الذي يأمر به، وإنما المراد بالأمر هاهنا المأمور، وهو عرف مستعمل في عرف العرب وفي القرآن منه كثير، كقوله تعالى: ﴿أَنَّىأَمْرُاللَّهِ﴾ [النحل: ١]. أي مأموره الذي قدره وقضاؤه<sup>(٢)</sup>، وقال له كن وكذلك قوله: ﴿فَمَاأَعْنَتْعَنَّهُمِاللَّهُمُّالَّتِييَدْعُونَمِنْدُونِاللَّهِمِنْشَيْءٍلَمَّاجَاءَأَمْرُرَبِّكَ﴾

(١) كذا في الأصل وهي قراءة صحيحة رواها ورش وقالون وأبو عمرو، وقراءة حفص (لأهب)، انظر: عبد الفتاح القاضي/ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (٢٤٦).

(٢) كذا في الأصل، والأصح (قضاء) كما في الروح لابن القيم.

[هود: ١٠١]. أي مأموره الذي أمر به من هلاكهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧] وكذلك لفظ الخلق يستعمل بمعنى المخلوق كقوله: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]. أي مخلوقه، وقوله للجنة: «أنت رحمتي أسكنك من شئت من خلقي»<sup>(١)</sup> أو كما ورد، فليس في قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. ما يدل على أنها قديمة غير مخلوقة بوجه ما.

وقد قال بعض السلف في تفسيره: المراد بالروح في الآية أنه جرى بأمر الله في أجساد الخلق وبقدرته استقر، [وهذا بناء على روح الإنسان]<sup>(٢)</sup>، وفي ذلك خلاف بين السلف والخلف، وأكثر السلف بل كلهم على أن الروح المسئول عنها في الآية ليست أرواح بني آدم، بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة، وهو ملك عظيم.

وقد ثبت في الصحيح من حديث عبد الله قال: بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ إلى أن قال: فمررنا على نفر من يهود، فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه عسى أن يجيء فيه بشيء تكرهونه، وقال بعضهم: نسأله؟ فقال رجل: يا أبا القاسم: ما الروح؟ فسكت عنه ﷺ فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت فلما تجلجى عنه قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]<sup>(٣)</sup> قال المحقق: ومعلوم أنهم إنما يسألونه من أمر لا يعرف

(١) جزء من حديث قدسي أخرجه البخاري رقم ٤٨٥٠ بلفظ «أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي» عن أبي هريرة، ومسلم رقم ٢٨٤٦ بنفس اللفظ.

(٢) كذا بالأصل، ولعل فيه نقصاً، والسياق الصحيح كما ورد في (الروح) هكذا [وهذا بناء على أن المراد بالروح في الآية روح الإنسان] إلخ.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٤٧٢١ باختلاف في بعض الألفاظ، ومسلم رقم ٢٧٩٤.

إلا بالوحي، وذلك هو الروح الذي عند الله لا يعلمها الناس وأما أرواح بني آدم فليس من الغيب، وأطال فراجعه.

وأما استدلالهم بإضافتها إلى الله سبحانه وتعالى ويقولون: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]. فينبغي أن تعلم أن المضاف إلى الله سبحانه نوعان، صفات لا تقوم بنفسها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته صفات له غير مخلوقة، وكذلك وجهه ويده سبحانه، والثاني: إضافة أعيان منفصلة كالبيت والعبد والناقة والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه، ولكن إضافته تقتضي تخصيصاً أو تشريفاً يتميز به المضاف إليه من غيره، كبيت الله وإن كانت البيوت كلها ملكاً له، وكذلك ناقة الله، فالإضافة الخاصة تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه، بخلاف الإضافة العامة فإنها تقتضي الخلق والإيجاد، والخاصة تقتضي الاختيار ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة الخاصة لا من العامة، ولا من باب إضافة الصفات، فتأمل هذا الموضوع فإنه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها ما يشاء الله من الناس.

قال المحقق: فإن قيل: فما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فأضاف النفخ إلى نفسه وهذا يقتضي المباشرة من الله تعالى كما في قوله: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. ولهذا قرن بينهما في الذكر في الحديث الصحيح في قوله ﷺ: «فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء»<sup>(١)</sup> فذكروا لآدم أربع خصائص اختص بها عن غيره، ولو

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٤٤٧٦ بلفظ «أبو الناس» بدل «أبو البشر» عن أنس.

كان الروح التي فيه إنما هي من نفخة الملك لم يكن له خصوصية بذلك وكان بمنزلة المسيح بل وسائر أولاده، فإن الروح حصلت فيهم من نفخة الملك، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فهو الذي سواه بيده وهو الذي نفخ فيه من روحه؟

فالجواب: ما ذكر المحقق من أن هذا الموضع هو الذي أوجب لهذه الطائفة أن قالت بقدوم الروح وتوقف فيه آخرون ولم يفهموا مراد القرآن، فأما الروح المضافة إلى الرب فهي روح مخلوقة أضافها إلى نفسه إضافة تخصيص وتشريف كما بيناه، وأما النفخ فقد قال تعالى في مريم: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا<sup>(١)</sup> مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]

وقد أخبر في موضع آخر أنه أرسل إليها الملك فنفخ في فرجها، فكان النفخ مضافاً إلى الله أمراً وإذنًا وإلى الرسول مباشرة.

يبقى هاهنا سؤالان: أحدهما: أن يقال إذا كان النفخ حصل في مريم من الملك وهو الذي ينفخ الأرواح في سائر البشر فما وجه تسمية المسيح روح الله؟ وإذا كان سائر الناس تحدث أرواحهم من هذه الروح فما خاصية المسيح؟

الثاني: أن يقال فهل تعلق الروح بآدم كانت بواسطة نفخ الملك أم الرب هو الذي نفخها بنفسه كما خلقه بيده؟

قيل: لعمر الله إنهما سؤالان مهمان، فأما الأول: فالجواب عنه ما ذكره المحقق أن الروح الذي نفخ في مريم هو الروح المضاف إلى الله الذي اختصه لنفسه وأضافه إليه، وهو روح خاص من بين سائر الأرواح،

(١) في الأصل (فيه) والمثبت هو الصواب.

وليس هو الروح الذي ينفخه الملك بالنفخ في بطون الحوامل من المؤمنين والكفار، فإن الله سبحانه وكل بالرحم ملكاً ينفخ الروح في الجنين، فيكتب رزق المولود وأجله وعلمه وشقاوته وسعادته، وأما هذا الروح المرسل إلى مريم فهو روح الله الذي هو من الأرواح النفسية<sup>(١)</sup> فكان لمريم بمنزلة الأب لسائر النوع الإنساني، فإن نفخته لما دخلت في فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للأُنثى من غير أن يكون هناك وطء، وأما ما اختص به آدم فهو أنه لم يخلق كخلقه من أب ولا أم كخلقة سائر النوع من أب وأم، ولا كان الروح الذي نفخ الله فيه منه هو الملك الذي ينفخ الروح في سائر أولاده، ولو كان كذلك لم يكن لآدم به اختصاص، وإنما ذكر في الحديث ما اختص به على غيره وهو أربعة أشياء، خلق الله له بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاد ملائكته له، وتعليمه أسماء كل شيء، فنفخه فيه من روحه يستلزم نافخاً ونفخاً ومنفوخاً منه، فالمنفوخ منه هو الروح المضافة إلى الله، فمنها سرت النفخة في طينة آدم فأتته الروح من قبل رأسه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، فالله تعالى هو الذي نفخ في طينته من تلك الروح، هذا هو الذي دل عليه النص، وأما كون النفخة بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أنها حصلت بأمره كما حصلت في مريم، فهذا يحتاج إلى دليل، والفرق بين خلق الله تعالى له بيده ونفخه فيه من روحه أن اليد غير مخلوقة والروح مخلوقة، والخلق فعل من أفعال الرب، وأما النفخ فهل هو فعل من أفعال الرب القائمة به أو هو مفعول من مفعولاته القائمة بعبدته المنفصلة عنه، مما يحتاج إلى دليل، وهذا بخلاف النفخ في فرج مريم، فإنه مفعول من مفعولاته وأضافه إليه لأنه بإذنه وأمره، فنفخه في آدم هل هو فعل له أو مفعول؟ وعلى كل تقدير فالروح التي نفخ

(١) كذا بالأصل، ولعل الصواب (لنفسه) حيث إن ابن القيم جاء سياقه هكذا [وأما هذا الروح المرسل إلى مريم فهو روح الله الذي اصطفاه من الأرواح لنفسه فكان لمريم] إلخ.

فيها من آدم روح مخلوقة غير قديمة وهي مادة روح آدم، فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة وهو المراد، والله الموفق.

فإن قلت: هل تقدم خلق الأرواح على الأجساد أم تأخر؟ قلت: ذكر المحقق أن في هذه المسألة قولين معروفين حكاهما شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، وممن ذهب إلى تقدم خلقها محمد بن نصر المروزي وأبو محمد بن حزم الظاهري وحكاها إجماعاً، وذكر المحقق أدلة القولين في كتابه (الروح)، وظاهر كلامه بل صريحه أن الجسد خلق قبل الروح، ومن أدلة هذا القول قوله عليه السلام في الحديث الصحيح: «إن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً دماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه، فإذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه، ولم يقل يرسل الملك إليه بالروح فيدخلها في بدنه، وإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخه فيه، لا أنه سبحانه أرسل الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك، ففرق بين أن يرسل إليه الملك فينفخ فيه وبين أن يرسل إليه روحاً مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك.

وقال في موضع آخر وأما حديث «خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»<sup>(٢)</sup> فلا يصح إسناده وذكر علقته، وقال الإمام المحقق في كتابه «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» أن القول بأن الأرواح خلقت قبل الأجساد قول فاسد وخطأ صريح، بل القول الصحيح الذي دل عليه الشرع والعقل أن

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٣٣٠٨، ٣٣٣٢، ومسلم ٢٦٤٣ باختلاف في بعض الألفاظ من حديث ابن مسعود.

(٢) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٣٨٢) رقم ٩٤ وقال: في إسناده عبد الله بن أيوب أبي علاج عن أبيه وهما كذابان، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

الأرواح مخلوقة مع الأجساد، وأن الملك ينفخ الروح في الجسد إذا مضى على النطفة أربعة أشهر ودخلت في الخامس، وذلك أول حدوث الروح فيه، ومن قال إنها مخلوقة قبل ذلك فقد غلط، وأقبح منه قول من قال إنها قديمة، انتهى.

وبعضهم رد عليه وصحح القول بأن الأرواح خلقت قبل، واستدل بما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»<sup>(١)</sup> قال ناصر السنة ابن الجوزي رحمته الله في (تبصرته): قال أبو سليمان الخطابي معنى هذا الحديث الإخبار عن مبدأ كون الأرواح خلقت قبل الأجساد وتقدمت على الأجساد في التكون على ما روي أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بكذا وكذا، قال ابن الجوزي وفي هذا الحديث دليل على أن الأرواح ليست بأعراض وأنها كانت موجودة قبل الأجساد، وأنها تبقى بعد الأجساد، يؤيد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة»<sup>(٢)</sup> انتهى ملخصاً، وقد حكينا القولين فاختر لنفسك ما يحلو.

فإن قلت: إذا فارقت الأرواح الأبدان وتجردت بأي شيء يتميز بعضها من بعض حتى تتعارف وتتلاقى؟ وهل تشكل إذا تجردت بشكل بدنها التي كانت فيه أم لا؟

فالجواب: أن المحقق أجاب عن هذا بعد أن قال إن هذه المسألة لا أكاد أجد من تكلم فيها، وإنما يمكن الجواب عنها على أصول أهل السنة

(١) سبق ص ١٠٧ .

(٢) رواه مسلم رقم ١٨٨٧ باختلاف في بعض الألفاظ عن عبد الله بن مسعود. والترمذي (٤/ ١٧٦) رقم ١٦٤١ عن كعب بن مالك وقال: هذا حديث حسن صحيح.

التي تضافرت عليه أدلة القرآن والسنة والاعتبارات وهو، أن الروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل، قال: وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها في كتابنا الكبير في معرفة الأرواح والنفوس وبيننا بطلان ما خالف هذا القول من وجوه كثيرة، وأن من قال غيره لم يعرف نفسه، وأما على أصول من يقول إنها مجردة عن المادة وعلائقها، وليست بداخل العالم ولا خارجه، ولا لها شكل ولا قدر ولا شخص، وكذا على أصول من يقول إنها عرض من أعراض البدن، فلا جواب لهذا على أصولهم، بل ولا وجود لها على زعمهم، بل تعدم وتبطل باضمحلال البدن كما تبطل سائر صفات الحي، قال: وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالدخول والخروج، والقبض والتوفي والرجوع، وصعودها<sup>(١)</sup> إلى السماء وفتح أبوابها لها وغلقها عنها، فقال: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]. وقال: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ﴾ الآية [الفجر: ٢٧]. وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ﴿فَأَلَّهَا لَجُونَهَا وَقَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨] فأخبر أنه سوى النفس كما سوى البدن في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾ [الانفطار: ٧]. فتسوية البدن تابع لتسوية النفس، والبدن موضع لها كالقالب قال: ومن هنا يعلم أنها تؤخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها، فيتميز الروح عن الروح وصفاتها أعظم من تميز البدن عن البدن بصفاته، وحاصل الجواب أنها تؤخذ من بدنها صورة متميزة عن غيرها تميزاً بيناً لا خفاء معه ولا اشتباه، والله الموفق.

فإن قيل: النفس واحدة أم ثلاثة<sup>(٢)</sup>؟ فقد وقع في كلام كثير أن لابن آدم ثلاثة<sup>(٢)</sup> أنفس، مطمئنة ولوامة وأمارة، وأن منهم من يغلب عليه هذه ومنهم من يغلب عليه الأخرى، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا

(١) في الأصل (وصعدوها) والمثبت هو الصواب كما في (الروح).

(٢) كذا بالأصل في الموضعين والصواب (ثلاث).

النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ ﴿ [الفجر: ٢٧]. وبقوله: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (١) وَلَا أَقِيمُ  
بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿ [القيامة: ١-٢] وقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾  
[يوسف: ٥٣].

فالجواب كما قال المحقق: أنها نفس واحدة ولكن لها صفات،  
تسمى باعتبار كل صفة باسم، فتسمى مطمئنة باعتبار طمأننتها إلى ربها  
بعبوديته ومحبته والإجابة إليه والتوكل عليه والرضى به والسكون إليه،  
فالطمأنينة إلى الله سبحانه خفية تَرُدُّ منه سبحانه على قلب عبده المؤمن  
تجمعه عليه ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره، وهو  
كلامه المنزل على نبيه المرسل، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ  
قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. فإن  
طمأننته سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه، وهذا  
لا يتأتى بشيء سوى الله وذكره البتة، وأطال فراجع.

وأما اللوامة: التي أقسم بها سبحانه فاختلف فيها، فقالت طائفة: هي  
التي لا تثبت على حالة واحدة، أخذوه من لفظة التلوم، وهو التردد، فهي  
كثيرة القلب والتلون، وهي من أعظم آيات الله، فإنها مخلوقة من  
مخلوقاته، تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلاً عن اليوم والشهر والعام  
والعمر ألواناً متلونة، فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض، وتلطف وتكثف،  
وتحب وتبغض، إلى غير ذلك من الأوصاف.

وقالت طائفة: اللفظة مأخوذة من اللوم، ثم اختلفوا فقالت فرقة: هي  
نفس المؤمن وهذا من صفاتها المجردة.

قال الحسن البصري رضي الله عنه: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائماً  
يقول: ما أردت بهذا؟ لم فعلت هذا؟ كان غير هذا أولى أو نحو من هذا

الكلام، وقال غيره: هي نفس المؤمن توقعه في الذنب ثم تلومه عليه، فهذا اللوم من الإيمان بخلاف الشقي فإنه لا يلوم نفسه على ذنب، بل يلومها وتلومه على فوات الذنب، كأنه من جهله بنفسه وربّه يرى أنه إذا فاته الذنب فاته ما يوجب التأسف على فواته والندم واللوم لنفسه، وهذا من سفهه غفلته.

وقالت طائفة: بل هذا اللوم لنوعين، فإن كل أحد يلوم نفسه برأ كان أو فاجراً، فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته، والشقي لا يلومها إلا على فوات حظها وهوها.

وقالت فرقة: هذا اللوم يوم القيامة، فإن كل أحد يلوم نفسه، إن كان مسيئاً فعلى إساءته، وإن كان محسناً فعلى تقصيره وعدم زيادته، قال المحقق: وهذه الأقوال كلها حق ولا تنافي بينها.

واعلم أن اللوامة نوعان: لوامة ملومة، وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته، ولوامة غير ملومة، وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذل جهده، فهذه لوامة غير ملومة، بخلاف الأولى فإنها تلوم صاحبها والله يلومها.

قال المحقق: وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله، واحتملت ملام اللاتمين في مرضاته، فلا يأخذها في الله لومة لائم.

وأما النفس الأمارة: فهي المذمومة، فإنها التي تأمر بكل سوء، وهذا من طمعها إلا ما وفقها الله وثبتها وأعانها، ومن يخلص من شر نفسه غير من وفقه الله، كما قال تعالى حاكياً عن زليخا: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعَهُ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]. وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]. فالنفس

المطمئنة قرينها الملك، والنفس الأمارة قرينها الشيطان، فنسأل الله العافية والتوفيق، فإنه ولي التحقيق.

فإن قلت: هل تتلاقى أرواح الموتى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟ قلت: أجب عن هذه المسألة الإمام المحقق وقال: إنها مسألة شريفة كبيرة القدر، وملخص ما أجب به أن الأرواح قسمان، أرواح معذبة وأرواح منعمة، والمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي، والأرواح المنعمة مرسله غير محبوسة، تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها، وروح نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾<sup>(١)</sup> فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿ الآية [النساء: ٦٩]. وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة<sup>(٢)</sup>.

وروى جرير عن مسروق قال: قال أصحاب محمد ﷺ: ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فإذا مت رفعت فوقنا فلم نرك، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية [النساء: ٦٩]<sup>(٣)</sup>.

قال الشعبي: جاء رجل من الأنصار وهو يبكي إلى النبي ﷺ فقال: ما يبكيك يا فلان، فقال: يا نبي الله والذي لا إله إلا هو لأنت أحب إلي من نفسي، وأنا نذكرك أنا وأهلي فيأخذني كذا حتى أراك، فذكرت موتك

(١) في الأصل (رسوله) والمثبت هو الصواب، وفي الحاشية/ قوله: ورسوله... الآية هذه والرسول، وهو سهو منه ﷺ جل من لا يسهو. فقه.

(٢) هكذا في الأصل، والصواب (الثلاث) قال الجوهري: الدار مؤنثة. انظر لسان العرب/ مادة: دور.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ١٦٥).

وموتي فعرفت أني لن أجامعك إلا في الدنيا، وأنت ترفع مع النبيين وعرفت  
أنني إن دخلت الجنة كنت في منزل أدنى من منزلك، فلم يرد النبي ﷺ شيئاً  
فأنزل الله ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية<sup>(١)</sup>.

وفي قصة الإسراء من حديث عبد الله بن مسعود قال: لما أسري بالنبي  
ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم، فتذاكروا  
الساعة، فبدءوا بإبراهيم فسألوه عنها، فلم يكن عنده علم منها حتى أجمعوا  
الحديث إلى عيسى، فقال عيسى: عهد الله إلي فيما دون وجبتها فذكر خروج  
الذجال قال: فأهبط فأقتله، وترجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج  
ومأجوج وهم من كل حدب<sup>(٢)</sup> ينسلون، فلا يمرون بماء إلا شربوه، ولا  
يمرون بشيء إلا أفسدوه، فيجأرون<sup>(٣)</sup> إلى الله تعالى فأدعوا الله فيميتهم،  
فتجأر الأرض إلى الله من ريحهم، ويجأرون إلي فأدعو الله، ويرسل الله  
السماء بالماء فتحمل أجسامهم فتقذفها في البحر، ثم تنشق الجبال وتمد  
الأرض مد الأديم، فعهد الله إلي إذا كان كذلك فإن الساعة من الناس كالحامل  
المتم<sup>(٤)</sup> لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلاً أو نهاراً<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٥٢) رقم ٤٧٧ وفي الصغير (١/ ٥٣) رقم ٥٢،  
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٣) رقم ١٠٩٣٧ وقال: رواه الطبراني في الصغير  
والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة.  
(٢) في حاشية الأصل/ الحدب هو الربوة، وهو ما ارتفع من الأرض. لغة.  
(٣) في حاشية الأصل/ الجؤر: صوت البقر، والتضرع بالدعاء. لغة.  
(٤) في حاشية الأصل/ قوله: كالحامل المتم، يقال امرأة حامل وحاملة إذا كانت حبلية، قال  
الشاعر:

تمخضت المنون له بيوم أتى ولكل حاملة تمام

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/ ٤١٦) رقم ٣٤٤٨ وفيه زيادات على ما ذكر المصنف،  
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وكذا ابن ماجه (٢/  
١٣٦٥) رقم ٤٠٨١ وقال: في الزوائد هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.  
وأحمد (١/ ٣٧٥) رقم ٣٥٥٦ بزيادات كذلك.

قال المحقق: ذكره الحاكم والبيهقي وغيرهما، وهذا نص في تذاكر الأرواح، وقد أخبر الله سبحانه عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وهذا يدل على تلاقيمهم من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم أحياء عند الله وإذا كانوا أحياء فهم يتلاقون.

الثاني: أنهم يستبشرون بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم.

الثالث: أن لفظ يستبشرون يفيد في اللغة أنه يبشر بعضهم بعضاً مثل ما يتباشرون في الدنيا، وقد تواترت الأخبار بذلك.

فمنها ما ذكر صالح بن بشر قال: رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته فقلت: يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا؟ فقال: أما والله لقد أعقبنى ذلك فرحاً طويلاً وسروراً دائماً، فقلت: في أي الدرجات أنت؟ قال: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ﴾ الآية [النساء: ٦٩].

وقال عبد الله بن المبارك: رأيت سفیان الثوري في النوم فقلت له ما فعل الله بك؟ قال: لقيت محمداً وحزبه.

وقال صخر بن راشد: رأيت عبد الله بن المبارك في النوم بعد موته فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى، قلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب، فقلت: فسفیان الثوري فقال: بخ بخ ذلك ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [النساء: ٦٩].

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن حفصة بنت راشد قالت: كان مروان المحكى لي جاراً، وكان رياضياً مجتهداً، فمات فوجدت عليه وجداً شديداً. قالت: فرأيته فيما يرى النائم

فقلت: أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: أدخلني الجنة. قلت: ثم ماذا؟ قال: رفعت إلى أصحاب اليمين، قلت: ثم ماذا؟ قال: رفعت إلى المقربين، قلت: فمن رأيت من إخوانك؟ قال: رأيت الحسن وابن سيرين وميمون بن شياه.

قال المحقق: وقد جاءت سنة صريحة بتلاقي الأرواح وتعارفها. أخرج ابن أبي الدنيا قال: لما مات بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنه وجدت عليه أم بشر وجداً شديداً، فقالت: يا رسول الله إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل تتعارف الموتى فأرسل إلى بشر بالسلام فقال رسول الله ﷺ: «نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر، إنهم يتعارفون كما يتعارف الطير في رؤوس الشجر»<sup>(١)</sup> وكان لا يهلك هالك من بني سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت: يا فلان عليك السلام، فيقول: وعليك. فتقول: اقرأ على بشر السلام.

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن عبيد بن عمير قال: أهل القبور يتوكفون<sup>(٢)</sup> الأخبار فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: صالح ما فعل فلان؟ فيقول صالح، ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم؟ أما قدم عليكم؟ فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون سلك به غير سبيلنا.

قال صالح المزني: بلغني أن الأرواح تتلاقى عند الموت، فتقول أرواح الأموات للتي تخرج إليهم: كيف كان مأواك؟ وفي أي الجسدين

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (١٨) رقم ١٤ وذكره أحمد بن علي العسقلاني في الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع (٨٧) وعزاه لابن أبي الدنيا في القبور وقال محققه إنه ضعيف.

(٢) جاء في لسان العرب «توكف الأثر تبعه، والتوكف: التوقع والانتظار، وفي حديث ابن عمير: أهل القبور يتوكفون الأخبار - أي يتوقعونها - لسان العرب مادة وكف.

كنت؟ في طيب أم في خبيث؟ ثم بكى حتى بلغه البكاء.

وقال عبيد بن عمير: إذا مات الميت تلقته الأرواح يستخبرونه كما يستخبر الركب ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ فإن قال: توفي ولم يأتهم قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية، وقال أيضاً لو أني آيس من لقاء من مات من أهل لألقاني مت كمداً<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب (الروح) للمحقق أن أبا أيوب الأنصاري حدث أن رسول الله ﷺ قال: «إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى المبشر في الدنيا، فيقولون انظروا أحاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد، فيسألونه ماذا فعل فلان؟ وماذا فعلت فلانة؟ وهل تزوجت فلانة؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال قد مات قبلي، قالوا: إن لله وإنا إليه راجعون ذهب إلى أمه الهاوية بثست الأم بثست المهبة»<sup>(٢)</sup>.

وفي (الهدى) للمحقق أيضاً عن بعض أهل عاصم الجحدري قال: رأيت عاصماً الجحدري في منامي بعد موته بستتين فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى، قلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة ونفر من أصحابي نجمع كل ليلة جمعة وصبحتها إلى أبي بكر بن عبد الله المزني فتتلقى أخباركم، قال: قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيات بليت الأجسام إنما تتلقى الأرواح، قال: فقلت: فهل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال: نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله، وليلة السبت

(١) في حاشية الأصل/ الكمد: الحزن المكتوم. لغة

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٢٩) رقم ٣٨٨٧، باختلاف يسير عن أبي أيوب الأنصاري وفي آخره (وبثت المربية) وفي الأوسط (١/ ٥٣) رقم ١٤٨. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٧١) رقم ٣٩٣١ وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه مسلمة بن علي وهو ضعيف.

إلى طلوع الشمس، قال: قلت: وكيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمته.

فإن قيل: فهل تتلاقى أرواح الأحياء والأموات؟

فالجواب: نعم تتلاقى قال المحقق في الروح وشواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيتها إلا الله تعالى، فتلتقى أرواح الأحياء والأموات كما تلتقى أرواح الأحياء، وقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

وذكر أبو عبد الله بن منده من الأصحاب عن ابن عباس في هذه الآية قال: بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها.

وذكر ابن أبي حاتم نحوه عن السدي، قال المحقق: وهذا أحد القولين في الآية وهو أن الممسكة من توفيت وفاة الموت أولاً، والمرسلة من توفيت وفاة النوم، والمعنى على هذا أنه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى.

والقول الثاني: أن الممسكة والمرسلة كلاهما توفي وفاة النوم، فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها إلى جسدها، ومن لم تستكمل أجلها ردها إلى جسدها، واختار هذا شيخ الإسلام قدس الله روحه، قال: وعليه يدل القرآن والسنة، فإنه سبحانه ذكر إمساك التي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفاها وفاة النوم، وأما التي توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا إرسال بل هي قسم ثالث، والذي يترجح هو القول

الأول؛ لأنه سبحانه أخبر بوفاتين، وفاة كبرى وهي وفاة الموت، ووفاة صغرى وهي وفاة النوم، وقسم الأرواح قسمين، قسماً قضى عليه الموت فأمسكها عنده وهي التي توفأها وفاة الموت، وقسماً لها بقية أجل فردها إلى جسدها، ذكره المحقق ثم قال: والتحقيق أن الآية تتناول النوعين، فإنه سبحانه ذكر وفاتين، وفاة نوم ووفاة موت، وذكر إمساك المتوفاة وإرسال الأخرى، ومعلوم أنه يمسك كل نفس ميت سواء مات في النوم أو اليقظة، ويرسل كل نفس من لم يميت، فقولته: ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يتناول من مات في اليقظة ومن مات في المنام، وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلمه الحي فيصادف خبره ما أخبر في الماضي والمستقبل، وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه.

وقد حكى غير واحد من أهل العلم أن رجلاً غنياً حج فأودع آخر موسوماً بالأمانة والصلاح ألف دينار حتى يعود من عرفة، فلما عاد وجده قد مات، فسأل ورثته عن المال فلم يكن لهم به علم، فسأل علماء مكة عن قصته، فقالوا له: إذا كان نصف الليل فانت زمزم وانظر فيها وناد، يا فلان باسمه فإن كان من أهل الخير فسيجيئك من أول مرة، فذهب ونادى فيها فلم يجبه أحد، فأخبرهم، فقالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار، اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر تسمى برهوت، يقال إنها على فم جهنم فانظر فيها بالليل وناد فيها يا فلان فيجيئك منها، فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها فذهب ليلاً ونادى فيها يا فلان، فأجابه، فقال له: أين ذهبي؟ فقال: دفنته في الموضع الفلاني من داري فلم آمن عليه ولدي فاتتهم واحفر هناك تجده، فقال: ما الذي أنزلك ها هنا وقد كنت يظن بك الخير؟ قال: كانت لي أخت

فقيرة هجرتها وكنت لا أحن عليها، فعاقبني الله تعالى بسببها وأنزلني هذا المنزل، فالله عليك إذا رجعت إلى أولادي وأخذت حقك تذهب إلى أختي وتعمل معها جميلاً وتسألها بأن ترضي عني، فذكر ذلك إلى أولاده وذكر لهم أمانته فأجابوه إلى ذلك، فأخذها وأمرهم بأن يتوجهوا إلى عمتهم ويأخذوا بخاطرها، وتجعل أخاها في حل، فذهبوا إليها وسألوا عنها فأخبروا بأنها تسأل الناس، فعاد الأولاد وأخبروا الرجل بذلك، فذهب الرجل إليها فاجتمع بها وسألها ما كان حالها مع أخيها، فأبت وقالت لا تذكره لي، واغتمت لذلك، فأخذ الرجل بخاطرها وأعطاهما صلة ففغت عن أخيها ودعت له بالرحمة، فعاد الرجل بعد ذلك إلى زمزم ونادى يا فلان فأجابه وقال جزاك الله خيراً، قد رضي الله عني برضاها وأعادني إلي هنا<sup>(١)</sup>. ذكر هذه الحكاية الحافظ بن رجب في (أهوال القبور) وابن حجر في (أسنى المطالب) وفي (الزواجر) والبقاعي في (مختصر أهوال القبور) وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى، والله أعلم.

### قصة الصعب:

قال المحقق في (الروح) وضح عن حماد بن سلمة عن ثبات عن شمر ابن حوشب أن الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخين قال الصعب

(١) وردت بعض الآثار بوجود بئر برهوت، وهو بئر باليمن متن ماؤه، أما أن أرواح الكفار تجس فيه، وأرواح المؤمنين تكون في زمزم فهذا قول فاسد لا دليل عليه من كتاب أو سنة، وفي رد هذا القول يقول ابن حزم «ذهب قوم من الروافض إلى أن أرواح الكفار ببرهوت وهو بئر بحضر موت، وأن أرواح المؤمنين بموضع آخر أظنه الجابية، وهذا قول فاسد، لأنه لا دليل عليه أصلاً، وما لا دليل عليه فهو ساقط، ولا يعجز أحد عن أن يدعى للأرواح مكاناً آخر غير ما ادعاه هؤلاء، وما كان هكذا فلا يدين به إلا مخذول وبالله التوفيق» ابن حزم- الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٥٧).

لعوف: أي أخي أينما مات قبل صاحبه فليُتراء<sup>(١)</sup> له، قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم، فمات صعب، فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد أتاه قال: قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بعد المنادب<sup>(٢)</sup> ورأيت لمعة سوء في عنقه قلت: أخي ما هذه؟ قال: عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودي فهن في قرني، فأعطوه إياها، واعلم أي أخي أنه ما يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا قد لحق بي خبره، حتى هرة لنا ماتت منذ أيام، واعلم أن بنتي تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفاً، فلما أصبحت قلت: إن في هذا لمُعَلِّماً، فأتيت أهله فقالوا: مرحباً بعوف، أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم، لم تقربنا منذ مات صعب، فاعتللت بما يعتل به الناس فنظرت إلى القرن فأنزله فانتشلت ما فيه فوجدت الصرة التي فيها الدنانير، فبعثت إلى اليهودي فقلت: هل كان لك على صعب شيء؟ قال: رحم الله صعباً كان من أختيار أصحاب رسول الله ﷺ هي له، قلت: لتخبرني قال: نعم، أسلفته عشرة دنانير، قال: فمددتها إليه، قال: هي والله بأعيانها قال: قلت: هذه واحدة، فقلت: هل حدث فيكم حدث بعد موته. قالوا: نعم حدث فينا كذا. قلت: اذكروه قالوا: نعم هرة ماتت منذ أيام، فقلت: هاتان اثنتان قلت: أين ابنة أخي قالوا: تلعب فأتيت بها فمسكتها فإذا هي محمولة، فقلت: استوصوا بها معروفاً فماتت لسته أيام.

قال المحقق: وهذا من فقه عوف رضي الله عنه وكان من الصحابة، حيث أنفذ وصية الصعب بن جثامة بعد موته، وعلم صحة قوله بالقرائن التي أخبر بها من أن الدنانير عشرة وهي في القرن، ثم سأل اليهودي فطابق قوله لما في الرؤيا فجزم عوف بصحة الأمر، فأعطى اليهودي الدنانير، وهذا فقه إنما

(١) في حاشية الأصل/ وارتت الخبر أي أتبت بعضه بعضا. انتهى - لغة.

(٢) في حاشية الأصل/ المنادب: القبائح، يقال: ندب فعل زيد قبحه. انتهى - لغة.

يليق بأفقه الناس وأعلمهم وهم الصحابة رضي الله عنهم ، ولعل أكثر المتأخرين ينكر ذلك ويقول: كيف جاز لعوف أن ينقل الدنانير من تركة صعب وهي لأيتامه وورثته إلى اليهودي بمنام؟

### قصة ثابت:

قال المحقق: ونظير هذا من الفقه الذي خصهم الله به دون الناس قصة ثابت بن قيس بن شماس، وقد ذكرها أبو عمرو ابن عبد البر وأخرجها مالك عن محمد بن مالك الأنصاري عن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة»<sup>(١)</sup> قال الإمام مالك فقتل ثابت يوم اليمامة شهيداً.

وقال أبو عمرو عن ابنة ثابت قالت: لما نزلت ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] دخل أبوها بيته وأغلق عليه الباب، ففقدته رسول الله ﷺ وأرسل يسأله ما خبره؟ قال: أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملي، قال: «لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير» قال: ثم أنزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالِفٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] فأغلق عليه بيته وطفق يبكي ففقدته رسول الله ﷺ فأرسل إليه فأخبره فقال: يا رسول الله إني أحب الجمال وأحب أن أسود قومي، فقال: «لست منهم بل تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة» فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى مسيلمة، فلما التقوا انكشفوا، فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، ثم حفر كل واحد له حفيرة، فثبتا وقاتلا حتى قتلا، وعلى ثابت

(١) أخرجه مالك (٣) رقم ٩٤٥ وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٦٠) في ترجمة ثابت

يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فيينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال له : أوصيك بوصية فيأياك أن تقول هذا حلم فتضيعة إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالداً فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ - يعني الصديق رضي الله عنه - فقل له إن عليّ من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان، فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى به وحدث أبا بكر بروياه فأجاز وصيته<sup>(١)</sup>.

قال المحقق: عن أبي عمرو ولا نعلم أحداً أجزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رضي الله عنه.

قال المحقق: فقد اتفق أبو بكر وخالد والصحابة رضي الله عنهم على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ الوصية بها وانتزاع الدرع ممن هي في يده بها، وهذا محض الفقه<sup>(٢)</sup>، والله أعلم.

(١) أخرج هذه القصة الطبراني في الكبير (٢ / ٧٠) رقم ١٣٢٠ باختلاف في بعض ألفاظها وتقديم وتأخير في سياقها.

وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٥٣٥) رقم ١٥٧٨٤ وقال رواه الطبراني وبنث ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح، والظاهر أنها صحابية فإنها قالت: سمعت أبي، والله أعلم.

(٢) لا بد من التفريق هنا بين رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورؤيا غيرهم، فرؤيا الأنبياء حق لأنها من الوحي، ومن هذا رؤيا إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده، ولذا فهي حجة شرعية، أما رؤى غيرهم وخصوصاً بعد إكمال الدين وختم الرسالة فلا تعتبر دليلاً شرعياً ولا يجوز الاحتجاج بها على فعل أو ترك أو منع أو استحباب، نعم هي تؤخذ على أنها بشارة، على حد ما جاء في الحديث «لم يبق من النبوة إلى المشرات» البخاري رقم ٦٩٩٠، أما في مجال الأحكام الشرعية فلا يجوز التعويل عليها لعدة أمور منها:  
١- أن الشرع قد حدد أدلة الأحكام فلا يجوز التزيد عليها.

والمقصود أن الأرواح تجتمع مع بعضها، سواء كانت موتى أو لا، وقد أخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمر قال: الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس، تنشر في كل عام مرة، وأرواح المؤمنين في طير الزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة.

وأخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط»<sup>(١)</sup>.

٢- أن الرؤى متعددة في منابعها، فمنها ما هو نفساني ومنها ما هو شيطاني ومنها ما هو روحاني، فمن أين لنا بأن رؤيا فلان روحانية ورؤيا فلان شيطانية، والدليل على ذلك ما جاء في الحديث «الرؤيا ثلاثة» وذكرها - مسلم رقم ٢٢٦٣ .

٣- أن النائم ليس من أهل التكليف وغير قادر على ضبط ما رآه، ولذلك رفع الشارع عنه التكليف، قال رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة» وذكر منهم النائم - رواه أبو داود رقم ٤٣٩٨ .

ولا يعكر على ذلك ما رواه أبو نعيم في الحلية (٤٥/١) وغيره عن عمر رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ في المنام فرأيت لا ينظر إلي، فقلت: يا رسول الله ما شأني؟ قال: ألسنت الذي تقبل وأنت صائم؟ فقلت: والذي بعثك بالحق لا أقبل وأنا صائم» وقد رد ابن حزم هذا الكلام بقوله [الشرائع لا تؤخذ بالمنامات، لاسيما وقد أفتى رسول الله ﷺ عمر في اليقظة حياً بإباحة القبلة للصائم، فمن الباطل أن ينسخ ذلك في المنام ميتاً]. المحلي (٢٠٨/٦).

وما ذكره المصنف رحمته الله عن ابن القيم من قصة ثابت بن قيس فقد قال فيها الشاطبي: «وما روى من أن أبا بكر رضي الله عنه أنفذ وصية رجل بعد موته برؤيا رؤيت فهي قضية عين لا تقدر في القواعد الكلية لاحتمالها، فلعل الورثة رضوا بذلك فلا يلزم منها خرم أصل» الموافقات (٢٦٧/٢).

للاستزادة في هذا الموضوع انظر الاعتصام للشاطبي (٢٦٠/١).

(١) أخرجه أحمد (١٧٥ / ٢) رقم ٦٦٣٦ بلفظ «إن أرواح المؤمنين تلتقي على مسيرة يوم ما رأى أحدهم صاحبه قط».

وفي (٢٢٠) رقم ٧٠٤٨ بلفظ «إن أرواح المؤمنين لتلتقيان على مسيرة يوم وليلة وما رأى واحد منهما صاحبه».

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٨٥ / ١٠) رقم ١٧٩٧٩ و١٧٩٨٠ وقال رواه أحمد ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم، ورواه الطبراني.

وأخرج البزار بسند صحيح عن أبي هريرة رفعه: «أن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين يود لو خرجت نفسه، والله يحب لقاءه، وإن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفه من أهل الدنيا، فإذا قال تركت فلاناً في الدنيا أعجبهم ذلك، وإذا قال إن فلاناً قد مات قالوا: ما جيء به إلينا»<sup>(١)</sup> وسيأتي بقية الكلام على ذلك في باب مفرد، والله أعلم.

فإن قيل: هل النفس والروح شيء واحد أم هما شيئان؟

قلت: هذا فيه خلاف مشهور بين الناس، وظاهر حديث أبي هريرة المتقدم آنفاً أنهما شيء واحد، وأنا أذكر تفصيل ذلك وما قيل فيه مبيناً للصواب إن شاء الله تعالى.

حكى ابن زيد عن أكثر العلماء أن الروح والنفس اسمان لمسمى واحد، يعني كالبرُّ والقمح اسم للحنطة، والإنسان والبشر اسم للحيوان الناطق، ويسمى هذا عند أهل الأصول مترادفاً.

وقال ابن حبيب: هما شيئان، فالروح هو النَّفْسُ المتردد في الإنسان، والنَّفْسُ هي التي يقال لها جسد مجسد لها يدان ورجلان وعينان ورأس، وأنها هي التي تلذ وتفرح وتألم وتحزن، وأنها هي التي تتوفي في المنام وتخرج وتسرح، وترى الرؤيا فتسر بما ترى أو تحزن به، ويبقى الجسم دونها بالروح لا يلذ ولا يفرح ولا يعقل حتى تعود إليه النفس، فإن أمسكها الله ولم يرجعها إلى جسدها تبعثها الروح فصارت معها شيئاً واحداً ومات الجسم، وإن أرسلها إلى أجل مسمى وهو أجل الوفاة حيى الجسم، واحتج

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٥) رقم ٤٢٧١ باختلاف يسير في بعض الكلمات، وقال رواه البزار ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي فإنه لم أعرفه.

بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وذكر بعض الصوفية: أن النفس هي الأصل في الإنسان، فإذا أصقلت بالرياضة والمشاهدة وأنواع الذكر والتأله والفكر صارت روحاً، ثم قد تترقي إلى أن تصير سرّاً من أسرار الله تعالى.

وقال ابن منده: من أصحابنا اختلفوا في معرفة الروح والنفس فقال بعضهم: النفس طينية نارية، والروح نورية روحانية، وقال بعضهم: الروح لاهوتية والنفس ناسوتية، وأن الخلق بها ابتلي، وقالت طائفة وهم أهل الأثر إن الروح غير النفس والنفس غير الروح، وقوام النفس بالروح، والنفس صورة العبد والهوى والشهوة، والبلاء معجون فيها، ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه لا تريد إلا الدنيا ولا تحب إلا هي، والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها، وجعل الهوى تبعاً للنفس والشيطان، والشيطان تبعاً لها وللهوى والملك مع العقل والروح، والله تعالى يمدهما بإلهامه وتوفيقه، ذكر ذلك ابن القيم في (الروح) ثم اعتمد أن الروح والنفس واحدة وإنما يختلفان بالصفات لا بالذات.

والصواب قول الأكثر: أنها شيء واحد لما تضافرت به الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة من إطلاق كل واحد منهما عليها، فتارة يقول الروح، وتارة يقول النفس. والله أعلم.

تتمة: مما ينبغي أن يعلم أن الميت يعرف من غسله وجهزه ويسمع ما يقال فيه وما يقال له والجنّازة مارة، وأن الملائكة تمشي في الجنّازة، وأن السماء والأرض والملائكة تبكي على المؤمن إذا مات، وأن الميت يلقي ونحن نذكر أدلة ذلك كله.

أخرج الإمام أحمد والطبراني في الأوسط وابن أبي الدنيا والمروزي

عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن الميت يعرف من يغسله ويحمله ومن يكفنه ومن يدليه في حفرته»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن مجاهد قال: إذا مات الميت فملك قابض نفسه فما من شيء إلا وهو يراه عند غسله وعند حمله، حتى يوصله إلى قبره.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: الروح بيد ملك يمشي بها، فإذا أدخل قبره جعلها فيه.

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك، ينظر إلى جسده كيف يغسل، وكيف يكفن، وكيف يمشي به، ويقال له وهو على سريره: اسمع كيف ثناء الناس عليك.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك الموت، فهم يغسلونه وهو يرى ما يصنع أهله، فلو يقدر على الكلام لنهاهم عن الرنة والعويل.

وأخرج عن سفيان قال: الميت يعرف كل شيء، حتى إنه ليناشد غاسله بالله إلا أحسنت غسلتي، قال: ويقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك.

وفي «التذكرة»: أن الروح ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدي الله

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٦٢) رقم ١١٦١٨ بلفظ «الميت يعرف من يغسله ويحمله ويدليه».

والطبراني في الأوسط (٧/ ٢٥٧) رقم ٧٤٣٨ وابن أبي الدنيا في المناجات (١١) رقم ٦ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٥) رقم ٤٠٧١ وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه رجل لم أجد من ترجمه.

تعالى، فيسلها<sup>(١)</sup>، فإن كانت من أهل السعادة قال لهم سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة، فيسيرون بها في الجنة قدر ما يغسل الميت، فإذا غسل وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده، فإذا حمل على النعش فإنها تسمع كلام الناس، من متكلم بخير ومن متكلم بشر، فإذا وصل إلى قبره وُصلي عليه ردت فيه الروح وأقعد ودخل عليه الملكان، كما سيأتي.

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس أن النبي ﷺ وقف على قتلى بدر فقال: «يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً» فقال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أبو الشيخ من مرسل عبيد بن مرزوق قال: كانت امرأة بالمدينة تقم المسجد - أي تكنسه - فماتت فلم يعلم بها النبي ﷺ، فمر على قبرها فقال: «ما هذا القبر؟» فقالوا: أم محجن، قال: «التي كانت تقم المسجد؟» قالوا: نعم. فصف الناس فصلى عليها، فقال: «أي العمل وجدت أفضل» قالوا يا رسول الله أسمع؟ قال: «ما أنتم بأسمع منها فذكر أنها أجابته قم المسجد»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضعت الجنابة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت

(١) هكذا في الأصل والصواب (فيسألها) كما في التذكرة.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٩٧٦ باختلاف في بعض الألفاظ، ومسلم رقم ٢٨٧٤ باختلاف يسير أيضاً.

(٣) الحديث أصله في البخاري رقم ٤٦٠، ١٣٣٧، ومسلم ٩٥٦ وابن ماجه (١/ ٤٨٩) رقم

قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين تذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو يسمعه الإنسان لصعق»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن أم الدرداء قالت: إن الميت إذا وضع على سريريه فإنه ينادي يا أهلاه يا جيرانه ويا حملة سريراه، لا تغرنكم الدنيا كما غرتني، ولا تلعبن بكم كما لعبت بي، فإن أهلي لم يحملوا من وأري شيئاً.

وأخرج سعيد بن منصور: أن الملائكة لتمشي أمام الجنائز ويقولون: ما قدم فلان؟ ويقول الناس ما ترك فلان؟

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الجلد قال: قرأت في مسألة داود ربّه قال: إلهي ما جزاء من شيع الجنائز ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن تشيعه الملائكة يوم يموت، وأصلي على روحه في الأرواح، وأخرجه ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعاً ولفظه أن داود قال: إلهي ما جزاء من شيع ميتاً إلى قبره ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن تشيعه ملائكتي فتصلي على روحه في الأرواح»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أبو نعيم وأبو يعلى وابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم عن أنس عن النبي ﷺ قال: «ما من إنسان إلا وله بابان في السماء، باب يصعد عمله فيه، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات العبد المؤمن بكيا عليه»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣١٤ ولم أقف عليه في مسلم.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٢) رقم ٩٢٨٠ وآخره «وأن أصلي على روحه في الأرواح» وأخرج نحوه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٥٦) وأحمد في الزهد (٧٠)، وفي مختصر تاريخ دمشق (١/ ١٠٨١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٣)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ١٦٠) رقم ٤١٣٣ والترمذي (٥/ ٣٨٠) رقم ٣٢٥٥ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]. هل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم، إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه فقد بكى، وإذا فقدته مصلاه من الأرض الذي كان يصلي فيها ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالححة، ولم يكن يصعد إلى الله منهم خير، فلم تبك عليهم السماء والأرض.

وأخرج ابن جرير وابن أبي الدنيا عن عبيد الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض» ثم قرأ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩] قال: «إنهما لا يبكيان على كافر»<sup>(١)</sup>.

وقال مجاهد: ما من مؤمن يموت إلا تبكي عليه الأرض أربعين صباحاً. وقال محمد بن كعب: أن الأرض تبكي من رجل وتبكي على رجل، تبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله، وتبكي من رجل يعمل ظهرها بمعصية الله.

وقال علي كرم الله: وجهه إذا بلغت الجنائزة القبر فجلس الناس فلا تجلس، ولكن قم على شفير قبره، فإذا دلّي في قبره فقل: بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، اللهم إنه عبدك نزل بك وأنت خير منزل به، خلّف الدنيا خلّف ظهره، فاجعل ما قدم عليه خيراً مما خلف، فإنك

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١ / ٢٣٧)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١ / ٣٣٢) رقم ٨٨٧ في سياق كلامه على حديث (بدأ الإسلام غريباً).

قلت ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مات أحدكم فلا تجسوه وأسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب وعند رجله بخاتمة سورة البقرة في قبره»<sup>(١)</sup>.

وكان أنس رضي الله عنه يقول إذا وُضِعَ الميت في قبره: اللهم جاف القبر عن جنبيه، وصعد روحه، وتقبله وتلقاه منك بروح، وقال عمرو بن مرة: كانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقولوا اللهم أعذه من الشيطان الرجيم.

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب عليه فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل، يا فلان بن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيبه، ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعداً، ثم يقول يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول أرشدنا أرشدك الله ولكن لا تشعرون، فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنت رضىت بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا، ما نقعد عند من لقن حجته فيكون الله حجيجه دونهما، قال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ قال: ينسبه إلى حواء يا فلان ابن حواء»<sup>(٢)</sup> والله أعلم.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢ / ٤٤٤) رقم ١٣٦١٣ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ٢٤٩) رقم ٧٩٧٩ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٦٦) رقم ٣٩١٨ وقال رواه الطبراني في الكبير وفيه من لم أعرفه.

خاتمة: أخرج البزار والحاكم عن أبي سعيد أن النبي ﷺ مر بالمدينة فرأى جماعة يحفرون قبراً، فسأل عنه، فقالوا: حبشي قدم فمات، فقال رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التي خلق منها»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: «ما من مولود إلا وقد ذر عليه من تراب حفرة»<sup>(٢)</sup> وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إن الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم فيصعد بها على كفه فيقول: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال مخلقة قال: رب ما الرزق ما الأثر ما الأجل؟ فيقول انظر في أم الكتاب، فيظهر في اللوح المحفوظ فيجد فيه رزقه وأجله وعمله، ويأخذ التراب الذي يدفن في بقعته، فذلك قوله تعالى: ﴿مِنَّا خَلَقْتَكُمْ فِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥].

وذكر في (المجالسة) عن هلال بن يسار قال: ما من مولود يولد إلا وفي سرته من تربته التي يموت فيها.

وأخرج الترمذي عن مطر ابن عكاس مرفوعاً: «إذا قضي لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة»<sup>(٣)</sup>. قال الترمذي: حسن غريب.

وروى السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٧٣) رقم ٩٨٩١ والحاكم في المستدرک (١/ ٥٢١) رقم ١٣٥٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولهذا الحديث شواهد وأكثرها صحيحة وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٥٧) رقم ٤٢٢٦ وقال: رواه البزار وفيه عبد الله والد علي بن المدني وهو ضعيف.

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٢٨٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/ ١٢٢) وذكر نحوه الهندي في كنز العمال (١٥/ ٦٩٢) رقم ٤٢٧٦٧.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٥٣) رقم ٢١٤٦ وقال هذا حديث حسن غريب، والحديث الذي بعده رقم ٢١٤٧ عن أبي عزة وفي آخره «أو قال بها حاجة» وقال: هذا حديث صحيح.

الهمداني عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب النبي ﷺ في قوله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي يُمَوِّدُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦] قال إذا وقعت النطفة في الأرحام طارت في الجسد أربعين يوماً ثم تكون علقة أربعين يوماً ثم تكون مضغة أربعين يوماً، فإذا بلغ أن تخلق بعث الله ملكاً يصورها، فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلطه في المضغة، ثم يعجنه بها ثم يصورها كما يؤمر الحديث، وفيه فإذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب، خرجه ابن جرير الطبري في تفسيره.

قال الحافظ بن رجب قدس الله روحه: والسدي مختلف في أمره، وكان الإمام أحمد رضي الله عنه ينكر عليه جمعه الأسانيد المتعددة للتفسير الواحد.

وأخرج الترمذي عن أبي عزة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة أو قال بها حاجة»<sup>(١)</sup> قال: هذا حديث حسن صحيح وأبو عزة له صحبة واسمه يسار بن عبيد وأنشدوا:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته إليها حاجة فيطير

وأخرج ابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعاً: «إذا كان أجل العبد بأرض أنته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله، فتقول الأرض يوم القيامة رب هذا ما استودعتني»<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي في (التذكرة): قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فائدة هذا

(١) سبق (ص ١٣٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢ / ١٤٢٤) رقم ٤٢٦٣ بلفظ «إذا كان أجل أحدكم بأرض أوثته الحاجة إليها فإذا أبلغ أقصى أثره قبضه الله سبحانه به فتقول الأرض يوم القيامة: رب هذا ما استودعتني» وينحوه أخرجه الحاكم (١ / ١٠١) رقم ١٢٣ ، ١٢٤ وقال لهذا الحديث شواهد على شرط الشيخين وذكرها ووافقه الذهبي فيها.

الباب تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة، والخروج من المظلمة، وقضاء الدين، وإثبات الوصية بما له وعليه في الحضر فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر، فإنه لا يدري أين كتبت منيته من بقاع الأرض، وأنشدوا:

مشينا في خطا كتبت علينا      ومن كتبت عليه خطا مشاها  
وأرزاق لنا متفرقات      فمن لم تأته منا أتاه  
ومن كتبت منيته بأرض      فليس يموت في أرض سواها  
وقلت: والقلب ملذوع<sup>(١)</sup> بنار الفراق، واللب في طماطيم<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>  
البلابل والاحتراق، أذكر غربتي وبعدي عن الأحبة، وأتسلي بالقضاء  
والجسم قد قضى نحبه.

شعراً:

بكت عيني وأرقني سهادي      وذاب القلب من طول البعاد  
ولم أر عترتي وسواد عيني      فوا أسفا ويا حر الفؤاد  
فلا أدري إذا دنت المنايا      أموت بغربتي أم في بلادي  
وهذي غربة كتبت علينا      وآثار بتقدير الجواد  
قضى الرحمن آثاري ورزقي      وأجلي مذ خلقت كذا معادي  
فما أبني وحكم الله فينا      يقيناً غير ممنوع النفاد

(١) اللذع: حُرقة النار، وقيل هو مس النار، واحدها لذعة - لسان العرب: مادة لذع.

(٢) طم الماء يطم طما وطموما: علا وغمر، وكل ما كثر وعلا حتى غلب فقد طم، والظامة الداهية تغلب ما سواها، وطمطام البحر وسطه: لسان العرب: مادة طمم.

(٣) في حاشية الأصل/ الطُم بالكسر البحر، والطمطم: الأعجم وهو معتقل اللسان، وكل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم، يقال: حزب بيده بسيف فأطمها يراد بذلك صوت القطع، والطميم العدو واللين. انتهى. لغة.

فائدتان: الأولى: ينبغي لأولياء الميت أن يتحروا له الجار الصالح، فقد أخرج أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ادفنوا أمواتكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «إذا مات لأحدكم الميت فأحسنوا كفنه، وعجلوا إنجاز وصيته، وأعمقوا له في قبره، وجنبوه جار السوء، قيل: يا رسول الله، وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة؟ قال: ينفع في الدنيا؟ قالوا: نعم، قال: كذلك في الآخرة»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الديلمي من حديث أم سلمة مرفوعاً «أحسنوا الكفن، ولا تؤذوا أمواتكم بعويل ولا بتأخير وصية ولا بقطيعة، وعجلوا قضاء دينه، وأعدوا به غير جيران السوء»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن نافع المزني قال: مات رجل بالمدينة فدفن بها، فرآه رجل كأنه من أهل النار، فاغتم لذلك، ثم رآه بعد سابعة أو ثامنة كأنه من أهل الجنة، فسأله قال: دفن معنا رجل من الصالحين فشفع في أربعين من جيرانه فكنت فيهم.

(١) حلية الأولياء (٦ / ٣٥٤) وقال أبو نعيم: غريب من حديث مالك لم نكتبه إلا من حديث شعيب.

وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١ / ٧٣) رقم ١٦٩ وقال: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال في المقاصد: رواه أبو نعيم والخليلي من حديث سليمان بن عيسى عن أبي هريرة مرفوعاً، وسليمان متروك بل اتهم بالوضع، ولكن لم يزل عمل السلف والخلف على هذا.

(٢) ذكره القرطبي في التذكرة (١٥٠).

(٣) أخرجه ابن حبان في المجروحين (١ / ٢٩١) في ترجمة داود بن الحصين رقم ٣٢٥ وقال: هذا خبر باطل لا أصل له من كلام رسول الله ﷺ ومسلم، وذكره الهندي في كنز العمال (٥٨٧ / ١٥) رقم ٤٢٢٥٤ وعزاه للديلمي عن أم سلمة.

الثانية: قال الآجري: يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً والدعاء للميت - مستقبل وجهه - بالثبات، فيقال: اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا، ولا نعلم منه إلا خيراً، وقد أجلسته لتسأله، اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الدنيا، اللهم ارحمه وألحقه بنبيه ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره.

قلت: فإن كان يعلم من عمله غير الخير فلا ينبغي أن يقول ولا نعلم إلا خيراً لأنه كذب، وهو لا يجوز، ثم رأيت علماءنا أعزهم الله صرحوا بذلك، منهم صاحب (الإقناع) والله أعلم بالصواب.

\* \* \*

## الكتاب الأول

### في أحوال البرزخ

وهو الحاجز بين شيئين ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]. أي حاجز يمنعهما من أن يختلط أحدهما بالآخر، ووجه تسمية ما هنا برزخاً لأنه يحجز بين الدنيا والآخرة كما هو ظاهر، وفيه أربعة أبواب:



## الباب الأول

في ذكر حال الميت عند نزوله قبره وسؤال الملكين له وما يفسح له في قبره أو يضيق عليه وما يرى من منزله في الجنة والنار وكلام القبر للميت عند نزوله إليه

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وأخرج الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت نزلت في عذاب القبر»<sup>(١)</sup>. زاد مسلم: «يقال له من ربك؟ فيقول: الله ربي ومحمد نبيي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية للبخاري: «إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا» الآية<sup>(٣)</sup>.

أخرج الطبراني عن البراء مرفوعاً: «يقال للكافر: من ربك؟ فيقول: لا أدري، فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم، فيضرب بمرزبة لو ضرب بها جبل لصار تراباً، فيسمعها كل شيء غير الثقلين وقرأ ﷺ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ الآية»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣٦٩ ومسلم رقم ٢٨٧١.

(٢) مسلم رقم ٢٨٧١ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٣) البخاري رقم ١٣٦٩.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤ / ٨٠) رقم ٣٦٦٤ وفي الصغير (١ / ٢٩٨) رقم ٤٩٥ وأخرج نحوه أحمد (٣ / ٣) رقم ١١٠١٣ عن أبي سعيد.

وفي رواية لأبي داود: «يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك؟ فيقول ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله تعالى فأمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة وألبسوه من الجنة، ويفسح له فيه مد بصره، وذكر الكافر إلى أن قال: ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، قال: فيأتيه من حرها وسمومها، قال: فيضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: «ثم يقبض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب به<sup>(٢)</sup> جبلاً لصار تراباً قال: فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير تراباً قال: ثم تعاد الروح»<sup>(٣)</sup>. وأخرجه النسائي وابن ماجه مختصراً وخرجه الإمام أحمد رضي الله عنه بسياق مطول.

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدهانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد رضي الله عنه؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار وقد أبدلك الله مقعداً من الجنة قال فيراهما جميعاً»<sup>(٤)</sup> يعني المقعدين.

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٦٥٢/٣) رقم ٤٧٥٣ وأحمد (٢٦٧/٤) رقم ١٨٥٥٧ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/٣) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) في حاشية الأصل / وصوابه بها وهو سهو منه رضي الله عنه جل من لا يسهو.

(٣) انظر تخريج الحديث السابق.

(٤) أخرجه البخاري رقم ١٣٣٨ بلفظ (ذهب) بدل (تولى) ومسلم رقم ٢٨٧٠.

قال قتادة: ذكر لنا أنه يفسح له في قبره، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، فيضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين<sup>(١)</sup> زاد أبو داود: «إن المؤمن يقال له ما كنت تعبد؟ فإن هداه الله تعالى قال: كنت أعبد الله، فيقال: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، قال: فما يسأل عن شيء غير هذا»، وزاد أيضاً فيقول: دعوني حتى أبشر أهلي فيقال له: اسكن<sup>(٢)</sup> وذكر الكافر أنه يسأل عما كان يعبد ثم عن هذا الرجل.

وفي الصحيحين عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم كسفت الشمس: «ولقد أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريب من فتنة الدجال، يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له: نم صالحاً فلقد علمنا إن كنت لموقناً، وأما المنافق المرتاب فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»<sup>(٣)</sup>.

وخرجه الإمام أحمد بلفظ: «ولقد رأيتكم تفتنون في قبوركم، يسأل الرجل ما كنت تقول وما كنت تعبد؟ فإن قال: لا أدري رأيت الناس يقولون شيئاً فقلته ويصنعون شيئاً فصنعتة، قيل له: أجل - أي نعم - على الشك عشت وعليه مت، هذا مقعدك من النار، وإن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قيل له: على اليقين عشت وعليه مت، هذا مقعدك من الجنة»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر تحريج الحديث السابق.

(٢) أبو داود (٢/ ٦٥٢) رقم ٤٧٥١.

(٣) أخرجه البخاري رقم ١٨٤ ومسلم رقم ٩٠٥.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٤) رقم ٢٧٠٣٧.

وأخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قبر الميت أو قال أحدكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول، هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين<sup>(١)</sup> ذراعاً، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي وأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التثمي عليه، فتلتم عليه حتى تختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه»<sup>(٢)</sup>.

وخرج أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجلس الرجل الصالح في قبره غير فرع ولا مشغوف<sup>(٣)</sup> ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى من عند الله فصدقنا وأمنا، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله - أي في الدنيا - فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر لما وراك الله ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى، ويجلس الرجل السوء في قبره فرعاً

(١) في حاشية الأصل / فهم حينئذ عدتهم ٤٩٠٠ .

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٨٣) رقم ١٠٧١ بزيادة لفظه (ذلك) في آخره وقال حديث أبي هريرة حسن غريب وابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٦) رقم ٣١١٧ .

(٣) كذا بالأصل، ولعل الصواب مشغوف موافقة للحديث والشعف بالعين غير معجمة أن يقع في القلب شيء فلا يذهب، والمشغوف: الذاهب القلب/ لسان العرب/ مادة: شعف .

مشغوفاً<sup>(١)</sup> فيقال له: فيم كنت فيقول: لا أدري، فيقال له: ما هذا الرجل فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجة إلى النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إنه الآن يسمع خفق نعالكم، أتاه منكر ونكير، أعينهما مثل قدور النحاس، وأنيابهما مثل صياصي البقر - أي قرونها - وأصواتهما مثل الرعد القاصف، فيجلسانه فيسألانه ما كان يعبد ومن كان نبيه؟ فإن كان ممن يعبد الله قال: كنت أعبد الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم، جاء بالبينات والهدى فآمنا واتبعنا، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَسْتَبِئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٧] فيقال له: على اليقين حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى، ثم يفتح له باب إلى الجنة ويوسع له في حفرته، وإن كان من أهل الشك قال: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيقال له: على الشك حييت وعليه مت وعليه تبعث، ثم يفتح له باب إلى النار ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفخ أحدها في الدنيا ما أنبت شيئاً تنهشه، وتؤمر الأرض فتضم عليه حتى تختلف أضلعه<sup>(٣)</sup>.

(١) كذا بالأصل والصواب (مشغوفاً).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٩ / ٦) رقم ٢٥١٣٣ وليس فيه سؤال (هل رأيت الله) وإجابته واختلاف يسير في بعض الألفاظ عن عائشة، وابن ماجه (١٤٢٦ / ٢) رقم ٤٢٦٨ باختلاف يسير عن أبي هريرة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩ / ٣) رقم ٤٢٦٥ وقال: رواه أحمد، والهندي في كنز العمال (٦٢٩ / ١٥) رقم ٤٢٤٩٦ وقال أخرجه أحمد وابن ماجه وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٤ / ٥) رقم ٤٦٢٩ وفيه لفظة (ثعابين) بدل (تنانين). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٧ / ٣) رقم ٤٢٧٦ وقال رواه الطبراني في الأوسط وقال تفرد به ابن لهيعة قلت وفيه كلام.

وأخرج الإمام أحمد عن جابر عن النبي ﷺ قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا دخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه، جاءه ملك شديد الانتهاز فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: أشهد أنه رسول الله، فيقول الملك انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجأك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة، فيراهما كلاهما<sup>(١)</sup>، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي، فيقال له: اسكن، وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: لا أدري أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة قد أبدلك الله به مقعدك من النار»<sup>(٢)</sup>.

قال جابر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج أيضاً عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ جنازة فقال ﷺ: «يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده، قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: صدقت، ثم يُفتح له باب إلى النار فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذا آمنت<sup>(٤)</sup> فهذا منزلك، فيفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن ويفسح له في قبره، وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له: ما تقول

(١) كذا بالأصل، والصواب (كليهما).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٦) رقم ١٤٧٦٤ بزيادة يسيرة واختلاف في بعض الألفاظ.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٨) رقم ٤٢٦٤ وقال رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه كلام وبقية رجاله ثقات.

(٣) انظر تخريج الحديث السابق.

(٤) في حاشية الأصل/ قوله (إذا آمنت) وصوابه (إذا آمنت) كما يدل عليه السياق بعده. فتأمل

في هذا الرجل فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيقال له : لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت به فإن الله تعالى أبدلك هذا ويفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه مقمعة بمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين، فقال بعض القوم يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هبل - أي فزع وخاف عند ذلك - فقال ﷺ : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو بكر الخلال في كتاب (السنة) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «كيف أنت يا عمر إذا كنت من الأرض في أربعة أذرع في ذراعين ورأيت منكراً ونكيراً؟ قلت يا رسول الله : وما منكر ونكير، قال : فتانا القبر، يبحثن<sup>(٢)</sup> الأرض بأنبياهما، ويطآن في أشعارهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، ومعهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطبقوا رفعها، هي أسر عليهم من عصاي هذه، قلت : يا رسول الله وأنا على حالي هذه؟ قال : نعم، فقلت : إذا لأكفيكما»<sup>(٣)</sup>.

زاد في رواية : «فامتحنك فإن التويت ضرباك بها ضربة صرت رماداً» .

قال الحافظ ابن رجب في إسناده ضعف وخرجه الاسماعيلي من وجه آخر وفيه ضعف بنحوه وزاد فيه «يأتیان الرجل في صورة قبيحة يطآن على

(١) أخرجه أحمد (٣ / ٣) رقم ١١٠١٣ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ١٦٨) رقم ٤٢٦٣ وقال رواه أحمد والبخاري وزاد (في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) ورجاله رجال الصحيح .

(٢) في حاشية الأصل / يبحثن : ينشان، قال تعالى : ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ينش . انتهى

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣ / ٥٨٢) رقم ٦٧٣٨ وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤ / ٥٠٣) وقال عنه العراقي : أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله ثقات، قال البيهقي في الاعتقاد رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلًا، قلت ووصله ابن بطة في الإبانة من حديث عبد الله بن عمر .

شعورهما ويحفران بأنيابهما».

وخرج أحمد وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر فتاني القبر فقال عمر: أترد علينا عقولنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: «نعم كهياتكم اليوم». فقال عمر: بفيه الحجر<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن بعض حفدة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن أبا موسى أوصاهم قال: إذا حفرتم فأعمقوا قعره، أما إني والله لا أقول ذلك وإني لأعلم إن كنت من أهل طاعة الله ليفسحن لي في قبري ولينور لي فيه، ثم ليفتحن لي باب مساكني في الجنة، فما أنا بمساكني من داري هذه بأعلم بمساكني منها، وليأتيني من روحها وريحها وريحانها، ولئن كنت من أهل المنزلة الأخرى ليضيق على قبري، ولتهدمن على الأرض، وليفتحن باب مساكني من النار، فما أنا بمساكني من داري هذه بأعلم مني بمساكني منها ثم ليأتيني من شررها ودخانها.

وقد روي عن مجاهد: أن الموتى يفتنون في قبورهم سبعا، فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام، وسنذكر الكلام على هذا بعد إن شاء الله تعالى.

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن بجير حدثنا بعض أصحابنا قال: مات أخ لي فرأيته في النوم فقلت له: ما كان حالك حين وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من نار، فلولا أن داع دعا لي لرأيت أنه سيضربني به.

\* \* \*

(١) أخرجه أحمد (١٧٢ / ٢) رقم ٦٦٠٣ بلفظ كهياتكم وابن حبان في صحيحه (٣٨٤ / ٧) رقم ٣١١٥ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧ / ٣) رقم ٤٢٦٢ وقال رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

## فصل

## في كلام القبر للميت عند نزوله

أخرج الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناساً كأنهم يكشرون، أي يضحكون فقال: «أما إنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى - الموت - فأكثرُوا ذكر هاذم اللذات، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا يتكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربية، أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبا وأهلاً أما إن كنت لأحب من مشى على ظهري، فإذا وُلِّيتَكَ اليوم وصرت إلي فسترى صنعي بك، فيتسع مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة، وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر قال القبر: لا مرحباً بك ولا أهلاً، أما إن كنت لأبغض من مشى على ظهري، فإذا وليتَكَ اليوم وصرت إلي فسترى صنعي بك، قال فيلثم عليه حتى يلتقي، وتختلف أضلعه، وقال ﷺ في أصابعه فأدخل بعضها في بعض، ويقبض له تسعون تيناً<sup>(١)</sup> لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبت شيئاً ما بقيت الدنيا، فتنهشه وتخدشه حتى يفضي به إلى الحساب» قال: وقال رسول الله ﷺ: «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»<sup>(٢)</sup>. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال الحافظ ابن رجب: لكن روي معناه من وجوه آخر فذكر منها عن

(١) في حاشية لأصل/ بتقديم التاء على الموحدة، وهو الحنش. انتهى.

وفيها كذلك/ التين بوزن سكين، أعظم من الحيات يوجد بأرض الحبشة. انتهى

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٩) رقم ٢٤٦٠ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ابن الحجاج السماقي قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول القبر للميت حين يوضع فيه: ويحك يا ابن آدم، ما غرك بي؟ ألم تعلم أنني بيت الفتنة، وبيت الظلمة، وبيت الوحدة، وبيت الدود، ما غرك بي إذ كنت تمر بي فداداً؟»<sup>(١)</sup> قال: فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول: رأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال: فيقول القبر: إني إذا أتحوّل عليه خضراً ويعود حره نوراً وتصعد روحه إلى الله تعالى»<sup>(٢)</sup>. خرجه ابن أبي الدنيا والحاكم، واسم الحجاج عبد الله بن عمر ويقال عبد الله بن أبي عبد قال الحاكم: أرى له صحبة.

وخرج ابن منده عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ نحوه وفيه: «إذا وضع الميت في لحده تقول الأرض: إن كنت لحبياً إلي وأنت على ظهري، فكيف إذا صرت اليوم إلى بطني، سأريك ما أصنع بك فيفسح له قبره مد بصره»<sup>(٣)</sup>. وقال عبيد بن عمير: يجعل الله للقبور لساناً ينطق به فيقول: ابن آدم كيف نسيتني؟ أما علمت أنني بيت الأكلة؟ وبيت الدود؟ وبيت الوحدة؟ وبيت الوحشة؟ وقال محمد بن السماك الواعظ: بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى: أيها المخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه، أما كان لك فينا معتبر؟ أما كان لك في تقدمنا إليك فكرة؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت

(١) يقال: رجل فداد: شديد الصوت جافي الكلام، وقد فُذِّدَ فداً وفديداً وقد فُذِّدَا اشتد وطؤه فوق الأرض مرحاً ونشاطاً، وقد الرجل: إذا مشى على الأرض كبرا وبطراً، لسان العرب/ مادة: فدد.

(٢) أخرجه الطبراني في: الكبير (٢٢ / ٣٧٧) رقم ٩٤٢ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ١٦٤) رقم ٤٢٥١ وقال رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير وفيه أبو بكر بن مريم وفيه ضعف لاختلاطه.

(٣) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (٤٢) وعزاه لابن منده.

في المهلة؟ فهلا استدركت ما فات إخوانك؟ قال: فتناديه بقاع القبر: أيها  
المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب عنك من أهلك في بطن الأرض  
ممن غرته الدنيا قبلك؟ ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولاً تهاديه  
أحبته إلى المنزل الذي لا بد منه؟

\* \* \*

## فصل

قال الحافظ ابن رجب في (أهوال القبور) وقد أطلع الله تعالى من شاء من خلقه وعباده على كثير مما ورد في هذه الأحاديث حتى سمعوه وشاهدوه عياناً، ونحن نذكر طرفاً من ذلك.

خرج ابن أبي الدنيا من طريق يزيد بن طريف قال: مات أخي فلما أُلحد وانصرف الناس وضعت رأسي على قبره، فسمعت صوتاً ضعيفاً أعرف أنه صوت أخي وهو يقول: الله، فقال الآخر: فما دينك؟ قال: الإسلام.

ومن طريق العلاء بن عبد الكريم قال: مات رجل وكان له أخ ضعيف البصر قال أخوه: فدفناه، فلما انصرف الناس وضعت رأسي على القبر فإذا أنا بصوت من داخل القبر يقول: من ربك؟ ومن نبيك؟ فسمعت صوت أخي وهو يقول: الله. قال الآخر: فما دينك؟ قال: الإسلام.

وخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب (القبور) بلفظ آخر: وهو قال: فإذا أنا بصوت من داخل القبر يقول من ربك؟ ومن نبيك؟ فسمعت أخي يقول وعرفته وعرفت صوته، قال: الله ربي، ومحمد نبيي، ثم ارتفع شبه سهم من داخل القبر إلى أذني فاقشعر جلدي وانصرفت.

وقال الضحاك: توفي أخ لي فدفن قبل أن ألحق جنازته، فأتيت قبره فاستمعت عليه فإذا هو يقول: ربي الله الإسلام ديني.

## حكاية:

خرج ابن أبي الدنيا في كتاب (القبور) عن يزيد بن حوشب قال: كنت جالساً عند يوسف بن عمر وإلى جنبه رجل كأن شق وجهه صفحة من حديد

فقال له يوسف: حدث يزيد بما رأيت قال: كنت شاباً قد أتيت هذه الفواحش فلما وقع الطاعون قلت: أخرج إلى ثغر من هذه الثغور، ثم رأيت أن أحفر القبور، فإني لليلة بين المغرب والعشاء قد حفرت قبراً وأنا متكئ على تراب آخر، إذ أقبل بجنازة رجل حتى دفن في ذلك القبر فسوين عليه، فأقبل طائران أبيضان من المغرب مثل البعيرين، حتى سقط أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، ثم أثاراه ثم تدلى أحدهما في القبر والآخر على شفيره، قال: فجئت حتى جلست على شفير القبر وكنت رجلاً لا يملأ جوفي شيء قال: فضرب بيده إلى حقه فسمعتة يقول: ألسنت الزائر لأصهارك في ثوبين ومصرين تسحبهما كبيراً تمشي الخيلاء؟ فقال: أنا أضعف من ذلك، قال: فضربه ضربة امتلأ القبر منها ماء أودهنأ، قال: ثم عاد، فعاد عليه القول مثل الأول حتى ضربه حتى فاض ثلاث ضربات كل ذلك يقول له ويذكر أن القبر يفيض ماء أودهنأ، قال: ثم رفع رأسه فنظر إليّ فقال: انظر أين هو جالس بلسه<sup>(١)</sup> الله قال: ثم ضرب جانب وجهي، فسقطت فمكثت ليلتي حتى أصبحت قال: ثم أخذت أنظر إلى القبر على حاله وأذكر جلوسي وذكر نحو هذا وشبهه.

وكذلك شوهد اتساع اللحد وانفراجه، روى ابن أبي الدنيا في كتاب (ذكر الموت) عن أبي بكر ابن أبي مريم عن الأشياخ قال: كان شيخ من بني الجرمي بالبصرة، وكان صالحاً، وكان له ابن أخ يصحب الفساق، فكان يعظه، فمات الفتى فلما أنزله عمه في قبره وسوى عليه اللبن شك في بعض أمره، فترع بعض اللبن فنظر في قبره، فإذا قبة أوسع من جبانة البصرة، وإذا هو في وسط منها، فرد عليه اللبن وسأل امرأته عن عمله فقالت: كان إذا

(١) يقال: أبلَسَ الرجل قُطْعَ به، وأبْلَسَ من رحمة الله أي يشس وندم، والإبلاس الحيرة، وأبْلَسَ الرجل إذا انقطع فلم تكن له حجة - لسان العرب/ مادة: بلس.

سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله يقول: وأنا أشهد بما شهدت وأكفيها من تولى عنها.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن حول مريض لنا إذ هدأ وسكن حتى ما يتحرك منه عرق، فسجيناها وأغمضناه وأرسلنا إلى ثيابه وسدره وسريره، فلما ذهبنا لنحمله لنغسله تحرك فقلنا: سبحان الله ما كنا نراك إلا قد مت قال: فإني قد مت وذهب بي إلى قبوري، فإذا إنسان حسن الوجه طيب الريح قد وضعني في لحدي فطواه بالقرطيس، إذ جاءت إنسانة سوداء منتنة الريح فقالت: هذا صاحب كذا وهذا صاحب كذا، أشياء والله أستحي منها كأنما أقلت عنها ساعته، قال: قلت أنشدك الله أن تدعني وهذه فقالت: انطلق نخاصمك فانطلقت إلى دار فيحاء واسعة، فيها مصطبة كأنها من فضة، وفي ناحية منها مسجد ورجل قائم يصلي، فقرأ سورة النحل فتردد في مكان منها ففتحت عليه فانفتل فقال: السورة معك؟ قلت: نعم فقال: أما إنها سورة النعم، ورفع وسادة قريبة منه فأخرج منها صحيفة، فنظر فيها فبدرته السوداء فقالت: فعل كذا وفعل كذا، قال: وجعل الحسن الوجه يقول وفعل كذا وفعل كذا وفعل كذا - يذكر محاسني - فقال الرجل: عبد ظالم لنفسه ولكن الله تجاوز عنه لم يجيء أجل هذا بعد، أجل هذا يوم الاثنين قال: فقال: انظروا فإن أنا مت يوم الاثنين فارجو لي ما رأيت، وإن لم أمت يوم الاثنين فإنما هو هذيان الوجد قال: فلما كان يوم الاثنين صح حتى بعد العصر ثم أتى أجله، وفي لفظ: فلما خرجنا من عند الرجل قلت للرجل الحسن الوجه الطيب الريح ما أنت؟ قال: أنا عمك الصالح قلت: فما الإنسانة السوداء المنتنة الريح قال: عمك الخبيث، وكلام يشبه هذا ذكره الحافظ ابن رجب في (أهوال القبور).

وقال فيه عن عمر بن مسلم عن رجل حفار القبور قال: حفرت قبرين وكنت في الثالث فاشتد علي الحر، فألقيت كسائي على ما حفرت واستظللت فيه، فبينما أنا كذلك إذ رأيت شخصين على فرسين أشهبين فوقفا على القبر الأول، فقال أحدهما لصاحبه اكتب، قال: ما أكتب؟ قال فرسخ في فرسخ، ثم تحولا إلى الآخر قال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: مد البصر، ثم تحولا إلى الآخر الذي أنا فيه قال: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: فتر في فتر<sup>(١)</sup> فقعدت انظر الجنائز، فجيء برجل معه نفر يسير، فوقفوا على القبر الأول، قلت ما هذا الرجل؟ قالوا إنسان قراب، -يعني سقاء- ذو عيال ولم يكن له شيء فجمعنا له، فقلت: ردوا الدراهم على عياله، ودفنته معهم، ثم أتني بجنازة ليس معها أحد إلا من يحملها فسألوا عن القبر، فجاءوا إلى القبر الذي قالوا مد البصر، قلت: من ذا الرجل؟ قالوا: إنسان غريب مات على مزبلة ولم يكن معه شيء، فلم آخذ منهم شيئاً وصليت عليه معهم، وقعدت أنظر الثالث، فلم أزل أنتظره إلى العشاء فأتي بجنازة امرأة لبعض القواد فسألتهم الثمن فضربوا برأسي ودفنوها فيه، فسبحان اللطيف الخبير.

### حكاية:

قلت: وقد أخبرني بعض إخواني وهو عندي غير متهم أن رجلاً من بلدهم ماتت زوجته قال: وكانت تتعاطى الربا -بالباء الموحدة- فلما كان وقت العشاء سمع زوجها صريخاً من داخل القبر، وكان جالساً في باب داره، فلما سمعها أخذته الحشومة<sup>(٢)</sup> من أجلها وكان ذا شدة وبأس، فأخذ

(١) الفتر ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة، وقيل ما بين الإبهام والسبابة، الجوهري: الفتر ما بين طرف السبابة والإبهام إذا فتحتهما، وفتر الشيء قدره، وكاله بفترة، كثيره. لسان العرب/ مادة: فتر.

(٢) الحشومة: الحياء والانقباض. لسان العرب/ مادة: حشم.

سلاحه وذهب إلى عند قبرها، فوقف عليه وقال لها: لا تخافي. فإني عندك، زعماً منه أنه سينقذها مما هي فيه لشدة عتوه وجهله، وتناول حجراً عن القبر قال: فما رفع رأسه حتى ضرب ضربة أبطلت حركته وأرخت مفاصله وأدلع لسانه، فرجع على حالة قبيحة وهيئة فضيحة، قال: فوالله لقد رأيته وهو مرخي حنكه وبصاقه ينزل على صدره، قال: وهذا خبر استفاض عند أهل البلد كلها. والله أعلم.

### حكاية في التن:

وأخبرني الشيخ التقي المتعبد، وهو غير متهم بل ثقة صدوق، أعني الشيخ صالح ابن الشيخ محمد جراح سنة سبع وثلاثين بعد المائة في شهر رجب في خلوتي بدمشق الشام في مدرسة الشيخ مراد في رحلتي في طلب العلم، كان الشيخ صالح يتردد عليّ يقرأ في علم العروض قال: أخبرني والدي الشيخ الصالح محمد جراح العجلوني قال: ذكر لي جماعة من أهل بلدة وسماها قالوا: كان عندنا هنا رجل يظن به الخير غير أنه يشرب التن، فتوفي في يوم شديد الشتاء والبرد فلم يستطيعوا أن يحفروا له قبراً من شدة الثلج، فقالوا: نضعه في خشخاشة<sup>(١)</sup> ففعلوا، فنزل عليه رجل فسواه ثم خرج، فلما كان بعد العشاء الآخرة وأراد أن ينام، تذكر أنه كان معه صرة دراهم، وظن أنها إنما وقعت في الخشخاشة، فقال لأولاده وكانوا ثلاثة أو قال اثنين: قوموا بنا إلى الخشخاشة، وذكر لهم الخبر فقالوا: غداً، نذهب إليها، فقال: بل الليلة لئلا تكون الدراهم فيها فنفضح غداً وأما الآن فإن لقينا الدراهم فيها ونعمت وإلا فلا أحد يعلم خبرنا. قال: فأخذوا ضوءاً

(١) الحَشَاء بالفتح: الأرض التي فيها رمل، وقيل طين، والخشاء أيضاً أرض فيها طين وجص، وقيل هي الأرض الخشنة الصلبة، وقيل الحَشِيُّ: أرض غليظة فيها طين وحصباء. لسان العرب/ مادة: خشش.

وذهبوا إلى المحل، ففتح الرجل على الميت فلقى القبر ملآن ناراً عليه، وإذا بالميت جالس وإذا بذكره ممدود، وإذا هو واضح رأس ذكره في فمه، ويخرج من فمه دخان متتن والقبر يضرم عليه ناراً، قال: فذهل الرجل وأولاده وصرخ بأهل بلده فأتوا إليه ونظروا حالته ولم يقدر الرجل أن يهجم على القبر لينظر الدراهم لشدة النار قال: وهذه قصة معلومة قد أخبرني والدي أنه ذكر هذا له جماعة من أهل تلك البلدة، ومن جملتهم الرجل الذي ضاعت دراهمه أو كلاماً هذا معناه. والله أعلم بحقيقة ذلك<sup>(١)</sup>.

### حكاية:

وقد سمعت أذناي ووعى قلبي وعمري إذ ذاك نحو تسع سنين صراخ ميت من خشخاشة، وذلك أنني كنت مع أجير لنا يدعى حمداً ناحية الجبانة، وكان قد دُفن رجل يقال له شحادة الهمشري في خشخاشة في طرف الجبانة، فلما دنوت من الجبانة سمعته يتضجر ويصيح، تضجر الذي

(١) في حاشية الأصل/ ورأيت بخط سيدي العارف بالله الشيخ عبد الباقي الحنبلي ما نصه: قال الوفايي عن الدخان: ما للب أهل الفجور على تعاطيه، لا يقول بحله من يخشى الله ويتقيه، وقال الشيخ محمد البيرتي رحمته الله أيضاً:

إياك من بدع تلقيك في عطب	لاسيما ما فشى في الناس من تتن
مفتر الجسم لا نفع به أبدا	بل يورث الضر والأسقام في البدن
تبا لشاربه كيف المقام على	ما ريحه يشبه السرجين في عطن
ولا يغرنك في الناس من يشربه	الناس في غفلة عن واضح السنن
يقضى على المرء في أيام محنته	حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

انتهى

وذكر الشيخ عبد الباقي أيضاً ما نصه: ذكر شيخنا اللقاني أن رجلاً كان لا ينفك عن شربه فحضرته الوفاة وأخذ في النزاع وعرضت عليه الشهاداتان، فقال: هذا دخان جيد فزدني منه إلى أن فارق الحياة، نعوذ بالله من سوء الخاتمة. انتهى كاتبه عبد السلام الشطبي الحنبلي عفى الله عنه آمين.

يضرب بالسياط وأبلغ، وسمع ذلك أجيرنا، ففزعت لذلك فرعاً شديداً، وسمع ذلك من تلك الخشخاشة جماعة في مرات متعددة، ومضى عليّ مدة طويلة لا أستطيع أن أهجم على الجبانة بسبب ذلك حتى منّ الله علي بقراءة القرآن، وذلك سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف وعمرى إذ ذاك نحو سبعة عشر، ولله الحمد.

وذكر لي رجل من أهل القرآن أنه سأل حفاراً عن أعجب ما رأى من أهوال القبور، قال: كشفت يوماً عن قبر فرأيت فيه جثة إنسان وفي وسط تلك الجثة عقرب عظيم، وإذا زبانه مثل المروء، وإذا به يضرب تلك الجثة فتنضم وتنطوي، فإذا ألقع زبانه<sup>(١)</sup> منها امتدت كما كانت، وهكذا والرجل الذي أخبرني اسمه محمد، والحفار اسمه عطاء الله، وهذا سمعته من سنة اثنين وثلاثين على جبانة، ولما رجعت من رحلتي من طلب العلم سنة تسعة وثلاثين سألت ولد عطاء الله عن ذلك فقال وأنا والله سمعت ذلك من والدي، وهذا عندي غير متهم، وهذا شيء قد عاينه الناس وتواتر وكثرت الحكايات فيه، وهو مما يجب الإيمان به ولا ينكره إلا ضال، ونعوذ بالله، والله سبحانه أعلم.

تمة: أخرج ابن أبي الدنيا في (التهجد) وابن الضير في (فضائل القرآن) وغيرهما عن عبادة ابن الصامت قال: إذا قام أحدكم من الليل فليجهر بقراءته فإنه يطرد بجهره الشياطين وفساق الجن، وإن الملائكة الذين هم في الهواء وسكان الدار يستمعون لقراءته ويصلون بصلاته، فإذا مضت هذه الليلة أوصت تلك الليلة المستأنفة فتقول، نبهيه لساعته، وكوني عليه خفيفة، فإذا حضرته الوفاة جاء القرآن فوقف عند رأسه وهم يغسلونه، فإذا

(١) زباني العقرب: قرناتها، وقيل طرف قرنها/ لسان العرب مادة: زين.

فرغ منه دخل القرآن حتى صار بين صدره وكفنه، فإذا وضع في حفرته وجاءه منكر ونكير خرج القرآن فصار بينه وبينهما، فيقولان له: إليك عنا فإننا نريد أن نسأله فيقول: واللّه ما أنا بمفارقة حتى أدخله الجنة، فإن كنتما أمرتما فيه بشيء فشانكما، ثم ينظر إليه فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا القرآن أنا الذي كنت أسهر ليلك وأظمى نهارك وأمنعك شهوتك وسمعتك وبصرتك، فستجدني من بين الأخلاء خليل صدق، ومن الإخوان أخا صدق فأبشر، فما عليك بعد مسألة منكر ونكير من هم ولا حزن، ثم يخرجان عنه، فيصعد القرآن إلى ربه تعالى فيسأله له فرشاً ودثاراً، فيؤمر له بفراش ودثار وقنديل من نور الجنة، ويأسمين من يأسمين الجنة، فيحمله ألف ملك من مقربي السماء الدنيا، فيسبقهم القرآن إليه فيقول هل استوحشت بعدي؟ مازلت منذ فارقتك على أن كلمت اللّه في فراش ودثار ومصباح، فهذا قد جئتك به فتدخل عليه الملائكة، فيحمله ويفرشونه ذلك، ويضعون الدثار تحت رجله، والياسمين عند صدره، ثم يحملونه حتى يضعونه على شقه الأيمن، ثم يصعدون عنه فيستلقي عليه، فلا يزال ينظر إلى الملائكة حتى يلجوا إلى السماء، ثم يدفع القرآن في قبلة القبر فيوسع عليه ما شاء اللّه من ذلك.

قال الجلال السيوطي في (شرح الصدور) والحافظ ابن رجب في (أهوال القبور) قال أبو عبد الرحمن المقرئ - وكان في كتاب أبي معاوية - فيوسع له أربعمائة عام، ثم يحمل الياسمين من عند صدره فيجعله عند أنفه فيشمه غصاً إلى يوم ينفخ في الصور، ثم يأتي أهله كل يوم مرة أو مرتين، فيأتيه بخبرهم ويدعو لهم بالخير والإقبال، فإن تعلم أحد من ولده القرآن بشره بذلك، وإن كان عقبه عقب سوء أتى الدار بكرة وعشياً فبكى عليه، إلى أن ينفخ في الصور.

قال الحافظ أبو عيسى المدني: هذا خبر حسن وقد رواه الإمام أحمد رضي الله عنه ، وأبو خيثمة وطبقتهما من المتقدمين عن أبي عبد الرحمن المقرئ ، هذا كلام الحافظ ابن رجب في (أهوال القبور) وقد رواه العقيلي في (الضعفاء).

قلت: ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من وجه آخر عن عبادة مرفوعاً قالاً - أعني العقيلي وابن الجوزي - ولا يصح.

وأخرج جوير في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة رجل من الأنصار، فانتهى إلى القبر ولم يلحد له، فجلس وجلس الناس وكان على رؤوسهم الطير، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره في الأرض ينكت بمخصرة معه، ثم رفع بصره إلى السماء فقال «أعوذ بالله من عذاب القبر - ثلاث مرات - ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وإدبار من الدنيا أتاه ملك الموت فجلس عند رأسه، وتهبط إليه ملائكة معهم تحفة من تحف الجنة، وحنوط من حنوط الجنة ومن كسوتها، فيجلسون منه مد البصر، سماطين فيبدأ ملك الموت فيبشره، ثم تبشره الملائكة، فتسيل نفسه كما تسيل القطرة من في السقاء، فرحاً بما بشره ملك الموت، حتى إذا أخذ نفسه لم تدعها الملائكة طرفة عين حتى يأخذوها ويحتضنوها إليهم بتلك التحف التي هبطوا بها، فإذا ريحها قد ملأ ما بين السماء والأرض، فتقول الملائكة: ما أطيب هذه الرائحة، فتقول الملائكة هذه رائحة نفس فلان، قبض اليوم، وتصلي عليه، فإذا انتهوا به إلى السماء فتحت أبواب السماء، فليس من باب إلا وهو مشتاق إليه أن يهبط منه، حتى إذا دخلوا بها من باب عمله بكى عليه الباب، فلا يمرون بها على أهل سماء إلا قالوا مرحباً بهذه النفس المطمئنة، التي قبلت وصية ربها، حتى انتهوا إلى سدرة المنتهى، فيقول ملك الموت

والملائكة الذين هبطوا إليها، يا رب قبضنا روح فلان بن فلان المؤمن، وهو أعلم منهم بذلك، فيقول الله رده إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فإنه يسمع خفق نعالكم ونفض أيديكم إذا وليتم عنه مدبرين، فتأتيه أملاك ثلاثة، ملكان من ملائكة الرحمة، وملك من ملائكة العذاب، وقد اكتنفه عمله الصالح، والصلاة عند رجله، والصيام عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصدقة عن يساره، والبر وحسن الخلق على صدره، فكل ما أتاه ملك العذاب من ناحية ذب عنه عمله الصالح، فيقوم بمرزبة لو اجتمع أهل منى لم يقلوها فيقول: أيها العبد الصالح لولا ما اكتنفتك من الصلاة والصوم والزكاة والصدقة لضربتك بهذه المرزبة ضربة يشتعل قبرك منها ناراً، فهو لكما وأنتما له، ثم يصعد ملك العذاب، فيقول أحدهما لصاحبه: ارفق بولي الله فإنه جاء من هول شديد، فيقول: من ربك؟ فيقول: الله، فيقول: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام، فيقول: من نبيك؟ قال: محمد، فيقولان وما يدريك؟ قال: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت، ويتهرانه عندها، وهي أشد فتنة تعرض على المؤمن، فينادي من السماء قد صدق عبدي فافرشوه من الجنة واكسوه من كسوتها وطيبوه من طيبها، وافسحوا له في قبره مد البصر، وافتحوا له باباً من الجنة عند رأسه، وباباً عند رجله - أي من الجنة -، ثم يقولان له: نم نومة العروس في حجلتها<sup>(١)</sup> لم يذق عذاب القبر، فهو يقول: رب أقم الساعة لكي أرجع إلى أهلي ومالي وما أعددت لي فيبعث من قبره مبيض الوجه<sup>(٢)</sup>.

قوله في الحديث ينكت بمشاة آخره أي يبعث، والمخصرة ما

(١) حجلة العروس: بيت يزين بالثياب والأسرة والستور. لسان العرب مادة حجل.

(٢) ذكره السيوطي في شرح الصدور (٥١) وجويز هذا ضعيف كما ذكر السيوطي.

اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوه والحجلة بفتح المهملة والجيم البشخانه ذكره السيوطي .

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن مسعود قال : إن أحدكم إذا مات ليجلس في قبره إجلالاً فيقال : ما أنت؟ فإن كان مؤمناً قال : أنا عبد الله حياً وميتاً، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيفسح له في قبره ما شاء الله، فيرى مكانه من الجنة، وينزل عليه كسوة يلبسها من الجنة وأما الكافر فيقال له : ما أنت؟ فيقول : لا أدري فيقال : لا دريت، ثلاثاً، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلعه، ويرسل عليه حيات من جوانب قبره تنهشه وتأكله، فإذا جزع فصاح قمع بقمع من نار أو حديد، ويفتح له باب إلى النار .

وأخرج الآجري في الشريعة عن ابن مسعود أيضاً رضي الله عنه قال : إذا توفي العبد بعث الله إليه ملائكة فيقبضون روحه في أثوابه، فإذا وضع في قبره بعث الله إليه ملكين ينتهرانه، فيقولان له من ربك؟ قال : ربي الله قالوا : ما دينك؟ قال : ديني الإسلام قالوا : من نبيك؟ قال : نبيي محمد . قالوا : صدقت كذلك كنت، أفرشوه من الجنة وألبسوه منها وأروه مقعده منها، وأما الكافر فيضرب ضربة يلتهب قبره منها ناراً، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلعه، وتبعث عليه حيات من حيات القبر كأعناق الإبل .

وأخرج هناد في (الزهد) وابن أبي شيبة وجرير وابن المنذر وابن حبان في صحيحه والطبراني في الأوسط وابن مردويه والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الذي نفسي بيده إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإذا كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شماله، وفعل الخيرات

والمعروف والإحسان إلى الناس من قبل رجله، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ليس قبلي مدخل، فيؤتى من قبل يمينه فتقول الزكاة ليس قبلي مدخل، ويؤتى من شماله فيقول الصوم ليس قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجله فيقول فعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس ليس قبلي مدخل، فيقال له: اجلس، فيجلس وقد مثلت له الشمس قد قربت للغروب فيقال له: أخبرنا عما نسألك، فيقول دعني حتى أصلي فيقال: إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك، فيقول: عما تسألوني؟ فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم؟ يعني النبي ﷺ فيقول: أشهد أنه رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند ربنا فصدقنا واتبعنا، فيقال له: صدقت على هذا حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، ويفسح له في قبره مد بصره، وذلك قول الله ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، ويقال: افتحوا له باباً إلى النار، فيفتح له باب إلى النار فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، فيزداد غبطة وسروراً، ويقال افتحوا له باباً إلى الجنة، فيفتح له فيقال: هذا منزلك وما أعد الله لك، فيزداد غبطة وسروراً، فيعاد الجسد إلى ما بدا منه التراب، وتجعل روحه في النسم الطيب، وهي طير خضر تعلق في شجر الجنة.

وأما الكافر فيؤتى في قبره من قبل رأسه فلا يوجد شيء، فيؤتى من قبل رجله فلا يوجد شيء، فيجلس خائفاً مرعوباً، فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به؟ فلا يهتدي لاسمه - بهمزه الوصل. انتهى - فيقال: محمد ﷺ فيقول: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت كما قالوا، فيقال له: كذبت، على هذا حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلعه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]. فيقال: افتحوا

له باب إلى الجنة، فيفتح له باباً إلى الجنة فيقال: هذا كان منزلك وما أعد الله لك لو كنت أطعته، فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يقال افتحوا له باباً إلى النار، فيفتح له باب إليها، فيقال هذا منزلك وما أعد الله لك، فيزداد حسرة وثبوراً<sup>(١)</sup>.

قال أبو عمرو الضرير، قلت لحمد بن سلمة كان هذا من أهل القبلة؟ قال: نعم، قال أبو عمرو: وكأنه يشهد بهذه الشهادة على غير يقين يرجع إلى قلبه، كان يسمع الناس يقولون شيئاً فيقول.

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءت يهودية فاستطعمت<sup>(٢)</sup> على بابي فقالت: أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، فلم أزل أحبسها حتى أتى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ما تقول في هذه اليهودية؟ قال: ما تقول؟ قلت: تقول أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت عائشة: فقال رسول الله ﷺ: «فرع يديه مدأ، يستعيد بالله من فتنة الدجال، ومن فتنة عذاب القبر، ثم قال: أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا حذر أمته وسأحذر كموه بحديث لم يحذره نبي أمته، إنه أعور والله ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، فأما فتنة القبر في تفتنون وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشغوف<sup>(٣)</sup> ثم

(١) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٢٠٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٥٦) رقم ١٢٠٦٢، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٠) رقم ٣١١٣ والطبراني في الأوسط (٣/ ١٠٥) رقم ٢٦٣٠، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٤) رقم ٤٢٦٩ وقال رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(٢) في حاشية الأصل/ أي طلبت طعاماً. انتهى

(٣) كذا بالأصل وفي الحديث (مشغوف).

يقال له: فيم كنت؟ فيقول في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك، ويقال على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، وإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فرعاً مشغوفاً<sup>(١)</sup> فيقال له فيم كنت فيقول لا أدري، فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا، فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ويقال له: هذا مقعدك منها، على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ثم يعذب<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الحكيم في نوادره عن سفيان الثوري قال: إذا سئل الميت من ربك؟ تراءى له الشيطان في صورة فيشير إلى نفسه إني أنا ربك، قال الحكيم: ويؤيده قوله ﷺ عند دفن الميت: «اللهم أجره من الشيطان» كما تقدم، فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما دعا ﷺ بذلك.

وأخرج ابن شاهين في (السنة) عن راشد قال: كان النبي ﷺ يقول: «تعلموا حجتكم فإنكم مسؤولون، حتى إن كان أهل البيت من الأنصار يحضر الرجل الموت فيوصونه والغلام إذا عقل فيقولون له: إذا سألك من ربك فقل: الله ربي، وما دينك؟ فقل: الإسلام ديني، ومن

(١) كذا بالأصل وفي الحديث (مشغوف).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦ / ١٣٩) رقم ٢٥١٣٣ وذكره الهيثمي (٣ / ١٦٩) رقم ٤٢٦٥ وقال: رواه أحمد.

نبيك؟ فقلت: محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

### حكاية لطيفة:

وأخرج السلفي في (الطيوريات) عن سهل بن عمار قال: رأيت يزيد ابن هارون في المنام بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أتاني في قبري ملكان فظان غليظان فقالا: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فأخذت بلحيتي البيضاء وقلت لمثلي يقال له هذا، وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة؟ وقالوا: أكتبت عن حريز بن عثمان قلت: نعم قالوا: إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله، وأخرجه اللالكائي بدون زيادة «أكتبت» إلخ. وبدل ثمانين سنة ستين سنة. وزاد: فقال أحدهما صدق نم نومة العروس، فلا روعة عليك بعد اليوم.

### حكاية لطيفة

وأخرج اللالكائي في (السنة) عن محمد بن نصر الصايغ قال: كان أبي مولعاً في الصلاة على الجنائز، من عرف ومن لم يعرف، فقال: يا بني حضرت يوماً جنازة فلما دفنوها نزل إلى القبر نفسان، ثم خرج واحد وبقي الآخر وحثا الناس التراب، فقلت: يا قوم يُدفن حي مع ميت؟ فقالوا: ما ثم أحد، فقلت: لعله شبه لي، ثم رجعت فقلت ما رأيت إلا اثنين خرج واحد وبقي الآخر، لا أبرح حتى يكشف الله لي ما رأيت، فجئت إلى القبر فقرأت عشر مرات يس وتبارك وبكيت، فقلت: يا رب اكشف لي عما رأيت فإنني خائف على عقلي وديني، فانشق القبر وخرج منه شخص فولى مبادراً، فقلت: يا هذا بمعبودك إلا وقفت حتى أسألك، فلم يلتفت إليّ،

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٨/٥) وعزاه لابن شاهين في السنة.

فقلت له الثانية والثالثة فالتفت وقال: أنت نصر الصائغ؟ قلت: نعم قال:  
هل تعرفني؟ قلت: لا، قال: نحن ملكان من ملائكة الرحمة وكلنا بأهل  
السنة إذا وضعوا في قبورهم نزلنا حتى نلقنهم الحجة وغاب عني.

\* \* \*

## فصل

واعلم أن القبر أو منازل الآخرة كما أخرج ابن ماجه عن سيدنا عثمان رضي الله عنه أنه كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبيل لحيته ف قيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي إذا ذكر القبر؟ قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منها فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»<sup>(١)</sup>.

وقال رضي الله عنه : «ما رأيت قط منظراً إلا والقبر أفظع منه»<sup>(٢)</sup>. وأخرجه الترمذي وزاد رزين وسمعت عثمان ينشد على قبر :

فإن ينج منها ينج من ذي عزيمة وإلا فإني لا أخالك ناجيا  
قلت : وأنكر الحافظ هذه الزيادة، وقال بعضهم ليست هذه الزيادة في الترمذي، والله أعلم.

قال القرطبي : القبر واحد القبور في الكثرة، وأقبر في القلة، ويقال للمدفن مقبر. قال الشاعر :

لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٦) رقم ٤٢٦٧ والترمذي (٤/ ٥٥٣) رقم ٢٣٠٨ وقال هذا حديث حسن غريب.

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

## مطلب

## أول من سن القبر

قال: واختلف في أول من سن القبر فقيل: الغراب لما قتل قابيل هابيل، وقيل: بنو إسرائيل، وليس بشيء، وقد قيل إن قابيل كان يعلم الدفن ولكن ترك أخاه استخفافاً به فبعث الله غراباً يبحث في الأرض، يعني يبحث التراب على هابيل ليدفنه، كذا في (التذكرة) فقال عند ذلك ﴿يَوَيْلَىٰٓ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةً أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] حيث رأى كرامة الله لهابيل بأن قيض الغراب حتى واره، ولم يكن ذلك ندم توبة، وقيل ندمه إنما كان على فقدته لا على قتله، وقيل على عدم معرفته الدفن، فقد قال ابن عباس: عليه السلام لو كان ندمه على قتله لكان ندمه توبة، ويقال إنه لما قتله قعد يبكي عند رأسه إذ أقبل غرابان فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه، ففعل قابيل بأخيه كذلك، فكان ندمه لعدم هدايته أن يفعل كما فعل الغراب، فكان الدفن سنة في بني آدم، وفي التنزيل ﴿ثُمَّ أَنَا أَنَّهُ فَأَقْرُبُ﴾ [عبس: ٢١] أي جعل له قبراً يوارى فيه إكراماً له، ولم يجعل مما يلقي على وجه الأرض تأكله الطير والعواقي، قاله الفراء.

فائدة: الأفضل في القبر أن يكون مسنماً، وأن يرفع قدر شبر إلا بدار حرب فالأولى تسويته بالأرض وإخفاؤه، ولا يجصص القبر ولا يزوق ولا يُخَلَّق - أي يبخر - ولا يُقْبَل، فقد روى مسلم عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم رقم ٩٧٠.

وأخرج الترمذي عنه «نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ»<sup>(١)</sup> وقال: حديث حسن صحيح.

قلت: وجزم الإقناع بكراهة تجصيص القبور وأما شيخ الإسلام وتلميذه المحقق فشنا الغارة على فاعل ذلك، قال في (التذكرة): لأن ذلك من المباهاة فيه، وزينة الحياة الدنيا وهو من منازل الآخرة وليس بموضع المباهاة، وإنما يزين الميت في قبره عمله (وقد قلت في ذلك نظماً):

ولرب قبر في القبور منقشاً      سطحاً وجوف القبر شعلة نار  
ما النقش يغني ظالماً عن ظلمه      كلا ولا التزويق يرضي الباري  
ما زينة الأموات في جدث سوى      فعل الجميل وصحبة الأخيار  
وفي صحيح مسلم عن علي كرم الله وجهه «لا تدع تمثالاً إلا طمسته  
ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»<sup>(٢)</sup>.

وإنما قالت العلماء يسنم القبر ليعرف فيحترم، لا أنه يتخذ معبداً، فيمنع من الارتفاع الكثير الذي كانت الجاهلية تفعله، فإنها كانت تعلي عليها وتبني فوقها تفخيماً وتعظيماً، ومن ثم شدد النكير على فعل ذلك الإمام المحقق غاية التشديد، وقال: إن فاعل ذلك من إخوان الكفار عبدة الأحجار، ذكره في المجلد الثاني من (الهدى) وما أحسن قول القائل:

أرى أهل القصور إذا أميتوا      يبنوا في المقابر بالصخور  
أبوا إلا مباهاة وفخراً      على الفقراء حتى في القبور  
لعمرك لو كشفت التراب عنهم      لما تدري الغني من الفقير  
ولا الجلد المباشر ثوب صوف      من الجلد المباشر للحريز

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٦٨) رقم ١٠٥٢ عن جابر وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٩٦٩.

إذا أكل الثرى هذا وهذا فما فضل الغني على الفقير  
يا هذا أين الذي جمعته من المال؟ وأعدته للشدائد والأهوال؟ لقد  
أصبحت كفك منه صفرأ، وبدلت من بعد غناك فقرا، فكيف أصبحت يا  
رهين أوزاره؟ ويا من سلب من ماله وداره، ما كان أخفى عليك سبيل  
الرشاد، وأقل اهتمامك بحمل الزاد، فيا من غره طول الأمل، أما تفكرت  
فيمن قبلك عن أهله قد ارتحل؟ ويا من غره طول العمر، أفلا يتفكر في حاله  
وهو في القبر، ويا من أعجبه شرفات قصره، أما يتأمل في ظلمات قبره،  
ويا من اغتر بإخوانه ونجدته، ألا يتذكر حاله في وحدته، أنسي ما صار إليه  
إخوانه، أم لم يعتبر فيما سار إليه أقرانه.

أما سمع قول الرسول لمن في فعل الخير جدوا، وقد جلس على  
قبر: يا إخواني لمثل هذا فاعدوا، أو ما سمع قول ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾  
﴿وَكَزَوْدُوا فَإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾ وما أحسن قول القائل:

تزود من معاشك للمعاد      وقم لله واعمل خير زاد  
ولا تجمع من الدنيا كثيراً      فإن المال يجمع للنفاد  
أترضى أن تكون رفيق قوم      لهم زاد وأنت بغير زاد  
وقول الآخر:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى      ولاقيت بعد الموت من قد تزودا  
ندمت على أن لا تكون كمثلته      وإنك لم ترصد كما كان أرصدا  
وقول الآخر:

الموت بحر طافح موجه      تذهب فيه حيلة السابح  
يا نفس إنني قائل فاسمعي      مقالة من مشفق ناصح

لا ينفع الإنسان في قبره غير التقى والعمل الصالح<sup>(١)</sup>

وقلت:

نزود في حياتك للمآل ولا تركن لدنيانا وسافر  
وقم بالذل في غسق الليالي ولا تدع الدعاء سراً وجهراً  
لدار الخلد واقصد ذا الجلال وإن لم تجتن الخيرات فيها  
وتقوى الله تظفر بالنوال فترحل من وبال إلى وبال

فوائد: الأولى قال القرطبي: جاء في رواية سؤال ملكين وفي أخرى سؤال ملك واحد، ولا تعارض، بل ذلك بالنسبة إلى الأشخاص، فرب شخص يأتيه اثنان معاً فيسألانه معاً عند انصراف الناس، ليكون أهول في حقه وأشد بحسب ما اقترف من الآثام، وآخر يأتيه قبل انصراف الناس عنه تخفيفاً عليه لحصول أنسه بهم، وآخر يأتيه ملك واحد، فيكون أخف عليه

(١) في حاشية الأصل/ أقول: ذكر سيدي الشيخ محي الدين بن العربي في كتابه (الفتوحات المكية) في آخر المجلد الرابع ما نصه: ورأيت مكتوباً على قبر أم ابن السبكي وكان ابنها من أصدقائي وقد علاه وشيده، وأنفق على بنائه مالا كثيراً، فكتب شخص من أصحابنا أبياتاً عليه لبعضهم يخبر عن صورة الحال وهي:

أرى أهل القبور إذا توفوا بنوا تلك المقابر بالصخور  
أبوا إلا مباحة وفخرا على الفقراء حتى في القبور  
فإن يكن التفاضل في ذراها فإن العدل فيها في الشبور  
لعمر أبيهم لو أبرزوهم لما علموا الغني من الفقير  
ولا عرفوا العبيد من الموالي ولا عرفوا الإناث من الذكور  
ولا البدن الملبس ثوب صوف ولا البدن المنعم في الحرير  
إذا مات هذا ثم هذا فما فضل الغنى على الفقير

كتبه الحقير عبد السلام الشطي الحنبلي عفى الله عنه.  
قلت: كتاب الفتوحات المكية لابن عربي فيه الكثير من الأخطاء العقديّة، وينبغي التفريق بين ابن عربي صاحب الفتوحات، وابن العربي الفقيه المالكي المعروف وصاحب كتاب أحكام القرآن وغيره من الكتب.

وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح، قال: ويحتمل أن يأتي اثنان ويكون السائل أحدهما وإن اشتركا في الإتيان، فتحمل رواية الواحد على هذا، قال السيوطي في (أهوال القبور)، قلت: وهذا الثاني هو الصواب، فإن ذكر الملكين هو الموجود في غالب الأحاديث.

**الثانية:** قال القرطبي اختلفت الأحاديث في كيفية السؤال والجواب، وذلك بحسب الأشخاص أيضاً، فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته، ومنهم من يسأل عن كلها، ويحتمل أن يكون الاختصار على البعض من بعض الرواة وأتى به غيره تاماً، قال السيوطي قلت: والثاني هو الصواب لاتفاق أكثر الأحاديث عليه، نعم يؤخذ منها خصوصاً من رواية أبي داود عن أنس «فما يسأل عن شيء بعدها» ولفظ ابن مردويه «فما يسأل عن شيء غيرها» أنه لا يسأل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة، وصرح به في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم، قيل لعكرمة ما هو؟ قال: يسألون عن الإيمان بمحمد وأمر التوحيد.

**الثالثة:** قال السيوطي: ورد في رواية أنس أنه يسأل في المجلس الواحد ثلاث مرات، وباقي الروايات ساكتة عن ذلك، فتحمل على ذلك، أو يختلف الحال بالنسبة إلى الأشخاص، وعن طاوس أن الموتى يسألون سبعة أيام، قلت وقد قدمنا عن مجاهد أن الموتى يفتنون في قبورهم سبعة، وأنهم كانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام.

قلت: قد أشار إلى هذا الحافظ جلال الدين السيوطي في منظومته الموسومة «بالثبوت عند التثبيت» حيث قال:

يكرر السؤال للأنام      فيما رووا في سبعة أيام  
كذا رواه أحمد بن حنبل      في الزهد عن طاوس الحبر العلي

وبعدده أبو نعيم خرجه  
 إسناده قد صح وهو مرسل  
 وحكمه الرفع كما قد قالوا  
 فليس للقياس في ذى الباب  
 وإنما التسليم فيه اللائق  
 وفيه أن قد كانت الصحابا  
 في طول تلك السبعة الأيام  
 ومل هذا جاء عن مجاهد  
 وعنه أيضاً تمكث الأرواح في  
 روى الجميع في القبور ابن رجب  
 وعن عبيد ابن عمير وردا  
 بأنه يفتن سبعاً مؤمن

فأفادنا أن المؤمن يفتن سبعة أيام، وأن المنافق يفتن أربعين يوماً،  
 فنسأل الله أن يثبتنا عند السؤال بسر لا إله إلا الله الواحد المتعال.

الرابعة: قال القاضي الباقلاني: إن من لم يدفن ممن بقي على وجه  
 الأرض يقع لهم السؤال والعذاب، ويحجب الله أبصار المكلفين عن رؤية  
 ذلك كما حجبتها عن رؤية الملائكة والشياطين، قال بعضهم: وترد الحياة  
 إلى المصلوب ونحن لا نشعر به، كما أنا نحسب المغمي عليه ميتاً،  
 وكذلك يضيق عليه الجو كضمة القبر، ولا يستكثر شيئاً من ذلك من خالط  
 الإيمان قلبه، وكذلك من تفرقت أجزاءه، يخلق الله في بعضها أو كلها  
 ويوجه السؤال عليه، قاله بعضهم.

قلت: وفي (الروح) للإمام المحقق، ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب  
 القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيب منه

قبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً، ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل من القبر، انتهى.

قال بعضهم: وليس هذا بأبعد من الذر الذي أخرجه الله تعالى من صلب آدم، وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ قلت: لا شيء من هذا يبعيد إذ هو الفعال لما يريد، والخلق خلقه والملك ملكه، وأين الفرار من يدي الاقتدار والله الفاعل المختار.

الخامسة: قال ابن عبد البر: لا يكون السؤال إلا لمؤمن أو منافق كان منسوباً إلى دين الإسلام بظاهر الشهادة، بخلاف الكافر فلا يسأل، وخالفه الإمام المحقق في (الروح) فقال: القرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول، وإن السؤال للكافر والمسلم، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وقد ثبت في الصحيح أنها نزلت في عذاب القبر<sup>(١)</sup> حين يسأل من ربك وما دينك ومن نبيك؟.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن العبد إذا وضع في قبره» وذكر الحديث الذي ذكرناه سابقاً وفيه: «وأما المنافق والكافر<sup>(٢)</sup> فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»<sup>(٣)</sup>.

(١) سبق ص ١٤٥ .

(٢) في حاشية الأصل/ كذا في الصحيحين بالواو: وأما المنافق والكافر، فجمع بين المنافق والكافر، وأما قوله: واسم الفاجر هذا في حديث آخر، أما المنافق والفاجر، فاحفظ ولا تخلط والله الموفق.

(٣) سبق ص ١٤٦ .

هكذا في البخاري واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعاً لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَعِيرٍ﴾ [المطففين: ٧] هذا كلامه، ونحوه في (العاقبة) للمحافظ عبد الحق الإشبيلي، وصوب هذا القول القرطبي في (التذكرة)، وأنكر ذلك الجلال السيوطي وقال: ما قالاه يعني المحقق والقرطبي ممنوع، فإنه لم يجمع بينهما يعني الكفر والمنافق في شيء من الأحاديث، وإنما ورد في بعضها ذكر المنافق وفي بعضها بدله الكافر، وهو محمول على أن المراد به المنافق، بدليل قوله في حديث أسماء «وأما المنافق أو المرتاب» ولم يذكر الكافر كذا قال، ولا يخفى أن حديث أنس مصرح بالجمع بين الكافر والمنافق كما قدمناه، وقد أشار الجلال السيوطي إلى هذا الخلاف في أرجوزته بقوله:

قال ابن عبد البر فيما نقلوا الكافر الصريح ليس يسأل  
وإنما السؤال للمنافق منهم كما دل حديث الصادق  
والقرطبي خالف وابن القيم والأول الأرجح عندي فافهم

قلت: وأنا أقول الثاني أرجح تبعاً للأعلام والله ولي الإنعام.

السادسة: اختلف العلماء هل السؤال خاص بهذه الأمة المعظمة أم هو عام؟ على ثلاثة أقوال، خاص وعليه الحكيم الترمذي، وعام وعليه المحقق والإشبيلي في (العاقبة) والقرطبي في (التذكرة)، الوقف وعليه ابن عبد البر، وأشار السيوطي لهذا الخلاف في الأرجوزة مرجحاً للخصوص في قوله:

خص نبي الله فيما قد ذكر بأنه يسأل عنه من قبر  
ولم يكن ذا لنبي قبله أبان رب العرش فيه فضله  
ولم يكن لأمة من الأمم من قبلنا قط سؤال لملتزم  
نص على ذلك كبيراً القدر الترمذي وابن عبد البر  
وآخرون عمموه في الأمم وبعض أهل العلم نحو الوقف أم

قال إمام المحققين في كتاب (الروح) بعد أن ذكر الأقوال: والظاهر والله أعلم أن كل نبي مع أمته كذلك، أي كنبينا مع أمته وأنهم معذبون في قبورهم بعد السؤال وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة، واستدل الحكيم الترمذي على عدم السؤال أن الأمم قبل هذه الأمة كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمداً بالرحمة أمسك عنهم العذاب، وأعطى السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ الإيمان في قلبه، فمن هنا ظهر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان، وكانوا بين المؤمنين في ستر، فلما ماتوا قبض الله لهم فتانى القبر ليستخرج أمرهم بالسؤال، وليميز الخبيث من الطيب.

قلت: وما ذكره مردود من وجهين:

**الأول:** أن دعوى أن الرسل لم يكونوا يقاتلون، وأنهم كانوا يأتون قومهم بالرسالة فإن أبوا كفوا عنهم غير مسلم، إذ من المعلوم أن الرسل كانت تقاتل على إعلاء كلمة الله، وقد أخبر الله بذلك في كتاب في قصة طالوت، أخبر النبي أنه أحلت له الغنائم ولم تحل للأنبياء قبله<sup>(١)</sup> وإنما كانت تأكلها النار، فهل الغنائم إلا من قتال الكفار؟ وأخبر الله في سورة المائدة أن سيدنا موسى غزا العمالقة، وفي الخبر أنه غزاهم وكان فيهم بلعام ابن باعوراء الذي أنزل فيه سبحانه: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِيسِ﴾ [الأعراف: ١٧٥] وقصته مشهورة، وهذه أخبار الإسكندر طافحة وقاتله الملوك والقبائل، فعلى القول بنبوته ففيه دليل لما ادعينا، وفي التواريخ أن أول من قاتل لإعلاء

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٣٥ ومسلم رقم ٥٢١ .

كلمة الله سيدنا شيث عليه السلام قاتل أخاه قابيل وذريته لكفرهم والحاصل أن القول بأن الرسل لم تكن تقاتل لإعلاء كلمة الله مردود، وهذا من فضل رب العالمين على هذا العبد المسكين في الاستدلال لهذه المسألة، ولم أر من استدل بذلك لها، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

**الوجه الثاني:** قد مر في حديث عائشة الصحيح في قصة اليهودية<sup>(١)</sup> ما يرد دعوى الترمذي وأيضاً في حديث أنس الصحيح قال «مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط لبني النجار فسمع صوتاً من قبر فقال: متى مات صاحب هذا القبر؟ قالوا: مات في الجاهلية قال: لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر»<sup>(٢)</sup> والذي يظهر أن عذاب القبر إنما يكون بعد السؤال، والله الموفق .

**السابعة:** قال الحكيم إنما سميا فتاني القبر لأن في سؤالهما انتهاراً، وفي خلقهما صعوبة، وسميا منكرأ ونكيراً لأن خلقهما لا يشبه خلق آدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع، وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما، جعلهما الله تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصره، وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث، قال السيوطي: وهذا يدل على أن الاسم منكر بفتح الكاف وهو المجزوم به في القاموس .

قال: وذكر ابن يونس من أصحابنا الشافعية أن اسم ملكي المؤمن

(١) سبق ص ١٦٨ .

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٣) رقم ١٢٠٢٦ واللفظ له والنسائي في سننه (٤/ ١٠٢) رقم ٢٠٥٨ وأخرجه مسلم في حديث طويل رقم ٢٨٦٧ .

مبشر وبشير. قلت: وهذا يحتاج إلى دليل ماثور، وإلا فالأحاديث ليس فيها سوى منكر ونكير، وقد أشار السيوطي لهذا في قوله:

وضبط منكر بفتح الكاف      فليست أدري فيه من خلاف  
وذكر ابن يونس من صحبنا      أن الذين يأتیان المؤمنا  
اسمهما البشير والمبشر      ولم أقف في ذا على ما يؤثر  
قلت: وحيث لم يوجد له دليل فلا له إلا الرد يا نبيل<sup>(١)</sup>:

الثامنة: قال القرطبي: إن قيل: كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الأماكن المتباعدة في الوقت الواحد؟

فالجواب: أن عظم خلقهما يقتضي ذلك، فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة، بحيث يخيل لكل واحد من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه، ويمنعه الله من سماع جواب بقية الموتى.

وقال السيوطي: ويحتمل تعدد الملائكة لذلك كما في الحفظة ونحوهم، وذهب إليه الحلبي من الشافعية وألم به الجلال السيوطي في الأرجوزة حيث قال:

ويسألان كل أهل الأرض      كحال عزرائيل عند القبض  
هذا الذي نص عليه القرطبي      وهو الذي اختاره واجتبي

(١) في حاشية الأصل/ يقول الفقير عبد السلام بن عبد الرحمن الشطي الحنبلي: قد قرأت هذا الكتاب العذب المستطاب من أوله إلى هنا قراءة إتقان، بتأمل وإمعان، على شيخنا العالم العامل، والمرشد الكامل، سيدي الشيخ عبد الرحمن الشهير بالحفار، عليه رحمة الرحيم الغفار، وذلك في مجالس عديدة في جامع بني أمية، في سنة ست وسبعين ومائتين وألف من هجرة خير البرية، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه في كل بكرة وعشية، آمين آمين آمين.

واختار في منهاجه الحليني      تعداد هذا الملك الكريم  
وقال بل ملائك السؤال      جماعة ككاتبي الأعمال  
فبعضهم بمنكر يسمى      وبعضهم له النكير وسما  
فيرسل الله لكل ميت      اثنين منهم بعثا للفتنة

التاسعة: اختلفت الأحاديث في قدر سعة القبر للمؤمن، ولا تعارض، فإن ذلك يتفاوت بحسب الأشخاص لتفاضل الأعمال.

العاشرة: في أسئلة تتعلق بهذا الباب، سئلتها الحافظ العسقلاني رحمته الله، سئل عن الميت إذا سئل هل يسأل قاعداً أو يسأل وهو راقداً؟ فأجاب: يقعد ويسأل، وسئل عن الروح هل تلبس حينئذ الجثة كما كانت؟ فأجاب: نعم، لكن ظاهر الخبر أنها تحل في نصفه الأعلى، وسئل هل يكشف له حتى يرى النبي صلى الله عليه وآله؟ فأجاب: إنه لم يرد في حديث وإنما ادعاه من لا يحتاج به لغير مستند سوى قوله في هذا الرجل، ولا حجة فيه، لأن الإشارة إلى الحاضر في الذهن، وقد ألم بهذا السيوطي في الأرجوزة فقال:

ومن يقل بتمثل النبي      قال عياض ما هو المرضي  
وهكذا أجاب فيه ابن حجر      وقال لا أصل لهذا في الأثر

وسئل أعني الحافظ ابن حجر عن الأطفال هل يسألون؟ فأجاب بأن الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفاً.

قلت: وذكر المحقق في (الروح) قولين وذكر أدلتها ولم يرجح منهما شيئاً، غير أنه قدم قول من قال إنهم يسألون، وهو مقتضى ما ذهب إليه أصحابنا أعزهم الله.

قال في (الإقناع) وهل يلحق غير المكلف؟ مبني على نزول الملكين إليه، والمرجح النزول، وصححه الشيخ يعني شيخ الإسلام ابن تيمية قدس

اللَّهُ روحه، قال ابن عبدوس من أصحابنا يسأل الأطفال عن الإقرار الأول حين الذرية، والكبار يسألون عن معتقدهم في الدنيا وإقرارهم الأول، وقد حكى السيوطي الخلاف في ذلك بقوله في الأرجوزة:

الخامس الأطفال دون الحنث في	أرجح قولهم وجزم النسفي
وذاك مقتضى كلام النووي	وابن الصلاح لا يلحق الصبي
فالزركشي أضحى له معللاً	بأنه في قبره لا يسألاً
وقيل إن كل طفل يسأل	ويحصل العقل لهم ويكمل
والله يلهم الجواب عما	قد عاهدوا الذر عليه قدما
قد قاله الضحاك ذو الأحرار	وهو الذي أفتى به البزازي
والقرطبي والفاكهاني جزماً	به وجمع من كبار العلما
وصرح ابن يونس من صحبنا	بأنه يندب أن يلقنا
قال وفي تنمة قديما	قد لحن النبي إبراهيمما
كذاك في تعليقه القاضي حكى	وفي النظامي وهو لابن فورك
واستغرب السبكي هذا الأثرا	فما له في كتبه أصل يرى

وصوب السيوطي في (شرح الصدور) عدم السؤال، والله أعلم.

الحادية عشر: في روض الرياحين لليافعي عن شقيق البلخي أنه قال: طلبنا خمساً فوجدناها في خمس: طلبنا ترك الذنوب فوجدناها في صلاة الضحى، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل، وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن، وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة.

الثانية عشر: أخرج الأصبهاني في (الترغيب) من طريق ابن هديبة عن

أنس مرفوعاً: «من فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكران»<sup>(١)</sup> وأخرجه أبو الفضل الطوسي في عيون الأخبار من طريق ابن هدة عن أنس وفيه فإنه يعاين ملك الموت سكران ويعاني منكرأً ونكيرأً سكران.

الثالثة عشر: ذكر السيوطي أنه وقع في فتاوى شيخه علم الدين البلقيني أن الميت يجيب السؤال بالسريانية قال: ولم أقف لذلك على مستند، هذا كلامه في شرح الصدور وقال في أرجوزته رَحِمَهُ اللهُ:

ومن غريب ما ترى العينان أن سؤال القبر بالسرياني  
أفتى بهذا شيخنا البلقيني ولم أره لغيره بعيني

قال بعضهم: وعلى تقدير صحة ذلك فكيفية السؤال، هذا أثره أي قم يا عبد الله أترح أي فيم كنت كاره؟ أي من ربك وما دينك وما الذي مت عليه؟ سالحين<sup>(٢)</sup>، أي ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم وفي الخلائق أجمعين؟ والله أعلم.

الرابعة عشر: زعم بعض العلماء أن الملائكة الذين ينزلون على الميت في قبره أربعة، وأن اسم أحدهم ناكور والآخر رومان وقد أشار السيوطي إلى ذلك في أرجوزته بقوله رَحِمَهُ اللهُ:

وقد أتى في مرسل مضعف أن السؤال من ثلاثة لفي  
أو أربع أولئك الاثنان والحقوا ناكور مع روماني

فقد أخبر رَحِمَهُ اللهُ تعالى أن الخبر فيه علتان: إحداهما: الإرسال، والثانية: أنه ضعيف والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) لم أقف عليه إلا عند ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٢٠٨) ترجمة رقم ٥٥ وهو يتكلم عن إبراهيم ابن هدة حيث قال عن إبراهيم هذا: حدث عن أنس وغيره بالبواطيل.

(٢) المسالحي: مواضع المخافة/ لسان العرب/ مادة: سلح.

تنبيه: قال أبو القاسم السعدي في كتاب (الروح): ورد في الأخبار الصحاح أن بعض الموتى لا تنالهم فتنة القبر، ولا يأتهم الفتانان، وذلك على ثلاثة أوجه، مضاف إلى عمل، ومضاف إلى حال بلاء نزل بالموت، ومضاف إلى زمان.

أخرج النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال: «يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهداء؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي أيوب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب لم يفتن في قبره»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج مسلم عن سلمان الفارسي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم و ليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل و أجرى عليه رزقه و آمن من الفتان»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الترمذي و صححه عن فضالة بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو عليه إلى يوم القيامة و يأمن فتنة القبر»<sup>(٤)</sup>. و أبو داود بلفظ: «ويؤمن من

(١) أخرجه النسائي في سننه (٩٩ / ٤) رقم ٢٠٥٣ وفي السنن الكبرى (١ / ٦٦٠) رقم ٢١٨٠ وذكره الهندي في كنز العمال (٤ / ٥٩٥) رقم ١١٧٤١ وقال وسنده صحيح.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤ / ٢٥٢) رقم ٤١١٨، وفي الكبير (٤ / ١٨٧) رقم ٤٠٩٤، وذكره الهيثمي (٥ / ٥٩١) رقم ٩٦٧٦ وقال: رواه الطبراني وفيه مصفى بن بهلول والد محمد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٣) أخرجه مسلم رقم ١٩١٣.

(٤) أخرجه الترمذي (٤ / ١٦٥) رقم ١٦٢١ وفيه (ويؤمن من) وقال حديث فضالة حديث حسن صحيح.

فتاني القبر»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن ماجه بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى الله عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وبيعه الله آمناً من الفرع»<sup>(٢)</sup> وأخرج نحوه الإمام أحمد والطبراني عن عقبه بن عامر، وزاد وبيعه الله يوم القيامة آمناً من الفرع الأكبر.

قال القرطبي: في هذا الحديث والذي قبله وهو الموت حالة الرباط، والرباط ملازمة ثغور المسلمين مدة على نية الجهاد، فارساً كان أو راجلاً.

قلت: وأقل الرباط ساعة، وتماه أربعون يوماً، قال القرطبي: وأما سكان الثغور دائماً بأهلهم الذين يعمرن ويكتسبون هناك فليسوا بمرابطين، كذا قال، ولعله حيث لم ينووا المرابطة وإلا فلا يظهر كلامه، فليتأمل.

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من مات مريضاً مات شهيداً ووقى فتنة القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة»<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي: هذا عام بجميع الأمراض، لكن يقيد بالحديث الآخر

(١) أخرجه أبو داود (١٢ / ٢) رقم ٢٥٠٠ بإفراد (فتان)، وأحمد (٤ / ١٥٠) رقم ١٧٣٩٦، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٥٢٦) رقم ٩٤٩٥، وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢ / ٩٢٤) رقم ٢٧٦٧ وأحمد (٥ / ٤٤٠) رقم ٢٣٧٧٨ باختلاف سير وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٥٢٦) رقم ٩٤٩٨ وقال رواه البزار وفيه عبد الله بن صالح وثقة عبد الملك بن شعيب فقال: ثقة مأمون وضعفه آخرون وبقية رجاله ثقات.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١ / ٥١٥) رقم ١٦١٥، وأبو يعلى في مسنده (١١ / ٥) رقم ٦١٤٥. وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين بلفظ (من مات غريباً) (٤ / ٤٩٦) وقال عنه العراقي أخرجه ابن ماجه بسند ضعيف.

«من قتله بطنه لم يعذب في قبره»<sup>(١)</sup> أخرجه النسائي وغيره، والمراد به الاستسقاء، وقيل الإسهال، والحكمة في ذلك أنه يموت حاضر العقل عارفاً بالله، فلم يحتج إلى إعادة السؤال عليه بخلاف من يموت بسائر الأمراض، فإنهم تغيب عقولهم.

قال السيوطي: ولا حاجة لشيء من هذا التقييد، فإن الحديث غلط فيه الراوي باتفاق الحفاظ، وإنما هو من مات مرابطاً لا من مات مريضاً. وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات لأجل ذلك، والله أعلم.

\* \* \*

(١) أخرجه النسائي (٩٨ / ٤) رقم ٢٠٥٢ . وأحمد (٢٦٢ / ٤) رقم ١٨٣٣٦ ومواضع أخرى عن عبد الله بن يسار والترمذي (٣٧٧ / ٣) رقم ١٠٦٤ وقال هذا حديث حسن غريب.

## مطلب

## قراءة تبارك الملك أمان من عذاب القبر

وروي أن سورة تبارك الملك من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان .

أخرج جوير في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه من قرأ سورة الملك كل ليلة عصم من فتنة القبر .

وأخرج أيضاً عن البراء مرفوعاً: «من قرأ ألم السجدة وتبارك قبل النوم نجا من عذاب القبر ووقي فتاني القبر»<sup>(١)</sup> لكنه ضعيف .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن أبي الدنيا والبيهقي عن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»<sup>(٢)</sup> .

قال القرطبي: هذه أحاديث لا تعارض أحاديث السؤال السابقة، بل تخصصها وتبين من لا يسأل في قبره ولا يفتن فيه، ممن يجرى عليه السؤال ويقاسي تلك الأهوال، وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس، ولا مجال للنظر فيه، وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المصدوق .

وعزاه لأبي الشيخ والديلمي قال: وقوله في الشهيد «كفى بيارقة السيوف على رأسه فتنة»<sup>(٣)</sup> معناه أنه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق كان

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١/٥٨٩) رقم ٢٦٨٤ وعزاه لأبي الشيخ والديلمي وقال: فيه سوار بن مصعب متروك .

(٢) أخرجه أحمد (٢/١٦٩) رقم ٦٥٨٢ والترمذي (٣/٣٨٦) رقم ١٠٧٤ وقال هذا حديث غريب .

(٣) سبق ص ١٨٧ .

إذا التقى الجمعان وبرقت السيوف على رؤوسهم فروا، لأن من شأن المنافق الفرار والروغان عند ذلك، ومن شأن المؤمن البذل والتسليم والتفويض للعزيز الحكيم، وقد ظهر صدق ما في ضميره حيث برز للحرب والقتل، فلماذا يعاد عليه السؤال في القبر؟ قاله الحكيم الترمذي.

قال القرطبي: وإذا كان الشهيد لا يسأل فالصديق أجل قدرأ وأعظم خطراً، فهو حري أن لا يفتن، لأنه المقدم ذكره في التنزيل على الشهداء، وقد جاء في المرابط الذي هو أقل رتبة من الشهيد أنه لا يفتن، فكيف بمن هو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد؟ انتهى.

قال السيوطي وقد صرح الحكيم بأن الصديقين لا يسألون وعبارته قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وتأويله عندنا والله أعلم أن من مشيئته أن يرفع رتبة أقوام عن السؤال وهم الصديقون والشهداء، وما نقله عن الحكيم الترمذي في توجيه حديث الشهيد يقتضي اختصاص ذلك يشهد المعركة، لكن قضية أحاديث الرباط التعميم في كل شهيد، هذا كلام السيوطي.

قلت: لا يلزم من كون المرابط لا يسأل أن يكون كل شهيد كذلك، نعم جزم الحافظ ابن حجر في بذل الماعون في فضل الطاعون بأن الميت بالظعن لا يسأل، لأنه نظير المقتول في المعركة، وبأن الصابر في الطاعون يعلم محتسباً أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إذا مات فيه بغير الظعن لا يفتن أيضاً، لأنه نظير المرابط، كذا قال.

قال السيوطي: وهو متجه جداً، قال الحكيم في توجيه حديث المرابط أنه قد ربط نفسه وسجنها وصيرها حبساً لله تعالى وفي سبيله، لمحاربة أعدائه، فإذا مات على هذا فقد ظهر صدق ما في ضميره، فوقى فتنة القبر.

قلت: قد ظهر لي من هذا التعليل مع ضم تعليل حديث المريض الذي تقدم أن كل شهيد كذلك، لأن المبطون والغريق والشريق والحريق وصاحب الهدم وذات الجنب والسل وصاحب اللقوة<sup>(١)</sup> والمتردى من رؤوس الجبال، واللديغ ومن قتل دون ماله أو أهله أو دينه أو دمه أو مظلمته، وفريس السبع، ومن خر عن دابته، كلهم متجه فيهم تعليل القرطبي، للذي<sup>(٢)</sup> مات بالاستسقاء، لأن هؤلاء يموتون وكل منهم حاضر العقل عارف بالله تعالى، ولكني لا أسلم لهذا التعليل أبداً، لأن موت الفجأة كذلك، ولأن المقصود من سؤال القبر الاختبار عن صحة العقيدة وإخلاص الشهادة، ولا شيء من ذلك يدل على ذلك كما لا يخفى على من تأمل.

بقي من الشهداء العاشق إذا عف وكتم ومات والتعليل فيه كما في المرابط، ولأن صبره عن معشوقه مع القدرة عليه وكتمان ما في قلبه من نار العشق، والتعفف عن المعصية يظهر صدق ما في ضميره من الإيمان بالله ورسوله، ولولا ذلك لهجم على محبوبه ومطلوبه، وهذا ما فتح الله به على هذا الفقير، ولم أر من تعرض لذلك.

يبقى موت الغريب فلا أعلم له تعليلاً غير الذل والانكسار، نعم إن كان متغرباً لنحو طلب العلم يتأتى فيه التعليل في حق المرابط، وأما أمناء الله في الأرض فيلحقوا<sup>(٣)</sup> بالصدّيقين، فيبقى المجنون والنفساء، فأما المجنون فهو كالطفل، وأما النفساء فإما لموتها عاقلة عارفة بالله، وإما لشدة ما تلقى من النصب ومقاساة صعوبة النفاس، وهذا ما ظهر لي والله أعلم.

(١) اللقوة: مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه. لسان العرب/ مادة: لقا.

(٢) كذا في الأصل: ولعلها (والذي).

(٣) في حاشية الأصل/ قوله: فيلحقوا ولعله فيلحقون بإثبات النون. انتهى.

قال الحكيم الترمذي: ومن مات يوم الجمعة فقد انكشف الغطاء عما له عند الله، لأن يوم الجمعة لا تسجر فيه جهنم، وتغلق أبوابها ولا يعمل سلطان النار ما يعمل في سائر الأيام، فإذا قبض الله عبداً من عبيده فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلاً لسعادته وحسن ما به، لأنه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده، فلذلك يقيه فتنة القبر، لأن سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن، انتهى.

قلت: والمراد إن كان من أهل الإيمان والتقوى، وإلا فكم من منافق يموت يوم الجمعة، وكم من فاسق بل وكافر، ولا ينفعه ذلك والأولى السكوت عن التعليل، بل كل من أخبر النبي ﷺ أنه لا يسأل فليتلق بالقبول والتبجيل من غير تأويل ولا تعليل.

قال السيوطي: ومن مات يوم الجمعة فله أجر شهيد، فكان على قاعدة الشهداء في عدم السؤال، كما أخرج أبو نعيم في الحلية عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجبر من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء»<sup>(١)</sup> وأخرج حميد في (ترغيبه) عن عطاء قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وفي عذاب القبر، وفتنة القبر ولقي الله ولا حساب عليه وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له أو طابع»<sup>(٢)</sup>.

قال السيوطي: وهذا الحديث لطيف، صرح بنفي الفتنة والعذاب معاً، قلت وهذا من خصائص الجمعة، وقد أنهيت الكلام على ذلك في

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٥٥) وقال: غريب من حديث جابر ومحمد تفرد به عمر بن موسى وهو مدني فيه لين. وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٦٢٢) رقم ٢٦٢٥ والقرطبي في التذكرة (١٦٧).

(٢) ذكره المباركفوري في تحفة الأحوذى (٤/ ١٦٠) وعزاه للحميدي في ترغيبه.

رسالة لى سميتها (اللمعة في فضل الجمعة).

وممن لا يفتن في قبره من قرأ في مرض موته: قل هو الله أحد.

لما أخرج أبو نعيم في الحلية أن النبي ﷺ قال: «من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي مات فيه لم يفتن في قبره، وأمن ضغطة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة»<sup>(١)</sup>.

ومن جملة الذين لا يسألون الذي تمنى الشهادة بقلب صادق لكنه ملحق بالشهداء، واستثنى جمع فوق ما ذكرنا الملائكة والأنبياء ونبه السيوطي على ذلك بقوله:

ومن هنا يقطع بانتفائه	عن رسل الله وأنبيائه
فكم إمام قاله وكم أمم	والنسفي في بحره به جزم
والشيخ سعد الدين فيهم نقلا	خلفاً وهذا الخلف مما أشكلا
والنيكساري قال إن المسألة	عن النبي جل من قد أرسله
يسأل عنه غيره في رسمه	فكيف يسأل النبي عن نفسه
والفاكهاني قال في الملائك	الظاهر انتفاؤه في أولئك
قلت وأما الجن فالأدلة	تعمهم فيسألون جملة

وقد اجتمع مما ذكرنا جماعة لا يسألون سيما إن عمنا في ذلك كل شهيد، فإن الشهداء يزيدون على ثلاثين كما ذكره السيوطي، والله أعلم.

\* \* \*

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٣).

## فصل

في فضاة القبر وسعته على المؤمن  
وضيقه على الكافر وفي ضمة القبر

وأخرج الحاكم وابن ماجه والبيهقي خبر عثمان، وتقدم قول النبي ﷺ (ما رأيت منظرا إلا والقبر أظفَع منه)<sup>(١)</sup>.

أخرج ابن ماجه عن البراء قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير قبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال: «يا إخواني لمثل هذا فاعملوا»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر وقال: توفي رجل بالمدينة فصلى عليه رسول الله ﷺ فقال: «يا ليته مات في غير مولده» فقال رجل من الناس لم يا رسول الله؟ قال: «إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج ابن منده عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: «يفسح للغريب في قبره كبعده عن أهله»<sup>(٤)</sup>.

(١) تقدم ص ١٧٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢ / ١٤٠٣) رقم ٤١٩٥ بلفظ «فأعدوا» بدل «فاعملوا»، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف، وأحمد في المسند (٤ / ٢٩٤) رقم ١٨٦٢٤ والطبراني في الأوسط (٣ / ٩٢) رقم ٢٥٨٨ .

(٣) أخرجه أحمد (٢ / ١٧٧) رقم ٦٦٥٦ والنسائي في سننه (٤ / ٧) رقم ١٨٣٢ وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢ / ١٦٦٢) في تعليقه على حديث رقم ٢٦٦٥ .

(٤) ذكره السيوطي في شرح الصدور (٩٣) وعزاه لابن منده .

وأخرج عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»<sup>(١)</sup>. وأخرج البيهقي عن ابن عمر نحوه.

وأخرج علي بن سعيد عن معاذ رضي الله عنه قال: قلت لعائشة رضي الله عنها ألا تخبرينا عن مقبورنا وما يلقي وما يصنع به؟ فقالت: إن كان مؤمناً فسح له في قبره أربعون ذراعاً.

قال القرطبي: وهذا إنما يكون بعد ضيق القبر والسؤال، وأما الكافر فلا يزال قبره ضيقاً عليه، قال وقوله ﷺ في القبر: «أنه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»<sup>(٢)</sup> محمول عندنا على الحقيقة لا المجاز، وأن القبر يملأ على المؤمن خضراً، وهو العشب من النبات، وقد بينه ابن عمر في حديثه أنه الرياحان، ويملاً على الكافر ناراً، قال: وذهب بعض العلماء إلى حمله على المجاز، وأن المراد خفة السؤال على المؤمن وسهولته عليه وأمنه وطيب عيشه وراحته وسعته عليه، بحيث يرى مد بصره، كما يقال فلان في الجنة، إذا كان في رغد من العيش وسلامة، وكذا في ضده، قال: والأول أصح.

وأخرج الإمام أحمد والحكيم الترمذي والبيهقي في كتاب (عذاب القبر) عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة فلما انتهينا إلى القبر قعدنا على شفته فجعل يردد بصره فيه، ثم قال: «يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله، ويملاً على الكافر ناراً»<sup>(٣)</sup>. قال في النهاية:

(١) سبق ص ١٥٣ .

(٢) سبق ص ١٥٣ .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤٠٧) رقم ٢٣٥٠٤ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٥) رقم ٤٢٥٣ وقال رواه أحمد وفيه محمد بن جابر وهو ضعيف.

الحمائل هنا عروق الأثنين، ويحتمل أن يراد موضع حمائل السيف، أي عواتقه وصدرة وأضلاعه.

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ قال: «إن للقبر ضغطة لو كان أحد منها ناج لنجا منها سعد بن معاذ»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي والحكيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما دفن سعد بن معاذ سبح النبي ﷺ وسبح الناس معه طويلاً ثم كبر وكبروا الناس ثم قالوا: يا رسول الله لم سبحت؟ قال: «لقد تضايقت على هذا الرجل قبره حتى فرج الله عنه»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج النسائي والبيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «هذا الذي تحرك العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه»<sup>(٣)</sup>. قال الحسن: تحرك العرش فرحا بروحه.

وأخرج الطبراني عن أبي أيوب بسند صحيح أن صبياً دفن فقال ﷺ: «لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي»<sup>(٤)</sup>. قال ابن أبي مليكة: ما

(١) أخرجه أحمد (٥٥ / ٦) رقم ٢٤٣٢٨ والبيهقي في شعب الإيمان (١ / ٣٥٨) رقم ٣٩٦ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ١٦٥) رقم ٤٢٥٥ وقال: رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع عن إنسان عن عائشة وكلا الطرفين رجالهما رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٣ / ٣٦٠) رقم ١٤٩١٦ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وذكره العسقلاني في القول المسدد (٨١) بإسنادين وقال: رجال الإسنادين ثقات.

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٤ / ١٠٠) رقم ٢٠٥٥ وذكره العسقلاني في القول والمسدد (٨١) وقال: رجاله ثقات محتج بهم في الصحيح.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤ / ١٢١) رقم (٣٨٥٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ١٦٧) رقم ٤٢٥٩ وقال رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

أجير من ضغطة القبر أحد، ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله - أي في الجنة - خير من الدنيا وما فيها.

وقال مجاهد أشد<sup>(١)</sup> حديثاً سمعناه عن النبي ﷺ قوله في سعد بن معاذ وقوله في أمر القبر وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما عفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد، فقيل يا رسول الله ولا القاسم ابنك؟ قال ولا إبراهيم»<sup>(٢)</sup> وكان أصغرهما، قال أبو القاسم السعدي في كتاب (الروح) له: لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح، والمراد إلا من استثناه النبي ﷺ وهو فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف، والدة علي ابن أبي طالب ﷺ إن ثبت الحديث، فقيل الحكمة في ذلك لأنها ضمت المصطفى، وقيل: لأنه سكب عليها الماء الذي فيه الكافور، توفيت في المدينة ودفنت شمال قبة عثمان في موضع يقال له الحمام، وعليها قبة صغيرة، كذا في (زبدة الأعمال)، والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

(١) في حاشية الأصل/ قف على أشد حديثاً في السنة قلت: وهي كذلك بالأصل.

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة (٥/ ٥١٥).

(٣) في حاشية الأصل/ وفي بعض الكتب التي لا أعرف حالها: أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد ﷺ دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها وقال: رحمك الله كنت تجوعي وتشبعيني، وتمنعي نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريد بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبها رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع قميصه وألبسها إياه وكفنها فوقه، ثم دعا بأسامة بن زيد وأبي أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلما أسود يحفرون القبر، فلما بلغوا اللحد حفر رسول الله ﷺ بيده، فلما فرغ منه اضطجع فيه وقال: الحمد لله الذي يحيى ويميت وهو حي لا يموت، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء من قبلي إنك أرحم الراحمين، وكبر عليها أربع تكبيرات وأدخلها اللحد هو والعباس والصديق ﷺ.

قلت - أي المصنف - وألغى الحديث في غاية الركافة فالظاهر عدم ثبوته.

قال أبو القاسم السعدي: والفرق بين المسلم والكافر دوام الضغط للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره ثم يعود إلى الانفساح له فيه، قال والمراد بضغطة القبر التقاء جانبيه على جسد الميت، قال الحكيم الترمذي: سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد إلا وقد ألم بخطيئة ما - وإن كان صالحاً - فجعلت هذه الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة، وكذلك ضغط سعد بن معاذ رضي الله عنه قال: وأما الأنبياء فلا نعلم أن لهم في القبور ضمة ولا سؤالاً لعصمتهم.

قلت: قد قدمنا أن السؤال إنما هو عن الأنبياء وأخبروا به فكيف يسألون عن أنفسهم؟ فهم أكرم على الله وأجل وأعظم عند الله من أن يسألوا.

وقد ذكر ابن الجوزي رحمته الله في مناقب سيدنا أحمد: أنه رآه المروزي رحمته الله فقال له: ما فعل الله بك؟ فذكر أن الملكين سألاه وقال له: من ربك؟ فقال: سبحان الله، ومثلي يسأل عن ربه؟ فقال له: لا تؤاخذنا بهذا أمرنا، ثم انصرفا، فكيف بأنبياء الله الكرام وهم المخبرون عنه الدالون عليه المجتهدون في إنقاذ عباده من غضبه إلى مرضاته بإذنه؟.

قال محمد التميمي: كان يقال: ضمة القبر إنما أصلها أنها أهمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما ردوا إليها وهم أولادها ضمتهم ضمة الوالدة إذا غاب عنها ولدها ثم قدم، فمن كان لله مطيعاً ضمته برأفة ورفق ومن كان عاصياً ضمته بعنف سخطاً منها عليه لربها.

وأخرج البيهقي وابن منده والديلمي وابن النجار عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إنك منذ يوم حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال: «يا عائشة إن أصوات منكر ونكير في سماع المؤمنين

كأحمد في العين، وإن في ضغطة القبر على المؤمن كالأم الشفيقة يشكو إليها ابناها الصداق فتغمر رأسه غمراً رقيقاً، ولكن يا عائشة ويل للشاكين في الله، كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة»<sup>(١)</sup>.

فائدتان: الأولى: قال بعضهم من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بعشرة أسباب، أن يتوب فيتاب عليه، أو يستغفر فيغفر له، أو يعمل حسناً فتمحوها، فإن الحسنات يذهبن السيئات، أو يتلى في الدنيا بمصائب فيكفر عنه، أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فيكفر عنه، أو يدعو له إخوانه من المؤمنين ويستغفرون له، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه، أو يتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه، أو تدركه شفاعة نبيه ﷺ أو رحمة ربه. انتهى.

الثانية: ذكر في الفردوس للدلمي ولم يسنده ولده من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً: «أول عدل الآخرة القبور، ولا يعرف شريف من وضع»<sup>(٢)</sup> وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله أرحم ما يكون لعبده إذا دخل قبره، وتفرق عنه الناس وأهله.

وأخرج الدلمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم ما يكون الله بالعبد إذا وضع في حفرته»<sup>(٣)</sup>. وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عاصم الحبطي يرفعه قال: إن أول ما يتحرف به المؤمن في قبره يقال له: أبشر فقد غفر لمن تبع جنازتك.

وأخرج البزار وعبيد في مسنديهما والبيهقي في الشعب عن ابن عباس

(١) أخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر (٨٥) رقم ١١٦ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ذكره ابن حجر في زهرة الفردوس (٣٨٥/١).

رَبِّهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَوْلَ مَا يَجَازِي بِهِ الْمُؤْمِنَ بَعْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَغْفَرَ لَجَمِيعٍ مِنْ تَبِعِهِ»<sup>(١)</sup>. وَفِي الْبَابِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي الثَّوَابِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي التَّارِيخِ، وَابِيهِقِي فِي الشَّعْبِ، وَالدَّيْلَمِيِّ، وَأَنْسَ أَخْرَجَهُ الْحَكِيمُ التَّرْمِذِيُّ.

\* \* \*

---

(١) أَخْرَجَهُ ابِيهِقِي فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ (٧ / ٧) رَقْم ٩٢٥٧، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقِ (٤١ / ٣٢٩)، وَذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٣ / ١٣٢) رَقْم ٤١٣٤ وَقَالَ: رَوَاهُ الْبِزَارُ وَفِيهِ مِرْوَانَ بْنِ سَالِمِ الشَّامِيِّ وَهُوَ ضَعِيفٌ.

## الباب الثاني

## في عذاب القبر ونعيمه

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل النعيم بمنه وكرمه العميم قال السيوطي: وقع ذكره - أي عذاب القبر - في القرآن في عدة أماكن كما بيته في (الإكليل في استنباط التنزيل) انتهى.

قال الحافظ ابن رجب: في قول الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣] إلى قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]. عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآيات: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ إلى قوله: ﴿فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصَلِيَهُ حَمِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ قال: «إذا كان عند الموت قيل له هذا، فإن كان من أصحاب اليمين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن كان من أصحاب الشمال كره لقاء الله وكره الله لقاءه»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فأكب القوم بيبكون، قال: ما يبكيكم؟ قالوا: إنا نكره الموت قال: «ليس ذلك ولكنه إذا حضر، فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم، فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله للقاءه أحب، وإما أن يكون من المكذبين الضالين فنزل من حميم، فإذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقاءه أكره»<sup>(٢)</sup>. وظاهر كلام المحقق في

(١) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (٧٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٩/٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٩/٤) رقم ١٨٣٠٩ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١/٣) رقم

٣٩٠٠ وقال: رواه أحمد وعطاء بن السائب فيه كلام.

قلت: أوله في البخاري رقم ٦٥٠٧ ومسلم رقم ٢٦٨٣.

كتاب (الروح) أن عذاب القبر ذكر في القرآن لأنه قال قول السائل: ما الحكمة في أن عذاب القبر لم يذكر في القرآن، مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ليحذر ويتقى؟

فالجواب من وجهين: مجمل ومفصل.

أما المجمل فهو: أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيين، فأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما، وهما الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] وقال: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٤] والحكمة هي السنة باتفاق السلف، وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به، كما أخبر به الرب على لسان رسوله، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم وقد قال النبي ﷺ: «إني أوتيت الكتاب ومثله معه»<sup>(١)</sup>.

قال: وأما الجواب المفصل فهو، أن نعيم الروح وعذابه مذكور في القرآن في مواضع، فمنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ الآية [الأنعام: ٩٣] وهذا خطاب لهم عند الموت قطعاً وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ: ﴿تُجَزَّوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]. ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم اليوم تجزون عذاب الهون، وقوله: ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ الآية [غافر: ٤٥]. فذكر عذاب الدار ذكراً صريحاً لا يحتمل غيره، ومنها قوله تعالى: ﴿فَدَرَّهْمٌ حَتَّىٰ يُلَاقُوا

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٦١٠/٢) رقم ٤٦٠٤ وأحمد (٤/١٣٠) رقم ١٧٢١٣، والترمذي باختلاف يسير (٣٨/٥) رقم ٢٦٦٤ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ [الطور: ٤٥-٤٦] انتهى كلامه .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر»<sup>(١)</sup>. قلت: وذكر الحافظ ابن رجب في (أهوال القبور) إن عذاب القبر ذكر في القرآن في عدة مواضع .

أخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: ما زلنا في شك من عذاب القبر حتى نزلت: ﴿الْهَنُكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢].

وأخرج آدم ابن أبي إياس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيضيق عليه قبره، ثم قرأ ابن مسعود ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] المعيشة الضنك: هي عذاب القبر .

وروى شريك عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] قال عذاب القبر .

وكذا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]. وكذا قال قتادة والربيع ابن أنس في قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١] إحداهما في الدنيا، والأخرى هي عذاب القبر، قال الحافظ ابن رجب وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في عذاب القبر .

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣٧٧ .

عذاب القبر فقال: «نعم عذاب القبر حق» قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت النبي ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر<sup>(١)</sup>.

وفيهما عنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إني رأيتكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال» قالت عائشة رضي الله عنها فكنت أسمع رسول الله ﷺ بعد ذلك يتعوذ من عذاب القبر<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج مسلم وابن أبي شيبة عن زيد بن ثابت قال: بينما النبي ﷺ في حائط أي بستان لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت أن تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبور؟ فقال رجل: أنا، فقال: متى مات هؤلاء؟ فقال: ماتوا في الإشراك، فقال النبي ﷺ: «إن هذه الأمة تبلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، فقالوا نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، فقال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فقالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فقال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، فقالوا: نعوذ بالله

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣٧٢ وأخرج مسلم نحوه رقم ٥٨٥.

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

(٣) أخرجه مسلم باختلاف يسير وتأخير وتقديم رقم ٥٩٠.

من فتنة الدجال»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الشيخان عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يَعْذَبُونَ فِي قُبُورِهِمْ عَذَاباً تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والآجري عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَسْلُطُ عَلَى الْكَافِرِ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ تَنِيناً تَلْدَغُهُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج أبو يعلى والآجري وابن مندة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً: «الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ رَوْضَةٌ، وَيَرْحَبُ لَهُ قَبْرُهُ - أَيُ يَوْسَعُ - سَبْعُونَ ذِرَاعاً، وَيُنُورُ لَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَتَدْرُونَ فِيْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ فِي عَذَابِ الْكَافِرِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ يَسْلُطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ تَنِيناً يَنْفَخُونَ فِي جَسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ وَيَخْدَشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُرْسَلُ عَلَى الْكَافِرِ حَيْتَانِ، وَاحِدَةٌ قَبْلَ رَأْسِهِ وَالْأُخْرَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ يَقْرَضَانِهِ قَرْضاً

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٨٦٧ وابن أبي شيبة (٣/ ٥٠) رقم ١٢٠٢٨ إلى قوله «نعوذ بالله من عذاب القبر».

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٦٣٦٦ ومسلم رقم ٥٨٦.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨) رقم ١١٣٥٢ وأبو يعلى موقوفاً على أبي سعيد (٢/ ٤٩١) رقم ١٣٢٩ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٠) رقم ٤٢٨٥ وقال رواه أحمد وأبو يعلى موقوفاً وفيه دراج وقد وثق.

قلت يعني بالموقوف رواية أبي يعلى فقط.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/ ٥٢١) رقم ٦٦٤٤ باختلاف يسير في بعض الألفاظ. وابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٩٢) رقم ٣١٢٢ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٠) رقم ٤٢٨٦ وقال: رواه أبو يعلى وفيه دراج وحديثه حسن.

كلما فرغنا عادتنا إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر»<sup>(٢)</sup>. قوله ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا» هو بحذف أحد التاءين تخفيفاً، أي لولا خوف ترك دفنكم الأموات بل تتركونهم بلا دفن من خوف أن يصيبهم من العذاب ما أصاب الميت، وقيل لولا أن تموتوا من سماعه لفضاعته وعظيم أمره فتصعقون لوقتكم، وقيل غير ذلك.

فإن قلت ما معنى قوله لولا أن لا تدافنوا إلخ؟ ومن المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم مؤمنون بعذاب القبر مصدقون به، فهو عندهم كالمحسوس، وكيف لا وهم خير هذه الأمة؟

فالجواب عن ذلك من وجوه: فقليل محمول على ما ذكرنا من أنهم يموتون ولا إشكال حينئذ<sup>(٣)</sup>، وقد تقدم في الأحاديث ما يدل لذلك، وقيل إن الذي حمله ﷺ على ذلك أنهم إذا سمعوا تركوا دفن الميت استهانته به، أو لعجزهم عنه، أو لدهشتهم وحيرتهم، أو لفزعهم وعدم قدرتهم على دفنه، أو لثلا يحكموا على كل من اطلعوا على تعذيبه في قبره أنه من أهل النار فيتركون الترحم عليه وترجى العفو عنه، ذكر ملخص هذه الأوجه المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير، وأكثرها لا يخلو من مناقشة، والله أعلم.

وأخرج الشيخان عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ

(١) أخرجه أحمد (٦ / ١٥٢) رقم ٢٥٢٣٠ باختلاف يسير.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٨٦٨.

(٣) في الأصل / (ح) بدل (حينئذ).

وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال: «يهود تعذب في قبرها»<sup>(١)</sup>. وأخرجنا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة فشققها باثنتين، ثم غرز على كل قبر منهما واحدة، قالوا: لم فعلت هذا يا رسول الله؟ قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»<sup>(٢)</sup>.

وقد روي هذا الحديث عنه ﷺ من وجوه متعددة وخرجه ابن ماجه عن أبي بكرة<sup>(٣)</sup> وفي حديثه «وأما الآخر يعذب في الغيبة»<sup>(٤)</sup> وخرجه الخلال وغيره عن أبي هريرة مرفوعاً وفي بعض رواياته «وأما الآخر فكان يهزم الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة»<sup>(٥)</sup> وخرجه الطبراني عن عائشة وأنس وابن عمر، وخرجه أبو يعلى الموصلي وغيره عن أبي أمامة وفي حديثه قالوا: يا نبي الله وحتى متى يعذبان؟ قال: «غيب لا يعلمه إلا الله، ولولا تمريج في قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتكم ما أسمع»<sup>(٦)</sup>. وروى من وجوه آخر.

وأخرج النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على امرأة من اليهود فقالت: إن عذاب القبر من البول قلت: كذبت قالت: بلى إنه ليقرض منه الجلد والثوب. قالت: فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة وقد ارتفعت

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣٧٥ ومسلم رقم ٢٨٦٩ بلفظ بعدما غربت الشمس.

(٢) البخاري رقم ٢١٦ ومسلم ٢٩٢.

(٣) في الأصل/ أبي بكر.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ١٢٥) رقم ٣٤٩.

(٥) روى عبد الرزاق في مصنفه أوله فقط (٣/ ٥٨٩) رقم ٦٧٥٤، وذكره ابن رجب في أهوال القبور (٨٥).

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢١٦) رقم ٧٨٦٩، وأحمد (٥/ ٢٦٦) رقم ٢٢٣٤٦.

أصواتنا، فقال: «ما هذه؟» فأخبرته بما قالت، فقال: «صدقت»<sup>(١)</sup>.

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عبد الرحمن ابن حسنة سمع النبي ﷺ يقول: «ألم تعلموا ما لقي صاحب بني إسرائيل، كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابه البول فنهاهم فعذب في قبره»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أكثر عذاب القبر من البول»<sup>(٣)</sup>. وروي موقوفاً عن أبي هريرة.

وأخرج البزار والحاكم عن ابن عباس عنه رضي الله عنه قال: «إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا منه»<sup>(٤)</sup>. وخرجه الطبراني والدارقطني عن أنس بنحوه.

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اتقوا البول فإنه أول ما يحاسب به العبد في القبر»<sup>(٥)</sup>. وأخرج ابن عدي عن أنس «أن رسول الله ﷺ مر برجل يعذب في قبره من البول»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه النسائي في سننه (٧٢ / ٣) رقم ١٣٤٥ وأحمد (٦١ / ٦) رقم ٢٤٣٦٩، وابن أبي شيبه في مصنفه (١١٥ / ١) رقم ١٣٠٧.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٦ / ٤) رقم ١٧٧٩٣ بلفظ (أما علمت ما أصاب صاحب بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم شيء من البول قرضوه بالمقاريض فنهاهم فعذب في قبره) والنسائي (١ / ٢٦) رقم ٣٠ وابن ماجه (١ / ١٢٤) رقم ٣٤٦ وأبو داود (١ / ٥٣) رقم ٢٢.

(٣) أخرجه أحمد (٢ / ٣٨٩) رقم ٩٠٤٧، وابن ماجه (١ / ١٢٥) رقم ٣٤٨ وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١ / ٢٠٠) رقم ٥٢٦ وقال رواه الأمام أحمد وابن ماجه وسنده حسن والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (١ / ٢٩٣) رقم ٦٥٤ وليس فيه (فتنزهوا منه) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٤٨٩) رقم ١٠٢٦ وفيه [فاستنزهوا من البول] وقال رواه البزار والطبراني في الكبير وفيه أبو يحيى القتات وثقه يحيى بن معين في رواية وضعفه الباقون.

(٥) وأخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ١٣٣) رقم ٧٦٠٥ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٤٩٢) رقم ١٠٣٤ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣ / ٤٨)، والطبراني في الأوسط (٢ / ٨) رقم ١٠٥٤ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٧٥) رقم ١٣١٣٦ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه خليف بن دعلج وهو متروك.

وأخرج أيضاً بإسناد ضعيف عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فتنة القبر من ثلاث، من الغيبة، والنميمة، والبول»<sup>(١)</sup>. قال الحافظ ابن رجب: لكن روى عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال: كان يقال: عذاب القبر ثلاثة أثلاث، ثلث من الغيبة، وثلث من النميمة، وثلث من البول، خرج الخلال موقوفاً على قتادة قال الحافظ: وهو أصح.

وأخرج الخلال عن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ، قال لها النبي ﷺ: «يا ميمونة إن من أشد عذاب القبر الغيبة والبول»<sup>(٢)</sup>. قال الحافظ ابن رجب: وقد ذكر بعضهم السر في تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر، وهو أنه أول منازل الآخرة، وفيه أنموذج ما يقع يوم القيامة من العقاب والثواب، والمعاصي التي يعاقب عليها يوم القيامة نوعان، حق الله، وحق لعباده، وأول ما يقضي فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة، ومن حقوق العباد الدماء، فأما البرزخ فيقضي فيه مقدمات هذين الحقين ووسائلهما، فمقدمة الصلاة الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمة الدماء النميمة والوقية في الأعراض، وهما أيسر أنواع الأذى، فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما.

وقد أخرج عبد الرزاق عن معمر ابن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عمرو ابن شرحبيل قال: مات رجل فلما دخل قبره أتته الملائكة، فقالوا: إنا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله، فذكر صلاته وصيامه وجهاده فخففوا عنه، حتى انتهى إلى عشرة، ثم سألهم فخففوا عنه حتى انتهى إلى واحدة،

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤ / ١٣٣) في ترجمة عبد الله بن محرر رقم ٩٧٣، قال عنه يحيى ليس بثقة وقال البخاري: منكر الحديث.

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة (٨ / ١٢٩) ترجمة رقم ١١٧٨٠، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨ / ٣٠٥)، والهندي في كنز العمال (١٥ / ٧٣٨) رقم ٤٢٩٣٥.

فجلدوه جلدة اضطرم قبره ناراً وغشي عليه، فلما أفاق قال: فيم جلدتموني هذه الجلدة قالوا: إنك بلت يوماً ثم صليت ولم تتوضأ، وسمعت رجلاً يستغيث مظلوماً فلم تغته، ورواه أبو سنان عن أبي إسحاق عن أبي مسرة بنحوه.

قال الحافظ ابن رجب: ورويناه من طريق حفص بن سليمان القاري وهو ضعيف جداً عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود عن النبي ﷺ به، فعذاب القبر حصل هنا بشيئين، ترك طهارة الحدث، وترك نصرة المظلوم مع القدرة عليه، كما أنه في الأحاديث المتقدمة حصل بترك طهارة الخبث، والظلم بالقول، وهي متقاربة في المعنى.

فإن قلت: عدم التنزه من البول والغيبة والنميمة من الكبائر أمر من الصغائر؟

قلت: بل هي من الكبائر كما جزم به صاحب (الإقناع) وغيره.

فإن قلت: فكيف ذا مع قوله ﷺ: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير»<sup>(١)</sup> وقوله ﷺ في حديث يعلى بن مرة قال: مررت مع رسول الله ﷺ على مقابر فسمعت ضغطة في قبر قال: «سمعت». قلت: نعم. قال: «فإنه يعذب في يسير من الأمر» قلت: وما هو؟ قال: «كان يمشي بين الناس بالنميمة وكان لا يتنزه من البول»<sup>(٢)</sup>. وذكر قصة الجريدة. رواه البيهقي في (دلائل النبوة) ويعلى بن مرة هذا هو يعلى بن سيابة وسيابة أمه.

قلت: قد أجاب عن هذا علماؤنا أعزهم الله تعالى بأن معناه، لم

(١) البخاري رقم ٢١٦ .

(٢) ذكره السيوطي في شرح الصدور (٦٧) وعزاه للبيهقي في دلائل النبوة.

يعذبها في أمر كان يكبر عليهما أو يشق فعله لو أراد أن يفعلاه، وهو التنزه من البول وترك النيمة، وقوله كان يعذب في يسير من الأمر، أي في زعمه، أو يسير تركه، ولم يرد ﷺ أن المعصية في هاتين الخصلتين ليستا من الكبائر في حق الدين، وأن الذنب فيهما هين سهل، ومن ثم قال الحافظ المنذرى ولخوف توهم مثل هذا استدرك ﷺ فقال: «بلى إنه كبير» كما في رواية صحيحة أخرجها البخاري وغيره، فالمعتمد عندنا أن هذه الخصال من الكبائر كما بينت ذلك موضعاً في كتاب «الذخائر لشرح منظومة الكبائر» الواقعة في (الإقناع)، فراجعها تظفر بمرادك، والله الموفق.

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن أبي الدنيا في (القبور) واللالكائي في (السنة) وابن منده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينا أنا أسير بجنابت بدر إذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة، فناداني يا عبد الله اسقني، فلا أدري أعرف اسمي أم دعاني بدعاية العرب، قال: وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر، ثم ضربه بالسوط حتى عاد في حفرة قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «أوقد رأيتك قلت: نعم. قال: ذلك عدو الله أبو جهل، وذلك عذابه إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. قال الحافظ ابن رجب: ضعيف.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) والخلال في (السنة) وابن البراء<sup>(٢)</sup> في (الروضة) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرجت بسفر فمررت بقبر من قبور الجاهلية، فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج ناراً،

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣٣٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٣) رقم ٤٢٩٤ وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن محمد بن المغيرة وهو ضعيف.

(٢) كذا في الأصل.

في عنقه سلسلة من نار، ومعني إداوة من ماء، فلما رأني قال: يا عبد الله اسقني، إذ خرج على إثره رجل من القبر فقال: يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر، ثم أخذ بالسلسلة واجتذبه فأدخله القبر، ثم أضافني الليل إلى بيت عجوز إلى جانب بيتها قبر، فسمعت من القبر صوتاً يقول: بول وما بول، شن وما شن؟ قلت للعجوز: ما هذا؟ قالت: كان هذا رجلاً لي وكان إذا بال لم ينق البول وكنت أقول له ويحك إن الجمل إذا بال تفاج<sup>(١)</sup> فكان يأبى، فهو ينادى منذ يوم مات يقول بول وما بول قلت: فما الشن؟ قالت: جاءه رجل عطشان فقال: اسقني فقال: دونك الشن وإذا ليس فيه شيء، فخر الرجل ميتاً، فهو ينادى منذ يوم مات بقول شن وما شن. فلما قدمت على رسول الله ﷺ فأخبرته «فنهني أن يسافر الرجل وحده»<sup>(٢)</sup>. وذكره الحافظ ابن رجب بلفظ: إن الرجل قال اسقني فإني عطشان قال: عندك الشن، وشن لنا معلق - أي ليس فيه ماء - فقال: يا هذا اسقني فإن عطشان، الساعة أموت قال: عندك الشن. قالت: ووقع الرجل ميتاً. قال الحافظ ابن رجب: وفيه يحيى المدني غير معروف.

وقال عروة: بينما راكب يسير بين مكة والمدينة إذ مر بمقبرة فإذا رجل قد خرج من قبر يلتهب ناراً مصفد في الحديد فقال: يا عبد الله أنضح أنضح، وخرج آخر يتلوه فقال: يا عبد الله لا تنضح قال: وغشى على الراكب وعدلت به راحلته، فأصبح وقد ابيض شعره حتى صار كأنه ثغامة<sup>(٣)</sup> قال: فأخبر بذلك

(١) الفجج في القدمين تباعد ما بينهما، وفج رجله وما بين رجله يفجها فجا: فتحه وباعد ما بينهما. لسان العرب/ مادة: فجج.

(٢) روى البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب لليل وحده» رقم ٢٩٩٨.

(٣) الثغام بالفتح نبت يكون في الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس، وفي حديث النبي ﷺ أنه أتى بأبي قحافة يوم الفتح وكان رأسه ثغامة فأمرهم أن يغيروه - لسان العرب: مادة/ ثغم.

عثمان فنهى أن يسافر الرجل وحده. أخرجه ابن أبي الدنيا.

وأخرج أيضاً عن الحويرث الرباب قال: بينما أنا بالإثابة إذ خرج علينا إنسان من قبر يلتهب وجهه ورأسه ناراً في جامعة من حديد قال: اسقني، وخرج في إثره إنسان يقول: لا تسقه لكافر، فأدركه وأخذ بطرف السلسلة فسلبه ثم جره حتى دخلا القبر جميعاً. قال الحويرث: فصارت الناقة لا أقدر منها على شيء حتى التوت بعرق الطيبة، فبركت، فصليت المغرب والعشاء، ثم ركبت حتى أصبحت بالمدينة، فأتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبرته قال: يا حويرث واللّه ما اتهمك ولقد أخبرتني خبراً شديداً، فأرسل عمر إلى مشيخة من كتفي الصفراء وقد أدركوا الجاهلية ثم دعا الحويرث فقال: إن هذا أخبرني ولست أتهمه، حدثهم يا حويرث بما حدثني، فحدثتهم فقالوا: قد عرفنا هذا يا أمير المؤمنين، هذا رجل من بني غفار مات في الجاهلية ولم يكن يرى للضيف حقاً، فحمد الله عمر وسر بذلك حين أخبروه أنه مات في الجاهلية.

وروى هشام بن عمار في كتاب (البعث)، عن يحيى بن حمزة، حدثني النعمان عن مكحول، أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ابيض نصف رأسه ونصف لحيته فقال له عمر رضي الله عنه: ما بالك؟ فقال: مررت بمقبرة بني فلان ليلاً، فإذا رجل يطلب رجلاً بسوط من نار، كلما لحقه ضربة فاشتعل ما بين قرنيه إلى قدمه ناراً، فلاذ بي الرجل وقال: يا عبد الله أعثني فقال: الطالب يا عبد الله لا تغته، فبئس عبد الله هو، فقال عمر: لذلك كره لكم نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يسافر أحدكم وحده.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) عن مجاهد قال: أردت حاجة فبينما أنا في الطريق إذ فجأني حمار وقد أخرج عنقه من

الأرض فنهق في وجهي ثلاثاً، ثم دخل، فأتيت القوم الذين أردتهم فقالوا: ما لنا نرى لونك قد حال؟ فأخبرتهم الخبر، فقالوا: ذلك غلام من الحي وتلك أمه في ذلك الخباء، وكانت إذا أمرته بشيء شتمها وقال: ما أنت إلا حمار ثم نهق في وجهها، فمات يوم مات دفناه في تلك الحفيرة، فما من يوم إلا وهو يخرج رأسه في الوقت الذي دفناه فيه فينهق إلى ناحية الخباء ثلاث مرات ثم يدخل.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمرو بن دينار قال: كان رجل من أهل المدينة له أخت فماتت، فجهزها وحملها إلى قبرها، فلما دفنت ورجع إلى أهله ذكر أنه نسي كيساً كان معه في القبر، فاستعان برجل من أصحابه، فأتيا القبر فنبشاه، فوجد الكيس فقال للرجل تنح حتى أنظر على حال أختي، فدفن بعض ما على اللحد فإذا القبر يشتعل ناراً فرده، وسوى القبر ورجع إلى أمه فسألها عن حال أخته فقالت: كانت تؤخر الصلاة، ولا تصلي فيما أظن بوضوء، وتأتي أبواب الجيران إذا ناموا فتلقم أذنها أبوابهم فتخرج حديثهم.

### حكايات:

وحكى الحافظ ابن رجب وغيره أن جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبي سنان، فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال: قوموا بنا نزور جاراً لنا مات أخوه ونعزيه فيه، قال محمد بن يوسف الفريابي: فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والعجز على أخيه، فجعلنا نعزيه ونسليه وهو لا يقبل تسلية ولا عزاء، فقلنا له: أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه؟ قال: بلى، ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب، فقلنا له: قد أطلعك الله على الغيب؟ قال: لا، ولكن لما دفنته وسويت عليه

التراب وانصرف الناس جلست عند قبره، وإذا صوت من قبره يقول: أوه أفردونى وحيداً أقاسي العذاب، قد كنت أصلي قد كنت أصوم، فأبكاني كلامه وقلت: صوت أخي والله أعرفه، فقلت: لعله خيل إليك، قال: ثم سكت. فإذا أنا بصوته يقول: أوه ولا أدري في الثانية أو الثالثة فنبشته حتى بلغت قريباً من اللبن فإذا بطوق من نار في كفته، وفي (الزواجر) في عنقه، انتهى، وفي وسطه، فأدخلت يدي رجاء أن أقطع ذلك الطوق فاحترقت أصابعي فبادرت إخراجها فإذا يده قد احترقت أصابعها، قال: فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه؟ فقلنا: فما كان أخوك يعمل في الدنيا؟ قال: كان لا يؤدي الزكاة من ماله، فقلنا: هذا تصديق قول الله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وأخوك عجل له العذاب في قبره، ثم خرجنا من عنده. قال محمد بن يوسف الفريابي، فقلت للأوزاعي: وزعم في (الزواجر) أنه إنما قال لأبي ذر صاحب رسول الله ﷺ هؤلاء اليهود والنصارى يموت الميت منهم ولا نرى فيهم ذلك أو لا نسمع هذا منهم؟ فقال: أولئك لا شك أنهم في النار، وإنما يريكم الله في أهل الإيمان لتعتبروا أو نحو هذا.

وذكر الحافظ ابن رجب أيضاً في (أهوال القبور) له: أن ابن أبي الدنيا أخرج عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان جالساً فأتاه قوم فقالوا: إنا خرجنا حجاجاً ومعنا صاحب لنا حتى أتينا ذات الصفاح، فمات فيها، فهينناه، ثم انطلقنا فحفرنا له قبراً ولحدنا اللحد، فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد، فحفرنا غيره، فلما فرغنا من لحده فإذا نحن بالأسود قد ملأ اللحد، فتركناه وحفرنا له مكاناً آخر، فلما فرغنا من لحده إذا نحن بالأسود قد ملأ اللحد، فتركناه وأتيناك، قال ابن عباس: ذلك عمله الذي يعمل به

انطلقوا فادفونوه في بعضها فوالذي نفسي بيده لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيه، فانطلقنا فدفناه في بعضها، فلما رجعنا قلنا لامرأته ما كان عمله ويحك؟ قالت: كان يبيع الطعام فيأخذ كل يوم منه قوت أهله ثم يُقرضُ القصب مثله فيلقيه فيه.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «أهوال القبور»: وروى الهيثم بن عدي حدثنا أبان بن عبد الله البجلي قال: هلك جار لنا فشهدنا غسله وكفنه وحمله إلى قبره، وإذا في قبره شيء شبيه بالهر، فزجرناه فلم ينزجر، فضرب الحفار جبهته ببرمة فلم يبرح، فتحولوا إلى قبر آخر، فلما لحدوا فإذا هو فيه، فصنعوا به مثل ما صنعوا أولاً فلم يلتفت، فرجعوا إلى قبر ثالث، فلما لحدوا فإذا ذلك الهر فيه، فصنعوا به مثل ما صنعوا أولاً، فلم يلتفت، فقال القوم: يا هؤلاء إن هذا لأمر ما رأينا مثله، فادفونوا صاحبكم، فدفنوه فلما سوي عليه اللبن سمعنا قعقة عظيمة، فذهبوا إلى امرأته فقالوا: يا هذه ما كان عمل زوجك؟ وحدثوها بما رأوا، فقالت: كان لا يغتسل من الجنابة.

وذكر أيضاً عن بعض مشايخ أهل دمشق قال: حججنا فهلك صاحب لنا في بعض الطريق على ماء من تلك المياه، فأتينا أهل الماء نطلب شيء نحفر له فأخرجوا لنا فأساً ومجرقة فلما وارينا صاحبنا نسينا الفأس في القبر، فنبشناه فوجدناه قد جمع عنقه ويداه ورجلاه في حلقة الفأس، فسوينا عليه التراب وأرضينا أصحابه - أي الفأس - من الثمن، فلما انصرفنا جئنا إلى امرأته فسألناها عنه قالت: ما رأيتم من حاله يحج ويغزو؟ فلما أخبرناها الخبر قالت: صحبه رجل معه مال، فقتل الرجل وأخذ المال فيه كان يحج ويغزو.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: كنت فيمن دلى الوليد بن عبد الملك في قبره، فنظرت إلى ركبتيه قد جمعت إلى عنقه فقال ابنه: عاش والله أبي ورب الكعبة، فقلت: عوجل أبوك ورب الكعبة،

فاتعظ بها عمر بعد .

وقال الحافظ في (أهوال القبور): وروينا من طريق أبي إسحاق الفزاري أنه سأل نباشاً قد تاب، فقلت: أخبرني عمّن مات على الإسلام ترك وجهه على ما كان أم ماذا؟ قال: أكثر ذلك حول وجهه عن القبلة، قال: فكتبت بذلك إلى الأوزاعي فكتب: إنا لله وإنا إليه راجعون - ثلاث مرات - أما من حول وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنة، وخرجه ابن أبي الدنيا. وقال: حدثنا عبد المؤمن بن عبد الله القيسي قال: قيل لنباش قد كان تاب ما أعجب ما رأيت؟ قال: نبشت رجلاً فإذا هو مسمم بالمسامير في سائر جسده، ومسمار كبير في رأسه، وآخر في رجله، قال: وقيل لنباش آخر ما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت جمجمة إنسان مصبوب فيها رصاص .

قال: وقيل لنباش آخر: ما كان سبب توبتك قال: عامة ما كنت أنبش أراه محول الوجه عن القبلة .

وذكر ابن الفارسي الليثي صاحب ناصر السنة ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ سنة تسعين وخمسائة وجد ميت ببغداد بظاهر باب البصرة وقد بلى ولم يبق غير عظامه وفي يديه ورجليه ضباب من حديد، وقد ضرب فيها مسامير في قصب يديه ورجليه، وقد وضعت ضبة حديد على بطنه، وضرب فيها مسماران، أحدهما في سرتة، والآخر في جبهته، وكان هائل الخلقة غليظ العظام، وكان سبب ظهوره زيادة الماء، فكشف جانب تل كان يعرف بالتل الأحمر على ميلين من سور باب البصرة القديم<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة حسب الطاقة.

## فصل

واعلم رحمك الله أن الملاحظة والزنادقة أنكروا عذاب القبر، وسعته وصفته، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وأنكروا جلوس الميت في قبره، قالوا: فإننا نكشف القبور لا نجد فيه الملائكة يضربون الموتى بمطارق الحديد، ولا نجد ثم حيات وثعابين ونيران، قالوا: وكيف يفسح له مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله ومساحته على حالها؟ وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له ولمن يؤنسه أو يوحشه؟ وقال إخوانهم من أهل البدع والضلال: كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطئه ناقله، قالوا: ونحن نرى المصلوب على الخشبة مدة طويلة لا يسأل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه ناراً، ومن افترسته السباع ونهشته الطير وتفرقت أجزائه في حواصل الطيور وأجواف السباع وبطون الحيات ومدارج الرياح، كيف يسئل وكيف يصير القبر على هذا روضة أو حفرة؟ وكيف يتسع قبره أو يضيق؟ هكذا زعم أعداء الله ورسله.

وأجاب عن ذلك الإمام المحقق في [الروح] كغيره بأمر يعلم بها الجواب.

**الأمر الأول:** أن يعلم أن الرسل عليهم السلام لم يخبرونا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته، بل أخبارهم قسمان، أحدهما ما شهد به العقل والفطرة، والثاني ما لا تدركه العقول بمجرد ما، كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً، وكل خبر يظن أن العقل يحيله لا يخلو من أحد أمرين، أن يكون كذباً عليهم، أو فساداً في ذلك العقل، وهو شبهة خيالية ظن صاحبها أنها معقول صريح.

قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٦]. إلى غير ذلك من الآيات، فالمؤمن المصدق لله ولرسوله ينشرح صدره لما يتلقاه عنهما كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرِحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٧-٥٨] والمحال لا يشفى ولا يحصل به هدى ولا رحمة ولا يفرح به، وأما الذين في قلوبهم مرض فلا يزدادون إلا رجساً على رجسهم.

**الأمر الثاني:** أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، ولا يحمل كلامه على ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده، وعمما قصده من الهدى والبيان، وبإهمال ذلك حصل الضلال والعدول عن الصواب، بل سؤالهم عن الله ورسوله ﷺ أصل لكل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وما أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والروافض، وسائر طوائف أهل البدع في الضلال إلا سؤالهم عن الله ورسوله، فلهذا تراهم حيارى لا يبتدون لرب يعبدونه، أو أنهم يعترفون أن لهم رباً ولكنهم بين الراضي والساخط، كما أنك ترى الجبرية يزعمون أن الذنب منه سبحانه وتعالى، فينسبون القبيح له، تعالى الله عن ذلك، وطائفة من الرافضة تراهم سخاطاً لكون النبوة ما هي في علي كرم الله وجهه.

**الأمر الثالث:** أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثة<sup>(١)</sup>: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها، ولهذا جعل أحكام الشريعة مرتبة على ما يظهر من حركات الإنسان

(١) كذا بالأصل.

والجوارح، وإن أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها، والتذت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، فإذا كان يوم محشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهر بادياً أصلاً، وأن ما أخبره الرسول ﷺ من عذاب القبر ونييمه وضيقه وسعته وكونه حفرة أو روضة مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه.

**الأمر الرابع:** أن الله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلًا بها غيباً، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريباً منه، ويشاهدهم عياناً ويتحدثون عنده، ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة أو من النار، ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير أو الشر، وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم السلام، تارة بلفظة، وتارة بإشارة، وتارة بقلبه إذا لم يتمكن من نطق وإشارة، وقد سمع بعض المحتضرين يقول: أهلاً وسهلاً ومرحباً بهذه الوجوه.

قال المحقق: أخبرنا شيخنا -يعني شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه- عن بعض المحتضرين - فلا أدري أشاهده أو أخبر عنه - أنه سُمع وهو يقول: وعليك السلام، ههنا فاجلس، وعليك السلام، ههنا فاجلس.

وذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما كان في يومه الذي مات فيه قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت - ثلاث مرات - ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع

رأسه فأحد النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين، قال: إنني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن، ثم قبض ﷺ .

وقال مسلم ابن عبد الملك: لما احتضر عمر بن عبد العزيز كنا عنده في قبة، فأوماً إلينا أن اخرجوا، فخرجنا فقعدنا حول القبة وبقي عنده ضيف، فسمعناه يقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِزَّةَ لِلْمُنْفِقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] ما أنتم بإنس ولا جان، ثم خرج الوصيف فأوماً إلينا أن ادخلوا، فإذا هو قد قبض، ويكفي في ذلك كله قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ الآية [الواقعة: ٨٣].

وأما عصرة القبرة حتى تختلف أضلاع بعض الموتى، فلا يرده حس ولا عقل ولا فطرة، ولو قدر أن أحداً نبش عن ميت فوجد أضلاعه كما هي لم يمتنع أن تكون قد عادت.

**الأمر الخامس:** أن النار التي في القبر ليست من نار الدنيا فيشاهدها من شاهد نار الدنيا، وإنما هي من نار الآخرة، وهي أشد من نار الدنيا ولا يحس بها أهل الدنيا، فإن الله سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحمته حتى تكون أعظم حراً من حر نار الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، بل أعجب من ذلك أن الرجلين يدفنان فيكون أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من حفر النار، لا يصل حرها إلى جاره، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل نعيمها إلى جاره، وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك، ويفرش للكافر لوحان من نار يشعل عليه قبره بهما كما يشعل التنور.

قال المحقق رحمته الله ورضي عنه: حدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد ابن الرزین الحراني: أنه خرج من داره بعد العصر قاصداً إلى بستان، قال:

لما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور، فإذا بقبر منها وهو جرة نار مثل كور الحداد، والميت في وسطه، فجعلت أمسح عيني وأقول أنا نائم أم يقظان؟ ثم التفت إلى سور المدينة وقلت: واللّه ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش، فأتوني بطعام فلم أستطع أن أكل، ثم دخلت البلد فدخلت عند صاحب لي فسألت عن صاحب ذلك القبر فإذا هو مكاس<sup>(١)</sup> قد توفي من ذلك اليوم، قال: فرؤية هذه النار في هذا القبر كرؤية الملائكة والجن، تقع أحياناً لمن شاء الله أن يريه ذلك.

قال: وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن مثنى السلامي التاجر، وكان من خيار عباد الله، وكان يتحرى الصدق ويتجر، قال: جاء رجل إلى سوق الحدادين ببغداد، فباع مسامير صغارا، المسمار برأسين، فأخذها الحداد وجعل يحمي عليها فلا تلين معه، حتى عجز عن ضربها، فطلب البائع فوجده فقال: من أين لك هذه المسامير؟ قال: لقيتها فلم يزل به حتى أخبره بأنه وجد قبراً مفتوحاً وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير، قال: فعالجتها على أن أخرجها فلم أقدر، فأخذت حجراً فكسرت عظامه وجمعتها، قال أبو محمد التاجر<sup>(٢)</sup> المذكور: وأنا رأيت تلك المسامير، قال المحقق: فقلت له كيف صفتها؟ قال: المسمار صغير برأسين.

وقال ثابت البناني: بينا أنا أمشي في المقابر وإذا صوت خفي وهو يقول: يا ثابت لا يغرنك سكوتها، فكم من مغموم فيها، فالتفت فلم أر أحداً.

(١) المَكْسُ: الجباية، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية، والمكس درهم كان يأخذه المصدّق بعد فراغه.  
لسان العرب/ مادة: مكس.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: قال أبو محمد إلخ، وصوابه أبو عبد الله محمد التاجر المذكور، وهو سهو منه رحمته الله كما قدمه هو قريباً، فجعل من لا يسهو فتأمل - كاتبه/ سعيد الله حفيده.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي إسحاق قال: دعيت إلى مئيت لأغسله، فلما كشفت الثوب عن وجهه إذ بحية قد تطوقت على حلقه، فذكر من غلظها، قال: فخرجت فلم أغسله، ولم يرها غيره، فذكروا أنه كان يسب الصحابة عليهم السلام، وذكر ابن أبي الدنيا عن سعيد بن خالد بن يزيد الأنصاري عن رجل من أهل البصرة كان يحفر القبور، قال: حفرت قبراً ذات يوم ووضعت رأسي قريباً منه، فأنتني امرأتان في منامي، فقالت إحداهما: يا عبد الله أنشدتك الله إلا صرفت عنا هذه المرأة فلا تجاورنا بها، فاستيقظت فزعاً فإذا بجناة امرأة قد جيء بها، فقلت: القبر وراءكم فصرفتهم عن ذلك القبر، فلما كان بالليل إذ أنتني المرأتان في منامي تقول إحداهما: جزاك الله عنا خيراً قد صرفت عنا شراً طويلاً، فقلت: ما لصاحبتك لا تكلمني؟ قالت: إن هذه ماتت من غير وصية، وحق لمن مات عن غير وصية أن لا يتكلم إلى يوم القيامة، وقد ذكرنا فيما تقدم شيئاً من هذا، وسنذكر شيئاً منه فيما يأتي إن شاء الله تعالى، وليس عند الملاحدة والزنادقة إلا التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه.

الأمر السادس: أن الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك، فهذا جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويتمثل له رجلاً، فيكلمه بكلام يسمعه ومن إلى جانب النبي صلى الله عليه وسلم لا يراه، وكذلك غيره من الأنبياء، وأحياناً يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس، ولا يسمعه غيره من الحاضرين، وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بيننا، ونحن لا نسمعهم، وقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط، وتضرب رقابهم وتصيح بهم، والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم، والله سبحانه قد حجب ابن آدم عن كثير مما يحدث في الأرض وهو بينهم، وقد كان جبريل يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم ويدارسه القرآن والحاضرون لا يسمعون،

وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه ويقر بقدرته، أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار خلقه حكمة منه ورحمة بهم، لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها، والعبء أضعف بصراً وسمعاً من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وكثير ممن أشهده الله ذلك ضعف وغشي ولم ينتفع بالعيش زمناً، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات، فكيف ينكر في الحكمة الإلهية مثل هذا؟ أليس هو الفاعل المختار؟ وإذا كان أحدنا يمكنه توسيع القبر عشرة أذرع ومائة ذراع وأكثر طولاً وعرضاً وعمقاً، ويستر توسعته عن الناس ويطلع عليه من شاء، فكيف يعجز رب العالمين أن يوسعه ما يشاء ويستر ذلك عن أعين الناس من بني آدم؟ فيروه ضيقاً وهو أوسع شيء، وأطيبه ريحاً وأعظمه إضاءة ونوراً وهم لا يرون ذلك، وسر المسألة أن هذه التوسعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار ليس من جنس المعهود في هذا العالم، والله سبحانه وتعالى إنما أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها، أما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الإقرار به والإيمان سبباً لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء صار عياناً مشاهداً، فلو كان الميت بين الناس موضوعاً لم يمتنع أن يأتيه الملكان فيسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك، ويجيبهما من غير أن يسمعا كلامه، ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه، وهذا الواحد منا ينام إلى جنب صاحبه فيعذب في النوم ويضرب ويألم، وليس عند المستيقظ خبر من ذلك البتة.

وقد قال لي يوماً بعض ضعفاء اليقين: أتمني أن ينشر لنا ميت فيخبرنا عن عذاب القبر ونعيمه هل هو حق أم لا؟ فقلت له: أوكنت تصدقه؟ قال: نعم، فقلت له: أليس تعلم أن محمداً رسول الله ﷺ؟ قال: بلى قلت: فهل هو صادق في كل ما أخبر أم لا؟ قال: بلى، فقلت له: ويا سبحان الله إذا كنت في شك من خبر المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، فكيف تصدق إنساناً يجوز عليه الكذب والصدق؟ والله يا رجل أنت جاهل بالله

ورسوله، ففحم ولم يحسن أن يتكلم، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيح عن قلوبنا حجاب الغفلة بمنه وكرمه.

**الأمر السابع:** أنه غير ممتنع أن ترد الأرواح إلى المصلوب والغريق ونحوهما ونحن لا نشعر بها، إذ ذلك الرد نوع آخر غير المعهود، فهذا المغمى عليه والمسكوت والمبهوت أحياء وأرواحهم معهم ولا نشعر بحالتهم، ومن تفرقت أجزاءهم لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالاً بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع الألم واللذة.

**الأمر الثامن:** أنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ، وهو ما بين الدنيا والآخرة، فالحريق والغريق وأكيل السبع والطيور، له من العذاب واللذة قسطة الذي تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما، وقد ظن بعض هؤلاء، إذا حرق جسده في النار، وصار رماداً وذري بعضه في البر وبعضه في البحر في يوم شديد الريح، أنه ينجوا من ذلك، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم، فإذا هو قائم بين يدي الله، فسأله ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك يا رب، وأنت أعلم، فما تلاقاه أن رحمه<sup>(١)</sup> فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه.

**الأمر التاسع:** الموت معاد وبعث أول، فإن الله سبحانه جعل لابن آدم معادين وبعثين، يجزي فيهما الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذي

(١) لعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم ٦٤٨١ عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ذكر رجلاً فيمن كان سلف أو قبلكم آتاه الله مالا وولدا فلما حضر قال لبنيه: أي أب كنت؟ قالوا: خيراً، قال: فإنه لم يبتئر عند الله خيراً... الحديث.

أحسنوا بالحسنى، فالبعث الأول مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار المحشر الأول، والبعث الثاني يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار، وهو المحشر الثاني، ولهذا قال: وتؤمن بالبعث الآخر، فإن البعث الأول لا ينكره أحد، وقد ذكر الله سبحانه هاتين القيامتين، وهما الصغرى والكبرى في سورة المؤمنين وسورة الواقعة وسورة المطففين، وقد اقتضى عدله وحكمته أن تنعيم الأبدان لأوليائه، فلا بد وأن يذيق بدن المطيع وروحه من النعيم واللذة ما يليق به، ويذيق بدن الفاجر العاصي وروحه من الألم والعقوبة ما يستحقه، هذا موجب عدله وحكمته وكرمه وقدرته، ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان، لا دار جزاء لم يظهر فيها هذا، وأما البرزخ فهو أول دار الجزاء، فظهر فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار واقتضت الحكمة إظهاره، فإذا كان يوم القيامة الكبرى وفِي أهل الطاعة وأهل المعصية ما يليق بهم من نعيم الأبدان والأرواح وعذابها، فعذاب البرزخ ونيمة أول عذاب الآخرة ونيمة، وهو مشتق منه واصل إلى أهل البرزخ من هناك، كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة الصريحة في غير موضع، كقوله «يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونيمة»<sup>(١)</sup> وفي الفاجر «يفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها»<sup>(٢)</sup> ومعلوماً قطعاً أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها، فإذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب إلى مقعده الذي هو داخله وهذان البابان يصل منهما إلى العبد في هذه الدار أثر خفي محجوب بالشواغل والعوارض، لكن يحس به كثير من الناس وإن لم يعرف سببه .

هذا كله ملخص كلام الإمام المحقق من الجواب عن شبه الملاحظة

(١) سبق ص ٩٦، ١٤٦ .

(٢) سبق ص ٩٦، ١٤٦ .

والزنادقة ومن نحا نحوهم، وهو كلام سديد مفيد، لا يعيبه إلا كل كافر عنيد، فجزاه الله عن الإسلام والسنة خيراً.

ومن عجيب ما ذكر الحافظ الدمياطي في معجمه: سمعت محمد بن إسماعيل بن عبد الله الدمياطي يقول، سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله الثعلبي صاحب السلفي يقول، كان عندنا رجل نباش يتكفف الناس أعمى وكان يقول: من يعطني شيئاً فأخبره بالعجب، ثم يقول: من يزيدني فأره العجب، قال: فأعطي شيئاً وأنا إلى جنبه أنظر، فكشف عن عينه فإذا بها قد نفذتا إلى قفاه كالأنبوبتين النافذتين يرى من قبل وجهه ما وراء قفاه، ثم قال أخبركم أنني كنت في بلد نباشاً حتى شاع أمرى، فأخفت الناس حتى ما أبالهم، وأن قاضى البلد مرض مرضاً خاف منه الموت، فأرسل إلى وقال: أنا أشتري هتكى في قبري منك، وهذه مائة دينار فأخذتها فعوفي من ذلك المرض، ثم مرض بعد ذلك فمات، وتوهمت أن العطية للمرض الأول فجنّت فنبشته فإذا في القبر حس عقوبة، والقاضي جالس نائر الرأس محمرة عيناه كالسكرجيتين<sup>(١)</sup> فوجدت زمعاً<sup>(٢)</sup> في ركبتى وإذا بضربة في عيني من أصبعين، وقائل يقول: يا عدو الله تطلع على أسرار الله عز وجل.

وذكر البيهقي في كتاب (عذاب القبر) عن يزيد بن عبد الله بن الشخير

(١) السكرجة: إنا صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وهي فارسية.

لسان العرب مادة: سكرج.

(٢) الزمّع بفتح الحين الدهش، وقد زمّع: أي خرف من خوف.

مختار الصحاح - مادة: زمع.

وفي لسان العرب: الزمّع الدهش، والزمع رعدة تعترى الإنسان إذا هم بأمر، وزمع

الرجل - بالكسر زمعاً خرف من خوف وجزع، والزمع القلق.

لسان العرب: مادة: زمع.

قال: بينما رجل يسير في أرض إذ أتى إلى قبر، فسمع صاحبه يقول آه آه، فقام على قبره فقال: فضحك عملك وافتضحت.

وذكر السيوطي عن المقرئ الميرزي أنه قدم في سنة سبع وتسعين وستمائة البريد بأن رجلاً من الساحل ماتت امرأته فدفنها وعاد، فذكر أنه نسي في القبر منديلاً فيه مبلغ دراهم، فأخذ فقيه القرية ونش القبر ليأخذ المال، والفقير على شفير القبر، فإذا المرأة جالسة مكتوفة بشعرها، ورجلاها قد ربطتا بشعرها، فحاول حل كتافها فلم يقدر، فأخذ يجهد نفسه في ذلك فحسب به وبالمراة حيث لم يعلم لهما خبر، فغشي على فقيه القرية مدة يوم وليلة فبعث السلطان بخبر هذه الحادثة إلى الناس ليعتبروا بذلك.

وحكى عبد الكافي: أنه شهد جنازة فإذا عبد أسود معنا، فلما صلى الناس لم يصل، فلما حضرنا الدفن نظر إليّ ثم قال أنا عمله، ثم ألقى نفسه في القبر فنظرت فلم أر شيئاً.

وأخرج ناصر السنة ابن الجوزي رحمته الله عن عبد الله بن محمد الديني عن صديق له، أنه خرج إلى ضيعة له، قال: فأدركتني صلاة المغرب إلى جنب مقبرة، فصليت المغرب قريباً منها، فبينما أنا جالس إذ سمعت من ناحية القبور صوت أنين، فدنوت إلى القبر الذي سمعت منه الأنين وهو يقول: أوه قد كنت أصلي، قد كنت أصوم، فأصابتني قشعريرة فدنا من حضرني فسمع مثل ما سمعت، ومضيت إلى ضيعتي ورجعت في اليوم الثاني، فصليت في موضعي الأول وصبرت حتى غابت الشمس، وصليت المغرب ثم استمعت على ذلك القبر فإذا هو يئن ويقول: أوه قد كنت أصلي قد كنت أصوم، فرجعت إلى منزلي وحميت فمكثت شهرين.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) من طريق

عبد الله بن دينار عن أبي أيوب اليماني عن رجل من قومه يقال له عبد الله، إنه ونفر من قومه ركبوا البحر، وأن البحر أظلم عليهم أياماً، ثم انجلت عنهم تلك الظلمة وهم قرب قرية، قال عبد الله فخرجت ألتمس الماء، فإذا الأبواب مغلقة تجأجأ فيها الريح، فهتفت فيها فلم يجبني أحد، فبينما أنا على ذلك إذ طلع عليّ فارسان، تحت كل واحد منهما قطيفة بيضاء فقالا لي: يا عبد الله اسلك هذه السكة فإنك تنتهي إلى بركة فيها ماء، فاستق منها ولا يهولك ما ترى، فسألتهما عن تلك البيوت المغلقة التي تجأجأ فيها الريح، فقالا: هذه بيوت فيها أرواح الموتى، فخرجت حتى انتهيت إلى البركة فإذا فيها رجل معلق مصوب<sup>(١)</sup> على رأسه يريد أن يتناول الماء بيده وهو لا يناله، فلما رأيته هتفت بي وقال: يا عبد الله اسقني، فغرفت بالقدرح لأناوله إياه فقبضت يدي، فقال لي: بل العمامة ثم ارم بها إليّ، فبللت العمامة لأرمي بها إليه فقبضت يدي، فقلت يا عبد الله قد رأيت ما صنعت فقبضت يدي فأخبرني من أنت؟ قال: أنا ابن آدم، أنا أول من سفك دماً في أرض.

وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: بينما رجل في مركب في البحر، إذ انكسرت بهم مركبهم، فتعلق بخشبة فطرحته إلى جزيرة من الجزائر، فخرج يمشي فإذا هو بماء فاتبعه فدخل في شعب، فإذا برجل في رجله سلسلة مربوط فيها، بينه وبين الماء شبر، فقال: اسقني رحمك الله، قلت: ما لك؟ قال: ابن آدم الذي قتل أخاه، والله ما قُتِلْتُ نَفْسٌ منذ قُتِلْتُ أخي إلا عذبنى الله بها، لأنني أول من سن القتل.

وروى تمام بن محمد الرازي في كتاب (الرهبان) له، حدثنا عصمة العباداني قال: كنت أجول في بعض الفلوات إذ نظرت ديراً وفيه صومعة

(١) هكذا في الأصل ولعلها (مصلوب).

وفيهما راهب، فناديته فأشرف عليّ، فقلت: من أين تأتيك الميرة؟ قال: مسيرة شهر، قلت: حدثني بأعجب ما رأيت في هذا الموضع، قال: بينا أنا ذات يوم أدير بصري في هذه البرية القفراء وأفكر في عظمة الله وقدرته، إذ رأيت طائراً أبيض مثل النعامة كبيراً قد وقع على تلك الصخرة - وأما بيده إلى صخرة بيضاء - فتقايأ رأساً ثم رجلاً ثم ساقاً، وإذا هو كلما تقايأ عضواً من تلك الأعضاء التأمت بعضها إلى بعض أسرع من البرق، فإذا هو رجل جالس، فإذا هم بالنهوض نقره الطائر نقرة قطع أعظامه، ثم يرجع فيبتلعه، فلم يزل على ذلك أياماً، فكثرت تعجبي منه وازدادت يقيناً لعظمة الله تعالى، وعلمت أن لهذه الأجساد حياة بعد الموت فالتفت إليه يوماً فقلت: يا أيها الطائر سألتك بحق الذي خلقتك وبرأك إلا أمسكت عنه حتى أسأله بقصته، فاجأبني الطائر بصوت عربي طلق: لربي الملك وله البقاء الذي يفنى كل شيء ويبقى، أنا ملك من ملائكة الله، موكل بهذا الجسد لما اجترم، فالتفت إليه وقلت: يا هذا الرجل المسئ إلى نفسه ما قصتك ومن أنت؟ قال: أنا عبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي عليه السلام، وإني لما قتلتته وصارت روعي بين يدي الله، ناولني صحيفة مكتوب فيها ما عملته من الخير والشر منذ ولدتني أمي إلى أن قتلت علياً كرم الله وجهه، فأمر الله هذا الملك بعذابي إلى يوم القيامة فهو يفعل بي ما تراه، ثم سكت فنقره الطائر نقرة نشر أعضاءها، ثم جعل يبتلعه عضواً عضواً، ثم مضى، قال ابن رجب: وقال الراهب وقال لي الملك: قد أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمرني أن أمضي بهذا الجسد إلى جزيرة في البحر الأسود، الذي يخرج منه هوام أهل النار، فأعذبه إلى يوم القيامة.

قال السيوطي: وهذا الإسناد - يعني إسناد هذه الحكاية - ليس فيه من تكلم فيه سوى أبي علي شيخ تمام، قال الذهبي: كان متهماً، وقال الحافظ ابن رجب: قد رويت هذه الحكاية من أوجه أخر، أخرجها ابن النجار في تاريخه من طريق السلفي بإسناد له إلى الحسن بن محمد بن عبيد الإشكري،

حدثنا إسماعيل بن أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن المنجم، سنة مائة وثلاثة عشر أنه حضر مع يوسف بن أبي التياح فأحضر راهباً، فحدث فذكر شبيهاً بها، وفيها أنه قال: أن ملكاً نفاه إلى جزيرة على البحر منفردة قال: فرأيت يوماً طائراً إلخ، ورويت من وجه آخر من طريق أبي عبيد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، صاحب السداسيات المشهورة، عن علي بن بقار بن محمد الوراق، حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر البزار، سمعت أبا بكر بن أحمد ابن أبي الأصبح قال: قدم علينا شيخ غريب، فذكر أنه كان نصرانياً سنين، وأنه تعبد في صومعته قال: فبينما هو ذات يوم جالس إذ طائر كالنسر أو كالكركي، فذكر شبيهاً بالحكاية مختصراً، انتهى كلام الحافظ ابن رجب.

قلت: ومن هذه الأخبار ما هو كثير جداً، ولا ينكر عذاب القبر من خالطت بشاشة الإيمان قلبه، إذ قد صحت به الأخبار، وتواترت الآثار، فيالها من حفرة بعد أن كان مسكنه القصور العلى، ووحدة في ظلمة بعد أن كان يضاجع غيدة كالطلاء، والشمع مضوء به قصره مستعظماً في عيشة المبتلى.

قال الإشبيلي في (العاقبة) قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لبعض جلسائه: يا فلان لقد أرقت البارحة تفكراً في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث ليال في قبره لاستوحشت منه بعد طول الأنس به، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام، ويجرى فيه الصديد، ويخترقه الديدان، مع تغير الريح، وتقطع الأكفان، وكان ذلك بعد حسن الهيئة، وطيب الريح، ونقاء الثوب، ثم شهق شهقة خر مغشياً عليه.

وفي بعض الخطب: يا ابن آدم لا يغرنك ارتفاع ذكرك، ونفاذ أمرك وتشيد قصرك، مع ما جمعت فيه من الطباء الشرذ، والأوانس النهدي،

والمتاع المزخرف المنجد، فإنك تخرج منه بالرغم، والأمر الجزم، إلى  
الحجارة والرجم، فتغتسل فيها بصديك، وتأنس فيها بحشراتك ودودك،  
إلى أن تبلغك هذه الرجفة لهلاك هذا المعمور، ثم الصيحة ليوم الشور  
وبعثة القبور، فتخرج بالأمر الكبار إلى دارك دار القرار، إما إلى الجنة وإما  
إلى النار، وأنشد بعضهم في ذلك:

من كان مسكنه قصراً يشيده      فإن مسكنه من بعد ذا جدث  
ومن تكن فرشه فيها مرقشة      ففرشه في ضريح بعدها الرث  
ومن غدا وسط ناد شعره رجلاً      فإن آخره التمزيق والشعث

قال الإشبيلي مر داود الطائي بامرأة تبكي على قبر وهي تقول:

عدمت الحياة فلا نلتها      إذا أنت في القبر قد وسدوكا  
وكيف الذي بطعم الكرى      وها أنت في القبر أفردوكا  
ثم قالت: يا أبتاه بأي خديك بدأ الدود أولاً؟ فخر داود مغشياً عليه.

واعلم وفقني الله وإياك أنه من أقام خيال حالة كونه في تلك الحفرة  
الفضيعة والرؤية البشيعية، وتفكر فيما يؤول إليه حاله فقصرت همته وآماله،  
وعلم أن بدنه سيطرح في حفرة تقطع أوصاله، وتغير أحواله، وتبين إلى أين  
يصير ماله، وأنه يطلب بكل ما عمله أو قاله، ولم يشغل بميت باله، ولم  
يبك إلا لنفسه لا له، وما أحسن قول القائل:

لمن جدث أبصرته فشجاني      وأرسل في شأو الهموم عناني  
سفكت عليه أدمعي فسقيته      كما هو من كأس الهموم سقاني  
وقفت به حيران وقفت هائم      أعالج قلباً دائماً الخفقان  
وما بي من في البر لكن رأيت      على حالة فيها وسوف تراني

وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أتيت القبور مرة فقلت فيها: أتيت القبور

فناديتها، أين المعظم المحترق.

وأين المدل بسلطانه، وأين العزيز إذا ما افتخر.

قال: فنوديت من بينهم: أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول:  
تفانوا جميعاً فلا مخبر، وماتوا جميعاً ومات الخبر.

تروح وتغدو بنات الثرى، وتمحوا محاسن تلك الصور.

وصاروا إلى ملك قاهر، عزيز مطاع إذا ما أمر.

فيا سائلي عن أناس مضوا، أما لك فيما ترى معتبر.

قال مالك فرجعت وأنا أبكي، وأنشد بعضهم وأحسن:

قف بالقبور بأكباد مصدعة	ودمعة من سويد القلب تنبعث
وسل بها عن رجال طال مارشفوا	ثغرا لنعيم وما في ظله مكثوا
ماذا لقوا في خباياها وما قدموا	عليه فيها وما من أجله ارتبثوا <sup>(١)</sup>
وعن محاسنهم إن كان غيرها	طول المقام يبطن الأرض واللبث
وما لهم حشرات الأرض تنهشهم	نهشاً تزول به الأعضاء والجثث
فإن يجيبك بما لاقى مجيبهم	ولن يجيب وأنى ينطق الجدث
فانظر مكانك في أفناء ساحتهم	فإنه الجدد لا هزل ولا عبث
واعمل لمصرع يوم هال أوله	ومن أمامك فيه الروع والجاث <sup>(٢)</sup>

فإن قلت: هل عذا القبر دائم أو منقطع؟ فالجواب كما قال المحقق:

(١) الرَّبْثُ: حَبْسُكَ الإنسان عن حاجته وأمره بعلل، رَبَّثَ عن أمره وحاجته يَرْبُثُهُ رَبْثًا وَرَبْثُهُ: حبسه وصرفه، والرَّبِيْثَةُ: الأمر يجبسك. لسان العرب/ مادة: ربث.

(٢) الجَوْرُثُ: استرخاء أسفل البطن، ورجل أْجَوْرَثَ، والجَوْرُثَاءُ بالجيم: العظيمة البطن عند السرة. لسان العرب/ مادة: جوث.

أن عذاب القبر نوعان، نوع دائم وهو عذاب الكافر سوى ما روي في بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين<sup>(١)</sup> فإذا قاموا من قبورهم قالوا: ﴿قَالُوا يَتَوَلَّأْنَا مِنْ بَعْثَانَا مِنْ مَرْقَدَانَا﴾ [يس: ٥٢] ويدل على دوامه قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] وحديث سمرة الذي رواه البخاري في رؤيا النبي ﷺ وفيه «فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup> وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الجريدتين «لعله يخفف عنهما ما لم يببسا»<sup>(٣)</sup> فجعل التخفيف مقيداً بمدة رطوبتهما فقط، وفي حديث البراء ابن عازب في قصة الكافر «ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة»<sup>(٤)</sup> رواه أحمد وتقدم، وفي بعض طرقه «ثم يخرق له خرقة إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة»<sup>(٥)</sup> فهذا كله يدل على دوام العذاب على الكافر في قبره.

**النوع الثاني:** إلى مدة ثم يزول وينقطع عنه العذاب، بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم، وحكى القرطبي في (التذكرة): أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري رضي الله عنه

(١) ما وقفت عليه في هذا هو ما جاء في تفسير الطبري عن أبي ابن كعب في قوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّأْنَا مِنْ بَعْثَانَا مِنْ مَرْقَدَانَا﴾ [يس: ٥٢] قال: ينامون نومة قبل البعث. وعن قتادة (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) هذا قول أهل الضلالة والرقدة ما بين النفختين. جامع البيان (١٠ / ٤٥٠).

وفي تفسير القرطبي: قال أبو صالح: إذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور، وهجموا هجمة إلى النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة، فذلك قولهم [من بعثنا من مرقدنا] وقاله ابن عباس وقتاده. الجامع لأحكام القرآن (١٥ / ٣٩).

(٢) البخاري رقم ٧٠٤٧.

(٣) رواه البخاري رقم ٧٠٤٧.

(٤) تقدم ص ٩٣، ١٤٦.

(٥) ذكره العسقلاني في الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع (٧٥).

تعالى فقالت: إن ابنتي ماتت وقد أحببت أن أراها في المنام فعلمني صلاة أصلها لعلي أراها، فعلمها صلاة، فرأت ابنتها وعليها لباس القطران والغل في عنقها والقيد في رجليها، فارتاعت لذلك وأخبرت الحسن، فاغتم عليها، فلم تمض مدة حتى رآها الحسن في المنام وهي في الجنة على سرير، وعلى رأسها تاج، فقالت له: يا شيخ أما تعرفني قال: لا، قالت: أنا بنت تلك المرأة التي علمت أمي الصلاة فرأيتني في المنام، قال: فما سبب أمرك؟ قالت: مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبي ﷺ وكان في المقبرة خمسمائة وستون إنساناً في العذاب، فنودي ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبي ﷺ .

### حكاية عجيبة:

قال القرطبي: وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمته الله في كتاب «عيون الأخبار» عن الحارث بن نبهان أنه قال: كنت أخرج إلى الجبانات فأرحم على القبور، وأفكر وأعتبر وأنظر إليهم سكوتاً لا يتكلمون، وجيراناً لا يتزاورون، وقد صار لهم من بطن الأرض وطاء ومن ظهرها غطاء، وأنادي: يا أهل القبور، محيت من الدنيا آثاركم، وما محيت عنكم أوزاركم، وسكنتم دار البلى فتورمت أقدامكم، ثم يبكي بكاء شديداً ثم يميل إلى قبة فيها قبر فينام في ظلها، قال: فبينما أنا نائم إلى جنب القبر إذ أنا بحس مقمعة، يضرب بها صاحب القبر وأنا أنظر إليه والسلسلة في عنقه، وقد ازرق عيانه، واسود وجهه، وهويقول: يا ويلى ماذا حل بي؟ لو رأي أهل الدنيا ما ركبوا معاصي الله أبداً، طولبت والله باللذات فأوبقتني وبالخطايا فأغرقتني، فهل من شافع لي أو مخبر أهلي بأمرى؟ قال الحارث: فاستيقظت مرعوباً وكاد أن يخرج قلبي من هول ما رأيت، فمضيت إلى داري، وبت ليلي وأنا متفكر فيما رأيت، فلما أصبحت قلت

دعني أعود إلى الموضع لعلي أجد به أحداً من زوار القبور فأعلمه بالذي رأيت، قال: فمضيت على المكان الذي كنت فيه بالأمس فلم أر أحداً، فأخذني النوم فنمت، فإذا أنا بصاحب القبر وهو يسحب على وجهه ويقول: يا ويلتاه ماذا حل بي، ساء في الدنيا عملي، وطال فيها أجلي، حتى غضب عليّ رب الأرباب، فالويل لي إن لم يرحمني ربي، قال: فاستيقظت وقد تَوَلَّه عقلي مما رأيت وسمعت، فمشيت إلى داري وبت ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر لعلي أجد أحداً من زوار القبور فأعلمه بما رأيت فلم أر أحداً، ثم نمت فإذا أنا بصاحب القبر قد قرن بشيطان وهو يقول: ما أغفل أهل الدنيا عني ضوعف علي العذاب، وتقطعت عني الحيل والأسباب، وغضب عليّ رب الأرباب، وغلق في وجهي كل باب، فالويل لي إن لم يرحمني ربي العزيز الوهاب، قال: فاستيقظت من منامي مرعوباً وهممت بالانصراف، فإذا بثلاث جوار قد أقبلن، فتباعدت لهن عن القبر وتواريت لكي أسمع كلامهن، فتقدمت الصغرى ووقفت على القبر وقالت: السلام عليك يا أبتاه، كيف هدؤوك في مضجعك؟ وكيف قلبوك في موضعك؟ ذهبت عنا بودك، وانقطع عنا سؤالك، فلما أشد حسرتنا عليك، ثم بكت بكاء شديداً، ثم تقدمت الابنتان فسلمن على القبر ثم قالتا: هذا قبر أبينا الشفيق علينا، الرحيم بنا، أنسك الله بملائكة رحمته، وصرف عنك ملائكة عذابه ونقمته، يا أبتاه جرت بعدك أمور لو عاينتها لأوهنتك، ولو اطلعت عليها لأحزنتك، كشف الرجال وجوهنا، وقد كنت أنت تسترها، قال: فبكيت لما سمعت كلامهن ثم قمت مسرعاً إليهن فسلمت عليهن وقلت لهن: أيها الجوار إن الأعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها، فما كان عمل أبيكن المخلد في هذا القبر، الذي عاينت من أمره ما أحزنتني واطلعت من حاله على ما آلمني، فلما سمعت كلامي كشفن وجوههن وقلن: أيها العبد الصالح وما الذي رأيت؟ قلت لهن: ثلاثة أيام

اختلف إلى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة فيه، قال: فلما سمعت ذلك مني قلن لي يا لها من بشارة ما أضرها، ومصيبة ما أحزنها، نحن نقضي الأوطار ونعمر الديار وأبونا يحرق بالنار، فوالله لا أقر بنا قرار، ولا ضمنتنا للذة العيش دار، أو نتضرع للجبار فلعله يعتق أبانا وينقذه من النار، ثم مضين يعثرن في أذيالهن قال: فمضيت إلى داري فبت ليلتي فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده فغلبني النوم فإذا أنا بصاحب القبر له حسن وجمال، وفي رجله نعل من ذهب ومعه حور وغلمان، قال الحارث فسلمت عليه وقلت له رحمك الله من أنت؟ فقال: أنا الرجل الذي عاينت من أمره ما أحزنتك، واطلعت منه على ما أفجعك، فجزاك الله خيراً فما أيمن طلعتك عليّ، فقلت له: وكيف حالك؟ فقال لي: لما اطلعت عليّ وأخبرت بناتي بالأمس بحالي أعرين أبدانهن وأسبلن شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن في التراب، وأهملن دموعهن بالانسكاب، واستوهبني من العزيز الوهاب، فغفر لي الذنوب والأوزار، واستنقذني من النار، وأسكنني دار القرار جوار محمد المختار، فإذا رأيت بناتي فأعلمهن بأمري وما كان من قصتي ليزول عنهن روعهن، ويفارقن حزنهن، وتعلمهن أنني قد صرت إلى جنات وهورومسك وكافور، وعندني غلمان وسرور، وقد عفي عني العزيز الغفور، فاستيقظت فرحاً مسروراً لما رأيت وسمعت، ثم مضيت إلى داري وبت ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر فوجدتهن حافيات الأقدام، فسلمت عليهن وقلت لهن: أبشرن فقد رأيت أباكن في خير عظيم، ومملك مقيم، وقد أعلمني أن الله أجاب دعاءكن ولم يخيب مسعاكن، وقد وهب لكن أباكن، فاشكرنه على ما أولاكُن، قال: فقالت الصغرى: اللهم يا مؤنس القلوب، ويا ساتر العيوب، ويا كاشف الكروب، ويا غافر الذنوب، ويا عالم الغيوب، ويا مبلغ الأمل المطلوب، قد علمت مكان مسألتي، ورغبتني واعتذاري في خلوتي، واستقامي من زلتي،

وتنصلي من خطيئتي، وأنت اللهم تعلم همتي، والمطلع على نيتي،  
والعالم بطوبتي، ومالك رقبتي، والآخذ بناصيتي، وغايتي في طلبتي،  
ورجائي عند شدتي، ومؤنسي في وحدتي، وراحم عبرتي، ومقيل عثرتي،  
ومجيب دعوتي، فإن كنت قصرت عما أمرتني، وركنت إلى ما عنه نهيتني،  
فبحلمك حملتني، وبسترك سترتني، فبأي لسان أذكرك؟ وعلى أي نعمة  
أشكرك؟ ضاق بكثرتها ضرعي، فيا أكرم الأكرمين، ومنتهى غاية الطالبين،  
ومالك يوم الدين، الذي يعلم ما أخفي في الضمير، وتدبر أمر الصغير  
والكبير، فإن كنت قضيت الحاجة بفضلك، وشفعتني في عبدك، فاقبضني  
إليك وأنت على كل شيء قدير، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا، رحمة  
الله عليها، ثم قامت الثانية فنادت بأعلى صوتها: يا رب يا رب، فرج  
كربي، وخلص من الشك قلبي، يا من أقامني من صرعتي، وأقالني من  
عثرتي، ودلني من حيرتي، وأعانني في شدتي، إن كنت قبلت دعوتي،  
وقضيت حاجتي، وأنجحت طلبتي، فألحقني بأختي، ثم صاحت صيحة  
فارقت الدنيا، رحمة الله عليها قال: ثم قامت الثالثة فنادت بأعلى صوتها:  
يا أيها الجبار الأعظم، والملك الأكرم، والعالم بمن سكت وتكلم، لك  
الفضل العظيم، والملك القديم، والوجه الكريم، العزيز من أعزته،  
والذليل من أذلتته، والشريف من شرفته، والسعيد من أسعدته، والشقي من  
أشقيته، والقريب من أدنيته، والبعيد من أبعدته، والمحروم من أحرمته،  
والرابع من أوهبته، والخاسر من عذبتة، أسألك باسمك العظيم، ووجهك  
الكريم، وعلمك المكنون، الذي بعد عن إدراك الأفهام، وغمض عن  
مناولة الأوهام، باسمك الذي جعلته على الليل فدجى، وعلى النهار  
فأضاء، وعلى البحار فزخرت، وعلى الجبال فدكدكت، وعلى الرياح  
فتناشرت<sup>(١)</sup>، وعلى السموات فارتفعت، وعلى الأصوات فخشعت، وعلى

(١) كذا في الأصل.

الملائكة فسجدت، اللهم إني أسألك إن كنت قضيت حاجتي، وأنجحت طلبتي، فألحقني بصويحباتي، ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا، رحمة الله عليها، انتهى ما ذكره القرطبي.

قال المحقق وهذا يعني كون الدعاء ونحوه يكون سبب انقطاع عذاب القبر، كما يشفع الشافع في المتعذب في الدنيا فيخلص من العذاب بشفاعته، لكن هذه شفاعاة قد تكون بدون إذن المشفع عنده، والله سبحانه وتعالى لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشفوع له، ولا يعتبر بغير هذا، فإنه شرك وباطل تعالى الله عنه، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] ﴿مَا<sup>(١)</sup> مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤].

وقد ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن نافع قال: مات رجل من أهل المدينة فرآه رجل كأنه من أهل النار، فاغتم لذلك، ثم إنه بعد ساعة أو ليلة ثانية رآه من أهل الجنة، فقال: ألم تكن من؟ قلت: إنك من أهل النار؟ قال: قد كان ذلك، إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع في أربعين من جيرانه فكنت أنا منهم، وتقدمت.

وفي كتاب «الروح» للمحقق عن بشار بن غالب قال: رأيت رابعة العدوية في منامي، وكنت كثير الدعاء لها، فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور، مخمرة بالمناديل الحرير، فقلت: وكيف

(١) في الأصل (فما) والمثبت هو الصواب.

ذلك؟ فقالت هذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم، جعل ذلك الدعاء على أطباق من نور، وخُمر بمناديل الحرير، ثم إن الذي دعى له من الموتى يقال له: هذه هدية فلان إليك، قال ابن أبي الدنيا: وحدثني عبد الله بن بجير قال: حدثني بعض أصحابنا قال: رأيت أخاً لي في النوم بعد موته فقلت: أ يصل إليكم دعاء الأحياء؟ قال: إي والله مثل النور نلبسه، والله الموفق.

### فإن قلت: ما الأسباب<sup>(١)</sup> الموجبة لعذاب القبر؟

فالجواب من وجهين كما ذكره المحقق مجمل ومفصل.

أما المجمل فإنهم يعذبون على جهلهم بالله، ومخالفتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته وامثلت أمره واجتنبت نهيه، ولا بدناً كانت فيه أبداً، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه.

وأما الجواب المفصل فقد أخبر ﷺ عن الرجلين اللذين رأهما يعذبان في قبورهما، يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، وبعدم التنزه من البول<sup>(٢)</sup> فهذا ترك الطهارة، وذاك ارتكب سبباً موقعاً للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقاً، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور أعظم عذاباً، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهاً على أن من ترك

(١) في حاشية الأصل/ قف على الأسباب الموجبة لعذاب القبر.

(٢) تقدم ص ٢٠٨.

الصلاة التي هي المقصودة من الطهارة والاستبراء من البول أشد عذاباً، فعذاب القبر من معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله، فالكذاب والمغتاب وشاهد الزور، وقاذف المحصن، والوقيع في الفتنة، والداعي إلى البدعة، والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به، والمجازف في كلامه، وآكل الربا وكاتبه وشاهداه، وكذا معطيه، وآكل أموال اليتامى، وآكل السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق، كذا مال الذمي والمستأمن وشارب المسكر، وأكلة لقمة الشجرة الملعونة<sup>(١)</sup>، والزاني واللوطي والخائن والغادر والمخادع والماكر، والمحلل والمحلل له، والمحتال على إسقاط فرائض الله، وارتكاب محارمه، ومؤذي المسلمين، ومتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل الله، والمفتي بخلاف ما شرعه الله، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التي حرم الله، والمقدم رأيه وذوقه على سنة رسول الله ﷺ، والنائحة والمستمع إليها، ونوابح جهنم وهم المغنون الغناء الذي حرم الله ورسوله، والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرچ، والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه ونقصهم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون والمراءون والمتكبرون والهمازون والطعانون على السلف، والذين يأتون

(١) ذكر أبو شامة في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث) (٢٦) في معرض حديثه عن البدع التي يظنها بعض العامة قربات مثل بعض المواضع التي يعتقدون بفضلها أو حلول بعض الصالحين من الأموات فيها فقد قال: «وفي مدينة دمشق صانها الله تعالى من ذلك مواضع متعددة، كعويبة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلوق داخل باب الصغير والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها فما أشبههما بذات أنواط الواردة في الحديث». قلت: لعل المصنف رحمته الله يقصد هذه الشجرة أو أي شجرة أخرى يعتقد الناس فيها هذا المعتقد.

الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذي إذا خوفته بالله وذكرته به لم ينزجر، وإذا خوفته بمخلوق خاف وانزجر، والذي يهذي بكلام الله ورسوله فلا يهدي ولا يرفع به رأساً، فإذا بلغه عمن يحسن الظن به ممن يصيب ويخطئ عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه، والذي يعظم غير الله عليه، والمفتخر بالمعصية، والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك، وفاحش اللسان، والمؤخر الصلاة وناقرها نقراً، ومانع الزكاة، والذي لا يحج مع قدرته على الحج، ولا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع في لحظه ولا في لفظه، ولا يبالي مما حصل المال من حلال أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسلمين، ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الجيران والحيوان، بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، ويرائي العالمين، ويمنع الماعون، ويشغل بعيوب الناس عن عيبه، وبدنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقتلتها، وكبرها وصغرها، إن لم يعف عنهم أرحم الراحمين.

قال المحقق: ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين، والفائز منهم قليل، فظاهر القبور تراب، وباطنها حسرة وعذاب، وظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي باطنها الدواهي والبلبات، تغلي بالحشرات كما تغلي القدور بما فيها، فكم جدث يزوق بالنقوش، وباطنه أرث من الحشوش.

فإن قلت: ما الأسباب المنجية من عذاب القبر<sup>(١)</sup>؟

فالجواب: كما قال المحقق من وجهين أيضاً، مجمل ومفصل.

(١) في الأصل/ قف على الأسباب المنجية من عذاب القبر.

فالمجمل: تجنب تلك الأسباب التي تقتضي ذلك العذاب، ومن أنفعها أن يجلس عندما يريد النوم لله تعالى ساعة، يحاسب فيها نفسه على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله، ثم ينام على تلك التوبة، ويعزم على أن لا يعود إلى ذنب، فإذا استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حين يستقبل ربه.

قال المحقق: وليس للعبد أنفع من هذه التوبة، ولا سيما إذا أعقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت على النبي ﷺ عند النوم، حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك، ولا قوة إلا بالله.

وأما الجواب المفصل: فما روي عنه ﷺ من الأحاديث الثابتة، فمنها ما رواه مسلم في صحيحه عن سلمان ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان»<sup>(١)</sup>. وعن ابن عباس ﷺ قال: ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فسمع إنساناً يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة هي المنجية تنجية من عذاب القبر»<sup>(٢)</sup>. رواه الترمذي وقال حديث غريب.

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال: «إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت

(١) سبق ص ١٨٧ .

(٢) أخرجه الترمذي (٥ / ١٦٤) رقم ٢٨٩٠ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والطبراني في الكبير (١٢ / ١٧٤) رقم ١٢٨٠١ .

عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد تسلط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشه الشيطان فجاءه ذكر الله فطرد الشيطان عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم<sup>(١)</sup> الحديث. رواه أبو موسى المدني قال: حسن جداً وسيأتي إن شاء الله تعالى فيما بعد.

قال الحافظ ابن رجب: روى بإسناد ضعيف عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عذاب القبر يرفع عن الموتى في شهر رمضان.

وحكى الياضي في (روض الرياحين) عن بعض الأولياء قال: سألت الله سبحانه أن يريني مقامات أهل المقابر فرأيت في ليلة من الليالي القبور قد انشقت، وإذا منهم النائم على السندس، ومنهم النائم على الحرير والديباج، ومنهم النائم على الريحان، ومنهم النائم على السرر، ومنهم الباكي، ومنهم الضاحك، فقلت يا رب، لو شئت ساويت بينهم في الكرامة، فنادى مناد من أهل القبور: يا فلان هذه منازل الأعمال، أما أصحاب السندس فهم أهل الخلق الحسن، وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء، وأما أصحاب الريحان فهم الصائمون، وأما أصحاب المراتب - يعني السرر - فهم المتحابون في الله، وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون، وأما أصحاب الضحك فهم أهل التوبة.

(١) أخرج نحوه الطبراني في الأحاديث الطوال (٢٨١) رقم ٣٩ وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٦٩٩) من طريقين عن عبد الرحمن بن سمرة وقال: هذا حديث لا يصح، أما الطريق الأول ففيه هلال أبو جيلة وهو مجهول، وفيه الفرج بن فضالة، قال ابن حبان: يقلب الأسانيد ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة لا يحل الاحتجاج به، فأما الطريق الثاني ففيه علي بن زيد، قال أحمد ويحيى: ليس بشيء، وقال أبو زرعة: بهم ويخطئ فاستحق الترك، وفيه مخلد بن عبد الواحد قال ابن حبان: منكر الحديث جداً، ينفرد بمناكير لا تشبه أحاديث الثقات.

وذكر اليافعي فيه أيضاً قال: بلغنا أن الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة تشریفاً لهذا الوقت، قال: ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار، وعمم النسفي في (بحر الكلام) فقال: إن الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها وجميع شهر رمضان، وأما المسلم العاصي فإنه يعذب في قبره لكن ينقطع عنه يوم الجمعة وليلتها ثم لا يعود إليه إلى يوم القيامة، قال: وإن مات ليلة الجمعة أو يومها يكون له العذاب ساعة واحدة، وضغطة القبر كذلك ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إليه، انتهى.

قلت: وهذا إنما هو مجرد زعم لا دليل عليه، فيجب أن يطرح ولا يصغي له من ذاق شيئاً من حديث الصادق المصدوق عليه السلام، فإنه جزم بأن عذاب القبر يرفع في جميع شهر رمضان، وقد علمت أن الحديث ضعيف، والضعيف لا يبني عليه مثل هذا الأصل العظيم، ثم إنه تجازف فزعم أن الكافر يرفع عنه العذاب أيضاً. وقد علمت ما فيه مما ذكرنا آنفاً في كلام المحقق، ثم إنه على ما زعم لا تعذب عصاة المسلمين إلا جمعة واحدة، هذا على ما زعم أكثرهم عذاباً، لأنهم إذا أتت عليهم ليلة الجمعة انقطع عنهم ذلك ثم لا يعود، وما أحسن هذا لو كان له دليل يعول عليه، أو مستند يستند إليه، لكن مجرد الزعم والحدس لا يثبت به مثل هذا، والله أعلم.

**فائدتان:** الأولى ذكر المحقق في «بدائع الفوائد» ما نصه: نقلت من خط القاضي أبي يعلى في تعاليقه: ولا بد من انقطاع عذاب القبر، لأنه من عذاب الدنيا، والدنيا وما فيها منقطع، فلا بد أن يلحقهم العناء والبلاء، ولا يعرف مقدار مدة ذلك.

قال السيوطي: ويؤيد ذلك ما أخرجه هنادي في (الزهد) عن مجاهد: للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم يوم القيامة، فإذا صيح بأهل القبور

يقول الكافر «يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ فيقول المؤمن: إلى جنبه (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون).

**الثانية:** قال المحقق في «البدائع» أيضاً: قال جماعة من الناس: إذا ماتت نصرانية في بطنها جنين مسلم نزل ذلك القبر نعيم وعذاب، فالنعيم للابن، والعذاب للأم، قال: ولا بعد في ذلك، كما لو دفن في قبر واحد مؤمن وكافر، فإنه يجتمع في القبر النعيم والعذاب، والله الموفق للصواب.

\* \* \*

## فصل

وأما ما شوهد من نعيم القبر وكرامة أهله فكثير جداً، وقد تقدم بعض ذلك، وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (الرقعة والبكاء)، أن وراد العجلي لما مات وحمل إلى حفرة نزلوا ليدلوه في حفرة، فإذا اللحد مفروش بالريحان، فأخذ بعضهم من ذلك الريحان فمكث سبعين يوماً طرياً لا يتغير، يفد الناس ويروحون وينظرون إليه، فأكثر الناس في ذلك، فأخذه الأمير وفرق الناس خشية الفتنة، ثم فقده الأمير من منزله فلم يدر أين ذهب؟

وروى أبو بكر الخطيب بإسناده عن محمد بن مخلد الدراوردي قال: ماتت أمي فنزلت ألعدها، فانفجرت لي فرجة عن قبر بلزقها، فإذا رجل عليه أكفان جدد، وعلى صدره طاقة ياسمين طرية، فأخذتها فشممتها فإذا هي أزكى من المسك، وشممتها جماعة كانوا معي، ثم رددتها إلى موضعها وسددت الفرجة.

وذكر ناصر السنة أبو الفرج ابن الجوزي رحمته الله من طريق جعفر السراج عن بعض شيوخه قال: كشف قبر قرب قبر الإمام أحمد رحمته الله وإذا على بدن الميت ريحانة تهتز.

وذكر ابن الجوزي أيضاً في تاريخه أن في سنة ست وسبعين ومائتين انفرج تل في أرض البصرة يعرف بتل شقيق عن سبعة أقبر في مثل الحوض، فيها سبعة أنفس، أبدانهم صحيحة، وأكفانهم يفوح منها رائحة المسك، أحدهم شاب له جمعة<sup>(١)</sup> وعلى شفته بلل كأنه شرب ماء، وكان

(١) الجمعة: هو الشعر يسقط على المنكبين. غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ١٧٣).

عينيه مكتحلتان، وبه ضربة في خاصرته، وأراد بعض من حضر أن يأخذ من شعره شيئاً فإذا هو قوي كسعر الحي.

وذكر ابن سعد في طبقاته بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت ممن حفر لسعد بن معاذ قبره بالقيع، وكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا من قبره تراباً، حتى انتهينا إلى اللحد، وإسناده عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال: أخذ إنسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسك.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن يونس بن أبي الفرات قال: حفر رجل قبراً، ففقد يستظل فيه من الشمس، فجاءت ريح باردة فأصابت ظهره، فإذا نقب صغير فوسعه بأصبعه، فإذا هو ينظر مد البصر، وإذا شيخ مخضوب كأنما رفعت المواشط يديها عنه، وقد بقي من أكفانه على صدره شيء.

وأما من شوهد بدنه طرياً صحيحاً وأكفانه عليه صحيحة بعد تطاول المدة من غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكثير جداً، منها ما ذكره بن أبي شيبه عن عروة بن الزبير قال: لما سقط جدار بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعمر بن عبد العزيز رحمته الله على المدينة، انكشف قدم من القبور التي في البيت، فأصابها شيء. فدميت، ففرغ من ذلك عمر بن عبد العزيز فرعاً شديداً، فدخل عروة البيت، فإذا القدم قدم عمر بن الخطاب، فقال لعمر: لا تفرغ، هي قدم عمر بن الخطاب فأمر بالجدار فبني ورد على حاله.

ومنها ما ذكره أبو القاسم البغوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجري عيناً إلى أحد، فكتب إليه عامله أنها لا تجري إلا على قبور الشهداء، فكتب إليه أن أنفذها، قال: سمعت

جابرًا يقول: فرأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم نُومٌ، حتى أصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعثت دماً.

وروى الإمام مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاري كانا في قبر واحد، وهما ممن استشهد يوم أحد، فحفر السيل قبرهما، فحفر عليهما ليغيرا من مكانهما، فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهم قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو هكذا، فأشيلت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان بين أحد وبين ما حفر عليهما ست وأربعون سنة.

وفي حديث الترمذي الذي خرجه عن صهيب المرفوع في قصة أصحاب الأخدود، أن ذلك الغلام الذي قتله الملك وآمن الناس كلهم وقالوا آمنا برب الغلام، وجد في زمان عمر بن الخطاب ويده على جرحه كهيئته حين مات<sup>(١)</sup>.

وقال ناصر السنة أبو الفرج ابن الجوزي رحمته الله: أن الشريف أبا جعفر بن أبي موسى قدس الله روحه لما دفن إلى جانب قبر الإمام أحمد رضي الله عنه بعد وفاة الإمام بمائتين<sup>(٢)</sup> سنة روى كفن الإمام أحمد رضي الله عنه وهو يتقعقع، قال: ولما كشف قبر البربهاري فاحت ببغداد رائحة طيبة حتى ملأت المدينة.



(١) أخرجه الترمذي (٤٣٧ / ٥) رقم ٣٣٤٠ وقال: هذا حديث حسن غريب، والحديث أصله في مسلم رقم ٣٠٠٥.

(٢) كذا بالأصل.

## الباب الثالث

فيما ورد من سماع الموتى كلام الأحياء وتلاقيهم، ومعرفتهم بحالهم  
بعد الموت وحال أقاربهم في الدنيا ومحل الأرواح في البرزخ

قد تقدم شيء من الكلام على هذا الباب فليفتن له ونقول الآن:

أما سماع الموتى كلام الأحياء ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر وظهر عليهم يعني مشركي قريش رسول الله ﷺ أمر ببضعة وعشرين رجلاً، وفي رواية أربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فألقوا في طوى - أي في بئر من أطواء بدر - وأن رسول الله ﷺ ناداهم: «يا أبا جهل ابن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة ابن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها فقال: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»<sup>(١)</sup>. زاد في رواية لمسلم عن أنس: «ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا»<sup>(٢)</sup> وأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك وقالت: ما قال رسول الله ﷺ: «إنهم يسمعون الآن أما أقول إنما قال: ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم إنه حق، قد قرأت قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠] ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]»<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب: وقد وافق عائشة على نفي سماع الموتى كلام

(١) رواه البخاري رقم ٣٩٧٦ .

(٢) رواه مسلم ٢٨٧٤ .

(٣) رواه البخاري رقم ٣٩٧٩ .

الأحياء طائفة من العلماء، ورجحه القاضي أبو يعلى من أكابر أصحابنا في كتابه «الجامع الكبير» واحتجوا بما احتجت به، وأجابوا عن حديث قلب بدر بما أجابت به عائشة، وبأنه يجوز أن يكون ذلك معجزة مختصة بالنبي ﷺ دون غيره، وفي صحيح البخاري قال قتادة: أحياهم الله تعالى - يعني أهل القلب حتى أسمعهم قوله ﷺ تويخاً وتصغيراً، ونقمة وحيرة وندماً<sup>(١)</sup>.

وذهب طوائف من أهل العلم إلى سماع الموتى كلام الأحياء في الجملة، قال ابن عبد البر: ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم وهم الأكثرون، وهو اختيار الطبري - يعني ابن جرير - وغيره، وكذا ذكره ابن قتيبة وغيره، وهؤلاء يحتجون يحدث القلب كما سبق، وليس هو وهم ممن رواه، فإن عمر وأبا طلحة وغيرهما ممن شهد القصة حكاها عن النبي ﷺ، وعائشة رضي الله عنها لم تشهد ذلك، وروايتها عن النبي ﷺ «أنه قال إنهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم حق»<sup>(٢)</sup> تؤيده رواية من روى «إنهم ليسمعون» ولا تنافيها، فإن الميت إذا جاز أن يعلم جاز أن يسمع، لأن الموت ينافي العلم، كما ينافي السمع والبصر، فلو كان مانعاً من البعض لكان مانعاً من الجميع، وتقدم حديث أم محجن.

وأما قول من قال: إن ذلك خاص بكلام النبي ﷺ فليس كذلك، فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع قبره وتولى عنه أصحابه إنه يسمع قرع نعالمهم»<sup>(٣)</sup> وتقدم، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] فإن السماع يطلق ويراد به إدراك الكلام وفهمه، ويراد به

(١) رواه البخاري رقم ٣٩٧٦ .

(٢) رواه البخاري رقم ٣٩٧٩ بتقديم وتأخير بسيط، ومسلم رقم ٩٣٢ .

(٣) رواه البخاري رقم ١٣٧٤، ومسلم ٢٨٧٠ .

(٤) في الأصل (فإنك) والمثبت هو الصحيح.

الانتفاع به والاستجابة له، والمراد بهذه الآيات نفي الثاني دون الأول، فإنها في سياق خطاب الكفار الذين لا يستجيبون للهدى والإيمان إذا دعوا إليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الآية [الأعراف: ١٧٩] فَتَفَى السَّمَاعِ وَالإِبْصَارِ عَنْهُمْ، لأن الشيء قد ينفى لانتفاء فائدته وثمرته، فإذا لم ينتفع المرء بما سمعه وأبصره فكأنه لم يسمع ولم يبصر، وسماع الموتى بهذه المثابة، وكذلك سماع الكفار لمن دعاهم إلى الإيمان والهدى، وقول قتادة في أهل القليب: أحياهم الله حتى أسمعهم، يدل على أن الميت لا يسمع القول إلا بعد إعادة الروح إلى جسده، كما جاء ذلك مصرحاً في حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ الطويل وتقدم وفيه: «وتعاد روحه إلى جسده»<sup>(١)</sup> وقد رجح جماعة أن السؤال والعذاب والثواب أعني النعيم للروح خاصة، وعليه الإمام ابن عقيل، وأبو الفرج ابن الجوزي في بعض تصانيفهما، واستدل الإمام ابن عقيل بأن أرواح المؤمنين تنعم في حواصل طيور خضر، وأرواح الكفار في حواصل طيور<sup>(٢)</sup> سود، وهذه الأجساد تبلى، فدل ذلك على أن الأرواح تعذب وتنعم في أجساد أخرى كذا زعم، وهذا لا حجة فيه، لأنه لا ينافي اتصال الروح ببدنها أحياناً مع بقاءه واستحالته، واستدل بعض من ذهب إلى هذا القول بما روي أن ابن عمر دخل المسجد وابن الزبير قد قتل وصلب ف قيل له: هذه أسماء بنت أبي بكر في المسجد، فقال لها: اصبري فإن هذه الجثة ليست شيء، وإن الأرواح عند الله، فقالت: وما يمنعني من الصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل؟.

(١) جزء من حديث رواه أحمد (٢٨٧/٤) رقم ١٨٥٥٧، وأبو داود (٦٥٢/٢) رقم ٤٧٥٣، وتقدم.

(٢) في حاشية الأصل/ وفي لفظه: طير في الموضعين.

وبما روى ابن أبي الدنيا: نزل ابن عمر إلى جانب قبور قد درست، فنظر إلى قبر منها فإذا جمجمة بادية، فأمر رجلاً فواراها، ثم قال: إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئاً، وإنما الأرواح التي تعاقب وتتاب إلى يوم القيامة.

وروى محمد بن سعد عن خالد بن معدان قال: لما انهزمت الروم يوم أجنادين انتهوا إلى موضع لا يعبره إلا إنسان، فجعلت الروم تقاتل عليه، فتقدم هشام بن العاص فقاتلهم حتى قتل ووقع على تلك التلة فسدها، فلما انتهى المسلمون إليها هابوا أن يوطئوه الخيل، فقال عمرو بن العاص: إن الله قد استشهده ورفع روحه، وإنما هو جثة فأوطئوه الخيل، ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه.

فأجاب ابن رجب كغيره أن هذه الآثار لا تدل على أن الأرواح لا تتصل بالأبدان بعد الموت، وإنما تدل على أن الأجساد لا تتضرر بما ينالها من عذاب الناس لها، أو من أكل التراب لها، وهذا حق، فإن عذاب القبر ليس من جنس عذاب الدنيا، وإنما هو نوع آخر يصل إلى الميت بمشيئة الله عز وجل وقدرته، وقولهم إن الأرواح عند الله تعاقب وتتاب، لا ينافي أن تتصل بالبدن أحياناً فيتصل<sup>(١)</sup> بذلك إلى الجسد نعيم أو عذاب، قال: وقد تستقل الروح أحياناً بالنعيم والعذاب، إما عند استحالة الجسد أو قبل ذلك.

وأثبت طائفة النعيم والعذاب للجسد من غير اتصال الروح به، وممن ذكر ذلك من أصحابنا الإمام ابن عقيل في كتاب (الإرشاد)، وابن الزاغوني، وحكي عن ابن جرير الطبري، وذكر القاضي أبو يعلى أنه ظاهر كلام الإمام أحمد رضي الله عنه، فإنه قال في رواية حنبل: أرواح المؤمنين في

(١) كذا بالأصل ولعلها (فَيَصِلُ).

الجنة، وأرواح الكفار في النار، والأبدان في الدنيا يعذب الله من يشاء ويرحم من يشاء بعفوه.

قال القاضي: دل هذا على أن الأرواح تعذب وتنعم على الانفراد، وكذلك الأبدان إن كانت باقية، أو الأجزاء التي استحالت، قال: ولا مانع أن يُخْلَقَ في الأبدان إدراك تحس به النعيم والعذاب كما خلق في الجبل لما تجلى له ربه ثم جعله دكا، وقال ابنه القاضي أبو حسين: ولأنه لما لم يستحل نطق الذراع المسمومة لم يستحل عذاب الجسد البالي واتصال العذاب إليه بقدرة الله تعالى.

قال الحافظ ابن رجب وقد استدل لهذا أيضاً بأن عمر قال للنبي ﷺ يوم كلم أهل القليب: كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فلم ينكر النبي ﷺ ذلك وإنما قال «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»<sup>(١)</sup> فدل على أن سماعهم حصل على أجساد لا أرواح فيها، وقد دل القرآن على سجود الجمادات وتسيبهما لله عز وجل وخشوعها<sup>(٢)</sup>، له فدل على أن فيها حياة تحسها وإدراكاً، فلا يمنع مثل ذلك في جسد ابن آدم بعد مفارقة الروح له، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الحافظ: ويدل على ذلك ما أخبر الله من شهادة الجلود والأعضاء يوم القيامة<sup>(٣)</sup> وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في اختصاص الروح والجسد يوم القيامة، فإنه يدل على أن الجسد يخاصم الروح ويكلمها وتكلمه قال: ومما

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٣٩٧٦، ومسلم ٢٨٧٣.  
(٢) يقول تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الحج: ١٨].

(٣) قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠].

يدل على وقوع العذاب على الأجساد الأحاديث الكثيرة<sup>(١)</sup> في تضييق القبر على الميت حتى تختلف أضلاعه، ولأنه لو كان العذاب على الروح خاصة لم يختص العذاب بالقبر ولم ينسب إليه، انتهى.

والمعروف أن العذاب والنعيم على الأرواح والأجساد، وأن الأرواح لها نوع اتصال بالجسد، وبسبب ذلك يتألم الجسد ويتنعم، والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) تقدمت عدة أحاديث تدل على ذلك.

## فصل

وأما تلاقي الأموات في البرزخ فقد روى مسلم بن إبراهيم الوراق من حديث أبي قتادة مرفوعاً: «إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفته، فإنهم يتزاورون في قبورهم»<sup>(١)</sup>. وخرجه الترمذي وابن ماجه غير أنهما لم يذكرهما أنهم يتزاورون في قبورهم وخرجه محمد بن يحيى الهمداني في صحيحه بهذه الزيادة، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم»<sup>(٢)</sup>. ذكره الحافظ ابن رجب في (أهوال القبور) بصيغة التمریض، ولفظه يروى من حديث محمد بن مصفى، ثنا معاوية عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ فذكره، وخرجه ابن أبي الدنيا عن راشد بن سعد أن رجلاً توفيت امرأته، فرأى نساء في المنام ولم ير امرأته معهن، فسألهن عنها فقلن إنكم قصرتم في كفتها فهي تستحي أن تخرج معنا، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: «انظر هل إلى ثقة من سبيل» قال: فأتى رجلاً من الأنصار قد حضرته الوفاة فأخبره، فقال الأنصاري: إن كان أحد يبلغ الذي بلغت قال: فتوفي الأنصاري فجاء

(١) أخرجه مسلم رقم ٩٤٣ عن جابر بلفظ: «إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفته». عن جابر.

والترمذي بلفظ المصنف (٣/ ٣٢٠) رقم ٩٩٥ بدون «فإنهم يتزاورون في قبورهم» عن جابر، وابن ماجه عن قتادة باللفظ الذي رواه به الترمذي، والحديث بهذه الزيادة رواه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٤٣١) رقم ٦٢٨ عن ابن سيرين ولم يرفعه ولفظه عن ابن سيرين قال: كان يقال: من ولي أخاه فليحسن كفته، وإنه بلغني أنهم يتزاورون في أكفانهم.

والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٠) رقم ٩٢٦٨ عن أبي قتادة مرفوعاً: «من ولي أخاه فليحسن كفته فإنه يتزاورون فيها».

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا وهو يتحدث عن الحديث السابق (١/ ١٠١) رقم ٢٦٦.

بثوبين مثرودين بالزعفران فجعلهما في كفن الأنصاري، فلما كان الليل رأى النسوة معهن امرأته وعليها الثوبان الأصفران<sup>(١)</sup>.

قال الجلال السيوطي: هذا مرسل لا بأس بإسناده.

وذكر ناصر السنة ابن الجوزي في (عيون الحكايات) بسنده عن محمد ابن يوسف الفريابي قال: كانت امرأة بقيسارية فتوفيت، فرأتها بنتها في المنام فقالت: يا بنية كفتمونني بكفن ضيق، وأنا بين صواحباتي أستحي منهن، وفلانة تأتينا في يوم كذا وكذا، ولي في موضع كذا أربع<sup>(٢)</sup> دنانير، فاشترؤا بها كفنأ وابعثوا به إليّ معها، قالت البنت: ولم أعلم أن لها في الموضع الذي ذكرته دنانير، قالت: فنظرت فإذا الدنانير كما ذكرت، ولم يكن بالمرأة التي ذكرت بأس، فلما كان بعد اعتلت المرأة، قال الفريابي: فجاءوني فقالوا يا عبد الله ما تقول، وقصوا عليّ القصة، فذكرت الحديث الذي ورد أنهم يتزاورون في أكفانهم<sup>(٣)</sup>، فقلت: اشتروا لها كفنأ، وذهبت البنت إلى المرأة، فقالت: إن حدث بك حادثة الموت فإني أبعث إلى أمي بشيء تبلغيه، فماتت في اليوم الذي ذكرته، ووضعوا الكفن معها في كفنها، فرأت البنت أمها في المنام فقالت: يا بنية قد أتتنا فلانة ووصل إليّ الكفن، ما أحسنه، جزاك الله خيراً<sup>(٤)</sup>.

وذكره الحافظ ابن رجب بنحوه، وقد أخرج الإمام أحمد وغيره من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن درة بنت معاذ عن أم هانئ الأنصارية أنها

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (٨٧) رقم ١٦١، وذكره ابن رجب في (أهوال القبور) (١٢٨).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) سبق ص ٢٥٧.

(٤) هذه منامات ولم يأت في السنة الصحيحة ما يؤيدها.

سألت رسول الله ﷺ أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال ﷺ: «يكون النسم طيراً يعلق بالشجر، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) أخرجه أحمد (٤٢٤ / ٦) رقم ٢٧٤٢٧ ، والطبراني في الكبير (٤٣٨ / ٢٤) رقم ١٠٧٢ ، وروى نحوه مالك في الموطأ (٢٤٠ / ١) رقم ٥٦٨ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٧٤) رقم ٣٩٣٤ وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وفيه كلام.

## فصل

وأما معرفة الموتى بمن يزورهم ويسلم عليهم، فأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم»<sup>(١)</sup>. وأخرج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم رد عليه السلام، وأخرج ابن عبد البر عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا يسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»<sup>(٢)</sup> قال عبد الحق الإشبيلي: إسناده صحيح، وتعقبه الحافظ ابن رجب بأنه ضعيف بل منكر، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أنه وقف على مصعب بن عمير حين رجع من أحد، فوقف عليه وعلى أصحابه فقال: أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>. ورواه البيهقي والحاكم وصححه وغيرهما.

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٩١) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور، وفيه عبد الله بن سميان ولم أقف على حاله، ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه، وصححه عبد الحق الإشبيلي.

(٢) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (١٠/ ٣٨٠) والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٨٧) عن أبي هريرة، وذكره الهندي في كينز العمال (١٥/ ٦٥٧) رقم ٤٢٦٠٢ وقال سنده جيد، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩١١) رقم ١٥٢٣ وقال: هذا حديث لا يصح وقد أجمعوا على تضعيف عبد الرحمن.

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٢٧١) رقم ٢٩٧٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي: أنا أحسبه موضوعاً، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٣٦٤) رقم ٨٥٠ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٠) رقم ٤٣١٦ عن ابن عمر، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو بلال الأشعري ضعفه الدارقطني، وفي (٦/ ١٧٩) رقم ١٠١٢٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك.

وأخرج مسلم في صحيحه «كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»<sup>(١)</sup>. وفي حديث آخر «ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين»<sup>(٢)</sup>. رواه الإمام أحمد وفي آخره: «اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم»<sup>(٣)</sup> ويحسن أن يزيد «واغفر لنا ولهم» قال شيخ الإسلام في فتاويه: الاستثناء يعني في قوله ﷺ: «وإنا إن شاء الله بكم للاحقون» لأجل بقاء الإيمان، فكأنه قال: نموت إن شاء الله مؤمنين، أو لأجل بيان تعليق كل الحوادث بمشيئة الله تفويضاً وتوكلاً واستعانة، أو لأجل اللحاق بأولئك المخاطبين، انتهى أو للتبرك كما قاله جماعة من الفقهاء.

وخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) من رواية عطاء ابن خالد، حدثني خالتي قالت: ركبت يوماً على قبور الشهداء، فنزلت عند قبر حمزة رضي الله عنه وما في الوادي داع ولا مجيب يتحرك إلا غلاماً قائماً أخذ برأس دابتي، فلما فرغت من صلاتي قلت: هكذا بيدي، السلام عليكم، فسمعت رد السلام عليّ يخرج من تحت الأرض، أعرفه كما أعرف أن الله خلقني، وكما أعرف الليل من النهار، فاقشعرت كل شعرة مني.

وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما حضره الموت قال في وصيته: إذا دفنتموني فشنوا عليّ التراب شناً، ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي.

(١) أخرجه مسلم رقم ٩٧٥ باختلاف يسير في لفظتين.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٢١) رقم ٢٥٨٩٧.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٧١) رقم ٢٤٤٦٩.

قال الحافظ ابن رجب: وخرج ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن ابن أبي التياح قال: كان مطرف يبدو، فإذا كان يوم الجمعة أدلج قال: فأقبل حتى إذا كان عند المقابر هوُم<sup>(١)</sup> على فرسه، فرأى كأن أهل القبور كل صاحب قبر جالس على قبره، فقالوا: هذا مطرف يأتي الجمعة، قلت: أتعلمون عنكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم ونعلم ما تقول فيه الطير، قلت: ما تقول الطير؟ قال: تقول سلام سلام يوم صالح، قال ابن أبي الدنيا: وحدثني إبراهيم بن سيار الكوفي قال: حدثني الفضيل بن موفق قال: كنت آتي قبر أبي كثيراً فشهدت جنازة، فلما قبر صاحبها تعجلت لحاجة ولم آت إلى قبر أبي، قال: فأرَيْتَهُ في النوم فقال: يا بني لِمَ لِمَ تَأْتِنِي؟ قلت: يا أبت وإنك لتعلم بي؟ قال: إي واللَّهِ إنك لتأتيني فما أزال أنظر إليك من حين تطلع من القنطرة حتى تقعد إليّ، وتقوم من عندي فما أزال أنظر إليك مولياً حتى تجوز القنطرة.

قال ابن أبي الدنيا: قال الفضل بن موفق بن خال سفيان بن عيينة: لما مات أبي جزعت عليه جزعاً شديداً، فكنت آتي قبره كل يوم، ثم إنني قصرت عن ذلك ما شاء الله، ثم إنني أتيت يوماً فبينما أنا جالس عند القبر غلبتني عيناى فنمت، فرأيت كأن قبر أبي انفرج وكأنه قاعد في قبره متوشحاً بأكفانه عليه سجية الموتى قال: فبكيت لما رأيته، فقال: يا بني ما أبطأك عني؟ قال: قلت: وإنك لتعلم بمجيئي؟ قال: ما جئت من مرة إلا علمتها، وقد كنت تأتيني فأسرُّ بك ويسر من حولي بدعائك، قال: فكنت بعد آتية كثيراً.

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن عثمان بن سودة الظفراوي وكانت أمه من العبادات وكان يقال لها راهبة، فماتت، قال: فكنت كثيراً آتيتها كل جمعة

(١) الهُومُ والتَّهْومُ والتَّهْوِيمُ: النوم الخفيف - لسان العرب/ مادة: هوم.

فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور، قال: فرأيتها ذات ليلة في منامي، فقلت لها: يا أمه فكيف أنت؟ فقالت: يا بني إن الموت لكربه شديد، وأنا بحمد الله تعالى لفي برزخ محمود يفرش فيه الريحان، ويؤسّد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور، فقلت: ألك حاجة؟ قالت: نعم، قلت: وما هي؟ قالت: لا تدع ما تصنع من زيارتنا والدعاء لنا، فإني لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك، فيقال: يا راهبة ابنك قد أقبل، فأسرّ بذلك ويُسّر من حولي من الأموات.

وأخرج الحافظ ابن رجب عن الأسد بن موسى قال: كان لي صديق فمات، فرأيته في النوم وهو يقول لي: سبحان الله جئت إلى قبر فلان صديقك قرأت عنده وترحمت عليه، وأنا ما جئت إلي ولا قربتني، فقلت له: وما يدريك؟ قال: لما جئت إلى قبر صديقك فلان رأيتك، قلت: كيف رأيتني والتراب عليك؟ قال: ما رأيت الماء إذا كان في الزجاج أما يتبين؟ قلت: بلى. قال: كذلك نحن نرى من يزورنا.

تنبيه: قال الحافظ ابن رجب: قد ذكرنا فيما تقدم من كلام الموتى ورد السلام عليهم، يعني ما ذكرنا قال: ولا ينافي ذلك قوله ﷺ: «ولا يستطيعون أن يجيبوا» لأن المراد نفي الإجابة المعهودة التي يسمعونها الأحياء، وقد ثبت تكلم الموتى كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد مرفوعاً «إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت سالحة قالت: قدموني»<sup>(١)</sup> الحديث وتقدم، قلت: قد يقال إن رد السلام وعدمه يختلف باختلاف الأشخاص، وقد ذكر في (الروح) عن مالك بن دينار قال: رأيت مسلم بن يسار بعد موته فسلمت عليه فلم يرد علي

(١) رواه البخاري رقم ١٣١٤.

السلام، فقلت: وما يمنعك أن ترد عليّ السلام؟ قال: أنا مت فكيف أرد عليك السلام؟ فقلت: ماذا لقيت بعد الموت؟ قال: لقيت واللّه أهوالاً وزلازل عظماً شداداً، قال: قلت: فما كان بعد ذا؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟! قَبِلَ مِنَّا الحسَنَاتِ وَعَفَى عَنِ السَّيِّئَاتِ وَضَمَّنَ عَنَّا التَّبَعَاتِ، قال: ثم شهق مالك شهقة خر مغشياً عليه، فلبث بعد ذلك أياماً مريضاً، ثم انصدع قلبه فمات، رحمة اللّهُ عليه.



## فصل

وأما معرفة الموتى بحالهم في الدنيا قبل الدفن ومعرفتهم في قبورهم بحال أهلهم وأقاربهم في الدنيا.

فأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قال: «إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره»<sup>(١)</sup> فقال ابن عمر وهو في المجلس - يعني لأبي سعيد - ممن سمعت هذا؟ فقال أبو سعيد: من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تفضحوا أمواتكم بسيئات أعمالكم، فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيراً استبشروا، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا»<sup>(٣)</sup> وأخرجه أبو داود من حديث جابر بن عبد الله غير أنه قال: «حتى تهديهم كما هديتنا وألهمهم أن يعملوا بطاعتك»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أحمد (٦٢ / ٣) رقم ١١٦١٨ وتقدم.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في المناجات (٧) رقم ٢، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤) / ٤٩٧ وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا والمحاملي بإسناد ضعيف، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٦٩) رقم ١٩٥ وقال: قال في المقاصد: سنده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٤ / ٣) رقم ١٢٧٠٦.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣ / ٣) رقم ٣٩٣٣ وقال: رواه أحمد، وفيه رجل لم يسم.

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٤٨) رقم ١٧٩٤ بلفظ (إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقربائكم في قبورهم، فإن كان خيراً استبشروا بذلك، وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك)، وذكره ابن كثير في التفسير (٥٠٩ / ٢).

وأخرج ابن أبي الدنيا من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوفها، فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء أنه قال: إن أعمالكم تعرض على أمواتكم فيسرون ويساءون، فكان أبو الدرداء يقول عند ذلك: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزي عند عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وفي لفظ: اللهم إني أعوذ بك أن يمقتني خالي عبدالله بن رواحة إذا لقيته، يقول ذلك في سجوده.

ودخل عباد على إبراهيم بن صالح وهو أمير على فلسطين فقال له: عطني قال: ما أعظك أصلحك الله؟ بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمك؟ قال: فبكى إبراهيم حتى سالت دموعه على لحيته.

ومما ينبغي أن يتفطن له أنه جاء أن أعمال الأمة كلها تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه صلى الله عليه وسلم للأمة بمنزلة الوالد بل أولى.

ولقد سمعت أستاذي الشيخ عبد القادر التغلبي قدس الله روحه يقول: شيخ المرء أولى من أبيه، لأن أب الإنسان يريه حتى يبلغ أشده

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (٦) رقم ١ والحاكم في المستدرک (٤) / (٣٤٢) رقم ٧٨٤٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعبه الذهبي بقوله: فيه مجهولان، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٢٦١) رقم ١٠٢٤٣.

وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/٤٩٧) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدي عن النعمان من قوله الله الله، ورواه بكماله الأزدي في الضعفاء وقال: لا يصح إسناده، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكماله في ترجمة أبي إسماعيل السكوني رواية عن مالك بن أدي ونقل عن أبيه أن كلا منهما مجهول، قال الأزدي: لا يصح إسناده، وذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدي.

ويدعه، فيكون جل تربيته له من جهة ما يتعلق بأمر الدنيا، وأما الشيخ فإنه يرشده لمعرفة ما يجب عليه، وما يسن، وما يكره، وما يحرم، وما يباح، ويدله على ربه ويعلمه كل ما يحتاج إليه من أمر آخرته، ويعرفه ما يجب لله، وما يجوز، وما يستحيل، وكذلك لنبهه أو نحو ذلك ﷺ وجزاه الله عنا خيراً، ومما يدل لما ذكرنا من أن أعمال الأمة تعرض على النبي ﷺ ما أخرجه البزار في مسنده عن عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام»<sup>(١)</sup> وقال ﷺ: «حياتي خير لكم، تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، ومماتي خير لكم، تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين عن خالد بن عمرو القرشي حدثني صدقة بن سليمان الجعفري، قال: سرت سيرة سمجة، - أي قبيحة - فمات أبي فأبت وندمت على ما فرطت، قال: ثم زلت أيضاً زلة، فرأيت أبي في المنام فقال: أي بني ما كان أشد فرحي بك وأعمالك تعرض علي فنشبهها بأعمال الصالحين، فلما كانت هذه المرة استحيت حياءً شديداً، فلا تخزني فيمن حولي من الأموات، قال خالد: فكان بعد ذلك قد خشع ونسك، فكنت أسمعه يقول في دعائه في السحر وكان لنا جاراً بالكوفة: أسألك إنابة لا رجوع فيها ولا حور، يا مصلح الصالحين، ومهدي الضالين وراحم المذنبين.

تنبيهان: الأول إذا كان الإنسان يستحي من أهله وأقاربه أن تعرض

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٤٠٩) رقم ٢٧٧٤ وأحمد (١/ ٤٤١)، و(١/ ٤٥٢) رقم ٤٣٢٠ بلفظ من بدلا عن، والبزار في مسنده (٥/ ٣٠٧) رقم ١٩٢٤.  
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٥٩٤) رقم ١٤٢٥٠ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٢) مسند الحارث (٢/ ١٨٤) رقم ٩٥٣ وذكره الهيثمي في تخريج الحديث السابق.

عليهم أعماله السيئة، فما باله لا يستحي من الذي خلقه من عدم، وعلمه الأخبار والحكم، وجعل له العقل والفكر، وخلق له السمع والبصر، وهو سبحانه وتعالى من غير شك مطلع على جميع أعماله الظاهرة والباطنة، لا ريب أن الله أحق أن يستحي منه.

الثاني: قد ورد أن أبانا آدم تعرض عليه أعمال ذريته وأنه يفرح لصالحتها ويغتم لسيئها، فينبغي لكل ذي لب أن لا يسوء أباه بأعماله الخبيثة.

وفي الحديث «أن النبي ﷺ تعرض عليه صلاة أمته يوم الجمعة»<sup>(١)</sup> ذكره الحافظ ابن رجب من حديث أوس وأبي الدرداء وأبي هريرة وأبي مسعود وأبي أمامة وأنس وغيرهم قال وأشهرها حديث أوس بن أوس قال: وأما قوله ﷺ: «حياتي خير لكم»<sup>(٢)</sup> إلى آخره. فقد رواه حماد بن زيد عن غالب بن بكر المزني مرسلًا.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب (الأولياء) بإسناده عن عبيد بن سعد عن أبي أيوب الأنصاري قال: غزونا حتى انتهينا إلى القسطنطينية، فإذا قاص يقول: من عمل صالحاً من أول النهار عرض على أقاربه ومعارفه إذا أمسى من أهل الآخرة، فقال أبو أيوب: انظر أيها القاص ما تقول، فقال: واللّه إن ذلك لكذلك، فقال: اللهم لا تفضحني عند عبادة بن الصامت ولا عند سعيد بن عبادة فيما عملت بعدهما، فقال القاص: واللّه ما كتب الله ولايته لعبد إلا ستر عورته وأثنى عليه بأحسن عمله.

(١) أخرجه أحمد (٤ / ٨) رقم ١٦٢٠٧، وأبو داود (١ / ٣٤٢) رقم ١٠٤٧، وابن خزيمة في صحيحه (٣ / ١٨) رقم ٣٧٣٣، والحاكم في المستدرک (١ / ٤١٣)، رقم ١٠٢٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي كلهم من حديث أوس بن أوس الثقفي.

وروى في كتاب (الموتى) بإسناده عن مجاهد: أن الرجل ليسر بصلاح ولده في قبره، وقد سبق في صدر الكتاب أن مصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخين وأن مصعباً قال لعوف: أي أخي أين مات قبل صاحبه فليترأأ له قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم. فمات مصعب فرآه عوف فيما يرى النائم، الخبر بتمامه تقدم.

قال الحافظ ابن رجب: وقد رويت هذه القصة على وجه آخر قال: وهو أشبه، فروى ابن المبارك في كتاب (الزهد) عن أبي بكر بن مريم عن عطية ابن قيس عن عوف بن مالك الأشجعي أنه كان مواخياً لرجل من قيس يقال له محكم، ثم إن محكماً حضرته الوفاة، فأقبل عليه عوف، فقال له محكم: إذا أنت وردت فارجع إلينا فأخبرنا بالذي صنع بك، قال: يا محكم إن كان ذلك يكون لمثلي فعلت، فقبض محكم ثم ثوي عوف بعده عاماً فرآه في المنام فقال له: يا محكم ما صنعت؟ وما صنع بك؟ فقال له: وُفينا أجورنا، قال: كلكم؟ قال: كلنا إلا خواص هلكوا في السر الذين يشار إليهم بالأصابع، واللّه لقد وُفيت أجري كله، حتى وفيت أجر هرة ضلت لأهلي قبل وفاتي بليلة، فأصبح عوف فغدا على امرأة محكم، فلما دخل قالت: مرحباً، زور صعب بعد محكم، فقال عوف: هل رأيت محكم منذ مات؟ قالت: نعم رأيت البارحة ونازعني ابنته لتذهب معه، فأخبرها عوف بالذي رأى وما ذكر من الهرة التي ضلت، فقالت: لا أعلم لي بذلك، خدمني أعلم بذلك، فدعت خدماً فسألتهم فأخبروها أنها ضلت لهم هرة قبل موت محكم بليلة، قال الحافظ: ومحكم هو ابن جثامة أخو الصعب، قلت: والتعدد ممكن، واللّه أعلم.

قلت: بل يتعين حمل القصة على التعدد، لأن كلا الحكايتين محفوظ، فإن الإمام المحقق قال في قصة مصعب عن حماد بن سلمة عن

ثابت عن شهر بن حوشب، فذكر الحكاية وأثبتها كما أسلفنا.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن عياش عن حفار كان في بني أسد، قال الحفار: كنت أنا وشريك لي نتحارس في مقبرة بني أسد قال: فإنني لليلة في المقابر إذ سمعت قائلاً يقول من قبر: يا عبد الله، قال: مالك يا جابر؟ قال: غداً تأتينا آمنة قال: وما ينفعها لا تصل إلينا، إذ أبي قد غضب عليها وحلف أن لا يصلي عليها، قال: فجعلنا يكرران ذلك مراراً، فجئت بشريكي فجعل يسمع الصوت ولا يفهم الكلام، فلقتته إياه ثم تفهم ففهمه، فلما كان من الغد جاءني رجل فقال: احفر في ههنا قبراً بين القبرين الذين سمعت منهما الكلام، فقلت: اسم هذا جابر واسم هذا عبد الله، قال: نعم، فأخبرته بما سمعت فقال: نعم، قد كنت حلفت أن لا أصلي عليها، لا جرم لأكفرن عن يميني ولأصلين عليها ولأترحمن عليها، قال: ثم مر بي بعد ويده عكازاً وإداوة، فقال: إني أريد الحج لمكان يميني تلك.

وقال ناصر السنة ابن الجوزي قدس الله روحه: حدثني الشيخ أبو الحسن البراديسي عن بعض العدول أن رجلاً رأى في منامه قاضي القضاة أبو الحسن الزينبي، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. وأنشد:

وإن أمرؤ ينجو من النار بعدما تزود من أعمالها لسعيد

ثم قال: قل لفلان وفلان - رجلان كانا وصيين له - لم تضيقوا صدر فلانة وفلانة؟ فسمى ثلاث سراري كن له، قال: ولم أسمع بأسمائهن إلا في هذا المنام، فلقى الرجل الوصيين، فذكر لهما ذلك، فقالا: سبحان الله، والله لقد كنا البارحة في المسجد نتحدث في التضيق عليهن.

قال الإمام المحقق في [الروح] قال سعيد بن المسيب: التقى عبد الله ابن سلام وسلمان الفارسي رضي الله عنهما فقال أحدهما للآخر: إن مت قبلي

فأخبرني ما لقيت من ربك؟ وأنا إن مت قبلك لقيتك فأخبرتكَ، فقال الآخر: وهل تلتقي الأموات والأحياء؟ قال: نعم أرواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت، قال: فمات فلان فلقية في المنام فقال: توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط.

وقال العباس عم رسول الله ﷺ ورضي عن العباس: كنت أشتهي أن أرى عمر رضي الله عنه في المنام، فما رأيته إلا عند قرب الحول، فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول: هذا أوان فراغي إن كان عرشي ليهد لولا أنني لقيت رءوفاً رحيماً، وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: رأيت أبي في النوم بعد موته كأنه في حديقة، فدفعت إليّ تفاحة فأولتها الولد، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الاستغفار أي بني قال: ورأى مسلمة ابن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته فقال: يا أمير المؤمنين مع أي الحالات صرت بعد الموت؟ فقال: يا مسلمة هذا أوان فراغي، والله ما استرحت إلا الآن، قال: قلت: فأين أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: مع أئمة الهدى في جنات عدن، قال: ولما مات الحسن بن صالح رآه عمار بن سيف في المنام فقال له: قد كنت متمنياً لقاءك فماذا عندك فتخبرنا به؟ فقال: أبشر فإنني لم أر مثل حسن الظن بالله شيئاً.

قال: ولما ماتت رابعة رأتها امرأة من أصحابها<sup>(١)</sup> وعليها حلة من استبرق وخمار من سندس، فقالت لها: ما فعلت بالجبة التي كفتتك فيها والخمار الصوف؟ قالت: والله إنه نزع عني وأبدلت به هذا الذي ترين علي، وطويّت أكفاني وختم عليها ورفعت في علبين ليكمل لي ثوابها يوم القيامة، قالت: فقلت لها: كنت تعملين أيام الدنيا؟ فقالت: وما هذا عندما

(١) في حاشية الأصل/ لعله (من صاحباتها).

رأيت من كرامة الله لأوليائه؟ قلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟  
فقلت: هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى، قلت: وبم وقد كنت عند  
الناس أعبد منها؟ فقلت: إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من  
الدنيا وأمست، فقلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ أعطي والله  
فوق ما كان يؤمل. قلت: مريني بأمر أتقرب به إلى الله، قالت: عليك  
بكثرة ذكر الله، فيوشك أن تغبطي بذلك في قبرك.

قال: وقال أبو يعقوب القارئ: رأيت في منامي رجلاً آدم طويلاً  
والناس يتبعونه فقلت: من هذا؟ قالوا: أويس القرني، فاتبعته فقلت:  
أوصني يرحمك الله؟ فكلح في وجهي فقلت: مسترشد فأرشدني رحمك  
الله، فأقبل عليّ فقال: ابتغ رحمة الله عند محبته، واحذر نعمته عند  
معصيته، ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك. ثم ولى وتركني.

وقال ابن السماك: رأيت مسعراً في النوم فقلت له: أي الأعمال  
وجدت أفضل؟ قال: مجالس الذكر، وقال الأجلح: رأيت سلمة بن كهيل  
في النوم فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: قيام الليل.

وقال أبو بكر بن مريم رأيت وفاء بن مريم بعد موته فقلت: يا وفا ما  
فعلت؟ قال: نجوت بعد كل جهد، فقلت: أي الأعمال وجدتموها أفضل؟  
قال: البكاء من خشية الله عز وجل، قال: وقالت فاطمة بنت عبد الملك  
امراًة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: انتبه عمر بن عبد العزيز ليلة فقال: لقد  
رأيت رؤيا معجبة: فقلت: جعلني الله فداك فأخبرني بها فقال: ما كنت  
لأخبرك بها حتى أصبح، فلما طلع الفجر خرج ثم صلى الفجر ثم عاد إلى  
مجلسه، قالت: فاغتمت خلوته فقلت: أخبرني بالرؤيا التي رأيت، قال:  
رأيت كأنني رفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر، وإذا فيها

قصر أبيض كأنه الفضة، وإذا خراج<sup>(١)</sup> قد خرج من ذلك القصر، فهتف بأعلى صوته يقول: أين محمد بن عبد المطلب؟ أين رسول الله ﷺ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل ذلك القصر، ثم إن آخر خرج من ذلك القصر فنادى، أين أبو بكر الصديق بن أبي قحافة؟ إذ أقبل أبو بكر حتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فنادى أين عمر بن الخطاب؟ فأقبل عمر حتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فنادى أين عثمان بن عفان؟ فأقبل حتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فأقبل حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنادى أين عمر بن عبد العزيز؟ قال عمر: فقامت حتى دخلت ذلك القصر قال: فرفعت إلى رسول الله ﷺ والقوم حوله، فقلت في نفسي: أين أجلس؟ فجلست إلى جنب عمر بن الخطاب؟ فنظرت فإذا أبو بكر عن يمين النبي ﷺ، فإذا بين يدي رسول الله ﷺ وبين أبي بكر رجل، فقلت: من هذا الرجل الذي بين يدي رسول الله ﷺ وبين أبي بكر؟ فقالوا: هذا عيسى بن مريم، فسمعت هاتفاً يهتف وييني وبينه ستر نور، يا عمر بن عبد العزيز، تمسك بما أنت عليه واثبت على ما أنت عليه، ثم كأنه أذن لي في الخروج فقامت فخرجت من ذلك القصر، فالتفت خلفي فإذا أنا بعثمان بن عفان وهو خارج من ذلك القصر يقول: الحمد لله الذي غفر لي ربي، قال عمر بن عبد العزيز: رأيت رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليهم وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلي ومعاوية، فأدخلا بيتاً وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة.

وقال حماد بن أبي هاشم: جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز فقال:

(١) كذا بالأصل ولعلها (خارج).

رأيت رسول الله ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله، وأقبل رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس، فقال لك: يا عمر، إذا عملت فاعمل بعمل هذين لأبي بكر وعمر، فاستحلفه عمر بالله أرأيت هذه الرؤيا فحلف فبكى عمر، قال: وقال عبد الرحمن بن غنم: رأيت معاذ بن جبل رضي الله عنه بعد وفاته بثلاث ليال على فرس أبلق، وخلفه رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قدامهم وهو يقول: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦] الآية ثم التفت عن يمينه وشماله يقول يا ابن رواحه، يا ابن مطعون، الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الجنة، ثم صافحني وسلم علي، قال: وقال قبيصة بن عقبة رأيت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت: ما فعل الله بك يا أبا عبد الله؟ فأنشأ يقول:

نظرت إلى ربي عياناً فقال لي      هنيئاً رضاي عنك يا ابن سعيد  
لقد كنت قواماً إذا الليل قد دجا      بعبرة محزون وقلب عميد  
فدونك فاختر أي قصر تريده      وزرني فإنني منك غير بعيد

قلت: ذكر الحافظ ابن رجب في طبقات الأصحاب في ترجمة الحافظ العماد عن سبط ابن الجوزي أنه قال: نمت وأنا متفكر في جنازته - يعني العماد - وذكرت أبيات سفيان الثوري - يعني التي ذكرناها آنفاً - فقلت: أرجو أن العماد يرى ربه كما رآه سفيان عند نزول حفرة، ونمت فرأيت العماد في النوم وعليه حلة خضراء وعمامة خضراء، وهو في مكان متسع كأنه روضة، وهو يرقى في درج مرتفعة، فقلت: يا عماد الدين كيف بت؟ فإني والله متفكر فيك، فنظر إلي وتبسم على عادته وقال:

رأيت إلهي حين أنزلت حفرتي      وفارقت أصحابي وأهلي وجيرتي  
فقال جزيت الخير عني فإنني      رضيت فها عفوي لديك ورحمتي  
دأبت زماناً تأمل الفوز والرضى      فوقيت نيرانى ولقيت جنتي

قال: فانتبهت مرعوباً وكتبت الأبيات . قال الحافظ في الطبقات :  
وذكر أيضاً هذا المنام عن أبي المظفر السبط .

قلت : وكذا ذكره الشيخ عبد الرحمن العليمي في طبقاته المسمى  
(بالمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد رحمه الله) وفي طبقات  
الحافظ ابن رجب بعد هذا عن الضياء قال : روي الحافظ العماد في النوم  
على حصان فقيل له : إلى أين ؟ قال : أزور الجبار . ورآه آخر : فقال : ما  
فعل الله بك ؟ فقال : ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ  
الْمُكْرَمِينَ ﴿يس : ٢٦ ، ٢٧﴾ . والله أعلم .

وقال سفيان بن عيينة : رأيت سفيان الثوري يطير من نخلة إلى نخلة ،  
ومن شجرة إلى شجرة ، وهو يقول : ﴿لِيُنِيلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾  
[الصفات : ٦١] فقيل له : بم أدخلت الجنة ؟ فقال : بالورع ، قيل له : فما  
فعل علي بن عاصم ؟ قال : ما نراه إلا مثل الكوكب .

قال الإمام المحقق في كتاب [الروح] وكان شعبة بن الحجاج ومسعر  
كراماً حافظين ، وكانا خليلين ، قال أبو أحمد الترمذي فرأيتهما بعد موتهما  
فقلت : يا أبا بسطام ما فعل الله بك ؟ فقال : وفقك الله لما أقول :

حباني إلهي في الجنان بقبة	لها ألف باب من لجين وجوهرا
وقال لي الرحمن يا شعبة الذي	تجبر في جمع العلوم فأكثرنا
تنعم بقربي إنني عنك ذو رضا	وعن عبدي القوام في الليل مسعرا
كفى مسعرا عزاً بأن سيزورني	وأكشف عن وجهي الكريم لينظرا
وهذا فعالي بالذين تنسكوا	ولم يألفوا في سالف الدهر منكراً

قال : وقال أحمد بن محمد الكندي : رأيت الإمام أحمد بن حنبل في  
النوم فقلت : يا أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ثم قال : يا أحمد

ضربت فيّ ستين سوطاً؟ قلت: نعم يا رب، قال: هذا وجهي قد أبحتك فانظر إليه، وقال أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحجاج. حدثني رجل من أهل طرسوس قال: دعوت الله عز وجل أن يرني أهل القبور حتى أسألهم عن أحمد بن حنبل ما فعل الله به، فرأيت بعد عشر سنين في المنام كأن أهل القبور قد قاموا على قبورهم، فبادروني بالكلام فقالوا: يا هذا كم تدعو الله عز وجل أن يريك إيانا؟ تسألنا عن رجل لم يزل منذ فارقكم تجليه الملائكة تحت شجرة طوبى.

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي: وهذا كلام من أهل القبور إنما هو إخبار عن علو درجة أحمد بن حنبل رحمته الله، وارتفاع مكانه وعظم منزلته، فلم يقدروا أن يعبروا عن صفة حاله وعن ما هو فيه إلا بهذا وما هو في معناه.

قلت: وذكر الحافظ ابن رجب في طبقات الأصحاب رحمته الله في ترجمة أحمد بن علي الصوفي قال: كنت على مذهب الإمام الشافعي رحمته الله وكان من عاداتي ألا أرجع في الأذان ولا أقنت في صلاة الفجر، غير أنني أجهر بسم الله الرحمن الرحيم، وكان عاداتي أيضاً ليلة الغيم أنوي رمضان كما جرت عليه عادة أصحاب أحمد، فلما كان في بعض الليالي رأيت كأنني في دار حسنة جميلة وفيها الغلمان والخدم والجند خلق عظيم، وهم صغار وكبار، والدخل والخرج والأمر والنهي، فإذا رجل بهي شيخ على سرير، والنور على وجهه ظاهر، وعلى رأسه تاج من ذهب مرصع بالجواهر، وثياب خضر تلمع، وكان إلى جانبي رجل ممنطق يشبه الجند، فقلت له: بالله هذا المنزل لمن؟ قال لمن ضرب بالسوط حتى يقول القرآن مخلوق، قلت أنا في الحال: أحمد بن حنبل؟ قال: هو ذا، فقلت والله إن في نفسي أشياء كثيرة أشتهي أن أسأله عنها، وكان على سرير وحول السرير خلق قيام، فأوماً إليّ أن اجلس وسل عما تريد، فمنعني الحياء من الجلوس،

فقلت: يا سيدي عادتي لا أرجع في الأذان ولا أقنت في صلاة الفجر غير أنني أجهر بيسم الله الرحمن الرحيم وأخشع؟ فقال بصوت رفيع عال: أصحاب رسول الله ﷺ أتقى منك وأخشع وأكثرهم لم يجهر بقراءتها، فقلت عادتي ليلة الغيم أصوم كما قال الإمام أحمد بن حنبل؟ فقال: اعتقد ما شئت من أي مذهب، تدين الله به ولا تك معمياً<sup>(١)</sup> وأنا أرعد، فلما أصبحت أعلمت من يصلي ورائي بما رأيت وأخبرتهم أنني حنبلي، ولم أجهر بعد، ودعاني ذلك إلى أن قلت هذه القصيدة وهي قوله:

حقيقة إيماني أقول لتسمعوا      لعلي به يوماً إلى الله أرجع  
إلى أن قال:

وعن مذهبي إن تسألوا فابن حنبل      به أقتدي ما دمت حياً أمتع  
وذكر القصيدة وهي طويلة مشهورة ذكرها الحافظ في الطبقات وغيره ممن ترجم الأصحاب، والله أعلم.

وذكر في [تنبية الغافلين] عن شيخ من أهل البصرة وكان من الصالحين بها، أنه رأى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في النوم فقال له: ما صنع الله بك يا أحمد؟ فقال: رحمني وأكرمني وحياني، وقال: يا أحمد ادعني بالدعوات التي كنت تدعو بها في دار الدنيا، فقلت: اللهم يا رب كل شيء قال: صدقت يا أحمد، أنا رب كل شيء، قلت: بقدرتك على كل شيء قال: صدقت يا أحمد، أنا القادر على كل شيء، قلت: اغفر لي كل شيء. قال: يا أحمد غفرت لك كل شيء، قلت: ولا تسألني عن شيء، وفيه فقلت: يا رب شفعني في أهل السنة قال: قد شفعتك فيهم وأعطيتك سؤلك.

(١) أي لا تكن إمعة تسير وراء كل أحد، بل كن صاحب رأي واجتهاد بشرط توفر أدواته، ولا مانع من اتباع أي مذهب على أن يبتعد عن التعصب بل يكون شعاره «رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب».

قلت: وذكر نحو هذه الرؤيا بنحو ما ذكرنا البيهقي والحافظ ابن الجوزي وغيرهما بغير زيادة فقلت: يا رب شفني إلى آخره، والله أعلم.

وذكر الحافظ ابن رجب في [طبقات الأصحاب] في ترجمة شيخه الإمام المحقق ابن القيم قدس الله روحه قال: رأى شيخنا قبل موته بمدة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في النوم فسأله عن منزلته، فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت قد كدت تلحق بنا، لكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة، فمات بعد تلك الرؤيا رحمته الله.

وذكر الحافظ في [طبقات الأصحاب] أيضاً في ترجمة حافظ الدنيا وإمامها الحافظ عبد الغني طيب الله ثراه عن الضياء المقدسي رحمته الله قال: سمعت الإمام أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني سنة اثنتي عشرة وستمائة قال: رأيت البارحة الكمال - يعني أخا عبد الغني وكان توفي بتلك السنة - في النوم وعليه ثوب أبيض فقلت له: يا فلان أين أنت؟ قال في جنة عدن. قلت: أيما أفضل الحافظ عبد الغني أو الشيخ أبو عمر؟ فقال: ما أدري، وأما الحافظ فكل ليلة جمعة ينصب له كرسي عند العرش ويقرأ عليه الحديث وينثر عليه الدر والجوهر، وهذا نصيبي منه وكان في كفه شيء وقد أمسك بيده على رأسها.

وقال الإمام المحقق في (الروح)، قال أبو جعفر الضرير: رأيت عيسى ابن زاران بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ فأشأ يقول:

لو رأيت الحسان في الخلد حولي      والأكاويب معهن للشراب  
يتمرغن بالكتاب جميعاً      يتمشين مسبلات الثياب

ثم قال: والرؤيا الصحيحة أقسام، منها إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد، وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره.

ومنها مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها .

ومنها التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم كما ذكرنا .

ومنها عروج روحه إلى الله عز وجل وخطابها له .

ومنها دخول روحه الجنة ومشاهدتها وغير ذلك ، فالتقاء أرواح الأموات والأحياء نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات ، وهذا موضع اضطرب فيه الناس .

وقد أخرج الإمام أبو عبد الله بن منده الحافظ من الأصحاب في كتاب (النفس والروح) بسنده عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : لقي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له : يا أبا حسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ، ثلاثة أسألك عنهن فهل عندك منهن علم؟ فقال : وما هن؟ قال : الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً ، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً؟ فقال علي : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن الأرواح جنود مجندة تلتقي في الهواء أقسام ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» . فقال عمر : واحدة . والرجل يحدث الرجل الحديث إذ نسيه فينا هو قد نسيه إذ ذكره فقال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ما في القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر ، بينا القمر يضيئ إذ تحلته سحابة فأظلم إذ تجلّت فأضاء ، وبينما القلب يتحدث إذ تحلته سحابة فنسي إذ تجلّت عنه فذكر» . فقال عمر : اثنتان ، والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب؟ فقال : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ما من عبد ينام يمتلي نوماً إلا يعرج بروحه إلى العرش ، فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا

التي تصدق، والذي يستيقظ دون العرش فهي التي تكذب»<sup>(١)</sup> فقال عمر: ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت.

ومن عجيب صحة الرؤيا ما ذكره الإمام المحقق في [الروح] مما نحن بصدده، أن رجلاً كان اسمه عبد الله ويكنى بابن محمد، وكان معروفاً برؤية الأموات، قال: وكان رجلاً صالحاً مشهوراً برؤية الأموات وسؤالهم عن الغائبات<sup>(٢)</sup>، ونقل ذلك إلى أهلهم وقرباتهم، وكثر منه ذلك، فكان المرء يأتيه المرء يأتيه فيشكوا إليه أن حميمه قد مات عن غير وصية، وله مال لا يهتدي لمكانه، فيعده خيراً ويدعو الله في ليلته، فيتراءى له الميت الموصوف فيسأله عن الأمر فيخبره به، قال: فمن نوادره أن امرأة عجوزاً من الصالحات ماتت ولامرأة عندها سبعة دنانير وديعة، وشكت إليه ما نزل بها وأخبرته باسمها واسم الميتة صاحبها، ثم عادت إليه من الغد فقال لها: تقول لك فلانة: عدي من سقف بيتي سبع خشبات تجدي الدنانير في السابعة في خرقة صوف، ففعلت فوجدتها كما وصف لها، قال: وقال علي القيرواني العابر أخبرني رجل لا أظن به كذباً قال: استأجرتني امرأة من أهل الدنيا على هدم دار لها وبنائها بمال معلوم، فلما أخذت في الهدم لزمت الفعلة هي ومن معها، فقلت: ما لك؟ قالت: والله ما لي بهدم هذه الدار من حاجة، لكن أبي مات وكان ذا يسار كثير فلم نجد له كثير شيء، فخلت

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥ / ٢٤٧) رقم ٥٢٢٠ بلفظ (فتشام) بدلاً من (أقسام) واختلاف يسير في بعض الألفاظ الأخرى، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣٩٨) رقم ٧٣٨، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أزهر بن عبد الله، قال العقيلي: حديثه غير محفوظ عن أبي عبدان، وهذا الحديث يعرف من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي موقوفاً وبقية رجاله موثقون.

(٢) لا دخل للبشر بعلم الغيب فمفاتيح الغيب لا يعلمها إلا الله، والرؤي المنامات والمكاشفات لا يترتب عليها حكم شرعي.

- أي ظننت - أن ماله مدفون، فعمدت على هدم الدار لعلي أجد شيئاً، فقال لها بعض من حضرنا: تالله لقد فاتك ما هو أهون من ذلك، قالت: وما هو؟ قال: فلان تمضين إليه وتسألينه أن يبيت قصتك الليلة، فلعله يرى أباك فيدلك على مكان ماله بلا تعب، فذهبت إليه ثم عادت إلينا فزعمت أنه كتب اسمها واسم أبيها عنده، فلما كان من الغد بكرت إلى العمل وجاءت المرأة من عند الرجل، وقالت: إن الرجل قال لي: رأيت أباك وهو يقول المال في الخيبة، فجعلنا نحفر تحت الخيبة وفي جوانبها حتى لاح لي شق، وإذا المال فيه، قال: فأخذنا في التعجب والمرأة تستخف بما وجدت وتقول: مال أبي كان أكثر من هذا، ولكن أعود، فمضت فأعلمته ثم سأله المعاودة فلما كان من الغد أتت وقالت: إنه قال لها: إن أباك يقول لك احفري تحت الخابية المربعة التي في مخزن الزيت، قال: ففتحت المخزن فإذا بخابية مربعة في الركن، فأزلناها وحفرنا تحتها فوجدنا كوزاً كبيراً، فأخذته ثم دام بها الطمع في المعاودة، ففعلت فرجعت من عنده وعليها الكأبة فقالت: زعم أنه رآه وهو يقول له: قد أخذت ما قدر لها وأما ما بقي فقد أخذه عفريت من الجن يحرسه إلى من قدر له، والله أعلم.



## فصل

وأما محل الأرواح بعد الموت فقد كثر فيه الخلاف بين أهل الإتيان والإنصاف، حتى حقق أهل التحقيق ذلك وبينوا هاتيك المسالك .

قال الحافظ ابن رجب: فأما الأنبياء فليس فيهم شك أن أرواحهم في أعلى عليين عند رب العالمين، وقد ثبت في الصحيح. أن آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ عند موته أن قال: «اللهم الرفيق الأعلى»<sup>(١)</sup> وكررها حتى قبض، وقال رجل لابن مسعود: قبض رسول الله ﷺ فأين هو؟ قال: في الجنة، وأما الشهداء، فقال أكثر العلماء: هي في الجنة. وقد تكاثرت الأحاديث بذلك ففي صحيح مسلم عن مسروق قال: سألت ابن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فقال: أما أنا فقد سألتنا عن ذلك؟ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «لما أصيبت إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٤٦٣ .

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٨٨٧ بلفظ «فلما رأوا أنهم لن يتركوا».

إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب ماكلهم  
ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لثلا  
ينكلوا عند الحرب، ولا يزهوا في الجهاد، قال: فقال الله: أبلغه عنكم،  
فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٥] (١).

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وصححه من حديث عمرو بن دينار  
عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:  
«إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من شجر الجنة» (٢). كذا رواه عمرو  
عن الزهري ورواه سائر أصحاب الزهري عنه ولم يذكروا الشهداء وإنما  
ذكروا نسمة المؤمن.

وأخرج ابن منده من طريق معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد أنه  
سأل ابن شهاب عن أرواح المؤمنين قال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير  
خضر معلقة بالعرش، تغدو ثم تروح إلى رياض الجنة، تأتي رها سبحانه  
وتعالى كل يوم تسلم عليه، وكذا قال الضحاك وإبراهيم اليميني وغيرهما من  
السلف في أرواح الشهداء.

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى وابن أبي الدنيا من حديث ثابت عن  
أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا الحسنة فكان فيما يقول:

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٥) رقم ٢٣٨٨ بلفظ (أبلغهم) بدلاً من [أبلغه]، وأبو داود (٢/ ١٨)  
رقم ٢٥٢٠، والحاكم في المستدرک (٢/ ٩٧) رقم ٢٤٤٤ وقال هذا صحيح على شرط  
مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٨٦) رقم ٢٧٢١٠ بلفظ (إن أرواح الشهداء في طائر خضر تعلق من  
ثمر الجنة) وقرئ على سفيان نسمة تعلق في ثمرة أو شجرة الجنة.  
والترمذي (٤/ ١٧٦) رقم ١٦٤١ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

«هل رأى أحد منكم رؤيا؟ فإذا رأى الرجل الذي لا يعرفه الرؤيا يسأل عنه، فإن أخبر عنه بمعروف كان أعجب لرؤياه؟ قال: فجاءت امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت في المنام كأنني خرجت فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة ارتجت لها الجنة، فإذا أنا بفلان وفلان وفلان، حتى عدت اثني عشر رجلاً، وقد بعث رسول الله ﷺ بسرية قبل ذلك قالت: فجيء بهم عليهم ثياب طلس<sup>(١)</sup> تشخب أوداجهم، فقال: اذهبوا بهم إلى نهر الميذخ، فغمسوا فيه وأخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، وأتوا بكراسي من ذهب فأقعدوا عليها، وجيء بصحيفة من ذهب فيها بسرة، فأكلوا من بسره ما شاءوا، فما يقلبونها لوجه من وجه إلا أكلوا من فاكهة ما شاءوا، قالت: وأكلت معهم، قال: فجاء البشير من تلك السرية، فقال: يا رسول الله كان كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر، فقال: عليّ بالمرأة، فقال: قصي رؤياك علي هذا فقال الرجل: هو كما قالت أصيب فلان وفلان»<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد: سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في ثمرة الجنة.

وقال قتادة بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة، وقال عبد الله بن عمرو: أرواح الشهداء في طير كالزراير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة، وقال ابن عباس عن كعب بن مالك: جنة المأوى

(١) الطَّلْسُ المحو، والأطلس الأسود والوسخ، والأطلس الثوب الخلق، وكذلك الطَّلْسُ بالكسر، والجمع أطلاس، يقال: رجل أطلس الثوب، وسخها. لسان العرب/ مادة: طلس.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥) رقم ١٢٤٠٨ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، وفي (٣/ ٢٥٧) رقم ١٣٧٢٣، وأبو يعلى في مسنده (٤٤/٦) رقم ٣٢٨٩، وابن حبان في صحيحه (٤١٨/١٣) رقم ٦٠٥٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٦٥) رقم ١٧٣٦ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

جنة فيها طير خضر ترعى فيها أرواح الشهداء، وقال أبو الدرداء وقد سئل عن أرواح الشهداء: هي طير خضر معلقة في قناديل تحت العرش تسرح في رياض الجنة حيث شاءت.

وقال ابن مسعود: أرواح الشهداء طير خضر في قناديل تحت العرش، تسرح في الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها.

وروي عن مجاهد أنه قال: ليس الشهداء في الجنة ولكنهم يرزقون منها، وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾ الآية [آل عمران: ١٦٩] قال: يقول أحياء عند ربهم يرزقون من ثمر الجنة، ويجدون ريحها وليسوا فيها.

وروى ابن المبارك عنه أيضاً أنه قال: ليس هم في الجنة لكن يأكلون من ثمارها ويجدون ريحها.

قال الحافظ ابن رجب: وقد يستدل لقوله - أي مجاهد - بما روى ابن إسحاق عن عاصم عن عمرو بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء على بارق نهر الجنة، فيه قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا»<sup>(١)</sup>. وخرجه ابن منده ولفظه على بارق نهر في الجنة.

قال الحافظ: وهذا يدل على أن النهر خارج من الجنة، قال: وابن إسحاق مدلس ولم يصرح بالتحديث قال الحافظ: ولعل هذا في عموم

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) رقم ٢٣٩٠ بلفظ: (الشهداء على بارق نهر بياب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٥١٥) رقم ٤٦٥٨، والحاكم في المستدرک (٢/ ٨٤) رقم ٢٤٠٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الشهداء والذين في القناديل التي تحت العرش خواصهم، أو لعل المراد بالشهداء هنا من هو شهيد من غير قتل في سبيل الله، كالمطعون والمبطون والغريق وغيرهم ممن ورد النص بأنه شهيد، والأحاديث السابقة كلها فيمن قتل في سبيل الله وبعضها صريح في ذلك، وفي بعضها أن الآية نزلت وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] والآية نص في المقتول في سبيل الله، وقد يطلق الشهيد على من حقق الإيمان وشهد بصحته بقوله، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩] قال: ابن أبي نجیح عن مجاهد في هذه الآية يقول: يشهدون على أنفسهم بالإيمان بالله.

وروى سفيان عن رجل عن مجاهد قال: كل مؤمن صديق وشهيد، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كلكم صديق وشهيد، قيل له: ما تقول يا أبا هريرة؟ قال: اقرءوا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الآية [الحديد: ١٩].

قال الحافظ ابن رجب: فيه إسماعيل بن يحيى التيمي ضعيف جداً، لكن يعضده ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. من شهادة هذه الأمة للأنبياء من تبليغ رسالاتهم، قال الحافظ: وبكل حال فالأحاديث المتقدمة كلها في الشهيد المقتول في سبيل الله لا يحتمل غير ذلك، قال: وإنما النظر في حديث ابن إسحاق، انتهى.

فائدة: سُمى الشهيد شهيداً قيل لأنه مشهود له بالجنة، فهو فعيل بمعنى مفعول، وقيل: إن أرواحهم يعني الشهداء حضرت دار السلام،

لأنهم أحياء عند ربهم، فهو فعيل بمعنى فاعل أي شاهد أي حاضر للجنة، وقيل: سمي بذلك لسقوطه بالأرض والأرض الشاهدة، وقيل: سمي بذلك لشهادته على نفسه لله عز وجل حين لزمه الوفاء بالبيعة التي بايعه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] فاتصلت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد فسماه شهيداً، وقد قال ﷺ في شهداء أحد: «أنا شهيد على هؤلاء»<sup>(١)</sup> لبذلهم أنفسهم دونه وقتلهم بين يديه تصديقاً لما جاء به ﷺ، هذا ملخص ما ذكر القرطبي رَحِمَهُ اللهُ، ثم قال: هذا الكلام في الشهيد، وأما الشهادة فصفة يسمى حاملها بالشاهد ويبلغ شهيداً.

قال: وللشهادة ثلاثة شروط لا تتم إلا بتمامها وهي: الحضور، والوعي، والأداء، أما الحضور فهو شهود الشاهد المشهود، وأما الوعي فهو أن يعي ما شاهده وعلمه في شهوده ذلك، وأما الأداء فهو الإتيان بالشهادة على وجهها في موضع الحاجة إلى ذلك، هذا معنى الشهادة.

والشهادة على الكمال إنما هي لذي العزة والجلال وجميع الشاهدين سواء يؤدون شهادتهم عنده، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩].

والشهداء: هم العدول وأهل العدالة في الدنيا والآخرة، وهم القائمون بما وجب للحق سبحانه تعالى عليهم في الدنيا.

تمتة: جاء في حديث من جملة الشهداء «المرأة تموت بجمع»<sup>(٢)</sup> رواه

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٠٧٩ من حديث جابر.

(٢) جزء من حديث أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٣٣) رقم ٥٥٤ وأحمد (٥/ ٣١٥) رقم ٢٢٧٣٧ والنسائي (٤/ ١٣) رقم ١٨٤٦ والحاكم في المستدرک (١/ ٥٠٣) رقم ١٣٠٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

النسائي عن جابر مرفوعاً : فقيل : هي التي تموت من الولادة وولدها في بطنها قد تم خلقه، وقيل : إذا ماتت من النفاس فهي شهيدة كما تقدم، وقيل التي تموت بكرة لم يمسه الرجال .

قلت : ولم أعلم أن أحداً قال في هذه أنها شهيدة من هذه الحيثية .  
وقوله : بجمع فيه لغتان ضم الجيم وكسرها .

وأخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن سعيد بن زيد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»<sup>(١)</sup> . قال الترمذي : حديث حسن صحيح وتقدمت الإشارة إلى مضمونه .

وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «موت غربة شهادة»<sup>(٢)</sup> وذكره أيضاً من حديث ابن عمر وصححه .

وأخرج الترمذي عن معقل بن يسار مرفوعاً : «من قال حين يصبح ثلاث مرات، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في يومه مات شهيداً، ومن قرأها حين يمسي فكذلك»<sup>(٣)</sup> . قال : حديث حسن غريب .

(١) أخرجه الترمذي (٤ / ٣٠) رقم ١٤٢١ وقال : هذا حديث حسن وأبو داود (٢ / ٦٦٠) رقم ٤٧٧٢ ، والنسائي (٧ / ١٦) رقم ٤٠٩٥ .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١ / ٥١٥) رقم ١٦١٣ ، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢ / ١٦٢) رقم ٢٦٦٥ وقال : رواه أبو يعلى وابن ماجه والبيهقي والقضاعي عن ابن عباس رفعه وله شواهد .

(٣) أخرجه الترمذي (٥ / ١٨٢) رقم ٢٩٢٢ وفي آخره «من قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة» . وقال : هذا حديث غريب وأحمد (٥ / ٢٦) رقم ٢٠٣٢١ .

وأخرج الآجري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:  
«يا أنس إن استطعت أن تكون أبداً على وضوء فافعل، فإن ملك الموت إذا  
قبض روح العبد وهو على وضوء كتبت له شهادة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الشعبي عن ابن عمر مرفوعاً: «من صلى الضحى وصام ثلاثة  
أيام من كل شهر ولم يترك الوتر في حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد»<sup>(٢)</sup>.  
وذكره أبو نعيم والقرطبي في التذكرة.

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «إذا جاء الموت طالب  
العلم وهو على حاله مات شهيداً»<sup>(٣)</sup> وبعضهم يزعم أنه ليس بينه وبين  
الأنبياء إلا درجة واحدة.

وفي مسلم: عن أنس مرفوعاً: «من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو  
لم تصبه»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الإمام ابن الإمام محمد بن داود الظاهري عن ابن عباس يرفعه  
«من عشق وكنم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة»<sup>(٥)</sup> وفي لفظ لغير ابن  
داود عن ابن عباس يرفعه: «من عشق وعف وكنم فمات فهو شهيد»<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/١٨٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٣٣٢) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٥٠١) رقم  
٣٤٤٨ وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبو نهبك: ضعفه أبو حاتم وغيره، ووثقه  
ابن حبان وقال: يخطئ.

(٣) ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٢/١٤٥) رقم ٦٤٧.

(٤) أخرجه مسلم رقم ١٩٠٨.

(٥) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٤٣/١٩٥) والخطيب في تاريخ بغداد (٥/٢٦٢).

(٦) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/١٨٤) في ترجمة المؤمل بن أحمد بن إبراهيم رقم  
٧١٦٠، وذكره الهندي في كنز العمال (٣/٣٧٢) رقم ٦٩٩٩، وابن الجوزي في العلل  
المتناهية (٢/٧٧١) رقم ١٢٨٧، وتأمل كلام المصنف عنه.

وتقدمت الإشارة إلى هذا قلت: ذكر الإمام المحقق في كتابه (الداء والدواء) أن حفاظ الإسلام أنكروا على سويد بن سعيد هذا الحديث، وذكره جماعة في الموضوعات منهم ابن الجوزي والبيهقي وابن طاهر، وأنكره الحاكم وقال أنا أتعجب منه، قال الإمام المحقق والصواب في الحديث أنه من كلام ابن عباس موقوفاً عليه، فغلط سويد في رفعه، وابن داود روى الحديث المذكور من طريق سويد بن سعيد عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه، والله أعلم.

لطيفة: أخرج النسائي عن العرياض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون زمن الطاعون فيقول الشهداء: إخواننا قتلوا كما قتلنا، ويقول المتوفون على فرشهم: إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا، فيقول ربنا عز وجل: انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم»<sup>(١)</sup>. والله أعلم.

\* \* \*

(١) أخرجه النسائي (٦ / ٢٧) رقم ٣١٦٤ وأحمد (٤ / ١٢٨) رقم ١٧١٩٩ والطبراني في الكبير (١٨ / ٢٥٠) رقم ٦٢٦، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢ / ٢٢١) رقم

## فصل

وأما بقية المؤمنين سوى الشهداء، فإنهم ينقسمون إلى أهل تكليف وغير أهل تكليف، فغير أهل التكليف كأطفال المؤمنين فالجمهور على أنهم في الجنة، وقد حكى الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإجماع على ذلك، قال في رواية جعفر بن محمد: ليس فيهم اختلاف، يعني أنهم في الجنة، وفي رواية الميموني أو أحد يشك أنهم في الجنة؟

وذكر الخلال من طريق حنبل عن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نحن نقر أن الجنة خلقت، ونؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ لآل فرعون [غافر: ٤٦].

وقال: أرواح ذراري المسلمين في أجواف طير خضر تسرح في الجنة، يكفلهم أبوهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، وكذلك نص الإمام الشافعي على أن أطفال المسلمين في الجنة، وجاء صريحاً عن السلف أن أرواحهم في الجنة، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت، فتأوى إلى قناديل معلقة في العرش. خرجه ابن أبي حاتم ورواه الثوري والأعمش عن أبي قيس عن هذيل من قوله: ولم يذكر ابن مسعود.

وخرج البيهقي عن ابن عباس عن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه.

وخرج الخلال من طريق ليث عن أبي الزبير عن عبيد بن عمير قال: إن في الجنة لشجرة لها ضروع كضروع البقر، تغذي بها ولدان أهل الجنة حتى أنهم ليستنون ويلعبون كاستناب البكار، قوله: يستنون أي يمرحون.

وخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن خالد بن معدان قال: إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى، ضروع كلها ترضع صبيان أهل الجنة، وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيبعث ابن أربعين سنة.

قال الحافظ ابن رجب: ويدل على صحة ذلك ما في مسلم عن أنس رضي الله عنه: قال: لما توفي إبراهيم عليه السلام قال النبي ﷺ: «إن إبراهيم ابني وإنه مات في الشدي، وإن له لظئرين يكملان رضاعه في الجنة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن ماجه نحوه من حديث ابن عباس<sup>(٢)</sup> وخرج الإمام أحمد نحوه من حديث البراء بن عازب<sup>(٣)</sup>.

وخرج سعيد بن منصور عن مكحول عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ذراري المؤمنين أرواحهم في عصفير في شجر في الجنة يكفلهم أبوهم إبراهيم عليه السلام»<sup>(٤)</sup> وكذا رواه علي بن عثمان اللاحقي عن مكحول إلا أنه قال: عصفير خضر في الجنة وهذا كما قال الحافظ: مرسل ولفظه يشبه لفظ الحديث الذي احتج به الإمام أحمد على خلق الجنة كما تقدم.

قال الحافظ: وقد روي متصلًا من وجه آخر من رواية عبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان، عن عطاء بن فروة، عن عبد الله بن صخرة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم عليه السلام في

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٣١٦ .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٨٤) رقم ١٥١١ .

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٩) رقم ١٨٥٧٣ ، ١٨٥٧٤ .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١/ ١٤٤) رقم ٥١٤ ، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ١٥٩) رقم ١٠٣٤٢ ، وابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ٣٦٧) رقم ٢٠٣ كلهم باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وله شاهد في الحديث بعده.

الجنة»<sup>(١)</sup>. خرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد. والإمام أحمد عن موسى بن داود عن ابن ثوبان إلا أنه ذكر أن موسى شك في رفعه، ولكن رواه عن واحد عن ثابت بن ثوبان ولم يشك في رفعه، وروي من وجه آخر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أولاد المؤمنين»<sup>(٢)</sup> في جبل يكفلهم إبراهيم وسارة عليهما السلام فإذا كان يوم القيامة دفعوا إلى آبائهم»<sup>(٣)</sup>. وكذا رواه محمد بن عبد الله عن وكيع عن سفيان مرفوعاً ورواه ابن مهدي وأبو نعيم عن سفيان موقوفاً قال الدارقطني: والموقوف أشبه.

قال الحافظ ابن رجب: ومما يستدل به لهذا أيضاً ما خرجه البخاري عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ «أنه رأى في منامه جبريل وميكائيل أتياه فانطلقا به - وذكر حديثاً طويلاً وفيه - وإذا روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وإذا شيخ في أصلها حوله صبيان، قال: فصعدا بي للشجرة فأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فإذا فيها رجال شيوخ وشباب، وفيها نساء وصبيان، وذكر الحديث وفيه، قالوا: وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة فذاك إبراهيم، وأما الصبيان الذي رأيت فأولاد الناس، وفي رواية: فكل مولود مات على الفطرة، وفي رواية ولد على الفطرة، وأما الدار التي

(١) أخرجه ابن حبان (٤٨١ / ١٦) رقم ٧٤٤٦، وأحمد في المسند (٣٢٦ / ٢) رقم ٨٣٠٧، ونحوه الحاكم في المستدرک (٥٤١ / ١) رقم ١٤١٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) في الأصل (المرسلين) والمثبت هو الموافق للحديث.

(٣) أخرجه الحاكم (٥٤١ / ١) رقم ١٤١٨ وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٦٧) رقم ١٨٤ وقال: قيل هو من قول الثوري، وقد أخرجه الحاكم مرفوعاً في المستدرک وصححه على شرطهما وأصله في البخاري في المعراج.

والعجلوني في كشف الخفا (٣٠٩ / ١) رقم ٨٢٥ وقال: رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين والديلمي عن أبي هريرة مرفوعاً وصححه ابن حبان، ورواه ابن مهدي وأبو نعيم عن الثوري موقوفاً.

دخلت أولاً فدار عامة المؤمنين وأما الدار الأخرى فدار الشهداء»<sup>(١)</sup>.

واستدل الحافظ بغير ما ذكرنا من الأحاديث ولكننا اقتصرنا على المقاصد طلباً للاختصار مع وجود ما تلقح به الأفكار، والله الموفق.

قال الحافظ: وذهبت طائفة إلى أنه يشهد لأطفال المؤمنين عموماً أنهم في الجنة، ولا يشهد لآحادهم كما يشهد للمؤمنين عموماً أنهم في الجنة ولا يشهد لآحادهم، وهو قول إسحاق بن راهويه، نقله عنه إسحاق بن منصور وحرب في مسائلها.

قال الحافظ: ولعل هذا يرجع إلى أن الطفل المعين لا يشهد لأبيه بالإيمان، فلا يشهد له أنه من أطفال المؤمنين، فيكون الوقف في آحادهم للوقف في إيمان آبائهم.

وحكى ابن عبد البر عن طائفة من السلف القول بالوقف في أطفال المؤمنين، سمي منهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، وإسحاق. قال الحافظ: وهذا بعيد جداً، ولعله أخذ ذلك من عموم كلام لهم، وإنما أرادوا بها أطفال المشركين.

كذلك اختار القول بالوقف طائفة منهم، الأثرم، والبيهقي، وذكر أن ابن عباس رجع إليه، والإمام أحمد ذكر أن ابن عباس إنما قال ذلك في أطفال المشركين، وإنما أخذه البيهقي من عموم لفظ روى عنه كما أنه ورد في بعض ألفاظ حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل عن الأطفال فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»<sup>(٢)</sup>.

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري رقم ٧٠٧٤.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٥٩٨، ومسلم رقم ٢٦٥٨.

قال الحافظ: ولكن الحفاظ الثقات ذكروا أنه سئل عن أطفال المشركين، واستدل القائل بالوقف بما أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي صبي فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال رسول الله ﷺ: «أو لا تدري أن الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ: قد ضعف الإمام أحمد رضي الله عنه هذا الحديث، فإن فيه طلحة بن يحيى، وقد روى مناكير وذكر له هذا الحديث، وقال ابن معين فيه: ليس بالقوي، وقد خرجه مسلم من طريق - حديث - فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين، قال الإمام أحمد ما أراه يعني فضيل بن عمرو سمعه إلا من طلحة بن يحيى يعني أخذه عنه ودلسه، حيث رواه عن عائشة بنت طلحة، وذكر العقيلي أنه لا يحفظ إلا من حديث طلحة، ويعارض هذا ما خرجه مسلم عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة رضي الله عنه أنه مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث فتطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: «نعم صغارهم دعاميص»<sup>(٢)</sup> الجنة يتلقي أحدهم أباه أو قال أبويه، فيأخذ بثوبه أو قال بيده، كما أخذ أنا بضفة ثوبك فلا ينهي أو قال ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من الناس

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٦٦٢ .

(٢) الدعموص: دوية صغيرة تكون في مستنقع الماء وقيل: تغوص في الماء، والجمع دعاميص. لسان العرب/ مادة: دعمص.

وفي النهاية: الدعاميص جمع دعموص وهي دوية تكون في مستنقع الماء، والدعموص الدخال في الأمور، أي أنهم سياحون في الجنة دخالون في منازلها لا يمنعون من موضع كما أن الصبيان في الدنيا لا يمنعون من الدخول على الحرم ولا يحجب منهم أحد.

النهاية في غريب الأثر لابن الأثير مادة: دعمص.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٦٣٥ .

مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»<sup>(١)</sup> ولهذا قال الإمام أحمد - نضر الله وجهه - هو يرجى لأبويه فكيف يشك فيه؟ يعني أنه يرجى لأبويه دخول الجنة بسببه. قال الحافظ: ولعل النبي ﷺ نهى أولاً عن الشهادة لأطفال المسلمين بالجنة قبل أن يطلع على ذلك، لأن الشهادة على ذلك تحتاج إلى علم به، ثم اطلع على ذلك فأخبر به، واعترض بعضهم هذا التوجيه بأن سورة الطور مكية وقد دلت على تبعيتهم.

وأقول هذا الاعتراض ساقط، فإننا إن قلنا بالتبعية فلا يقطع لأطفال المسلمين كما لا يقطع لأبائهم، فإننا لا نقطع لأحد أنه من أهل الجنة إلا من قطع له رسول الله ﷺ بذلك، ولكن نرجو من الله ذلك، وعندني أن النبي ﷺ إنما نهى عائشة عن ذلك لمسارعتها للشهادة له من غير توقيف منه ﷺ، وهذا كما لا يجوز للحاكم أن يحكم بغير علم وإن صادف الحق، فكأن عائشة قالت ذلك باجتهاد منها، وفيه أنه يبعد من مثل عائشة أن تتكلم بمثل هذا الكلام من غير توقيف، ويجب بأنه ﷺ لو أوقفها على ذلك لم ينهها عنه، وأيضاً هي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما علمت أن الطفل غير مكلف وأنه ما ألم بسيئة شهدت له بأنه من عصافير الجنة، والله سبحانه أعلم بالصواب.

وقال بعض العلماء يحتمل أن يكون أبوي الطفل منافقين فيكون الصبي بين كافرين، والله أعلم.

تنبية: قد ذكرنا فيما تقدم أن أرواح الشهداء في طير خضر<sup>(٢)</sup> وفي بعض الأحاديث نسمة المؤمن<sup>(٣)</sup> طائر، والأول يدل على أن الطير ظرف

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣١٨ ولم أقف عليه في صحيح مسلم.

(٢) تقدم ص ٢٨٢.

(٣) تقدم ص ٢٥٩.

للروح، والثاني يدل على أن الطير هو الروح، وكذلك في أطفال المسلمين في بعض الأحاديث في أجواف طير خضر، وفي بعضها في أجواف عصافير، وفي بعضها أنهم دعاميص الجنة، قال القرطبي في حديث كعب «نسمة المؤمن طائر» هذا يدل على أنها نفسها تكون طائراً أي على صورته، لا أنها تكون فيه ويكون الطائر ظرفاً لها، وكذا في رواية ابن مسعود عند ابن ماجه «أرواح الشهداء عند الله كطير خضر» وفي لفظ عن ابن عباس تجول في طير خضر، ولفظ ابن عمر وفي صورة طير بيض، وفي لفظ عن كعب أرواح الشهداء طير خضر، قال: وهذا كله أصح من رواية في جوف طير، وقال القاسبي: أنكر العلماء رواية في حواصل طير خضر؛ لأنها حينئذ تكون محصورة مضيقاً عليها، ورد بأن الرواية ثابتة والتأويل محتمل بأن تجعل في بمعنى على والمعنى أرواحهم على جوف طير خضر كقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي على جذوع النخل، وجائز أن تسمى الطير جوفاً، إذ هو محيط به ومشمط عليه، قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي في (العاقبة)، وقال غيره: لا مانع من أن تكون الأجواف حقيقة ويوسعها الله لها حتى تكون أوسع من الفضاء.

وقال ابن دحية في (التنوير) قال قوم من المتكلمين: هذه رواية منكورة، إذ لا تكون روحان في جسد واحد، فإن ذلك محال، وقولهم جهل بالحقائق واعتراض على السنة الثابتة، فإن معنى الكلام بَيِّن، فإن روح الشهيد الذي كان في جوف جسده في الدنيا يجعل في جوف جسد آخر كأنه صورة طائر، فيكون في الجسد الآخر كما كان في الأول، وذلك مدة البرزخ إلى أن يعيده الله يوم القيامة كما خلقه، وإنما الذي يستحيل في العقل قيام حياتين بجوهر واحد، فيحيا الجوهر بهما جميعاً، وأما روحان في جسد فليس بمحال، إذ لم نقل بتداخل الأجسام، فهذا الجنين في بطن أمه

وروحه غير روحها، وقد اشتمل عليهما جسد واحد، وهذا أن لو قيل لهم: أن الطائر له روح غير روح الشهيد، وهما في جسد واحد فكيف، وإنما قيل: في أجواف طير خضر أي في صورة طير، كما تقول ملكا في صورة إنسان، وهذا في غاية البيان، انتهى.

قلت: ليس هذه بأول جناية من المتكلمين على السنة الغراء بل هم غالباً نابذوها خلف ظهورهم، فالله يأخذ حقه منهم ومن أتباعهم، فالحق للديان، والذي جزم به المحقق وابن عبد السلام وجمع: أن أرواح الشهداء كما قال الصادق: في جوف طير خضر، ولا حاجة إلى تأويل، غير أن الشهداء يتفاوتون، والله الموفق.

**القسم الثاني:** أهل التكليف من المؤمنين سوى الشهداء، وقد اختلف العلماء فيهم قديماً وحديثاً، والمنصوص عن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار.

قال الخلال: في كتاب (السنة) من رواية حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة، وفي موضع آخر عن حنبل قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار، والأبدان في الدنيا يعذب الله من يشاء ويرحم من يشاء.

قال أبو عبد الله: ولا نقول أنهما يفنيان بل هما على علم الله باقيان، يبلغ الله فيهما علمه، نسأل الله التثبيت وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وقوله: ولا نقول أنهما يفنيان - يعني الجنة والنار -، فإن في أول الكلام عن حنبل أن أبا عبد الله حكى قصة ضرار وحكايته واختلاف العلماء في خلق الجنة والنار، أن القاضي أهدر دم ضرار لذلك، فاستخفى إلى أن مات، وأن أبا عبد الله قال هذا كفر - يعني القول بأنهما لم يخلقا بعد -

وسياتي الكلام على هذا مبسوطاً وقيل: إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر، كما في حديث أم بشر مرفوعاً «إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة، تأكل من ثمارها، وتشرب من مائها، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش، فتقول ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا، وإن أرواح الكفار في حواصل طير سود، تأكل من النار، وتشرب من النار، وتأوي إلى حجر في النار يقولون: ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتتنا ما وعدتنا»<sup>(١)</sup>. رواه ابن منده.

وخرج الإمام مالك عن كعب بن مالك مرفوعاً: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده»<sup>(٢)</sup> ورواه الإمام أحمد في مسنده، وخرجه النسائي من طريق مالك وخرجه، ابن ماجه، ورواه خلق كثير.

وأخرج ابن منده عن ابن عمر وقال: قال رسول الله ﷺ: «أرواح المؤمنين في طير كالزرايزر تأكل من ثمر الجنة»<sup>(٣)</sup>. قال ابن منده رَحِمَهُ اللهُ: رواه جماعة عن الثوري موقوفاً يعني على عبد الله بن عمرو بن العاص رَحِمَهُ اللهُ، قال الحافظ ابن رجب قدس الله روحه: الصواب وقفه، وقد ذكره الإمام أحمد موقوفاً.

(١) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (١٧٧) من حديث أم كبشة بنت المعرور، وليس أم بشر، وقال: وموسى بن عبيدة شيخ صالح شغلته العبادة عن حفظ الحديث فكثرت المناكير في حديثه.

(٢) رواه أحمد (٤٥٥ / ٣) رقم ١٥٨١٦ والنسائي (١٠٨ / ٤) رقم ٢٠٧٣ وابن ماجه (٢ / ٨١٤٢) رقم ٤٢٧١ ومالك في الموطأ (١ / ٢٤٠) رقم ٥٦٨.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (١٥٠) رقم ٤٤٦ موقوفاً على عبد الله بن عمرو، وأورده المصنف في (٢٨٤) موقوفاً كذلك.

وروى ابن المبارك عن كعب من رواية الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن سياف قال: كنا جلوساً إلى كعب فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فقال: يا كعب كل ما في القرآن قد عرفت غير أربعة أشياء فأخبرني عنهن، فسأله عن سجين، وعليين، فقال كعب: أما عليون فالسماة السابعة فيها أرواح المؤمنين، وأما سجين فالأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار تحت خد إبليس.

قال الحافظ: وقد ثبت بالأدلة أن الجنة فوق السماء السابعة، وأن النار تحت الأرض السابعة، ويأتي بيان ذلك في الكتاب الرابع من هذا التأليف إن شاء الله تعالى.



### مطلب

وقال وهب بن منبه: أن لله عز وجل في السماء السابعة داراً يقال لها البيضاء، يجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح، فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم.

وروى ليث من حديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها، خرجه ابن أبي حاتم.

واعلم أنه إنما تدخل أرواح المؤمنين من الشهداء وغيرهم الجنة إذا لم يمنع مانع، من نحو كبيرة كما لو غل، أو كان عليه دين، فإنه يحبس عن الجنة إن لم يطف الله به ويتغمده برحمته حتى يقضي عنه دينه.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن مدعماً قتل يوم خيبر فقال الناس: هنيئاً له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً»<sup>(١)</sup>. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «هنا أحد من بني فلان ثلاثاً فلم يجبه أحد، ثم أجابه رجل فقال: إن فلاناً الذي توفي احتبس عن الجنة من أجل الدين الذي عليه فإن شتمت فافتكوه أو فافدوه وإن شتمت فأسلموه إلى عذاب الله تعالى»<sup>(٢)</sup> خرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٢٣٤ بلفظ (هنيئاً له الشهادة) بدل (الجنة)، ومسلم رقم ١٥ باختلاف في اسم الرجل.

(٢) رواه الحاكم واللفظ له (٣٠/٢) رقم ٢٢١٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه أحمد بنحوه (١١/٥) رقم ٢٠١٣٦، وأبو داود (٢/٢٦٦) رقم ٣٣٤١ والنسائي (٧/٣١٥) رقم ٤٦٨٥.

بألفاظ مختلفة.

وقالت طائفة: الأرواح في الأرض، ثم اختلفوا فقالت فرقة منهم: الأرواح تستقر على أفنية القبور، وهذا هو القول الذي ذكره عبد الله بن الإمام أحمد في سؤاله لوالده عليه السلام، حيث قال: سألت أبي عن أرواح الموتى أتكون في أفنية قبورها أم في حواصل طير أم تموت كما تموت الأجساد؟ قال: روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «نسمة المؤمن إذا مات طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»<sup>(١)</sup> وحكى القول الذي هو أن أرواح الموتى في أفنية قبورها ابن حزم عن عامة أهل الحديث، ورجحه ابن عبد البر.

وقال مجاهد: الأرواح على القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارقه ذلك، واستدل هو وغيره بحديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله»<sup>(٢)</sup>. فهذا يدل على أن الأرواح ليست في الجنة وإنما تعرض عليها بكرة وعشياً، واحتج ابن عبد البر أيضاً بحديث النبي صلى الله عليه وآله حين خرج إلى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»<sup>(٣)</sup> قال: فهذا يدل على أن الأرواح بأفنية القبور، لكنه رجح بأن أرواح الشهداء في الجنة وما عداهم على أفنية قبورها كما ذكرنا، ورد الإمام المحقق عموم هذا، - يعني كون الأرواح على أفنية القبور - حيث قال: إن أراد أنها تكون على أفنية قبورها أي هذا الأمر لازم لها لا تفارق أفنية القبور أبداً فهذا خطأ، يرده نصوص

(١) سبق ص ٢٩٩ .

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٣٧٩ ، ومسلم رقم ٢٨٦٦ .

(٣) مسلم ٢٤٩ .

الكتاب والسنة من وجوه كثيرة، وإن أراد أنها تكون على أفنية القبور وقتاً من الأوقات، أو لها إشراق على قبورها وهي في مقرها، فهذا حق، لكن لا يقال مستقرها أفنية القبور.

وذكر المحقق شُبه من قال بذلك ثم ردها بأن عرض مقعد الميت عليه من الجنة أو النار لا يدل على أن الروح في القبر، ولا على فنائه دائماً من جميع الوجوه، بل لها إشراق واتصال بالقبر وفنائه، وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده، فإن للروح شأناً آخر يكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين، ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على الميت رد عليه روحه فيرد عليه السلام، قال: وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضوع، بحيث<sup>(١)</sup> يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي شغلت مكاناً لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض، بل الروح تكون فوق السموات في عليين فترد إلى القبر وترد السلام، وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك، قال: وروح نبينا ﷺ في الرفيق الأعلى دائماً، ويردها الله سبحانه إلى القبر فيرد السلام على من سلم عليه ويسمع كلامه، وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة أو السابعة، فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر، وإما أن تكون متصلة بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء، إلى أن قال: وأما السلام على أهل القبور وخطابهم فلا يدل على أن أرواحهم ليست في الجنة وأنها على أفنية قبورها، فهذا سيد العالم ﷺ الذي روحه في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى، نسلم عليه عند قبره فيسمع سلام المسلم. انتهى.

(١) في حاشية الأصل/ لعله: ما يعتقد.

وذكر نحوه تلميذه الحافظ ابن رجب وقال تبعاً له: ويشهد لذلك الأحاديث المرفوعة والموقوفة.

وذكر عن أبي الدرداء وعبد الله بن عمرو بن العاص: في أن النائم يعرج بروحه إلى العرش مع تعلقها ببدنه وسرعة عودها إليه عند استيقاظه، فأرواح الموتى المتجردة عن أبدانهم أولى بعروجها إلى السماء وعودها إلى القبر في مثل تلك السرعة، استدلل الخصم بحديث البراء بن عازب حيث قال فيه في صفة قبض روح المؤمن «فإذا انتهى إلى العرش كتب كتابه في عليين ويقول الرب عز وجل: ردوا عبدي إلى مضجعه فإنني وعدتهم أنني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فيرد إلى مضجعه»<sup>(١)</sup> الحديث.

وقال في روح الكافر: فيصعد بها إلى السماء فتغلق دونه فيقول الرب ردوا عبدي إلى مضجعه فإنني وعدتهم أنني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، وفي لفظ ردوا روح عبدي إلى الأرض فإنني وعدتهم أن أردهم فيها، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الآية [طه: ٥٥]. وهذا يدل على أن أرواح المؤمنين تستقر في الأرض ولا تعود إلى السماء بعد عرضها ونزولها إلى الأرض.

قال الحافظ: لكن حديث البراء وحده لا يعارض الأحاديث المتقدمة في أن الأرواح في الجنة لاسيما الشهداء.

وأخرج أبو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا من طريق يزيد الرقاشي عن أنس عن تميم الداري عن النبي ﷺ قال: «يقول الله لملك الموت:

(١) رواه أحمد (٢٨٧/٤) رقم ١٨٥٥٧، وأبو داود (٦٥٢/٢) رقم ٤٧٥٣ وتقدم غير مرة.

انطلق إلى وليي فأتني به فإني قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب، فأتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها، فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة، معهم أكفان وحنوط من الجنة، ومعهم ضبائر الريحان - والضبائر بضاد معجمة وباء موحدة آخره راء هي الجماعات، واحدها ضبارة، بكسر أوله، مثل عمارة، وكل مجتمع ضبارة، قاله في (النهاية) قال في الحديث: أصل الريحانة واحد - وفي رأسها عشرون لوناً، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض، فيه المسك الأذفر، فيجلس ملك الموت عند رأسه، وتحتوشه الملائكة، ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه، ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه ويفتح له باب إلى الجنة « قال: فإن نفسه لتعلل عند ذلك بطرف الجنة - وهي بضم الطاء المهملة وضم الراء وفاء، جمع طرفة المستحدث من المال كالطريف والطارف وهو خلاف التليد والتالد، قاله السيوطي - مرة بأزواجها يعني أزواج الجنة ومرة بكسوتها ومرة بثمارها كما يعلل الصبي أهله إذا بكى، وإن أزواجه ليبتهشن عند ذلك ابتهاشاً - قال في النهاية يقال للإنسان إذا نظر إلى شيء فأعجبه واشتراه وأسرع نحوه قد بهش إليه، وفي الصحاح: بهش إليه يبهش بهشاً إذا ارتاح له وخف إليه انتهى - وتنزو الروح نزواً - أي تسرع وتثبت كما في الصحاح - ويقول ملك الموت: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب قال: وَلَمَلَكَ الْمَوْتُ أَشَدَّ تَلَطُّفًا بِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلِدِهَا، يعرف أن تلك الروح حبيب إلى ربه كريم على الله، فهو يلتمس بلطفه بتلك الروح رضا الله عنه، فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين، قال: وإن روحه لتخرج والملائكة حوله يقولون ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وذلك قوله: ﴿الَّذِينَ نُوْقِنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُوتَ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ [النحل: ٣٢] قال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨) ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ

وَحَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿ [الواقعة: ٨٨، ٨٩] قال: روح من جهد الموت، وريحان يتلقى به عند خروج نفسه، وجنة نعيم أمامه، أو قال مقابله، فإذا قبض ملك الموت روحه يقول الروح للجسد جزاك الله خيراً، لقد كنت بي سريعاً إلى طاعة الله تعالى بطيئاً عن معصيته، فهنيئاً لك اليوم فقد نجوت وأنجعت<sup>(١)</sup>، ويقول الجسد للروح مثل ذلك قال: وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع الله عليها، وكل باب من السماء كان يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة، فإذا قبضت الملائكة روحه أقامت الخمسمائة ملكاً عند جسده لا يقبله بنو آدم لشق إلا قلبته الملائكة قبلهم، وعلته بأكفان قبل أكفانهم، وحنوط قبل حنوطهم، ويقوم من باب بيته إلى باب قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار، ويصبح إبليس عند ذلك صيحة يتصدع لها بعض عظام جسده، ويقول لجنوده: الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم؟ فيقولون إن هذا كان معصوماً، فإذا صعد ملك الموت بروحه إلى السماء يستقبله جبريل في سبعين ألفاً من الملائكة، كلهم يأتيه ببشارة من ربه، فإذا انتهى ملك الموت إلى العرش خرت الروح ساجدة لربها، فيقول الله لملك الموت انطلق بروح عبدي، وضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب، فإذا وضع في قبره جاءت الصلاة فكانت عن يمينه، وجاء الصيام فكان عن يساره، وجاء القرآن والذكر فكانا عند رأسه، وجاء مشيه إلى الصلاة فكان عند رجله، وجاء الصبر فكان ناحية القبر، ويبعث الله عنقاً - أي طائفة من العذاب - فيأتيه عن يمينه فتقول الصلاة: وراءك والله ما زال دائباً - بالبدال المهملة وموحدة آخره - أي - جاداً عمره كله - وإنما استراح الآن حين وضع في قبره، قال: فيأتيه عن يساره فيقول الصيام

(١) النجعة عند العرب المذهب في طلب الكلاً في موضعه، ويقال: انتجعنا فلانا: إذا أتيناها نطلب معروفه. لسان العرب/ مادة: نجع.

مثل ذلك، فيأتيه من قبل رأسه فيقال مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية فيلتمس هل يجد إليه مساعاً إلا وجد وليّ الله قد أحرزته الطاعة، فيخرج عنه العذاب عندما يرى، ويقول الصبر لسائر الأعمال: أما إنه لم يمنعني أن أباشره بنفسي إلا أنني نظرت ما عندكم، فلو عجزتم كنت أنا صاحبه، فأما إذا أجزأتم فأنا ذخركم له عند الصراط، وذخر له عند الميزان، قال: ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأنبيأهما كالصياصي - أي بمهملتين هي قرون البقر واحدها صيصية - وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما، بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا، وقد نزعتهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمنين، يقال لهما منكر ونكير، في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوها، فيقولان له اجلس، فيستوي جالساً في قبره، فتسقط في حقويه فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وحده لا شريك له، والإسلام ديني، ومحمد نبيي وهو خاتم النبيين، فيقولان له: صدقت، فيدفعان القبر فيوسعانه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه، وعن يساره، ومن قبل رأسه، ومن قبل رجله، ثم يقولان له: انظر فوقك، فينظر فإذا هو مفتوح إلى الجنة، فيقولان له: هذا منزلك يا وليّ الله لما أطعت الله، قال رسول الله ﷺ: فوالذي نفس محمد بيده إنه لتصل إلى قلبه فرحة لا تترد أبداً، فيقال له: انظر تحتك، فينظر تحته فإذا هو مفتوح إلى النار، فيقولان: يا وليّ الله نجوت من هذا، قال رسول الله: والذي نفسي بيده إنه لتصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا تترد أبداً ويفتح له سبعة وسبعون باباً إلى الجنة، فيأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله من قبره، قال: ويقول الله تعالى لملك الموت: انطلق إلى عدوي فأتني به، فإنني قد بسطت له رزقي وسربلته بنعمتي فأبى إلا معصيتي فأتني به لأنتقم منه اليوم، فينطلق ملك الموت في أكره صورة رآها أحد من الناس قط، له اثنا عشر عيناً، ومعه سفود - وهو

بفتح المهملة وضم الفاء المشددة آخره مهملة الحديدية التي يشوى بها اللحم - من نار كثير الشوك، ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس، أي دخان لا لهب فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿شَوَاطِئٌ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥] وجر من جمر جهنم، ومعهم سياط من نار تتأجج، فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب أصل كل شوكة من ذلك في أصل كل شعرة وعرق من عروقه، ثم يلويه لياً شديداً فينزح روحه من أظفار قدميه فيلقبها في عقبه، فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة، وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط، ثم يجبذه جبذة فتتزع روحه من عقبه، فيلقبها في ركبتيه، فيسكر عدو الله سكرة وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط، ثم كذلك إلى حقويه، ثم كذلك إلى صدره، ثم كذلك إلى حلقه، ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس وجر جهنم تحت ذقنه، ثم يقول ملك الموت: اخرجي أيتها النفس اللعينة الملعونة، إلى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم، فإذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد: جزاك الله عني شراً، فقد كنت سريعاً إلى معصية الله تعالى، بطيئاً عن طاعة الله، فقد هلكت وأهلكت، ويقول الجسد للروح مثل ذلك، وتلعنه بقاع الأرض التي كان يعصي الله عليها، وتنطلق جنود إبليس إليه يبشرونه بأنهم قد أوردوا عبداً من بني آدم النار، فإذا وضع في قبره ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، فتدخل اليمنى في اليسرى، واليسرى في اليمنى ويبعث الله عليه حيات دهماً. - قال السيوطي: يحتمل أن يكون بضم أوله أي سوداء، فيكون جمع دهماً، وأن يكون بفتح أوله أي عدداً كثيراً، فيكون مفرداً والجمع دهوم، انتهى.

فتأخذ بأزبنته وإبهام قدميه فتقوضه - بقاف ثم واو ثم ضاد معجمة أي تنقصه - بمعنى تفسخه وتفرقه، وفي النهاية تقويض الخيام قلعها وإزالتها انتهى - حتى تلتقي في وسطه قال: ويبعث الله إليه الملكين فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقال: لا دريت ولا تليت،

فيضربانه ضربة يتطاير الشرار في قبره، ثم يعودان فيقولان له: انظر فوقك فإذا باب مفتوح إلى الجنة، فيقولان: يا عدو الله لو كنت أطعت الله كان هذا منزلك، قال: فوالذي نفسي بيده ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبداً، ويفتح له باب إلى النار، فيقال عدو الله هذا منزلك لما عصيت الله، ويفتح له سبعة وسبعون باباً إلى النار يأتيه حرها وسمومها حتى يبعثه الله من قبره يوم القيامة إلى النار، ففيه إن الله يقول لملك الموت في حق المؤمن: انطلق بروح عبدي وضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب»<sup>(١)</sup> والله أعلم.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة رضي الله عنه في صفة قبض روح المؤمن قال: «يصعد به إلى ربه عز وجل فيقول: ردوه إلى أحد الأجلين»<sup>(٢)</sup> وذكر مثله في الكافية، وفي حديث ابن أبي الدنيا في روح المؤمن ويبعث بها إلى عليين وفي روح الكافر وينصب بها إلى سجين وخرجه النسائي وغيره.

وقال ابن مسعود: إن الروح بعد السؤال في القبر ترفع إلى عليين، وتلا قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨].

وقالت فرقة: تجمع الأرواح بموضع من الأرض، كما روى همام عن قتادة، حدثني رجل عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو قال: إن

(١) هذا الحديث بطوله رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٥٥/١١) وذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٧٠٠) في تفسير قوله تعالى: ﴿يُنْتِظِرُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧] ثم قال: هذا حديث غريب جداً، وسياق عجيب، ويزيد الرقاشي راويه عن أنس له غرائب ومنكرات، وهو ضعيف الرواية عند الأئمة، وذكر معظمه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧].

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٨٧٢ بلفظ «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يُصعدانها» وفيه: «فِيُنْتَظَرُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِينَ».

أرواح المؤمنين تجتمع بالجافية، وأما أرواح الكفار فتجتمع بسبخة بحضرموت يقال لها برهوت، خرجه أبو عبد الله بن منده، ورواه هشام الدستوائي عن قتادة عن سعيد بن المسيب من قوله لم يذكر عبد الله بن عمرو، علي أن قتادة لم يسمعه من سعيد، بل بينه وبينه من لم يعرف.

وأخرج ابن منده عن علي رضي الله عنه قال: شر واد بئر في الأحقاف، وبرهوت بئر في حضرموت، ترده أرواح الكفار، ورواه من طريق آخر عن ابن عباس عن علي رضي الله عنه قال: أبغض بقعة في الأرض بئر حضرموت يقال لها برهوت، فيه أرواح الكفار، وفيه بئر ماؤه بالنهار أسود كأنه قيح تأوي إليها الهوام.

وأخرج ابن منده أيضاً أن ابن عمرو سئل عن أرواح المؤمنين وأرواح الكفار فقال: أرواح المؤمنين بالجافية وأرواح الكفار ببرهوت.

وأخرج أيضاً عن سفيان عن أبان بن تغلب قال: قال رجل بت فيه - يعني وادي برهوت - فكأنما حشرت فيه أرواح الناس وهم يقولون: يا دومة يا دومة، قال أبان: حدثنا رجل من أهل الكتاب أن دومة هو الملك الذي على أرواح الكفار، قال سفيان: وسألنا الحضرميين فقالوا: لا يستطيع أحد أن يبيت فيه بالليل.

وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث: ذكر الأصمعي عن رجل من أهل برهوت، يعني البلد الذي فيه هذا البئر قال: نجد الرائحة المنتنة الفظيعة جداً، ثم تمكث حيناً، فيأتينا الخبر بأن عظيماً من عظماء الكفار قد مات، فنرى أن تلك الرائحة منه.

وقال ابن عيينة: أخبرني رجل أنه أمسى ببرهوت فكأن فيه أصوات الحاج قال: وسألت أهل حضرموت فقالوا: لا يستطيع أحد أن يمسي به.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمرو ابن سليمان قال: مات رجل من اليهود عنده وديعة لمسلم، وكان لليهودي ابن مسلم فلم يعرف موضع الوديعة فأخبر شعيباً الجبائي، فقال: ائت برهوت، فإن دونه عيناً، فإذا جئت يوم السبت فامش عليها حتى تأتي عيناً هناك، فادع أباك فإنه يجيبك فتسأله عما تريد، ففعل ذلك الرجل، ومضى حتى أتى العين، فدعا أباه مرتين أو ثلاثاً فأجابه، فقال: أين وديعة فلان؟ فقال: تحت أسكفة الباب فدفعها إليه، وتقدمت حكاية الرجل صاحب الذهب.

وقال أبو موسى الأشعري: روح الكافر بوادي حزموت في أسفل الثرى من سبع أرضين.

قال الحافظ: وكلما ورد من هذه الآثار فإنه محمول على أن الأرواح تنتقل من مكان إلى مكان، فلا تدل على أنها تستقر في موضع معين من الأرض، والله أعلم.

قال: ويشهد لهذا ما ورد عن شهر بن حوشب قال: كتب عبد الله بن عمرو إلى كعب يسأله أين تلتقي أرواح أهل الجنة وأرواح أهل النار؟ فقال: أما أرواح أهل الجنة فبالبادية، وأما أرواح الكفار فبحزموت، ذكره ابن منده تعليقا.

وقالت طائفة من الصحابة: الأرواح عند الله عز وجل، وقد صح ذلك عن عمر رضي الله عنه. وقال حذيفة: إن الأرواح موقوفة عند الرحمن عز وجل تنتظر موعدها حتى ينفخ فيها.

قال الحافظ: إسناده ضعيف ثم قال: وهذا لا ينافي ما وردت به الآثار من محل الأرواح على ما سبق.

وقالت طائفة: أرواح بني آدم عند أبيهم آدم عن يمينه وشماله، ويستدل له بما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المعراج وفيه «لما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: آدم، وهذه الأسودة من يمينه وشماله نسّم بنيه، وأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى»<sup>(١)</sup>. وذكر بقية الحديث.

قال الحافظ: وظاهر هذا اللفظ يقتضي أن أرواح الكفار في السماء قال: وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ الآية [الأعراف: ٤٠] وكذلك حديث البراء وأبي هريرة وغيرهما وفيها «أن السماء لا تفتح لروح الكافر وأنها تطرح طرْحاً»<sup>(٢)</sup> وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية: [الحج: ٣١] وقد حمّله بعضهم بأن هذه الأرواح التي عن يمين آدم وشماله هي أرواح بنيه التي لم تخلق أجسادهم بعد.

قال الحافظ: وهذا في غاية البعد، مع ما فيه من النزاع في أن الأرواح هل خلقت قبل الأجساد أو بعدها على ما قدمناه.

قال الحافظ: وقد ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يزيل هذا الإشكال كله في حديث الإسراء وفيه «فدخل فإذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس، عن يمينه باب يخرج منه

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٣٤٩ ، ومسلم ١٦٣ .

(٢) جزء من حديث رواه أحمد وأبو داود، غير مرة .

ريح طيبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن، قال: يا جبريل من هذا الرجل التام الخلق الذي لم ينقص من خلقه شيء؟ وما هذان البابان؟ قال: هذا أبوك آدم ﷺ، وهذا الذي عن يمينه الجنة، فإذا نظر من يدخل من ذريته الجنة ضحك واستبشر، والباب الذي عن شماله باب جهنم، فإذا نظر من يدخل من ذريته جهنم بكى وحزن<sup>(١)</sup> وذكر الحديث. خرج به تمامه البزار في مسنده والخلال وغيرهما، وفيه التصريح بأن أرواح ذريته في الجنة والنار.

قال الحافظ: وهذا لا يقتضي أن تكون الجنة والنار في السماء الدنيا، وإنما معناه أن آدم في السماء الدنيا يفتح له بابان إلى الجنة والنار ينظر منهما إلى أرواح ولده فيهما، وقد رأى النبي ﷺ الجنة والنار في صلاة الكسوف وهو في الأرض<sup>(٢)</sup> وليست الجنة في الأرض.

وروي أنه رآهما ليلة الإسراء في السماء وليست النار في السماء، ويؤيده حديث هارون العبيدي مع ضعفه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في حديث الإسراء الطويل أن ذكر السماء الدنيا. قال: «وإذا أنا برجل كهيته يوم خلقه الله لم يتغير منه شيء وإذا هو يعرض عليه أرواح ذريته فإذا كانت روح مؤمن قال روح طيبة اجعلوا كتابه في عليين وإذا كان روح كافر قال روح خبيثة وريح خبيثة اجعلوا كتابه في سجين قلت: يا جبريل من هذا قال أبوك آدم»<sup>(٣)</sup> وذكر الحديث.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٨ / ٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٣٦) رقم ٢٣٥ وقال رواه البزار ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره.

(٢) البخاري رقم ١٠٥٢ ومسلم رقم ٩٠٧.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٨ / ١٢).

ففي هذا أنه يعرض عليه أرواح ذريته في السماء الدنيا، وأنه يأمر بجعل الأرواح في مستقرها من عليين وسجين، فدل على أن الأرواح ليس محل استقرارها في السماء الدنيا، وزعم ابن حزم أن الله خلق الأرواح جملة قبل الأجساد، وأنه جعلها في برزخ، وذلك البرزخ عند منقطع العناصر، يعني حيث لا ماء ولا هواء ولا نار ولا تراب، وأنه إذا خلق الأجساد أدخل فيها تلك الأرواح، ثم يعيدها عند قبضها إلى ذلك البرزخ، وهو الذي رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء به عند منقطع العناصر، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، وذلك عند السماء الدنيا، وأما أرواح الأنبياء والشهداء فترفع إلى الجنة، قال: وهذا القول قول جميع أهل الإسلام.

قال المحقق: في [الروح] قوله - أي ابن حزم - أن ذلك عند منقطع العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، ولا يشبه أقوال أهل الإسلام والأحاديث الصحيحة تدل على أن الأرواح فوق العناصر في الجنة عند الله، وأدلة القرآن تدل على ذلك، وقد وافقنا ابن حزم على أن أرواح الأنبياء والشهداء في الجنة، ومعلوم أن الصديقين أفضل من الشهداء، فكيف تكون روح أبي بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة اليماني وأشباههم عند منقطع العناصر؟ وذلك تحت هذا الفلك الأدنى وتحت السماء الدنيا؟ وتكون أرواح شهداء زماننا وغيرهم فوق العناصر وفوق السماوات؟ انتهى.

وقال تلميذه الحافظ: قوله وهذا قول جميع أهل الإسلام لا نعرف ما قاله في هذه عن أحد من أهل الإسلام غيره، فكيف يكون قول جميع أهل الإسلام؟

وأما قوله: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلناه بعينه، قال: وعلى هذا أجمع أهل العلم، فقال المحقق: قلت: محمد بن نصر المروزي ذكر في كتاب الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢] الآثار التي ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه، ثم أخذ الميثاق عليهم وردهم في صلبه، وأنه أخرجهم مثل الذر، وأنه سبحانه قسمهم قسمين إذ ذاك، إلى شقي وسعيد، وكتب آجالهم وأرزاقهم، وأعمالهم وما يصيبهم من خير وشر.

ثم قال: قال إسحاق أجمع أهل العلم أن الأرواح قبل الأجساد استنطقهم ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

قال المحقق: هذا نص كلامه، قال: وهو كما ترى لا يدل على أن مستقر الأرواح ما ذكر بوجه من الوجوه، بل ولا يدل على أن الأرواح كانت قبل خلق الأجساد، إنما يدل على أنه سبحانه أخرجها فخطبها ثم ردها إلى صلب آدم، والله أعلم، هذا كلام المحقق.

وأما الحافظ فقال: ليس هذا - يعني ما حكاه ابن حزم - من جنس كلام المسلمين، إنما هو من جنس كلام المتفلسفة، ورد الحافظ ما خرجه ابن جرير في كتاب الآداب أنه قال سلمان لعبد الله بن سلام: إن مت قبلي فأخبرني بما تلقى، وإن مت قبلك أخبرتك بما ألقى، فقال له الناس: يا عبد الله كيف تخبر وقد مت؟ قال: ما روح تقبض من جسد إلا كانت بين السماء والأرض حتى يرد في جسده الذي أخذ منه، بأن هذا لا يثبت وهو منقطع، وقد سبقت رواية ابن المسيب لهذه القصة بغير هذا اللفظ وهو الصحيح.

وقالت طائفة: تجتمع في الأرض التي قال الله فيها ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي

الرُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴿ الآية [الأنبياء: ١٠٥] وهذا كما قال المحقق: إن كان  
قاله تفسيراً للآية فليس هو تفسير لها وقد اختلف الناس في الأرض  
المذكورة هنا، فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: هي أرض الجنة، وهو  
قول أكثر المفسرين، وعن ابن عباس أنها الدنيا التي فتحها الله على أمة  
محمد ﷺ، وصححه المحقق.

وقالت طائفة من المفسرين: المراد بذلك أرض بيت المقدس.

قال المحقق: هي - يعني أرض بيت المقدس - من الأرض التي  
أورثها الله عباده الصالحين وليست الآية مختصة بها، وهذا بناء على ما  
ذهب إليه من أن المراد بها ما فتح على هذه الأمة من الدنيا، والله أعلم.

وزعمت طائفة: أن أرواح المؤمنين تجتمع بيثر زمزم، وقد قدمنا في  
حكاية صاحب الذهب ما يدل على ذلك، لكن قال المحقق هذا لا دليل  
عليه من كتاب ولا سنة، ولا يجب التسليم له، ولا يوثق به، إلى أن قال:  
وبالجملة فهذا أبطل الأقوال وأفسدها، وهو أفسد من قول من قال إنها  
بالجابية.

وقالت طائفة: هي في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، وهو  
مروي عن سلمان الفارسي.

قال المحقق: البرزخ هو الحاجز بين شيئين، وكأن سلمان أراد أنها  
بين الدنيا والآخرة، مرسله هناك تذهب حيث شاءت، قال: وهذا قول  
قوي، فإنها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة، بل هي في برزخ بينهما،  
فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم، وأرواح  
الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب، قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَأْيِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى  
يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والآخرة، وأصله

الحاجز بين الشيتين . انتهى .

وزعمت طائفة: أن مستقرها العدم المحض، قال المحقق: وهذا قول من قال أنها أعراض من أعراض البدن، وهو الحياة، قال: وهذا قول ابن الباقلاني ومن تبعه .

قال المحقق: وهذا يرده الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقول والفظن، وهو قول من لم يعرف روحه فضلاً عن روح غيره، وقد خاطب الله سبحانه النفس بالرجوع والدخول، ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على أنها تصعد وتنزل، وتقبض وتمسك، وترسل وتفتح لها أبواب السماء، وتسجد وتتكلم، وأنها تخرج وتسيل كما تسيل القطرة، وتكفن وتحنط في أكفان الجنة أو النار، إلى أن قال: ودل القرآن على أنها تنتقل من مكان إلى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها، إلى أن قال: ولما أورد ذلك على ابن الباقلاني لج في الجواب، وقال: يخرج هذا على أحد وجهين، إما بأن يوضع عرض من الحياة في أول جزء من أجزاء الجسد، وإما أن يخلق لتلك الحياة والنعيم والعذاب جزاء آخر .

قال المحقق: وهذا قول في غاية الفساد، وفساده من وجوه كثيرة، وأي قول أفسد من قول يجعل روح الإنسان عرضاً من الأعراض تبدل كل ساعة ألوفاً من التغيرات؟ فهذا يدل على أنه لم تكن بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب، ولا تصعد ولا تنزل، ولا تمسك ولا ترسل، وأي قول أفسد من هذا القول؟ فإنه مخالف للعقل والكتاب والسنة والفطرة، وهذا لم يقل به أحد من سلف الأمة، ولا أئمة الإسلام . انتهى .

وقال في الإفصاح: المنعم على جهات مختلفة .

منها: ما هو طائر في شجر الجنة .

- ومنها: ما هو في حواصل طير خضر .
- ومنها: ما يأوي في قناديل تحت العرش .
- ومنها: ما هو في حواصل طير بيض .
- ومنها: ما هو في حواصل طير كالزرازير .
- ومنها: ما هو في أشخاص صور من صور الجنة .
- ومنها: ما هو في صورة تخلق من ثواب أعمالهم .
- ومنها: ما تسرح وتتردد إلى جثتها وتزورها .
- ومنها: ما تتلقى أرواح المقبوضين، وممن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل .
- ومنها: ما هو في كفالة آدم .
- ومنها: ما هو في كفالة إبراهيم .
- قال القرطبي: وهذا قول حسن يجمع الأخبار حتى لا تتدافع، وارتضاه السيوطي أيضاً، وقال: قلت: ويؤيده ما في حديث الإسراء عند البيهقي في الدلائل وابن مردويه من رواية أبي سعيد الخدري «ثم صعدت إلى السماء الثانية، فإذا أنا ببحى وعيسى ومعهما نفر من قومهما، ثم صعدت إلى السماء الثالثة فإذا أنا بيوسف ومعهم نفر من قومه، ثم صعدت إلى السماء الرابعة فإذا أنا بإدريس ومعهم نفر من قومه، ثم صعدت إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون ومعهم نفر من قومه، ثم صعدت إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى ومعهم نفر من قومه، ثم صعدت إلى السماء السابعة فإذا أنا بإبراهيم ومعهم نفر من قومه فقبل لي: هذا مكانك ومكان أمتك ثم

تلا: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِزْهِيمِ اللَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [آل عمران: ٦٨] وإذا أنا بأمتي شطرين، شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس، وشطر عليهم ثياب مذر<sup>(١)</sup> الحديث. فهذا يدل على تفاوت الأرواح في المراتب وإن كان في كل سماء قوم.

وقال المحقق: لا منافاة بين حديث أنه طائر يعلق في شجر الجنة وبين حديث عرض المقعد، بل ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، ويعرض عليه مقعده، لأنه لا يدخل إلا يوم الجزاء، بدليل أن منازل الشهداء يومئذ ليست هي التي تأولي إليها أرواحهم في البرزخ، فدخول الجنة التام إنما يكون للإنسان التام روحاً وبدناً، ودخول الروح أمر دون ذلك.

وقال النسفي في (بحر الكلام): الأرواح على أربعة أوجه: أرواح الأنبياء: تخرج من جسدها وتصير مثل صورتها مثل المسك والكافور، وتكون في الجنة تأكل وتشرب وتتعم وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش.

وأرواح الشهداء تخرج من جسدها وتكون في أجواف طير خضر في الجنة، تأكل وتتعم وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش. وأرواح المطيعين من المؤمنين، بربض الجنة، لا تأكل ولا تتمتع ولكن تنظر في الجنة.

وأرواح العصاة من المؤمنين، تكون بين السماء والأرض في الهواء.

(١) جزء من حديث أخرجه الحارث في مسنده مع اختلاف يسير (١/ ١٧٠) رقم ٢٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٥١٣). وفي المصادر [رمذ] بدلاً من [مذر].

وأما أرواح الكفار فهي في سجين، في جوف طير سود تحت الأرض السابعة، وهي متصلة بأجسادها، فتعذب الأرواح، وتتألم الأجساد منه كالشمس في السماء ونورها في الأرض، انتهى.

هذا وقد ثبت أن أرواح المؤمنين المطيعين تنعم من الجنة، وما قاله يحتاج إلى دليل، على أنه قد تقدم رد كلام من زعم أن أرواح المؤمنين ليست في الجنة، فليتنبه له، والله أعلم.

\* \* \*

## الباب الرابع

في ذكر ضيق القبور وظلمتها على أهلها وتنورها عليهم وفي زيارة  
الموتى والاعتاظ بحالهم والتفكر بهم

تقدم أن القبر يقول: أنا بيت الظلمة وبيت الضيق.

أخرج ابن المبارك عن سليم بن عامر قال خرجنا على جنازة في باب  
دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها  
قال أبو أمامة: إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تغتمون فيه الحسنات  
والسيئات، توشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشير إلى  
القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق إلا ما وسع  
الله، ثم تنقلون منه إلى مواطن القيامة.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن امرأة هشام الدستوائي قالت: كان هشام إذا  
طفئ المصباح غشيه من ذلك أمر عظيم، فقلت له: إنه ليغشاك أمر عظيم  
عند هذا المصباح إذا طفئ، قال: إني أذكر ظلمة القبر، ثم قال: لو كان  
يسبقني إلى هذا أحد من السلف لأوصيت إذا مت أن أجعل في ناحية من  
داري، قالت: فما مكثنا إلا يسيراً حتى مات، قالت: فمر بعض إخوانه  
بقبره فقال: يا أبا بكر صرت والله إلى المحذور، ومرة انطفأ السراج فخرج  
هارباً من البيت، فقبل له في ذلك فقال: ذكرت ظلمة القبر.

وروى الحافظ ابن رجب عن خالد بن خداش قال: كنت أقعد إلى  
وسيم البلخي - عم قتيبة - وكان أعمى، وكان يحدث ويقول: أوه من القبر  
وظلمته، واللحد وضيقه، كيف أصنع؟ ثم يغمى عليه ثم يعود فيحدث

ويصنع ذلك مرات حتى يقوم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن وهب بن الورد قال: نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنهما فبكى، ثم قال: واللّه لولا الموت لكنت بك مسروراً، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاءً شديداً حتى ارتفع صوته.

وذكر ابن أبي الدنيا أيضاً: عن محمد بن حرب المكي قال: قدم علينا أبو عبد الرحمن العمري العابد، فاجتمعنا إليه، وأتاه وجوه أهل مكة، قال: فرفع رأسه فلما نظر إلى القصور المحدقة بالكعبة نادى بأعلى صوته: يا أصحاب القصور المشيدة، اذكروا ظلمة القبور الموحشة، يا أهل التنعم والتلذذ اذكروا الدود والصديد، وبلي الأجساد في التراب، قال: ثم غلبته عيناه فنام.

وذكر أن سعيد بن عبد العزيز دخل على سليمان الخواص فقال: ما لي أراك في الظلمة؟ قال: ظلمة القبر أشد.

وذكر الحافظ في «أهوال القبور» عن أبي المصرخي قال: خرجت غازياً، فمررت ببعض حصون الشام، فوجدت باب الحصن مغلقاً ومقبرة على الباب، فبت بجانب المقبرة بالقرب من قبر محفور، فلما نمت إذا بهاتف من القبر وهو يقول:

أنعم الله بالخيالين عينا وبمسراك<sup>(١)</sup> يا أميم إلينا  
عجباً ما عجبت من ثقل التراب ومن ظلمة القبور علينا  
قال: فانتبهت فإذا الباب قد فتح وإذا بالجنّازة يقدمها شيخ، فقلت

(١) في الأصل (وبمسراك).

له : ما هذه الجنازة؟ قال : جنازة ابنتي قلت : ما اسمها؟ قال : أميما، قلت :  
القبر المحفور لمن؟ قال : قبر ابن أخي، وكان زوجها فتوفي فدفنته، ثم  
توفيت ابنتي فجئت أدفنها، فأخبرته بما سمعت من الهاتف في القبر، ويشبه  
هذا ما خرج ابن أبي الدنيا عن الشعبي قال : كان صفوان بن أمية في بعض  
المقابر فإذا بشعل نيران قد أقبلت ومعها جنازة جنازة، فلما دنوا من المقبرة  
قالوا: انظروا قبر كذا وكذا، قال رجل: سمعت صوتاً من القبر حزيناً  
موجعاً يقول :

أنعم الله بالظعينة عينا وبمسراك يا منين إلينا  
جزعاً ما جزعت من ظلمة القبر ر ومن مسك التراب أمينا

فأخبر القوم بما سمع فبكوا حتى أخضلوا لحاهم ثم قالوا: هل تدري من  
منينه؟ قال : لا، قالوا: صاحبة هذا السرير، وهذه أختها ماتت عام أول .

وأخرج أيضاً عن إسماعيل بن راشد قال : حجت امرأة فماتت في  
بعض المنازل، فلما كان العام القابل حجت أخت لها فماتت في ذلك  
المنزل، فجهزوها وأخرجوها ليدفنوها، فبينما هم يطلبون قبر أختها وإذا  
رجل قد أسرى ليلته، فأتى القبور فرمى نفسه فنام فيها فاستيقظ، فقال : ما  
تطلبون؟ قالوا: قبراً. قال : هو تحتي قالوا: وما علمك؟ قال : سمعت قائلاً  
من القبر يقول :

يا منينا يا منينا أنعم الله بالظعينة عينا  
نفساً ما نفست من القبر وبمسراك يا منين إلينا  
لم نجد بعدكم منين رخاء أقبل الدهر بالرخاء علينا  
فدفنت إلى جنب أختها.

وأخرج أبو نعيم عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول في موعظة له

طويلة: يذكر فيها أهل القبور: أليسوا في مدلهمة ظلماء؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ وقال أبو العتاهية يبكي نفسه في مرثية:

لأبكين على نفسي وحق ليه      يا عين لا تبخلي عني بعبرتيه  
لأبكين فقد بان الشباب وقد      جد الرحيل عن الدنيا برحلتيه  
يا نأى منتجعي يا هول مطلعي      يا ضيق مضطجعي يا بعد شقتيه  
المال ما كان قدامي لآخرتي      ما لا اقدم من مالي فليس ليه  
لأبكين فيبكييني ذوى ثقتي      قبل الممات وإخواني وأخوتيه

\* \* \*

## فصل

وأخرج مسلم في صحيحه وسنن الترمذي عن بريدة عن رسول الله ﷺ قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة»<sup>(١)</sup> وخرجه الإمام أحمد بلفظ «فزوروها فإن في زيارتها عبرة وعظة»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن أنس أن النبي ﷺ قال: «نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي فيها، فإنه يرق القلب، وتدفع العين، وتذكر الآخرة، فزوروها ولا تقولوا هجرا»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة عنه ﷺ قال: «استأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي، فزوروها فإنها تذكر الموت»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الحاكم عن أبي ذر مرفوعاً قال: «من زار القبور تذكّر بها الآخرة، وغسل الموتى فإن معالجة جسد الميت موعظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك، فإن الحزين في ظل الله تعالى ويتعرض من كل خير»<sup>(٥)</sup>.

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٩٧٧ وليس فيه «فإنها تذكر الآخرة»، والترمذي (٣/ ٣٧٠) رقم ١٠٥٤.

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٦) رقم ٢٣٠٦٥ بتقديم لفظ عبرة على عظة.

(٣) جزء من حديث أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٧) رقم ١٣٥١٢ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٠٠) رقم ٨١٥٧ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري باختصار وفيه يحيى بن عبد الله الجابر وقد ضعفه الجمهور، وقال أحمد: لا بأس به، وبقيته رجاله ثقات.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٩٧٧.

(٥) المستدرک (٤/ ٣٦٦) رقم ٧٩٤١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وأخرجه في (١/ ٥٣٣) رقم ١٣٩٥ وقال هذا حديث رواه عن آخرهم ثقات. وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٩٠) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور والحاكم بإسناد جيد.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ثابت البناني قال: بينا أنا أمشي في المقابر إذا بهاتف من ورائي يقول: يا ثابت لا يغرنك سكوتها، فكم من مغموم فيها، فالتفت فلم أر أحداً.

وأخرج عن بشر بن منصور قال: قال لي عطاء الأزرق: إذا حضرت المقابر فليكن قلبك فيما أنت بين ظهره، فإني بينما أنا قائم ذات ليلة في المقابر تفكرت في شيء، فإذا أنا بصوت يقول: إليك يا غافل إنما أنت بين ناعم في تنعمه مدلل، أو معذب في سكراته يتقلب.

وأخرج عن صالح المري قال: دخلت المقابر يوماً في شدة الحر فنظرت إلى قبور خادمة كأنهم صمت فقلت: سبحان من يجمع بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها، ثم يحييكم وينشركم من بعد طول البلى، قال: فناداني مناد بين تلك الحفر: يا صالح ﴿وَمَنْ أَيْنِيهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] قال: فسقطت والله لوجهي جزءاً من ذلك الصوت.

وأخرج عن عمر بن عبد العزيز أنه خرج مع جنازة، فلما دفنها قال لأصحابه: دعوني حتى آتي قبور الأحبة، قال: فأتاهم فجعل يدعو ويكي، إذ هتف به التراب، فقال: يا عمر ألا تسألني عما فعلت بالأحبة؟ قال: وما فعلت بهم؟ قال: مزقت الأكفان، وأكلت اللحم، وشدخت المقلتين، وأكلت الحدقتين، ونزعت الكتفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من المنكبين، والمنكبين من الصلب، والقدمين من الساقين، والساقين من الفخذين، والفخذين من الورك، والورك من الصلب، قال: وعمر يكي، فلما أراد أن ينهض قال له التراب: يا عمر ألا أدلك على أكفان لا تبلى؟ قال: وما هي؟ قال: تقوى الله والعمل الصالح.

ودخل ثابت البناني المقابر مرة فبكى ثم قال: بليت أجسادهم،  
وبقيت أخبارهم، فالعهد قريب، واللقاء بعيد.

ووقف بعض الأعراب على قبر وأنشد في المعنى:

لكل أناس مقبر بفنائهم      فهم ينقصون والقبور تزيد  
وما أن ترى داراً لحي قد أقفرت      وقبراً لميت بالفناء جديد  
فهم جيرة الأحياء أما محلهم      فدان وأما الملتقى فبعيد

وقال بعضهم وقد مر في سفرة بمقبرة لبعض المدن:

كفى حزناً أن لا أمر ببلدة      من الأرض إلا دون مدخلها قبر

وعن جعفر بن سليمان قال: كنا نخرج مع مالك بن دينار زمان  
الحطمة، فجمع الموتى ونجهزهم، فيخرج مالك على حمار قصير  
قحاطي، لجامه من ليف، عليه عباءة مرتد بها، فيعظنا في الطريق حتى إذا  
أشرف على القبور قال بصوت له محزون:

الا حي القبور ومن بهنه      وجوه في التراب أحبهنه  
ولو أن القبور أجبن حيا      إذا لأجبنني إذ زرتنه  
ولكن القبور صمتن عني      فأبت بحسرتي من بعد هنه

وأخرج الحافظ في (أهوال القبور) عن يحيى بن عبد الله قال: كنا مع  
عبد الله بن جعفر بن سليمان أمير البصرة، فمر به رجل كان يعظ الناس  
فقال له عبد الله: عظني بيت من الشعر فقال:

إذا ثوي في القبور ذو خطر      فزره فيها ولا تنظر إلى خطره

فبكى عبد الله بن جعفر، وكان ابن السماك يتمثل بهذا البيت ويزيد  
فيه بيتاً آخراً.

أبرزه الموت من مساكنه      ومن مقاصيره ومن حجره  
وأخرج ابن أبي الدنيا: حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال: أنشدنا رجل  
ونحن بالمقابر:

ألا يا عسكر الأحياء      هذا عسكر الموتى  
أجابوا الدعوة الصغرى      ومنتظرون للكبرى  
يحثون على الزاد      وما زاد سوى التقوى  
يقولون لكم جدوا      فهذا آخر الدنيا

وأخرج عن غزوان بن عبد الرحمن بن غزوان قال: كنت جالساً مع  
أبي بالبصرة، إذ أقبل شيخ على حمار في عنقه جبل ليف، والشيخ حاف  
عليه جبة صوف، حتى وقف علينا، فسلم على أبي فأحفل أبي المسألة به.  
وقال: من أين أقبلت؟ قال: فكرت في أهل هذا العسكر ليلاً فغدوت  
عليهم، فقلت:

وعظمتك أجدات صمت      وبكتك ساكنة جفت  
وتكلمت عن أعظم تبلى      وعن صور سبت  
وأرتك قبرك في القبور      وأنت حي لم تمت

ثم ولى غير بعيد ثم أقبل فقال:

ولربما انصرف الشما      ت وحل بالقوم الشمت

قال الحافظ ابن رجب: قلت هذا الشيخ هو أبو العتاهية، والأبيات

معروفة له.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن سلام بن صالح قال: فُقد الحسن ذات يوم  
فلما أمسى قال له أصحابه: أين كنت اليوم؟ قال: كنت اليوم عند إخوان  
لي، إن نسيت ذكروني، وإن غبت عنهم لم يغتابوني، فقال له: أصحابه

نعم الإخوان والله هؤلاء يا أبا سعيد دلنا عليهم قال: هؤلاء أهل القبور.  
وروي عن علي كرم الله وجهه بإسناد منقطع أنه قيل له: ما شأنك  
جاورت المقبرة؟ قال: إني أجدهم جيران - إخوان - صدق يكفون الألسنة  
ويذكرون الآخرة.

وفي (أهوال القبور) للحافظ عن الحسن: أن عثمان بن أبي العاص  
كان في جنازة، فرأى قبراً خاسفاً، فقال لرجل من أهله: يا فلان تعال انظر  
إلى بيتك الذي هو بيتك. قال: فقال: ما أرى بيتي فيه طعام ولا شراب ولا  
ثياب، قال: فإنه بيتك. قال: صدقت، قال: فرجع فقال: والله لأجعلن ما  
في بيتي هذا في بيتي ذاك. قال الحسن: هو والله التسدد أو الهلكة والله  
لتصبرن أو لتهلكن. وفي رواية: قال: أراه بيتاً ضيقاً يابساً مظلماً ليس فيه  
طعام ولا شراب ولا زوجة، وقد تركت بيتاً فيه طعام وشراب وزوجة،  
قال: هذا والله بيتك، قال: صدقت، أما والله لو قد رجعت نقلت من ذلك  
إلى هذا.

وعن مطرف الهذلي قال: كانت عجوز متعبدة في عبد قيس، فعوتبت  
في كثرة إتيانها القبور فقالت: إن القلب القاسي إذا جفى لم يلينه إلا رسوم  
البلى، وإني لآتي القبور وكأني أنظر إليهم قد خرجوا من بين أطباقها،  
وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة، وإلى تلك الأجسام البالية المتغيرة،  
وإلى تلك الأكفان الدنسة، فيا له من منظر. ولأبي العتاهية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

إني سألت التراب ما فعلت	بعدي وجوه فيك متعفرة
فأجابني صيرت ريحهم	تؤذيك بعد روائح عطرة
وأكلت أجساداً منعمة	كان النعيم يهزها نضرة
ولم يبقى غير جماجم عريت	بيض تلوح وأعظم نخرة

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي إسحاق أنه قال: شهدت جنازة رجل من إخواني منذ خمسين سنة، فلما دفن وسوي عليه التراب وتفرق الناس جلست إلى بعض تلك القبور ففكرت فيما كانوا فيه من الدنيا وانقطع ذلك عنهم، فأنشأ يقول:

سلام على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا في المجالس  
ولم يشربوا من بارد الماء شربة ولم يأكلوا من بين رطب ويابس<sup>(١)</sup>  
ألا خبروني أين قبر ذليلكم وقبر العزيز الماذخ<sup>(٢)</sup> المتمارس

قال: فغلبتني والله عيني فقمتم وأنا محزون.

قال ابن أبي الدنيا أنشدنا الرياشي:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاءك لا يرجى وأنت قريب  
تزيد بلى في كل يوم وليلة وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

وروى أبو نعيم أن داود الطائي اجتاز على مقبرة وامرأة عند قبر تقول هذين البيتين، فسمعهما فكان ذلك سبب توبته، يعني انقطاعه من الدنيا وأسبابها، واشتغاله بالآخرة والاستعداد لها.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «الخائفين» عن الحسن بن صالح أنه كان إذا صعد المنارة يعني ليؤذن أشرف على المقابر، فإذا نظر إلى الشمس تحوم على القبور صرخ حتى يسقط مغشياً عليه، فيحمل وينزل به، وشهد يوماً جنازة فلما قرب الميت ليدفن نظر إلى اللحد فارفض عرقاً، ثم مال فغشي عليه، فحمل على سرير الميت فرد إلى منزله.

(١) في حاشية الأصل/ لعله (ما بين رطب ويابس) لكن الرواية (من بين).

(٢) المَذْخُ - بسكون الذال عسل يظهر في رمان البر، ويكثر حتى يتمدخه الناس، وتمدخه الناس - امتصوه/ لسان العرب: مادة/ مذخ.

وذكر أن امرأة كانت بالمدينة وكانت تزهو، فدخلت يوماً المقابر فرأت جمجمة، فصرخت ثم رجعت منية، فدخل عليها نساؤها فقلن: ما هذا؟ فقالت:

بكى قلبي لذكر الموت لما رأيت جماجم فوق القبور  
ثم قالت: اخرجن من عندي فلا تأتيني منكم امرأة إلا امرأة ترغب في  
خدمة الله، ثم أقبلت على العبادة.

وأخرج عن عنبسة الخواص: أن رجلاً من الصدر الأول دخل المقابر فمر بجمجمة بادية من بعض القبور، فحزن حزناً شديداً ثم واراها، ثم التفت فلم ير إلا القبور فقال: لو كشف لي عن أحدهم - بعضهم - فسألته عما رأى، قال: فأتي في منامه فقيل له: لا تغتر بتشييد القبور من فوقهم، فإن القوم بليت خدودهم في التراب، فمن بين مسرور ينتظر ثواب الله عز وجل، وبين مغموم أسفا على عقابه، فأياك والغفلة عما رأيت، فاجتهد الرجل بعد ذلك اجتهاداً شديداً حتى مات.

وأخرج أيضاً عن جابر قال: رأى رجل جمجمة إنسان، فحدث نفسه بشيء فخر ساجداً نادماً مما حدث نفسه، فقيل له: ارفع رأسك فأنت أنت وأنا أنا.

وعن جعفر قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: نودي ارفع رأسك فإنك ابن آدم وأنا الله تعالى تتوب وأعود عليك.

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن البراء رضي الله عنه قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة فقال: علام اجتمع هؤلاء؟ قيل: على قبر يحفرونه قال: ففزع رسول الله ﷺ فبدر بين يدي أصحابه مسرعاً حتى انتهى إلى القبر فجنى عليه قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع فبكى حتى بل الثرى من

دموعه ثم أقبل علينا فقال: «أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن قال: مات أخ لنا، فلما وضع في القبر جاء صلة بن أشيم حتى أخذ بناحية الثوب ثم قال:

إن تنج منها تنج من ذي عزيمة وإلا فإني لا أخالك ناجيا

قلت: تقدم عزو هذا البيت لسيدنا عثمان وهذا أصح، فإني رأيت من طعن في عزوه لسيدنا عثمان رضي الله عنه، وعلى فرض صحته فلا تنافي، والله أعلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن حجاج بن الأسود قال: رأيت في المنام كأنني دخلت المقابر، فإذا أنا بأهل القبور في قبورهم وقد انشقت عنهم الأرض، فمنهم النائم على التراب، ومنهم النائم على الريحان، ومنهم كهيئة المتبسم في نومه، ومنهم قد أشرق لونه، ومنهم حائل اللون، قال: فبكيت عندما رأيت منهم، ثم قلت في منامي: رب لو شئت سويت بينهم في الكرامة، فناداني مناد من ناحية القبور: يا حجاج هذه منازل الأعمال، فاستيقظت من كلمته فزعاً.

وعن سلمة البصري: قال: وقف رجل على قبر قد بني بناء حسناً، فجعل يتعجب من حسنه، فلما كان في ليلته أتاه آت في منامه فوقف عليه، وإذا رجل قد امتحت آثار وجهه فقال:

أعجبك القبر وحسن البناء والجسم فيه قد حواه البلاء  
فسائل الأموات عن حالهم ينبيك عن ذاك ذهاب الجلاء

(١) أخرجه أحمد (٤ / ٢٩٤) رقم ١٨٦٢٤ والطبراني في الأوسط (٣ / ٩٢) رقم ٢٥٨٨ باختلاف يسير، وابن ماجه (٢ / ١٤٠٣) رقم ٤١٩٥، باختلاف يسير، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف.

قال: ثم ولى، فاتبعته فدخل الجبانة فأتى ذلك القبر فانساب فيه بعينه. وعنه أيضاً: قال: رأيت مربع بن سرور العابد في منامي، وكان كثيراً لذكر الله كثيراً لذكر الموت طويل الاجتهاد، قال: قلت: كيف رأيت موضعك؟ قال: ليس يعلم ما في القبور - داخله - إلا الإلاه وساكن الأجداث، ثم ولى وتركني.

وعن الفضيل بن مهلهل أخ المفضل، وكان من العابدين، قال: كان جليس لنا حسن التخشع والعبادة يقال له مجيب، وكان من أجمل الرجال، فصلى حتى انقطع عن القيام، وصام حتى اسود، ثم مرض فمات، وكان محمد بن النضر الحارثي له صديقاً، ومات محمد قبله، قال: فرأيت محمداً في منامي بعد موت مجيب فقلت: ما فعل أخوك مجيب؟ قال: لحق بعمله، فقلت: كيف وجهه ذاك الحسن؟ قال: أبلاه والله التراب، قال: قلت: كيف وأنت تقول لحق بعمله؟ قال: يا أخي أما علمت أن الأجساد في القبور تبلى، وأن الأعمال في الآخرة تحيا؟ قلت: يبلون حتى لا يبقى منهم شيء ثم يحيون يوم القيامة؟ قال: إي والله يا أخي، يبلون حتى يصيرون رفاتاً، ثم يحيون عند الصيحة كأسرع من الملح، وأنشد بعضهم:

ما حال من سكن الثرى ما حاله	أمسى وقد رثت هناك حباله
أمسى ولا روح الحياة تصيبه	أبدأ ولا لطف الحبيب يناله
أمسى وقد درست محاسن وجهه	وتفرقت في قبره أوصاله
واستبدلت منه المجالس غيره	وتقسمت من بعده أمواله
مازالت الأيام تلعب بالفتى	والمال يذهب صفوه وحلاله

قال ابن أبي الدنيا: أنه قرأ على قبر بشيراز هذه الأبيات:

ذهب الأحبة بعد طول تودد  
خذلوك أفقر ما تكون بغربة  
وقضي القضاء وصرت صاحب حفرة  
ونأى المزار فأسلموك وأقشعوا<sup>(١)</sup>  
لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا  
عنك الأحبة أعرضوا وتصدعوا

قال: وقرئ على قبر بمقابر البصرة مكتوب:

يا غافل القلب عن ذكر المنيات  
فاذكر محلك من قبل الحلول به  
إن الحمام له وقت إلى أجل  
لا تطمئن إلى الدنيا وزينتها  
وما قليل ستثوى بين أموات  
وتب إلى الله من لهو ولذات  
فاذكر مصائب أيام وساعات  
قد حان للموت يا ذا اللب أن يأتي  
وقرئ على قبر آخر:

ستعرض عن ذكري وتنسى مودتي  
إذا انقطعت يوماً من العيش مدتي  
ويحدث بعدي للخليل خليل  
فإن غناء الباقيات قليل

يا هذا أهل القبور في الجبوس، أكثرهم قد نكس الرؤوس، ينتظرون  
هدية تدفع بعض البوس، أو دعوة ترفع ما هم فيه من الغطوس، الثرى لهم  
مهاد والتراب ملبوس.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مثل الميت في قبره كالغريق المتغوث ينتظر  
دعوة من صديق، فإذا ترحم الإنسان عليه أخذها ملك فجاء بها إلى قبره  
وقال: يا صاحب القبر الغريب، هذه هدية من أخ شفيق.

قال الحافظ ابن رجب: روى ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين  
حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبيدة الله بن صدفة بن مرداس البكري عن

(١) انقشع عنه الشيء وتقشع غشيه ثم انجلى عنه، كالظلام عن الصبح والهيم عن القلب  
والسحاب عن الجو. وقشعتُ القوم فأقشعوا وتقشعوا وانقشعوا: ذهبوا وتفرقوا/ لسان  
العرب: مادة/ قشع.

أبيه، عن شيخ حدثه بقرية من بلاد طرابلس قال: كان ثلاثة إخوة، أمير يصحب السلطان ويؤمر على المدائن والجيوش، وتاجر موسر مطاع في ناحيته، وزاهد قد تخلى لنفسه وتفرد لعبادة ربه، قال: فحضرت العابد الوفاة، فاجتمع عنده أخواه فقال لهما: إذا أنا مت فغسلاني وهيأني وادفني على نشز من الأرض واكتب على قبوري:

وكيف يلذ العيش من هو عالم      بأن إله الخلق لا يبد سائله  
فياخذ منه ظلمه لعباده      ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

فإذا فعلتما ذلك فأتيا في كل يوم مرة لعلكما أن تتعظا، قال: ففعلا ذلك، فكان أخوه يركب في جنده حتى يقف على القبر فينزل فيقرأ ما عليه ويبكى، فلما كان اليوم الثالث وأراد أن ينصرف سمع هدة من داخل القبر كاد أن يتصدع لها قلبه، فانصرف مذعوراً فزعاً، فلما كان من الليل رأى أخاه في منامه، فقال له: أي أخي ما الذي سمعت في قبرك؟ قال: تلك هدة المقمعة. قيل لي: رأيت مظلوماً فلم تنصره، فأصبح مهموماً فدعا أخاه وخاصته وقال: ما أرى أراد بما أوصي أن يكتب على قبره غيري، وإني أشهدكم ألا أقيم بين ظهرانيكم أبداً، فترك الإمامة ولزم العبادة، وكتب إلى عبد الملك بن مروان في ذلك، فكتب أن خلوه وما أراد، فحضرت الوفاة وهو في جبل مع بعض الرعاة، فبُلع أخاه فأتاه فقال له: إذا مت فادفني إلى جنب أخي واكتب على قبوري:

وكيف يلذ العيش من كان موقناً      بأن المنايا بغتة ستعاجله  
فتسلبه ملكاً عظيماً ونخوة      وتسكنه البيت الذي هو آهله

ثم تعاهدني ثلاثاً بعد موتي، وادع الله لي لعل الله أن يرحمني، ومات ففعل به أخوه ذلك، فلما كان في اليوم الثالث وأراد أن ينصرف سمع وجبة من قبره كادت أن تذهل عقله، فرجع قلقاً حزيناً فلما كان الليل إذا

بأخيه في منامه قد أتاه قال: فقلت: أي أخي أتيتنا زائراً؟ قال: هيهات يا أخي، بعد المزار واطمأنت بنا الدار، فقلت: يا أخي كيف أنت؟ قال: بخير، ما أجمع التوبة لكل خير، قلت: فكيف أخي؟ قال: ذلك مع الأئمة الأبرار، قلت: وما أمرنا وراءكم؟ قال: من قدم شيئاً وجده، فاغتنم وجدك قبل فقدك، فأصبح أخوه معتزلاً، ففرق ماله وقسم رباغه، وأقبل على طاعة ربه، ونشأ له ابن من أحسن الشباب وجهاً وجمالاً، فأقبل على المكاسب والتجارة حتى بلغ منها، وحضرت أباه الوفاة فقال له: إذا مت فادفني مع عمومتك، واكتب على قبري هذين البيتين:

وكيف يلد العيش من هو صائر إلى جدث يبلى الشباب منازله  
ويذهب رسم الوجه من بعد ضوئه سريعاً ويبلى جسمه ومفاصله

فإذا مت فتعاهدني بنفسك ثلاثاً فادع لي، ففعل، فلما كان في اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً أقشع جسده، وتغير لونه، ورجع منه محموراً إلى أهله، فلما كان في الليل أتاه أبوه في منامه فقال: أي بني أنت عندنا عن قريب، والأمر بأخرك، والموت أقرب من ذلك، فاستعد لسفرك، وتأهب لرحيلك، وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه راحل إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم، ولا تغتر بما اغتر به البطالون، فتلك من طول آمالهم فقصروا عزائمهم وزادهم فندموا عند الموت أشد الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا حمدوا أنفسهم على التقصير، أنقذك الله من شر ما وافى به المغبونون مليكهم يوم القيامة، أي بني بادر ثم بادر ثم بادر، قال: فدخلت عليه صبيحة ليلته من هذه الرؤيا فقصها علينا وقال: ما أرى الأمر إلا كما قال أبي، لا أرى الموت إلا قد أظلني، فجعل يفرق ماله ويتصدق، ويقضي ما عليه من الدين، ويستحل خلطاه ومعامله، ويسلم عليهم ويودعهم ويودعونه، وكان يقول: قال أبي

فبادر بادر بادر، فهذه ثلاث ساعات قد مضت وليست بها أو ثلاثة أيام وأتى لي بها، أو ثلاثة أشهر وما أراني أدركها، أو ثلاث سنين فهي أكثر من ذلك وما أحب أن يكون ذلك كذلك، فلم يزل يعطي ويتصدق ثلاثة أيام، حتى إذا كان في آخر اليوم الثالث من هذه الرؤيا دعا أهله وولده، فودعهم وسلم عليهم، ثم استقبل القبلة فمدد نفسه وغمض عينيه وشهد شهادة الحق ثم مات، قال: فمكث الناس حيناً يتناوبون قبره من الأمصار، فيصلون عليه، وذكر صدقة بن مرداس في أول حديثه هذا أنه نظر إلى القبور الثلاثة على شرف من الأرض بقرب هذه القرية وقرأ ما عليها من الكتابة، انتهى كلام الحافظ.

تنبيه: ذكر المحقق قدس الله روحه أن الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور، وسمع كلامه، وأنس به ورد عليه، وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم، وأنه لا توقيت في ذلك، قال: وهو أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت، وهو من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته فليل: وكيف ذلك؟ قال: لمكان يوم الجمعة قال: وقد شرع ﷺ لأمته على أن يسلموا على أهل القبور سلام من يخاطبونه ممن يسمع ويعقل.

فأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن ماجه عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر: «السلام عليكم أهل الديار من المسلمين، وإنا إن

شاء الله بكم لاحقون، أنتم لنا فرط، ونحن لكم تبع، أسأل الله لنا ولكم العافية»<sup>(١)</sup>.

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها «... قلت كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي السلام على أهل الديار من المسلمين، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»<sup>(٢)</sup>.

وهذا خطاب من يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به. انتهى.

وذكر الإمام ناصر السنة ابن الجوزي - قدس الله روحه - في كتابه «عيون الحكايات» بسنده عن محمد بن العباس الوراق قال: خرج رجل مع أبيه حتى إذا كان ببعض الطريق مات الأب، فدفنه بشجر الدوم ومضى في سفره، ثم مر بذلك الموضع ليلاً فلم ينزل إلى قبر أبيه، فإذا هاتف يهتف به ويقول:

أجدك تطوي الدوم ليلاً ولا ترى      عليك لأهل الدوم أن تتكلما  
وبالدوم ثاو لو ثويت مكانه      فمر بأهل الدوم عاج فسلمًا

\* \* \*

(١) أخرجه النسائي (٩٤ / ٤) رقم ٢٠٤٠ وأحمد باختلاف يسير (٣٥٣ / ٥) رقم ٢٣٠٣٥، وابن حبان (٧ / ٤٤٥) رقم ٣١٧٣ وابن ماجه (١ / ٤٩٤) رقم ١٥٤٧ بزيادة بعض العبارات ونقص الأخرى.

(٢) مسلم رقم ٩٧٤ بزيادة لفظه (منا) بعد (المستقدمين).

## فصل

قال الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه «الصارم المنكي» نقلاً عن أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، زيارة القبور على وجهين:

زيارة شرعية، وزيارة بدعية.

فالشرعية: المقصود بها السلام على الميت والدعاء له كما يقصد بالصلاة على جنازته، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه، فالسنة فيها أن يسلم على الميت ويدعو له، سواء كان نبياً أو غير نبي، كما كان النبي صلى الله عليه وآله يأمر أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم»<sup>(١)</sup>.

وهكذا يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة وغيرهم، أو زار شهداء أحد وغيرهم، قال: وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم مستحبة، أو عند قبور أحد من الأنبياء أو الصالحين أفضل من الصلاة في المساجد التي ليس فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين، بل الصلاة على القبور إما محرمة، وإما مكروهة.

قال: وأما الزيارة البدعية فهي أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت، أو يقصد الدعاء عند قبره، أو يقصد الدعاء به، فهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وآله ولا استحبه أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل

(١) تقدم ص ٣٣٧.

هو من البدع المنهي عنها.

قلت: أما من كان قصده بالزيارة أن يطلب حوائجه من الميت فهذا لا يشك عاقل في قبحه وتحريمه، إذ الحوائج منوطة لخالقها، فليس إلا الله يقضي حاجة، من شك في هذا طغى وتمرد، وأما إذا كان قصده الدعاء عند قبر الميت أو التوسل به فليس بمحرم، نعم إن اعتقد أن الدعاء عند القبور أفضل منه في نحو المساجد أو أنه لا يجاب إلا ثمَّ كان هذا قبيحاً، والله أعلم.

قال شيخ الإسلام رحمته الله في كتابه «الجواب الباهر عن مسألة زيارة المقابر» زيارة أهل التوحيد للقبور تتضمن السلام عليهم، والدعاء لهم، وهو مثل الصلاة على جنائزهم، وزيارة أهل الشرك تتضمن أنهم يشبهون المخلوق، بالخالق يندرون له، ويسجدون له ويدعونه ويحبونه كما يحبون الله، فيكونون قد جعلوه لله نداً وسووه برب العالمين، وأطال في ذلك.

وقال الإمام المحقق في كتابه «إغاثة اللّهفان من مكائد الشيطان» بعد أن قرر زيارة القبور المشروعة وحكى النزاع في ذلك في نحو ثلاث كراريس، وذكر زيارة أهل الإيمان على نحو ما قدمناه: وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عباد الأصنام، قالوا: الميت المعظم عند الله الذي لروحه قرب ومزية عند الله تعالى، لا تزال تأتيه الألطاف من الله، وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له، قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت، ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله وإقباله عليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكل ما كان

جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه به، وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما من أهل الفلسفة، وصرح به عباد الكوكب في عبادتها، وقالوا: إذا تعلقت النفوس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها نور، ولهذا عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنفت لها الدعوات، وأطال في ذلك وفي الرد على أهله، فراجعه تظفر بكل ما تريد، والله الموفق.

تنبيه: روى أبو داود والترمذي وصححه من حديث جرير الجهني قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله قال: «لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت»<sup>(١)</sup>. فهذا يشعر بأن السنة في السلام على الموتى أن يقال عليكم بتقديم الصلة<sup>(٢)</sup>، وقد صح الحديث بذلك، على أنه تقدم في الأحاديث الصحيحة الصريحة أنه قال لهم ﷺ: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»<sup>(٣)</sup> فيحتاج إلى الجمع حتى أن بعضهم قال: هذا أصح من حديث النهي، وذهب آخرون إلى أن السنة ما دل عليه حديث النهي، وقد أجاب الإمام المحقق عن ذلك في كتابه «بدائع الفوائد» وأجاد حيث قال: كل من الفريقين إنما أتاهم ذلك من عدم فهم المقصود من الحديث، فإن قوله ﷺ: «عليك السلام تحية الموتى» ليس تشريعاً منه وإخباراً عن أمر شرعي، وإنما هو إخبار عن الواقع المعتاد الذي يجري على ألسنة الناس في الجاهلية، فإنهم كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء. كما قال الشاعر:

(١) أخرجه أبو داود (٧٧٤ / ٢) رقم ٥٢٠٩، والترمذي (٧٢ / ٥) رقم ٢٧٢٢ وقال: حديث

حسن صحيح.

(٢) كذا بالأصل ولعلها (السلام).

(٣) تقدم ص ٣٣٧.

عليك سلام الله قيس بن عاصم

وقول الذي يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عليك سلام من أضيف وباركت

وهو في أشعارهم كثير، والإخبار عن الواقع لا يدل على الجواز فضلاً عن الاستحباب، فتعين المصير إلى ما ورد عنه رضي الله عنه من تقديم لفظ السلام حين يسلم على الأموات، فإن تخيل متخيل في الفرق أن السلام على الأحياء متوقع جوابه فقدم الدعاء على المدعو له بخلاف الميت، قلنا السلام على الميت يتوقع جوابه أيضاً كما ورد به الحديث.

قال: ومن النكت البديعة أن الأحسن في دعاء الخير أن يقدم فيه الدعاء على المدعو له، نحو: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِزْهِيمَةَ﴾ [الصفات: ١٠٩]، ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ نُوحٍ﴾ [الصفات: ٧٩]، ﴿سَلِّمْ عَلَيَّكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤]، ودعاء الشر الأحسن فيه تقديم المدعو عليه على المدعو به، كقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ [ص: ٧٨]، ﴿عَلَيْهِنَّ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨]، ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]. وأطال من ذكر الأسرار ودقائق الفوائد والأخبار فرحمة الله عليه، ما أغزر علمه، وأسيل فهمه، فسبحان من ألهمه معرفة هذه الدقائق، وأطلعه على أسرار تلك الحقائق، فأودع في كتبه من ذلك ما يبهر العقول، سيما في كتابه الموسوم، ببدايع الفوائد، فهو مفرد في ذلك، رزقنا الله علماً نافعاً وقلباً خاشعاً ودعاء متقبلاً، والله أعلم.

\* \* \*

## فصل

في التذکر بأهل القبور والتفکر في أحوالهم  
وذكر طرف من أحوال السلف الصالح في ذلك

أخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «استحيوا من الله حق الحياء» قالوا: إنا نستحي والحمد لله، قال: «ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن يحفظ الرأس وما وعى، ويحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الترمذي والحاكم عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «بئس العبد عبد تخيل واختال، ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتى وطفى ونسي المبتدأ والمنتهى، بئس العبد عبد تخيل للدنيا بالدين، بئس العبد عبد تخيل الدين<sup>(٢)</sup> بالشبهات، بئس العبد عبد طمع طمعاً يقوده للنار، بئس العبد عبد هوى يضلّه، بئس العبد عبد رغب يذله»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد (١/ ٣٨٧) رقم ٣٦٧١، والترمذي (٤/ ٦٣٧) رقم ٢٤٥٨ وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد، والحاكم (٤/ ٣٥٩) رقم ٧٩١٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) كذا بالأصل، وفي الحاشية (للعيش) أما في الحديث فلفظها (يختل الدين).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٢) رقم ٢٤٤٨ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي.

والحاكم (٤/ ٣٥١) رقم ٧٨٨٥ وقال: هذا حديث ليس في إسناده أحد منسوب إلى نوع من الجرح، وإذا كان هكذا فإنه صحيح ولم يخرجاه، وقال الذهبي: إسناده مظلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا أن رجلاً قال: يا رسول الله من أزهدهم الناس قال: «من لم ينس القبر والبلى، وترك فضل زينة الدنيا، وأثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد غداً من أيامه، وعد نفسه من أهل القبور»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور»<sup>(٢)</sup>.

وخرج البخاري أوله<sup>(٣)</sup>. وذكر الحافظ في «أهوال القبور» عن محمد بن كعب القرظي قال: بعث إليَّ عمر بن عبد العزيز، فقدمت عليه فأدمت النظر إليه، فقال لي: يا ابن كعب إنك لتنظر إليَّ نظراً ما كنت تنظره إليَّ بالمدينة؟ قال: فقلت: أجل يا أمير المؤمنين، يعجبني ما حال من لونك، ونحل من جسمك، فقال: فكيف بك يا ابن كعب لو رأيتني بعد ثلاثة في القبور وقد نتأت حدقتاي - وفي نسخة عينايا - على وجنتي، وخرج الدود والصديد من منخري، لكنك لي أشد نكرة.

وقال رجل لعمر بن العزيز رضي الله عنه تغيرت بعدنا، فقال له عمر: وتبينت ذلك؟ فقال له الأمر أعظم من ذلك، فقال له: يا أبا فلان فكيف لو رأيتني بعد ثلاث، وقد أدخلت قبوري، وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين، وتقلصت الشفتان عن الأسنان، وانفتح الفم، ونتاج البطن فعلا على الصدر، وخرج الصديد من الدبر.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٥٥) رقم ١٠٥٦٥ وابن أبي شيبة في المصنف (٧٧/٧) رقم ٣٤٣١٨ وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ١٢٨) رقم ٣٢٦، وقال: رواه البيهقي عن الضحاك مرسلًا.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٧) رقم ٢٣٣٣ بلفظ (في) بدلا من (من)

(٣) في رقم ٦٤١٦.

قال الحافظ: وقد روي عنه من وجوه متعددة أنه قال في آخر خطبة خطبها ﷺ: ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين؟ ثم يرثها بعدكم الباقون؟ كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين، وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً قد قضى به نجه، فتودعون وتَدْعُونَه في صدع من الأرض غير ممهّد ولا موسد، قد فارق الأحباب، وخلع الأسباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنياً عما خلف، فقيراً إلى ما قدم، وكان ينشد هذه الأبيات، قال الحافظ ويروى أنه كان في جنازة في مقبرة فرأى قوماً يهربون من الشمس إلى الظل فأنشدها وهي هذه:

من كان حين تصيب الشمس جبهته	أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته	فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا
في ظل مقفرة غبراء مظلمة	يطيل تحت الثرى في غمها اللبثا
تجهزي بجهاز تبلغين به	يا نفس قبل الردى لم تُخلقي عبثا

وأخرج ابن أبي الدنيا أن محمد بن واسع دخل على بلال بن أبي بردة فسأله عن القدر، فقال له: جيرانك من أهل القبور فكر فيهم فإن فيهم شغلاً عن القدر.

قال مغيث الأسود الزاهد: زوروا القبور كل يوم تفكركم.

قال النضر أبو المنذر لإخوانه: زوروا الآخرة كل يوم بقلوبكم، وشاهدوا الموقف بتوهمكم، وتوسدوا القبور بقلوبكم، واعلموا أن ذلك كائن لا محالة فمختار لنفسه ما أحب من المنافع والضرر.

قال الحافظ: كان أبو بكر الصديق ﷺ يقول في خطبته: أين الوضأة الحسنة وجوههم؟ المعجبون بشبابهم الذين كانوا لا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ قد

تضعض بهم الدهر وصاروا في ظلمات القبور، الوحا الوحا<sup>(١)</sup> النجا النجا.

وروى ابن أبي الدنيا أنه مر على الحسن شاب وعليه بزة حسنة فدعاه فقال: ابن آدم معجب بشبابه، معجب بجماله، كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك داو قلبك، فإن حاجة الله إلى عباده صلاح قلوبهم.

وقال عبد الله بن الغيزار: لابن آدم بيتان، بيت على ظهر الأرض وبيت في بطن الأرض، فعمد إلى الذي في ظهر الأرض فزخره وزينه، وجعل فيه أبواباً للشمال وأبواباً للجنوب، ووضع فيه ما يصلحه لشتائه وصيفه، ثم عمد إلى الذي في بطن الأرض فخره، فأتى عليه فقال: رأيت هذا الذي قد أصلحته كم تقيم فيه؟ قال: لا أدري. قال: فالذي خربته كم تقيم فيه؟ قال: فيه مقامي، قال: تقر بهذا على نفسك وأنت رجل تعقل.

وعن الحسن قال: يومان وليلتان<sup>(٢)</sup> لم تسمع الخلائق بمثلهن قط، ليلة تبيت مع أهل القبور ولم تبت قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوم يأتيك البشير فيه من الله تعالى إما إلى الجنة وإما إلى النار، ويوم تعطي كتابك إما بيمينك أو بشمالك.

(١) الوحاء الوحاء: يعني البدار البدار والوحاء الوحاء: يعني الإسراع، فيمدونها ويقصرونها إذا جمعوا بينهما، فإذا أفردوه مدوه ولم يقصروه، وفي حديث أبي بكر: الوحا الوحا، أي: السرعة السرعة، يمد ويقصر.

لسان العرب/ مادة: وحي.

وفي النهاية: الوحا الوحا: أي: السرعة السرعة، ويمد ويقصر يقال: توحيت توحياً، إذا أسرعت، وهو منصوب على الإغراء بفعل مضمّر.

النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: وحا.

(٢) في حاشية الأصل/ قف على أشد يومين وليلتين.

قال الحافظ: وكان أبو عمر الجوني يقول: لا يغرنكم من ربكم طول النسبنة وحسن الطلب، فإن أخذه أليم شديد، حتى متى تبقى وجوه أولياء الله بين أطباق التراب، فإنما هم محبوسون لبقية آجالكم حتى يبعثهم الله إلى جنته وثوابه.

وذكر ابن أبي الدنيا عن حامد بن أحمد بن أسد قال: أخذت بيد علي ابن جبلة يوماً فأتينا أبا العتاهية فوجدناه في الحمام، فانتظرناه فلم يلبث أن جاء، فدخل عليه إبراهيم بن مقاتل بن سهل وكان جميلاً فتأمله أبو العتاهية وقال متمثلاً:

يا حسان الوجوه سوف تموتون وتبلى الوجوه تحت التراب  
فأقبل على ابن جبلة فقال: اكتب:

يا مربى شباباه للتراب سوف يلهو البلى بغض الشباب  
يا ذوى الأوجه الحسان المصونات وأجسامها الغضاض الرطابت  
أكثروا من نعيمها وأقلوا سوف تهدونها لعفر التراب  
قد نعتك الأيام نعيماً صحيحاً بفراق الإخوان والأصحاب

فقال أبو العتاهية: قل يا حامد قلت: معك ومع أبي الحسن قال: نعم  
فقلت:

يا مقيمىن ارحلوا للذهاب لشفير القبور حط الركاب  
نعموا الأوجه الحسان فما صوتنكموها إلا لعفر التراب  
والبسوا ناعم الثياب ففي الحفرة تعرون من جميع الثياب  
قد ترون الشباب كيف يموتون إذا استنصروا بماء الشباب

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن خلف قال: سمعت أبي قال:  
رجعنا من دفن ميت مع ابن السماك فأنشأ ابن السماك يقول:

يمر أقاربي جنبات قبري  
وذو الميراث يقتسمون مالي  
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا  
وقال ابن السماك أيضاً، لما انصرفت الناس من جنازة داود الطائي  
كان أقاربي لا يعرفوني  
ولا يألون أن جحدوا ديوني  
فيا لله أسرع ما نسوني  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

انصرف الناس إلى دورهم  
مرتحن النفس بأعماله  
لنفسه صالح أعماله  
ولبعضهم :

وغودر الميت في رسمه  
لا يرتجي الإطلاق من حبسه  
وما سواها فعلى نفسه

قف في المقابر وانظر إن وقفت بها  
ففيهم لك يا مغرور موعظة  
ولبعض المتقدمين :

لله درك ماذا تستر الحفر  
وفيهم لك يا مغتر معتبر

تزود قريناً من فعالك إنما  
وإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن  
فلن يصحب الإنسان من بعد موته  
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله  
وقال مؤلف هذا الكتاب وقلبه في طماطم التحسر والالتهاب شعراً :

قرين الفتى في القبر ما كان يفعل  
بغير الذي يرضى به الله تشغل  
إلى قبره إلا الذي كان يفعل  
مقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

تنبه قبل الموت إن كنت تعقل  
وتمسي رهيناً في القبور وتنسى  
فريداً وحيداً في التراب وإنما  
فوا أسفي ما يفعل الدود والثرى  
وما يفعل الجسم الوسيم إذا ثوي

فعما قليل للمقابر تنقل  
لدى جدث تحت الثرى تتجددل  
قرين الفتى في القبر ما كان يعمل  
بوجه جميل كان لله يخجل  
وصار ضجيع القبر يعلوه جندل

وبطني بدا فيه الردى ثم لو ترى  
أعيناى جوداً بالدموع عليكما  
أيا مدعي حبي هلم بنا إذا  
دعي اللّهونفسي واذكري حفرة البلى  
إلى الله أشكو لا إلى الناس حالتي  
ولبعضهم:

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه  
القوم بعدك في حال تسرهم  
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد  
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم

تممة: في حكايات غريبة وأخبار عجيبة عن الموتى:

منها ما رواه الحافظ الذهبي، أن أحمد بن نصر الخزاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أحد أئمة الحديث دعاه الوائق إلى القول بخلق القرآن فأبى، فضرب عنقه وصلب رأسه ببغداد، ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة برمح، فذكر الموكل به أنه رآه بالليل يستدير إلى القبلة بوجهه ويقرأ سورة يس بلسان طلق.

قال الذهبي: رويت هذه الحكاية من غير وجه ومن طرقها ما أخرجه الخطيب عن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصر خالي فلما قتل في المحنة وصلب أخبرت أن الرأس يقرأ: ﴿الْمَ ۝ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَأَمَّنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢] فاقشعر جلدي.

ومنها: ما ذكره ابن عساكر عن عمير بن حباب السلمى قال: أسرت أنا وثمانية معي في زمان بني أمية، فأدخلنا على ملك الروم فأمر بأصحابي

فصرت رقابهم، ثم إني قدمت لضرب عنقي، فقام إليه بعض البطارقة فلم يزل يقبل رأسه ورجليه ويطلب أن يهيني له، حتى وهبني له فانطلق بي إلى منزله فدعا ابنة له جميلة، فقال لي: هذه ابنتي أزوجك بها وأقاسمك ما لي وقد رأيت منزلي من الملك، فأدخل في ديني حتى أفعل بك هذا، فقلت: ما أترك ديني لزوجة ولا ل دنیا، فمكث أياماً يعرض على ذلك فلا أجيب، فدعتني ابنته إلى بستان لها فقالت: ما يمنعك مما عرض عليك أبي؟ فقلت: ما أترك ديني لامرأة ولا لشيء، فقالت: أتحب المكث عندنا أو اللحاق ببلادك فقلت: الذهاب إلى بلادي، قال: فأرتني نجماً في السماء فقلت: سر على هذا النجم بالليل، واكمن بالنهار، فإنه يلقيك إلى بلادك، ثم زودتني وانطلقت، فسرت ثلاث ليال أسير بالليل وأكمن بالنهار، فبينما أنا في اليوم الرابع مكمن فإذا الخيل، فقلت: طلبت، فأشرفوا فإذا بأصحابي المقتولين على دواب معهم آخرون على دواب شهب، فقالوا: عمير؟ قلت: عمير، فقلت: أوليس قد قتلتم؟ قالوا: بلى ولكن الله نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز، فقال لي بعض الذين معهم ناولني يدك يا عمير، فناولته يدي فأردفني خلفه، ثم سرنا يسيراً ثم قذف بي قذفة وقعت قريب منزلي بالحيرة من غير أن يكون لحقني شيء.

ومنها: ما ذكره الإمام ناصر السنة الحافظ ابن الجوزي في «عيون الحكايات» بسنده عن أبي علي البربري وهو أول من سكن طرسوس حين بناها أبو سليم، قال: إن ثلاثة إخوة من الشام كانوا يغزون وكانوا فرساناً شجعاناً فأسرهم الروم مرة فقال الملك: إني أجعل فيكم الملك وأزوجكم بناتي وتدخلون في النصرانية، فأبوا وقالوا: يا محمداه، فأمر بثلاث قدور فصب فيها الزيت، ثم أوقد تحتها ثلاثة أيام يعرضون في كل يوم على تلك القدور ويدعون إلى النصرانية، فيأبون فألقى الأكبر في القدر، ثم الثاني،

ثم أدنى الأصغر فجعل يفتنه عن دينه بكل أمر، فقام إليه عالج فقال: أيها الملك أنا أفتنه عن دينه قال: بماذا قال: قد علمت أن العرب أسرع شيء إلى النساء وليس في الروم أجمل من ابنتي فادفعه إليّ حتى أخليه معها فإنها ستفتنه، فضرب له أجلاً أربعين يوماً ودفعه إليه، فجاء به فأدخله مع ابنته وأخبرها بالأمر فقالت له: دعه فقد كفيتك أمره، فقام معها نهاره صائماً وليله قائم حتى مضى أكثر الأجل، فقال العالج لابنته: ما صنعت؟ قالت: ما صنعت شيئاً، هذا الرجل فقد أخويه في هذه البلدة فأخاف أن يكون امتناعه من أجلهما كلما رأى آثارهما، ولكن استزد الملك في الأجل وانقلني أنا وإياه إلى بلد آخر غير هذا فزاده أياماً وأخرجهما إلى بلد آخر، فمكث على ذلك أياماً صائماً النهار قائم الليل، حتى إذا بقي من الأجل أيام قالت له الجارية ليلة: يا هذا إني أراك تقدر رباً عظيماً وإني قد دخلت في دينك وتركت دين آبائي فقال لها: فكيف تكون الحيلة في أمر الهرب؟ قالت: أنا أحتال لك، فجاءته بدواب فركبا، فكانا يسيران بالليل، ويكمنان بالنهار، فينما هما يسيران ليلة إذ سمعا وقع خيل، فإذا هو بإخوته ومعهما ملائكة، فسلم عليهما وسألهما عن حالهما، فقالا: ما كانت إلا الغطسة التي رأيت حتى خرجنا في الفردوس، وإن الله أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة، فزوجوه إياها وخرج إلى بلاد الشام، فأقام معها وكانا مشهورين بذلك معروفين في الشام في الزمن الأول، وقد قال فيهما الشعراء أبياتاً منها:

سيعطي الصادقين بفضل صدق نجاة في الحياة وفي الممات

والله أعلم.

ومنها: ما حكاه الحافظ ابن رجب رحمته الله تعالى قال: روينا من طريق مراد بن جميل قال: قال أبو المغيرة: ما رأيت مثل المعافي بن عمران، وذكر من فضله قال: حدثني بعض إخواني أن غانماً جاء والمعافي بن عمران

يلقن بعدما دفن فسمعتة وهو يلقن في قبره، وهو يقول: لا إله إلا الله فيقول المعافي: لا إله إلا الله.

ومنها: ما حكاه اليافعي عن الشيخ إسماعيل الحضرمي، أنه مر على بعض مقابر اليمن فبكى بكاء شديداً وعلاه حزن، ثم ضحك ضحكاً شديداً وعلاه سرور، فسئل عن ذلك فقال: كشف لي عن أهل هذه المقبرة فرأيتهم يعذبون فبكيت، ثم تضرعت إلى الله فيهم فقيل: قد<sup>(١)</sup> شفّعناك فيهم، فقالت صاحبة هذا القبر: وأنا معهم يا فقيه إسماعيل، أنا فلانة المغنية، فقلت: وأنت معهم فلذلك ضحكت.

ومنها: ما حكاه الحافظ ابن رجب في طبقات الأصحاب في ترجمة الإمام العلامة ولي الله بلا نزاع الشيخ أبي عمر أخي موفق الدين ابن قدامة رحمتهما عن الضياء قدس الله روحه عن عبد المولى بن محمد، أنه كان يقرأ عند قبر الشيخ سورة البقرة، وكان وحده فبلغ إلى قوله تعالى: ﴿لَا فَاْرِضُ وَلَا يَكْرَهُ﴾ [البقرة: ٦٨] قال: فغلطت فرد الشيخ على من القبر، فحفت وفزعت وارتعدت وقمت، ثم مات القارئ بعد ذلك بأيام قال الحافظ: وهذه الحكاية مشهورة قال: وقرأ بعضهم عند قبره سورة الكهف فسمعه من القبر يقول: لا إله إلا الله.

\* \* \*

(١) في الأصل (قدقد).

## فوائد

الأولى: ذكر أبو الشيخ في كتاب [الوصايا] عن قيس بن قبيصة مرفوعاً: «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى» قيل: يا رسول الله، وهل تتكلم الموتى؟ قال: «نعم، ويتزاورون»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو أحمد والحاكم في الكنى عن جابر مرفوعاً: «من مات عن غير وصية لم يؤذن له في الكلام إلى يوم القيامة» قيل: يا رسول الله، وهل يتكلمون قبل يوم القيامة؟ قال: «نعم، ويزور بعضهم بعضاً»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الديلمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت في المنام امرأتين، واحدة تتكلم والأخرى لا تتكلم، كلتاها من أهل الجنة، فقلت لهما: أنت تكلمين وهذه لا تكلم؟ قالت: أما أنا فأوصيت، وهذه ماتت بلا وصية لا تتكلم إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

الثانية: ورد في الحديث أن ما يؤذي الحي يؤذي الميت.

أخرج الديلمي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج البخاري عنها أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٦٢٠/١٦) رقم ٤٦٠٨٦ وقال: أبو الشيخ في الوصايا عن قيس بن قبيصة.

(٢) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (١٥٨) وعلق عليه بقوله: «قال أبو أحمد الحاكم: هذا حديث منكرو وأبو محمد هذا رجل مجهول».

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (١٦) رقم ٤٦٠٨٧ وقال: الديلمي عن أبي هدبة عن أنس.

(٤) ذكره الألباني في الضعيفة رقم ٣٢٨٥ وقال: موضوع.

أفضوا إلى ما قدموا»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً:  
«اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها عنه رضي الله عنه: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير، أن يكونوا من أهل الجنة تأثموا، وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه»<sup>(٣)</sup>.

الثالثة: ورد عن حضرة صاحب الرسالة أن الميت يتأذى من النياحة عليه.

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أنه قيل لها: إن ابن عمر يرفع إلى النبي ﷺ: «إن الميت يعذب ببكاء الحي» قالت: وهل قال أبو عبد الرحمن ذلك إنما قال: «أهل الميت يكون عليه وإنه ليعذب بجرمه»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الحاكم وصححه عن النعمان قال: أغمى على عبد الله بن

(١) رواه البخاري رقم ١٣٩٣ .

(٢) رواه أبو داود (٦٩٢ / ٢) رقم ٤٩٠٠ ، والترمذي (٣٣٩ / ٣) رقم ١٠١٩ وقال: هذا حديث غريب، وابن حبان في صحيحه (٢٩٠ / ٧) رقم ٣٠٣٠ .

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤ / ٤٩٣) وقال عنه العراقي أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت هكذا بإسناد ضعيف من حديث عائشة .

وأخرج النسائي عن عائشة قالت: ذكر عند النبي ﷺ هالك يسود فقال: (لا تذكروا هلكاكم إلا بخير). النسائي (٤ / ٥٢) رقم ١٩٣٥ .

(٤) أخرج البخاري أوله رقم ١٢٩٢ ، ومسلم رقم ٩٣٠ ، وأخرج مسلم سياقاً آخر ولفظه: ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، فقالت «رحم الله أبا عبد الرحمن، سمع شيئاً فلم يحفظه، إنما مرت على رسول الله جنازة يهودي وهم يكون عليه فقال: أنتم تبكون عليه وإنه ليعذب». مسلم رقم ٩٣١ .

رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي وأخياه وكذا تعدد عليه فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي : أنت كذلك؟

وأخرج الطبراني عن الحسن : أن معاذ بن جبل أغمى عليه ، فجعلت أخته تقول : واجبله ، فلما أفاق قال : ما زلت لي مؤذية منذ اليوم ، قالت : لقد كان يعز علي أن لا أؤذيك ، قال : ما زال ملك شديد الانتهار كلما قلت واكذا قال : أكذلك أنت؟ فأقول : لا .

وأخرج ابن سعد عن المقدم بن معدي كرب قال : لما أصيب عمر دخلت عليه حفصة فقالت : يا صاحب رسول الله ﷺ ويا صهر رسول الله ويا أمير المؤمنين فقال : عمر إني أخرج عليك بما لي من الحق أن تدبيني بعد مجلسك هذا ، أنه ليس من ميت يندب بما ليس فيه إلا والملائكة تمقته .

وأخرج ابن سعد أيضاً عن يوسف بن ماهك قال : رأيت ابن عمر حضر جنازة رافع بن خديج فقال : إن الميت يعذب ببكاء الحي .

وقد ورد حديث الميت يعذب ببكاء الحي عليه من رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه أخرجه أبو يعلى بلفظ : «الميت ينفع عليه الحميم ببكاء الحي»<sup>(١)</sup> وعن عمر بن الخطاب بلفظ : «إن الميت يعذب بالنياحة عليه في قبره»<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري ، ومن رواية أنس وعمران بن حصين عند ابن حبان في صحيحه وسمرة بن جندب عند الطبراني في الكبير وأبي هريرة عند أبي

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١/ ٤٧) رقم ٤٧ بلفظ (ينضح) والبخاري (١/ ١٣٣) رقم ٦٤ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠٥) رقم ٤٠٣٧ وقال : رواه البخاري وأبو يعلى وفيه محمد بن الحسن بن زباله وهو ضعيف .

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٢٩١ بلفظ : «الميت يعذب في قبره بما نوح عليه» .

يعلى والمغيرة بن شعبة عند ابن منده .

فاختلف العلماء في توجيه ذلك على مذاهب :

أحدها: أنه على ظاهره مطلقاً وهو رأي عمر بن الخطاب وابنه .

الثاني: لا مطلقاً .

الثالث: أن الباء للحال أي يعذب حال بكائهم عليه والتعذيب بماله

من ذنب لا بسبب البكاء .

الرابع: أنه خاص بالكافر والقولان عن عائشة رضي الله عنها .

الخامس: أنه خاص بمن كان النوح من سنته وطريقته، وعليه

البخاري .

السادس: أنه فيمن أوصى به كما قال القائل :

إذا مت فانهيني بما أنا أهله وشقي على الجيب يا بنت معبد

السابع: أنه فيمن لم يوص بتركه، فتكون الوصية بذلك واجبة إذا علم

أن من شأن أهله أن يفعلوا ذلك .

الثامن: أن التعذيب بالصفات التي يكون بها عليه وهي مذمومة

شرعاً، كما كان أهل الجاهلية يفعلون، يقولون يا مرمل النسوان، يا ميمم

الأولاد، يا مخرب الدور .

التاسع: أن المراد بالتعذيب توبيخ الملائكة بما يندبه أهله، لحديث

الترمذي والحاكم وابن ماجه مرفوعاً: «ما من ميت يموت فتقوم نادبة فتقول

واجبلاه واسيداه أو شبه ذلك القول إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا

كنت»<sup>(١)</sup>. ويشهد له ما ذكرنا عن ابن رواحة وغيره.

العاشر: أن المراد تألم الميت بما وقع من أهله، لحديث الطبراني وابن أبي شيبة عن قبلة بنت مخزومة أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ والدا لها مات ثم بكت فقال رسول الله ﷺ: «أينغلب أحدكم أن يصاحب صويحبه في الدنيا معروفاً فإذا مات استرجع فوالذي نفس محمد بيده إن أحدكم ليبيكي فيستعبر إليه صويحبه فيا عباد الله لا تعذبوا موتاكم»<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا ابن جرير، واختاره جماعة من الأئمة آخرهم شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، ذكره الجلال السيوطي في «أهوال الموتى والقبور» ونقلته ملخصاً، والذي رأيته عن شيخ الإسلام قدس الله روحه، أن الميت يتأذى بنوح أهله عليه مطلقاً، هذا لفظه كما هو في اختياراته.

قال الجلال السيوطي في الخبر الأول من حديث يحيى بن معين بسنده عن الحسن: «أن من شر الناس للميت أهله يبكون عليه ولا يقضون ديونه» أي: أنهم يجتهدون في جلب ما يؤذيه ويدعون ما ينفعه، فإن الميت يتأذى ببكاء أهله وهم يجتهدون في ذلك، وقضاء دين الميت غاية مطلوبه وهم مقصرون في ذلك، إذ روح الميت تحبس عن دخول الجنة ما بقي على الميت درهم دين.

الفائدة الرابعة: في النهي عن الوطاء على القبور.

أخرج ابن أبي شيبة عن عقبة بن عامر الصحابي رضي الله عنه قال: «لأن أظاً

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٢٦) رقم ١٠٠٣ عن أبي موسى الأشعري وقال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه ابن ماجه بلفظ: «الميت يعذب ببكاء الحي إذا قالوا: واعضده، واكاسبه واناصره واجبله، ونحو هذا يتعنت ويقال: أنت كذلك؟ أنت كذلك؟» (١/ ٥٠٨) رقم ١٥٤٩.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٥) رقم ١ باختلاف في بعض الألفاظ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٦٣٠) رقم ٩٧٩٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

على جمة أو على حد سيف حتى يخطف رجلي أحب إلي من أن أمشي على قبر رجل مسلم، وما أبالي أفي القبور قضيت حاجتي أم في السوق بين ظهرائيه والناس ينظرون»<sup>(١)</sup> وأخرجه ابن ماجه من حديثه مرفوعاً.

وأخرج الطبراني والحاكم عن عمارة بن حزم قال: رأيت رسول الله ﷺ جالساً على قبر فقال: «يا صاحب القبر انزل من على القبر لا تؤذ صاحب القبر ولا يؤذيك»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن الوطاء على القبر قال: كما أكره أذى المؤمن في حياته فإني أكره أذاه في مماته. وأخرج ابن أبي شيبة عنه: «أذى المؤمن في موته كأذاه في حياته».

وأخرج ابن منده عن القاسم بن مخيمر قال: لأن أظأ على أسنان مخي حتى تنفذ من قدمي أحب إلي من أن أظأ على قبر، وأن رجلاً وطئ على قبر وأن قلبه ليقظان. إذ سمع صوتاً من القبر: إليك عني يا رجل لا تؤذني.

الخامسة: في ملازمة الحافظين قبر المؤمن.

أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء قالا: ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن فلان نكتب عمله وقد قبضته إليك، فائذن لنا أن نسكن السماء قال: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحوني فيقولان: فائذن لنا أن نسكن الأرض، فيقول أرضي مملوءة من خلقي يسبحوني ولكن قوماً على

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٩٩) رقم ١٥٦٧، باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وقال: في الزوائد إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٨١) رقم ٦٥٠٢ وسكت عنه، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٦٥٧) رقم ٤٢٦٠٥.

قبر عبدي، فسبحاني وهللاني وكبراني إلى يوم القيامة واكتباه لعبدي»<sup>(١)</sup>. وأخرجه البيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا من حديث أنس وابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبي بكر الصديق وزاد فيه: «وإذا كان العبد الكافر فمات صعد ملكاه إلى السماء فقال لهما: ارجعا إلى قبره والعناه» هذا كلام السيوطي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأقول لفظ ابن الجوزي في الموضوعات كما رأيت في نسخة قديمة: «فإذا كان العبد كافراً فمات صعد ملكاه، فيقول الله لهما: ما جاء بكما؟ فيقولان: رب قبضت عبدك، فيقول لهما: ارجعا إلى قبره فالعناه إلى يوم القيامة فإنه كذبني وجحدني وإني جعلت لعتكما عذاباً أعذب به إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup> وذكر ابن الجوزي طرقه الثلاثة التي عن أبي سعيد وأبي بكر وأنس وحكم عليه بالوضع، وتعقبه الجلال السيوطي بأنه ليس بموضوع، بل ظاهر كلامه يشعر بأنه حسن كما يفهمه من له إمعان صحيح فليحفظ، والله أعلم.

السادسة: اختلف العلماء في وصول ثواب القراءة للميت، فجمهور السلف والأئمة الثلاثة على الوصول وخالف الشافعي مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩].

### وأجاب الجمهور عن الآية بأجوبة:

أحدها: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٥٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٨٣) رقم ٩٩٣١، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٧٩) رقم ٥٠٣، وابن عدي في الكامل (٥/ ٢٥٣) في ترجمة عيسى بن عبد الله بن الحكم رقم ١٣٩٧ وقال روى عن عيسى هذا بقية بأحاديث مناكير، وذكر هذا الحديث فيها، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٧٤٨) رقم ٤٢٩٦٧ وعزاه إلى بعض الكتب ثم قال: وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فلم يصب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٢٨) وانظر تعقيب السيوطي الذي ذكره المصنف.

(٣) كذا بالأصل وهي قراءة صحيحة رواها أبو عمرو البصري، وقراءة حفص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَأَتَّعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ انظر/ إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (٥١٨).

يَأْمِنُ ﴿ الآية [الطور: ٢١] أدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء.

الثاني: أنها خاصة بقوم إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام، وأما هذه الأمة فلها ما سعت وما سعى لها. قاله عكرمة.

الثالث: المراد بالإنسان الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له، قاله الربيع بن أنس.

الرابع: ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل، فأما من باب الفضل جائز أن يزيده الله ما شاء، قاله الحسين بن الفضل.

الخامس: أن اللام في الإنسان بمعنى على، أي: ليس على الإنسان إلا ما سعى.

قلت: وينبغي أن يقيد هذا بما إذا لم يكن سبباً في ذلك لما في خبر «ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها»<sup>(١)</sup> الحديث وحديث: «ما من مقتول يقتل إلا وعلى ابن آدم من دمه»<sup>(٢)</sup> أو كما قال ﷺ.

واستدل القائلون بالوصول بالقياس على مثل الحج من أنواع البر، وبما خرجه الخلال في الجامع عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرءون له القرآن.

\*\*\*

(١) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه (١ / ٧٤) رقم ٢٠٣ من حديث جرير بلفظ: (من سن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها).

وأخرجه أحمد (٤ / ٣٦١) رقم ١٩٢٢٣، والطبراني في الكبير (٢ / ٣١٥) رقم ٢٣١٢، ومسلم رقم ١٠١٧ باختلاف يسير، والترمذي (٥ / ٤٣) رقم ٢٦٧٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٣٣٥، ومسلم ١٦٧٧.

## مطلب

قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

إحدى عشرة مرة في المقابر فضيل نافع

وبما أخرجه السمرقندي في فضائل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] عن علي مرفوعاً: «من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشر مرة ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وألهاكم التكاثر ثم قال: إني جعلت ما قرأت من كلامك لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له إلى الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الديلمي في تاريخ همدان وابن النجار عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال إذا مر بالمقابر السلام على أهل لا إله إلا الله من أهل لا إله إلا الله، كيف وجدتم قول لا إله إلا الله؟ يا لا إله إلا الله بحق لا إله إلا الله اغفر لمن قال لا إله إلا الله، واحشرونا في زمرة من قال لا إله إلا الله، غفر له ذنوبه خمسين سنة» قيل: يا رسول الله من لم تكن له ذنوب خمسين سنة؟ قال: «لوالديه ولقرباته ولعامة المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥ / ٦٥٥) رقم ٤٢٥٩٦، والعجلوني في كشف الخفا (٢ / ١٦٢٧) رقم ٢٦٣٠ وعزاه للرافعي في تاريخه، وذكره كذلك صاحب تذكرة الموضوعات (١٧٨١).

(٢) ذكره المباركفوري في تحفة الأحوذى (٣ / ٢٧٥).

(٣) ذكره الهندي (١٥ / ٦٥٤) رقم ٤٢٥٩١ وعزاه للديلمي والرافعي وابن النجار.

وأخرج القاضي أبو بكر ابن عبد الباقي الأنصاري في (مشيخته) عن سلمة بن عبيد قال: قال حماد المكي: خرجت ليلة إلى مقابر مكة فوضعت رأسي على قبر فنمت، فرأيت أهل المقابر حلقاتاً حلقاتاً، فقلت: قامت القيامة؟ قالوا: لا ولكن رجل من إخواننا قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وجعل ثوابها لنا فنحن نقسمه منذ سنة.

وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال بسنده عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد ما فيها حسنات»<sup>(١)</sup>.

وقال الحافظ ابن رجب: روى جعفر الخلدي حدثنا عباس بن يعقوب بن صالح الأنباري، سمعت أبي يقول: رأى بعض الصالحين أباه في النوم فقال له: يا بني لولا الأحياء لهلك الأموات.

وأخرج ابن النجار في تاريخه عن مالك بن دينار قال: دخلت المقبرة ليلة جمعة فإذا أنا بنور يشرق فيها، فقلت: لا إله إلا الله، ترى أن الله غفر لأهل المقابر، فإذا بهاتف يهتف به من البعد وهو يقول: يا مالك بن دينار هذه هدية المؤمنين إلى إخوانهم أهل المقابر، قلت: بالذي أنطقك إلا أخبرتني ما هو؟ قال رجل من المؤمنين قام في هذه الليلة فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين فقرأ فيهما فاتحة الكتاب و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقال: اللهم إني قد وهبت ثوابها لأهل المقابر من المؤمنين، فأدخل الله علينا الضياء والنور والبهجة والسرور في المشرق والمغرب، قال مالك: فلم أزل أقرؤها في كل جمعة، فرأيت النبي ﷺ في منامي يقول

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (٨٤) قلت: وهذه الأخبار كلها فيها مجازفة في الثواب ودلائل الوضع بادية على أكثرها.

لي: يا مالك قد غفر الله لك بعدد النور الذي أهديته إلى أمتي، ولك ثواب ذلك ثم قال لي: وبنى الله لك بيتاً في الجنة في قصر يقال له المنيف، قلت: وما المنيف؟ قال: المطل على أهل الجنة.

وهذه الأخبار وشبهها وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلاً، وبأن المسلمين مازالوا في كل مصر يجتمعون ويقرءون لموتاهم من غير تكبر، فكان ذلك إجماعاً، ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين عبد الواحد المقدسي من أصحابنا رحمته الله.

قال القرطبي في (التذكرة) وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يهدي إليه من القراءة، فلما توفي رآه بعض أصحابه فقال له: إنك قد كنت تقول إنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يهدي إليه من القراءة فكيف الأمر؟ قال له: كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله في ذلك، فإنه يصل إليه ذلك.

تنبيه: القراءة على القبر استحباب أصحاب الشافعي وغيرهم، قال النووي في «شرح المهذب» يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعولهم. نص عليه الشافعي. زاد في موضع آخر وإن ختم القرآن على القبر كان أفضل، وكان إمامنا رحمته الله ينكر ذلك أولاً ثم رجع عنه حين بلغه الخبر.

وقد ذكر المحقق عن علي بن موسى الحداد وكان صدوقاً قال: كنت مع الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له الإمام أحمد: يا هذا القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة للإمام أحمد بن حنبل يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي قال: ثقة قال: كتبت عنه شيئاً قال: نعم، قال: فأخبرني مبشر عن عبد الله بن الحلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال: سمعت

ابن عمر يوصي بذلك، فقال له الإمام: فارجع وقل للرجل يقرأ.

قال القرطبي في حديث: «اقرأوا على موتاكم يس»<sup>(١)</sup> هذا يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته، ويحتمل أن تكون عند قبره.

قال السيوطي: وبالأول قال الجمهور، وبالثاني قال ابن عبد الواحد المقدسي، وبعضهم قال بالتعميم فيهما.

قال الغزالي في (الإحياء) وعبد الحق في (العاقبة) عن الإمام أحمد رضي الله عنه قال: إذا دخلتم المقابر فاقرأوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد، واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم.

قال القرطبي وقد قيل: إن ثواب القراءة للقارئ، وللميت ثواب الاستماع، ولذلك تلحقه الرحمة قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] قال: ولا يبعد في كرم الله أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع معاً، ويلحقه ثواب ما يهدي إليه من القراءة وإن لم يسمع كالصدقة.

الفائدة السابعة: في بلي الجسد ونتاجه.

أخرج البخاري عن جندب الجلي «أول ما ينتن من الإنسان بطنه»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن عساكر عن أبي قلابة قال: ما خلق الله شيئاً أطيب من الروح ما نزع من شيء إلا أنتن.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢٦٩/٧) رقم ٣٠٠٢، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٦٥/٦) رقم ١٠٩١٣، وأخرجه بنحوه أحمد (٢٦/٥) رقم ٢٠٣١٥ والطبراني في الكبير (٢٠/٢١٩) رقم ٥١٠، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١٨٢/١) رقم ٤٨٧ وقال: قال في التمييز رواه أبو داود والنسائي عن معقل بن يسار مرفوعاً وصححه ابن حبان.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٧١٥٢.

وأخرج أبو نعيم عن وهب بن منبه قال: قرأت في بعض الكتب لولا  
أني كتبت التتن على الميت لحبسه الناس في بيوتهم.

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن أرقم مرفوعاً: «يقول الله تعالى:  
توسعت على عبادي بثلاث خصال، بعثت الدابة على الحبة، ولولا ذلك  
لكنزها ملوكهم كما يكنزون الذهب والفضة، وتغير الجسد من بعد الموت،  
ولولا ذلك لما دفن حميم حميمه، وأسلت حزن الحزين ولولا ذلك لم  
يكن يسلو»<sup>(١)</sup>.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس  
من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجم الذنب ومنه يركب  
الخلق يوم القيامة»<sup>(٢)</sup> وأخرجه أبو داود والنسائي أيضاً.

وأخرج عنه أيضاً مرفوعاً: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجم الذنب  
منه خلق»<sup>(٣)</sup> أي هو أول ما خلق من الإنسان ومنه يركب.

قلت: لم أر أحداً ممن تكلم على تكوين الإنسان ذكر أن أول ما  
يخلق من الإنسان عجم الذنب، وإنما ذهب جماعة أنه القلب، وقيل  
الدماغ، وقيل الكبد، وقيل فقار الظهر، كما أنهى الكلام على ذلك الإمام  
المحقق في كتابه «تحفة الودود في أحكام المولود». انتهى.

قال شارح المواقف: هل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها أو يفرقها

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤ / ٣٤٤) وذكره المناوي في الأحاديث القدسية (٤٦)  
رقم ٩٨.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٤٩٣٥ ومسلم رقم ٢٩٥٥ وأبو داود (٢ / ٦٤٩) رقم ٤٧٤٣،  
والنسائي (٤ / ١١١) رقم ٢٠٧٧.

(٣) انظر الحديث السابق.

ويعيد فيها التأليف؟ الحق أنه لم يثبت في ذلك شيء، فلا يجزم فيه بنفي ولا إثبات لعدم الدليل على شيء من الطرفين، انتهى. قال ناظم الجوهرة:

وقل يعاد الجسم بالتحقيق      عن عدم وقيل عن تفريق  
محضين لكن ذا الخلاف خصا      بالأنبياء ومن عليهم نصا  
وفي إعادة العرض قولان      ورجحت إعادة الأعيان

وفي شرح الجوهرة للقاني: وعبرة الغزالي في كتاب (الاقتصاد) فإن قيل: ما تقولون أتعدم الجواهر والأعراض ثم يعادان جميعاً أو تعدم الأعراض دون الجواهر وإنما تعاد الأعراض؟ قلنا: كلاً ذلك ممكن، والحق أنه ليس في الشرع دليل قاطع على تعيين هذه الممكنات، قال الشارح: ورأيت لبعضهم: الحق وقوع الأمرين جميعاً، إعادة ما انعدم بعينه وإعادة ما تفرق بأعراضه، وهذا حسن يجمع القولين، والذي يختلج في خلدي أنه جمع بعد تفريق والله ولي التحقيق.

قال القرطبي في (التذكرة) يقال: عجم وعجب بالباء والميم، وهو جزء لطيف في أصل الصلب، وقيل: هو رأس العصعص، كما رواه ابن أبي داود في كتاب البعث من حديث أبي سعيد الخدري قيل: «يا رسول الله وما هو؟ قال: مثل حبة خردل ومنه تنشئون»<sup>(١)</sup>.

الثامنة: أخرج ابن النجار في ترجمة كثير بن سالم الهيثمي، أنه أوصى أن لا يعمر قبره إذا درس وأكد في ذلك وشدد. قال: إن الله عز وجل ينظر

(١) روى أحمد (٢٨/٣) رقم ١١٢٤٨ أن رسول الله ﷺ قال: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، قيل: ومثل ما هو يا رسول الله؟ قال مثل حبة خردل منه تنبتون» وروى الحاكم في المستدرک عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: مثل حبة خردل، منه ينشئون» (٤/٦٥١) رقم ٨٨٠١، قال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

إلى أصحاب القبور الدوارس فيرحمهم فأرجو أن أكون منهم.

قال ابن النجار: وقد ورد مثل ذلك في الآثار. ثم أخرج من طريق عبد الله بن حميد، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثنا عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه قال: مر أرمياء النبي ﷺ بقبور تعذب أهلها فلما أن كان بعد سنة مر بها فإذا العذاب قد سكن عنها، فقال: قدوس قدوس مررت بهذه القبور عام أول وأهلها يعذبون، ومررت في هذه السنة وقد سكن العذاب عنها؟ فإذا النداء من السماء: يا أرمياء تمزقت أكفانهم، وتمعطت<sup>(١)</sup> شعورهم، ودرست قبورهم، فنظرت إليهم ورحمتهم، وهكذا أفعل بأهل القبور الدراسات، والأكفان المتمزقات، والشعور المتمعطات.

التاسعة: أخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من وافق موته عند انقضاء رمضان دخل الجنة، ومن وافق موته عند انقضاء عرفة دخل الجنة، ومن وافق موته عند انقضاء صدقة دخل الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة»<sup>(٣)</sup>.

(١) معط الشعر: نتفه، وتَمَعَطَ وأَمَعَطَ كاتعل: تمرط وسقط من داء يعرض له، وتمعطت أوباره: تساقطت/ القاموس المحيط: مادة معط.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٣) وقال: غريب من حديث طلحة، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٦٧٨) رقم ٤٢٧٠١.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩١) رقم ٢٣٣٧٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٦) رقم ٣٩١٩ وقال: رواه أحمد وروى البزار طرفاً منه في الصيام فقط، ورجاله موثقون، وفي (٧/ ٤٣٦) رقم ١١٩٣٥ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عثمان بن مسلم البتي وهو ثقة.

وأخرج الديلمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من مات صائماً أوجب الله له الصيام إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

العاشرة: لا تأكل الأرض أجساد جماعة وهم الأنبياء والعلماء والشهداء ومؤدبو الأطفال والمؤذنون حيث احتسبوا أذانهم لله.

قلت: فإن أخذ المؤذنون ومؤدبو الأطفال على ذلك رزقا من بيت مال المسلمين فلا ينافي الاحتساب؟ قال علماؤنا: وما يأخذه المؤذنون ونحوهم، فكالرزق من بيت المال وليس بأجرة، فإن وقع عقد إجارة على ذلك حرم الأخذ وبطل الأجر على قواعد مذهب الإمام أحمد، بخلاف الجعالة، ولا يخفى أن عدم الأخذ بالمرّة أولى، سيما مع شدة الخلاف في جواز تناول ذلك كما لا يخفى على من له خبرة بأقاويل العلماء، وقد نظم بعضهم الذين لا تأكلهم الأرض في قوله.

لا تأكل الأرض جسماً للنبي ولا لعالم وشهيد قتل معترك  
ولا مؤدب أطفال ومحتسب أذانه لإلاه مجرى الفلك<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) ذكره الهندي في كنز العمال، (٨ / ٤٥٧) رقم ٢٣٦٤٣ وقال الديلمي عن عائشة.

(٢) في حاشية الأصل / بلغ مقابلة والله الموفق.

## الكتاب الثاني

## في أشراف الساعة واقترابها وما يتعلق بذلك

قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] وقال: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] ، وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] ، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٦] إلى غير ذلك من الآيات .

وأما الأحاديث فلا تكاد تحصر، لا يقال كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه ألف ومائة سنة وأكثر من ذلك<sup>(١)</sup>؟ لأننا نقول إن الأجل إذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه اقترب الأجل، فأصل الدنيا قد مضى أكثره وبقي أقله، ولقرب قيام الساعة عنده تعالى جعلها كغد الذي بعد يومك، فقال تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَرَأَيْنَهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦] . وفي الترمذي وصححه عن أنس مرفوعاً: «بعثت أنا والساعة كهاتين»<sup>(٢)</sup> وأشار بالسبابة والوسطى فما فضل إحداهما على الأخرى، وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً: «إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم الأمم من صلاة العصر إلى مغيب الشمس»<sup>(٣)</sup> . وفي لفظ: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين

(١) هذا في الوقت الذي كان يعيش فيه المصنف رحمته الله .

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٩٦) رقم ٢٢١٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح ، وهو في البخاري رقم ٦٥٠٤ ومسلم رقم ٢٩٥١ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٤٧٣٣ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، ولم أقف عليه في صحيح مسلم .

صلاة العصر إلى غروب الشمس»<sup>(١)</sup> ولما كان أمر الساعة شديداً وهولها مزيداً، وأمدّها بعيداً، كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها، وضيرها أكبر من خيرها، وأكثر النبي ﷺ من بيان أشراتها وأماراتها، وأخبر عما بين يديها من الفتن القريبة والبعيدة، ونبه أمته لأجل الاعتداد لقطع تلك العقبة الشديدة، فينبغي لكل ذي لب كامل، ورأى فاضل أن يشتغل بالأعمال الصالحة، ولا ينهمك في نيل الشهوات الفاضحة.

واعلم أن وقت إتيان الساعة مما انفرد الله بعلمه، وأخفاه عن عباده، وذلك لحكمة، فإنه أصلح للعباد، لئلا يتباطئوا عن التأهب والاعتداد.

قال الفخر الرازي: كما أن كتمان وقت الموت أصلح لهم، يعني فإنه إذا خفي عليه ذلك كان دائماً مترقباً وقوعه، بخلاف إذا علم، فربما كان يرتكب الموبقات ثم يقول: إذا قرب وقت الوفاة أتوب إلى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

قال المحققون: السبب في إخفاء الساعة أنهم إذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها، فكان ذلك أدعى للطاعة وأزجر عن المعصية.

قال العلامة في «بهجة الناظرين وآيات المستدلين»: قد احتج كثير من العلماء على تعيين قرب زمانها بأحاديث لا تخلو من نظر، فمنهم من قال: بقي لها كذا، ومنهم من قال: يخرج الدجال على رأس كذا، وتطلع الشمس على رأس كذا، فرد الحافظ السيوطي ذلك كله وذكر هو تقريباً أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف أو أزيد، قال العلامة وهذا أيضاً

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٥٥٧ .

مردود، لأن كل من تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان، لا يقوم عليه من الوحي برهان، انتهى، وسأذكر ذلك مستقصياً إن شاء الله بعد.

واعلم أن في مدة عمارة الأرض أقوالاً، فقليل: إنه لا يعلم ذلك المقدار إلا العزيز الجبار، وهذا هو عين الصواب من غير شك ولا ارتياب، وقيل: مدة عمارتها سبعة آلاف سنة، وهذا هو المشهور وقيل غير ذلك.

قال أهل القول الأول: لم ينص على ذلك القرآن، ولا صح خبر عن سيد ولد عدنان، فالخوض فيه ضرب من الهذيان، وحكى القول الثاني عن حبر القرآن ووهب بن منبه وحكاه جماعة من اليهود وغيرهم.

وأما أعداء الله الفلاسفة فزعموا أن تدبير العالم الذي نحن فيه للسنبلة، فإذا استكمل العالم قطع هذه المسافة وقع الفساد والدثور، ثم عاد الدهر إلى الميزان، فتجتمع المواد ويقدر النشور عوداً.

قال البكري: وسلطان الحمل عندهم اثنا عشر ألف سنة، والثور إحدى عشر ألف سنة، ثم كذلك على التوالي حتى تكون قسمة الحوت ألف سنة، فجميع ذلك ثمانية وسبعون ألف سنة، فإذا انصرفت هذه المدة انقضى عالم الكون والفساد، قال: وهذا قول هرمس، وزعم أنه لم يكن في عالم الحمل والثور والجوزاء على الأرض حيوان، فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الأرض، فلما كان عالم الأسد تكونت دواب الماء وهوام الأرض، فلما كان عالم الأسد تكونت الدواب ذوات الأربع، فلما كان عالم السنبلة تولد الإنسانان الأولان آدم نوس وحواء نوس.

وزعم بعضهم أن مدة العالم مقدار الكواكب الثابتة لدرج الفلك، والكوكب منها يقطع البرج في ثلاثمائة سنة، فذلك ستة وثلاثون ألف سنة

هي ألف وعشرون كوكباً<sup>(١)</sup>.

وقال في جامع الفنون عدد الكواكب الثابتة لا يعلمها إلا الله تعالى، إلا أن الحكماء ضبطوا منها ألفاً واثنين وعشرين كوكباً، وقيل غير ذلك في مدة عمر الدنيا، والله أعلم.

واعلم أن أشراف الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

قسم ظهر وانقضى وهي الأمارات البعيدة .

وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في ازدياد حتى إذا بلغ الغاية ظهر.

القسم الثالث وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة، وأنها تتابع كنظام خرز انقطع سلكها، فمن ثم جَعَلَتْ أمارات الساعة في ثلاثة أبواب.

\* \* \*

(١) هذه كلها تخرصات وأقوال مرسله لا دليل عليها من قرآن أو سنة صحيحة، والصواب فيها ما ذكره المصنف رحمته الله في أوله أن علم ذلك عند الله وحده.

## الباب الأول

### في الأمارات البعيدة التي ظهرت وانقضت

وهي كثيرة جداً منها موت النبي ﷺ وهو أعظم المصائب في الدين ومن ثم قال ﷺ : «إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبتيه بي فإنكم لم تصابوا بمثلي أبداً»<sup>(١)</sup> وقال الشاعر وأحسن:

اصبر لكل مصيبة وتجدد      واعلم بأن المرء غير مخلد  
وإذا أصبت بنكبة فاصبر لها      واذكر مصابك بالنبي محمد  
وقال الآخر:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا      فسليت نفسي بالنبي محمد  
وقلت لها إن المنايا سبيلنا      فمن لم يمتم في يومه مات في غد

وموت النبي ﷺ أول فتح باب الاختلاف حين قالوا: منا أمير ومنكم أمير. عن عوف بن مالك رفعه: «اعدد بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس»<sup>(٢)</sup> وأخرج نحوه الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً: وفي الصحيح: «ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٦٧ / ٧) رقم ٦٧١٨ آخره بلفظ: «فإنها أعظم المصائب عنده» عن عبد الرحمن بن سابط عن أبيه وعبد الرزاق (٣ / ٥٦٤) رقم ٦٧٠٠ باختلاف في آخره، والبيهقي في شعب الإيمان (٧ / ٢٣٩) رقم ١٠١٥٣ .

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٠٠٥ بلفظ: «اعدد ستاً»، والطبراني في الكبير (١٨ / ٤٢) رقم ٧٢ .

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦ / ١٠) رقم ٣٣٧٨ ، وأحمد (٣ / ٢٦٨) رقم ١٣٨٥٧ بلفظ: «ما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا»، والترمذي (٥ / ٥٨٨) رقم ٣٦١٨ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث غريب صحيح .

ومنها: قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد صح أنه رضي الله عنه ذكر فتنة فمر عثمان رضي الله عنه فقال: «هذا يومئذ على الهدى»<sup>(١)</sup> وقال لعثمان: «إن الله مقمصك قميصاً - أي موليك الخلافة - فإن أراذك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني»<sup>(٢)</sup>. وقال حذيفة رضي الله عنه: أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال. زاد ابن عساكر في روايته: «والذي نفسي بيده ما من رجل في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلا اتبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره»<sup>(٣)</sup>.

وملخص قصة قتله رضي الله عنه أنهم انتقدوا عليه بعض أمور منها: أنه ولي محمد بن أبي بكر رضي الله عنه مصر، فلما كان في بعض الطريق إذا بغلام عثمان على ناقته متوجهاً نحو مصر، فأتوا به فسألوه عن الخبر فلم يخبرهم، ففتشوه فلقوا معه كتاباً إلى العامل بمصر فيه: إنك تقتل محمداً، فرجع محمد إلى المدينة، فاجتمع عليه أربعة آلاف أوباش من مضر وتميم وغيرها، وسألوه عن الغلام والكتاب، فقال: لا علم لي به، فقالوا: إن هذا فعل مروان وعرفوا خطه، وقالوا: فادفعه لنا، فلم يفعل، فأرادوه على أن يعزل نفسه، فلم يفعل امتثالاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحاصروه فجاءت الأنصار إلى الباب، وقالوا: يا أمير المؤمنين إن شئت كنا أنصار الله مرتين، فقال: لا حاجة لي في ذلك، كفووا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليَّ عهداً وأنا

(١) أخرجه الترمذي (٥ / ٦٢٨) رقم ٣٧٠٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١ / ٤١) رقم ١١١، وأحمد (٤ / ٢٤٣) رقم ٨١٥٤، والحاكم (٣ / ١٠٩) رقم ٤٥٥٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.  
(٢) أخرجه أحمد (٦ / ٧٥) رقم ٢٤٥١٠ وليس فيه «حتى تلقاني» والحاكم (٣ / ١٠٦) رقم ٤٥٤٤ وقال: حديث صحيح على الإسناد ولم يخرجاه.  
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٤) رقم ١٤٣٧٤ وقال: فيه الأعلى بن أبي المساور، وقد ضعفه الجمهور ووثق في رواية عن يحيى بن معين والمشهور عنه تضعيفه.  
(٣) في تاريخ دمشق (٣٩ / ٤٤٧).

صائر إليه، وجاء علي كرم الله وجهه في جماعة من بني هاشم، يريد نصره، فقال عثمان رضي الله عنه: كل من لي عهد في ذمته يكف عن القتال، فأخذ علي عمامته - أي عمامة نفسه رضي الله عنه - فرمى بها في صحن داره وقال: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] ومنعوه الماء العذب، فأرسل عليّ الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر في فئة من بني هاشم بثلاث قرب من الماء، فحالوا دونهم، فحملوا عليهم حتى جرح الحسن أو الحسين رضي الله عنهما، فسال الدم على وجهه وأوصلوه الماء، فلما رأوا ذلك خافوا بني هاشم وتركوا الباب، ونقبوا البيت من ظهره، وكان عنده في الدار عبيده الكثيرون، فأرادوا أن يمنعوا عنه، فقال: من أغمد سيفه فهو حر، ومنعهم من ذلك، وكان ممن دخل عليه الدار محمد بن الصديق رضي الله عنه، فذكر له عثمان بعض مناقبه في الإسلام وقال: أنشدك الله ألم تعلم ذلك؟ فيقول محمد: نعم، ثم قال: والله يابن أخي لو رأى أبوك مكانك لساءه ذلك، فبكى محمد وخرج، ولم يحدث شيئاً، ثم دخل عليه جماعة فقتلوه في أوسط أيام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين من الهجرة عن ثمان وثمانين سنة من مولده، وقيل عن تسعين، ورجحه النووي في تهذيبه وقيل اثنان وثمانون، وحكى الواقدي فيه الاتفاق، وكان ذلك يوم الجمعة وقيل ليلة الجمعة، وقيل يوم الأربعاء، قيل: لثمان عشر من ذي الحجة، وقيل: يوم التروية، وقيل: لليلتين بقيتا من ذي الحجة، وقيل: أوسط أيام التشريق كما ذكرناه آنفاً، وقيل: أكثر من ذلك، وقيل: أقل، قال ابن عبد الدائم البرماوي: وكان يومئذ صائماً، يروى أنه كان يقرأ في المصحف فوقعت قطرة من دمه أو قطرات على قوله تعالى: ﴿نَسِيكَ اللَّهُ وَهُوَ السَّعِيءُ الْمَكِيدُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

واختلفوا فيمن باشر قتله، فقال كثير: لا يعرف وقيل: الأسود النخشي من مصر، وقيل: جبلة بن الأيهم من مصر، وقيل: سودان بن

حمدان، وقيل: رومان اليماني، ورومان رجل من بن أسد بن خزيمة، وقيل: قتله اثنان، وقيل غير ذلك، وقال ابن باطش في كتاب «مزيل الشبهات» فيما نقله السيوطي في «تنوير الحلك» عن عبد الله بن سلام قال: أتيت عثمان وهو محصور فقال: مرحباً يا أخي، رأيت رسول الله ﷺ في هذه الخوخة فقال: يا عثمان حصروك؟ قلت: نعم، قال: عطشوك؟ قلت: نعم، فأدلي لي دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى أنني الآن لأجد برده بين ثديي وبين كتفي، فقال: إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده، فقتل ذلك اليوم.

وفي «الإشاعة» للبرزنجي أن عثمان رضى رأى في ليلة يوم قتل فيه النبي ﷺ فقال له: «يا عثمان أفطر عندنا» فأصبح صائماً وقتل هو صائم، وهو من المقطوع لهم بالجنة.

ومنها: وقعة الجمل روى الحاكم عن علي وطلحة رضى أن رسول الله ﷺ قال للزبير: «أتحب علياً؟ أما إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت له ظالم»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد والحاكم عن عائشة رضى أنه ﷺ قال لها: «كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب حوآب»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البزار بسند رجاله ثقات عن ابن عباس رضى أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أيتكن صاحبة الجمل الأدب - أي بهمة مفتوحة ومهملة وبمحدثين الأولى مفتوحة - فتخرج حتى تنبها كلاب حوآب، يقتل عن

(١) روى الحاكم (٤١٢/٣) رقم ٥٥٧٣ عن إسماعيل بن أبي حازم قال: قال علي للزبير: أما تذكر يوم كنت أنا وأنت في سقيفة قوم من الأنصار، فقال لك رسول الله ﷺ «أتحبه؟ فقلت: وما ينعني؟ قال: إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت ظالم، قال: فرجع الزبير» وقال الذهبي الحديث فيه نظر، ورواه بنحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٩/١٨).

(٢) أخرجه الحاكم (١٢٩/٣) رقم ٤٦١٣، وأحمد (٥٢/٦) رقم ٢٤٢٩٩، وابن حبان في صحيحه (١٢٦/١٥) رقم ٤٦١٣، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٢/٨) رقم ٤٨٦٨.

بمينها وعن شمالها قتلى كثيرة، وتنجو بعدما كادت»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن أبي رافع أن النبي ﷺ قال لعلي: «سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال: فأنا أشقاهما يا رسول الله، قال: لا ولكن إذا كان ذلك فاردها إلى مأمئها»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أبو نعيم عن طاوس - هذا مرسل - بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أيتكن تنبجها كلاب حوآب فضحكت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا متعجبة فقال: انظري لا تكوني أنت يا حميراء»<sup>(٣)</sup> والحوآب: بفتح المهملة وسكون الواو وبعدها همزة ثم موحدة هو ماء لبني عامر كما تعرفه:

وملخص وقعة الجمل: على ما ذكره الحافظ ابن حجر ملتزماً صحة ذلك أو تحسينه هو: أنه لما كان الغد من قتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خرج علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومعه سفيان الثقيفي، فدخل المسجد فإذا جماعة على طلحة، فخرج أبو جهم ابن حذيفة فقال: يا علي ألا ترى؟ فلم يتكلم، ودخل بيته فأتى بشريد فأكل ثم قال: يقتل ابن عمي ويغلب على ملكه، فخرج فأتاه الناس وهو في سوق المدينة فقالوا له ابسط يدك، فقال: حتى يتشاور الناس، فقال بعضهم: لئن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يقم بعده قائم لم يؤمن الاختلاف وفساد الأمة، فأخذ الأكثر بيده فبايعوه، وذهب إلى بيت المال ففتحه، فلما تسامع الناس بذلك تركوا طلحة، فلم يعدلوا به طلحة ولا غيره، ثم أرسل

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧ / ٥٣٨) رقم ٣٧٧٨٥ ، باختصار ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٤٧٤) رقم ١٢٠٢٦ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه أحمد (٦ / ٣٩٣) رقم ٢٧٢٤٢ ، والطبراني (١ / ٣٣٢) رقم ٩٩٥ ، وذكره الهيثمي (٧ / ٤٧٤) وقال رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات .

(٣) أخرج نعيم بن حماد في «الفتن» (١ / ٨٤) رقم ١٨٩ عن طاوس أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أيتكن التي تنبجها كلاب ماء كذا وكذا، إياك يا حميراء يعني عائشة» .

إلى طلحة والزبير فبايعاه، ثم إنهما ندما على خذلان عثمان فطلبوا منه أن يقتل قتلة عثمان، فلم يجبهما، وذلك لأن قاتله كان غير معلوم، أو كان ينتظر أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه إن قلنا أن قاتله معلوم، أو ترك ذلك لما علم أنه يترتب عليه فتنة واختلاف كلمة المسلمين، ثم إن طلحة والزبير أستاذنا علياً في العمرة، فأخذ عليهما العهود وأذن لهما، فلقيا عائشة رضي الله عنها فاتفقا معها على الطلب بدم عثمان، وكان يعلى بن أمية عامل عثمان على صنعاء وكان عظيم الشأن عنده، وكان متمولاً، فقدم حاجاً فأعانهما بأربعمائة ألف دينار، وحمل سبعين رجلاً من قريش، واشترى لعائشة جملاً يقال له عسكر بثمانين ديناراً، وقال ابن عبد البر: بماتني دينار.

قال القرطبي في (التذكرة): وهو أصح، انتهى فكان علي رضي الله عنه يقول: أتدرون ممن ابتليت؟ بأطوع الناس في الناس عائشة، وأدهى الناس طلحة، وأشد الناس الزبير، وأثرى الناس يعلى بن أمية، فتوجهوا إلى البصرة فنزلوا بعض مياه بني عامر، فنبحت الكلاب، فقالت عائشة أي ماء هذا؟ قالوا الحوآب، قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال لها الزبير: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم، فقدموا البصرة فتعجب الناس وسألوهم، عن مسيرهم فذكروا أنهم خرجوا غضباً لعثمان وتوبة لما صنعوا من خذلانه، وقبضوا على عامل عليّ عليها ابن الأحنف، فأقبل عليّ لما سمع بخروجهم من المدينة ومعه تسعمائة راكب، فنزل بذي قار، فبلغه أن أهل البصرة اجتمعوا لطلحة والزبير، فشق ذلك على أصحابه فقال: والذي لا إله غيره لنظهن على أهل البصرة ولنقتلن طلحة والزبير، وبعث ابنه الحسن رضي الله عنه وعماراً رضي الله عنه إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فدخلوا المسجد وصعدا المنبر فكان الحسن في أعلى المنبر، وقام عمار أسفل منه، فتكلم عمار وقال: إن أمير المؤمنين بعثنا إليكم نستنفركم، فإن أمنا - يعني عائشة

ﷺ - قد سارت إلى البصرة، واللّه إني أقول لكم هذا وواللّه إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن اللّه ابتلانا ليعلم إياه نطيع أو إياها، وقال الحسن ﷺ: إن أمير المؤمنين يقول: إني أذكر اللّه رجلاً رعى لله حقاً إلا نفر، فإن كنت مظلوماً أعاني، وإن كنت ظالماً أخذ مني، واللّه إن طلحة والزبير لأول من بايعاني ثم نكثا، ولم أستأثر بمال ولا بدلت حكماً، فخرج إليه اثنا عشر ألف رجل، ولما قدم علي ﷺ قام إليه قيس بن سعد بن عبادة ﷺ وابن الكواء فقالا: أخبرنا عن مسيرك أوصية أوصاك به رسول اللّه ﷺ أم رأي رأيته؟ فقال: أما واللّه لئن كنت أول من صدق رسول اللّه ﷺ فلا أكون أول من كذب عليه، واللّه لئن يكون عهد من رسول اللّه ﷺ إلي فلا، ولكن ما مات رسول اللّه ﷺ فجأة، ولا قتل قتلاً، ولكن مكث في مرضه أياماً وليالي، وكل ذلك يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيقول مروا أبا بكر فليصل بالناس، ولقد تركني وهو يرى مكاني، وما كنت غائباً ولو عهد إليّ شيئاً لقيت به، حتى إن امرأة من نسائه ﷺ - أي وهي عائشة ﷺ - عارضت في ذلك فقالت: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس، فلو أمرت عمر فليصل بالناس، فقال: «إنكن صواحب يوسف»<sup>(١)</sup> فلما قبض رسول اللّه ﷺ نظرنا، فإذا رسول اللّه ﷺ قد ولاه أمر ديننا فوليناه أمر دنيانا، فبايعته في المسلمین ووفيت بيعته، ثم بايعت عمر ﷺ ووفيت بيعته، ثم بايعت عثمان ووفيت بيعته، فعدا الناس عليه فقتلوه، وأنا معتزل عنهم ثم ولوني، ولولا الخشية على الدين ما أجبتهم، ثم وثب فيها من ليس سابقته كسابقتي، ولا قرابته كقرابتي، ولا علمه كعلمي - يعني معاوية - قالوا: صدقت، فأخبرنا عن قتالك لهذين صاحبيك في بدر والحديبية وأحد، وأخويك في الدين والسابقة والهجرة؟

(١) رواه البخاري رقم ٦٦٤ .

- يعني طلحة والزبير - فقال: إنهما بايعاني بالمدينة، وخلعاني بالبصرة، ولو أن رجلاً ممن بايع أبا بكر خلعه لقاتلناه، أو أن رجلاً ممن بايع عمر خلعه لقاتلناه، والله أعلم.

ثم إن علياً عليه السلام دعاهم ثلاثة أيام بعد أن اصطف الفريقان، حتى إذا كان اليوم الثالث دخل عليه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضوان الله عليهم فقالوا: قد أكثرنا فينا الجراح، وذلك أن قتلة عثمان كانوا متفرقين في العسكرين، فخشوا أن يصطلحوا على قتلهم، فأنشبو الحرب، فتساب صبيان العسكر ثم تراموا، ثم تبعهم العبيد، ثم السفهاء، فصلى عليٌّ ركعتين ودعا ربه ثم قال: إن ظهرتم على القوم فلا تطلبوا مديراً، ولا تجهزوا على جريح، وانظروا ما حضرت به الحرب من آية فاقبضوه، وما كان سوى ذلك فهو لورثتهم ونادي علي الزبير عليه السلام فقال: تعال ولك الأمان، فخلابه وقال: أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأنت تلاوي يدي: «لقاتلته وأنت له ظالم ثم لينصرون عليك»<sup>(١)</sup> فقال: ذكرتني شيئاً أنسانيه الدهر، لا جرم لا قاتلتك، فقال له ابنه: ما جئت للقتال إنما جئت للصلح فأعتق غلامك، ووقف فأعتق غلامه ووقف، فلما رأى الحرب نشبت وأيس من الصلح خرج عن العسكرين فغلب أصحاب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفاً، وقتل طلحة عليه السلام، ثم جمع الناس وبايعهم، وانتهى عبد الله بن يزيد بن ورقاء الخزاعي إلى عائشة وهي في اليهودج فقال: يا أم المؤمنين أتعلمين أنني أتيتك عندما قتل عثمان، فقلت: ما تأمريني؟ فقلت: الزم علياً، فسكتت، فقال: اعقروا الجمل، ففقروه، فنزل محمد بن أبي بكر عليه السلام ورجل آخر،

(١) ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٤٧)، رقم ١٤١٧، ١٤١٨ وقال: هذا حديث

فاحتملا هودجها فوضعه بين يدي علي كرم الله وجهه، فأمر بها فأدخلت بيتاً ولم يعنفها ولم يوبخها وأكرمها وردها إلى المدينة.

وقال في (التذكرة) روى أبو جعفر الطبري قال: لما خرجت عائشة رضي الله عنها من البصرة طالبة المدينة بعد انقضاء الحرب جهزها علي كرم الله وجهه جهازاً حسناً، وأخرج معها من أراذه للخروج، واختار لها أربعين امرأة معروفات من نساء البصرة، وجهز معها أخاها محمداً، وكان خروجها من البصرة يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها على أميال وأمشى بنيه معها يوماً. انتهى.

وذكر الحلبي أن علياً ألبس النساء في زي الرجال وقال لأهل البصرة: إنها امرأة نبيكم في الدنيا والآخرة رضي الله عنها، انتهى.

قال في (الإشاعة) ولما وليّ الزبير - يعني حين القتال - تبعه عمرو ابن جرموز فقتله، وجاء بسيفه إلى علي فأخذه فنظر إليه وقال: أما والله لرب كربة قد فرّجها صاحب هذا السيف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وذكر في (التذكرة) عن الزبير رضي الله عنه أنه لما قال له علي ما قال: قال: اللهم إني ما ذكرت هذه إلا الساعة، وثنى عنان فرسه لينصرف، فقال له ابنه عبد الله رضي الله عنه إلى أين؟ قال: أذكرني علي كلاماً قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: كلا ولكنك رأيت سيوف بني هاشم حداداً يحملها رجال شداد، قال له: ويحك تعيرني بالجبن، هلم الرمح فأخذ الرمح وحمل في أصحاب علي، فقال علي: أفرجوا للشيخ فإنه محرج، فشق الميمنة والميسرة والقلب ثم رجع وقال لابنه: لا أم لك يفعل هذا جبان؟ وانصرف، وقامت الحرب على ساق، وبلغت النفوس التراق، واشرب البلاء، وهدرت الدماء حتى ملأت القتلى ذلك الفلا، ثم فرجت عن ثلاثة وثلاثين ألف قتيل، وقيل سبعة عشر ألفاً فيهم من الأزدي أربعة آلاف، ومن ضبة ألف ومائة، وباقيهم

من سائر الناس كلهم من أصحاب عائشة رضي الله عنها ، وقتل فيها من أصحاب علي نحو من ألف رجل ، وقيل أقل ، وقُطِعَ على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة كلما قطعت يد رجل أخذ الزمام آخر وهو ينشد :

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل  
والموت أشهى عندنا من العسل

وكانت الراية على الجمل ، وكانوا قد ألبسوه الأدرع وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى قريب العصر لعشر ليال خلت من جمادى الثاني سنة ست وثلاثين .

قال في «الإشاعة» : واستأذن علي عليّ كرم الله وجهه ابن جرموز فأبطأ عليه الإذن ، فقال أنا قاتل الزبير ، فقال علي : أبقتل ابن صفية تفتخر؟ فلتتبوا بالنار ، إنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «قاتل ابن صفية في النار»<sup>(١)</sup> قال : وجاء عمر بن طلحة رضي الله عنه علياً كرم الله وجهه فقال : مرحباً بابن أخي إني لم أقبض ما لكم لأخذه ولكن خفت عليه من السفهاء ، فخذ مالك إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَيْلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقْتَدِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧] ثم أمر ابن عباس رضي الله عنه على البصرة وانصرف إلى الكوفة .

وعن عروة بن الزبير قال : قلت لعائشة من كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : علي بن أبي طالب - يعني بعد الصديق - لما في الصحيحين «أنه أحب الرجال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(٢)</sup> قال : عروة فقلت ما

(١) روى الحاكم (٣ / ٤١٤) رقم ٥٥٧٨ عن مسلم بن نذير قال : «كنا عند علي رضي الله عنه فجاء ابن جرموز يستأذن عليه ، فقال علي : أبقتل ابن صفية تفتخر؟ انذوا له وبشروه بالنار . . .» .

ونحوه ابن عساکر في تاريخ دمشق (١٨ / ٣٧١) .

(٢) أخرجه البخاري رقم ٤٣٥٨ ، ومسلم رقم ٢٣٨٤ .

سبب خروجك عليه؟ قالت: لم تزوج أبوك أمك؟ قلت: ذلك من قدر الله قالت: وكان ذلك من قدر الله، والله أعلم.

ومنها: وقعة صفين، وما أدراك ما وقعة صفين؟ قد صح عن سيد المرسلين «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة»<sup>(١)</sup>.

وعن عطاء بن السائب قال: حدثني غير واحد أن قاضياً من قضاة الشام أتى عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين رأيت كأن الشمس والقمر يقتتلان، والنجوم معهما نصفين قال: فمع أيهما كنت قال: مع القمر على الشمس فقال عمر: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]. انطلق فوالله لا تعمل لي عملاً أبداً، قال عطاء: فبلغني أنه قتل مع معاوية يوم صفين.

وملخص الواقعة: أنه لما قتل عثمان رضي الله عنه وبويع علي أرسل إلى معاوية أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون وينعزل عن العمل، وكان عاملاً لعمر ثم لعثمان على الشام، وكان يرجو أن يبقية علي على عمله، وقد كان الحسن بن علي وابن عباس وغيرهما أشاروا عليه بإبقائه على الشام حتى يأخذ له البيعة ثم يفعل فيه ما شاء، فقال علي: هيهات لو علمت أن المداهنة تنفعني في دين الله لفعلت، ولكن الله لم يرض لأهل القرآن بالمداهنة، فبلغ معاوية فحلف إنه لا يلي لعلي عملاً أبداً، وكان عمرو بن العاص على مصر فعزله أيضاً فاجتمع عمر ومعاوية واتفقا على الخروج.

وقد أخرج الطبراني عن شداد بن أوس مرفوعاً: «إذا رأيتم معاوية

(١) أخرجه البخاري رقم ٧١٢١، ومسلم رقم ١٥٧ عن أبي هريرة.

وعمر بن العاص معاً ففرقوا بينهما»<sup>(١)</sup> وكان شداد إذا رآهما جالسين على فراش جلس بينهما، ولما فرغ علي من وقعة الجمل ورجع إلى الكوفة أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس فامتنع، فقال له أبو مسلم الخولاني: أنت تنازع علياً في الخلافة وأنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فأتوا علياً فقولوا له: يدفع لنا قتله عثمان، فأجاب معاوية أهل الشام، فأرسل إليه معاوية أبا مسلم يطلب بدم عثمان وأنه وليه وابن عمه، قال: يدخل في البيعة كما فعل الناس ثم يحاكمهم إلي، فتجهز معاوية من الشام وعلي من الكوفة فالتقيا بصفين فتقاتلوا قتالاً شديداً حتى بلغت القتلى ثلاثين ألفاً، قال في (التذكرة): وكان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر، وقيل تسعة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر، وقتل في ثلاثة أيام من أيام البيض وهي ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ثلاثة وسبعون ألفاً من الفريقين، ذكره الثقة العدل أبو إسحاق، وفي تلك الليالي ليلة الهرير جعل يهر بعضهم إلى بعض، - والهرير الصوت يشبه النباح - لأنهم تراموا بالنبل حتى فريت وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت، وتضاربوا بالسيوف حتى انقضبت، ثم نزل القوم يمشي بعضهم إلى بعض قد كسروا جفون سيوفهم، واضطربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد، فلا يسمع إلا غمغمة القوم والحديد في الهام، فلما

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٨٩) رقم ٧١٦١ عن شداد عن أبيه بلفظ: «أنه دخل على معاوية رضي الله عنه وهو جالس وعمر بن العاص على فراشه، فجلس شداد بينهما وقال: هل تدريان ما يجلسني بينكما؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتموهما جميعاً ففرقوا بينهما، فوالله ما اجتماعاً إلا على غدره فأحببت أن أفرق بينكما». ورواه أيضاً في مسند الشاميين (٢/ ٢٣٠) رقم ٢١٤٧.

وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/ ١٦٩) وقال: سعيد بن عبد الرحمن وأبوه مجهولان، وسعيد بن كثير ابن عفير وإن كان قد روى عنه البخاري فقد ضعفه غيره.

صارت السيوف كالمناجل، تراموا بالحجارة ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب، ثم تكادموا بالأفواه، وكسفت الشمس وثار القتام، وارتفع الغبار، وضلت الألوية والرايات، ومرت مواقيت أربع صلوات، لأن القتال كان بعد صلاتهم الصبح، واقتتلوا إلى نصف الليل، وذلك في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، قاله الإمام أحمد في تاريخه، وغيره: وكان أهل الشام يوم صفين خمسة وثلاثين ومائة وألف، وكان أهل العراق عشرين أو ثلاثين ومائة وألف، ذكره الزبير بن بكار بسنده عن محمد ابن عمرو بن العاص، وكان ممن شهد صفين وأنكى فيه وهو يقول:

فلو شهدت جل مقامي ومشهدي	بصفين يوماً شاب منها الذوائب
غدات أتى أهل العراق كأنهم	من البحر لج موجه متراكب
وجئناهم نمشي كأن صفوفنا	شهاب حريق وقعته الخبائب
فقالوا لنا إنا نرى أن تبايعوا	علياً فقلنا بل نرى أن نضارب
فطارت إلينا بالرماح كوماتهم	وطرنا إليهم الأكف القواضب
إذا نحن قلنا استهزموا عرضت	لنا كتائب منهم وارتجت كتائب
فلا هم يولون الظهور فيدبروا	فراراً كفعل الخادرات الذوائب

قال ابن شهاب: فأنشدت عائشة رضي الله عنها هذه الأبيات، فقالت: ما سمعت شاعراً أصدق شعراً منه.

قال ابن دحية أبو الخطاب: قوله: بل نرى أن نضارب، أن هنا مخففة من الثقيلة محذوفة الاسم، تقديره أننا نضارب، وقوله كفعل الخادرات أي الأسود، يقال أسد خادر كأن الأجمة له خدر، فمعناه أنهم لا يدبرون كالأسود التي لا تدبر عن فرائسها، لأنها قد ضربت بها، وذريت عليها، والذربة الضراوة يقال ذرب يذرب، ورفع الذرائب، لأنها بدل من الضمير في يدبروا هم.

قال ابن دحية: والإجماع منعقد أن طائفة الإمام علي كرم الله وجهه طائفة عدل، والأخرى بغي، هذا كلامه وقد قال النبي ﷺ لعمار بن يسار<sup>(١)</sup> حين جعل يحفر الخندق جعل يمسح رأسه ويقول «تقتلك فئة باغية لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>. رواه مسلم في صحيحه.

قال ابن عبد البر: تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال: «تقتل عمار الفئة الباغية، لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

قال في (التذكرة) وهو من أصح الأحاديث<sup>(٤)</sup>، وقال الإمام أبو المعالي في (الإرشاد)، فصل: علي ﷺ كان إماماً حقاً في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه، وحسبك بقول سيد المرسلين لعمار «تقتلك الفئة الباغية لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيامة»<sup>(٥)</sup> وهو من أثبت الأحاديث، ولما لم يقدر معاوية على إنكاره لثبوته قال: إنما قتله

(١) كذا بالأصل وصوابها (ياسر).

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩١٦ بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية عن أم سلمة، وليس فيه «لا أنالهم الله شفاعتي» وذكر هذه الزيادة ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢١٨) وقال: ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة، فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله ﷺ فإنه لم يقلها، إذ لم تنقل من طريق تقبل، والله أعلم.

وذكره كذلك في (٦/ ٢١٤)، وقال: وما يزيده بعض الرافضة في هذا الحديث من قولهم بعد: لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة، فليس له أصل يعتمد عليه، بل هو من اختلاق الروافض قبحهم الله.

(٣) ليس في الحديث الذي ذكره ابن عبد البر الدعاء الذي في آخره ونص ما جاء «تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال «تقتل عماراً الفئة الباغية» وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ وهو من أصح الأحاديث، الاستيعاب (١/ ٣٥٢) وانظر تخريج الحديث السابق.

(٤) الصحيح صدر الحديث، أما الدعاء المذكور فقد ذكرنا قول ابن كثير فيه، وابن عبد البر قال: إنه من أصح الأحاديث يقصد ما أخرجه مسلم وغيره، وليس فيه هذا الدعاء. انظر الاستيعاب (١/ ٣٥٢).

(٥) انظر تخريجه والكلام عليه في الحديث السابق.

من أخرجه، ولو كان حديثاً فيه شك لرده وأنكره وكذب ناقله وزوره، ولم يحتج إلى هذه الحجة الداحضة التي لا يعتمد عليها، ومن ثم ألزمه علي رضي الله عنه بقوله: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه لقتال المشركين، والله أعلم.

ولما رأى أصحاب معاوية من أصحاب علي العجز - أي عجز أصحاب معاوية عن أصحاب علي - قال عمرو لمعاوية: أرسلوا إلى علي بالمصحف فادعوه إلى كتاب الله تعالى، فإن علياً يجيبكم إلى ذلك، ففعلوا، فقال عليٌّ: نعم نحن أحق بالإجابة إلى كتاب الله تعالى، فقال القراء الذين صاروا بعد ذلك خوأناً: يا أمير المؤمنين ما تنتظر إلى هؤلاء، ألا نمشي عليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا؟ فقال سهل بن حنيف: يا أيها الناس اتهموا رأيكم فال الأمر إلى التحكيم، فحكم علي أبو موسى بعد أن أراد أن يحكم ابن عباس فمنعه أهل الكوفة، وحاكم معاوية عمرو بن العاص، فاتفق الحكمان على أن يخلع كل منهما صاحبه، وكان عمرو داهية، فقدم أبو موسى فخلع علياً، ثم قام عمرو فقال: إن أبو موسى خلع علياً وإني نصبت معاوية، فاختلف الناس وأخذ أبو موسى يسب عمرأ ويقول: إنك غدرت، فرجع عليٌّ إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام، ثم تجهز عليٌّ لقتال أهل الشام مرة بعد أخرى، فشغله أمر الخوارج، ثم تجهز في سنة تسع وثلاثين، فلم يتهياً ذلك لافتراق أهل العراق عليه، ثم وقع الجدم منه في ذلك سنة أربعين، وجعل علي مقدمته قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه وكانوا أربعين ألفاً، بايعوه على الموت، ثم قتل سيدنا علي كرم الله وجهه، وصار الأمر إلى ما قدر الله سبحانه وتعالى.

واعلم أن علياً رضي الله عنه لم تزينه الخلافة بل زانها، كما قال الإمام أحمد رضي الله عنه، وكان الناس محتاجون إلى علم علي رضي الله عنه حتى قال عمر رضي الله عنه: آه

من معضلة ليس لها أبو حسن .

وروى الإمام ابن الجوزي في «تبصرته» عن أبي صالح قال : قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة : صف لي علياً فقال : أوتعفني يا أمير المؤمنين ، فقال : بل تصفه لي ، قال : أوتعفني ، قال : لا أعفيك ، قال : أما إذ لا بد فإنه والله كان بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشِب<sup>(١)</sup> ، كان والله كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويتدنا إذا أتينا ، ويأتينا إذا دعواناه ، ونحن والله على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هية ، ولا نبتديه لعظمته ، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، ولا يطمع القوى في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، فأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله - سجوفه - وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تلملم السليم - أي الذي لدغته حية - ويكي بكاء الحزين ، فكأنني أسمعته وهو يقول : يا دنيا يا دنيا إليّ تعرضت ، أم إليّ تشوفت ، هيهات هيهات ، غري غري قد بتتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، أه من قلة الزاد وبعد السفر ، ووحشة الطريق ، قال : فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، ثم قال معاوية : رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال حزن من ذبح ولدها في حجرها ، فلا ترقأ عبرتها ، ولا تسكن حسرتها ،

(١) طعام جَشِبَ ومَجْشُوبٌ : أي غليظ خشن بَيْنُ الجُشُوبَةِ إذا أسى طحنه حتى يصير مغلقاً ، وقيل هو الذي لا أذم له . لسان العرب/ مادة : جشِب .

ولله در القائل:

أهوى علياً وإيماني محبته      كم مشرك دمه من سيفه وكفأ  
إن كنت ويحك لم تسمع مناقبه      فاسمع مناقبه من هل أتى وكفى

قال البرزنجي في «الإشاعة»: عن يزيد بن الأصم قال: سئل علي كرم الله وجهه عن قتلى يوم صفين، فقال: قتلنا وقتلهم في الجنة، ويصير الأمر إلي وإلى معاوية، وتقدم ما رأى عمر بن عبد العزيز من أن علياً ومعاوية أدخلتا بيتاً وأجيف عليهما، ثم خرج وهو يقول قضى لي ورب الكعبة، فلم يلبث أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة، وقال علي عليه السلام أن الله جعل قتلنا إياهم يعني أصحاب معاوية كفارة لذنوبهم، وقال: من كان يريد وجه الله منا ومنهم نجا، قال في «الإشاعة» ذكر ابن عساكر أن رجلاً جاء إلى أبي زرعة الرازي فقال: إني أبغض معاوية، قال: لم؟ قال: لأنه قاتل علياً بغير حق، قال أبو زرعة: رب معاوية رب رحيم وخصمه خصم كريم، فما دخولك بينهما؟.

واعلم أن الواجب على كل مسلم اعتقاده حسن الظن بالصحابة عليهم السلام والكف عما وقع بينهم، فالخائض في ذلك خائب، والمتعرض لشتمة أحد منهم كاذب، فهم عليهم السلام معذرون باجتهادهم، لمصيبهم أجران، ولمخطئهم أجر واحد، وما أحسن قول القائل:

ونسكت عن حرب الصحابة فالذي      جرى بينهم كان اجتهاداً محرماً  
فقد جاء في الأخبار أن قتلهم      وقتلهم في جنة الخلد خلداً

ومنها: وقعة نهر وان. أخرج ابن جرير عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب فقلنا: يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت تقاتل المسلمين؟ فقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتال ثلاثة الناكثين

والقاسطين والمارقين»<sup>(١)</sup> فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين.

وفي رواية عند الصادق عنه «عهد إلينا رسول الله ﷺ أن نقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم»<sup>(٢)</sup> يعني في وقعة الجمل وذلك لأن طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا البيعة وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين، يعني الظالمين، وأراد بهم أصحاب معاوية، لأنهم ظلموا علياً ونازعوه أمراً هو أحق الناس به عند كل منصف، والقاسط هو العادل، أي العادلين عن الحق إلى الباطل، وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين، وأراد بهم الخوارج، فإنهم مرقوا من الدين.

وعن أبي سعيد مرفوعاً «أنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود»<sup>(٣)</sup> وأحاديث الخوارج كثيرة جداً.

وملخص وقعتهم أنه لما حكم علي ومعاوية الحكيمين قالت القراء: كفر علي وكفر معاوية، فاعتزلوا أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه ونزلوا بحروراء وهم بضعة عشر ألفاً، فأرسل إليهم علي بن عباس فناشدهم الله: ارجعوا

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤ / ١٧٢) رقم ٤٠٤٩ وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢ / ٤٧٣) مرفوعاً عن أبي أيوب، وروي موقوفاً على علي، رواه الطبراني في الكبير (١٠ / ٩١) رقم ١٠٠٥٤ والأوسط (٩ / ١٦٥) رقم ٩٤٣٤ عن ابن مسعود موقوفاً على علي ورواه أبو يعلى عن علي مرفوعاً (١ / ٣٩٧) رقم ٥١٩.

وذكره الهيثمي (٦ / ٣٥٣) رقم ١٠٤٤٣ وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن كثير الكوفي وهو ضعيف، وذكر في (٧ / ٤٨١) رقم ٢٠٤٤ الموقوف وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مسلم بن كيسان الملائي وهو ضعيف.

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

(٣) أخرجه مسلم رقم ١٠٦٤ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

إلى خليفتمكم فبم نعمتم عليه؟ أفي قسمة أو قضاء؟ قالوا: نخاف أن ندخل في الفتنة، قال: فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة عام قابل، فرجع بعضهم إلى الطاعة، وقال آخرون: نكون على ناحيتنا، فإن قبل القضية يعني التحكيم قاتلناه على ما قاتلنا عليه أهل الشام بصفين، وإن نقضها قاتلنا معه، فساروا حتى قطعوا النهر وافترقت منهم فرقة يقتلون الناس، فقال أصحابهم: ما على هذا فارقنا علياً، فلما بلغ علياً صنعهم وكان متجهزاً إلى الشام قام فقال: أتسيرون إلى عدوكم أو ترجعون إلى هؤلاء الذين خلفوكم في ديارهم؟ قالوا بل نرجع إليهم فقال: ابسطوا عليهم، فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يفر منهم عشرة، فكان كذلك، فقال: اطلبوا رجلاً صفته كذا وكذا - أي وذكر من نعته أن له ثدي كثدي المرأة - فطلبوه فوجدوه على النعت الذي ذكره رسول الله ﷺ فقال رجل: الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم، فقال علي رضي الله عنه: كلا والذي نفسي بيده، إن منهم لمن في أصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد، وليكونن آخرهم لصاصاً حراذين.

وفي الإشاعة عن ابن عمر مرفوعاً: «يخرج ناس من المشرق، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما قطع قرن، نشأ قرن حتى يكون آخرهم يخرج مع المسيح الدجال»<sup>(١)</sup> وقال ابن عمر رضي الله عنهما: من قتله الحرورية فهو شهيد، وعن الحسن قال: لما قتل علي الحرورية قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً،

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٩) رقم ٦٩٥٢ وفي آخره: حتى يخرج في بقيتهم الدجال عن عبد الله بن عمرو، والحاكم (٤/ ٥٥٦) رقم ٨٥٥٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.  
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٤٣) رقم ١٠٤١٧ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

قيل: فما هم؟ قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا.

قال في «الإشاعة»: ومن بقاياهم هؤلاء القرامطة، وهم الباطنية والإسماعيلية، وفتنتهم مشهورة، أهلکوا العباد والبلاد، واللّه أعلم.

ومنها: نزول أمير المؤمنين الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية رضي الله عنه عن الخلافة.

أخرج أبو نعيم عن سفيان قال: أتيت حسن بن علي بعد رجوعه إلى المدينة فقلت له: يا هلاك المؤمنين، فكان مما احتج به علي أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع»<sup>(١)</sup> وهو معاوية فعلمت أن أمر الله واقع، قال في النهاية: السرم الدبر والضخم العظيم. ومعناه الشديد الذي يملك الأرض كلها.

قال في الإشاعة: وهو علي حقيقته فإن معاوية دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم: «أن لا يشبع الله بطنه»<sup>(٢)</sup> لأنه أرسل يطلبه يكتب فقالوا: يأكل ثم بعث آخر، فقالوا: يأكل، فدعا عليه، فكان يأكل ولا يشبع، كذا زعم.

وملخص القصة: أنه لما رجع أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه من قتال الخوارج وتجهز للشام كما مر، قتل رضي الله عنه في سابع عشر شهر رمضان وهو خارج لصلاة الصبح، قتله أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم - عليه غضب رب العالمين - كما هدم ركن الدين الأعظم وقبح الله كل من

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ١١٦) رقم ٥٦٧، وذكره ابن حجر في لسان الميزان، (٣/ ٥٣) في ترجمة سفيان بن الليل، قال عنه العقيلي: كان ممن يغلو في الرفض لا يصح حديثه، ثم قال - ابن حجر - : الخبر منكر.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٦٠٤.

مدحه، ضربه الخبيث بسيف مسموم على جبهته فأوصله دماغه، وذلك ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين، فبويع للحسن بالخلافة، ولم يُظْهَر أحد في الكوفة خلافة، فسار الحسن عليه السلام إلى معاوية بكتائب أمثال الجبال يريد الشام، وخرج إليه معاوية يريد الكوفة، وأرسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة إلى الحسن رضي الله عنه، يطلب الصلح، فقال الحسن رضي الله عنه: إني أحقن دماء المسلمين وأنزل عن الخلافة لمعاوية، ولكن إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال - أي جبلنا على الكرم والتوسعة على أتباعنا حتى صار لنا عادة فلا نقدر على القلة - وإن هذه الأمة قد عاشت في دمائها أي العسكرين الشامي والعراقي - وقد قتل بعضهم من بعض، فلا يكفون إلا بالصفح وعدم الانتقام، قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك قال: فمن لي بهذا؟ قالوا: نحن لك به، فكتب إليه معاوية أن اطلب ما شئت، واشطرط، فإني أفي لك بذلك، وأرسل إليه ورقا بياضاً وختم في أسفله، وقال: اكتب ما شئت، فشرط الحسن رضي الله عنه أشياء منها أن يكون له بيت مال الكوفة، وأن يكون له خراج دارم مجرد<sup>(١)</sup>، وأن تكون الخلافة بعد معاوية له ولأخيه الحسين، وفي رواية للمسلمين يولون من شاءوا، وأن لا يتعرض لأهل العراق ولا ينتقم منهم، فنزل الحسن وبايعه، فقال معاوية تكلم يا حسن، فقام فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بأخرنا، وإن معاوية نازعني أمراً أنا أحق به منه، وإني تركته حقناً لدماء المسلمين وطلباً لما عند الله، فشهد جماعة من الصحابة أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للحسن إن ابني

(١) كذا بالأصل ولعلها (دارابجرد) ولاية بفارس ينسب إليها كثير من العلماء، ودارابجرد قرية من كورة اصطخروها معدن الزئبق، ودارابجرد أيضاً موضع بنيسابور. معجم البلدان لياقوت الحموي (٤١٩/٢).

هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، يكون بينهما مقتلة عظيمة<sup>(١)</sup> وسميت تلك السنة سنة الجماعة، لاجتماع الناس ورفع القتال من بينهم، والله أعلم.

ومنها: ملك بني أمية، فهم الذين بدلوا الخلافة ملكاً، وأظهروا في الإسلام ما لا ينبغي أن يحكى، فيا له من ملك كان لأهل الدين والصلاح أذل وأنكى، فبعد معاوية ما ولي فيهم صالح سوى الخليفة التقي عمر بن عبد العزيز، قيل والناقص، نعم معاوية بن يزيد كان عبداً صالحاً قدس الله روحه، ما كان أتقاه، وأما أبوه فكان ما أشقاه.

وعن علي كرم الله وجهه: لكل أمة آفة وآفة هذه الأمة بنو أمية، وقال أبو ذر رضي الله عنه: إذا بلغت بنو أمية أربعين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دخلاً وكتاب الله دغلاً وفي لفظ: ومال الله نحلاً وكتاب الله نقلاً.

وعن عمرو بن مرة الجهني قال: استأذن الحكم بن أبي العاص على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال: «اذنوا له حية أو لدحية، لعنة الله عليه وعلى كل من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم»<sup>(٢)</sup>.

قال في (الإشاعة) وهذا الاستثناء إشارة إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأمثاله منهم، انتهى.

ويروى أنه قال: يعظمون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق.

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٧٠٤ بلفظ «ولعل الله أن يصلح» بدل وسيصلح وليس فيه (يكون) بينهما مقتلة عظيمة) وهذه الزيادة وردت في حديث آخر رقم ٣٦٠٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/ ٥٢٨) رقم ٨٤٨٤، وذكر له شاهداً بعده وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: الرشدني ضعفه ابن عدي، وأخرجه بنحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٧٠) وقال: سليمان كوفي ضعيف.

ومن جملة ما وقع في زمنهم ما وقع في زمن أشقاهم يزيد، لا زال غضب الباري عليه يزيد، من قتله السبط الشهيد، وريحانة رسول الملك المجيد، الإمام أمير المؤمنين حسن بن علي عليهما السلام، وهو بقية الخلفاء الراشدين، فإنه ولي الخلافة ستة أشهر وهي بقية مدة الخلافة التي أخبر بها المصطفى ﷺ<sup>(١)</sup> ثم نزل لمعاوية عنها فصارت ملكاً كما مر، وسبب ذلك أن يزيد زاده الله بعداً من رحمته، أرسل إلى زوجة سيدنا الحسن جعدة الكندية أن تسمه ويتزوجها، وأرشاها بمائة ألف درهم، ففعلت فمرض أربعين يوماً، وجهد به أخوه الحسين رضي الله عنه أن يخبره بمن سمه فأبى وقال: الله أشد نقمة، وأجد كبدي تقطع، وإني لعارف من أين دهيت، يشير إلى أنه من قبل يزيد، ثم قال لأخيه رضي الله عنه: فبحقي عليك لا تكلمت في ذلك شيء، وأقسم عليك ألا تريق في أمري محجمة دم، وقال له: إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك فيخرجوك، والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة، وقد كنت طلبت من عائشة أن أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله فأجابت، فإذا مت فاطلب منها، وما أظن القوم يعني بني أمية إلا يمنونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم وادفني عند أمي فاطمة عليها السلام بالبقيع، فمات رضي الله عنه بعد أربعين يوماً، والأكثرون كما في (الإشاعة) أنه سنة خمسين، فلما مات سأل الحسين رضي الله عنه عائشة رضي الله عنها فقالت: نعم حباً وكرامة، فمنعهم عدو الله مروان، وكان إذ ذاك أمير المدينة من قبل معاوية هو ومن معه من بني أمية، فلبس الحسين ومن معه من بني هاشم السلاح وقالوا: نقاتل فقال: أبو هريرة رضي الله عنه: لا يمنعه إلا ظالم، والله إنه لابن

(١) أخرج أبو داود رقم ٤٦٤٦ عن سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء». وأخرجه الطبراني في الكبير (٧ / ٨٤) رقم

رسول الله ﷺ ثم قال للحسين: لا تكن أول من ترك وصية أخيك، فقد وذاك بعدم القتال، فما زال به حتى رده، ودفنوا الحسن بالقيع عند أمه ﷺ، وأرسلت جعدة الكندية عليها غضب رب البرية إلى يزيد تطلبه لما وعداها به، فأبى ولم يتزوجها، وقال: كيف آمنك على نفسي وقد قتلت ابن بنت رسول الله ﷺ؟ ففسرت الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

ومما وقع في زمن يزيد العنيد قتله سيدنا الحسين ﷺ .

ذكر في (الإشاعة) عن حضرة صاحب الرسالة أنه قال ﷺ: «أمسك يا معاذ واحص» فلما بلغت خمساً - يعني من الخلفاء - قال يزيد؟ لا بارك الله في يزيد نعي إليّ حسين وأتيت بترته وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهرائي قوم لا يمنعوه وفي لفظ: «لا ينصروه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلط عليهم شرارهم، والبسهم شيعاً»<sup>(١)</sup>. كذا في (الإشاعة).

قلت: وهذا حديث موضوع، فالعجب منه كيف لم ينبه عليه فقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات بلفظ خرج علينا رسول الله ﷺ مرعوباً متغير اللون فقال: «نعت إلى نفسي» وذكر كلاماً طويلاً ثم قال: «أمسك واحص وتنفس الصعدا»، ثم قال: «يزيد، لا بارك الله في يزيد الطعان اللعان، أما إنه نعي إلى حبيبي حسين، أتيت بترته وأريت قاتله، أما إنه لا يقتل بين ظهرائي قوم لا ينصروه إلا عمهم الله بعقابه أوقال: بعذابه. قال ابن الجوزي هذا حديث موضوع واتهم بوضعه الأشناني فليعلم».

وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها «أن جبريل - وفي رواية: - ملك القطر جاء إلى النبي ﷺ فأخبره أن الحسن مقتول وأراه من تربة الأرض

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٢٠) رقم ٢٨٦١، وحكم المصنف عليه بالوضع.

التي يقتل فيها فأعطاه لأم سلمة وأخبرها أن يوم قتله يتحول دماً فكان كذلك وشم ﷺ ذلك فقال: ربح كرب وبلاء»<sup>(١)</sup>.

وملخص القصة أنه لما توفي الحسن رضي الله عنه أخذ معاوية البيعة ليزيد من أهل الشام، وجاء حجج، فأراد أن يأخذها له من أهل الحجاز من المهاجرين والأنصار، فامتنعوا وقالوا: إن كان لك رغبة فيها فهي لك وإن سئمتها فردها على المسلمين، فلما مات معاوية رضي الله عنه وبويع ليزيد بالشام وغيرها، أرسل يزيد لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين، فهرب الحسين إلى مكة خوفاً على نفسه، فأرسل إليه أهل الكوفة أن يأتيهم ليبايعوه، فنهاه ابن عباس رضي الله عنه وذكر له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه، وأمره أن لا يذهب بأهله، فأبى، فبكى ابن عباس وقال: واحسيناه، وقال له ابن عمر نحو ذلك فأبى، فقبل بين عينيه وقال: أستودعك الله من قتيل.

قال في (الإشاعة) وكذلك نهاه ابن الزبير، ولم يبق أحد إلا حزن لمسيره، كذا قال.

والمعروف عند أهل السير أن ابن الزبير رضي الله عنه أشار عليه بالخروج كما في (تاريخ الخلفاء) للسيوطي وغيره، وأما ابن عمر فنهاه أشد النهي، وقال له: إن رسول الله ﷺ خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة<sup>(٢)</sup> وإنك بضعة منه فلا تسألها يعني الدنيا، فأبى فاعتقه وبكى وودعه، وقال: غلبنا حسين بالخروج ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، وكلمه في ذلك

(١) روى نحوه الحاكم في المستدرک (٤/ ٤٤٠) رقم ٨٢٠٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وابن عساکر في تاریخ دمشق (٤/ ١٩٢).

(٢) يشير إلى ما أخرجه البخاري رقم ٣٩٠٤ ومسلم ٢٣٨٢.

أيضاً جابر بن عبد الله، وأبو سعيد، وأبو واقد الليثي، فلم يصغ لأحد منهم وصمم على الخروج إلى العراق، فقال له ابن عباس: واللّه لأظنك تقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان، فلم يقبل منه، فبكى ابن عباس.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: وقال ابن عباس له: أقررت عين ابن الزبير، ولما رأى ابن عباس عبد الله بن الزبير قال له: قد أتى ما أحببت، هذا الحسين يخرج ويتركك والحجاز ثم قال:

يا لك من قنبرة بمعمر  
خلا لك الجو فيضي واصفري  
وتنقري إن شئت أن تنقري

قال: وبعث أهل العراق إليه الرسل والكتب يدعونه إليهم فخرج من مكة متوجهاً إلى العراق في عشر ذي الحجة، معه طائفة من أهل بيته رجالاً ونساء وأولاداً، ولما بلغ أخاه محمد ابن الحنفية خروجه بكى حتى ملأطستا بين يديه، وقدم أمامه مسلم ابن عقيل، فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفاً أو أكثر، وأرسل إليه يزيد اللعين ابن زياد المقبوح، وحرّضه على قتله وأخذوا مسلم بن عقيل فقتلوه، وتفرق المبيعون وسار الحسين غير عالم بذلك، فلقي الفرزدق فسأله فقال: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، فلما قرب من القادسية تلقاه من أخبره الخبر وأمره بالرجوع، فهم بالرجوع فقالت إخوة مسلم بن عقيل: واللّه لا ترجع حتى تأخذ لثارنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم، ثم سار فلقه أوائل خيل ابن زياد - زاده اللّه مقتاً - فعدل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى كربلاء، فجهز إليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل، فلما وصلوا إليه طلبوا منه النزول على حكم ابن زياد والمبايعة ليزيد، فقال: دعوني أذهب إلى يزيد، فأبى ابن زياد إلا النزول على حكمه، فقال: واللّه لا نزلت على حكمه أبداً، فقاتلوه، وكان أكثر مقاتليه المكاتبين إليه والمبايعين له - قاتلهم اللّه -

فحارب الحسين عليه السلام ذلك العدد الكثير وجلة من معه من أهله نيف وثمانون، فثبت في ذلك الموقف ثباتاً باهراً، ولولا أنهم أحالوا بينه وبين الماء مع القدر المحتوم ما قدروا عليه، ولما بلغ القتلى من أهله خمسين نادى: أما ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج يزيد بن الحارث رجاء شفاعته جده، فقاتل بين يديه حتى قتل، ثم فنى أصحابه وبقي بمفرده، فحمل عليهم حملة عمه حمزة، وصوله والده علي عليه السلام حتى قتل كثيراً من شجعانهم، فكثروا عليه وحالوا بينه وبين حريمه فصاح عليه السلام كفوا سفهاءكم عن النساء والأطفال، فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم حتى أثنىوه بالجراح، فإنه طعن إحدى وثلاثين طعنة، وضرب أربعاً وثلاثين ضربة، ومع ذلك غلب عليه العطش فسقط إلى الأرض، فحزوا رأسه، وذلك نهار الجمعة عاشر المحرم عام إحدى وستين، ولما وضع رأسه الشريف بين يدي كافر النفس ابن زياد زاده الله في دركات جهنم هبوطاً - أنشد قاطع الرأس متبجحاً بذلك، عليه غضب المالك فقال:

أوقر ركابي فضة وذهباً      إني قتلت ملكا متحجبا  
قتلت خير الناس أمأ وأبا      وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فأمر بضرب عنقه وقال: إذا علمت أنه كذلك فلم قتله؟ فخر الدنيا والآخرة، فلعنة الله عليه، ومن تأمل فيما وقع لهذين السيئين من عظيم الاتفاق انبهر، فإن جعدة سمت الحسن طلباً للمال وطمعاً في تزويج يزيد لها، فلم يحصل لها شيء من ذلك فخرت وخابت، فلا هي بزوجها ولا هي بمن طمعت فيه، وفاتها المال وأغضبت رب العباد وحرمت شفاعته النبي الهاد، وقاتل الحسين ظن أن ابن زياد يوقر ركابه فضة وذهباً، فجازاه أن ضرب عنقه ضرباً، فخر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، فنعوذ بالله من مكره ونسأله الثبوت على ذكره.

قال في (الإشاعة) والظاهر أنه إنما قتله ابن زياد لأنه مدح الحسين لا لأنه قتله، ويدل لذلك أنه جعل الرأس الشريف في طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويدخله أنفه ويتعجب من حسن ثغره، فبكى أنس بن مالك عند ذلك وقال: كان أشبههم برسول الله ﷺ وقال زيد بن أرقم: ارفع قضيبك فوالله لطلما رأيت رسول الله ﷺ يقبل ما بين شفتيه، وبكى، فأغلظ عليه اللعين ابن زياد وهدده بالقتل، فقال: لأحدثك بما هو أغلظ عليك من هذا، رأيت رسول الله ﷺ أخذ حسناً على فخذة اليمنى وحسيناً على فخذة اليسرى ثم وضع يده الكريمة على يافوخيهما ثم قال: «اللهم إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين»<sup>(١)</sup>. فكيف كانت ودعة النبي ﷺ عندك يا ابن زياد؟

قلت: وفي (التذكرة) بعد ذكر البيتين اللذين ذكرناهما وزاد فيهما:

في أرض نجد وحراء ويشربا

قال فغضب ابن زياد من قوله وقال والله ما نلت مني خيراً أبداً ولألحقنك به، ثم قدمه فضرب عنقه، فهذا من أكبر الأدلة على الخبيث أنه إنما قتله لمدحه للحسين لا لأنه قتله، ولقد انتقم الله من ابن زياد فقد روى الترمذي بسند صحيح أن رأس ابن زياد لما قتل وضع موضع رأس الحسين وإذا حية عظيمة قد جاءت، فتفرق الناس عنها، فتخللت الرءوس حتى جاءت رأس الخبيث ابن زياد فجعلت تدخل من فمه وتخرج من منخره وتدخل من منخره فتخرج من فمه، فعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨٥/٥) رقم ٥٠٣٧ باختلاف يسير، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣٦/١٤)، وذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة (٥٧٨/٢)، والهيشمي (٩/٣٦١) رقم ١٥١٤٣ وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن سليمان بن يزيق ولم أعرفه ببقية رجاله ثقات.

(٢) رواه الترمذي (٦٦٠/٥) رقم ٣٧٨٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والطبراني في الكبير (١١٢/٣) رقم ٢٨٣٢.

قلت: والذي يظهر لي أن السر في ذلك أن ابن زياد لما كان يدخل القضيبة في منخر الحسين عليه السلام عوقب بأن سلط الله عليه حية تدخل من فيه وتخرج من منخره والجزاء من جنس العمل، والله أعلم.

ولما دخل رأس الحسين قصر الإمارة بالكوفة أمر بالرأس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان، ثم أنزله وجهزه مع رءوس أصحابه وسبايا آل الحسين على أقتاب الجمال موثقين في الجبال، والنساء مكشفات الوجوه والرءوس إلى يزيد الممقوت، ولما نزل الذين أرسلهم ابن زياد بالرأس الشريف أول منزل جعلوا يشربون بالرأس الخمر، كذا في (الإشاعة). وهو بعيد جداً وفي غير (الإشاعة) بإسقاط الرأس فخرجت عليهم يد من حائط فكتبت سطرأ بدم:

**أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب**

نقله ابن حجر في (الصواعق المحرقة) وكذا في (شرح الهمزية)، وزاد بقلم من حديد، فهربوا وتركوا الرأس، ثم عادوا وأخذوه، ولما قدموا به على يزيد أقام الحريم على درج الجامع حيث يقام الأسارى والسبي، كذا في (شرح الهمزية)، ومما ظهر يوم قتل الحسين أن السماء أمطرت دماً، وأن أوانيهم ملئت دماً، وانكسفت الشمس، ورميت النجوم، واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت، وأن الكواكب ضربت بعضها بعضاً، وأنه لم يرفع حجر إلا رؤي تحته دم عبيط، وأن الرؤوس انقلبت دماً، وأن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام، قال في (شرح الهمزية) بعدما ذكر ما تقدم: ثم ظهرت فيها أي الدنيا الحمرة قال: وقيل احمرت ستة أشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك. وعن ابن سيرين أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين، قال الإمام ابن الجوزي: وحكمة ذلك أن الغضب يؤثر حمرة الوجه، والحق منزه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه على من قتل

الحسين بحمرة الأفق إظهاراً لعظم الجناية<sup>(١)</sup>، انتهى.

واعلم أن يزيد قد أذى الله ورسوله، واعتدى على أهل بيت النبوة، وفعل فيهم الأفاعيل، وقتل منهم يومئذ مع الحسين من إخوانه وأولاده وبني أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلاً.

قال الحسن البصري وما كان لهم على وجه الأرض يومئذ شبيه، ومع ذلك أوقف حرم رسول الله ﷺ موقف الأسارى وزاد بذلك عجباً وافتخاراً، فنعوذ بالله من أفعال هذا الخبيث القبيح، ونحن نعلم بالضرورة أن أذية رسول الله ﷺ كفر<sup>(٢)</sup>، وأي أذية أكبر من قتل أولاده، وسبي حرمه؟ وقد جزم بكفر يزيد جماعة من العلماء. منهم الإمام الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي، وسبقه القاضي أبو يعلى.

ونقل عن الإمام أحمد مع شدة ورعه، وصرح الجلال السيوطي بلعنه.

وقال الفتازاني: لا نشك في شأنه بل في إيمانه، فلعنة الله عليه وعلى أعوانه، وفي (شرح العقائد) له ما لفظه: والحق أن رضى يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانته أهل بيت النبي ﷺ مما تواتر معناه، وإن

(١) يقول ابن كثير في البداية والنهاية (٢٠١/٨) «ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم، وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم، وأن أرجاء السماء أحمرت، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه دم» إلى آخر ما قاله، وبالتالي فهذه أخبار غير صحيحة.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: ونحن نعلم بالضرورة أن أذية رسول الله كفر، هذا كلام فيه إجمال، وبيان ذلك أنه إن فعل ذلك المؤذي للرسول ﷺ ومراده أذيته فلا شك في كفر فاعل ذلك، وأما إن فعل ذلك من غير قصد أذيته ﷺ فلا يكفر، ويدل لذلك أخبار كثيرة منها قصة حاطب بن أبي بلتعة في الصحيحين، ومنها قصة مسطح وحسان بن ثابت فيهما أيضاً في حديث الإفك، ومن هذا أخبار كثيرة، فيحمل حينئذ على الاستحلال وكفران النعمة والله الموفق. مؤلف

كان تفاصيله أحاد، فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وعلى أعوانه.

وكتب الشيخ مصطفى ابن محب الدين الحنفي تحت قول ابن الحداد الشافعي: ونكل سريرة يزيد إلى الله قال: قلت: بل نلعنه عليه لعنة اللاعنين ولعنة الخلائق أجمعين، انتهى.

ولفظ ابن الحداد: نبرأ ممن قتل الحسين وأعان عليه وأشار به ظاهراً وباطناً، هذا اعتقادنا ونكل سريرته إلى الله، انتهى، ولم نر من ذكر هذه الواقعة إلا ولعنه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والعجب من قوم يزعمون أنهم منصفون يفتون بالترضي عن يزيد ويذوبون عنه مهما أمكن، بل بالغ بعضهم فزعم أن يزيد إنما قتل الحسين بسيف جده، فهذه لعمر الله الداهية الدهماء والمصيبة الصماء، فاعتبروا يا أولي الأبصار، ما هذا الخطأ الفاحش، والغفلة العظمى، ما أرضى هذا القائل الانتصار ليزيد العنيد حتى زعم أنه قتل ابن رسول الله بسيف جده، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

قال ابن الجوزي في كتابه «السر المصون» من الاعتقادات العامة التي غلبت على جماعة منتسبين إلى السنة أن يقولوا أن يزيد كان على الصواب، وأن الحسين أخطأ في الخروج عليه، ولو نظروا في السير لعلموا كيف عقدت له البيعة وألزم الناس بها، ولقد فعل في ذلك كل قبيح، ثم لو قدرنا صحة خلافته فقد بدت منه بواد كلها توجب فسخ العقد، من رمي المدينة ورمي الكعبة بالمناجيق، وقتل الحسين وأهل بيته، وضربه على ثنيته بالقضيب، وحمله الرأس على خشبة، وإنما يميل جاهل بالسيرة عامي المذهب يظن أنه يغيب بذلك الرافضة.

ونقل البرزنجي في «الإشاعة» والهيشمي في «الصواعق المحرقة» أن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سأله ولده عبد الله عن لعن يزيد قال: كيف لا يلعن من لعنه الله في كتابه؟ فقال عبد الله: قد قرأت كتاب الله فلم أجد فيه لعن يزيد. فقال الإمام أحمد: إن الله يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴿ الآية [محمد: ٢٢-٢٣] وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد، انتهى كلامهما.

قلت: والمحفوظ عن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلاف ما نقلنا، ففي (الفروع) ما نصه: ومن أصحابنا من أخرج الحجاج عن الإسلام، فيتوجه عليه يزيد ونحوه ثم قال: ونص أحمد خلاف ذلك، وعليه الأصحاب، ولا يجوز التخصيص باللعنة خلافاً لأبي الحسين وابن الجوزي وغيرهما.

قال شيخ الإسلام ظاهر كلام الإمام أحمد الكراهة.

قلت: والمختار ما ذهب إليه ابن الجوزي وأبو حسين القاضي ومن وافقهما، ثم وقفت على ترجمة يزيد، قبحه الملك المجيد، في كتاب «الوافي بالوفيات» فرأيت فيه ما يشعر بكفر يزيد السفيه، فمن أعظم ما رأيت من قبائحه الفظيعة وفواضحه الشنيعة، ما نقله في الكتاب المذكور عن ابن القفطي أن السبي لما ورد من العراق على يزيد خرج فلقي الأطفال والنساء، - من ذرية علي والحسين - والرءوس على أسنة الرماح وقد أشرفوا على ثنية العقاب فلما رأهم أنشأ الخبيث يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت      تلك الرءوس على شفا خيرون  
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل      فقد اقتضيت من الرسول ديونى

يعني أنه قتل بمن قتله رسول الله ﷺ يوم بدر، مثل جده عتبة، وخاله ولد عتبة ونحوهما، فجزمت حينئذ بكفر يزيد جزماً ما عليه مزيد، وعلمت

أن قائل هذا الكلام خارج عن ربة الإسلام من غير شك ولا ريب، والله تعالى أعلم.

تنبيه: ذكر القرطبي أن الذي باشر قتل سيدنا الحسين عليه السلام هو سنان ابن أبي سنان النخعي، وهو جد شريك القاضي، قال: ويصدق في ذلك قول الشاعر:

وأي رزية عدلت حسيناً غداة نشره كفا سنان

وقال خليفة ابن خياط: الذي قتل الحسين شمر ابن ذي الجوشن وأمير الجيش عمر بن سعد، وكان شمر أبرص، وأجهز عليه خولي بن زيد الأصبحي من حمير، حزر رأسه وأتى إلى عبد الله بن زياد. ومما اشتهر على السنة العامة في نواحي نابلس أن الذي قتل حسين بن علي عليه السلام هو شمر من قرية ثم يقال لها بزاريا على أميال من غربي نابلس، فلا يعلم لذلك صحة، والله أعلم.

تمة: روى الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وسط النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ويتبع ذلك فيها قال: قلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم» قال عمار: فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم<sup>(١)</sup>. قال القرطبي: وهذا مسند صحيح لا مطعن فيه، فانظر هذا المنام ما أصدقه، وانظر للذي زعم أنه قتل بسيف جده ما أحمقه.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٤٢) رقم ٢١٦٥، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٨٥) رقم ١٢٨٣٧، والحاكم (٤/ ٤٣٩) رقم ٨٢٠١ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وذكره الهيثمي (٩/ ٣١٠) رقم ١٥١٤١ وقال رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

وذكر القرطبي في (التذكرة) أن رأس حسين عليه السلام لما قتل ووضع بين يدي يزيد أمر أن يجعل في طست من ذهب وجعل ينظر إليه ويقول:

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة      وأسيافنا يقطعن كفا ومعصما  
نفلق هاماً عن رجال أعزة      علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وقد كذب عدو الله، بل هو الظالم العاق المخالف لله ورسوله، ثم إنه تكلم بكلام قبيح كأفعاله القبيحة، وأمر بالرأس أن يصلب بالشام، ولما صلب اختفى خالد بن عمران، وكان من أفاضل التابعين، فطلبوه شهراً حتى وجدوه فسألوه عن عزلته فقال: أما ترون ما نزل بنا؟ وأنشأ يقول في ذلك:

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد      متزماً بدمائه تزميلاً  
وكانما بك يا ابن بنت محمد      قتلوا جهاراً عامدين رسولا  
قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا      في قتلك التنزيل والتأويلا  
ويكبرون بأن قتلت وإنما      قتلوا بك التكبير والتهليلا

ثم بعثوا برأس الحسين عليه السلام إلى المدينة فدفنوه بالبقيع عند قبر أمه. قال القرطبي: هذا أصح ما قيل فيه، وأما المكان المعروف المشهد الحسيني من القاهرة ليس الحسين مدفوناً فيه بالاتفاق. وزعم بعضهم: أن رأسه فيه، ورد عليه بعضهم، وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فشدد النكير في ذلك، وأطال في الرد على زاعم ذلك، والله أعلم.

ومنها: وقعة الحرة، وحاصلها أنه لما صار من يزيد العنيد ما صار في حق سبط سيد العالم، أظهر ابن الزبير الخلاف على يزيد، والتجأ إلى مكة، وقام أهل المدينة فشاركوا ابن الزبير في الخلاف، وخلعوا يزيد بعد أن بايعوه وحاصروا بني أمية الذين كانوا بالمدينة، فأرسل مروان: إنا حُصِرنا ومنعنا الماء العذب فواغوثاه، فوجه إليهم يزيدُ مسلمَ بن عقبة المري - أمر

اللّه عيشه - في اثني عشر ألفاً وقال له: ادعهم ثلاثاً، فإن رجعوا وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة للجيش ثلاثاً، وأجهز على جريحهم، واتبع منزههم، فتوجه إليهم فوصل في ذي الحجة سنة ثلاث وستين، فحاربوا، وكان الأمير على الأنصار عبد الله بن حنظلة - غسيل الملائكة - وعلى قريش عبد الله ابن مطيع، وعلى غيرهم من القبائل معقل ابن سنان الأشجعي، وكانوا اتخذوا خندقاً فلما رأهم أهل الشام خافوهم وكرهوا قتالهم، فأدخل بنو حارثة قوماً من الشاميين من جانب الخندق، فلما سمعوا التكبير في جوف المدينة خافوا على أهلهم فتركوا القتال، ودخلوا المدينة فكانت الهزيمة فأباح، مسلم - لا سلمه الله - المدينة المنورة ثلاثاً يقتلون الناس، ووقعوا على النساء.

وقاتل عبد الله بن مطيع حتى قتل هو وبنون له سبعة، وبعث برأسه إلى يزيد، وقتل من وجوه الناس أكثر من سبعمائة من الأنصار، ومن قريش ومن أخلاط الناس من الموالي والعييد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف، وسبوا الذرية، واستباحوا الفروج، وأحبّلوا أكثر من ألف امرأة من الزنا، وسمى أولادهم أولاد الحرّة، وربطوا الخيل بسواري المسجد، وجالت الخيل فيه وراثت، وبالت بين القبر الشريف والمنبر، وتعطل المسجد ثلاثة أيام لم يصل فيه، وجبروا الناس على المبايعة ليزيد على أنهم عبيد له في طاعة الله ومعصيته، حتى إنه أتى بابن المسيب يبايع على ذلك. فقال: بل على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر فأمر بقتله. فقال بعض الناس: دعوه فإنه مجنون فتركوه، وكل من أبى أن يبايع على أنه عبد ليزيد في طاعة الله ومعصيته أمر بقتله، وأما زين العابدين عليه السلام فلم يتعرضوا له وسموا مسلماً هذا مسرفاً، عليه غضب الله وسخطه، ثم توجه إلى ابن الزبير، فإن يزيد قال له: إذا فرغت من أمر المدينة توجه إلى مكة، وكان مسرفاً

مريضاً فمات في الطريق، وذهب به إلى أمه الهاوية، فلعنة الله عليه، وكان من شدة كفره وضلاله يقول: اللهم إني لم أعمل بعد شهادة أن لا إله إلا الله عملاً أرجى لي من قتل أهل المدينة، ولئن دخلت النار بعدها إني لشقي.

قلت: لئن لم يدخل هذا الخبيث النار إنها لمصيبة، وأنا لا أشك في كفر هذا الخبيث<sup>(١)</sup>، فلما حضرته اللعنة وقرب هلاكه نادى حصين بن عمير وقال له أمير المؤمنين -قلت إنما هو خبيث المؤمنين يعني يزيد-: ولاك بعدي فأسرع السير ولا تؤخر قتال ابن الزبير، وأمره أن ينصب المجانيق على مكة، وقال له: إن تعوذ بالبيت فارمه، فذهب وحاصر مكة أربعاً وستين يوماً، وجرى فيها قتال شديد، ورمى البيت بالمجانيق، وأخذ رجل قبساً في رأس رمح فطارت به الريح فأحرق البيت، فجاءهم نعي يزيد، وكان بين الحرة وهلاكه ثلاثة أشهر، فلما علموا بهلاكه ذلت أهل الشام، واجترأ أهل مكة والمدينة عليهم، حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته فنكس عنها، فقال لأهل الشام بنو أمية: لا ترحلوا حتى تحملونا معكم إلى الشام، ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام فبويع لابن الزبير بالحجاز.

وبايع أهل الآفاق كلها لمعاوية بن يزيد رضي الله عنه، وكان رجلاً صالحاً، فقام خطيباً فقال: أيها الناس إن معاوية نازع هذا الأمر أهله، وخاض في دماء المسلمين، حتى غلب عليه ثم مات، فالله أعلم بما هو صائر إليه، وإن أبي يزيد نازع هذا الأمر أهله، وقتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل الحرمين، ونصب على الكعبة المجانيق، ثم مات فالله أعلم بما هو صائر

(١) في الأصل جاء بعد هذا الكلام «بل في كفر من لم يقل بكفره» إلا أن عليه ما يشبه الشطب.

إليه، وإنكم قلدتموني هذا الأمر، فوالله لا أذهب بإثمته وتذهبون بنعيمه، ولا أدخل في شيء من دماء المسلمين وأموالهم، فلزم بيته إلى أن مات رحمة الله عليه وذلك بعد أربعين يوماً، وقيل ستة أشهر، وهو آخر من تولى من بني أبي سفيان، وكان قتل الحسين ووقعة الحرة ورمي الكعبة بالمنجنيق من أعظم الشناعات التي وقعت في زمن يزيد، ثم قتله الله وجنوده وأعوانه، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

ثم بعد موت معاوية بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بايع أهل الآفاق كلها لابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانتظم له الملك بأرض الحجاز واليمن ومصر والعراق وجميع المشرق كله، وجميع بلاد الشام حتى دمشق، ولم يتخلف عن بيعته إلا بنو أمية ومن يهوى هواهم، وكانوا بفلسطين حتى إن مروان هم بالرحلة إلى مكة ليبياعه، فمنعه بنو أمية وبايعوه بالخلافة، وخرج بمن أطاعه إلى دمشق، وقاتل الضحاك بن قيس المبايع لابن الزبير، فاقتتلوا بمرج راهط فقتل الضحاك، وغلب مروان على الشام، ثم توجه إلى مصر فحاصر عامل ابن الزبير بها حتى غلب عليها في ربيع الآخر سنة خمس وستين، ومات في تلك السنة، فكانت مدته ستة أشهر، وعهد لابنه عبد الملك فقام مقامه، وكمل له ملك الشام ومصر والمغرب، ولابن الزبير ملك اليمن والحجاز والعراق والمشرق، إلا أن المختار ابن أبي عبيد غلب على الكوفة، وكان يدعو إلى المهدي من أهل البيت ويقول إنه محمد بن الحنفية، فأقام على ذلك سنتين ثم سار إليه مصعب بن الزبير - أمير البصرة - لأخيه عبد الله بن الزبير، فحاصر المختار حتى قتله في شهر رمضان سنة سبعة وستين، وانتظم أمر العراق كله لابن الزبير، فدام ذلك إلى سنة إحدى وسبعين، فسار عبد الملك إلى مصعب وقاتله حتى قتله في جمادى منها، وملك العراق كله، ولم يبق مع ابن الزبير إلا الحجاز واليمن فقط، فجهز إليه

الحجاج ابن يوسف الثقفي الخبيث عدو الله فحاصره في سنة اثنين وسبعين، إلى أن قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وذلك في جمادى الأولى سنة ثلاثة وسبعين، وكان مجموع مدة ابن الزبير رضي الله عنه تسع سنين وشيء، ثم اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، ثم بعده على ابنه الوليد، ثم ولي الأمر بعده أخوه سليمان، ثم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، فكلهم أولاد عبد الملك إلا عمر رضي الله عنه فإنه ابن أخيه، ثم بعد هشام تولى ابن أخيه الوليد بن يزيد الجبار العنيد، فقد ورد في مسند الإمام أحمد «ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد، لهو على هذه الأمة أشد من فرعون لقومه»<sup>(١)</sup>. وقال ابن فضيل الله في (المسالك): الوليد بن يزيد، الجبار العنيد، فرعون ذلك العصر الذاهب، والدهر المملوء بالمعائب، يأتي يوم القيامة يقدم قومه فأوردتهم النار، ويرديهم العار وبئس المورد والمردى في ذلك الموقف المشهود، رشق المصحف بالسهم ولم يخف الآثام، وذلك أنه استفتح في المصحف الشريف فخرج ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥] فمزق المصحف وقال:

أتوعدني بجبار عنيد      وإني فيك جبار عنيد  
إذا ما جئت ربك يوم حشر      فقل يا رب مزقني الوليد

وكان قد استباح الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيه، حتى راود أخاه سليمان عن نفسه ليفجر به، وله معائب وفضائح كثيرة جداً، حتى إنه أراد الحج ليشرب الخمر فوق سطح الكعبة المشرفة، فقام عليه ابن عمه يزيد بن الوليد فقتله، وقام عليه مروان الحمار ابن محمد بن مروان، ولما مات ولي

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٨) رقم ١٠٩، والحاكم (٤/ ٥٣٩) رقم ٨٥٠٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

أخوه إبراهيم فغلبه مروان واختل أمرهم، حتى غلب على الملك بنو العباس وقتلوهم أشد القتلة، فسبحان من لا يزول ملكه ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فلله الأمر من قبل ومن بعد، فكان انقراض ملك بني أمية في ثنتين وثلاثين بعد المائة، ثم قام من بني العباس أول خليفتهم السفاح، ثم أخوه المنصور، ثم ولده الهادي، ثم أخوه الرشيد، ثم ولده الأمين ثم المأمون، وهو الذي امتحن الإمام أحمد، ثم المعتصم، وهو الذي ضرب سيدنا الإمام أحمد، ثم ولد المعتصم الواثق، وكان أخبث من أبيه، ثم أخوه المتوكل، فأظهر السنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورضي عنه، ثم قتله ولده المستنصر فلم يبق بعده إلا اليسير، ثم المستعين، ثم المعتز ثم المهدي، وكان صالحاً مأموناً فقتل، وقام من بعده المعتمد، إلى أن صارت النوبة إلى المستعصم، وذلك أول فتنة التتار<sup>(١)</sup> الظلمة الفجار، فقد أخرج الأئمة الأبرار عن النبي المختار أن قتال التتار من علامات الساعة.

أخرج الستة إلا النسائي: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية عند البخاري: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر»<sup>(٣)</sup> وفي لفظ: «عراض الوجوه»<sup>(٤)</sup>. قوله: نعال الشعر على ظاهره، ويحتمل أن يكون من جلود

(١) في حاشية الأصل (أمر التتار).

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٥٨٧ واللفظ له، ومسلم رقم ٢٩١٢ باختلاف في بعض الألفاظ، وأبو داود (٢/ ٥١٥) رقم ٤٣٠٤، والترمذي (٤/ ٤٩٧)، رقم ٢٢١٥٤، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٢)، رقم ٤٠٩٧، وأحمد في (٣/ ٤٧٥) رقم ١٠١٥٥ و(٥/ ٧٠) رقم ٢٠٦٩٦ كلهم من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٣٥٩٠.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٢٩٢٧.

مشعرة غير مدبوغة، ويحتمل أن يكون المراد وفور شعرهم حتى يطئوها بأقدامهم، قاله المناوي في تخريج المصايح.

وقوله: حمر الوجوه: أي بيض الوجوه مشربة بحمرة. قاله في (الإشاعة).

وقوله: ذلف الأنوف بالذال المعجمة في رواية الجمهور، قال صاحب (المشارك)، وهو الصواب ويروى بالمهملة، وهو بضم الذال وسكون اللام جمع أذلف كأحمر معناه فطس الأنوف، كما في الرواية الأخرى، أي قصارها مع انبطاح وقيل: غلظ أرنبة الأنف، قاله النووي، والمجان بفتح الميم وتشديد النون جمع مجن بكسر الميم، هو الترس، والمطرقة بضم الميم وسكون الطاء وحكى فتحها وتشديد الراء قال النووي عن الأول: أعني بسكون الطاء وهو المشهور في الرواية وكتب اللغة، ومعناه أن وجوههم عريضة كما في الرواية الأخرى، ووجنتهم ناتئة كالترس المطرقة.

وقوله «حتى تقاتلوا خوزاً»، قال في النهاية: بالخاء المعجمة والزاي جبل معروف، وهم من بلاد الأهواز من عراق العجم بحيث قيل: إنه صنف منهم، وكرمان صنف في العجم. قال السخاوي: وهي بلدة معمورة من بلاد العجم بين خراسان وبحر الهند، ويروى خوراء بالراء المهملة وهو من أرض فارس وصوبه الدارقطني، والله أعلم.

ولما خرج التتار خربوا البلاد وأبادوا العباد وأظهروا العناد وأظهروا الفساد. قال السبكي في طبقاته: لم يكن منذ خلق الله الدنيا فتنة أكبر من فتنة التتار، فإنهم خربوا المساجد، وحرقوا المصاحف والكتب، وقتلوا الرجال، وسبوا النساء، وبقروا بطون النساء فأخرجوا أولادهن وقتلوهم.

قال السخاوي: ولم تزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم تيمور الأعرج، فطرق الديار الشامية وعات فيها، وحرق دمشق حتى جعلها خاوية على عروشها، ودخل الروم والهند وما بين ذلك، وطالت مدته إلى أن مات وتفرق بنوه في البلاد. قال في (الإشاعة): وظهر في ذلك مصداق قوله ﷺ: «إن أول من يسلب أمتي ملكها بنو قنطوري»<sup>(١)</sup> قال السخاوي: وقنطوراء بالمد والقصر قيل: كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه السلام، فولدت له أولاداً فانتشر منهم الترك، حكاه ابن الأثير وجزم به في القاموس، واللّه الموفق.

ومن علامات الساعة: نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى، كما أخبر به ﷺ روى البخاري في صحيحه والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه عن أبي ذر مرفوعاً: «ليت شعري متى تخرج نار من جبل وراق تضيء لها أعناق البخت ببصرى كضوء النهار»<sup>(٣)</sup>.

قال نور الدين السيد علي السمهودي في (تاريخ المدينة): وقد ظهرت هذه النار بالمدينة واشتهرت اشتهاً بلغ التواتر، وتقدمها زلازل

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠ / ١٨١) رقم ١٠٣٨٩ بلفظ: «اتركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء». عن ابن مسعود، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٦٠٧) رقم ١٢٣٨٣ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عثمان بن يحيى الفرقياني ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٧١١٨ ومسلم رقم ٢٩٠٢ والحاكم (٤ / ٤٨٩) رقم ٨٣٦٧.

(٣) أخرجه أحمد (٥ / ١٤٤) رقم ٢١٣٢٧ وابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٤٧٠) رقم ٣٧٣١٥ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، والحاكم (٤ / ٤٨٩) رقم ٨٣٦٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

مهولة، وأشفق أهل المدينة منها غاية الإشفاق، والتجئوا إلى النبي ﷺ، وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة مستهل جمادى الآخرة آخر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وستمائة، أي فيكون قبل قتل المستعصم وخراب بغداد بستتين. قال: لكنها كانت خفيفة واشتدت يوم الثلاثاء وظهرت ظهوراً عظيماً، ثم لما كانت ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه في الثلث الآخر منها حدثت زلزلة عظيمة، انزعجت القلوب لهيبتها، واستمرت بقية الليل إلى يوم الجمعة، ولها دوي أعظم من الرعد، فتموجت الأرض، وتحركت الجدران حتى وقع في يوم واحد دون ليله ثمان عشرة حركة، فسكنت ضحى يوم الجمعة، ولما كان نصف النهار ظهرت تلك النار، فثار من محل ظهورها دخان متراكم غشي الأفق سواده، فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطع شعاع النار، وظهرت بقريظة بطرف الحرة، ترى تلك النار على هيئة البلد العظيم، عليها سور محيط على شراريف وأبراج ومنابر، ورجال يقودونها، لا تمر بجبل إلا دكته، ويخرج من ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد، يأخذ الصخور من بين يديه وينتهي إلى محط الركب العراقي، واجتمع من ذلك ردم كالجبل العظيم، فانتهدت النار إلى قرب المدينة، ومع ذلك كان يأتي المدينة نسيم بارد.

قال في (الإشاعة): وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر، قال القاضي سنان: فتطلعت إلى الأمير وكان عز الدين منيف فقلت له: قد أحاط بنا العذاب فارجع إلى الله تعالى، فأعتق كل مماليكه، ورد على الناس مظالمهم، وأبطل المكس، ثم هبط إلى النبي ﷺ فبات في المسجد ليلة السبت ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار، وباتوا يتضرعون ويكون، وكشفوا رؤوسهم، واعترفوا بذنوبهم، واستجاروا بنبيهم، فصرف الله تلك النار عنهم ذات الشمال، فسارت من مخرجها ببحر عظيم من

النار، واستمرت مدة ثلاثة أشهر.

قال المطرزي: كانت تذيب الحجر ولا تحرق الشجر، وهذا من العجائب.

وذكر القسطلاني: أن هذه النار لم تنزل مرة على سبيلها حتى اتصلت بالحرّة ووادي الشظاء، وهي تسحق ما والاها وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصا من قوة الحر، وإن طرفها الشرقي أخذ بين الجبال فحالت دونها فوقفت، وإن طرفها الغربي وهو الذي يلي الحرم اتصل بجبل يقال له وعيرة، على قرب من شرقي جبل أحد، ومضت في الشظاة التي في طرفة فطفيت.

قال: وأخبرني من أعتد عليه أنه عاين حجراً ضخماً من حجارة الحرّة، كان بعضه خارجاً عن حد الحرم، فعلقته بما خرج منه فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفيت وخمدت قال: فهذا أولى بالاعتماد من كلام المطرزي، أنها كانت تحرق الحجر دون الشجر، وإن رجلاً مد إليها نبلاً فأحرقت النصل ولم تحرق الخشب، فإن المطرزي لم يدرك هذه النار.

قال المؤرخون: واستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الحجارة والجبال، وتسير سيراً ذريعاً في واد يكون مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال، وعمقه قامتان ونصف، وهي تجري على وجه الأرض فيذوب الصخر حتى يبقى مثل الماء، فإذا جمد اسود بعد أن كان أحمر، ولم يزل يجتمع من هذه النار الحجارة الذائبة في آخر الوادي عند منتهى الحرّة، حتى قطعت في وسط وادي الشظاة إلى جهة جبل وعيرة فسدت الوادي المذكور سد عظيم من الحجر المسبوك أعظم من سدة ذي القرنين.

قال العماد ابن كثير: أخبرني القاضي صدر الدين الحنفي قال: أخبرني والذي صفي الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بلد بصرى، أنهم رأوا صفحات أعناق إبليس في ضوء تلك النار مصداق قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»<sup>(١)</sup>.

قال في (الإشاعة): وقد كان إقبال هذه النار من جهة مشرق المدينة في جهة طريق السوارقية، وهناك حبس سيل، فإنه بين حرة بني سليم والسوارقية أي مصداقاً لقوله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد وأبو يعلى: «يوشك نار تخرج من حبس سيل تسير سير الإبل تسير النهار وتقيم الليل»<sup>(٢)</sup>. واللّه أعلم<sup>(٣)</sup>.

ومنها ظهور أمر الرفض واستبداد الرافضة بالملك، وإظهار الطعن واللعن على جناب الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - وهذا من أعظم الفتن وأقبح المحن وموت السنن وقد أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون»<sup>(٤)</sup>.

(١) سبق ص ٤١٣ .

(٢) أخرجه أحمد (٤٤٣ / ٣) رقم ١٥٦٩٦ من حديث رافع بن بشر أو بسر السلمي عن أبيه . وأخرج أبو يعلى «تخرج نار من بحر حضرموت أو بئر حضرموت تسوق الناس فقلنا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام». أبو يعلى في مسنده (٩ / ٤٠٥) رقم ٥٥٥١ عن ابن عمر، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٤) رقم ١٢٦٠١ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة.

(٣) في أخبار هذه النار وما كان منها وما فعلته انظر البداية والنهاية لابن كثير (٦ / ٢٥٣) وما بعدها.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢ / ٢٤٢) رقم ١٢٩٩٧، وأحمد (١ / ١٠٣) رقم ٨٠٨، وليس فيه: فإذا رأيتموهم إلى آخره من حديث علي بن أبي طالب .

ولفظ الطبراني بإسناد حسن عنه كنت عند النبي ﷺ وعنده علي فقال النبي ﷺ: «سيكون في أمتي قوم يتحلون حب أهل البيت لهم نبيز<sup>(١)</sup> يسمون الرافضة فاقتلوهم فإنهم مشركون»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام علي كرم الله وجهه: يهلك فينا أهل البيت فريقان محب مفرط وباهت مفتر، وفي لفظ: يهلك في رجلان محب مفرط يقرظني بما ليس في، ومبغض مفرط يحمل شنأتي على أن يبهنني. رواه الإمام أحمد في مسنده ورواه خشيش وابن أبي عاصم والأصبهاني عنه كرم الله وجهه، وصح «أن من أشرط الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: خروج دجالين كذابين كلهم يدعي أنه نبي كما أخبر به ﷺ فيما رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان وهو طرف من حديث أخرجه مسلم عن ثوبان أنه ﷺ قال: «سيكون في أمتي كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية عن البخاري: «لا

= وذكر حديث علي الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤٩ / ٩) رقم ١٦٤٣٥ وقال: رواه عبد الله والبزار وفيه كثير بن إسماعيل التواء وهو ضعيف.

(١) التنابز: التداعي بالألقاب، والتبذ بالتحريك اللقب، وكأنه يكثر فيما كان ذماً - النهاية/ مادة: نبز.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤٢ / ١٢) رقم ١٢٩٩٨ وذكره الهيثمي (٧٤٩ / ٩) رقم ١٦٤٣٤ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٣) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٤٩٤ / ٤) رقم ٢٢١٠ عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة - وعد منها - ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريباً حمراء أو خسفاً أو مسخاً» وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث علي ابن أبي طالب إلا من هذا الوجه، ولا نعلم أحداً رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري غير الفرج بن فضالة، والفرج بن فضالة قد تكلم فيه بعض أهل الحديث وضعفه من قبل حفظه، وقد رواه عنه وكيع وغير واحد من الأئمة.

(٤) جزء حديث أخرجه أبو داود (٤٩٩ / ٢) رقم ٤٢٥٢ والترمذي (٤٩٩ / ٤) رقم ٢٢١٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه (١٠٩ / ١٥) رقم ٦٧١٤، وأخرجه مسلم بنحوه رقم ٧، ١٥٧.

تقوم الساعة حتى تقتتل فنتان عظيمتان دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون قريب من ثلاثين كل يزعم أنه رسول الله<sup>(١)</sup>.

وفي حديث ابن الزبير «أن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً منهم الأسود العنسي صاحب صنعاء وصاحب اليمامة يعني مسيلمة»<sup>(٢)</sup>. أي وقد خرج غيرهما من الدجالين، كابن صياد، إن قلنا إنه ليس هو المسيح الدجال، كما سنظهره بعد، وخرج في زمن أبي بكر طليحة بن خويلد، فادعى النبوة ثم تاب ورجع إلى الإسلام، كذا في فتح الباري للحافظ ابن حجر، لكن عند ابن عساكر أنه خرج في عهد النبي ﷺ فوجه إليه ضرار بن الأزور فأشجوا طليحة وأخافوه، ثم جاءهم موت النبي ﷺ فأرفض الناس إلى طليحة واستطار أمره، أي ثم أسلم كما بينته في كتابي «تجبير الوفا في سيرة المصطفى» تبعاً لابن الجوزي، فعلى هذا يكون نسبة خروجه إلى زمن أبي بكر لاستطارة أمره فيه وتمايم ظهوره، والله الموفق.

وتنبأت أيضاً سجاح فتزوجها مسيلمة بعد أن تجهزت لقتاله، فصنع لها مكيدة ودعاها إلى الدخول عليه وأمر أعوانه أن يكثروا من أدعاق البخور والروائح النفيسة، لعلمه أن النساء متى ما أشمت الرائحة الطيبة حالت، فلما دخلت عليه لأجل الصلح وشممت تلك الروائح والطيب هاجت شهوتها، فدعاها للزواج فأجابت، فأمرها<sup>(٣)</sup> أن وضع عن قومها الصلاة، فقال شاعرهم:

(١) رواه البخاري رقم ٧١٢١ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٥) رقم ١٤٧٦٠ من حديث أبي الزبير عن جابر وابن حبان (١٥/ ٢٥) رقم ٦٦٥٠ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٤٢) رقم ٢٤٨٣ وقال: رواه أحمد والبخاري وفي إسناد البزار عبد الرحمن بن مغراء وثقه جماعة وفيه ضعف وبقيه رجاله رجال الصحيح، وفي إسناد أحمد ابن لهيعة وهو لين الحديث.

(٣) كذا بالأصل والصواب (فأمهرها).

أضحت نبيتنا يطاق بها وأنبياء الناس ذكرانا  
ثم بعد قتل مسيلمة رجعت إلى الله وأسلمت، فسبحان من يقبل  
التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

وخرج مختار في زمن ابن الزبير، فإنه كان يدعي أنه يوحى إليه،  
وكان يكتب في مكاتيبه من مختار رسول الله، فجهز له عبد الله بن الزبير  
أخاه عروة فقتله.

وخرج المتنبى الشاعر المشهور الذي طار شعره في الآفاق ثم تاب  
ورجع إلى الله.

وخرج جماعة في زمن دولة بني العباس، منهم بهبود لعنه الله، خرج  
في خلافة المعتمد، فإن بهبود اللعين أفسد في العراق وأهان آل الرسول.

وفي خلافة المكتفي خرج يحيى بن زكرويه القرمطي، ثم بعده أخوه  
الحسين، وظهرت شامة في وجهه فزعم أنها آيته، وجاءه ابن عمه عيسى بن  
مهرويه، وزعم أن لقبه المدثر، وأنه المعني في السورة، ولقب غلاماً له  
المطوق بالنور، وظهر على الشام وعات، ودعي له على المنابر ثم قتل.

وخرج في خلافة المقتدر أبو طاهر القرمطي، الذي قلع الحجر  
الأسود وكان يقول:

أنا الله والله أنا يخلق الخلق ويحييهم أنا

وفي خلافة الراضي ظهر محمد بن علي الشملغاني، المعروف بابن  
أبي العراق، وقد شاع أنه يدعي الإلهية، وأنه يحيي الموتى، فقتل وصلب  
وقتل معه جماعة من أصحابه.

وظهر في خلافة المطيع قوم من التناسخية، فيهم شاب يزعم أن روح

عليّ انتقلت إليه، وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها، وآخر يدعي أنه جبريل، فضربوا فزعموا أنهم من أهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم. وفي خلافة المستظهر سنة تسع وتسعين وأربع مائة ظهر رجل بنواحي نهاوند، فادعى النبوة وتبعه خلق، فأخذ وقتل.

وخرج جماعة بالمغرب من الرجال والنساء، فمنهم رجل تسمى بلا، وحرف الحديث المشهور: «لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup> وجعله إخباراً منه ﷺ بأن لا أي مسمى هذا الاسم نبي بعدي ويقول: إن «لا» في الحديث مبتدأ ونبي خبر، وامرأته ادعت النبوة، فذكروا لها الحديث فقالت: إنما قال: «لا نبي بعده» ولم يقل: لا نبيه.

والحاصل: أنه ظهر جماعة ممن أخبر عنهم المصطفى ﷺ، وأما مطلق الكذابين لا يكادون أن يدخلوا تحت حصر، ومن هذا القسم من يدعي أنه مهدي وهؤلاء أيضاً كثيرون.

قال في (الإشاعة): إن في زمانه كان رجلاً اسمه عبد الله، واسم ابن له محمداً، ولقبه مهدياً، فادعى أن ابنه المهدي المنتظر، فاتبعه أجلاف الأكراد وسفاؤهم وعوامهم، فاستولى على بعض القلاع، ثم ركب عليه عامل موصل فقتل منهم جماعة، وهرب ابنه إلى بعض النواحي، وحبس هو، فادعى أن ابنه قد غاب وأنها الغيبة الأولى له، فإن للمهدي غيبتين كما في بعض الروايات كما يأتي، ثم إنهم أخذوا ابنه أيضاً وأرسلوا بهما إلى تنور. قلت: في زمننا هذا في آخر سنة سبعة<sup>(٢)</sup> وثلاثين بعد المائة والألف،

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٤٥٥ ومسلم رقم ١٨٤٢.

(٢) هكذا بالأصل.

جاء رجل من نواحي البصرة إلى دمشق المحروسة، يزعم أنه من أهل البيت، وأخبر أنه من السواح، وأنه من أشياخ طريقة الصوفية، فاجتمع عليه بعض الناس وأخذوا عليه الطريقة الصوفية، فلما تمكن منهم واستمال قلوبهم، أظهر لهم أنه نبي، وأن محمداً كان جباراً، وطعن في رسالته ﷺ، وزعم أنه هو الرسول بحق، فظهر هذا القول من فلتات ألسنة من دخل في طريقته، لقلة علمه وعقله، وأظهره لبعض أصدقائه، فقال لمريده: ينبغي أن تجمعني بهذا لعل الله ينفعني به، فاجتمع به وأظهر له أنه من أتباعه، فحينئذ أظهر له هذا القول الفاسد، فأخبر به الناس، فاجتمعوا لأجل قتله فعلم بذلك وهرب تحت الليل، لعنه الله، وقد رأيت به بعيني رأسي، وكان هذا اللعين أسمر طوالياً حلو المنظر، طويل القامة، حسن العينين، مربى شعره، وكان يظهر التذلل والخشوع، حتى إذا تكلم تعرف في كلامه أثر الخوف، اجتمعت به وتكلمت معه واستفتاني بعض أحكام وسألنا عن مسائل، ولم أر فيه قابلاً، لأنني تفرست في أن تذلل نفاق، فوافق ما في نفسي، وزعم أن اسمه السيد محمد، وذكر من كان يجتمع به في خلواته أنه كان يقذف سيدتنا عائشة، ويتكلم كلاماً قبيحاً، فلعنة الله عليه إن كان صدر منه مثل ما بلغنا عنه، وقد أخبرنا شيخنا الشيخ إسماعيل العجلوني أن رجلاً شهد عليه أنه يتكلم بكلام قبيح آنف من ذكره بهذه الكتاب، فنعوذ بالله من مكروه، والله أعلم.

ومنها فتح بيت المقدس ففي الحديث: «اعدد بين يدي الساعة ستاً موتي، وفتح بيت المقدس»<sup>(١)</sup> وقد فتح مرتين، مرة زمن عمر رضي الله عنه، ومرة زمن الأكراد الأيوبية، فتحه السلطان صلاح الدين رحمه الله، وفي تاريخ

الحنبلي: أن بيت المقدس تغلبت عليه الإفرنج بعد الملك صلاح الدين مدة يسيرة، وكان فتوحه على يد الملك الناصر، فيكون فتح ثلاث مرات.

ومنها: زوال ملك العرب، فعن طلحة بن مالك: «من اقتراب الساعة هلاك العرب»<sup>(١)</sup> أي زوال ملكهم رواه الترمذي.

ومنها كثرة المال، وقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال فيكم فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب» - أي لا حاجة - لي فيه<sup>(٢)</sup>.

قال في (الإشاعة): وهذا وقع في زمن عثمان رضي الله عنه، وكثرت الفتوح حين اقتسموا أموال الفرس والروم، ووقع في زمن عمر بن عبد العزيز أن الرجل كان يعرض ماله للصدقة فلا يجد من يقبل صدقته، وسيقع ذلك في زمن المهدي وعيسى، والله أعلم.

ومنها: أن تزول الجبال عن أماكنها. أخرج الطبراني عن سمرة رضي الله عنه: «لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها»<sup>(٣)</sup> ونقل الجلال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» أن سنة اثنين وأربعين بعد المائتين في خلافة المتوكل، سار جبل كان عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين، وفي سنة ثلاث مائة في خلافة المقتدر، ساح جبل بالدينور في الأرض وخرج

(١) أخرجه الترمذي (٥ / ٧٢٤) رقم ٣٩٢٩ وقال: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث سليمان بن حرب، والطبراني في الكبير (٨ / ٣٠٩) رقم ٨١٥٩ والأوسط (٣ / ٨١) رقم ٢٥٥٧ والبخاري في التاريخ الكبير (٤ / ٣٤٤) رقم ٣٠٧٢.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٧١٢١ ومسلم رقم ١٥٧.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٧ / ٢٠٧) رقم ٦٨٥٧ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٦٣١) رقم ١٢٤٤٧ وقال: رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان، وهو ضعيف.

من تحته ماء كثير غرق القرى .

ومنها: فقدان الصحابة رضي الله عنهم ففي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يلتمس الرجل من أصحابي كما تلتمس الضالة فلا يوجد»<sup>(١)</sup> رواه الإمام أحمد عن علي مرفوعاً .

ومنها: وقوع ثلاث خسوفات . أخرج الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها : «سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، قيل: تخسف الأرض وفيهم الصالحون قال: نعم إذا أكثر أهلها الخبث»<sup>(٢)</sup> . وفي حديث حذيفة بن أسد: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» فذكر منها ثلاث خسوف خسفاً بالمشرق وخسفاً بالمغرب وخسفاً بجزيرة العرب<sup>(٣)</sup> . رواه الستة إلا البخاري . وقد وقعت الخسوفات الثلاثة، فوقع في سنة ثمان ومائتين، أنه خسف بثلاث عشر قرية بالمغرب، وفي خلافة المطيع سنة ست وأربعين وثلاث مائة، وقع بالري ونواحيها زلازل عظيمة، وخسف ببلد طالقات، ولم يفلت من أهلها إلا ثلاثين نفساً، وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري، واتصل الأمر إلى حلوان، فخسف بأكثرها، وقذفت

(١) أخرجه أحمد (٩٣ / ١) رقم ٧٢٠ وابن عدي في الكامل (٤٢٥ / ١) في ترجمة إسرائيل بن يونس رقم ٢٣٧ وقال عنه وهو ممن يكتب حديثه ويحتج به .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣ / ٢٧١) رقم ٥٨٠ والأوسط (٤ / ٧٤) رقم ٣٦٤٧ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٢) رقم ١٢٥٩٥ وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقيه رجاله ثقات . وأخرج بعضه مسلم رقم ٢٩٠١ .

(٣) أخرج نحوه مسلم رقم ٢٩٠١ ، وأبو داود (٢ / ٥١٧) رقم ٤٣١١ والترمذي (٤ / ٤٧٧) رقم ٢١٨٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢ / ١٣٤٧) رقم ٤٠٥٥ ، وأحمد (٤ / ٦) رقم ١٦١٨٦ .

الأرض عظام الموتى، وتفجرت منها المياه، وتقطعت بالري جبال، وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف نهار، ثم خسف بها، وتخرقت الأرض خروقاً عظيمة، وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم، كذا نقله الجلال السيوطي عن الحافظ ابن الجوزي، وناهيك بهما علماً وثقة وحفظاً. وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة خسف بقرية من أعمال بصرى، وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة خسف ببلد بحيرة، وصار مكان البلد ماء أسود، قاله في (الإشاعة) قال: وخسف في زماننا بعدة قرى ناحية أذربيجان وغيرها من ديار العجم.

ومنها: كثرة الزلازل، ففي البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج»<sup>(١)</sup> وهو القتل، وقد وقع أول خلافة المتوكل سنة اثنين وثلاثين ومائتين زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور وهلك تحتها خلق كثير، وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها، وإلى الجزيرة فأحرقتها، وإلى الموصل فيقال هلك من أهلها خمسون ألفاً، وقد زلزلت زلازل كثيرة جداً، فلا نطيل بذكرها.

ومنها: المسخ والقذف ففي حديث عند الإمام أحمد ومسلم والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف»<sup>(٢)</sup> وعند ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه: «بين يدي الساعة مسخ وخسف

(١) أخرجه البخاري رقم ١٠٣٦ وابن ماجه مع اختلاف في الألفاظ (٢/ ١٣٤٥) رقم ٤٠٥٠، ٤٠٥٢.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٣) رقم ٦٥٢١ من حديث عبد الله بن عمرو وابن ماجه (٢/ ١٣٥٠) رقم ٤٠٦٢، والحاكم (٤/ ٤٩٢) رقم ٨٣٧٦ من حديث ابن عمر، وقال: إن كان الزبير سمع من عبد الله بن عمر فإنه صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ولم أقف على رواية مسلم.

وقذف»<sup>(١)</sup>. وعند الترمذي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسح وقذف، قيل: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون، قال: نعم إذا كثرت الخبث»<sup>(٢)</sup>. وقد قدمنا الكلام على وقوع الخسف.

### من مسح في الإسلام

وأما المسح: فقد وقع لأشخاص، منهم ما نقله في «الإشاعة» قال: قد صح عن غير واحد أن في زمن فاطمية مصر كانوا يجتمعون بالمدينة يوم عاشوراء في قبة العباس، يعني الأرفاض، فيسبون الشيخين رضوان الله عليهما، ويسبون الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فجاء رجل فقال: من يطعمني في محبة أبي بكر؟ فخرج إليه شيخ وأشار إليه أن اتبعني، فأخذه إلى بيته وقطع لسانه ووضعه في يده، وقال: هذه بمحبة أبي بكر، فذهب الرجل إلى المسجد وسلم على رسول الله ﷺ وعلى الشيخين رضوان الله عليهما، ورجع ولسانه في يده فقعد حزينا عند باب المسجد، وغلبه النوم فرأى النبي ﷺ في منامه ومعه أبو بكر رضي الله عنه فقال لأبي بكر رضي الله عنه، هذا الرجل قطع لسانه في محبتك، فرد عليه لسانه، فأخرج اللسان من يده ووضعه في محله، فانتبه، فإذا لسانه كما كان قبل القطع وأحسن، فلم يخبر بذلك أحداً ورجع إلى بلاده، فلما كان العام القابل رجع إلى المدينة ودخل القبة يوم عاشوراء وطلب شيئاً بمحبة أبي بكر، فخرج إليه شاب وقال: اتبعني فتبعه فأدخله الدار التي قطع فيها لسانه فأكرمه الشاب فقال الرجل:

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٩) رقم ٤٠٥٩ .

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٧٩) رقم ٢١٨٥ بلفظ (ظهر) بدلاً من (كثر)، وقال: هذا حديث غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

إني أتعجب من هذا البيت، لقيت فيه العام الماضي مصيبة ومهانة، وهذه السنة لقيت ما أرى من الإكرام؟ فقال الشاب: كيف القصة؟ فأخبره بالقصة، فانكب على يده ورجليه وقال: ذاك أبي وقد مسخه الله قرداً، وكشف عن ستارة فأراه قرداً مربوطاً، وأحسن إلى الرجل وتاب من مذهبه، وقال: اكنم عليّ أمر والدي، وقد ذكر هذه القصة ابن حجر في «الزواجر» بنحو هذا اللفظ، وذكرها السهودي والقسطلاني في (المواهب)، وابن حجر أيضاً في (الصواعق)، وفي (الزواجر)، أنه كان بحلب رجل يسب الشيخين، فلما مات نبش قبره شباب ليفعلوا معه أمراً، فوجدوه خنزيراً فأحرقوه، وذكر السيوطي في (تاريخ الخلفاء) أن في سنة اثنتين<sup>(١)</sup> وثمانين وسبعمائة في خلافة المتوكل سادس الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر، ورد كتاب من حلب يتضمن أن إماماً قام يصلي وإن شخصاً عبث به في صلاته، فلم يقطع الإمام الصلاة حتى فرغ، وحين سلم انقلب وجه العايب وجه خنزير، وهرب إلى غابة هناك.

وأما القذف فالمراد به الرجم. نقل السيوطي في (تاريخ الخلفاء) أن في سنة خمس وثمانين ومائتين مطرت قرية بالبصرة حجارة سوداء وبيضاء، ووقع برّد وزن البردة مائة وخمسون درهماً، وفي سنة اثنين ومائتين رجمت قرية السويدي بالحجارة، ووزن حجر من الأحجار فكان عشرة أرطال، وفي سنة ثمان وسبعين وأربع مائة في خلافة المقتدي جاءت ريح سوداء ببغداد واشتد الرعد والبرق، وسقط رمل وتراب كالمطر، وفي سنة نيف وستين بعد الألف مطرت حجارة سوداء كبيرة عريضة قدر بيض الدجاج وأكبر في الصيف والسماء مصحبة ببلاد الأكراد بين هيزا وكفرا، وكان يسمع لها حس من مسافة يوم، ذكره في (الإشاعة).

(١) في الأصل (اثنتين والمئتين من تاريخ الخلفاء (٤٣٠)).

تنبيه: ورد عنه عليه السلام «الآيات بعد المائتين»<sup>(١)</sup> فيحتمل بعد المائتين من الهجرة، ويحتمل بعد المائتين بعد الألف، ويؤيد الأول أن جل الآيات التي ذكرناها وقع بعد المائتين، وإن حمل على الثاني فالمراد أمهاتها كما يأتي وقد أضربنا من هذا الباب عن أشياء كثيرة خوف الملل وضيق الحال، فنسأل الله التوفيق وحسن الختام، والحشر مع خير فريق ببركة محمد عليه الصلاة والسلام.



(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤) رقم ٤٠٥٧ والحاكم (٤/ ٤٧٥) رقم ٨٣١٩ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: أحسبه موضوعاً، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٨٥٤) رقم ١٤٢٩، وقال: هذا حديث لا يصح. وأورده العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٣٣٧) في باب أحاديث موضوعة وقال: باب ظهور الآيات بعد المائتين لم يثبت فيه شيء.

## الباب الثاني

### في الأمارات المتوسطة التي ظهرت

#### ولم تقض بل تتزايد

وهي كثيرة جداً منها قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس في الدنيا لكع بن لكع »<sup>(١)</sup> رواه الإمام أحمد والترمذي والضياء عن حذيفة وابن مردويه عن علي، واللکع العبد الأحمق واللثيم، والمعنى: لا تقوم الساعة حتى يكون اللثام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس، وقد ولع أهل الأدب في هذا المعنى، لأن الدهر فوق نبال الحرمان لذوي الفطنة والرجحان، ومن ذلك قول بعضهم وقد أحسن للغاية:

أرى حمراً تروى وتأكل ما تهوى      وأسداً جياً نظماً الدهر لا تروى  
وأشراف قوم لا ينالون قوتهم      وقوماً لثاماً يأكلوا المن والسلوى  
قضاء لجبار السموات سابق      وليس على رد القضاء أحد يقوى  
ومن عرف الدهر الخؤون وعدله      فيصبر في البلوى ولم يظهر الشكوى  
وأيقن أن الرزق لا بد أن يجيء      لميقاته فليصحب البر والتقوى

وقال الآخر:

لا خير في دهر تعز لثامه      وبعكس ذي الأشياء تهان كرامه  
وابن السفاهة إن تولى رتبة      بين الملأ زاد الكلام كلامه  
وهذا باب واسع جداً، ومن ذلك أي من الأمارات قوله ﷺ : « يأتي

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٩) رقم ٢٣٣٥١ من حديث حذيفة، والترمذي (٤/ ٤٩٣) رقم

٢٢٠٩ وقال هذا حديث حسن غريب.

على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر»<sup>(١)(٢)</sup>. رواه الترمذي عن أنس وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»<sup>(٣)</sup>. رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة»<sup>(٤)</sup> وفي لفظ : «فساق» رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس.

ومنها: أن يرى الهلال ساعة يطلع فيقال: لليلتين لانتفاخه وكبره. روى معناه الطبراني عن ابن مسعود في لفظ «من أشرط الساعة انتفاخ الأهله»<sup>(٥)</sup> بالخاء المعجمة: أي عظمها يقال: رجل منتفخ ومنفوخ أي

(١) أخرجه الترمذي (٥٢٦ / ٤) رقم ٢٢٦٠ وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. (٢) في حاشية الأصل/ قوله الصابر على دينه كالقابض على الجمر، هذا كناية منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن عدم المساعد والمعاون في الدين، وقلة وفاء الخلق حين يكون المال والسعة للكعب بن كعب، وقد ولى الأمور السفلة فلا ير الفقير إلا بانساً فهو بهم دينه وهم دنياه، فلا هو قادر على ما يعول أهله ليتخلى للعبادة ولا الأمر منتظم له لينال مراده، ولعمر الله إن زماننا هذا موجود فيه ما ذكر وزيادة فيالله من يقول:

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش مالا خير فيه  
ألا موت لذيد الطعم حتى يخلصني من العيش الكريه  
إذا أبصرت قبراً من بعيد وددت بأنني مما يليه  
مؤلف

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٠ / ٣) رقم ١٣٤٢٨ ، وأبو داود (٧٦ / ١) رقم ٤٤٩ ، وابن ماجه (٢٤٤ / ١) رقم ٧٣٩ ، وابن خزيمة (٢٨٢ / ٢) رقم ١٣٢٣ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٣١ / ٢) وقال: هذا حديث غريب من حديث ثابت لم نكتبه إلا من حديث يوسف بن عطية وهو قاضي بصري في حديثه نكارة.

والحاكم (٣٥١ / ٤) رقم ٧٨٨٣ ، وذكر نحوه الهيثمي (٤٢٠ / ٥) رقم ٩١٨٠ من حديث معاذ وقال: رواه البزار وفيه حبيب بن عمران الكلاعي ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٩٨ / ١٠) رقم ١٠٤٥١ ، والأوسط (٦٥ / ٧) رقم ٦٨٦٤ ، والصغير (١٥ / ٢) رقم ٨٧٧ من حديث أبي هريرة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٢ / ٣) رقم ٤٨٠٨ وقال: رواه الطبراني في الصغير وفيه عبد الرحمن بن الأزرق =

سمين، وروي بالجيم، من انتفج جنباً البعير إذا ارتفعا وعظما خلقه. يقال: نفجت الشيء فانتفج أي رفعته وعظمته.

ومنها: اتخاذ المساجد طرقاً.

ومنها ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «من اقترب الساعة اثنان وسبعون خصلة، إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واستعلوا البناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطعت الأرحام، ويكون الحكم ضعفاً، والكذب صدقاً، والحرير لباساً، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وموت الفجأة، واتّمن الخائن، وخون الأمين، وصدق الكاذب، وكذب الصادق، وكثر القذف، وكان المطر قيظاً، أي في الصيف فلا يفيد شيئاً، والولد غيظاً - أي يغيب والديه بعقوقه، وفاض اللثام فيضاً، أي: كثروا، وغاز الكرام غيظاً، أي نقصوا، وكان الأمراء والوزراء والأمناء خونه، والعرفاء ظلمة، والقراء فسقة، إذا لبسوا مسوك - أي جلود - الضأن، قلوبهم أنتن من الجيفة، وأمر من الصبر، يغشيهم الله فتنه يتهاوكون فيها - أي يتساقطون فيها - تماهوك اليهود والظلمة، وتظهر الصفراء - يعني الدنانير - وتطلب البيضاء - يعني الفضة - وتكثر الخطباء، أي فلا يخطبون حينئذ لله ولا للاستحقاق وإنما يشتررون وظيفة الخطابة، أي فيكثر الراغبون في ذلك، ويقل الأمر بالمعروف، وحليت المصاحف، وصورت المساجد وطولت المنابر، وخربت القلوب، وشربت الخمر، وعطلت الحدود، وولدت الأمة ربتها، وترى الحفاة العراة صاروا ملوكاً، وشاركت المرأة

- الأنطاكي ولم أجد من ترجم له، وفي رقم ٤٨١١ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه

عبد الرحمن بن يوسف ذكر له في الميزان هذا الحديث، وقال إنه مجهول.

(١) كذا بالأصل، ولعلها (غاض الكرام غيضا).

زوجها في التجارة، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وحلف بغير الله، وشهد المرء من غير أن يستشهد، وسلم للمعرفة - أي ما ابتدأه بالسلام إلا لمعرفته له - وتفقه لغير الله، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة، واتخذ المغنم دولاً - وهو بضم الدال وفتح الواو يجمع على دولة بالضم، ما يتداول من المال فيكون لقوم دون آخرين، ومعناه إذا اختص الأغنياء وأرباب المناصب بأموال الفئء ومنعوها مستحقها، كما في النهاية، والله أعلم - والأمانة مغنماً - يعني الوديعة والزكاة مغرمأ - وكان زعيم القوم - أي ضميتهم - أردلهم، وعق الرجل أباه، وجفا أمه، وبر صديقه، وأطاع امرأته، وعلت أصوات الفسقة في المساجد، واتخذت القينات - جمع قينه وهي المغنية - والمعازف - أي آلات اللّهُو - وشربت الخمر في الطرق، واتخذ الظلم فخراً، وبيع الحكم، وكثرت الشرط، واتخذ القرآن مزامير، وجلود السباع صفاً<sup>(١)</sup> - بأن يجعل على السروج كما يفعله وزراء زماننا - ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما رواه الإمام أحمد وعبد الله بن حميد وابن أبي حاتم عن سلمان مرفوعاً، والحسن بن سفيان وابن عساكر مرفوعاً «إذا ظهر القول وخزن العمل واثلت الألسن واختلفت القلوب، وقطع كل ذي رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) صُفَّة الرُّحْلِ والسُّرْجِ التي تضم العرقيين والبِداَين من أعلاهما وأسفلهما. لسان العرب/ مادة: صفف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٥٩) وقال: غريب من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير لم يروه عنه فيما أعلم إلا فرج بن فضالة.

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (١٥٣) مرفوعاً على سلمان.

ومنها: ما أخرجه أبو الشيخ وعويس والديلمي عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقترب الساعة، إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكبائر، وأكلوا الربا، وأكلوا الرشا، وشيدوا - أي طولوا ورفعوا - البناء، ويحتمل أن يراد جصصوها وعملوها بالشيد - واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واتخذوا القرآن مزامير، واتخذوا جلود السباع صفاقاً، والمساجد طرقاً، والحريز لباساً، وأكثروا الجور، وفشا الزنا، وتهاونوا بالطلاق، وائتمن الخائن، وخون الأمين، وصار المطر قيظاً، والولد غيظاً، وأمراء فجرة، ووزراء كذبة، وأمناء خونة، وعرفاء ظلمة، وقلت العلماء، وكثرت القراء، وقلت الفقهاء، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطولت المنابر، وفسدت القلوب، واتخذت القينات والمعازف، وشربت الخمر، وعطلت الحدود، ونقصت الشهور - أي بالصاد المهملة - بأن يكون أكثرها ناقصة، ونقضت الموائيق، بالصاد المعجمة، - والموائيق جمع ميثاق وهو العهد ونقضها عدم الوفاء بها - وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وركب النساء البراذين - جمع برذون بكسر الموحدة وسكون الراء وفتح المعجمة فواو ساكنة فنون: الدابة من الخيل، والمعنى ركبت النساء الخيل - كما في بعض الروايات السروج، وتشبهت النساء بالرجال، والرجال بالنساء، ويحلف بغير الله، ويشهد الرجل من غير أن يستشهد، وكانت الزكاة مغرمًا، والأمانة مغنمًا، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وقرب صديقه، وأقصى - أي أبعد - أباه، وصارت الإمارات مواريث، وسب آخر هذه الأمة أولها، وأكرم الرجل اتقاء شره، وكثرت الشرط، وصعدت الجهال المنابر، ولبس الرجل التيجان، وضيقت الطرقات، وشيد البناء، واستغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وكثرت خطباء منابرهم، وركن علماؤكم إلى ولائكم، فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال، وافتوهم بما

يشتهون، وتعلم علماؤكم ليجلبوا دنائركم ودرامكم، واتخذتم القرآن تجارة - أي أخذتم أجره على قراءته - وضيعتم حق الله في أموالكم، وصارت أموالكم عند شراركم، وقطعتم أرحامكم، وشربتم الخمر في ناديتكم، ولعبتم الميسر، أي بالقمار، ومنه الشطرنج ميسر العجم، وعرضتم بالكبر - بفتحين الطبل والمعزفة والمزامير - ومنعتم محاويجكم زكاتكم، ورأيتموها مغرماً، وقتل البريء ليغيظ العامة، أي قتل الذي لا قود عليه ليغيظ أقاربه، ويترك القتال - فهو جمع بين قبيحين، قتل من لا قود عليه وترك من عليه القود، فيفعلون ما نهوا عنه<sup>(١)</sup> ويتركون ما أمروا به - واختلقت أهواؤكم، وصار العطاء في العبيد والسقاط، وطفف المكاييل والموازين، ووليت أموركم السفهاء<sup>(٢)</sup>.

ومنها: «إذا وسد الأمر» وفي لفظ: «أسند الأمر إلى غير أهله فانظروا الساعة»<sup>(٣)</sup>. رواه البخاري ولا شك أن هذا من اقتراب الساعة، وما أحسن قول القائل:

(١) في حاشية الأصل/ قوله: فيفعلون ما نهوا عنه إلخ، لا شك أن الأنفس جبلت على كراهتها، أن تدخل تحت أمر أحد إلا من وفقه الله فيستلذ بامتثال أوامره حتى إنه ليتنعم بذلك أشد التنعم، وقد صار مجبولاً على حب أمره، فليس له في غير ذلك مطمع، يهيم إذا سمع النداء كأنه يشير له، يقفو رضاه ويسرع كما قال من سمع لذة ذلك: وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم أجد الملامة في هؤلاء لذيدة حياً لذكرك فليلمن اللوم

وأما الأنفس الخبيثة فهي بمعزل عن هذه الأوصاف الرفيعة حتى نرى كثيراً من الناس يعمل شيئاً لو كلف على فعله ما عمله أبداً، ويترك أشياء كلف بها لو لم يكلف بذلك ما تركها أبداً. والله الموفق. مؤلف

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (٥٧٣/١٤) رقم ٣٩٦٣٩، وقال: أبو الشيخ في الفتن وعويس في جزئه والدليمي.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٩.

أيا دهر أعملت فينا أذاكا      ووليتنا بعد وجه قفاكا  
 عليت الشرار علينا رءوساً      وأجلست سفلتنا مستواكا  
 فيا دهر إن كنت عاديتنا      فيها قد صنعت بنا ما كفاكا

ومنها: أن الشيطان يتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرون، فيقول الرجل منهم: «سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث»<sup>(١)</sup> رواه مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود.

وأخرج أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان، يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآناً»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما أخرجه الإمام أحمد والحاكم وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه «إذا كانت الفاحشة في كباركم، والملك في صغاركم، والعلم في مرداكم، والمداهنة في خياركم، يعني فتقرب إقامة الساعة»<sup>(٣)</sup>.

وفي أثناء حديث عمر رضي الله عنه عند مسلم في قصة جبريل قال: فأخبرني عن الساعة قال صلى الله عليه وسلم: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء

(١) رواه مسلم رقم ٧ .

(٢) رواه مسلم رقم ٧ .

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٨٧) رقم ١٢٩٦٦ عن أنس قيل: يا رسول الله، متى ندع الائتمار بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا كانت الفاحشة في كباركم، والملك في صغاركم والعلم في رذالكم .  
 وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/ ٥٣٢).

ورواه ابن ماجه (٢/ ١٣٣) رقم ٤٠١٥ باختلاف يسير وقال: في الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات .

يتناولون في البيان»<sup>(١)</sup> الحديث .

قال الحافظ ابن رجب في (شرح الأربعين النووية): يعني أن علم الخلق في وقت الساعة سواء، قال: وهذا إشارة إلى أن الله تعالى استأثر بعلمها، ولهذا في حديث أبي هريرة قال ﷺ: «في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾»<sup>(٢)</sup> [لقمان: ٣٤]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢-٤٤]. إلى غير ذلك من الآيات.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر مرفوعاً: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾»<sup>(٣)</sup> الآية [لقمان: ٣٤]. وخرجه الإمام أحمد ولفظه أن النبي ﷺ قال: «أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾»<sup>(٤)</sup> [لقمان: ٣٤]. وخرج أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: «أوتي نبيكم مفاتيح كل شيء غير خمس ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾»<sup>(٥)</sup> الآية [لقمان: ٣٤].

فبما ذكرنا علم أن الساعة كبقية الخمس لم يطلع عليه أحد إلا الله سبحانه وتعالى ليس إلا، والذي حملنا على ذكر هذا هنا هو أننا اجتمعنا

(١) أخرجه مسلم رقم ٨ واللفظ له والبخاري رقم ٤٧٧٧ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٤٧٧٧ ومسلم رقم ٩ .

(٣) أخرجه البخاري رقم ٤٧٧٨ .

(٤) أخرجه أحمد (٢ / ٨٥) رقم ٥٥٧٩ .

(٥) أخرجه أحمد (١ / ٣٨٦) رقم ٣٦٥٩ .

ببعض من يظن به الفضل فزعم أن آحاد الأولياء فضلاً عن الأنبياء أطلعهم الله على علم الساعة كبقية الخمس، فعارضته بالآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة فكابر ولم يرعوي، ولا جرم أن في زعمه مصادمة للكتاب والسنة<sup>(١)</sup>، ولم نر أحداً ممن يعتمد على كلامه ذكر في شرح هذا الحديث ما ذكر هذا القائل بل ابن حجر الهيتمي نقل عبارة الحافظ ابن رجب ولم يذكر غيرها، ثم قال في آخرها: ففيه أنه ينبغي للمفتي والعالم وغيرهما إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، وأن ذلك لا ينقصه، بل يستدل به على ورعه وتقواه، وكذا ذكر تلميذ الطوفي في شرحه كهو، فلا أدري من أين

(١) في حاشية الأصل/ قوله: أن في زعمه مصادمة للكتاب والسنة إلخ أقول: لا مصادمة فيه ولا مكابرة تعتريه، والخلاف في أن الله تعالى أعلم نبيه قبل موته بسائر المغيبات مشهور، والكلام في تحقيقه وترجيحه منشور ومنثور، ثم من المغيبات ما أظهره للعيان، ومنها ما أبقاه مخزوناً في خزائن الكتمان، وذكر ابن حجر في شرح الهمزية جملة مستكثرة من المغيبات التي أخبر بها، فإذا ثبت أن الله تعالى أطلع نبيه عليها فلا مانع أن يطلع بعض خواصه أيضاً عليها كرامة، إذ ما ثبت أنه معجزة لنبي جاز وقوع مثله كرامة لولي، ولا بدع في ذلك، فإن كرامات الأولياء ثابتة وواقعة لا يحيط بها هر، قال ابن حجر في شرح الهمزية تحت قول الناظم:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء

وخص - أي الغيب - بالذكر على حد قوله تعالى: ﴿عَلَّمُوا الْقَتِيبَ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٦] لأن العلم به أفخم وأظهر، ولأن أكثر علوم نبينا ﷺ تتعلق بالمغيبات بدليل «فعلمت علم الأولين والآخرين» في الحديث المشهور، ولأنه تعالى اختص به لكن من حيث الإحاطة والشمول، ولعلمه بالكلية والجزئية، فلا ينافي ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس التي قال فيها ﷺ: «خمس لا يعلمهن إلا الله» لأنها جزئيات معدودة لا غير، وإنكار المعتزلة لذلك مكابرة، فقد وقع للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما لا يمكن عده. انتهى.

وقال المناوي: وأما قوله: لا يعلمهن إلا الله ففسر بأنه لا يعلمها أحد بذاته ومن ذاته إلا هو، لكن قد تعلمه بإعلام الله، فإن ثمة من يعلمها، وقد وجدنا ذلك لغير واحد، كما رأينا جماعة علموا متى يموتون وعلموا ما في الأرحام حال حمل المرأة بل وقبله، انتهى. وبذلك ينكشف النقاب عن وجه الحق والصواب والله أعلم. كاتبه: محمد الباقاني

هذا القائل علم أن آحاد الأولياء علم ذلك؟ فليتنبه، والله الموفق.

والحاصل: أن النبي ﷺ ذكر في الحديث علامتين:

**الأولى:** أن تلد الأمة ربتها، أي سيدتها، وفي حديث أبي هريرة ربه، قال الحافظ ابن رجب: وهذا إشارة إلى فتح البلاد وكثرة جلب الرقيق حتى تكثر السراري وتكثر أولادهن فتكون الأمة رقيقة لسيدها، والأولاد منها بمنزلته، فإن ولد السيد بمنزلته، فيصير ولد الأمة بمنزلة ربه، ثم قال: وقد فسر قوله تلد الأمة ربتها، بأن يكثر جلب الرقيق حتى تجلب البنت فتعتق، ثم تجلب الأم فتشترى البنت وتستخدمها جاهلة بأنها أمها، قال: وقد وقع هذا في الإسلام، وقيل معناه: أن الإماء يلدن الملوك، وقال وكيع: يلد العجم العرب، والعرب ملوك العجم وأرباب لهم، انتهى كلام الحافظ ابن رجب، زاد ابن حجر أو عقوق الأولاد لأمهاتهم فيعاملونهم معاملة السيد لأمهته من الإهانة والسب، قال: ويستأنس له برواية: «أن تلد المرأة»<sup>(١)</sup> ولم يذكر ابن حجر قول وكيع، والله أعلم.

**الثانية:** قوله ﷺ: «أن ترى الحفاة» إلخ، المراد بالعالاة الفقراء. وقوله: «رعاء الشاة يتناولون في البنيان» قال الحافظ ابن رجب: هكذا في حديث عمر، والمراد أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم، وتكثر أموالهم حتى يتباهون بطول البنيان وزخرفته وإتقانه، وأطال الحافظ في شرح الحديث، والله الموفق.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم رقم ١٠.

### الباب الثالث

في علامات الساعة العظام والأمارات القريبة الجسام التي تعقبها  
الساعة وفيه اثنا عشر فصلاً

#### الفصل الأول

في المهدي وما يتعلق به

وفيه ثلاث مقامات:

المقام الأول: في اسمه ونسبه ومولده ومبايعته وهجرته وحليته  
وسيرته.

أما اسمه ففي أكثر الروايات أنه محمد، وفي بعضها: أنه أحمد،  
واسم أبيه عبد الله، فقد صح عنه عليه السلام أنه قال: «يواطئ -أي يوافق- اسمه  
اسمي واسم أبيه اسم أبي»<sup>(١)</sup>. قال في (الإشاعة): وتعسف بعض الشيعة  
فقال: إن هذا تحريف والصواب أنه اسم ابني بالنون يعني الحسن، وأن  
المراد بأبيه جده الحسين، والمراد باسمه كنيته، فإن كنية الحسين  
أبو عبد الله، فمعناه أن كنية جده الحسين يوافق اسم والد النبي عليه السلام،  
وذلك لاعتقادهم أنه محمد بن الحسن العسكري، وهو باطل لهذه  
التعسفات والتكلفات، وأيضاً فإن محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عمه

(١) أخرجه ابن حبان (٢٣٦ / ١٥) رقم ٦٨٢٤ واللفظ له عن ابن مسعود والترمذي، (٤)

(٥٠٥) رقم ٢٢٣١ وليس فيه اسم أبيه اسم أبي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأحمد (١ / ٣٧٦) رقم ٣٥٧١.

جعفر ميراث أبيه الحسين، وأيضا فإن المهدي يبائع أربعين سنة أو أقل، وأيضا فإن مولد المهدي بالمدينة بخلافه، وأيضا ففي رواية ابن المنادي ما يرد كلامهم عن علي كرم الله وجهه، فيجئ الله بالمهدي محمد بن عبد الله، انتهى ملخصاً.

قلت: ولا ريب في فساد ما قالوه وبطلان ما انتحلوه، وزعمت الكيسانية أن المهدي هو محمد بن الحنفية، وأنه حي مقيم بجبل رضوى وأنه بين أسدين يحفظانه، وعنده ثم عينان نضاختان تجريان بماء وعسل، وأنه يعود بعد الغيبة، ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك بن مروان، وقيل إلى يزيد بن معاوية، وكان السيد الحميري على المذهب، وهو القائل:

ألا قل للوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما

وهذا وشبهه من خرافات أهل الرفض والبدع، وإذا تأملت مقالات أهل الزيغ ألفيتها على هذا النمط، يضحك منها العاقل ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] والله أعلم.

وأما لقبه: فالجابر؛ لأنه يجبر قلوب أمة محمد ﷺ، ولأنه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين ويقصمهم.

وكنيته: أبو عبد الله.

وأما نسبه: فإنه من أهل بيت رسول الله ﷺ، ثم إن الروايات الكثيرة والأخبار الغزيرة ناطقة أنه من ولد فاطمة البتول عليها السلام، وجاء في بعضها أنه من ولد العباس، والأول أصح، قال ابن حجر في كتابه «القول المختصر» وأما ما روي أن «المهدي مسن ولد العباس

عمي»<sup>(١)</sup> فقال الدارقطني: حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم قال: ولا ينافيه خبر الرافي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «ألا أبشرك يا عم أن من ذريتك الأصفياء، ومن عترتك الخلفاء، ومنك المهدي في آخر الزمان، به ينشر الله الهدي ويطفى نيران الضلالة، إن الله فتح بنا هذا الأمر وبذريتك يختم»<sup>(٢)</sup> وخبر هشيم بن كلب وابن عساكر عن ابن عباس ورجاله ثقات «اللهم انصر العباس وولد العباس ثلاثاً، يا عم أما علمت أن المهدي من ولدك موقفاً راضياً»<sup>(٣)</sup> وخبر أبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة «ألا بشر يا أبا الفضل أن الله عز وجل افتتح بي هذا الأمر وبذريتك يختم»<sup>(٤)</sup> وخبر الديلمي عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لن تزال الخلافة في ولد عمي وصنو أبي حتى يسلموها إلى الدجال»<sup>(٥)</sup> وخبر الخطيب عن ابن عباس عن أمه أم الفضل «يا عباس أنت عمي وصنو أبي وخير من أخلف بعدي من أهلي، إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك، منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي»<sup>(٦)</sup> وخبر الخطيب وابن عساكر عن علي

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٣ / ٤١٤) وذكره المناوي في فيض القدير (٦ / ٢٧٨) رقم ٩٢٤٢ وقال تبعاً لابن الجوزي: فيه محمد المقرئ قال ابن عدي: يضع الحديث ويصله ويسرق ويقلب الأسانيد والمتون، وقال ابن أبي معشر: هو كذاب.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية مختصراً (١ / ٣١٥) وقال: تفرد به لاهز بن جعفر وهو حديث عزيز وذكره المناوي في تعليقه على الحديث السابق، والهندي في كنز العمال (١١ / ٧٠٤) رقم ٣٣٤٢٠.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦ / ٢٩٩)، وذكره الهندي في كنز العمال (١١ / ٧٠٥) رقم ٣٣٤٣١ وعزاه لابن عساكر والهيثم بن كليب عن العباس وسنده رجاله ثقات.

(٤) انظر تخريج الحديث السابق.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣ / ٤٢٠) رقم ١٠١٥٦ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٣٩) رقم ٨٩٥٤ وقال: رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم.

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١ / ٦٣) والطبراني في الأوسط (٩ / ١٠١) رقم ٩٢٥٠، وذكره الهندي في كنز العمال (١١ / ٧٠٨) رقم ٣٣٤٥٢، والزيلعي في نصب الراية (١ / ٣٣٥)، وحكم عليه بالوضع.

كرم الله وجهه «يا عم ألا أخبرك أن الله تعالى افتتح هذا الأمر بي ويختمه بولدك»<sup>(١)</sup> وهذه كلها لا تنافي أنه من ذريته عليه السلام من ولد الزهراء، لأن أحاديثه أكثر وأصح، بل قال بعض الأئمة الحفاظ، أنه كونه من ذريته عليه السلام قد تواترت عنه ذلك، قال ابن حجر: ويمكن الجمع بأنه لا مانع من أن يكون من ذريته عليه السلام وللعباس فيه ولادة من جهة أن في أمه عباسية، انتهى، والحاصل أن للحسن فيه الولادة العظمى، لأن أحاديث كونه من ذريته أكثر، وللعسين فيه ولادة أيضاً، وللعباس فيه ولادة أيضاً، ولا مانع من اجتماع ولادات متعدّدات في شخص واحد من جهة مختلفة، انتهى.

ومولد المهدي: المدينة رواه أبو نعيم عن علي كرم الله وجهه، وفي مرفوع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عند أبي نعيم وأبي بكر بن المقرئ في معجمه «يخرج المهدي من قرية يقال لها كريمة»<sup>(٢)</sup>.

وأما مبايعته فإنه يبائع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

وأما مهاجرته فإنه يهاجر إلى بيت المقدس، وأن المدينة تخرب بعد هجرته وتصير مأوى للوحوش، فقد ورد عن عمر «عمران بيت المقدس خراب يثرب»<sup>(٣)</sup>.

وأما حليته فإنه آدم، أي أسمر، ضرب من الرجال - أي خفيف

(١) سبق قبل ثلاثة أحاديث.

(٢) ذكره ابن حجر في القول المختصر (١٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٢ / ٥) رقم ٢٢٠٧٦، وأبو داود (٥١٣ / ٢) رقم ٤٢٩٤، والطبراني في الكبير (١٠٨ / ٢٠) رقم ٢١٤، والحاكم (٤٦٧ / ٤) رقم ٨٢٩٧ موقوفاً على معاذ وقال: هذا الحديث وإن كان موقوفاً فإن إسناده صحيح على شرط الرجال ووافقه الذهبي.

اللحم - ممشوق مستدق ربعة أي لا بالطويل ولا بالقصير، أجلى الجبهة - أي خفيف شعر النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته - أفتى الأنف - أي طويله مع دقة أرنبته - أشم - أي رفيع العينين -، أزع، أي: حاجبيه فيه تقويس مع طول في طرفه وامتداده، أبلج، أعين، أكحل العينين، والأعين: واسع العين، والكحل بفتحيتين سواد في أجفان العين خلقه من غير اكتحال، براق الثنايا: أي لثناياه بريق، أفرقهما - أي ليست متلاصقة في خده الأيمن خال أسود يضيء وجهه كأنه كوكب دري، كث اللحية، في كفه علامة، أزيل الفخذين أي منفرج الفخذين متباعدهما، لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، في لسانه ثقل، وإذا أبطأ عليه ضرب فخذة الأيسر بيده اليمنى، ابن أربعين سنة، وفي رواية ما بين ثلاثين إلى أربعين، خاشع لله خشوع النسر بجناحيه، عليه عباءتان قطوانيتان:

قال في النهاية: هي عباءة بيضاء قصيرة المخمل والنون زائدة.

وأما سيرته: فإنه يعمل بسنة النبي ﷺ، لا يوقظ نائماً، ويقاتل على السنة، لا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، يقوم بالدين آخر الزمان، كما قام به النبي ﷺ أوله، يملك الدنيا كلها كما ملك ذو القرنين وسليمان، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويرد إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويحثو المال حثواً ولا يعده عداً، يقسم المال صحاحاً بالسوية، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر، يملأ قلوب أمة محمد ﷺ غنى حتى أنه يأمر منادياً ينادي: ألا من له حاجة في المال، فلا يأتيه إلا رجل واحد، فيقول: أنا، فيقول: انت السادن - أي الخازن - فقل له: المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احث، حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم، فيقول: كنت أجشع - أي أحرص - أمة

محمد ﷺ، أعجز عني ما وسعهم؟ قال: فيرده فلا يقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناها، تنعم الأمة برها وفاجرها في زمانه نعمة لم يسمعوا مثلها قط، وترسل السماء عليهم مدراراً لا تدخر شيئاً من قطرها، وتؤتي الأرض أكلها لا تدخر عنهم شيئاً من بذرها، تجري على يديه الملاحم، يستخرج الكنوز ويفتح المدائن ما بين الخافقين، يؤتى إليه ملوك الهند مغللين، وتجعل خزانتهم لبيت المقدس حلياً، يأوي إليه الناس كما يأوي النحل إلى عسوبها، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول، يمدّه الله بثلاثة آلاف من الملائكة، يضربون وجوه مخالفيه وأدبارهم، جبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته، ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد، وتلعب الصبيان والحيات والعقارب لا تضرهم شيئاً، ويزرع الإنسان مداً يخرج له سبعمائة مد، ويرفع الربا والزنا وشرب الخمر، وتطول الأعمار، وتؤدى الأمانة، وتهلك الأشرار، ولا يبقى من يبغض آل محمد ﷺ، محبوب - أي المهدي - في الخلائق، يطفى الله به الفتنة العمياء، وتأمين الأرض حتى أن المرأة تحج في خمس نسوة ما معهن رجل، ولا يخفن شيئاً إلا الله، مكتوب في شعائر الأنبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر في «القول المختصر» ولا ينافي هذا أن عيسى يفعل بعض ما ذكر من قتل الخنزير وكسر الصليب، إذ لا مانع أن كلا منهما يفعله، أي فإننا لم نقل أن سيدنا المهدي يستأصل الخنازير والصليب، والله أعلم.

المقام الثاني في علاماته التي يعرف بها، والأمارات الدالة على خروجه.

أما العلامات فمنها: أن معه قميص رسول الله ﷺ وسيفه ورايته من مرط

(١) هذه وما بعدها تفاصيل كثيرة ومعظمها لا تستند إلى نص، وهي من السمعيات التي لا تتلقى إلا من الدليل، وحيث لا دليل فلا يجوز اعتقادها أو روايتها لجمهور المسلمين وعامتهم.

مخملة معلمة سوداء، فيها حجر لم تنشر منذ توفي النبي ﷺ، ولا تنشر حتى يخرج المهدي، مكتوب على رأسه - البيعة لله - كذا في (الإشاعة).

ومنها: أن على رأسه عمامة فيها مناد ينادي: هذا هو المهدي خليفة الله فاتبعوه، قاله ابن حجر.

ومنها: أنه يغرس قضيباً يابساً في أرض يابسة فيخضر ويورق.

ومنها: أنه يطلب منه آية فيومي بيده إلى طير في الهواء فيسقط على يده.

ومنها: أنه ينادي مناد من السماء: أيها الناس إن الله قد قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياهم، وولاكم خير أمة محمد ﷺ، فألحقوه بمكة، فإنه المهدي، واسمه أحمد بن عبد الله، وفي رواية: ولأكم الجابر، خير أمة محمد ألحقوه بمكة، فإنه المهدي، واسمه محمد بن عبد الله.

ومنها: أن الأرض تخرج أفلاذ كبدها مثل الاسطوانات من الذهب، وأنه يخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه في سبيل الله. رواه أبو نعيم عن علي كرم الله وجهه.

ومنها: أنه يستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية، أو من بحيرة طبرية، فيخرج حتى يحمل، فيوضع بين يديه بيت المقدس، فإذا نظر إليه يهود أسلموا إلا قليلاً منهم، وتأتيه الرايات السود من خراسان فيرسلون إليه البيعة.

ومنها: أن يجتمع بسيدنا عيسى، ويصلى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام خلفه.

فائدة: ورد أن أسعد الناس به أهل الكوفة<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

(١) في المصنف لابن أبي شيبة (٦/ ٤٠٨) رقم ٣٢٤٥٤ موقوفاً على ابن عمر.

ومن الأمارات الدالة على خروجه : أنه تنشف الفرات فيحسر عن جبل من ذهب<sup>(١)</sup> ، وأنه ينكسف القمر أول ليلة رمضان ، والشمس ليلة النصف .

قلت : ونظر في هذا العلامة في (بهجته) حيث قال بعد ذكره على ما فيه أي من النظر ، والله أعلم .

قال في «البهجة» فأول علامات المهدي كسوف الشمس والقمر ، ونجم الذنب ، والظلمة ، وتحارب القبائل بذي القعدة ، وسماع الصوت برهان .

وذكروا لخروج المهدي آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض ، فذكر ما ذكرناه من كسوف الشمس والقمر ، قال : وقال شريك : كما في أبي نعيم في الفتن : بلغني أن القمر قبل خروجه ينكسف مرتين بـرمضان ، قال : وورد عن كعب يطلع نجم بالمشرق وله ذنب يضيئ ، وفيه عن أبي جعفر لا يخرج حتى تزول الظلمة ، وفي الديلمي مرفوعاً : «تكون هدة في رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان - ومن وجه آخر - يكون صوت في رمضان في نصف الشهر ، يصعق منه سبعون ألفاً ، ويعمي مثلها ، ويخرس مثلها ، ويصم مثلها ، وينفتق من الأبكار مثلها»<sup>(٢)</sup> .

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً» البخاري رقم ٧١١٩ ، ومسلم رقم ٢٨٩٤ .

(٢) في حاشية الأصل / وجه النظر بُعد كسوف القمر في أول ليلة الشهر ، لأن العادة عدمه ، ولا يبعد خرق العوائد .

(٣) أخرج الحاكم في المستدرک (٤ / ٥٦٣) رقم ٨٥٨٠ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «تكون هدة في شهر رمضان ، توقظ النائم ، وتفزع اليقظان ، ثم تظهر عصابة في شوال ، ثم معمعة في ذي الحجة ، ثم تنتهك المحارم في المحرم ، ثم يكون موت في صفر ، ثم تتنازع القبائل في الربيع ، ثم العجب كل العجب بين جمادى ورجب ، ثم ناقة مقتبة خير من دسكرة تقل مائة ألف» ، وقال : قد احتج الشيخان برواية هذا الحديث عن آخرهم غير مسلمة بن علي الحسني ، وهو حديث غريب المتن ، ومسلمة أيضاً ممن لا تقوم الحجة به . وتعقبه الذهبي فقال : ذا موضوع .

ومن علامات خروج المهدي أيضاً: خسف قرية ببلاد الشام يقال لها: حرستا كما في (الإشاعة) وغيرها.

ومنها: ما ذكره في (الإشاعة) أن ينادي مناد من السماء: ألا إن الحق في آل محمد، وينادي مناد من الأرض ألا إن الحق في آل عيسى، أو آل العباس وأن النداء الأول من الملائكة، والثاني نداء الشيطان.

### المقام الثالث: في الفتن الواقعة قبل خروجه.

منها: أنه يحسر الفرات عن جبل من ذهب كما تقدم فإذا سمع به الناس ساروا إليه، واجتمع عليه ثلاثة كلهم ابن خليفة، يقتتلون عنده ثم لا يصير إلى واحد منهم، فيقول من عنده: واللّه لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن بكله، فيقتتلون عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون<sup>(١)</sup>، وفي رواية «فيقتل تسعة أعشارهم»<sup>(٢)</sup> وفي رواية «كل تسعة سبعة»<sup>(٣)</sup>، فيقول كل رجل: لعلى أكون أنا أنجو»<sup>(٤)</sup> وقد قال ﷺ: «من حضر فلا يأخذ منه شيئاً»<sup>(٥)</sup>.

ومنها: خروج السفيناني والأبقع والأصهب والأعرج والكندي.

### أمر السفيناني:

أما السفيناني: فعن أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه - أنه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، ويزيد هو أخو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٨٩٤ عن أبي هريرة.

(٢) في المسند لأحمد (٢/ ٢٦١) رقم ٧٥٤٥ عن أبي هريرة (يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتل الناس عليه فيقتل من كل عشرة تسعة) وروى نحوه مسلم رقم ٢٨٩٤.

(٣) كما في الفتن لعنيم بن حماد موقوفاً على أبي هريرة (١/ ٢٣٩) رقم ٦٧٦.

(٤) مسلم نفس الحديث السابق.

(٥) رواه البخاري رقم ٧١١٩، ومسلم رقم ٢٨٩٤.

وهو ممن أسلم يوم الفتح، ومات يزيد أخو معاوية في خلافة الصديق رضي الله عنه، والسفياني رجل ضخم الهامة بوجهه آثار الجدري، وبعينه نكتة بيضاء - هكذا ورد في حليته عن علي كرم الله وجهه، وأنه يخرج من ناحية مدينة دمشق في واد يقال له وادي اليابس، يؤتى في منامه، فيقال له: قم فاخرج، فيقوم فلا يجد أحداً، ثم يؤتى الثانية ثم الثالثة، ويقال له فيها فانظر إلى باب دارك، فينحدر في الثالثة إلى باب داره فإذا هو بسبعة أنفار أو تسعة، معهم لواء فيقولون: نحن أصحابك، ومع كل رجل منهم لواء معقود يعرفون في لوائه النصر يستفرش يديه على ثلاثين ميلاً، لا يرى ذلك العلم - يعني اللواء - أحد إلا انهزم، فيخرج فيهم ويتبعهم ناس من قريات الوادي، ويبد السفياني ثلاث قصبات لا يقرع بها أحداً إلا مات، فيسمع به الناس، فيخرج صاحب دمشق ليقاتله فإذا نظر إلى رايته انهزم، فيدخل السفياني في ثلاثمائة وستين راكباً دمشق، وما يمضي عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفاً من كلب وهم أخواله.

وعلاوة<sup>(١)</sup> خروجه خسف بقرية من قرى دمشق - أي وهي حرستا ويسقط الجانب الغربي من مسجدها، ثم يخرج الأبقع والأصهب، فيخرج السفياني من الشام، والأبقع من مصر، والأصهب من الجزيرة - أي من جزيرة العرب لا جزيرة ابن عمر، فإنها داخله في جزيرة العرب - ويخرج الأعرج الكندي بالمغرب، ويدوم القتال بينهم سنة، ثم يغلب السفياني على الأبقع والأصهب، ويسير صاحب الغرب، فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجح حتى ينزل الجزيرة في قيس إلى السفياني، فيظهر السفياني على قيس ويحوز ما جمعوا من الأموال، ويظهر على الرايات الثلاث، ثم يقاتل الترك

(١) في حاشية الأصل / قف على علامة خروج السفياني.

فيظهر عليهم، ويفسد في الأرض، فيقرر بطون النساء، ويقتل الصبيان، ويهرب رجال من قريش إلى قسطنطينية، فيبعث إلى عظيم الروم أن يبعث بهم في المجامع، فيبعث بهم إليه فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق، ثم يفتق عليهم فتق من خلفهم، فيرجع إليهم ويقتل طائفة منهم فينهزمون حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفيناني في طلبهم كالليل والليل، فلا تمر بشيء إلا أهلكته وهدمته، فيهدم الحصون، ويخرب القلاع، حتى يدخل الزوراء وهي بغداد، فيقتل من أهلها مائة ألف، ثم يسير إلى الكوفة فيقتل من أهلها ستين ألفاً، ويسبي النساء والذراري، ويبث جنوده في البلاد تبلغ عامة المشرق من أرض خراسان، ويطلبون أهل خراسان في كل وجه، فيبعث بعثاً إلى المدينة فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد ﷺ، ويقتلون من بني هاشم رجالاً ونساء، ويؤتى بجماعة منهم إلى الكوفة، ويفترق بقيتهم في البراري، فعند ذلك يهرب المهدي والمبيض، وفي لفظ والمنصور في سبعة إلى مكة، ويستخفون، فيرسل صاحب المدينة إلى صاحب مكة: إذا قدم عليكم فلان وفلان، ويكتب أسماءهم فاقتلوهم، فيعظم ذلك على صاحب مكة، ثم يتآمرون بينهم فيأتونه ليلاً فيستجيرون به، فيقول: اخرجوا آمين، فيخرجون، ثم يبعث إلى رجلين منهم فيقتل أحدهما والآخر ينظر إليه، ويقتلون النفس الزكية بين الركن والمقام، فعند ذلك يغضب الله ويغضب أهل السموات، ثم يرجع الآخر إلى أصحابه فيخبرهم فيخرجون حتى ينزلوا جبال الطائف، فيقيمون فيه، ويبعثون إلى الناس فينساب إليهم ناس، فإذا كان كذلك غزاهم أهل مكة فيهزمون أهل مكة ويدخلونهم مكة، ويقتلون أميرهم، ويكون بمكة إلى خروج المهدي.

وقد قال أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام: لصاحب هذا الأمر غيبتان

- يعني المهدي - إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، وبعضهم ذهب، ولا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره.

قال في (الإشاعة): وهاتان الغيبتان واللّه أعلم ما ذكرنا آنفاً أنه يختفي بجبال الطائف ثم ينساب إليه الناس ويظهر معهم ويهزم أهل مكة، ثم إنه يختفي بجبال مكة ولا يطلع عليه أحد، ويؤيده ما روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر: أنه يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الأشعاب، وأوماً بيده إلى ناحية ذي طوى.

وأما زعم الرافضة أنه محمد بن الحسن العسكري، وأنه غاب ثم ظهر لبعض خواص شيعته، ثم غاب ثانياً وأنه يراه خواص شيعته، فهو ضرب من الهذيان، وقد علمت ما ذكرنا عن الحسين أنه لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره، وهذا ينافي زعمهم أنه يعرفه خواص شيعته، ولا ريب في بطلان كلامهم، فلا نطيل بالرد عليه، واللّه الموفق.

ويحج الناس في تلك السنة من غير أمير، فيطوفون جميعاً فإذا نزلوا منى أخذ الناس كالكلب، فيثور القبائل بعضهم على بعض فيقتلون، وينهب الحاج وتسيل الدماء على جرة العقبة، ويأتي سبعة رجال علماء من أفق شتى على غير ميعاد، قد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر، فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم لبعض: ما جاء بكم؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه الفتن، وتفتح له قسطنطينية، قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه.

قال في (الإشاعة): لم أقف على اسم أم المهدي بعد الفحص والتتبع، ولعلمهم يعرفون اسمها من طريق الكشف لا من طريق النقل. انتهى.

فيقف السبعة على ذلك فيطلبونه فيصیبونه بمكة، فيقولون: أنت فلان؟ فيقول: بل أنا رجل من الأنصار، فينفلت منهم، فيصفونه لأهل الخبرة منهم والمعرفة به، فيقولون هو صاحبكم الذي تطلبونه، وقد لحق بالمدينة، فيطلبونه بالمدينة، فيخالفهم إلى مكة، وهكذا إلى ثلاث مرات، ويسمع صاحب المدينة بطلب الناس للمهدي، فيجهز جيشاً في طلب الهاشميين بمكة، ويأتي أولئك السبعة فيصیبونه في الثالثة بمكة عند الركن، ويقولون: إثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك بنايعك، وهذا عسكر السفيناني قد توجه في طلبنا، عليهم رجل من حزم، ويهددونه بالقتل إن لم يفعل، فيجلس بين الركن والمقام، ويمد يديه فيبايع، فيظهر عند صلاة العشاء معه راية رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه، فإذا صلى العشاء أتى المقام فصلى ركعتين وصعد المنبر، ونادى بأعلى صوته: أذكركم الله أيها الناس ومقامكم بين يدي ربكم، ويخطب خطبة طويلة يرغبهم فيها في إحياء السنن وإماتة البدع، يقول فيها: أذكركم الله أيها الناس ومقامكم بين يدي ربكم، فقد أنجز الحجة وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئاً، وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله، وأن تحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات القرآن، وتكونوا أعواناً في الهدى، ووزراء على التقوى، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وإني أدعوكم إلى الله ورسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء السنة، فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد أهل بدر، وعدد أصحاب طالوت حين جاوزوا معه النهر.

فائدة: ما اجتمع هذا العدد إلا وانتصر، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

معهم أبدال الشام، وعصائب أهل العراق، ونجائب نجباء مصر،

(١) معظم هذه الأمور كسابقتها لا دليل عليها.

على غير ميعاد، فزعاً كفزع الخريف، رهبان بالليل، أسد بالنهار، وبأيتهم جيش صاحب المدينة فيقاتلونهم فينهزمون ويتبعونهم حتى يدخلوهم المدينة، ويستنقذونها من أيديهم.

قال في (الإشاعة): ولا يشكل إتيانهم المدينة مرتين أو ثلاثة مع وقوع البيعة ليلة عاشوراء، وأن المدة بعد قضاء المناسك إلى ليلة عاشوراء قريب من عشرين يوماً أو خمس وعشرين يوماً، ومسافة ما بين الحرمين عشر مراحل وأكثر بالسير المعتاد، مع ما يتخلل ذلك من طلبهم له في كل مرة، إذ يمكن الإتيان على الركبان في خمسة أيام، فيمكن تكرره في خمسة وعشرين على أنهم كلهم أولياء، فيمكن أن تطوي لهم الأرض أو يكونوا من أصحاب الخطوة<sup>(١)</sup>، واللّه أعلم، انتهى.

قلت: قد رأينا من آحاد الناس من قطع مسافة خمس مراحل في يوم واحد، ورأينا من سافر من قصبه نابلس إلى المسجد الأقصى ورجع بيومه قبل صلاة العصر، وذلك في مشهد من الناس، فلا عجب في قطع مثل هؤلاء السادة مثل هذه المسافة في نحو يوم أو يومين، على أنه قد روي أن الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله قطع من الكوفة إلى مكة في ثلاثة أيام، ولذلك قصة مشهورة ذكرها ابن الجوزي في (المناقب)، وكذا البيهقي وغيرهما، واللّه يختص برحمته من يشاء سبحانه، واللّه أعلم.

ويبلغ السفيناني الخبر، فيبعث إليهم بعثاً من الكوفة، فيأتون المدينة فيستبيحونها ثلاثة أيام، ويقتلون قتل الحرة عنده كضربة سوط، ويقصدون المهدي، فإذا خرجوا من المدينة وكانوا ببغداد من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، ولم ينج منهم إلا رجلاً، نذير للسفيناني، وبشير للمهدي، فلما

(١) هذا كلام لا يستبعد وخصوصاً في هذا العصر الذي تقدمت فيه وسائل النقل والاتصال، مع الحذر من كثيرين ممن يدعون أو يدعى لهم أنهم من أصحاب الخطوة.

يسمع المهدي بذلك يقول: هذا أوان الخروج، فيمر على المدينة فيستنقذ من كان أسيراً من بني هاشم، وتفتح له أرض الحجاز كلها، قال في «التذكرة» روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب» فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فوره ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة، فيسير الجيش نحو المشرق حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة - يعني بغداد - قال فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويفتضون أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة من ولد بني العباس، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة، فيلحق ذلك الجيش منها على ليلتين، فيقتلونهم ثم لا يفلت منهم أحد، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، قال ويحل جيشه الثاني بالمدينة، فينتهبون ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام فيقول: يا جبريل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ وَأُخْذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١] فلم يبق منهم إلا رجلان، أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، ولذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: وحديث حذيفة هذا فيه طول، وكذلك حديث ابن مسعود، وفيه - يعني خبر ابن مسعود - إن عروة بن محمد السفيناني<sup>(٢)</sup>،

(١) هذا السياق رواه ابن جرير في التفسير (١٠ / ٣٨٦) في تفسير الآية المذكورة، وأشار إلى ذلك ابن كثير في تفسيره (٣ / ٧١٨) قائلاً: «وحكى ابن جرير عن بعضهم قال: إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس رضي الله عنهم، ثم أورد في ذلك حديثاً موضوعاً بالكلية ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب منه».

(٢) في حاشية الأصل/ قف على اسم السفيناني واسم أبيه.



يكون غيره، ويثور أهل خراسان بعسكر السفيناني، ويكون بينهم وقعات ووقعة بتونس، ووقعة بدولاب، ووقعة بتجزم الزنيخ، فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلاً من بني هاشم بكفه اليمين خال، سهل الله أمره وطريقه<sup>(١)</sup>، هو أخو المهدي من أبيه وأوين عمه، وهو حينئذ بآخر المشرق بأهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السود الصغار، وهذه غير رايات بني العباس، على مقدمته ورجل من بني تميم الموالي ربعة أصفر قليل اللحية، كوسج، واسمه شعيب بن صالح التميمي، يخرج إليه في خمسة آلاف، فإذا بلغه خروجه صيره على مقدمته، لو استقبلته الجبال الرواسي لهدها، يمهد الأرض للمهدي كما مهدت قريش للنبي ﷺ.

وعنه ﷺ «إذا سمعتم برايات سود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، قال علي كرم الله وجهه فإن فيها خليفة الله المهدي»<sup>(٢)</sup> أي نفره، وإلا فهو حينئذ بمكة، فيلتقي هو - أي الهاشمي وخيل السفيناني - فيقتل منهم مقتلة عظيمة بيضاء اصطخر حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرساغها، ثم تأتيه جنود من قبل سجستان عليهم رجل من بني عدي، فيظهر الله أنصاره وجنوده، وظاهر السياق أن الجنود جاءت لنصر

(١) في حاشية الأصل/ كذا وفيه وقفة لا تخفى.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧) رقم ٢٢٤٤١ بلفظ: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي».

والحاكم (٤/ ٥١٠) رقم ٨٤٣٢ باختلاف في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وفي (٤/ ٥٤٧) رقم ٨٥٣١ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه عن ثوبان.

وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٤١١) رقم ١٦٤، ونقل عن ابن الجوزي قوله: إنه لا أصل له، وذكره في الموضوعات، ودافع عنه ابن حجر في القول المسدد (٤٢) فقال: وفي طريق ثوبان علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف، ولم يقل أحد إنه كان يتعمد الكذب حتى يحكم على حديثه بالوضع إذا انفرد.

الهاشمي، ويحتمل على بعد أن تكون جاءت لمحاربتة فينصره الله عليهم، ثم تكون وقعة بالمدائن بعد وقعة ري، وفي عاقر قوفا<sup>(١)</sup> وقعة صلبه يخبر عنها كل ناج، وتقبل الرايات السود حتى تنزل الماء، كذا في الخبر.

قال في (الإشاعة): ولعله ماء دجلة، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيناني نزولهم هناك، فيهربون ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ثم يخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب، ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم بعض أهل البصرة قد تركوا السفيناني، فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود يبعثهم إلى المهدي، ويقبل المهدي من الجهاز والسفيناني من الكوفة بعد أن يبلغه خبر خسف جيشه، ولا يهوله ذلك إلى الشام - متعلق بيقبل - كأنهما يعني المهدي والسفيناني فرسا رهان، فيسبقه الصخري فيقطع بعثاً آخر من الشام إلى المهدي، فيدركون المهدي بأرض الحجاز فيبايعونه بيعة المهدي ويقبلون معه إلى الشام.

تنبيه: جاء في بعض الروايات أن الجيش الذي يخسف به يبعث من الشام، وفي بعضها من العراق، قال ابن حجر كغيره: ولا منافاة، لأن البعث من العراق، لكنهم لما كانوا من أهل الشام نسبوا إليها في الرواية الأخرى، وفي رواية أن المهدي يقاتل هذا الجيش الثاني، عدد أهل بدر أصحاب المهدي يومئذ فيسمع صوت من السماء ألا إن أولياء الله فلان يعني المهدي، فتكون الدبرة على أصحاب السفيناني، فيقتلون لا يبقى منهم إلا الشريد، فيهربون إلى السفيناني فيخبرونه.

(١) عرقوف بفتح العين وسكون القاف وفتح الراء وضم القاف الثانية وسكون الواو وفاء: قرية من نواحي نهر عيسى ببغداد إلى جانبها تل عظيم يظهر للرائين من مسيرة يوم/ معجم البلدان (٤٢/٢).

ويمكن الجمع كما في «الإشاعة»: بأن بعضهم يبایعه وبعضهم يقاتله فيهربون، وأن الذين يقاتلون هم الذين يبعثهم صاحب المدينة الأمير من قبل السفيناني إلى مكة كما مرت الإشارة إليه، ويؤيده أنه يقاتلهم في عدد أهل بدر، أجتهم يومئذ البراذع، فإن هذه الصفات تناسب حالهم عند ابتداء البيعة، ثم إن السفيناني يفسد في الأرض، ويظهر الكفر، حتى إنه يطاف بالمرأة وتجامع نهراً في مسجد دمشق على مجلس شرب، حتى تأتي فخذ السفيناني فتجلس عليه وهو في المحراب قاعد، فيقوم رجل مسلم من المسلمين فيقول: ويحكم أكفرتم بعد إيمانكم؟ إن هذا لا يحل، فيقوم إليه فيضرب عنقه في المسجد، ويقتل كل من شايعه، فعند ذلك ينادي مناد من السماء: أيها الناس إن الله قد قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياءهم، وولاكم خير أمة محمد ﷺ - يعني يومئذ - فالحقوا به بمكة فإنه المهدي، واسمه أحمد بن عبد الله، ويسير المهدي بالجيوش حتى يصير بوادي القرى - وهو من المدينة على مرحلتين إلى جهة الشام - في هدوء ورفق، يلحقهم هناك ابن عمه الحسن في اثني عشر ألفاً، فيقول له: يا ابن العم أنا أحق منك بهذا الجيش، أنا ابن الحسن وأنا المهدي، فيقول له: بل أنا المهدي، فيقول الحسني: هل من آية فأبايعك؟ فيومئ المهدي إلى الطير فيسقط على يده، ويغرس قضيباً يابساً في بقعة الأرض فيخضر ويورق، فيقول الحسني: يا ابن عمي هي لك، وهذا دليل واضح على أن المهدي من أولاد الحسين ﷺ، وإنما قال الحسن أنا أحق بهذا منك، لأنه ظن أن الحسن لكونه صار خليفة - كما مر - تكون الخلافة في نسله بخلاف الحسين، على أن بعض الناس قد بايع سيدنا الحسين، وأيضاً فإن الحسن قد نزل عن الخلافة فقوت حقه، بخلاف الحسين فإنه ما نال ما أراد، فحقه باق، فأعطاه الله الخلافة في أولاده.

فإن قيل هذا الحسيني إن كان هو الذي قدم بالرايات السود، فقد مر أنه بعث بالبيعة من الكوفة، وأنه لا يقدم الحجاز وإنما يلقاه ببيت المقدس؟ وإن كان غيره فكيف ينازعه بعد أن بايعه أهل الحجاز كلها وأهل المشرق والعراق؟ والجواب كما في (الإشاعة): أنه إن قلنا أن القادم بالرايات أخوه كما في بعض الروايات فهذا غيره قطعاً، وحينئذ فوجه دعواه أن البيعة للمهدي إنما هي للمتصف بهذا الوصف لا الشخص بعينه، فيدعي أن البيعة له لأنه المهدي، فلما ظهر له أنه هو غير المهدي، وإنما المهدي هو ذاك بايعه، وإن قلنا أنه ابن عمه، فإن كان غير هذا الحسيني فالجواب ما مر، وإن كان هو فمعنى ملاقاته أنه يرسل إليه جماعة اثني عشر ألفاً أمداداً واحتياطاً، أن لا يكون هو المهدي فينازعونه على الخلافة، ويؤمر عليهم واحداً ويأمره بأن يمتحنه ويوكله في البيعة على التردد، فلما بايعوه صح أن يقال بعث له بالبيعة، وأن يقال لقيه مجازاً، كذا قاله، والله أعلم، فيبقى المهدي حتى إذا وصل - انتهى - إلى حد الشام الذي بين الشام والحجاز، أقام بها، فيقال له: انفذ، فيكره المجاوزة ويقول: أنا أكتب إلى ابن عمي - يعني الصخري - فإن خلع طاعتي فأنا صاحبكم، فإذا أتاه كتاب المهدي قال أصحابه: إن هذا المهدي قد ظهر، لتبايعنه أو لنقتلنك، فبإياعه ويسير إليه حتى ينزل بيت المقدس، فلا يترك المهدي بيد رجل من أهل الشام فتراً من الأرض إلا رده لأهل الذمة ورد المسلمين جميعاً إلى الجهاد، ثم يخرج رجل من كلب يقال له كنانة<sup>(١)</sup>، بعينه كوكب، في رهط من قومه، حتى يأتي الصخري فيقول: بايعناك ونصرتناك، حتى إذا ملكت بايعت هذا الرجل؟ ويعبرونه، فيقولون: كساك الله قميصاً فخلعته، فيقول: ما ترون؟ أنقض العهد؟ فيقولون: نعم، ما يبقى عامرية أمها أكبر منك إلا لحقتك لا

(١) في حاشية الأصل/ قف على أمر كنانة.

يتخلف عنك ذات خف ولا ظلف، فيرحل وترحل معه عامر بأسرها، فيوجه إليهم المهدي راية، وأعظم راية في زمانه مائة رجل، فتصف كلب خيلها ورجلها وإبلها وغنمها، فإذا تسامت الخيلان ولّت كلب أدبارها، فيقتلونهم ويسبونهم، حتى تباع العذراء منهم بثمانية دراهم، ويؤخذ الصخري فيؤتى به أسيراً إلى المهدي، فيذبح على الصخرة المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي ببطن الوادي، على درج طور زيتاً المقنطرة التي على الوادي كما تذبح الشاة، وقد قال ﷺ: «الخائب من خاب يومئذ من غنيمة كلب ولو بعقال، قيل: يا رسول الله كيف يغتنمون أموالهم ويسبون ذراريهم وهم مسلمون؟ قال ﷺ: يكفرون باستحلالهم الخمر والزنا»<sup>(١)</sup> ويأتي الهاشمي بالرايات السود وسيفه على عاتقه ثمانية أشهر. وفي رواية: ثمانية عشر شهراً، يقتل ويمثل، حتى يقول الناس: معاذ الله أن يكون هذا من ولد فاطمة، ولو كان لرحمنا، يغريه الله ببني عباس وبني أمية ويكون لهم وقعة بأرض من أرض نصيبين ووقعة بحران، وشعارهم أمت أمت، وفي رواية بكش بكش والمعنى واحد، حتى يسلموها للمهدي.

فإن قيل: قد ورد في بعض الروايات أنه يحمل سيفه ثمانية أشهر، وفي بعضها ثمانية عشر شهراً، وفي بعضها اثنان وسبعون شهراً، وهي مدة ست سنين، وفي بعض الروايات أنه يسلم الرايات إلى المهدي بيت المقدس، وفي أخرى أنه لا يبلغه حتى يموت، وفي أخرى فتلقتي رايات الهاشمي مع خيل السفيناني فيكون بينهم مقتلة عظيمة، وتنهزم خيل

(١) روى نحوه أبو داود (٢/ ٥١٠) رقم ٤٢٨٦، والحاكم (٤/ ٤٧٨) رقم ٨٣٢٨، وقال الذهبي: أبو العوام عمران ضعفه غير واحد وكان خارجياً والطبراني في الكبير (٢٣/ ٣٩٠) رقم ٩٣١ كلهم عن أم سلمة.

السفياني، ثم تكون الغلبة للسفياني، فيهرب الهاشمي ويأتي التميمي مستخفياً إلى بيت المقدس، يمهد للمهدي إذا خرج إلى الشام فما وجه الجمع؟.

فالجواب: عن الجمع بين الروايات أن رواية اثنين وسبعين باعتبار جميع مدته، ورواية ثمانية عشر شهراً باعتبار مدة ما بعد قتاله مع خيل السفياني واجتماع شعيب بن صالح، وثمانية باعتبار ما بعد نزوله الكوفة وبعثه بالبيعة إلى المهدي، وهذا جمع حسن لا بأس به كما في (الإشاعة).

وأما الجمع بين الروايات الأخر هو أن يقال: على بعد أن ضمير يموت راجع إلى السفياني، أو يرجع إلى الهاشمي، ويكون القادم بالرايات التميمي، ونسبته إلى الهاشمي مجازاً للسبب، أو أنه يوصل الرايات وتفتح الشام ويموت قبل اجتماعه بقليل، على أن روايات قدومه بالرايات ووصوله إليه أكثر وأشهر، فتقدم عند عدم إمكان الجمع، والله أعلم، وإنما تتساقط إذا تعارضت، وكذلك روايات النصر والغلبة أكثر من روايات الهزيمة، فَتَقْدَمُ، ولو جمع فوجه الجمع أنه ينهزم في بعض الوقعات ثم تكون له الغلبة بعد ذلك.

قلت: وذكر في «التذكرة» أن المهدي يبايع مرتين قال: فإنه روى من حديث ابن مسعود رضي الله عنه «أنه يخرج في آخر الزمان من المغرب الأقصى يمشي النصر بين يديه أربعين ميلاً، راياته بيض وصفر، فيها رقوم، فيها اسم الله الأعظم مكتوب، فلا تهزم له راية، وقيام هذه الرايات وانبعاتها من ساحل البحر بموضع يقال له: ماسة من جبل المغرب، فيعقد هذه الرايات مع قوم أخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ

هُمُ الْمَفْلُحُونَ ﴿ [المجادلة: ٢٢] ﴾<sup>(١)</sup> الحديث بطوله .

قال العلامة في (البهجة) قال بعضهم: إنه يخرج من المغرب، وأنه من أجل ذلك سمي بنو إدريس أنفسهم بالمهدية، طمعاً أن يكون منهم، انتهى .

ثم ذكر في حديث ابن مسعود: فيأتي الناس من كل جانب ومكان، فيبايعونه يومئذ بمكة وهو بين الركن والمقام وهو كاره .

قال القرطبي: وهذه المبايعة الثانية بعد البيعة الأولى التي بايعه الناس بالمغرب، ثم إن المهدي يقول: أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدوكم، فيجيبونه لا يعصون له أمراً، فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفيناني ومن معه من كلب، ثم يبدد جيشه، ثم يؤخذ عروة السفيناني على أعلى شجرة من بحيرة طبرية، قال: والخائب يومئذ من خاب من قتال كلب ولو بكلمة أوبتكيرية أو بصيحة، فقال حذيفة يا رسول الله كيف يحل قتالهم وهم مسلمون؟ فذكر نحو ما تقدم .

وفي الحديث: «لا تحشر أمتي حتى يخرج المهدي، يمد الله بثلاثة آلاف من الملائكة، ويخرج إليه الأبدال من الشام والنجباء من مصر وعصائب أهل الشرق، حتى يأتوا مكة، فيبايع له بين الركن والمقام، ثم يتوجه إلى الشام، وجبريل على مقدمته، وميكائيل على يساره، ومعه أهل الكهف أعوان له، فيفرح به أهل السماء والأرض، والطير والوحش والحيتان في البحر، وتزيد المياه في دولته، وتمتد الأنهار وتضعف الأرض أكلها، قال: فيقدم إلى الشام فيأخذ السفيناني فيذبح تحت الشجرة التي

(١) لم أقف عليه إلا عند القرطبي في التذكرة (٧٠٢) .

أغصانها إلى بحيرة طبرية»<sup>(١)</sup>.

وفي (البهجة) للعلامة: ثم يتوجه - يعني المهدي - إلى المدينة ومعه المؤمنون، إلى أن قال: ثم ينهزم السفيناني إلى الشام، فيقصده المهدي فيذبحه عند عتبة بيت المقدس كما تذبح الشاة، ويغنمه ومن معه من أخواله الذين هم جنده من بني كلب، ولا أكثر من تلك الغنيمة .

كذا رأيت في (البهجة)، وهو كما ترى وهم إن لم يكن غلطاً من الكتابة النساخ، والله أعلم.

فإن قلت: قد ذكرت هنا ثلاث روايات في قتل السفيناني ومن المعلوم أنما الصحيح واحدة فما هي؟ .

قلت: أما الرواية التي ذكرناها أولاً وهي أن السفيناني يؤخذ على شجرة على بحيرة طبرية فليس فيها أنه يقتل على تلك الشجرة، وإنما فيها أنه يؤخذ عليها، والرواية الثانية: أنه يذبح تحت الشجرة، تفسير للرواية الأولى، أي يؤخذ على تلك الشجرة ويذبح تحتها، وأما الرواية الثالثة التي ذكرناها عن العلامة فهي إن لم تكن غلطاً من النساخ وهو الظاهر، وإلا وهم، وإنما الذي يذبح ثم الصخري كما مر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم تمهد الأرض للمهدي ويدخل في طاعته ملوك الأرض كلهم، ويبعث بعثاً إلى الهند، فيفتح ويؤتى بملوك الهند إليه مقفلين، وتنقل خزائنها إلى بيت المقدس، فتجعل حلية لبيت المقدس، ويمكن في ذلك سنين .

(١) لم أقف عليه بهذا السياق ووقفت على سياق آخر له عند أبي داود (٢ / ٥١٠) رقم ٤٢٨٦، وأحمد (٦ / ٣١٦) رقم ٢٦٧٣١ والطبراني في الأوسط (٢ / ٣٥) رقم ١١٥٣، وذكره العسقلاني في القول المسدد (٨٤).

ومنها: الملحمة الكبرى: وذلك أن بعد هلاك السفيناني يهادن المهدي الروم صلحاً آمناً تسع سنين، على ما في بعض الروايات، فيغزو المسلمون عدواً من وراء الروم فيغنموهم وينصرفون، حتى ينزلوا بمرج ذي تلول - وهو موضع - فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب، فيتداولونها بينهم، فيثور المسلم إلى صليبيهم وهو منهم غير بعيد فيدقه، فتثور الروم إلى كاسر صليبيهم فيقتلونه، فتثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتلون عن آخرهم، فتقول الروم إلى ملكهم: كفيناك حد العرب وقتلنا أبطالها، فما تنتصر، فيجمعون في مدة تسعة أشهر مقدار حمل امرأة، فيأتون تحت ثمانين غاية أي: راية، وهي بالغين المعجمة والياء التحتية ويروى بالموحدة، أي تحت رماح كالغابة، وفي لفظ: فيسيرون بثمانين بندا والمعنى واحد، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً، فينزلون بالأعماق - بالعين المهملة - أوبدابق - بوزن طابع بكسر الباء وفتحها هما موضعان قرب حلب وأنطاكية - فيخرج إليهم جلب من المدينة من أخيار أهل المدينة يومئذ، وهم الذين خرجوا مع المهدي، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم - يروى سبوا بضم السين بالبناء للمفعول، وفتحها على البناء للفاعل، والمعنى على الأول الذين سببتموهم منا وخرجوا من ديننا وصاروا يقاتلوننا، وعلى الثاني، الذين سبوا أولادنا ونساءنا<sup>(١)</sup>، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فينهزم من المسلمين ثلاث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلاث هم أفضل الشهداء عند الله<sup>(٢)</sup>، ويفتح ثلاث لا يفتنون أبداً، وفي رواية: فيشترط المسلمون شرطت الموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتتلون حتى يحجز

(١) في الأصل بعد ذلك كلمة (فينهزم من المسلمين) وأظنها مقحمة إذ لا معنى لها.

(٢) في حاشية الأصل/ قف على أفضل الشهداء عند الله.

بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وكل غير غالب، ثم تشتط المسلمون شرطت الموت، - الشرطة بالضم طائفة من الجيش تقدم لقتال الموت - لا ترجع إلا غالبية - فيرجعون غير غالبين إلى ثلاثة أيام، فإذا كان اليوم الرابع نهد - أي نهض - إليهم بقية الإسلام، فيجعل الدبرة على الكفرة، فيقتلون مقتلة لم ير مثلها، حتى أن الطائر ليمر بجناباتهم فما يخلفهم حتى يخرميتاً، ويتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون بقى منهم إلا الرجل، فلا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة، ويكون لخمسين امرأة قيم واحد.

قوله: بجناباتهم - هو بالجيم فنون موحدة أي بنواحيهم. وقوله: لا يخلفهم بتشديد اللام أي لا يجعلهم خلفه أي لا يتجاوزهم حتى ينقطع عن الطيران ويموت من بُعد مسافة المقتلة، والقيم هو الذي يقوم بمصالح البيت، واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

ثم يتبعونهم ضرباً وقتلاً حتى ينتهوا إلى قسطنطينية - أي الكبرى - قال في (عقد الدرر) لها سبعة أسوار الذي يلي البلد عشرة أذرع على ساحل البحر، وهو خليج يصب في البحر الرومي الذي طوله كما في «البهجة» خمسة آلاف ميل، وعرضه ستمائة ميل، ويخرج منه خليج إلى أرض بربر طوله ميل. قال في «الخريدة» مخرجه من المحيط، ثم يأخذ مشرقاً فيمر بشمالي الأندلس، ثم ببلاد الإفرنج إلى قسطنطينية، ويمتد ببلاد الجنوب، فيركز لواءه عند البحر ليتوضأ للفجر، فيتباعد الماء منه فيتبعه حتى يجوز من تلك الناحية، ثم يركزه وينادي: أيها الناس اعبروا، فإن الله عز وجل فلق لكم البحر كما فلقه لبني إسرائيل، فيجوزون، فيستقبلونها فيكبرون فتنهز<sup>(١)</sup> حيطانها، ثم يكبرون فتنهز، ويسقط في الثالثة منها ما بين اثني عشر برجاً،

(١) نهز نهزا: دفعه وضربه... لسان العرب/ مادة: نهز.

فيفتحونها ويقيمون بها سنة حتى ينوا المساجد، ثم يدخلون مدينة أخرى،  
 فينما هم يقسمون فيها المال بالأترسة<sup>(١)</sup>، إذا بصارخ: الدجال خلفكم في  
 ذرايكم بالشام، فيرجعون، فإذا الأمر باطل، فالتارك ندم، ثم ينشئون ألف  
 سفينة، ويركبون فيها من عكا، وهم الذين يركبون من مدينة عكا أهل  
 المشرق والمغرب والحجاز والشام على قلب رجل واحد، فيسيرون إلى  
 رومية.

وروي عن عبد الله بن بسر المازني قال لبعض أصحابه: يا ابن أخي  
 لعلك تدرك فتح القسطنطينية، فإياك إن أدركت فتحها أن تترك غنيمتك  
 منها، فإن بين فتحها وبين خروج الدجال سبع سنين، رواه نعيم بن حماد  
 في الفتن .

ويستخرج - أي المهدي - كنز بيت المقدس<sup>(٢)</sup> وحليه من  
 القسطنطينية الذي أخذها طاهر بن أسماء حين غزا بني إسرائيل، فسباهم  
 وسبى حلي بيت المقدس، وأحرقها بالنيران وحمل منها في البحر ألفاً  
 وسبعمئة سفينة حتى أوردتها رومية.

قال حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليستخرجن  
 المهدي ذلك حتى يرده إلى بيت المقدس»<sup>(٣)</sup> قال في «عقد الدرر» رومية أم  
 بلاد الروم، وكل من ملكها يقال له الباب، وهو الحاكم على دين النصرانية  
 بمنزلة الخليفة على المسلمين، ليس في بلاد المسلمين مثلها، وقد ذكر

(١) الترس من السلاح المتوقى بها وجمعه أتراس وترس وتروس قال يعقوب: ولا تقل أترسة.  
 لسان العرب: مادة ترس.

(٢) في حاشية الأصل/ قف على كنز بيت المقدس.

(٣) ذكره القرطبي في التفسير (١٠ / ١٩١) وفي التذكرة (٧٠٤).

المؤرخون في صفتها عجائب لم تسمع في غيرها، فلتراجع، فيكبرون عليها أربع تكبيرات، فيسقط حائطها، فيقتلون ستمائة ألف، ويستخرجون منها حلي بيت المقدس، والتابوت<sup>(١)</sup> الذي فيه السكينة، ومائدة بني إسرائيل، ورضاضة الألواح - أي ألواح موسى - وحلة آدم، وعصا موسى، ومنبر سليمان، وقفيزين من المن الذي أنزله الله تعالى على بني إسرائيل، أشد بياضاً من اللبن، كذا في (الإشاعة).

ولا يخفى بُعد ذلك مع ما تقدم أن التابوت يستخرجه المهدي من بحيرة طبرية أو من غار أنطاكية.

ومما ينبغي أن يعلم أن كتب الملاحم بعيدة عن الصحة<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أحمد: ثلاثة كتب ليست لها أصول: كتب الملاحم، والمغازي، والتفاسير، وحمله الدارقطني على كتب مخصوصة في المغازي والتفاسير، وأما الملاحم فأبقاه على عمومها، نعم استثنى العلامة كغيره من الأئمة قتل الروم وفتح القسطنطينية على يد المهدي.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، فإذا قالوا لا إله إلا الله والله أكبر سقط أحد جانبيها، ثم يقولون الثانية لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم فيدخلونها فيقتسمون، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فيقول: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»<sup>(٣)</sup>.

(١) في حاشية الأصل/ قف على أخذ المهدي لتابوت موسى.

(٢) تأمل هذا واستمسك بما تسنده الأدلة من روايات الملاحم والفتن.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٩٢٠.

انتهى قال في «الإشاعة»: بعد أن ذكر فتح رومية «ثم يأتون مدينة يقال لها القاطع طولها ألف ميل، وعرضها خمس مائة ميل، ولها ستون وثلاثمائة باب<sup>(١)</sup>، يخرج من كل باب مائة ألف مقاتل، وهي على البحر، لا يحمل - يعني البحر - فيه جارية - أي سفينة - قيل: يا رسول الله ولم لا يحمل فيه جارية؟ قال: لأنه ليس له قعر وإنما يمرون من خلجان من ذلك البحر جعلها الله منافع لبني آدم لها قعور، فهي تحمل السفن، فيكبرون عليها أربع تكبيرات فيسقط حائطها فيغنمونها، ثم يقيمون بها سبع سنين، ثم ينقلون منها إلى بيت المقدس فيبلغهم أن الدجال قد خرج من يهود أصبهان». أخرجه أبو عمرو الداراني في سننه.

وفي رواية «ثم يأتي - يعني المهدي - مدينة يقال لها القاطع وهي على البحر الأخضر المحيط بالدنيا ليس خلفه إلا أمر الله عز وجل» فذكر نحو ما مر.

واعلم أنه ورد أن المهدي يدخل كل مدينة دخلها ذو القرنين ويصلحها، وأنه لا يبقى جبار إلا هلك، وقد ورد عنه عليه السلام: «ملك الدنيا مؤمنان وكافران أما المؤمنان فذو القرنين وسليمان، وأما الكافران فنمرود وبخت نصر، وسيملكها خامس من عترتي وهو المهدي»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «أصحاب الكهف أعوان المهدي»<sup>(٣)</sup>. قال العلماء: حكمة تأخيرهم إلى هذه المدة ليحوزوا

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٤٦) رقم ٣١٩١٦ عن مجاهد قال: «لم يملك الدنيا كلها إلا أربعة: مسلمان وكافران، فأما المسلمان فسليمان بن داود وذو القرنين، وأما الكافران فبخت نصر والذي حاج إبراهيم في ربه»، ورواه بنحوه الطبري في التفسير (٣/ ٢٥) موقوفاً على مجاهد كذلك، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٣٣٦) موقوفاً على سفيان الثوري.

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٥٠٣) وضعف إسناده وعزاه إلى ابن مردويه في التفسير.

شرف الدخول في أمة محمد ﷺ إكراماً لهم .

قلت : وفي هذا نظر لا يخفى على ذي بصر ، حيث أكرمهم الله بذلك فلم لم يكرمهم بما هو أفضل من ذلك ، وهو الاجتماع بسيدنا وسيد الكونين محمد ﷺ؟ ليفوزوا بشرف الصحبة والدخول في الأمة ورؤية المصطفى التي لا يعادلها في الدنيا شيء ، والجهاد معه لكن لله حكم آخر يدق فهمها عن عباده إلا من منحه الله تعالى نوراً فانجاب به عن قلبه الران ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فإن كان الحديث ثابتاً فلا ريب أن في تأخيرهم لخروج المهدي حكمة يعجز فهم كثير من الخلق عن إدراكها ، وقد يقال يمكن أن تكون في زمن المهدي الحاجة داعية لخروجهم أكثر من غير زمنه ، لخفة الدين حينئذ ، فإنه يخرج في انمحاق الدين ، قيل : إنه لم يبق على وجه الأرض من المسلمين إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر كما ورد ، وإن كان الحديث لم يثبت فلا حاجة إلى هذا كله ، والله سبحانه وتعالى أعلم بما هو كائن .

**فائدة :** ورد أن أول لواء يعقده المهدي يبعث به إلى الترك ، قال في (الإشاعة) : والظاهر أن هذه الفتوح تكون في مدة مهادنته الروم لأن بعد اشتغاله بهم لا يتفرغ لغيرهم ، وأنه يبعث البعوث والسرايا ، ونسبة دخول الآفاق إليه يكون مجازاً ، وهذا محاولة منه لتوجيه هذا الكلام كما لا يخفى ، والله أعلم .

**تنبيه :** ورد أن الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر ، وفي رواية سبع سنين .

وقال أبو داود في سننه : ورواية سبع سنين أصح من رواية سبعة

أشهر<sup>(١)</sup> ذكره في الإشاعة، وكذا من رواية سنة.

تمة: اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي، ففي بعضها يملك خمساً أو سبعاً أو ستاً بالترديد، وفي بعضها تسعة عشر<sup>(٢)</sup> سنة وأشهرأ، وفي بعضها عشرين وفي بعضها ثلاثين، وفي بعضها أربعين<sup>(٣)</sup> منها تسع سنين يهادن الروم فيها، قال في «القول المختصر» ويمكن الجمع - على تقدير صحة الكل - بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة، فيحمل الأكثر على أنه باعتبار جميع مدة الملك، والأقل على غاية الظهور، والأوسط على الأوسط، انتهى.

قال في (الإشاعة): ويدل على ما قاله وجوه:

الأول: أنه ﷺ بشر أمته - خصوصاً أهل بيته - ببشارات، وأن الله يعوضهم عن الظلم والجور قسطاً وعدلاً، واللائق بكرم الله أن يكون مدة

(١) أخرج أبو داود في سننه (٥١٣ / ٢) رقم ٤٢٩٥ عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ «الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر».

وأخرجه في رقم ٤٢٩٦ عن عبد الله بن بسر أن رسول الله ﷺ قال: «بين الملحمة وبين فتح المدينة ست سنين، ويخرج الدجال في السابعة». وقال أبو داود: هذا أصح من حديث عيسى.

وأخرج الرواية الأولى الترمذي (٥٠٩ / ٤) رقم ٢٢٣٨ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا نبي الله ﷺ فقال: «إن في أمتي المهدي، يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً - زيد الشاك - قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين. قال: فيجيء إليه رجل فيقول: يا مهدي، أعطني أعطني. قال: فيحسني له في ثوبه ما استطاع أن يحمله».

الترمذي (٥٠٦ / ٤) رقم ٢٢٣٢ وقال: هذا حديث حسن.

وأخرجه أحمد (٢١ / ٣) رقم ١١١٧٩.

والطبراني في الأوسط (٣١١ / ٥) رقم ٥٤٠٦ باختلاف في بعض الألفاظ، وكلمة ثمان بدلاً من سبع.

ولم أقف على بقية الروايات.

ذلك قدر ما ينسون فيه الظلم والجور والفتن، والسبع والتسع أقل من ذلك.

**الثاني:** أنه يفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان، ويدخل جميع الآفاق كما في بعض الروايات، ويبنى المساجد والبلدان، ويحلي بيت المقدس، وهذا لا يمكن في مدة التسع.

**الثالث:** ورد أن الأعمار تطول في زمانه، وطولها مستلزم لطول، مدته، وإلا لا يكون طولها في زمنه، والتسع وما دونه ليست من الطول في شيء.

**الرابع:** أنه يهادن الروم تسع سنين، ويقيم بالقسطنطينية سنة، وبالقاطع سبعا، ومدة المسير إليها مرتين، والرجوع في أثنائه يكون سنين، وقاتله السفيناني ونقضه العهد بعد ثلاث سنين، وفتحته للهند وسائر البلدان يكون في سنين كثيرة، هذا ملخص كلامه، وأطال فليراجع.

**تنبيهان: الأول:** قال العلامة في «البهجة» كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، قال والصحيح بل الصواب أنه غيره، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات فعند ابن إسكاف مرضياً مسنداً إلى جابر رضي الله عنه «من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر»<sup>(١)</sup> ألا ترى أن الشارع أخبر به وبشر كما ثبت ذلك بالروايات الصحيحة المتقدمة.

قلت: ورد في بعض الأحاديث: «لا مهدي إلا عيسى ابن مريم»<sup>(٢)</sup> وهو ضعيف، ولو ثبت لوجب حمله على معنى لا ينافي وجود المهدي،

(١) جزء من حديث ذكر نحوه ابن حجر في لسان الميزان (٥ / ١٣٠) وحكم عليه بالوضع.  
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢ / ١٣٤٠) رقم ٤٠٣٩، وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢ / ٦٨) رقم ٨٩٨، والحاكم في المستدرک (٤ / ٤٨٨) رقم ٨٣٦٣ وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٥١٠) رقم ١٢٧ وقال: موضوع.

لأن أحاديثه كثيرة جداً، بل قد بلغت حد التواتر المعنوي، وتأويله أنه لا قول للمهدي إلا بمشورة عيسى، إن قلنا أنه وزيره، أو لا مهدي معصوماً مطلقاً إلا عيسى، ولا اعتبار بمن اغتر بالرواية المارة، فإن ذلك سهو من المعتمد ذلك، وقصور عن معرفة الأحاديث صحيحها من سقيمها، وإلا فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والشيعة أيضاً، لكنهم زعموا أنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه، أو أنه محمد العسكري كما مرت الإشارة إلى ذلك، والله أعلم.

**الثاني:** صح عن ابن سيرين أن «المهدي خير من أبي بكر وعمر قد كان يفضل الأنبياء»<sup>(١)</sup> وصح عنه «لا يفضل عليه أبو بكر وعمر» وهو وإن كان أخف من الأول فليس على ظاهره، لأن الأمة أجمعت على أنهما أفضل منه، بل ومن جميع الصحابة، - خلافاً للرافضة خذلهم الله - بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي، على أنه من كلام ابن سيرين ولم يذكر له سنداً فلا يصار إليه، بل الحق أن أبا بكر وعمر وبقية العشرة بل وبقية الصحابة أفضل من المهدي، وما ورد بخلاف ذلك فليس على ظاهره، نعم لنا صحابي أفضل من أبي بكر وعمر وهو عيسى ابن مريم عليه السلام كما سنينه إن شاء الله تعالى، ثم يستمر سيدنا المهدي حتى يسلم الأمر لروح الله عيسى ابن مريم عليه السلام، ويصلي المهدي بعيسى صلاة واحدة وهي الفجر، ثم يستمر المهدي على الصلاة وراء سيدنا عيسى عليه السلام بعد تسليمه الأمر إليه، ويكون معه حتى يقتل سيدنا عيسى عدو الله الدجال بباب لد كما يأتي، ثم يرجع سيدنا عيسى إلى بيت المقدس فيموت سيدنا المهدي فيصلي عليه روح الله عيسى عليه السلام، ويدفنه هناك، كما في «البهجة» والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) هذا يعارض عليه أهل السنة والجماعة من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما.

## الفصل الثاني

في الدجال وما يتعلق به والكلام عليه في أربع مقامات

المقام الأول: في اسمه ونسبه ومولده .

فأما اسمه: فإنه صافي ابن صياد أو صائد، ومولده المدينة بناء على أن ابن صياد هو الدجال كما يأتي، وقيل إن الدجال شيطان موثق في بعض الجزائر، وهو من أولاد الشق الكاهن المشهور، وهو شق نفسه وكانت أمه جنية عشقت أباه فأولدها شقاً<sup>(١)</sup>، وكانت الشياطين تعمل له العجائب، فحبسه سليمان، وليس بشيء .

وأما لقبه فالمسيح بفتح الميم وكسر السين مخففة وبالحاء المهملة وسُمع مسيح بالتشديد قاله الأزهري على وزن فعيل فرقاً بينه وبين عيسى ﷺ .

قال الغنيمي الشافعي في رسالته «الأجوبة المفيدة على الأسئلة العديدة» ما نصه: قال ابن دحية عن شيخه أبي القاسم عن أبي عمران موسى ابن عبد الرحمن قال: سمعت الحافظ أبا عمر ابن عبد البر يقول: ومنهم من قال ذلك بالحاء المعجمة، وذلك عند أهل العلم خطأ، ولذا ثبت عن رسول الله ﷺ أنه نطق بالحاء المهملة، ونقله الصحابة المبلغون عنه، وقال الراجز:

(١) شق كاهن مشهور في الجاهلية وهو سعد بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرق بن عبقر بن أنمار بن نزار، وغالباً ما يرتبط اسمه باسم سطیح وهو كاهن كذلك، ولهما موقف مشهور في تأويل رؤيا لربيعة بن نصر أحد ملوك التبابعة في اليمن، وفيها بشرا بميلاد سيدنا محمد ﷺ وبانتشار دينه .

انظر ابن هشام السيرة النبوية (١ / ١١) .

## إذا المسيح قتل المسيحا

يعني عيسى عليه السلام يقتل الدجال، انتهى ملخصاً، وقد بسط الكلام على ذلك فليراجع.

وأما صفته: فالدجال: مشتق من الدجل وهو الخلط واللبس والخدع، فمعنى الدجال الخداع الملبس على الناس، ومنه قوله عليه السلام حين خطب إليه أبو بكر فاطمة رضي الله عنها: «إني وعدتها لعلي ولست بدجال»<sup>(١)</sup> أي لست بخداع ولا ملبس عليك أمرك.

وأما تلقيبه بالمسيح، فقيل: لأن عينه الواحدة ممسوحة يقال: رجل مسيح الوجه إذا لم يبق على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب إلا استوى، وقيل: لأنه يمسح الأرض: أي يقطعها.

وقال أبو الهيثم هو مسيح بوزن سكين، وهو الذي مسح خلقه وشوه، وزعم بعضهم: أن الدجال بالخاء المعجمة وعيسى بالمهمله.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: وبالع الفاضي ابن عربي<sup>(٢)</sup> فقال: ضل قوم قرروه بالخاء المعجمة، وشدد بعضهم السين، ليفرقوا بينه وبين المسيح ابن مريم عليه السلام، وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الدجال: «مسيح الضلالة»<sup>(٣)</sup> فدل على أن عيسى مسيح الهدى، فأراد هؤلاء تعظيم

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٢٩) رقم ١٥٢٠٦ بلفظ: (هي لك يا علي لست بدجال). وقال: وحجر لا يعلم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث، ورجاله ثقات، إلا أن حجراً لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) كذا بالأصل والصواب كما في الفتح (٩٤ / ١٣) (العربي).

(٣) أخرجه أحمد (٢ / ٢٩١) رقم ٧٨٩٢، وابن حبان في صحيحه (١٥ / ٢٢٣) رقم ٦٨١٢، والطبراني في الكبير (١٨ / ٣٤٣) رقم ٨٥٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٤١٣) رقم ٥٠٦٠ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

عيسى فحرفوا الحديث.

قال في القاموس: اجتمع لنا في تسمية المسيح خمسون قولاً.

قلت: لم أر في كتب اللغة بعد الفحص التام والحرص على مراجعة هذه المادة أحداً ذكر أنه بالخاء، فقد راجعت القاموس، والصحاح، ولسان العرب، وغريب الهروي، ونهاية ابن الأثير، وتهذيب الأسماء واللغات، والله أعلم.

وأما وجه تسمية سيدنا عيسى عليه السلام مسيحاً لأنه لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، أو لأنه أخمص، ومنه في صفة النبي ﷺ «كان مسيح القدمين»<sup>(١)</sup> أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، أو لأنه يمسح الأرض ويقطعها.

#### المقام الثاني: في حليته وسيرته .

أما حليته فإنه رجل شاب، وفي رواية شيخ، وسندهما صحيح، جسمه أحمر، وفي رواية أبيض أمهق<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: آدم. قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): يمكن أن تكون أدمته صافية، وقد يوصف ذلك بالحمرة، لأن كثيراً من الأدم قد تحمر وجنتاه، جعد الرأس فقطط، أعور العين اليمنى كأنها عنبه طافية، وجاء في رواية: أعور العين اليسرى وجاء

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية (٣٧) والطبراني في الكبير (٢٢ / ١٥٥) رقم ٤١٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٤٨٧)، رقم ١٤٠٢٦ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم يسم.

(٢) المهق والمهقة: بياض في زرقه، وقيل: المهق والمهقة شدة البياض، وقيل: هما بياض الإنسان حتى يقبح جداً، وهو بياض سمج لا يخالطه صفرة ولا حمرة، لكن كلون الجص ونحوه، لسان العرب: مادة مهق.

في رواية أنه أعور العين مطموسة وليست حجراً وهذا معنى طائفة مهموزة<sup>(١)</sup>.

قال في «فتح الباري» نقلاً عن القاضي عياض: الذي رويناه عن الأكثر وصححه الجمهور وجزم به الأخفش طافية بغير همز، ومعناه أنها ناتئة نتوء العنبة، قال: وضبطه بعض الشيوخ بالهمز وأنكره بعضهم، قال: ولا وجه لإنكاره، ثم جمع القاضي عياض بين الروايات بأن عينه اليمنى طافية بغير همز، وممسوحة أي ذهب ضوءها، وهو معنى حديث أبي داود «مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراً»<sup>(٢)</sup> أي ليست عالية ولا عميقة كما في الرواية الأخرى عنه، وهي الجاحظة التي كأنها كوكب وكأنها نخاعة في حائط، وهي الخضراء كما جاء ذلك في الأحاديث<sup>(٣)</sup> قال: وعلى هذا فهو أعور العينين معاً، فكل واحدة منهما عوراء، وذلك أن العور العيب، والأعور من كل شيء المعيب، وكلا عيني الدجال معيبة، إحداهما بذهاب نورها، والأخرى نتوءها وخضرتها.

قال النووي: وهو في غاية الحسن. انتهى. وقد ورد أن «على عينه ظفرة غليظة»<sup>(٤)</sup> وهي لحمية تنبت عند الماق، وقيل لحمه تخرج في العين في الجانب الذي يلي الأنف، وهما متقاربان، قال في (فتح الباري): وقد ورد في كلتا عينيه أن عليها ظفرة<sup>(٥)</sup> وفي بعض الروايات عن أبي سعيد عند الإمام أحمد «عينه جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في حائط مجصص، وعينه

(١) أخرج أكثر هذه الأوصاف البخاري رقم ٣٤٤١، ٤٤٠٢، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧١٢٨، ومسلم رقم ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٥١٩) رقم ٤٣٢٠.

(٣) انظر المسند (٣/ ٧٩) رقم ١١٧٦٩.

(٤) انظر المسند (٣/ ١١٥) رقم ١٢١٦٦.

(٥) في الأصل / ظفرة في كل المواضع والمثبت هو الموافق للحديث.

اليسرى كأنها كوكب دري»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث أبي عند الإمام أحمد أيضاً والطبراني «إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء»<sup>(٢)</sup> قال والذي يتحصل من مجموع الأخبار أن الصواب في طافية بغير همز، وصرح في حديث عبد الله بن مغفل<sup>(٣)</sup> وسمرة<sup>(٤)</sup> وأبي بكرة بأن عينه اليسرى ممسوحة والطافية غير الممسوحة، وأما الظفرة فجائز أن يكون في كل من عينيه، لأنه لا يضاد الطمس ولا التواء، ويكون التي ذهب ضوءها هي المطموسة يعني اليسرى والمعيبة، مع بقاء عينها هي البارزة، انتهى.

والدجال قصير أفحج أي متباعد ما بين الساقين، وقيل هو التذاني بين صدور القدمين مع تباعد القدمين، وقيل: وهو الذي في رجليه اعوجاج، جُفال الشعر - بضم الجيم وتخفيف الفاء - أي كثيره - هجان، بكسر أوله وتخفيف الجيم، أبيض أقرم - أي شديد البياض ضخم، فيلمان - بفتح الفاء وسكون التحتانية - أي عظيم الجثة - كأن رأسه أغصان شجرة، أي شعر رأسه كثير متفرق قائم. وفي رواية أن رأسه من ورائه حبك، أي شعره منكسر من الجعودة كالماء والرمل إذا ضربته الريح. قال في النهاية: وهذا معنى ما مر أنه جعد ققط مكتوب بين عينيه (ك ف ر) حروفاً مقطعة يقرؤها

(١) انظر الحديث قبل السابق.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٣ / ٥) رقم ٢١١٨٣ ، والطيالسي في المسند (٧٣) رقم ٥٤٤ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٦٣ / ٤)، وذكره الهيثمي (٦٥٠ / ٧) رقم ١٢٥٠٨ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٣) الطبراني في الأوسط (٣٧ / ٥) رقم ٤٥٨٠ وذكره الهيثمي (٦٤٧ / ٧) رقم ١٢٥٠١ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات وفي بعضهم ضعف لا يضر.

(٤) أحمد (١٦ / ٥) رقم ٢٠١٩٠ وابن خزيمة في صحيحه (٣٢٥ / ٢) رقم ١٣٩٧ ، والطبراني في الكبير (١٨٨ / ٧) رقم ٦٧٩٧ ، وذكره الهيثمي (٦٥٥ / ٧) رقم ١٢٥١٩ وقال: رواه أحمد والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح غير ثعلبة بن عباد وثقه ابن حبان.

كل مسلم كاتب وغير كاتب، ولا يقرؤها الكافر، لا يولد له ولد، ولا يدخل المدينة ولا مكة، تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة، وسبعون ألفاً من يهود أصبهان عليهم التيجان، وكلهم ذو سيف محلى .

ومن صفاته : تمام عيناه ولا ينام قلبه، وأبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار، وأمه امرأة فرضاخية أي كثيرة اللحم طويلة الشفتين، له حمار أهلب، وهو المشعر الغليظ، ما بين أذنيه أربعون ذراعاً، يضع خطوه عند منتهى طرفه .

وقال أبو الطفيل عن بعض الصحابة : يخرج الدجال على حمار رجس رواه ابن أبي شيبة، وقال علي كرم الله وجهه : يخرج الدجال ومعه سبعون ألفاً من الحاكة قال بعضهم : هي موضع، على مقدمته أشعر - أي رجل كثير الشعر - يقول<sup>(١)</sup> بدو بدو، رواه الديلمي .

قوله : بدو بدو معناه بالفارسية أسرع أسرع . وعن علي كرم الله وجهه في صفة حماره : طول كل أذن أربعون ذراعاً، ما بين حافر حماره إلى الحافر الآخر مسيرة يوم وليلة، كذا في (الإشاعة) .

وفي مرفوع ابن مسعود عند أبي نعيم في الفتن : «بين أذني الدجال أربعون ذراعاً، وخطو حماره ثلاثة أيام، يخوض البحر كما يخوض أحدكم الساقية»<sup>(٢)</sup> ورواه الحاكم وضعفه . «تطوى له الأرض منهلاً منهلاً، يتناول السحاب بيمينه، ويسبق الشمس إلى مغيبها، يخوض البحر إلى كعبه»<sup>(٣)</sup> .

(١) معظم هذه الأوصاف في الصحيح . انظر مسلم رقم ٢٩٣٣ ، ٢٩٣٤ ، وابن ماجه (٢) / ١٣٥٩ رقم ٤٠٧٧ .

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢) / ٥٤٣ رقم ١٥٢٧ .

(٣) أخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧) / ٤٩٦ رقم ٣٧٥١٥ ، وذكره الهندي في كنز العمال (١٤) / ٦١٢ رقم ٣٩٧٠٩ موقوفاً على علي، وقال : فيه حماد بن عمرو متروك، في الميزان : لا يعرف، وقال الأزدي : لا يحتج به .

وقد مر أنه قصير فكيف يوصف هنا بهذا الطول؟ وتكلف بعضهم: أن قصره يحتمل أن يكون بالنظر إلى ضخامته، لأن ضخامته تقتضي أن يكون أطول من ذلك، وأنه قصير في نفس الأمر، ثم إذا أظهر الكفر وادعى الإلهية زاد طوله وضخامته ابتلاء من الله للعباد، وقتنة لهم ومحنة، وفيه بعد لا يخفى.

ففي سنن أبي داود عنه رضي الله عنه أنه قال: «إن المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مظموس العين»<sup>(١)</sup> وفي مسند أبي بكر بن أبي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى عريض المنخر فيه رفاً»<sup>(٢)</sup> أي انحناء.

في صحيح مسلم من حديث تميم الداري في صفة الدجال حين رآه بالدير «فإذا رجل أعظم إنساناً رأيناه قط خلقاً وأشد وثاقاً، مجموعة يده إلى عنقه، وما بين ركبتيه إلى كتفيه بالحديد»<sup>(٣)</sup>. وفي صحيح مسلم أيضاً: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»<sup>(٤)</sup>.

واعلم أن العلماء اختلفوا في الدجال فقيل: إنه ليس بإنسان وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن، لا يعلم من أوثقه أهو سليمان أو غيره، فإذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة، وإذا أُبرِزَ أتته أتان، عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعاً، فيضع على ظهرها منبرا من نحاس

(١) أخرجه أبو داود (٥١٩ / ٢) رقم ٤٣٢٠، وأحمد (٣٢٤ / ٥) رقم ٢٢٨١٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٨٨ / ٧) رقم ٣٧٤٥٨ عن الفلتان بن عاصم، باختلاف في بعض الألفاظ، والطبراني في الكبير (٣٣٥ / ١٨) رقم ٨٦٠.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤١٣ / ٣) رقم ٥٠٦٠ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٢٩٤٢ مع اختلاف يسير.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٩٤٣.

فيقعد عليه، وتتبعه قبائل الجن يخرجون إليه بخزائن الأرض، واللّه أعلم.

وأما سيرته: فإنه يخرج أولاً فيدعي الإيمان والصلاح، ويدعو إلى الدين، فيتبع ويظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويعمل به، فيتبع ويحب على ذلك، ثم يدعي الإلهية ويقول: أنا الله، فتغشى عينه وتقطع أذناه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على مسلم، فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من الإيمان<sup>(١)</sup>، هكذا رواه الطبراني.

وقال كعب الأحبار: يتوجه الدجال فينزل عند باب دمشق الشرقي ابتداء قبل خروجه، ثم يلتمس فلا يقدر عليه، ثم يرى عند المياه الذي عند نهر الكسوة، ثم يطلب فلا يدري أين توجه، ثم يظهر بالمشرق فيعطي الخلافة، ثم يظهر السحر، ثم يدعي النبوة فينصرف الناس عنه - يعني المسلمين - فيأتي النهر فيأمره أن يسيل فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن يسير فيسير، الحديث بطوله رواه نعيم بن حماد ويعث الله له شياطين فيقولون له: استعن بنا على ما تريد، فيقول نعم، اذهبوا للناس فقولوا أنا ربهم، فيبتهم في الآفاق ويدعي الإلهية، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المقام الثالث: في خروجه وما يأتي به من الفتن والشبهات ومعرفة سيره في الأرض.

أما خروجه: فاعلم أنه يخرج من أرض المشرق من أرض خراسان، ومعه اليهود من أصبهان وغيرها، وقيل: يخرج من يهودية أصبهان، وقيل من

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٩١) وضعف إسناده، والهشمي في مجمع الزوائد (٧ / ٦٥٥) رقم ١٢٥١٨ وقال: رواه الطبراني وفيه سعيد بن عمر الوراق، وهو متروك.

أرض كوئا بالكوفة، وأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب، وعن كعب: الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر<sup>(١)</sup>، وبين مولده ومخرجه أربعون سنة، أخرجه أبو نعيم من طريق كعب وفي الترمذي «أنه يخرج من خراسان»<sup>(٢)</sup> وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة»<sup>(٣)</sup>.

وفي الطبراني: «يخرج الدجال من قبل أصبهان المشرق معه قومه وجوهمهم كالمجان»<sup>(٤)</sup>.

وفي الديلمي عن علي مرفوعاً: «يخرج الدجال ومعه سبعون ألفاً من الحاكة على مقدمته»<sup>(٥)</sup>.

وفي مستدرک الحاكم عن ابن عمر مرفوعاً: «يخرج الأعور الدجال من يهودية أصبهان ثم يخلق له عين، والأخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم، يشوي في الشمس سمكاً، ويتناول الطير من الجو، له ثلاث صيحات يسمعا أهل المشرق والمغرب»<sup>(٦)</sup>.

(١) في حاشية الأصل/ قف على محل ولادة الدجال.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٠٩) رقم ٢٢٣٧، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٣٥٣) رقم ٤٠٧٢، وأحمد (٤/١) رقم ١٢.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٩٤٤.

(٤) أخرج الطبراني في الكبير (١٨/ ١٥٤) رقم ٣٣٨ عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ «يخرج الدجال من قبل أصبهان». والأوسط (٧/ ١٧٢) رقم ٧١٧٩.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٥٣) رقم ١٢٥١٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن محمد بن محمود الجوهري ولم أعرفه.

(٥) ذكره الهندي في كنز العمال (١٤/ ٣٢٦) رقم ٣٨٨٢١ وعزاه للديلمي.

(٦) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٧٣) رقم ٨٦١١ باختلاف في بعض الألفاظ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر. وبلغه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ١٠).

وأما فنتته: ففي الحديث «ما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال. وما من نبي إلا وقد حذر قومه الدجال»<sup>(١)</sup>. الحديث رواه الحاكم عن جابر مرفوعاً.

وفي الحديث: «أن قبل خروجه بثلاث سنين أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والسنة الثانية تمسك ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها ويهلك كل ذي ضرر وظلف»<sup>(٢)</sup>.

ومن جملة فنتته «أنه يسير معه جبلان، أحدهما فيه أشجار وأثمار وماء، وأحدهما فيه دخان يقول هذه الجنة وهذه النار»<sup>(٣)</sup>. رواه الحاكم عن ابن عمر.

وعن حذيفة «أن معه جنة وناراً ورجلاً يقتلهم ثم يحييهم ومعه جبل ثريد ونهر ماء»<sup>(٤)</sup>، قال العلامة في «بهجته»: وقد ورد أنه إذا خرج يكون معه صورة جنة ونار يكون ذلك على طريق التخيل لا الحقيقة، ومن أدخله جنته كانت عليه ناراً ومن أدخله ناره كانت عليه جنة، ويكون معه جبال من خبز كالبرد<sup>(٥)</sup> ذكره الحافظ ابن حجر، قال العلامة: ويتسلط على كل

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/ ٧٦) رقم ٦٤ مع اختلاف يسير، وابن ماجه (٢/ ١٣٥٩) رقم ٤٠٧٧.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٣) رقم ٢٧٦٠٩. والطبراني في الكبير (٢٤/ ١٦٠) رقم ٤٠٧ وذكره الهيثمي (٧/ ٦٦٠) رقم ١٢٥٢٦ و(٦٦١) رقم ١٢٥٢٧ وقال: رواه كله أحمد والطبراني من طرق، وفيه شهر بن حوشب وفيه ضعف وقد وثق.

(٣) جزء من حديث أخرجه الحاكم (٤/ ٥٧٣) رقم ٨٦١١ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر.

(٤) انظر تخريج الحديث السابق.

(٥) لقد وردت عدة روايات تفيد بمجموعها هذا الأمر منها في المسند (٣/ ٣٦٧) رقم ١٤٩٩٧ و(٥/ ٣٦٤) رقم ٢٣١٣٩، ويعارض هذا بل ربما يردده ما رواه البخاري رقم ٧١٢٢ ومسلم رقم ٢٩٣٩ واللفظ له عن المغيرة بن شعبة قال: «ما سأل أحد النبي ﷺ =

الحبوب والأقوات حتى الفول، خلافاً لمن استثناه مدعياً أن في رأسه ألفاً أو مئة سوداء تشبه الألف، إذ هو كلام لا أصل له، قال: ولا يدع ماء إلا دخله وورده، ويدعو الناس إلى الإيمان به، وأنه ربهم وإلههم، ويدخل البحر المالح في أعماق مكان منه فيصل الماء إلى حقويه، فيأخذه بيده منه السمك، ويمد يديه إلى السحاب، قال: ولا يبقى منه بلا فتنة إلا سبعة آلاف امرأة واثنا عشر ألف رجل على ما ورد. انتهى<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: قد ورد أنه يسلط على واحد ثم لا يقدر عليه ثانياً، وأنه يقول: لا يفعل بعدي بأحد من الناس، فكيف يقال: إن معه رجالاً يقتلهم؟.

فالجواب: أن هؤلاء الرجال إنما هم شياطين، وقتله إياهم وإحياءه لهم إنما هو في رأي العين لا على الحقيقة. وأما قتل ذلك فعلى الحقيقة، والرجل هو الخضر كما يأتي، ومع الدجال جبال من خبز والناس في غاية الجهد إلا من اتبعه، ومعه نهران، قال ﷺ: «أنا أعلم بهما منه، نهر يقول الجنة، ونهر يقول النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو في النار ومن أدخل الذي يسميه النار فهو في الجنة»<sup>(٢)</sup>. رواه الإمام أحمد وابن خزيمة والحاكم وغيرهم عن جابر رضي الله عنه. وفي رواية: «أنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فأما إن أدرك ذلك واحد منكم فليأت النهر الذي يراه ناراً تأجج،

= عن الدجال أكثر مما سألته، قال: وما سؤلك؟ قال: قلت: إنهم يقولون معه جبال من خبز ولحم ونهر من ماء. قال: هو أهون على الله من ذلك».

(١) في حاشية الأصل/ قف على من لا تلحقه فتنة الدجال من الرجال والنساء.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧) رقم ١٤٩٩٧، وذكره الهيثمي (٧/ ٦٥٩) رقم ١٢٥٢٥ وقال رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

ويغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب فإنه ماء بارد»<sup>(١)</sup>. وعند البخاري من حديث المغيرة بن شعبة: «معه جبل خبز»<sup>(٢)</sup> زاد مسلم في رواية: «معه جبال خبز ولحم وظهر من ماء»<sup>(٣)</sup> وفي رواية أبي نعيم عن ابن مسعود: «معه جبل من مرق، وعراق اللحم، حار لا يبرد، وجبل من جنان وخضرة، وجبل من نار ودخان، يقول هذه جنتي وهذا طعامي وهذا شرابي»<sup>(٤)</sup>.

واعلم أن العلماء اختلفوا في هذه الجنة والنار، هل هي على سبيل الحقيقة أم تخيل؟ وقد ذكرنا أن العلامة قال: يكون ذلك على طريق التخيل لا الحقيقة. وقال ابن حبان في صحيحه: أنه تخيل، واستدل بحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين أنه قال: «كنت أكثر من سؤال النبي ﷺ عن آية - أي علامة - الدجال، فقال لي: وما يضرك؟ قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز قال: هو أهون من ذلك»<sup>(٥)</sup> قال: فمعناه أنه أهون على الله من أن يكون معه ذلك حقيقة، بل يرى ذلك وليس بحقيقة، ويدل له أيضاً الرواية السابقة أحدهما في رأي العين ماء أبيض الحديث. وقال جماعة منهم ابن العربي بل هي على ظاهرها امتحاناً من الله لعباده، وحملوا قوله ﷺ: «هو أهون» إلخ أي من أن يخاف منه، أو أن يضل الله به من يحبه.

قال في (الإشاعة): والتحقيق الأول، ويدل له مع ما تقدم قوله ﷺ: «فمن أدرك ذلك منكم فليقع بالذي يراه أنها نار فإنه عذب بارد»<sup>(٦)</sup> وبما في

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٤ .

(٢) سبق (٤٨٠) وهو في البخاري رقم ٧١٢٢ ، ومسلم رقم ٢٩٣٩ .

(٣) انظر تخريج الحديث السابق .

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢ / ٥٤٤) رقم ١٥٢٧ .

(٥) انظر الحديث قبل السابق وما قبله .

(٦) سبق ص ٤٨١ .

رواية «المنار روضة خضراء»<sup>(١)</sup> والله الموفق.

وأخرج أبو داود عن عمران ابن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ - أي يبعد عنه - فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان في حديث الدجال الطويل: «فيأتي - أي الدجال - القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر لهم والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأشبعه ضرعاً وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون محملين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول: أخرجني ما فيك من كنز، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النخل»<sup>(٣)</sup> الحديث.

وأخرج مسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فيلقاه مسالح من مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الدجال الذي خرج، فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن لا تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٨١) رقم ٨٦٢١ وهو حديث طويل وقال عنه الحاكم: هذا أعجب حديث في ذكر الدجال، تفرد به عطية بن سعد عن أبي سعيد الخدري ولم يحتج الشيخان بعطية وقال الذهبي: عطية ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٥١٩) رقم ٤٣١٩، وأحمد (٤/ ٤٣١) رقم ١٩٨٨٨، و(٤/ ٤٤١) رقم ١٩٩٨٢، والحاكم (٤/ ٥٧٦) رقم ٨٦١٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧.

الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر به الدجال فيشبح، فيقول خذوه فأشبحوه، فيوسع ظهره ضرباً، قال: فيقول: أما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيأمر به فينشر بالمنشار من فرقه حتى يفرق من رجله، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول قم، فيستوي قائماً فيقول أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجز ما بين رقبته إلى ترقوته فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذه بيده ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس إنما قذف به في النار، وإنما ألقى في الجنة، قال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين<sup>(١)</sup>.

قال في (التذكرة): يقال إن هذا الخضر عليه السلام.

وفي «البهجة» قد ثبت أن الله تعالى لا يسلط الدجال على أحد بالقتل إلا على رجل واحد، يخرج إليه ذلك الرجل، وهو شاب حسن، فيقول له الدجال: أتؤمن بي وبألوهيتي؟ فيقول له: إنك اللعين الكذاب أو الدجال، فيقتله ويشقه نصفين، ويمشي الدجال بحماره بين الشقين، ويقول له: قم حياً بإذني، فيعود حياً، ثم يقول له: بعد ذلك أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا يقيناً، إنك اللعين.

قال إبراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم: إنه الخضر عليه السلام<sup>(٢)</sup>، لا أن ذلك الراوي إبراهيم أبو إسحاق السبيعي كما توهم القرطبي.

وزعم بعضهم أن الرجل من أصحاب الكهف، وقد مر أنهم يكونون

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٨ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٢) في حاشية الأصل/ على القول بحياة الخضر، وقد أخذنا في كتابنا (الجواب المحرر) عدم حياته الآن، فالتصحيح على رأى من زعم أنه حي. مؤلف

من أصحاب المهدي، وهو ضعيف، والله أعلم.

وفي رواية قال: «يأتي - يعني الدجال - وهو محرم عليه أن يدخل المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ<sup>(١)</sup> التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خير الناس أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ فيقول الدجال، رأيتم إن قتلت هذا أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن، ف يريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه<sup>(٢)</sup>.» خرجه البخاري.

وفي مسند أبي داود الطيالسي عن النبي ﷺ: «أن مع الدجال ملكين يشبهان نبيين من الأنبياء، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فيقول: أأنت بربكم أحبي وأميت؟ فيقول أحدهما: كذبت، فلا يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه ويقول الآخر: صدقت وذلك فتنة<sup>(٣)</sup>» أي يقول صدقت، فيسمع ذلك الناس، إنما قوله صدقت جواباً للدجال، وإنما هو تصديق لتكذيب صاحبه للدجال في زعمه أنه رب.

واعلم أن في خروج الدجال أحاديث كثيرة مختلفة، وأبسط حديث فيه حديث النواس عند مسلم وغيره، وحديث أبي أمامة عند ابن ماجه، وابن خزيمة والحاكم والضياء، وحديث أبي مسعود عند نعيم بن حماد والحاكم، وحديث أبي سعيد عند مسلم وعند البخاري معناه، وحديث أبي سعيد أيضاً

(١) في الأصل (الشيح) قلت: والشيح نبات سهلي يتخذ من بعضه المكناس وهو من الأمرار له رائحة طيبة وطعم مر، وهو مرعي للخيل والنعم. لسان العرب / مادة: شيخ.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٧١٣٢.

(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده (١٥٠) رقم ١١٠٦.

عند الحاكم، فلنسق هذه الأحاديث مساقاً واحداً، ثم نذكر وجه الجمع بين اختلافها بحسب الإمكان واليسير، وقد نزيد بعض زيادات من غيرها .

فنقول: اعلم أن النبي ﷺ خطب فقال: «إنه لم يكن في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم ﷺ أعظم من فتنة الدجال، وأن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فحفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف منا ذلك، فقال: أنا من غير الدجال أخوف عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وأنا حجيح كل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيح نفسه والله خليفتي عليكم وعلى كل مسلم، وإنه يخرج من خلة - أي من طريق - بين الشام والعراق، فيعبث أي يفسد يبعث السرايا والجنود يمينا وشمالاً وأن على مقدمته سبعين ألفاً من يهود أصبهان عليهم رجل أشعر يقول بدو بدو كما مر، فقال ﷺ: « يا عباد الله فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها نبي قلبي، إنه يبدو فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور وربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب، حروفاً مهجاء هكذا (ك ف ر) ». كما جاء مصرحاً به في بعض الروايات وتقدم ذلك، وأن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستن بالله، وليقرأ فواتح سورة الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم، وإن من فتنته كذا وكذا وقد ذكرناها . وأن معه اليسع ﷺ لينذر الناس فيقول: «هذا المسيح الكذاب فاحذروه لعنه الله، ويعطيه الله من السرعة ما لا يلحقه الدجال»<sup>(١)</sup>.

(١) لقد وردت روايات كثيرة في خروج الدجال حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وهذا السياق الذي ساقه المصنف أكثر ألفاظه صحيحة، والبعض منها ضعيف، وقد مرت الكثير من الروايات والأحاديث التي تؤيد ذلك فلترجع.

وفي رواية: «بين يديه رجلين يندران أهل القرى كلما دخلا قرية أندرا أهلها، فإذا خرجا منها دخلها أول أصحاب الدجال، ويدخل القرى كلها غير مكة والمدينة، فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا جبريل بعثني الله لأمنعه من حرم رسوله»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: «أنه لا يبقى في الأرض شيء إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيه الملائكة بالسيوف صلته، فيمر بمكة فإذا رأى ميكائيل ولي هاربا، ويصيح، فيخرج إليه من مكة منافقوها، ويمر بالمدينة كذلك، حتى إذا نزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة، فتوجه قبله رجل من المؤمنين، ويقول لأصحابه: والله لأنطلقن إلى هذا الرجل، فلأنظرن أهو الذي أنذرنا رسول الله ﷺ أم لا؟ فيقول له أصحابه: لا ندعك تأتيه، ولو أننا نعلم أنه يقتلك إذا أتيت خيلنا سيالك، ولكن نخاف أن يفتنك فيأبى عليهم الرجل المؤمن إلا أن يأتيه، فينطلق يمشي حتى يأتي مسالخ الدجال - أي خفراءه وطلائعه - فيقولون له أين تعمد؟ فيقول اعمد إلى هذا الرجل الذي قد خرج، - وذكر ما قدمناه بحروفه إلى أن قال: فيرسلون إلى الدجال، أننا قد أخذنا من يقول كذا وكذا فنقتله أو نرسله؟ قال: فيقول أرسلوه إلي، فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن عرفه لنعته رسول الله ﷺ فيقول: أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ فيأمر به الدجال فيشبح، ثم يقول لتطيعني فيما أمرتك أو لأشقتك شقتين، فينادي المؤمن: أيها الناس هذا المسيح الدجال الكذاب، من عصاه فهو في الجنة ومن أطاعه فهو في النار، فيؤمر فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، فيقول له الدجال والذي أحلف به لتطيعني أو لأشقتك شقتين، فيقول: أنت المسيح الكذاب، فيؤمر به فينشر بالمنشار على ما قدمناه،

(١) انظر المستدرک (٤ / ٥٨) رقم ٨٦٢١ وتقدم قريباً.

وفي رواية - فمد برجليه فوضع حديدة على عجب ذنبه فشقه شقتين، ويبعد بينهما قدر رمية الغرض، ثم يمشي الدجال بين القطعتين ويقول لأوليائه أرايتم إن أحييته أستم تعلمون أني ربكم؟ قالوا: بلى، فيضرب أحد شقيه أو الصعيد عنده ويقول له: قم، فيستوي قائماً، فلما رآه أولياؤه صدقوه وأيقنوا أنه ربهم وأجابوه واتبعوه، وقال للمؤمن ألا تؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، ثم يأتي المدينة المشرفة فيجد بكل نقب من أنقابها ملكاً مسلطاً، فيأتي سبخة الجرف - وفي لفظ هذه السبخة - فينزل بمرقنة، فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، فتخلص المدينة وذلك اليوم يوم الخلاص<sup>(١)</sup>. رواه الإمام أحمد والحاكم عن محجن بن الأدرع فقالت أم شريك بنت أبي العكن يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل وجلبهم بيت المقدس وإمامهم المهدي رجل صالح<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث جابر مرفوعاً: «يفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً»<sup>(٣)</sup> الحديث.

ثم إن الناس يشكون في أمر الدجال حين لم يقدر على قتل ذلك الرجل ثانياً، ويبادر إلى بيت المقدس، فإذا صعد عقبة أفيق ورفع ظلمه على المسلمين، فيوترون قسيهم لقتاله، فأقواهم من برك، حتى إذا طال الحصار قال رجل: إلى متى هذا الحصار والجهد؟ اخرجوا إلى هذا العدو

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٣٨) رقم ٨٩٩٦ ورقم ١٨٩٩٧ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥) رقم ٤٠٧٧ باختلاف يسير ومسلم رقم ٢٩٤٥ بلفظ مختصر جداً.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧) رقم ١٤٩٩٧.

حتى يحكم الله بيننا إما الشهادة وإما الفتح، فهل أتم إلا بين إحدى الحسينين؟ بين أن تستشهدوا أو يظفركم الله عليهم؟ فيتبايعون على القتال بيعة يعلم الله أنها الصدق عن أنفسهم، وذلك بعد ثلاث سنين شداد يصيب الناس فيها الجوع الشديد، وأن قوت المؤمن التهليل والتسيح والتحميد، ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه، فينزل ابن مريم عليه السلام، فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لأمة، فيقولون من أنت؟ فيقول: أنا عبد الله وكلمته عيسى، اختاروا إحدى ثلاث: أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذاباً جسيماً، أو يخسف بهم الأرض، أو يرسل عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم؟ فيقولون: هذا يا رسول الله أشفي لصدورنا، فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الأكل الشروب لا تقل يده سيفه من الرعب، فينزلون إليهم فيسلطون عليهم هذه هذه<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «فبينما إمامهم - أي المهدي - قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام للصبح فيرجع المهدي قهقري فيتقدم عيسى عليه السلام ليصلي بالناس ويقال له: يا روح الله تقدم - أي يقول ذلك بعض من لم يحرم بالصلاة - إذن فيقول عليه السلام: ليتقدم إمامكم فيصلي لكم، ويضع عيسى يديه بين كتفيه فيقول: تقدم فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتح فيفتح ووراءه - أي الباب - الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلي وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وانطلق هارباً، فيقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب لد الشرقي - ولد بضم اللام المهملة بوزن مد بلد بناحية بيت المقدس بينه وبين الرملة مقدار فرسخ إلى جهة

(١) أخرج نحوه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٤٦) رقم ١٥٢٧ وفي (٥٧٢) رقم ١٦٠١.

دمشق متصل نخيله بنخيلها، فيقتله ويهزم الله اليهود»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية لمسلم وأحمد: «بينما هو - أي الدجال - كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين - بالذال المعجمة والمهملة أي مصبوغتين بالهرذ وهو شيء أصفر أوبالزعفران أو الورس - واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر - أي الماء من شعره - وإذا رفعه تحدر منه مثل الجمان - أي بضم الجيم وتخفيف الميم حبات من الفضة يصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار - فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلامات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذب الخبيث؟ ويسمعون النداء: جاءكم الغوث، فيقولون هذا كلام رجل شعبان، وتشرق الأرض بنور ربها، وينزل عيسى ابن مريم ويقول: يا معشر المسلمين أحمدا وربكم وسبحوه، أي فإن الحمد والتسبيح قوتهم كما مر، فيفعلون، ويريد أصحاب الدجال الفرار فيضيق الله عليهم الأرض، فإذا أتوا باب لد في نصف ساعة يوافقون عيسى، فإذا نظر الدجال عيسى يقول: أقيموا الصلاة خوفاً منه - أي من عيسى - ويقول: يا نبي الله قد أقيمت الصلاة، فيقول عيسى: يا عدو الله زعمت أنك رب العالمين فلمن تصلي؟ فيضربه بمقرعته، وفي رواية بحرته التي نزل بها من السماء، وفي رواية يذبحه بالسكين، ولا منافاة في ذلك إذ كل ذلك سلاح لسيدنا عيسى عليه السلام فيقتله»<sup>(٣)</sup>. رواه الإمام أحمد عن جابر

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٥٩ / ٢) رقم ٤٠٧٧ وبنحوه أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال

(٢٩٥) رقم ٤٨، وذكر نحوه الهندي في كنز العمال (٢٩٢ / ١٤) رقم ٣٨٧٤٢ .

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧، وأحمد بنحوه (١٨١ / ٤) رقم ١٧٦٦٦ .

(٣) أخرجه أحمد (٢١٦ / ٤) رقم ١٧٩٣١ باختلاف في بعض الألفاظ عن عثمان بن أبي العاص .

مرفوعاً ولفظه «ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل حي، فينطلقون، فإذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصلى بكم، فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه، فحين يراه الكذاب ينمات كما ينمات الملح في الماء، فيمشي إليه فيقتله، حتى إن الشجر والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي، فلا يتركن ممن كان تبعه أحداً إلا قتله»<sup>(١)</sup>.

وفي «التذكرة» فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلي فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح كما تقدم.

تنبيه: وجه الجمع بين هذه الروايات أن عيسى صلوات الله عليه ينزل أولاً بدمشق على المنارة البيضاء، وهي موجودة الآن - لست ساعات من النهار، ثم يأتي إلى بيت المقدس غوثاً للمسلمين، ويلحقهم في صلاة الصبح وقد أحرم المهدي، والناس كلهم أو بعضهم لم يحرم بعد، فيخرج إليه من لم يحرم بالصلاة فيأتي المهدي في الصلاة فيقهقر، ويقول لعيسى بعض الناس تقدم لما تقهقر المهدي، فيضع يده على كتف المهدي أن تقدم، ويقول للقائل: ليتقدم إمامكم، فيجيب المهدي بالفعل والقائل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله، ثم إذا أصبحوا شرد أصحاب الدجال فتضيق عليهم الأرض، فيدركهم بباب لد، فيصادف ذلك صلاة الظهر، فيتحيل اللعين إلى الخلاص من سيدنا عيسى بالصلاة، فلما عرف أنه لا يتخلص من ذلك ذاب خوفاً منه كما يذوب الملح بالماء، فأدركه فقتله أو أنه ينشئ اللعين صلاة في غير وقتها، وهو أدل على ضلالته وجهالته بالله،

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧) رقم ١٤٩٩٧.

ذكره في «الإشاعة» ثم قال: وهنا وجه آخر وهو: أقرب إلى التحقيق وهو أن الصلاة في الأيام القصار التي هي آخر أيام الدجال تقدر، فيحتمل أن يصادف التقدير ذلك الوقت، وعلى هذا فلا إشكال بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضي من النهار، وبين كونه يصلي بالناس صلاة العصر. انتهى.

وعندي في هذا الجمع نظر من وجوه:

**الأول:** في مسند الإمام أحمد عن جابر مرفوعاً «ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل حي فينطلقون فإذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله»<sup>(١)</sup> الحديث، فهذا صريح أنه يجتمع بهم قبل إقامة الصلاة ثم يقيمونها بعد ذلك كما لا يخفى، سيما وقد عطف بالفاء، وهي للترتيب، وأيضاً فإن السحر قبيل الصبح.

**الثاني:** في بعض الروايات «ثم ينزل ابن مريم بعد أن يجمع المهدي الناس لقتاله - أي الدجال -، فتعمهم ضبابة من غمام ثم ينكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى قد نزل، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء، والناس يريدون صلاة الصبح، ثم بعد الصلاة يتبعونه وقد فر»<sup>(٢)</sup> فهذا يدل على أنه ينزل على منارة دمشق الصبح فكيف يقال لست ساعات مضي من النهار؟ وفيه أيضاً أن الناس لم يكونوا أحرموا بالفجر بل يريدون ذلك، إلا أن يقال أحرم الإمام وبعض الناس ومعظم الناس لم يحرم بها بعد.

**الثالث:** قوله «يصلي بالناس صلاة العصر» المعروف عند أهل العلم أن عيسى عليه السلام يصلي وراء المهدي صلاة الفجر فقط، ثم يسلم له المهدي

(١) تقدم ص ٤٨٩ .

(٢) أخرج نحوه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٧٠) رقم ١٥٩٥ عن عبد الله بن عمرو .

الأمر ويصلي بالناس، فيكون أول صلاة يصلها بالناس الظهر فكيف يقول يصلي بالناس صلاة العصر؟

والجواب: أنه لا منافاة في كلام صاحب «الإشاعة» أو يكون قد جمع بين الظهر والعصر تأخيراً لاشتغاله في طلب الدجال، فليحرر المقام، فإذا قتل الدجال انهزم جنوده الذين هم اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتورأى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة إلا قال يا عبد الله هذا يهودي، وفي لفظ هذا دجالي فتعال اقتله، إلا الغرقد فإنها من شجر اليهود لا ينطق.

ففي مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله إلا الغرقد فإنه شجر اليهود»<sup>(١)</sup>. وفي البخاري نحوه، والله أعلم.

المقام الرابع: في سرعة سيره في الأرض ومدة لبثه فيها وكيفية النجاة منه.

أما سيره ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطأه الدجال إلا مكة والمدينة»<sup>(٢)</sup>.

وورد أيضاً: «يبلغ كل منهل إلا أربعة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، ومسجد الأقصى، ومسجد الطور، فيقتل وهو قاصد لبيت المقدس»<sup>(٣)</sup>، وعند أبي نعيم في الفتن عن ابن مسعود مرفوعاً: «خطو

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٢٢ وبنحوه أخرجه البخاري رقم ٢٩٢٦ .

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٤٣ والبخاري رقم ١٨٨١ .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٤) رقم ٢٣٧٣٣ وذكره الهيثمي (٧/ ٦٥٨) رقم ١٢٥٢٣ وقال:

رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

حماره ثلاثة أيام»<sup>(١)</sup>.

وفي «البهجة» ورد أن خطو حماره ثلاثة أيام، وأنه لا يسخر له من الدواب إلا الحمار، وفي المستدرك صحيحاً «له حمار ما بين أذنيه أربعون يمكث أربعين عاماً فيطأ كل منهل في كل سبعة أيام»<sup>(٢)</sup>.

وذكر الحافظ ابن حجر: سير الدجال ومجيئه دمشق عند بابها الشرقي وأمره السحاب بالمطر فيمطر والنهر أن يسيل فيسيل إليه وأن يرجع فيرجع، وأن ييس فييس، ويأمر جبل سيناء وجبل زيتا أن يتشحطا<sup>(٣)</sup>، ويشير الريح سحاباً من البحر يمر الأرض بأمره، ويخوض البحر ثلاث خوضات في اليوم فلا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيمد الطويلة في البحر فيبلغ قعره، فيخرج من الحيتان ما يريد، الحديث بطوله في مستدرك الحاكم<sup>(٤)</sup>.

وأما مدة لبث الدجال في الأرض: ففي خبر النواس بن سمعان عند الترمذي قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره،

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٤٣) رقم ١٥٢٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٩٨).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٧٥) رقم ٨٦١٣ باختلاف يسير وتقديم وتأخير وليس فيه يمكث أربعين الحديث وقال عنه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) كذا في الأصل، والشَّحَطُ والشَّحَطُ البعد، وشحطن الدار شحطاً وشحطاً وشحطاً وشحطاً: بعدت، وشواحت الأودية ما تباعد منها - لسان العرب/ مادة شحط.

(٤) روى هذا السياق نعيم بن حماد في الفتن عن كعب الأحبار (٢/ ٥٤٢) وعنه ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٩٢) وليس فيه (الحديث بطوله في مستدرك الحاكم). ولم أفق عليه في المستدرك.

قلنا: يا رسول الله وما سراعاه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح»<sup>(١)</sup>. الحديث بطوله.

قال العلامة في «البهجة»: قال بعضهم وعلى قياس الصلاة الصوم والحج والعمرة وحول أنصاب الزكاة. انتهى.

وفي رواية عند الإمام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً: «يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين فيبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيطلبه فيهلكه»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث أبي أمامة عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء «أن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والسنة كالجمعة، وآخر أيامه كالشررة. يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغها الآخر حتى يمسي»<sup>(٣)</sup>.

وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث، فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن حتى لا يدروا كيف يمضي النهار، فيكون مضي النهار عندهم كمضي الساعة، والشهر كالיום، والسنة كالشهر.

وقال بعضهم: بل هو على ظاهره، فقد ورد من حديث أنس عند الإمام أحمد والترمذي في أشراط الساعة «حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر،

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٢٥) رقم ٢٩٣٧، وأبو داود (٢/٥٢٠) رقم ٤٣٢١، وابن ماجه (٢/١٣٥٦) رقم ٤٠٧٥ والترمذي (٤/٥١٠) رقم ٢٢٤٠.  
(٢) أخرجه أحمد (٢/١٦٦) رقم ٦٥٥٥، ومسلم رقم ٢٩٤٠.  
(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/٣٥٩) رقم ٤٠٧٧، والحاكم (٤/٥٨٠) رقم ٨٦٢٠ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضربة بالنار»<sup>(١)</sup>. قلت: وذكر بعض العلماء أن الصلاة تقدر في هذه الأيام أيضاً على قياس ما مر، ويأتي تحريره قريباً، واللّه أعلم.

والجواب عن اختلاف الحديثين إما بالترجيح وإما بالجمع، فإن رجحنا فحديث النواس عند الإمام أحمد ومسلم والترمذي، فهو أقوى لأنه أصح، وإن كان الثاني أيضاً في الصحيح فيقدم عليه، وإن جمعنا فطريق الجمع أن أيامه أربعون سنة، وتسمى السنين أياماً مجازاً، كما يقال أيام بني الزبير وأيام عمر بن الخطاب وأيام بني أمية.

ثم إن أول أيام سنته الأولى كسنة، وثانيها كشهر، وثالثها كجمعة، وباقي أيامها كأيامنا، ثم تناقص أيام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة، وهكذا إلى أن تكون السنة كشهر، والشهر كجمعة، والجمعة كيوم، حتى يكون آخر أيامه بحيث يصبح أحدهم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي، فتكون السنة الأولى مشتملة على مقدار سنين من سنيننا، وسنوه الأخيرة مقدار سنة من سنيننا، ويقربه رواية الحاكم، وأبي نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إنه يقول: أنا رب العالمين، وهذه الشمس تجري بإذني، أتريدون أن أحبسها؟ فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر، والشهر كالجمعة، ويقول: أتريدون أن أسيرها؟ فيجعل اليوم كالساعة»<sup>(٢)</sup> الحديث.

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له (٤/ ٥٦٧) رقم ٢٣٣٢، وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (٢/ ٥٣٧) رقم ١٠٩٥٦ باختلاف في بعض الألفاظ من حديث أبي هريرة، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٥٦) رقم ٦٨٤٢ وبعضه في البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٤٣) رقم ١٥٢٧، وذكره ابن كثير في النهاية (١١٤) وصدره بقوله: خبر غريب ونبا عجيب وعلق عليه بقوله: قال شيخنا الحافظ الذهبي: وهذا الحديث شبه موضوع، ولم أقف عليه في المستدرک.

فائدة: مر أنه ﷺ سئل عن الصلاة في اليوم الذي كالتسنة أتكفينا فيه صلاة يوم واحد؟ قال: «لا، ولكن اقدروا مقدار كل يوم فصلوا فيه خمس صلوات»<sup>(١)</sup>. وتقدم، وقيس به اليومان الآخران، وسئل عن الأيام القصار فقالوا: وكيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال: «تقدرون فيها للصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال»<sup>(٢)</sup>.

قال في (الإشاعة) والظاهر أن التقدير هنا عكس الأول، بأن نصلي الخمس في مقدار يوم من هذه الأيام.

قلت: وهو منطوق الخبر، والظاهر أن صاحب «الإشاعة» ظن أن قوله كما تقدرونها في هذه الايام الطوال، أن الطوال هي أيام الدجال التي مر الكلام عليها، وليس كذلك، بل قوله ﷺ «كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال»، أي التي أنتم الآن فيها، هذا الذي يظهر، والله أعلم.

وأما كيفية النجاة منه، فإنه معلوم قطعاً أنه ليس برب، كيف وهو يأكل الطعام ويشرب الشراب؟ وهو لضعفه وخسته أعور، وهو جسم مرئي، وهذه كلها لا تجوز على الباري، نعم الرؤيا لكن في الآخرة كما ثبت ذلك<sup>(٣)</sup>، ولو كان له قوة لرد عينه وجعلها أحسن عين رؤيت في الدنيا، وقد علم مما مر أنه لا يدخل الحرمين، فينبغي لمن أدرك ذلك أن يلتجئ إلى أحدهما، أو إلى المسجد الأقصى، أو إلى مسجد الطور.

هذا وقد صح عن حضرة الرسالة «أن من حفظ عشرة آيات من أول

(١) تقدم ص ٥٩٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٥٩ / ٢) رقم ٤٠٧٧، والطبراني في الكبير (٨ / ١٤٦) رقم ٧٦٤٤، والحاكم (٤ / ٥٨٠)، رقم ٨٦٢٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي .

(٣) لما رواه البخاري رقم ٤٥٨١ عن أبي سعيد الخدري ومسلم رقم ١٨٢ عن أبي هريرة.

سورة الكهف عصم من الدجال»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية «من آخر الكهف»<sup>(٢)</sup>، رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعاً، وقد ورد عن أبي أمامة مرفوعاً: «من لقيه منكم فليتنفل في وجهه»<sup>(٣)</sup> رواه الطبراني.

ومما ينبغي للمؤمن أن يكثر من التلهيل والتسبيح والتكبير فإنه قوته إذاً كما مر.

واعلم أن أحاديث الدجال لا ينبغي الجهل بها، بل يجب العلم بها، وقد قال ابن ماجه سمعت الطنفاصي يقول: سمعت المحاربي يقول: ينبغي أن يرفع الحديث - يعني حديث الدجال - إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب، وقد ورد أن من علامات خروجه «نسيان ذكره على المنابر»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر مرفوعاً: «يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم»<sup>(٥)</sup> فينبغي لكل

(١) رواه مسلم رقم ٨٠٩ ، وأبو داود (٢ / ٥٢٠) رقم ٤٣٢٣ .

(٢) انظر تحريج الحديث السابق .

(٣) جزء من حديث أخرجه الحاكم (٤ / ٥٨٠) رقم ٨٦٢٠ والطبراني في الكبير (٨ / ١٤٦) رقم ٧٦٤٤ وتقدم قبل ثلاثة أحاديث.

(٤) أخرجه أحمد (٤ / ٧١) رقم ١٦٧١٨ ، والشيباني في الآحاد والمثاني (٢ / ١٧٠) رقم ٩٠٧ ، والطبراني في مسند الشاميين (٢ / ١٠٢) رقم ٩٩٢ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٦٤٦) رقم ١٢٤٩٩ ، وقال: رواه عبد الله بن أحمد من رواية بقية عن صفوان بن عمر وهي صحيحة كما قال ابن معين وبقية رجاله ثقات .

(٥) أخرجه أحمد (٣ / ٣٦٧) رقم ١٤٩٩٧ بلفظ (خفقة) بدلا من (خفة)، والحاكم (٤ / ٥٧٥) رقم ٨٦١٣ واللفظ له وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

عالم لاسيما في زماننا هذا الذي اشربت فيه الفتن، وكثر فيه اللغظ أن يفشي أحاديث الدجال لتعرف، قد قرب واللّه الميقات، وظهرت العلامات، واندرس العلم ومات، ونسي الدجال، فلا يذكر في ساعة من الساعات، فواللّه إني في بعض الأيام لأتكلم في أحاديثه، وأحذر الحاضرين من فتنه، فإذا ببعض السفهاء الضالين قد خرج منكراً لذلك، فلقني بعض إخوانه الذين طمس اللّه على بصيرته، فقال له: هل سمعت أن لنا ربين؟ فقال: لا، فقال: إن فلاناً يقول: إن رجلاً يأتي آخر الزمان، يقول للسماء أمطري فتمطر، ولا يفعل ذلك إلا رب العالمين، فلا شك في هذا إن أدرك أيام الدجال يكن من أوليائه، فنسأل اللّه العافية.

**خاتمة:** اختلف الصحابة فمن بعدهم قديماً وحديثاً في الدجال هل هو ابن صياد أو غيره؟ ولكل أدلة، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري: مما يدل على أن ابن صياد هو الدجال ما خرج مسلم عن محمد بن المنكدر قال: «رأيت جابر بن عبد اللّه يحلف باللّه أن ابن صياد الدجال، فقلت له: أتخلف ذلك؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ»<sup>(١)</sup> وأخرجه أبو داود في سننه.

وفي (التذكرة) للقرطبي رَحِمَهُ اللهُ عَنْ نافع قال: كان ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول: واللّه ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد، أخرجه أبو داود وإسناده صحيح.

وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعنا ابن صياد قال: فنزلنا منزلاً ففرق الناس فبقيت أنا وهو - أي

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٢٩ ، والبخاري رقم ٧٣٥٥ وأبو داود (٢/ ٥٢٤) رقم ٤٣٣١ .

ابن صياد - فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه، قال: وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي، فقلت: إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة؟ قال: فرفعت لنا غنم، فانطلق بعس، فقال: اشرب أبا سعيد، فقلت: إن الحر شديد واللبن حار، ما بي إلا أنني أكره أن أشرب عن يده، أو قال أخذ عن يده، فقال: أبا سعيد من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عنكم معشر الأنصار، ألسنت من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: «هو كافر وأنا مسلم؟» أليس قد قال رسول الله ﷺ: «هو عقيم لا يولد له» وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل المدينة ولا مكة» وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: وقد حججت قال أبو سعيد: حتى كدت أن أعذره، ثم قال: أما والله إنني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن؟ قال: قلت له: تبأ لك سائر اليوم، وقيل له: أيسرك أنك ذلك الرجل؟ فقال: لو عرض علي أن أكون أنا هو لم أكرهه، وفي لفظ: ما كرهت، قال أبو سعيد: فقلت له: تبأ لك سائر اليوم»<sup>(٢)</sup>. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقيت ابن صياد مرتين فذكر المرة الأولى قال: ثم لقيته أخرى وقد نفرت عينه، قال: فقلت: متى فعلت عينك ما ترى؟ قال: لا أدري، قلت: لا تدري وهي في رأسك؟ قال: إن شاء الله خلقها في عصاك هذه، قال: فنخر كأشد نخرة حمار سمعت، قال: فزعم بعض أصحابي أنني ضربته بعصي كانت معي حتى تكسرت، وأما أنا فوالله ما شعرت، قال: وجاء ابن عمر حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها، فقالت: ما تريد إليه؟ أما إنه قد قال رسول الله ﷺ: «إن

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٢٧ .

(٢) نفس الحديث السابق .

أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه» وقال عمر لرسول الله ﷺ: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه؟ فقال ﷺ: «إن يكن هو فلن تسلط عليه، وإن لم يكن فلا خير لك في قتله»<sup>(١)</sup> ذكره في التذكرة.

وأخرج أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال: «فقدنا ابن صياد يوم الحرة»<sup>(٢)</sup> وأخرج الترمذي عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً «يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاماً لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما أعور، أضرب شيء وأقله منفعة، تنام عينه ولا ينام قلبه» ثم نعت لنا رسول الله ﷺ أبويه فقال: أبوه طوال ضرب اللحم كان أنفه منقار، وأمه امرأة طويلة اليدين». قال أبو بكرة: فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعت رسول الله ﷺ فيهما، فقلنا: هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا ولد، ثم ولد لنا غلام أعور، أضرب شيء وأقله منفعة، تنام عينه ولا ينام قلبه، قال: فخرجنا من عندهما فإذا هو منجدل في الشمس في قطيفة، وله جمجمة، فكشفت عن رأسه فقال: ما قلتما؟ قلنا وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم تنام عيني ولا ينام قلبي»<sup>(٣)</sup>. قال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة، قال القرطبي: قلت: خرج أبو داود الطيالسي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه.

وروي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن يهودياً أتى النبي ﷺ فسأله

(١) أخرجه مسلم ٢٩٢٤ باختلاف يسير.

(٢) أبو داود (٥٢٤ / ٢) رقم ٤٣٣٢ موقوفاً.

(٣) أخرجه الترمذي (٥١٨ / ٤) رقم ٢٢٤٨، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.

وأحمد (٤٠ / ٥) رقم ٢٠٤٣٤ و (٤٩ / ٥) رقم ٢٠٥٢١ والطيالسي في مسنده (١ / ١١٦) رقم ٨٦٥.

عن أشياء، الحديث وفي آخره قال: «أخبرني عن الدجال أمن ولد آدم هو أم من ولد إبليس قال: هو من ولد آدم وأنه على دينكم معشر اليهود»<sup>(١)</sup> أو كما قال.

قال الحافظ ابن حجر: هذه الأحاديث كلها ليست نصاً ولا صريحاً في أن ابن صياد هو الدجال، لأن النبي ﷺ أتى المدينة، ثم لما أخبره تميم الداري جزم بأن الدجال هو ذلك المحبوس الذي رآه تميم، ويأتي حديثه. وأما حلف عمر عند النبي ﷺ فبناء على ظنه، وسكوت النبي ﷺ لأنه كان متردداً فيه.

وأما حديث أبي بكره فقال البيهقي في الجواب عنه تفرد به على ابن زيد وليس بالقوي.

قال الحافظ ابن حجر: ويوهى حديثه أن أبا بكره أسلم حين نزل من الطائف لما حوصرت سنة ثمان من الهجرة.

وفي حديث الصحيحين: أنه حين اجتمع به النبي ﷺ في النخل كان قد قارب الحلم<sup>(٢)</sup> فأين يدرك أبو بكره زمان مولده بالمدينة، وهو لم يسكن المدينة إلا قبل وفاة النبي ﷺ بستين؟ كيف يتأتى أن يكون في الزمن النبوي كالمحتلم؟ فالذي في الصحيحين هو المعتمد، ثم نقل البيهقي أنه ليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ على حلف عمر، فيحتمل أنه ﷺ كان يتوقف في أمره ثم أخبر من عند الله أنه غيره على ما تقتضيه قصة تميم الداري، قال ابن حجر: وقد توهم بعضهم أن حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم فرد، وليس كذلك، فقد رواه مع فاطمة بنت قيس أبو هريرة وعائشة وجابر.

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (٧٧٥) ولم أقف عليه فيما تحتي يدي من مصادر أخرى.

(٢) البخاري رقم ٦١٧٣، ومسلم رقم ٢٢٤٩.

أما حديث أبي هريرة فأخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى . وأما حديث عائشة فهو في حديث فاطمة المذكور عند الشعبي قال : ثم لقيت القاسم بن محمد فقال : اشهد على عائشة حدثني كما حدثت فاطمة بنت قيس ، وأما حديث جابر فأخرجه أبو داود بسند صحيح ، وأما حديث فاطمة بنت قيس فأخرجه مسلم وأبو داود بمعناه ، والترمذي وابن ماجه ، قال الترمذي : حسن صحيح ولفظ رواية مسلم . قالت : «سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ ، فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال : ليلزم كل إنسان مصلاه ، ثم قال : هل تدرون لم جمعتمكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : إني والله ما جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتمكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء وأسلم ، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال ، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام ، فلعب بهم الموج شهراً في البحر فأرغوا - أي بالهمز يعني لجأوا - إلى جزيرة حين مغرب الشمس ، فجلسوا في أقرب السفينة - وهو بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرهما سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة فيها ركاب السفينة لقضاء الحوائج - قال : فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلك - أي غليظ الشعر كثيرة»<sup>(١)</sup> .

وعند أبي داود : «إذا أنا بامرأة تجر شعرها قالوا : ويلك ما أنت قالت : الجساسة»<sup>(٢)</sup> ، أي بفتح الجيم ، وتشديد السين الأولى سميت بذلك لأنها تتجسس الأخبار ، وقد روي عن ابن عمر وابن الأرقم أن هذه هي دابة الأرض التي تخرج آخر الزمان فتكلمهم كما يأتي ، فقالت : انطلقوا إلى هذا

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٤٢ .

(٢) رواه أبو داود (٥٢١ / ٢) رقم ٤٣٢٥ والطبراني في الكبير (٣٧١ / ٢٤) رقم ٩٢٢ .

الرجل في الدير فإنه إلى أخباركم بالأشواق فلما سمت لنا رجلاً فرقنا أي خفنا منها أن تكون شيطانه قال: فانطلقنا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشدّه وثاقاً، مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبته إلى كعبه بالحديد، قلنا: ويملك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قلنا نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فأخبروه بالخبر، فقال: أخبروني عن نخل بيسان؟ بفتح الموحدة قرية بالشام جنوبي طبرية وناحية باليمامة، وهي المرادة في الحديث، بدليل ذكر النخيل هل يثمر؟ قلنا نعم، قال: أما إنها توشك أن لا تثمر قال: أخبروني عن بحيرة طبريا هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال: أخبروني عن عين زغر - بضم الزاي وفتح الغين المعجمة على وزن صرد - بلدة معروفة من الجانب القبلي من الشام بينها وبين بيت المقدس ثلاث فراسخ على طرف البحيرة، وزغر اسم أبي لوط عليه السلام كما في جامع الفنون في باب العيون منه - هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا نعم، هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قلنا قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا نعم قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم أنني أنا المسيح، وأني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج، فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، وهما محرمتان على كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلنا يصدني عنها، وإن على كل نقب من أنقابها ملائكة يحرسونها. قال رسول الله ﷺ: «وطن بمنصرته - بكسر الميم عصا أو قضيب يكون مع الملك والخطيب يشير بها إذا خطب في المنبر، متعلق بطعن - هذه طيبة ثلاثاً - يعني المدينة - ألا هل كنت أحدثكم؟ قال الناس نعم، قال: فإنه

أعجبني حديث تميم الداري لتوافق الذي كنت حدثكم عنه وعن المدينة ومكة، إلا أنه في بحر الشام، أو في بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق. ما هو؟ وأوماً بيده أنه من قبل المشرق»<sup>(١)</sup>.

قال القاضي عياض: لفظه ما زائدة صلة الكلام ليست نافية، والمراد إثبات أنه من قبل المشرق، وفي بعض طرق الحديث عند البيهقي أنه شيخ، وسنده صحيح.

قال البيهقي: فيه أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد، وإن كان ابن صياد واحد الدجالين الكذابين الذين أخبر النبي ﷺ بخروجهم.

وكان هؤلاء الذين يقولون: إن ابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمع بينهما بعيد جداً، إذ كيف يلتئم من كان في أثناء الحياة النبوية شبه المحتمل، ويجتمع به النبي ﷺ، أن يكون في آخرها شيخاً مسجوناً في جزيرة من جزائر البحر، موثقاً بالحديد، يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا؟

قال: وأما إسلام ابن صياد وحجه وجهاده، فليس فيه تصريح بأنه غير الدجال، لاحتمال أنه يختم له بالشر.

فقد أخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن حسان بن عبد الرحمن عن أبيه قال: لما فتحنا أصبهان كان بين عسكرنا وبين اليهودية فرسخ، فكنا نأتيها ونمتار منها، فأتيناها يوماً فإذا اليهود يدفعون ويضربون، فسألت صديقاً لي منهم، فقال ملكنا الذي نستفتح به على العرب، يدخل الليلة،

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٤٢ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

فبت عنده على سطح فصليت، فلما طلعت الشمس إذ الوهج من قبل العسكر، فنظرت فإذا هو ابن صياد فدخل المدينة فلم يعد حتى الساعة.

قال الحافظ ابن حجر: وحسان بن عبد الرحمن ما عرفته والباقون ثقات، قال وقد أخرج أبو داود بسند صحيح عن جابر قال: «فقد ابن صياد يوم الحرة»<sup>(١)</sup> ورواه غيره بسند صحيح وخبر جعفر هذا يضعف خبر أنه مات بالمدينة وأنهم صلوا عليه وكشفوا عن وجهه، ولا يلتئم أيضاً مع خبر حسان بن عبد الرحمن المار، إذ فتح أصبهان كان في خلافة عمر كما أخرجه أبو نعيم في تاريخها، وبين قتل عمر رضي الله عنه ووقعة الحرة نحو أربعين سنة، وغاية ما يعتذر عنه أن القصة إنما شاهدها والد حسان بعد فتح أصبهان في هذه المدة، ويكون جواباً<sup>(٢)</sup> لما في قوله «لما فتحنا أصبهان» محذوف تقديره: صرت أتعاهدها وأتردد إليها، فجرت قصة ابن صياد المارة. وقد أخرج الطبراني في الأوسط من حديث فاطمة بنت قيس مرفوعاً: «الدجال يخرج من يهودية أصبهان»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه «أنه يخرج من يهودية أصبهان»<sup>(٤)</sup>. قال أبو نعيم: كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان وإنما سميت اليهودية لأنها كانت تختص بسكنى اليهود، ولم تزل كذلك إلى زمن أيوب بن زياد، أمير مصر في زمن المهدي بن منصور العباسي،

(١) تقدم ص ٥٠١.

(٢) بالأصل (جواب) والمثبت هو الصحيح.

(٣) الطبراني في الأوسط (٥ / ١٥٦) رقم ٤٩٣٠ عن أنس وأحمد (٣ / ٢٢٤) رقم ١٣٣٦٨ وانظر تخريج الحديث التالي.

(٤) أخرجه أحمد (٣ / ٢٢٤) رقم ١٣٣٦٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٦٥١) رقم ١٢٥١٢ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق، وهو ثقة.

فسكنها المسلمون وبقيت لليهود منها قطعة، هذا ملخص كلام الحافظ ابن حجر مع ضم فوائد من كلام غيره.

وحاصل كلامه: أن الأصح أن الدجال غير ابن صياد، ووافقه في «الإشاعة» وإن وافق ابن صياد في كونه أعور من اليهود، وأنه ساكن في يهودية أصبهان، إلى غير ذلك، لكن أحاديث ابن صياد كلها محتملة، وحديث الجساسة نص فيقدم.

قال في «الإشاعة»: وما يؤيد أنه غيره أن قصة تميم الداري متأخرة عن قصة ابن صياد، فهو كالتاسخ له، كذا قال. قلت: لا مدخل هنا للنسخ أصلاً والله أعلم، قال: ويرجح أنه غير ابن صياد أن النبي ﷺ حين إخباره أنه في بحر الشام أو اليمن لا بل قال من المشرق، كان ابن صياد بالمدينة، فلو كان هو لقال بل هو في المدينة.

قال: ويؤيده ما أخرجه نعيم بن حماد من طريق جبير بن نفير وشريح ابن عبيد وعمرو الأسود وكثير بن مرة قالوا جميعاً: الدجال ليس هو إنسان، وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن، كما تقدم.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا لا يمكن مع كون الدجال هو ابن صياد، ولعل هؤلاء مع كونهم ثقات تلقوا ذلك من بعض كتب أهل الكتاب، انتهى.

قال القرطبي في (التذكرة): وقد استدل من قال من العلماء أن الدجال ليس ابن صياد بحديث الجساسة وما كان في معناه.

قال والصحيح أن ابن صياد هو الدجال، يدل له ما تقدم، ويبعد أن

يكون بالجزيرة ذلك الوقت ويكون بين أظهر الصحابة في وقت آخر، إلى أن فقدوه يوم الحرة.

وقد أخرج أبو داود في خبر الجساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «شهد جابر أنه هو ابن صياد، قلت: فإنه قد مات، قال: وإن مات؟ قلت: فإنه قد أسلم قال: وإن أسلم قلت: فإنه قد دخل المدينة قال: وإن دخل المدينة»<sup>(١)</sup>.

قال: وذكر سيف بن عمر في كتاب «الفتوح والردة» ما ملخصه: أنه لما نزل المسلمون على السوس وأحاطوا بها وناشبوهم القتال، أشرف عليهم يوماً الرهبان والقسيسون، فقالوا: يا معشر العرب إن مما عهد علماؤنا وأولياؤنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال، فإن كان الدجال فيكم ففتحنوها وإلا فلا تعنوا بالحصار، قال: وصاف ابن صياد يومئذ مع النعمان في جنده، فأتى باب السوس غضبان فدقه برجله وقال: انفتح، فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق وانفتحت الأبواب ودخل المسلمون، وقد تقدمت قصة ابن صياد مع أبي سعيد، فالذي حط عليه كلام القرطبي، أنه صاف ابن صياد.

وقال العلامة في «بهجته»: الذي اعتمده المحدثون بعد الخلاف الكبير أن الدجال هو ابن صياد اليهودي، الذي رآه رسول الله ﷺ بالمدينة ورآه تميم بالجزيرة مع الجساسة، انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر: وغاية ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وكون ابن صياد هو الدجال، أن الذي شافه تميم موثقاً هو الدجال بعينه،

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٢ / ٢) رقم ٤٣٢٨ .

وأن ابن صياد شيطانه ظهر في صورة الدجال تلك المدة التي قدر الله تعالى خروجه فيها، والله أعلم.

وزعم بعضهم أن الدجال هو ابن شق الكاهن أو هو شق نفسه كما تقدم، قال الحافظ ابن حجر: وهذا واهٍ .

وفي «البهجة» أن اسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود، قال يخرج آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، قالوا: ويرد الملك إلينا، وكذبوا في زعمهم، انتهى.

وفي «الإشاعة»: فإن قيل: كيف يحكم بكفر ابن صياد فضلاً عن كونه دجالاً بعد أن ثبت إسلامه وحجه وجهاده والأصل بقاؤه على الإسلام إلى الموت؟.

قلت: قوله في حديث أبي سعيد لا يكره أن يكون دجالاً، ولو عرض عليه ذلك لقبه يدل على عدم إسلامه في الباطن، إذ كيف يرضى المسلم أن يدعي الربوبية والنبوة؟ فهذا الذي جوز الحكم عليه بالكفر. انتهى.

قلت: حيث ثبت أن النبي ﷺ حكم عليه أنه الدجال. فلا محصل للسؤال، إذا هو أعلم بحقيقة الحال، والله الموفق.

ولقد كنت جزمت أن الدجال هو ابن صياد تبعاً لأئمة الحديث، ومضى على ذلك مدة أفني من سألنا عن الدجال بأنه ابن صياد، إلى أن ظهر لي أن الدجال هو الذي أخبر تميم عنه، وقرر المصطفى ذلك، وبلغه الصحابة، وأن ابن حجر كلامه في غاية الجودة من أن ابن صياد شيطان الدجال كما مر، على أن لي في ذلك وقفة، إذ ليس كون الدجال هو الذي في الجزيرة وأنه شيخ، وأن ابن صياد كالمحتلم، وأنه بين ظهرائي الصحابة

بأعجب مما يأتي به الدجال من الفتن، فلعل هذا من ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال، وإليه المرجع والمآل، لا نحصي ثناء عليه، عز جاره وجل ثناؤه، فنعوذ بك اللهم من فتنة الدجال، ومن مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، فأنت حسبنا وكفى.

\* \* \*

## الفصل الثالث

في نزول سيدنا عيسى عليه السلام

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:  
«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر  
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»<sup>(١)</sup> الحديث.

وفي رواية لمسلم عنه: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً فليكسرن  
الصليب»<sup>(٢)</sup> بنحوه.

وأخرج مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من  
أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم  
فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: إلا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه  
الله هذه الأمة»<sup>(٣)</sup>.

وقال العلامة في «البهجة»: هو - أي نزول عيسى - ثابت بالكتاب  
والسنة وإجماع الأمة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا  
لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] أي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى،  
وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة، ملة  
إبراهيم حنيفاً مسلماً، ونوزع في الاستدلال بهذه الآية، وأن الضمير في  
قوله قبل موته ليهود، ويؤيده قراءة أبي قبل موته<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٤٤٨ ، ومسلم رقم ١٥٥ .

(٢) مسلم السابق .

(٣) مسلم السابق .

(٤) هذه قراءة غير صحيحة إذ لم ترد حتى في القراءة الشاذة .

وأما السنة فلا نزاع فيها، وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه متبع لهذه الشريعة المحمدية، وليس بصاحب شريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به ويتسلم الأمر من المهدي، ويكون المهدي مع أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي - كما مر - من جملة أتباعه، كما مر، ويصلي عيسى وراء المهدي صلاة الصبح - كما تقدم -، وذلك لا يقدر في نبوته، ويسلم المهدي الأمر لعيسى عليه السلام، وكل ما معه من تابوت بني إسرائيل، ويقتل الدجال كما مر - انتهى كلامه مخلصاً.

والكلام على سيدنا عيسى عليه السلام في ثلاث مقامات:

المقام الأول: في سيرته وحليته.

أما حليته: فعند البخاري من حديث عقيل بن خالد أنه «أحمر أجعد عريض الصدر»<sup>(١)</sup> وفي رواية: «آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال، سبط الشعر ينطف»<sup>(٢)</sup> بكسر الطاء المهملة أي يقطر ماء. زاد في رواية «له لمة - أي بكسر اللام وتشديد الميم - أحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها»<sup>(٣)</sup> بتشديد الجيم أي سرحها.

وفي رواية: «لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء»<sup>(٤)</sup> وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس»<sup>(٥)</sup> زاد في حديث أبي هريرة بنحوه. «كأنما

(١) رواه البخاري رقم ٣٤٣٨ .

(٢) البخاري رقم ٣٤٤١ .

(٣) البخاري رقم ٥٩٠٢ .

(٤) البخاري رقم ٣٤٤٠ .

(٥) البخاري رقم ٣٢٣٩ .

خرج من ديماس»<sup>(١)</sup> يعني الحمام ولا منافاة بين الحمرة والأدمة، لجواز أن تكون أدمته صافية، كما مر في صفة الدجال، لا يجد ريح نفسه - أي عيسى عليه السلام - كافر إلا مات.

وأما سيرته: فقد تقدم أنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويقتل القرد، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام، ويتحد الدين فلا يعبد إلا الله، ويترك الصدقة أي الزكاة، لعدم من يقبلها، وتظهر الكنوز في زمنه، ولا يرغب في اقتناء المال، ويرفع الشحناء والتباغض، وينزع سم كل ذي سم، حتى تلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم، ويرعى الذئب مع الشاة فلا يضرها، ويملاً الأرض سلماً، وينعدم القتال، وتنبت الأرض نبتها كعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، وكذا الرمانة، وترخص الخيل لعدم القتال، ويغلو الثور لأن الأرض تحرث كلها، ويكون مقررأً لشريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم لا أنه رسول لهذه الأمة، ويكون قد علم بأمر الله في السماء قبل أن ينزل وهو نبي.

وزعم بعض العلماء أن نزول عيسى عليه السلام يرفع التكليف، قالوا: لئلا يكون رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله وينهاهم، وهذا مردود بالأخبار الواردة أنه مقرر لهذه الشريعة ومجدد لها، إذ هي آخر الشرائع، ونبينا صلى الله عليه وسلم آخر الرسل، وأيضاً فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف، إلى أن لا يقال في الأرض الله الله، ذكره القرطبي في (التذكرة).

قلت: في زعم رفع التكليف خطأ بين لكل ذي لب، فإننا لو قلنا برفعه لكان الزنا ومصحفه لا محذور فيها كبقية المحارم، إذ التكليف تحته الأحكام الخمسة، وهي الواجب، والمسنون، والحرام، والمكروه،

(١) رواه البخاري رقم ٣٣٩٤ ، ٣٤٣٧ .

والمباح، فإذا رفعت هذه فلا بقاء لقوام العالم من غير شك، واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

واعلم أن عيسى عليه السلام من أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو صحابي، لأنه اجتمع به صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، واجتمع به في الطواف أيضاً، وقد ألغز في ذلك التاج السبكي فقال:

من باتفاق جميع الخلق أفضل من      خير الصحاب أبي بكر ومن عمر  
ومن علي ومن عثمان فهو فتى      من أمة المصطفى المختار من مضر

قال في (الإشاعة) كالذكر أنه صلى الله عليه وسلم قال: «وتسلب قريش ملكها»<sup>(١)</sup>  
قال ابن حجر الفقيه في (القول المختصر) وسبقه السخاوي في (القناعة)  
معنى ذلك لا يبقى لقريش اختصاص بشيء دون مراجعته، فلا يعارض ذلك  
خبر «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»<sup>(٢)</sup>.

قال البرزنجي في (الإشاعة): ويدل لما قاله حديث جابر عند مسلم  
«فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه  
اللّه هذه الأمة»<sup>(٣)</sup> وعلى هذا فلا منافاة أن يكون المهدي هو الأمير حتى في  
زمن عيسى، ويكون مراجعته في الأمور لعيسى صلى الله عليه وسلم على سبيل التبرك.

فإن قيل: كيف يصح معنى حديث «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي  
من الناس اثنان» مع أننا نشاهد أن قريشاً لم تملك منذ قرون؟ قلنا: معنى هذا  
الحديث استحقاق الخلافة لقريش وإن ظلمها ظالم، ولا شك أن عيسى صلى الله عليه وسلم  
يظهر كمال العدل، فلا يجوز أن يأخذ حقهم، وبالله التوفيق، انتهى.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥٩) رقم ٤٠٧٧ وتقدم.

(٢) رواه مسلم رقم ١٨٢٠.

(٣) رواه مسلم رقم ١٥٦.

وأقول: الذي يظهر لي أن قوله «لا يزال هذا الأمر» إلخ معناه ولو مراجعة، ولا شك أن قريشاً يراجعون، على أن الخوارج في زماننا هذا يزعمون أنهم نواب عن قريش، وأما سيدنا عيسى عليه السلام فلا ينبغي أن يقال أن الأمر في زمنه للمهدي، كيف وهو روح الله وكلمته، وذلك رجل مجتهد يصيب ويجوز عليه الخطأ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمر يكون لعيسى عليه السلام، نعم يكون المهدي من خواص أصحابه، بل وزيره، يراجعه في الأمور، ويصدر عنه الشورى، وعيسى عليه السلام مجدد ومقرر لشريعة نبينا عليه الصلاة والسلام، وهذا واضح، والله أعلم.

### المقام الثاني: في وقت نزوله ومحلّه وما يجري على يديه من الملاحم

قد سبقت الروايات في محل نزوله والجمع بينهما، والحاصل أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين لست ساعات مضين من النهار، حتى يأتي مسجد دمشق، يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد، وكذا النصارى واليهود، كلهم يرجونه، حتى لو ألقى شيء لم يصب إلا رأس إنسان من كثرتهم، ويأتي مؤذن المسلمين، وصاحب بوق اليهود، وناقوس النصارى، فيقرعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين، وحينئذ يؤذن مؤذنتهم، ويخرج اليهود والنصارى من المسجد، ويصلي بالمسلمين صلاة العصر، ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال، ويمشي وعليه السكينة، والأرض تقبض له، وما أدرك نفسه من كافر إلا وقتله، ويدرك حيث ما أدرك بصره، حتى يدرك بصره حصونهم وقرياتهم إلى أن يأتي بيت المقدس، فيجده مغلقاً قد حصره الدجال، فيصادف ذلك صلاة الصبح - كما مر - وتقدم قتله الدجال اللعين، وسيأتي هلاك يأجوج ومأجوج بدعائه.

### المقام الثالث: في مدته ووفاته.

أما مدته فقد ورد في حديث أبي هريرة عند الطبراني وابن عساكر أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة»<sup>(١)</sup>. وعند الإمام أحمد وابن أبي شيبة وأبي داود وابن جرير وابن حبان عنه «أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن عساكر عن عائشة رضيها الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم، فيقتل الدجال، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة، إماماً عادلاً حكماً مقسطاً»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد في (الزهد) عن أبي هريرة رضيها الله عنه قال: «يلبث عيسى بن مريم أربعين سنة، لو يقول للبطحاء سيلبي عسلاً لسالت»<sup>(٤)</sup>.

وفي (المنتظم) للإمام ابن الجوزي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى بن مريم فيتزوج ويولد له»<sup>(٥)</sup> ذكر بعضهم ولدين،

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥ / ٣٣١) رقم ٥٤٦٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧ / ٥٢٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٣٧٧) رقم ١٣٧٨٩ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد (٢ / ٤٠٦) رقم ٩٢٥٩ وليس فيه عند نبينا ﷺ وابن حبان في صحيحه (١٥ / ٢٣٣) رقم ٦٨٢١، والطيالسي في مسنده (٣٣٥) رقم ٢٥٧٥.

(٣) أخرجه أحمد (٦ / ٧٥) رقم ٢٤٥١١، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٤٩٠) رقم ٣٧٤٧٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧ / ٤٩٧) وذكره الهيثمي (٧ / ٦٥١) رقم ١٢٥١٢ وأحمد في العلل ومعرفة الرجال (٢ / ٥٩٨) رقم ٣٨٣٨.

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢ / ٥٨٠) رقم ٢٦٢٣.

(٥) ذكره التبريزي في مشكاة المصابيح (٣ / ٩٦) رقم ٥٥٠٨ وقال: رواه ابن الجوزي في كتاب الوفاء وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢ / ٩١٥) رقم ١٥٢٩ وقال: هذا حديث لا يصح والإفرقي ضعيف بمره.

أحدهما يسميه موسى والآخر محمداً، وأن أهمهما من يزد، قال: ويمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر، وكان روايات أربعين وردت بإلغاء الكسر.

وورد في رواية «يمكث سبع سنين»<sup>(١)</sup> وجمع بعضهم أن سيدنا عيسى حين رفع كان عمره ثلاثاً وثلاثين، وينزل سبعاً، فهذه أربعون سنة.

قلت: وليس هذا بشيء، لما مر في حديث عائشة عند الإمام أحمد وغيره: «فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة»<sup>(٢)</sup> فدل الحديث دلالة ظاهرة أن الأربعين بعد قتله الدجال، فلا يبقى لذلك الجمع وجه.

وقد ذكر العلامة في «بهجته» أن الحافظ السيوطي قال: كنت أفتيت بأن ابن مريم يمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين، واستمرت على ذلك مدة من الزمان، حتى رأيت البيهقي اعتمد أن مكثه في الأرض أربعين سنة، معتمداً على ما أفاده الإمام أحمد في روايته بلفظ «ثم يمكث ابن مريم في الأرض بعد قتله الدجال»<sup>(٣)</sup> وهذا هو المرجح، لأن زيادة الشقة يحتاج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل لما معه من زيادة العلم، ولأنه مثبت، والمثبت مقدم، انتهى.

وأخرج الإمام أحمد وابن جرير وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب، ويجمع الصلاة، ويعطي المال حتى لا يقبل، ويضع الخراج، وينزل

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٤٠ بلفظ: (ثم يمكث الناس سبع سنين).

(٢) سبق ص ٥١٦ .

(٣) سبق ص ٥١٦ .

الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما»<sup>(١)</sup>. وعند مسلم وابن أبي شيبة عنه: «ليهطن عيسى بن مريم بفضج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليشيهما جميعاً»<sup>(٢)</sup>.

قوله: بفضج أي: الطريق، والروحاء مكان بين المدينة ووادي الصقر في طريق مكة.

وأخرج الحاكم وصححه وابن عساكر عنه: «ليهطن ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً، وليأتين قبري حتى يسلم عليّ ولأردنّ عليه». قال أبو هريرة: أي بني أخي إذا رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من أدرك عيسى منكم فليقرئه مني السلام»<sup>(٤)</sup>.

وأما وفاته: فقد أخرج البخاري في تاريخه والطبراني: «يدفن ابن مريم مع رسول الله ﷺ وصاحبه فيكون قبره رابعاً»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٠) رقم ٧٨٩٠، وابن جرير في تفسيره (٣/ ٢٨٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٤٩٥)، ومسلم رقم ١٣٥ باختلاف يسير.

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٢٥٢، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩٤) رقم ٣٧٤٩٦.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٥١) رقم ٤١٦٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٤٩٣).

(٤) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٨٧) رقم ٨٦٣٥ وقال: إسماعيل هذا أظنه ابن عباس ولم يحتج به، وأحمد (٢/ ٢٩٨) رقم ٧٩٥٧، وذكره الهيثمي (٨/ ١٢) رقم ١٢٥٦٩ وقال: رواه أحمد بإسنادين مرفوع وهو هذا وموقوف ورجالهما رجال الصحيح.

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٦٢) رقم ٨٣٩ وقال: هذا لا يصح عندي ولا يتابع عليه.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٧٨) رقم ١٣٧٩٢ وقال: فيه عثمان بن الضحاك وثقه ابن حبان وضعفه أبو داود.

وفي (المواهب اللدنية) للقسطلاني: بقى من البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى بن مريم، ويكون قبره الرابع.

ومر حديث ابن عمر<sup>(١)</sup> عند ابن الجوزي في (المنتظم): قال العلامة في «البهجة»: قال بعض مشايخنا وذكر رابع القبور لا ينافي قوله: معي في قبري، فإنه عبر بذلك لشدة القرب، إذ هو لقربه كأنه معه، أو بتقدير مضاف: أي في جانب قبري لينطبق الكلام ويتسق، فدل مجموع ما ذكرنا أنه يموت ﷺ بالمدينة المنورة، قال بعضهم: ولعل موته عند حجه وزيارة النبي ﷺ، والله أعلم.

\* \* \*

## الفصل الرابع

### في ذكر يأجوج ومأجوج وخروجهم<sup>(١)</sup> من الفتن العظام والمصائب الجسام

فنسأل الله أن يمن علينا بالتوفيق وأن يذيقنا حلاوة التحقيق، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وخروجهم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]. وأما السنة: ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سميان مرفوعاً: «إن الله يوحى إلى عيسى ﷺ بعد قتله الدجال: أني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه ماء، ويحصرون عيسى ﷺ وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار»<sup>(٢)</sup>. الحديث.

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات، طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم، وثلاث خسوفات، ونار تخرج من قعر عدن أبين»<sup>(٣)</sup> الحديث رواه ابن ماجه عن حذيفة ابن أسيد والأحاديث في ذلك كثيرة.

(١) كذا بالأصل ولعلها هكذا (وما في خروجهم).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧ وتقدم.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٣٤٧/٢) رقم ٤٠٥٥، ومسلم رقم ٢٩٠١ باختلاف يسير.

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على خروجهم.

ولتكلم عليهم في ثلاث مقامات:

المقام الأول: في نسبهم وفي ذلك أقوال شتى.

أحدهم أنهم من بني يافث بن نوح عليه السلام وبه جزم وهب بن منبه وغيره، واعتمده كثير من المتأخرين، قال الكسائي في (العرائس) أن يافث سار إلى المشرق، فولد له هناك خمسة أولاد، جوهر، ونبرش، وأشار، واسقويل، ومياشح، وهي أسماء أعجمية، فمن جوهر جميع الصقالبة والروم وأجناسهم، ومن مياشح جميع أصناف العجم، ومن أشار يأجوج ومأجوج وأجناسهم، ومن اسقويل جميع الترك، ومن نبرش الترك والفقجق، واليونان من ولد يافث، وكان عمره إلى أن قبضه الله أربع مائة سنة وخمساً وستين، انتهى.

وقيل: إنهم من الترك، قاله الضحاك. وقيل: يأجوج من الترك ومأجوج من الديلم.

وسمعت أستاذي العلامة الشيخ عبد القادر التغلبي طيب الله ثراه يقول: الترك من يأجوج ومأجوج، وكانت هذه الطائفة سارحة تفسد في الأرض، فجاء سيدنا اسكندر فسد عليهم، فتركت هذه الطائفة من خارج السد فسموا الترك، قرر ذلك لي مراراً، وسيأتي ذلك مأثوراً، والله أعلم.

وعن كعب الأخبار أنهم - أي يأجوج ومأجوج - من ولد آدم من غير حواء، وذلك أن آدم نام فاحتلم فامتزجت نطفته في التراب فخلق منها يأجوج ومأجوج<sup>(١)</sup>، ورد بأن الأنبياء لا يحتلمون، وأجيب بأن ذلك يفيض

(١) ذكر ذلك النووي في شرحه لمسلم حديث رقم ٣٧٩ عن كعب الأخبار ونقله عنه ابن =

من غير أن يتراءى له أنه يجامع، واعتمد الحافظ ابن حجر الأول، أي أنهم من ذرية نوح وإلا فأين كانوا حين الطوفان؟

وقال الإمام النووي في (الفتاوى): يأجوج ومأجوج أولاد آدم من غير حواء عند جماهير العلماء، فيكونون إخواننا لأب، قال الحافظ ابن حجر: لم يرد هذا عن أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار، ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح، ونوح من ذرية حواء قطعاً.

وكأن الحديث ما روي عن أبي هريرة مرفوعاً وفيه ضعف «ولد نوح سام، وحام، ويافث، فولد لسام العرب وفارس والروم، وولد لحام القبط والبربر والسودان، وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة»<sup>(١)</sup> قال العلامة تبعاً للحافظ ابن حجر أنه ضعيف.

وفي رواية عبد الرزاق عن أبي قتادة قال: يأجوج ومأجوج اثنتان وعشرون قبيلة، بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وكانت قبيلة منهم غائبة في الغزو وهم الأترك فبقوا دون السد.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق السدي من أثر قوي: الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج، خرجت فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا

= كثير في التفسير (٣/١٤١) وعلق عليه بقوله: (وهذا قول غريب جداً لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد هنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، والله أعلم).

(١) أخرجه الحاكم (٤/٥٠٩) رقم ٨٤٢٩ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وسكت عنه. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٤٥٧) رقم ٩٣٢ وقال: رواه البزار وفيه محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي عن أبيه/ فمحمد وثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم صدوق، وضعفه يحيى بن معين والبخاري، ويزيد بن سنان وثقه أبو حاتم فقال: محله الصدق، وقال البخاري مقارب الحديث وضعفه يحيى وجماعة.

خارجاً عنه .

وسئل علي كرم الله وجهه عن الترك فقال: هم سيارة ليس لهم أصل، هم من يأجوج ومأجوج خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيارة في الأرض رواه ابن المنذر .

فائدة: قال العلامة في (البهجة) يأجوج ومأجوج علمان أعجميان ولذلك منعا من الصرف، ويجوز قراءتهما بالهمز وتركه بلا همز، من يج وماج إذا اضطرب، وذلك مناسب لشأنهم، وقد جاء أجوج من أجيح النار، بمعنى التهابها، أو الأوج وهو سرعة العدو، أو الأجاج وهو الملوحة .

المقام الثاني: في حليتهم وكثرتهم .

أما حليتهم فأخرج ابن أبي حاتم من طريق شريح ابن عبيد عن كعب الأحبار قال: هم ثلاثة أصناف، صنف أجسادهم كالأرز، بفتح الهمزة وسكون الراء ثم زاي، هو شجر كبير جداً. قال في النهاية: هو شجر الأرز وهو خشب معروف، وقيل شجر الصنوبر. ومنهم من هو أربعة أذرع في أربعة أذرع، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون الأخرى، ووقع في حديث حذيفة نحوه .

وأخرج هو والحاكم من طريق ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يأجوج ومأجوج شبرا شبرا، وشبرين شبرين، وأطولهم ثلاث أشبار .

وأخرج عن قتادة قال: يأجوج ومأجوج اثنان وعشرون قبيلة، وذكر الحديث المتقدم .

وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته مرفوعاً: «إنكم لتقولون لا عدو، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى

تقاتلوا بأجوج ومأجوج، عراض الوجوه صغار العيون، صهب<sup>(١)</sup> الشعور من كل حذب ينسلون كأن وجوههم المجران المطرقة<sup>(٢)</sup>.

قوله: صهب الشعور أي: بين الحمار والسواد. قال العلامة: ورد أن منهم من يفترش أذنه طوله وعرضه سواء، ومنهم من هو كالأرزة الطويلة، ومنهم من له أربعة أعين، عيان في رأسه، وعيان في صدره، ومنهم من له رجل واحدة، ومنهم من هو ملبس شعراً كالبهائم، ومنهم من لا يشرب غير الدم شيئاً.

وقال الزهري: هم ثلاث أمم، منسك، وتأويل، وتاريس. فصنف منهم عرض أحدهم وطوله سواء، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف الأخرى، وصنف منهم أمثال الأرز، أي الشجر الطويل.

وفيه حديث حذيفة قلت: يا رسول الله صفهم لنا قال: «ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأرز» قال: قلت: يا رسول الله ما الأرز؟ قال: «شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء، ثم قال هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه». وذكر ما مرو زاد: ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا طير ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه<sup>(٣)</sup>.

(١) الأصهب: الذي يعلو لونه ضُهْبَةٌ، وهي كالشُقْرة، والمعروف أن الصهبه مختصة بالشعر، وهي حمرة يعلوها سواد. النهاية في غريب الأثر/ مادة: صهب.

(٢) أخرجه أحمد (٢٧١/٥) رقم ٢٢٣٨٥، وفيه (الشعاف) بدل (الشعور) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣/٨) رقم ١٤٥٧٠ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٥٥/٤) رقم ٣٨٥٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣/٨) رقم ١٢٥٧٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف.

وذكر بعضهم أن فيهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة يأكلون اللحوم نيئة .

وأما كثرتهم : فقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه : « أن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم من صلبه ألفاً من الذرية »<sup>(١)</sup> . وعند النسائي من رواية عمرو بن أوس عن أبيه رفعه : « إن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاءوا ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً »<sup>(٢)</sup> .

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه : أن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاءوا .

وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي وعبد بن حميد عن ابن عمر : أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ووراءهم ثلاث أمم ، تاويل ، وتاريس ، ومنسك .  
وأخرج عبيد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام نحوه .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عمر أنه قال : الجن والإنس عشرة أجزاء تسعة أجزاء يأجوج ومأجوج ، وجزء سائر الناس .

وأخرج الحاكم وابن مردويه عن حذيفة مرفوعاً « يأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربع مائة ألف رجل ، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حملوا السلاح »<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٤٠/١٥) رقم ٦٨٢٨ ، وأخرج نحوه الطبراني في الأوسط (٢٦٧/٨) رقم ٨٥٩٨ عن عبد الله بن عمرو ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣/٨) رقم ١٢٥٧١ وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٤٠٨/٦) رقم ١١٣٣٤ باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) جزء من حديث أخرجه نحوه الحاكم (٥٤٥/٤) رقم ٨٥٢٦ ، و(٥٣٦/٤) رقم ٨٥٠٥ وقال في الموضوعين : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وأخرج أبو الشيخ وابن المنذر من قول حسان بن عطية: هم - أي  
يأجوج ومأجوج - أمتان، كل أمة أربع مائة ألف أمة، لا تشبه واحدة  
الأخرى.

وقال مكحول: الأرض مسيرة مائة عام، ثمانون منها يأجوج  
ومأجوج، وهي أمتان، كل أمة أربع مائة ألف، أمة لا تشبه أمة أخرى.

وعند أبي الشيخ عن أبي أمامة: الدنيا سبعة أقاليم، فيأجوج ومأجوج  
سته، والباقي إقليم واحد.

وعن خالد الأشج أن بني آدم وبني إبليس ثلاثة أثلاث، فثلثان بنو  
إبليس، وثلث بنو آدم، وبنو آدم ثلاثة أثلاث، ثلثان يأجوج ومأجوج،  
وثلث سائر الناس، والناس بعد ذلك ثلاثة أثلاث، ثلث الأندلس، وثلث  
الحبشة، وثلث سائر العرب والعجم.

وعند ابن أبي حاتم: الإنس عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء منها يأجوج  
ومأجوج، وجزء سائر الناس.

وعند الحاكم وعبد الرزاق من قول ابن عمر: إن الله جزأ الملائكة  
والجن والإنس عشرة أجزاء، تسعة منهم الكروبيون والذين يسبحون الليل  
والنهار لا يفترون، وجزأ الجن والإنس عشرة أجزاء، فتسعة منهم الجن،  
فلا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة، وجزأ الإنس عشرة أجزاء  
فتسعة منهم يأجوج ومأجوج الحديث.

المقام الثالث: في خروجهم وإفسادهم وهلاكهم.

في الحديث المرفوع إلى رسول الله ﷺ «أن يأجوج ومأجوج يحفرون  
السد كل يوم». وهو فيما أخرجه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم

وصحاه عن أبي هريرة رفعه في السد: «يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذين عليهم ارجعوا فتحرقونه غداً فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله تعالى، واستثنى، قال: فيرجعون فيجدونه كهيبته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس»<sup>(١)</sup>. الحديث.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وعبد بن حميد وابن حبان كلهم عن قتادة ورجال بعضهم رجال الصحيح.

قال ابن العربي: في هذا الحديث ثلاث آيات.

الأولى: أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً.

الثانية: منعهم أن يحالوا<sup>(٢)</sup> في الرقي على السد بالسلم والآلة، فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه، مع أنه ورد أن لهم أشجاراً وزروعاً أو غير ذلك من الآلات.

الثالثة: أن صدهم أن يقولوا: إن شاء الله تعالى حتى يجيء الوقت المحدود. قال ابن حجر: وفيه أن فيهم أهل صناعات وأهل ولاية وسلطة ورعية تطيع من فوقها، وفيهم من يعرف الله ويقرب قدرته ومشيبته، ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان ذلك الوالي من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها.

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٣١٣/٥) رقم ٣١٥٣، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان (٢٤٢/١٥) رقم ٦٨٢٩، والحاكم (٥٣٤/٤) رقم ٨٥٠١ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) كذا بالأصل وفي حاشيته (عبارة المؤلف في شرح الدرر: منعهم أن يحتالوا للرقي... إلخ).

ثم روي لكل من الاحتمالين حديثاً، فقال: عند عبد بن حميد من طريق كعب الأحبار نحو حديث أبي هريرة، وفيه «فإذا جاء الأمر ألقى على بعض ألسنتهم نأتي غداً إن شاء الله تعالى فيفرغ منه»<sup>(١)</sup>.

وعند ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبي هريرة وفيه: «يغدون فيجرون عليه فيفتح»<sup>(٢)</sup>. الحديث وسنده ضعيف. انتهى، وحاصل ما في «الإشاعة» أنه يحتمل أن يلقى إن شاء الله على لسان أحدهم، وهو أقوى، ويحتمل أن يسلم واحد منهم.

فائدة: قال ابن عبد البر في كتاب «الأمم» أجمعوا على أن يأجوج ومأجوج من ولد يافث بن نوح، ثم ختم الباب بأن النبي ﷺ سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك فقال ﷺ: «جزت بهم ليلة أسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا»<sup>(٣)</sup>.

وفي مسلم من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدجال وهلاكه على يد عيسى ﷺ قال: «ثم يأتيه يعني عيسى قوم وقد عصمهم الله من الدجال، فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أن قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس، فينشقون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم ويضمون إليهم مواشيهم، فيشربون مياه الأرض، حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٣/١٠٩).

(٢) فتح الباري السابق.

(٣) جزء من حديث طويل أورده الطبري في تاريخه (١/٤٩)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٢/١١٠) وقال عنه: حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبح أحد الكذابين الكبار الذي اعترفوا بوضع الحديث.

فيه حتى يتركوه يبساً، حتى أن من يمر بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان هاهنا ماء مرة، ويحصر عيسى نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور ورأس الحمار لأحدهم خير من مائة دينار»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية مسلم وغيره: «فيقولون لقد قتلنا من في الأرض هلم نقتل من في السماء فيرمون نشابهم إلى السماء فيردها الله عليهم مخضوبة دماً - للبلاء والفتنة - فيرغب نبي الله وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف بفتح النون والغين المعجمة ثم فاء وفي رواية داود كالنغف في أعناقهم، وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم - فيصبحون موتى كموت نفس واحدة، لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟ فيتجرد رجل منهم محتسباً نفسه قد وطنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي يا معشر المسلمين: ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعي إلا لحومهم، فتشكر منهم - بفتح الكاف أي تسمن - أحس ما شكرت عن شيء، وحتى إن دواب البحر تسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم، ويهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاءه زهمهم وتنهم - أي ريحهم من الجيف - فيؤذون الناس بتنتهم أشد من حياتهم، فيستغيثون بالله، فيبعث الله ريحاً يمانية غرباء فتصير على الناس غماً ودخاناً ويقع عليهم الزكمة ويكشف ما بهم بعد ثلاثة أيام وقد قذفت الأرض جيفهم في البحر»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧ باختلاف يسير.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧، والحاكم (٥٣٧/٤) رقم ٨٥٠٨.

وفي رواية: «فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «فترميهم إلى البحر»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: «في النار»<sup>(٣)</sup> ولا منافاة، لأن البحر يسجر فيصير ناراً يوم القيامة، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة - أي كالمرآة - بحيث يرى الإنسان فيها وجهه من صفائها، قال القاضي عياض في «مشارك الأنوار»: يروى بالفاء والقاف وبالوجهين ضبطناه في مسلم عن متقني شيوخنا، وبهما ذكره أهل اللغة وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالمرآة، وقاله ثعلب وأبو زيد، وقال آخرون: هو بالفاء الإجابة الخضراء وقيل: الصحيفة، وقيل: المحارة، وقيل: المصانع الممثلة ماء. انتهى. وتفسير ابن عباس أظهر، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك. وروي: بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابههم وأترستهم سبع سنين.

\* \* \*

(١) مسلم السابق، وابن ماجه (١٣٥٦/٢) رقم ٤٠٧٥، وأحمد (١٨١/٤) رقم ١٧٦٦٦.  
 (٢) كما في أحمد (٣٧٥/١) رقم ٣٥٥٦ بلفظ «فينزل الله عز وجل المطر فتجرف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر».  
 (٣) ذكره القرطبي في التذكرة (٧٩٢).

## الفصل الخامس

## خراب المدينة وخروج القحطاني

## والجهجاه والهيثم والمقعد وغيرهم وكذا هدم الكعبة

ولنذكرهم على سبيل الاختصار:

فأما خراب المدينة فقد تقدمت الإشارة إليه. وأخرج أبو داود عن معاذ بن جبل مرفوعاً: «عمران بيت المقدس خراب يثرب»<sup>(١)</sup> الحديث.

وروى الطبراني: «سيبلغ البناء سلماً، ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول: قد كانت هذه مرة عامرة، من طول الزمان وعفو الأثر»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد نحوه بإسناد حسن<sup>(٣)</sup>.

وأخرج أيضاً بسند رجاله ثقات «المدينة يتركها أهلها وهي مرطبة، قالوا فمن يأكلها؟ وقال: يأكلها السباع والعوافي»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٥١٣/٢) رقم ٤٢٩٤، وأحمد (٢٣٢/٥) رقم ٢٢٠٧٦ مرفوعاً، والحاكم (٤٦٧/٤) رقم ٨٢٩٧ موقوفاً، وقال: هذا الحديث وإن كان موقوفاً إسناده صحيح على شرط الرجال ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٨/٦) رقم ٥٥٩٧ من حديث سهل بن ضيف، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٩١/٣) رقم ٥٩٢٥ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيبي وهو متروك.

(٣) في (٣٢/٥) رقم ٢٠٣٦٢ عن محجن بن الأدرع.

(٤) أحمد (٣٨٥/٢) رقم ٨٩٨٧ عن أبي هريرة بلفظ «قال رسول الله ﷺ للمدينة: لتتركنها على خير ما كانت مذلة للعوافي والسباع» والحاكم (٤٧٢/٤) رقم ٨٣١١ باختلاف يسير وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: على شرط مسلم.

وفي الصحيحين: «لتركن المدينة على خير ما كانت، مذلة ثمارها، لا يغشاها إلا العوافي - الطير والسباع - وآخر من يحشر راعيان من مزينة»<sup>(١)</sup> الحديث.

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند صحيح: «أما والله لتدعنها مذلة أربعين عاماً للعوافي، أتدرون ما العوافي؟ الطير والسباع»<sup>(٢)</sup>.

وسبب خرابها والله أعلم أنهم يخرجون مع المهدي إلى الجهاد، ثم ترجف بمنافقيها وترميهم إلى الدجال، ولم يبق إلا المؤمنون المخلصون، فيهاجرون إلى بيت المقدس عند إمامهم، فقد ورد «ستكون هجرة، وخيار الناس يومئذ ألزمهم مهاجر إبراهيم»<sup>(٣)(٤)</sup> ومن بقي منهم تقبض الريح الطيبة أرواحهم فتبقى خاوية فهذا سبب خرابها.

(١) رواه البخاري رقم ١٨٧٤، بلفظ «يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي - يريد عوافي السباع والطيور - وآخر من يحشر راعيان من مزينة» ومسلم رقم ١٣٨٩ بلفظ «ثم يخرج» بدلا من «آخر من يحشر» عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٦/٤) رقم ٧٣١٨ والحاكم (٤٧٢/٤) رقم ٨٣١٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أبو داود (٦/٢) رقم ٢٤٨٢ عن عبد الله بن عمرو، وأحمد (١٩٨/٢) رقم ٦٨٧١ مع اختلاف يسير، والطبراني في الأوسط (٤١/٦) رقم ٦٧٩١ كلهم عن عبد الله بن عمرو.

(٤) في حاشية الأصل/ ومهاجر إبراهيم للأرض المقدسة، قال كعب الأخبار: إن إبراهيم خليل الله صلوات الله وسلامه عليه خرج من كوتا هاربا حتى نزل بالشام من ناحية فلسطين في الموضع المعروف الآن بوادي السبع وهو شاب لا مال له، فأثرى وكثر ماله وشاخ، فضاق على أهل الموضع موضعهم فقالوا له: تحول عنا، فتحول، فقال بعضهم: أتانا بلا مال فلو شاطرنا ماله؟ فكلموه في ذلك فقال: أتيتكم شابا، ردوا علي شبابي وأرد عليكم ما اكتسبته من أرضكم، فحجهم، ثم سار فحف ماؤهم، فلحقوه ليردوه فلم يفعل وأعطاهم سبع شياه، وأمرهم أن تقف كل شاة على بئر فيرد الماء، ففعلوا فرد الماء، فسمى وادي السبع لذلك، والله أعلم. مؤلف

وقد روى المرجاني في «أخبار المدينة» عن جابر مرفوعاً: «ليعودن هذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها، حتى لا يكون إيمان إلا بها»<sup>(١)</sup>.

وأخرج النسائي عن أبي هريرة: «آخر قرية من قرى الإسلام خراباً المدينة»<sup>(٢)</sup>. ورواه الترمذي بنحوه وقال: حسن غريب، ورواه ابن حبان بلفظ «آخر قرية في الإسلام خراباً المدينة»<sup>(٣)</sup> وصح «إن الدين ليأرز إلى المدينة كما تآرز الحية إلى جحرها»<sup>(٤)</sup> فهذه الأخبار بظاهرها تعارض الروايات والأخبار السابقة.

ووجه الجمع بينها أن الفتن تعم الدنيا كلها كما مر في خروج المهدي ويبقى أهل المدينة مع المهدي، فيأرز الدين - أي ينحشر - ويدخل إلى المدينة حينئذ لأنهم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق، ثم إنها تنفي خبثها زمن الدجال ويبقى فيها الإيمان الخالص، بخلاف بيت المقدس وغيرها من البلدان، فإنه يبقى فيهم أهل ذمة ومنافقون، لأنهم إنما يؤمنون بعد نزول عيسى، قلت: مر أن مكة تقذف منافقيها إلى الدجال، فالظاهر أنها كالمدينة، والله أعلم. وحديث جابر «حتى لا يكون إيمان إلا بها»<sup>(٥)</sup> أي إيمان خالص غير مشوب بنفاق، ثم إنه تجيء الرياح الباردة فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، قيل: إن الرياح تأتي من الشام فيكون أهل الشام يقبضون

(١) جزء من حديث رواه الحاكم (٥٠/٤) رقم ٨٤٠٠ وقال: صحيح على شرط مسلم وذكره السيوطي في الدر المشور (٤٧٩/٧).

(٢) رواه الترمذي (٧٢٠/٥) رقم ٣٩١٩ واللفظ له وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (١٧٩/١٥) رقم ٦٧٧٦، ولم أقف عليه عند النسائي.

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) رواه البخاري رقم ١٨٧٦ بلفظ «إن الإيمان»، ومسلم رقم ١٤٧ عن أبي هريرة.

(٥) سبق في الصفحة السابقة.

قبل أن تصل إلى المدينة، أو من اليمن فكذلك، أو من كليهما كما جمع به، والأمر ظاهر فصدق أنه آخر من يقبض من المؤمنين أهل المدينة، وهذا محط حديث أبي هريرة، فبمجرد موتهم تخرب، لأنه ليس فيها إلا المؤمنون، بخلاف غيرها فإنها تبقى عامرة بشرار الناس أشار إليه في «الإشاعة» وهو حسن.

وأما خروج القحطاني والجهجاه والهيثم والمقعد وغيرهم. فأخرج أبو الشيخ عن أبي هريرة مرفوعاً: «ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويموت، فيستخلفون - أي بعد وفاة عيسى - بأمره رجلاً من بني تميم يقال له المقعد، فإذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال»، ويبدأ النقص ليوافق ما يأتي من بقاء الدين مدة مديدة بعد عيسى<sup>(١)</sup> وعند الطبراني: «لا تقوم الساعة حتى يملك الناس رجل من الموالي يقال له: الجهجاه»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: «لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك الناس رجل يقال له الجهجاه»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الشيخان عنه: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الطبراني في الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن قيس

(١) ذكره السيوطي في الحاوي (١٨٩/٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٥/١٨) رقم ١٥٧ عن علياء السلمى، والشيباني في الآحاد والمثاني (١٠٠٣) رقم ١٤١٧ وذكره الهيثمي (٤٤٢/٥) رقم ٩٢٥٥، وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه.

(٣) رواه مسلم رقم ٢٩١١ وليس فيه (الناس).

(٤) رواه البخاري رقم ٣٥١٧، ٧١١٧، ومسلم رقم ٢٩١٠.

ابن جابر عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «ستكون من بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج من أهل بيتي المهدي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه»<sup>(١)</sup>.

وأخرج نعيم بن حماد عن سليمان بن عيسى قال: بلغني أن المهدي يملك أربعة<sup>(٢)</sup> عشرة سنة بيت المقدس ثم يموت، ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له، المنصور - أي وهو القحطاني<sup>(٣)</sup> - يمكث بيت المقدس إحدى وعشرين سنة، ثم يقتل، ثم يملك المولى ويمكث ثلاث سنين ثم يقتل، ثم يملك بعده هشيم المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام.

والحاصل: أن الواجب اعتقاده ما دلت عليه الآثار الصحيحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وعيسى في زمانه ويصلي عيسى خلفه، وأنه المراد حيث أطلق المهدي، والمذكورون قبله لم يصح فيهم شيء، والذين بعده أمراء صالحون أيضاً، لكن ليسوا مثله فهو الأخير منهم كلهم في الحقيقة، وهو إمامهم وأفضلهم ويجب اعتقاد خروج الدجال ونزول سيدنا عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والله الموفق.

وأما هدم الكعبة وسلب حليها وإخراج كنزها: فقد أخرج الشيخان والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢، ٣٧٤) رقم ٩٣٧ عن قيس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/٢٨٢)، وذكره الهيثمي (٥/٣٤٤) رقم ٨٩٦٥ وقال: رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم.

(٢) كذا بالأصل والصواب (أربع عشرة).

(٣) في حاشية الأصل/ قف على أن اسم القحطاني منصور.

(٤) رواه البخاري رقم ١٥٩١، ١٥٩٦، ومسلم رقم ٢٩٠٩، والنسائي (٥/٢١٦) رقم ٢٩٠٤.

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر نحوه وزاد: «ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها، فلكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع<sup>(١)</sup> يضرب عليها بمسحاته أو معوله»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الأزرقى عنه يجيش البحر بمن فيه من السودان ثم يسيلون سيل النمل، حتى ينتهى إلى الكعبة فيخربونها، والذي نفسي بيده إنى لأنظر إلى صفته في كتاب الله تعالى أصيلع أفيدع قائماً يهدمها بمسحاته أو معوله.

وفي الصحيحين: «كأني به أسود أفحج يهدمها حجراً حجراً»<sup>(٣)</sup> أي ويتداولها أصحابه بينهم حتى يطرحوها في البحر. كما في حديث حذيفة مرفوعاً: «كأني أنظر إلى حبشي أحمر الساقين، أزرق العينين، أفضس الأنف، كبير البطن، وقد صف قدميه على الكعبة هو وأصحاب له ينقضونها حجراً حجراً ويتداولونها بينهم حتى يطرحوها في البحر»<sup>(٤)</sup>. الحديث.

قوله: السويقتين، تصغير الساقين أي دقيق الساقين، والأصيلع تصغير الأصيلع وهو من ذهب مقدم رأسه، والأفيدع تصغير الأقدع وهو من في يديه اعوجاج، وورد في بعض الروايات أصعل - أي صغير الرأس - وفي: بعضها أصمع أي صغير الأذنين، وقيل كبير الأذن، والأفحج: المتباعد الفخذين.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة: «يباع الرجل بين الركن

(١) الفَدْعُ: زيغ بين القدمين وبين عظم الساق وكذلك في اليد، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها/ النهاية/ مادة: فدع.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٠/٢) رقم ٧٠٥٣، وذكره الهيثمي (٦٤١/٣) رقم ٥٧٧٤ وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن إسحاق وهو ثقة لكنه مدلس.

(٣) رواه البخاري رقم ١٥٩٥ وفيه (يقلعها) بدل (يهدمها) عن ابن عباس ولم أقف عليه في صحيح مسلم.

(٤) ذكره الألويسي في تفسيره (روح المعاني) (١٠١/١٥).

والمقام، ولن يستحل هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم نجىء الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه<sup>(١)</sup>، ورواه بهذا اللفظ الأزرقى في (تاريخ مكة) والحاكم وصححه.

فإن قلت: قد تقدم أن المهدي هو الذي يخرج كنز الكعبة وهنا في هذا الحديث أن ذا السويقتين هو الذي يخرج كنزها؟.

قلت: لعمري إنه لسؤال وارد، ولم أر من تعرض لهذا الاعتراض ولا من نبه عليه من العلماء والحفاظ، ولعل الجواب عن هذا: أن المهدي يستخرج الكنز المذكور، ثم بعد استخراج له يجمع مال فيه من الحجاج بعد ذلك في مدته ومدة سيدنا عيسى عليه السلام إلى حين خروج هذا الخبيث، فإن المدة قابلة لجمع أضعاف ذلك، سيما مع كثرة المال وكثرة الحجاج حينئذ، والله أعلم.

فإن قلت: هدم الكعبة وتسليط هذا الخبيث عليها ينافي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُونًا﴾ [العنكبوت: ٦٧] وقد حمى الله هذا البيت من أصحاب الفيل ولم يكن قبلة فكيف يسלט عليه الحبشة بعد أن صار قبلة للمسلمين؟.

فالجواب: ما ذكره في «فتح الباري» وهو أن يقال: قد أشار النبي صلى الله عليه وآله للجواب في الحديث بقوله «ولن يستحل هذا البيت إلا أهله»<sup>(٢)</sup> ففي زمن

(١) رواه أحمد (٢/٢٩١) رقم ٧٨٩٧، ٨٠٩٩، ٨٣٣٣ بلفظ «لرجل» بدل «الرجل» و«ستاتي» بدل «تجىء»، وابن حبان (١٥/٢٣٩) رقم ٦٨٢٧ والحاكم (٤/٤٩٩) رقم ٨٣٩٥ وفيه «تجىء» وذكره الهيثمي (٣/٦٤٢) رقم ٥٧٧٥ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) انظر الحديث السابق.

أصحاب الفيل ما كان أهله استحلوه فمنعه منهم، وأما الحبشة فلا يهدمونه إلا بعد استحلال أهله له مراراً، وقد استحله أهل الشام في زمن يزيد بأمره<sup>(١)</sup>، ثم الحجاج زمن عبد الملك بأمره، ومرت الإشارة إلى ذلك، ثم سلط الله القرامطة فقتلوا من المسلمين في المطاف ما لا يحصى، وقلعوا الحجر ونقلوه لبلادهم، فلما وقع استحلاله من أهله مراراً مكن غيرهم من ذلك عقوبة لهم، على أنه ليس في الآية استمرار الأمن المذكور فيه، والله أعلم.

خاتمة: اختلف العلماء في هدم الكعبة هل هو في زمن سيدنا عيسى عليه السلام أو بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى أحد يقول الله؟ فعن كعب أنه زمن عيسى، وقيل زمنه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج يحج الناس ويعتمرون كما ثبت ذلك، وأن عيسى عليه السلام يحج أو يعتمر أو يجمع بينهما، والظاهر أنه بعد عيسى عليه السلام.

وذكر الحافظ ابن حجر أنه وجد في كتاب «التيجان» لابن هشام أن عمر بن عامر كان ملكاً متوجاً وكان هناك معمرأ، وأنه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا لما حضرته الوفاة: إن بلادكم ستخرب وأن لله في أهل اليمن سخطتين ورحمتين، فالسخطة الأولى هدم سد مأرب وخراب البلاد بسببه، والثانية غلبة الحبشة على اليمن، والرحمة الأولى بعثة نبي من تهامة اسمه محمد، يرسل بالرحمة ويغلب أهل الشرك، والثانية إذا خرب بيت الله يبعث الله رجلاً يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه، ويخرجهم حتى لا يكون في الدنيا إيمان إلا بأرض اليمن.

(١) في حاشية الأصل/ قف على من استحل الكعبة شرفها الله في القديم والحديث.

قال الحافظ: إن ثبت هذا علم منه اسم القحطاني وسيرته وزمانه، واعترضه في «الإشاعة» بأنه ليس فيما ذكر أن ذلك هو القحطاني، ولم لا يجوز أن يكون شعيب بن صالح التميمي القادم بالرايات السود إلى المهدي؟ وأنه يرسل عيسى إليه حتى يأتيه الصريخ، ويؤيده كون لقبه المنصور، وبتقدير أن يكون هو إياه فجائز أن يكون قبل خلافته ويكون فيمن أرسله عيسى أميراً عليهم، أي: فإنه ورد أن الصريخ يأتي عيسى بذلك، فيبعث إليه طائفة ما بين الثمانية إلى التسعة فيكون هو أميرهم، وكونه رحمة لأهل اليمن لا يلزم أن يكون منهم، ويكفي رحمة لهم كونه يدفع الحبشة عنهم بحيث لا يبقى إيمان إلا في أرض اليمن، ثم إن الحجاز من اليمن، ولذا يقال: إن الكعبة يمانية.

وأقول كون ذلك زمن عيسى عليه السلام وأنه هو الذي أرسله مع كون لا إيمان إلا في اليمن في غاية البعد، كيف وزمن عيسى لا يكون إلا إيمان خالص، والدين متحد كما مر؟ فليحرر.

فإن قيل: قد مر أن آخر ما يوجد الإيمان في المدينة وهنا قلت في اليمن؟

قلنا: المدينة من اليمن، وقيل: إن هدم الكعبة بعد خروج الدابة، وقيل بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حتى لا ينقطع الحاج ولا يبقى في الأرض من يقول الله، ويؤيد هذا أن زمن عيسى عليه السلام كله زمن سلم وبركة وأمان وخير.

قلت: وهذا أليق بكرم الله سبحانه وتعالى، سيما والبيت قبله الإسلام، والحج إليه أحد أركان الإسلام، فينبغي أن يبقى بقاء المسلمين،

فإذا جاءت الرياح الباردة الطيبة وقبضت المؤمنين فحينئذ يهدم البيت ويرتفع القرآن ولا يبقى في الأرض لا دين ولا إيمان.

قال العلامة في «البهجة» وعن الثقات من الحفاظ: يمكث الناس ما شاء الله في الخصب والدعة بعد يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة قالوا: ثم يخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين، فيخربون مكة ويهدمون الكعبة، ثم لا تعمر بعدها أبداً، وهم الذين يستخرجون كنز فرعون وقارون بمصر، قالوا: فيجتمع المسلمون فيقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشي بعباءة، فهذا بين أن هدم الكعبة بعد الآيات كلها.

تمة: ورد في الحديث أنه ﷺ قال: «حجوا قبل أن لا تحجوا، فالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين مكانه بالأمس»<sup>(١)</sup>. والله أعلم.

\* \* \*

(١) روى الحاكم (٦١٧/١) رقم ١٦٤٦ عن الحارث بن سويد قال: «سمعت علياً رضي الله عنه يقول: حجوا قبل أن لا تحجوا، فكأنني أنظر إلى حبشي أصم أضع يده معول، يهدمها حجراً حجراً، فقلت له: شيء تقوله برأيك أم سمعته من رسول الله ﷺ؟ لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ولكني سمعته من نبيكم ﷺ». ورواه البيهقي في سننه الكبرى (٣٤٠/٤) رقم ٨٤٨٠. وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣٩٦/٢) وقال: وهذا يرويه حصين بن عمر عن الأعمش، ولحصين غير هذا من الحديث وعامة أحاديثه معاضيل.

## الفصل السادس

## في طلوع الشمس من مغربها

وهو ثابت بالسنة الصحيحة والأخبار الصريحة، بل وبالكتاب المنزل على النبي المرسل، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨] أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنها طلوع الشمس من مغربها.

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على إثرها قريباً منها»<sup>(١)</sup>.

وفي مسلم أيضاً عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»<sup>(٢)</sup>. وفي بعض طريق البخاري «حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها»<sup>(٣)</sup> الحديث.

وأخرج مسلم عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال يوماً: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٤١ .

(٢) مسلم رقم ١٥٧ .

(٣) البخاري رقم ٤٦٣٥ عن أبي هريرة .

مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال: لها ارجعي من حيث جئت، فترجع طالعة من مطلعها تجري لا تستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذلك تحت العرش، فيقال لها: ارجعي ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال ﷺ: أتدرون متى ذلكم؟ حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد وعبد الرزاق وعبد بن حميد والستة غير الترمذي وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ثم قرأ الآية»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال: «تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين»<sup>(٣)</sup> وهو ابن أبي حاتم عن ابن عباس مرفوعاً: «تطول قدر ثلاث ليال»<sup>(٤)</sup>.

وعند البيهقي عن عبد الله ابن عمرو: «قدر ليلتين أو ثلاث، فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا، ولا يرون إلا قد قامت النجوم مكانها، ثم يرقدون ثم يقومون، ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينقص، فيضطجعون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتناول عليهم

(١) مسلم رقم ١٥٩ باختلاف يسير جداً.

(٢) رواه أحمد (٣٥٠/٢) رقم ٨٥٨٣، والبخاري رقم ٤٦٣٦.

(٣) ذكره ابن كثير في التفسير (٢/٢٥٩) وقال: رواه ابن مردويه وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٩١).

الليل، فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم، فيفزع الناس وهاج بعضهم في بعض فقالوا: ما هذا فيفزعون إلى المساجد، فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس، فبينما هم ينتظرون طلوعها من المشرق، إذ هي طالعة عليهم من مغربها، فيضج الناس ضجة واحدة، حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن مردويه وغيره عن أنس مرفوعاً: «صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنازير، تطوى الدواوين، وتجف الأقاليم، لا يزداد في حسنة ولا ينقص من سيئة، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»<sup>(٢)</sup>.

وعند البيهقي: فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الأحمر فلا يقبل منهم ويقال لو كان بالأمس<sup>(٣)</sup>.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تزال الشمس تجري من مشرقها إلى مغربها، حتى يأتي الوقت الذي جعل الله لتوبة عباده، فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع، فلا يؤذن لهما، فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس، وليلتين للقمر، فلا يعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس وهم بقية أهل الأرض وحملة القرآن، يقرأ كل رجل منهم ورده في تلك الليلة، حتى إذا فرغ منه نظر فإذا ليلته على حالها، فيعود ويقرأ ورده، فإذا فرغ نظر فإذا ليلته على حالها، فلا يعرف ذلك إلا حملة القرآن، فينادي بعضهم بعضاً، فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع

(١) ذكره نحوه ابن كثير في التفسير (٢/٢٥٩) وروى نحوه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/

١٥٨) رقم ٣٤٩٥٨ باختصار.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٩٤) عن أنس.

(٣) السيوطي السابق (٣/٣٩٤، ٣٩٥).

والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة، ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال، ثم يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر، فيقول: إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فطلعا منه فإنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور، فتبكي الشمس والقمر خوف يوم القيامة وخوف الموت، فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما، فبينما الناس كذلك يتضرعون إلى الله تعالى والغافلون في غفلاتهم إذ نادى مناد: ألا إن باب التوبة قد أغلق، والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فنظر الناس فإذا بهما أسودان كالعكمين لا ضوء بهما ولا نور، فذلك قوله ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]»<sup>(١)</sup>.

قوله: كالعكمين تشية عكم، وهو الغرارة أي الغرارتين العظيمتين ومنه يقال لمن شد الغرائر على الجمل العكام، وفي حديث أم زرع «عكومها رداح»<sup>(٢)</sup> والله أعلم. فيرتفعان: أي الشمس والقمر مثل البعيرين المقرونين ينازع كل منهما صاحبه استباقاً، ويتصايح أهل الدنيا، وتذهل الأمهات عن أولادها، وتضع كل ذات حمل حملها. فأما الصالحون والأبرار فإنهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة، وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة، فإذا بلغت الشمس والقمر سرة السماء وهو منتصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونها فردهما إلى المغرب، فلا يغربهما في مغاربهما - أي مغارب طلوعهما - ذلك اليوم، وهي أي المطالع جهة المشرق ولكن يغربهما في مغاربهما اللذان في باب التوبة، فإن الله خلق باب التوبة فهو من أبواب الجنة، له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر، ما بين المصراع إلى المصراع مسيرة أربعين

(١) السيوطي السابق (٣/٣٩٧)، وأشار إليه ابن كثير في تفسيره (٢/٢٥٩) وذكر أنه منكر بل موضوع إن ادعى أنه مرفوع.

(٢) رواه البخاري رقم ٥١٨٩، ومسلم رقم ٣٤٤٨ عن عائشة.

عاماً للراكب المسرع، فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغارباها، ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترتفع إلى الله، قيل: أي قال معاذ: يا رسول الله وما التوبة النصوح؟ قال: أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب فيهرب إلى الله منه ثم لا يعود إليه حتى يعود اللبن في الضرع، قال: فيغريهما جبريل في ذلك ثم يرد المصراعين فيلتثم ما بينهما ويصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع قط ولا خلل، فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة، ولم ينفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان يجري لهما قبل ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨] فقال أبي بن كعب: يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا؟ قال: إن الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النور ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك، وأما الناس فإنهم حيث رأوا ما رأوا من تلك الآية وعظمها يلحون على الدنيا فيعمرونها، ويجرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار، وبينون فيها البنيان، وأما الدنيا فلو أنتج رجل مهراً لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور<sup>(١)</sup>.

قلت: وذكر نحو ذلك القرطبي في (التذكرة) عن الثعلبي وغيره من المفسرين عن أبي هريرة.

**تنبيهات:** الأول تقدم في حديث مسلم «أن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها»<sup>(٢)</sup> واستشكل بأنه لو كان طلوع الشمس قبل نزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم في زمانه ولا الفساق توبتهم كما مر من أن باب التوبة يغلق،

(١) السيوطي وابن كثير في التفسير وانظر كلام ابن كثير عنه في الحاشية قبل السابقة.

(٢) سبق ص ٥٤١.

ومن المعلوم أنه ينفعهم زمن عيسى قطعاً، وإلا لما صار الدين واحداً ولا كان في نزوله كبير فائدة، وقد اضطرب كلام العلماء من المحدثين والمفسرين في الجواب عن ذلك، والجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الباب والحاصل كما في «البهجة» للعلامة أنه أجيب عن ذلك بجوابين .

أحدهما لليهقي قال: إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابقاً احتمال أن يكون المراد نفي قبول توبة الذين شاهدوا طلوع الشمس من مغربها، فإذا انقضوا وتناول الزمن وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليف الإيمان بالغيب، وإن كان في علم الله أن طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمال أن يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمرو آيات أخر غير الدجال ونزول عيسى، أي وخروج المهدي إذ هو سابق عليها قطعاً، قال العلامة عن الأخير: يعني كون طلوع الشمس بعد نزول عيسى وأن المراد بالآيات آيات أخر هو المعتمد لما مر من أن باب التوبة يغلق من حين طلوع الشمس إلى يوم القيامة، مع أنه قدم في (بهجته) طلوع الشمس من مغربها أولاً ثم خروج الدابة ثم المهدي إلخ .

الجواب الثاني: أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت سيدنا عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، وأما خروج الدابة فإنه يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب .

قال الحاكم: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه، والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً

للمقصود من إغلاق باب التوبة .

قال العلامة : وهذا الكلام في غاية التحقيق ، جدير بأن يتلقى بالقبول لما فيه من التوفيق ، قد قرره الحفاظ الأعلام وعلماء الإسلام .

وقال في محل آخر من بهجته : قد ذكر المحققون أن باب التوبة يغلق بطلوع الشمس من مغربها ، وهو غير الغلق بالغرغرة ، فمن كان على شيء بعده استمر له ذلك فلا يتغير حاله ، كافراً كان أو عاصياً ، فلا يقبل إسلام الكافر ولا توبة العاصي ، ولا يكتب عمل بعد ذلك لارتفاع الصحف وجفاف الأقلام ، ولم يفتح يعني باب التوبة بعد ذلك . وإن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة .

قال بعضهم والحكمة في طلوع الشمس من مغربها : إن إبراهيم عليه السلام قال للنمرود : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] . وإن السحرة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن فيطلعها الله يوماً من المغرب ليُري المنكرين قدرته ، وأن الشمس في ملكه ، إن شاء أطلعها من المشرق أو المغرب أولاً ولا .

الثاني : قد مر في حديث أنس عند ابن مردويه وغيره « أن الدواوين تطوى والأقلام تجف ولا يزداد في حسنة ولا ينقص من سيئة »<sup>(١)</sup> وفي كلام العلامة ولا يكتب عمل بعد ذلك ، وفي هذا عندي نظر ، لاحتمال أن يحدث على أحد المؤمنين تغير حال من اقراف ذنب أو ارتداد ونحوهما .

والجواب عن ذلك : أن كل من كان من أهل الإيمان والمعاصي لا

(١) سبق ص ٥٠٦ .

يتغير حاله إذ ذاك، وإذا عملوا عملاً فأجسامهم تشهد عليهم كما رأيتهم  
مأثوراً عن عائشة رضي الله عنها ويأتي قريباً وفيه «وخلصت الحفظة وشهدت  
الأجساد على الأعمال»<sup>(١)</sup> رواه عبد بن حميد والطبري بسند صحيح عنها،  
والله أعلم.

الثالث: قد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما «يمكث الناس بعد طلوع الشمس  
من مغربها عشرين ومائة سنة»<sup>(٢)</sup>.

وروى عبد بن حميد عنه «يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من  
مغربها عشرين ومائة سنة»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمرو: «لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما  
كان يعبد آباؤها عشرين ومائة سنة بعد نزول عيسى بن مريم وبعد  
الذجال»<sup>(٤)</sup>. وروى عبد بن حميد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله  
ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران فيقول أحدهما للآخر:  
متى ولدت؟ فيقول زمن طلعت الشمس من مغربها»<sup>(٥)</sup>.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه الآيات كلها  
في ثمانية أشهر، وعن أبي العالية في ستة أشهر، وقد مر لو أن رجلاً أنتج

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٤٠٤/٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥٠٦/٧، ٥٠٧) رقم  
٣٧٥٩٩، ٣٧٦٠٩ بزيادة يسيرة، ونعيم بن حماد في الفتن (٢/٦٤٣، ٦٤٧، ٦٤٨) رقم  
١٧٩٨، ١٨١٩، ١٨٢٢.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٠٦/٧) رقم ٣٧٦٠٠، ونعيم بن حماد في الفتن (٢/  
٧٠٢) رقم ١٩٧٩، و(٦٥٦) رقم ١٨٤٩.

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) رواه نعيم بن حماد في الفتن (٢/٥٩٩) رقم ١٦٦٧، و(٦٩٦) رقم ١٩٧٢ موقوفاً على  
عبد الله بن عمرو.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٩٤).

مهراً لم يركبه حتى ينفخ في الصور، وجمع الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» وتبعه السخاوي في «القناعة» والبرزنجي في «الإشاعة» بما حصله: أن المدة عشرين ومائة سنة، لكنها تمر مرأً سريعاً كمقدار عشرين ومائة شهراً، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رفعه: «لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر» الحديث وفيه: «اليوم كالساعة»<sup>(١)</sup> وعلى هذا يكون تقارب الزمان وتعاصر الأيام مرتين، مرة في زمن الدجال ثم ترجع بركة الأرض وطول الأيام إلى حالها، ثم تتناقص بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام إلى أن تصير في آخر الدنيا إلى ما ذكر، والله أعلم.

قلت: وأحسن من هذا ما ذكره الطيبي: أن الآيات - أي أمارات الساعة - على قسمين، قسم يدل على قربها، وقسم يدل على حصولها، وأن من الأول الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج، ومأجوج والخسوف، ومن الثاني الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس، فيكون المراد بالمدة الطويلة باعتبار الأول والقصيرة باعتبار الثاني، لكن الخبر ناطق بأن العشرين ومائة سنة بعد طلوع الشمس.

تتمة: ذكر الحلبي أن أول الآيات الدجال، ثم نزول عيسى، ثم طلوع الشمس من مغربها. قلت: والصواب عندي أن أول الآيات خروج المهدي، ثم الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، إلى آخرها على نسق ما ذكرنا. وأما خروج السفيناني فإنه وإن كان قبل خروج المهدي لكن لم يعد العلماء خروجه آية، وإنما هو علامة لخروج المهدي، والله الموفق.

الرابع: من التنبهات زعم جماعة من العلماء أنه إنما يمتنع قبول الإيمان والتوبة وقت طلوع الشمس أي في تلك الحالة، وأما من تاب بعد ذلك أو أسلم قُبِلَ ذلك منه، قال الحافظ ابن حجر: في «فتح الباري» ما حاصله: الذي دلت عليه الأحاديث الثابتة الصحاح والحسان أن قبول التوبة مغيا بطلوع الشمس من مغربها، ومفهومها أنها بعد ذلك لا تقبل، بل قد جاء في بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند الإمام أحمد والطبري والطبراني عن مالك بن يخامر، ومعاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن عمرو رفعوه: «لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل»<sup>(١)</sup> وفي حديث ابن عباس عن ابن مردويه السابق «فإذا أغلق ذلك الباب لم تقبل بعد ذلك توبة ولا تنفع حسنة»<sup>(٢)</sup>. وعند نعيم بن حماد عن ابن عمر فيناديهم مناد: يا أيها الذين آمنوا قد قبل منكم، ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة، وجفت الأقلام وطويت الصحف، ومن طريق يزيد بن شريح وكثير بن مرة: إذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها وترفع الحفظة وتؤمر الملائكة أن لا يكتبوا عملاً، وأخرج عبد بن حميد والطبري بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها «إذا أخرجت أول الآيات - تعني طلوع الشمس من المغرب - طرحت الأقلام، وطويت الصحف، وخلصت الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال»<sup>(٣)</sup>. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الآية التي تختم

(١) جزء من حديث رواه أحمد (١٩٢/١) رقم ١٦٧١، والطبراني في الكبير (٣٨١/١٩) رقم ٨٩٥، والأوسط (٢٣/١) رقم ٥٩، وفي مسند الشاميين (٤٣٥/٢) رقم ١٦٤٩ وذكره الهيثمي (٤٥٦/٥) رقم ٩٢٨٠ وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط والصغير... والبخاري... ورجال أحمد ثقات.

(٢) سبق ص ٥٤٣.

(٣) سبق ص ٥٤٨.

الأعمال بها طلوع الشمس من مغربها، قال: فهذه آثار يشد بعضها بعضاً، متفقة على أنه إذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك، ولا يختص ذلك بطلوعها، بل يمتد إلى يوم القيامة، ويؤيده ما يأتي أن إبليس يخر ساجداً وأن الدابة تقتله، فإنه لا يموت إلا عند الفراغ من العمل، والله أعلم.



## الفصل السابع

### في خروج الدابة

وهو ثابت بالكتاب والسنة .

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ الآية [النمل: ٨٢] وأما السنة فهي كثيرة جداً، والكلام عليها في ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: في حليتها في حديث حذيفة أن النبي ﷺ قال: «دابة الأرض طولها ستون ذراعاً، لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب»<sup>(١)</sup>. وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: «تخرج دابة الأرض من أجياد، فيبلغ صدرها الركن اليماني، ولم يخرج ذنبها بعد، وهي دابة ذات قوائم»<sup>(٢)</sup>. وفي حديث حذيفة يرفعه: «أول ما يبدو منها رأسها معلمة ذات وبر وريش»<sup>(٣)</sup> وقال الإمام علي كرم الله وجهه: تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها. وروي: فلا يخرج إلا رأسها فيبلغ عنان السماء وتبلغ السحاب. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وقال وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير، وقال ابن جرير: رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل، وعنقها

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٣/١٠) ونعيم بن حماد في الفتن (١١٠٨/٥) وذكره القرطبي في التذكرة (٦٩٣) وقال: وهذه الأسانيد عن حذيفة في عدة أوراق ظاهرة الوضع والاختلاف.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٨٢/٦) والقرطبي في التذكرة/٧٨٤، وروى ابن أبي شيبة في المصنف (٥٠٧/٧) رقم ٣٧٦٠٧ أوله موقوفاً على عائشة.

(٣) انظر الحديث قبل السابق.

عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب تيس، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام قال كعب: صوتها صوت حمار.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن لها عنقاً مشرفاً - أي طويلاً - يراها من المشرق كما يراها من المغرب، ولها وجه كوجه الإنسان، ومنقار كمنقار الطير، ذات وبر وزغب.

وعن علي كرم الله وجهه أنه قيل له: إن ناساً يزعمون أنك دابة الأرض، فقال والله إن لدابة الأرض ريشاً وزغباً، وما لي ريش ولا زغب، وإن لها حافراً، وإنما لتخرج حفر الفرس الجواد ثلاثاً وما خرج ثلاثها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سيمة، وسيماها من هذه الأمة أنها تكلم الناس بلسان عربي مبين، وتكلمهم بكلامهم.

قوله: ذات زغب، أي عليها زغب، وهو صغار الريش أول ما يطلع، قاله في النهاية.

قوله: الأيل هو بفتح الهمزة وكسر التحتانية مشددة وبضم وفتح الوعل بفتح العين وهو تيس الجبل.

قوله: وفيها من كل أمة سيمة أي علامة. وفي الميزان للذهبي، عن جابر الجعفي أنه كان يقول: دابة الأرض علي بن أبي طالب، قال: وكان جابر الجعفي شيعياً يرى الرجعة، أي أن علياً يرجع إلى الدنيا<sup>(١)</sup>.

(١) في الكلام على أوصاف الدابة الواردة هنا وغيرها يقول صاحب تفسير البحر المحيط (واختلفوا في ماهيتها وشكلها ومحل خروجها وعدد خروجها ومقدار ما تخرج منها وما =

قال الإمام أبو حنيفة: ما لقيت أحداً أكذب من جابر الجعفي ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح.

وقال الشافعي: أخبرني سفيان بن عيينة قال: كنا في منزل جابر الجعفي فتكلم بشيء فنزلنا خوفاً أن يقع علينا السقف، ومع ذلك روي له أبو داود والترمذي وابن ماجه، ووفاته سنة ست وستين ومائة.

### المقصد الثاني: في سيرتها.

في أواخر مستدرك الحاكم «أن معها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام، لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب، تضرب المؤمن بالعصا وتكتب في وجهه مؤمن وتطبع بالخاتم الكافر وتكتب في وجهه كافر»<sup>(١)</sup> كذا رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال العلماء: تبعاً للحديث النبوي إن معها عصا موسى وخاتم سليمان عليهم الصلاة والسلام، وتنادي بأعلى صوتها «أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِأَيِّتِنَا لَا يُوقِنُونَ» [النمل: ٨٢] وتسم الناس - المؤمن والكافر - فأما المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري، ويكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتنتكت بين عينيه نكتة سوداء، ويكتب بين عينيه كافر، وفي رواية: فتلقى المؤمن فتسمه في وجهه نكتة فيبيض لها وجهه، وتسم الكافر نكتة يسود لها وجهه. وفي رواية: فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون

= تفعل بالناس، وما الذي تخرج به اختلافاً مضطرباً معارضا بعضه بعضا ويكذب بعضه بعضا، فأطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح وتضييع لزمان نقله). ويقول الرازي في التفسير (واعلم أن لا دلالة في الكتاب في شأن هذه الأمور، فإن صح الخبر فيه عن الرسول ﷺ قبل، وإلا لم يلتفت إليه).

(١) رواه الحاكم (٥٣٢/٤) رقم ٨٤٩٤، والترمذي (٣٤٠/٥) رقم ٣١٨٧ وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (١٣٥١/٢) رقم ٤٠٦٦، وأحمد (٢٩٥/٢) رقم ٧٩٢٤.

فيقولون لهذا يا مؤمن، ولهذا يا كافر، ويتعوذ بعض الناس منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي؟ فيقبل عليها فتسمه في وجهه، ثم تنطلق ويشارك الناس في الأموال، ويصطحبون في الأمصار، يعرف المؤمن الكافر، وبالعكس، حتى إن المؤمن ليقول للكافر يا كافر اقض حقي، والكافر يقول للمؤمن يا مؤمن اقض حقي، وتستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذها، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذها، ثم المغرب واليمن كذلك، ولا يبقى مؤمن إلا نكتت في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه، ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه.

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن والحاكم في المستدرک عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا يلبثون - يعني الناس - بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها، وجفت الأقلام وطويت الصحف، لا يقبل من أحد توبة، ويخر إبليس ساجداً ينادي! إلهي مرني أن أسجد لمن شئت، وتجتمع إليه الشياطين فتقول: يا سيدنا إلى من تفرع؟ فيقول إنما سألت ربي أن ينظرني إلى يوم البعث، فأنظرني إلى يوم الوقت المعلوم، وقد طلعت الشمس من مغربها، وهذا يوم الوقت المعلوم، وتصير الشياطين ظاهرة في الأرض، حتى يقول الرجل هذا قريني الذي كان يغويني، فالحمد لله الذي أخزاه ولا يزال إبليس ساجداً باكياً حتى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد<sup>(١)</sup>.

تنبيه: في سؤال إبليس أن ينظر ليوم البعث مكر وخداع وجهل برب

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن (٢/٦٥٤) رقم ٨٤٣ مرفوعاً وأخرج نحوه الطبراني في الأوسط (١/٣٦) رقم ٩٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٦) رقم ١٢٥٧٨، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه إسحاق بن إبراهيم بن زريق وهو ضعيف.

العالمين، فإنه حاول أن لا يذوق طعم الموت، لأن يوم البعث ليس بيوم موت، وإنما هو يوم بعث ونشور، وبعث من في القبور، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يقبض إذ ذاك إبليس أو غيره، وإنما ذلك يوم الجزاء؟ والله أعلم.

وفي (العرائس) عن كعب الأحبار: أن إبليس إنما يذوق طعم الموت يوم الحشر، قال: ينزل إليه ملك الموت وقد لبس ثياب السخط والغضب ومعه أعوان لا تحصى كثرتهم، وله قوة لا تطاق، وبأس لا يذاق، ومعه سبعون ألفاً من الملائكة، قد ملئوا غيظاً، ومع كل واحد سلسلة من سلاسل لظى، وغل من أغلالها، فنعوذ بالله من نكالها، ويأمر الله تعالى مالكاً بفتح أبواب النيران وبتسعيرها مع الخزان، وينزل ملك الموت في صورة لو نظر إليه أهل السموات السبع لماتوا، ولو نظر إليه أهل الأرض لتفطرت مرائرهم من الفزع، قال: فينتهي إلى إبليس - لعنه الله - ويزجره فيصيح صيحة لو سمعها أهل الدنيا لماتوا منها، فيهرب إلى المشرق، فيجد ملك الموت أمامه، فيغوص في البحر فلا يقبله، فلا يزال يهرب في الأرض حتى يقف عند قبر آدم عليه السلام فيقول: من أجلك جعلت في هذا الحال، وبسببك ذقت هذا النكال، فليتك لم تخلق، قال: فعند ذلك يسقيه ملك الموت كأساً ممزوجاً بالعذاب الشديد، فيذوق من العذاب عند موته عدد ما أغوى من أولاد آدم أضعافاً مضاعفة، فيخر لعنه الله، مرة يتمرغ بالتراب، ومرة يصرخ من هول العذاب، ومرة يهرب من المشرق إلى المغرب، حتى يأتي إلى الموضع الذي أهبطه الله فيه يوم طرد، وهو دست ميساة<sup>(١)</sup> وفي «حياة

(١) في حاشية الأصل/ عبارة الخطيب: وإبليس بالآيلة وقيل بيان بالبصرة على أميال. قلت: ولعلها (دستميان) بفتح الدال، وهي كورة جلييلة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب/ انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/٤٥٥).

الحيوان» بجدة، قاله كعب وفي تاريخ الحنبلي أنه أهبط بأيلة، فيجد الملائكة قد نصبت له الكلابيب والخطاطيف، وصارت الأرض كالجمرة، فيصير في أشد عذاب ونكال وخزي ووبال، فتخرج روحه الخبيثة إلى مقرها الخبيث، وتستريح الأرض منه، كذا ذكره الكسائي، قلت والأول أصح، لأنه رواه الحاكم في المستدرک ونعيم في الفتن عن ابن مسعود رضي الله عنه، فهو في حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي، وغاية ما ذكره كعب الأحبار أن يكون تلقاه من كتب أهل الكتاب، ونحن معاشر المسلمين لا نرى الاحتجاج بكلامهم، إلا ما وافق الشريعة الغراء، والله الموفق.

### المقصد الثالث: في خروجها.

أخرج الحاكم في المستدرک عن أبي الطفيل عن أبي سرعة عن النبي ﷺ قال: «يكون للدابة ثلاث خرجات في الدهر، تخرج في أول خرجة في أقصى اليمن منتشراً ذكرها بالبادية، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم بينما الناس يوماً في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله - يعني المسجد الحرام - لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد من الركن الأسود وباب بني مخزوم، فيرفض الناس عنها شتى، وتثبت عصابة من المسلمين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله فتنفض عن رأسها التراب، فتجلو عن وجوههم حتى كأنهم الكواكب الدرية»<sup>(١)</sup> الحديث وفي «الإشاعة» لها ثلاث خرجات في الدهر، فتخرج خرجة في أقصى البادية، وفي رواية في

(١) أخرجه الحاكم (٥٣٠/٤) رقم ٨٤٩٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد أو هو أبين حديث في ذكر دابة الأرض ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: طلحه بن عمرو الحضرمي ضعفه وتركه أحمد والطبراني في الكبير (١٧٣/٣) رقم ٣٠٣٥ عن أبي (سريحة) وليس (سرعة) باختلاف يسير جداً، وذكره الهيثمي (١٥/٨) رقم ١٢٥٧٦ وقال: رواه الطبراني وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك.

أقصى اليمن، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تمكث زماناً طويلاً، ثم تخرج خرقة أخرى دون تلك، فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية ثم بينما الناس في أعظم المساجد»<sup>(١)</sup> الحديث.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أنها تخرج من بعض أودية تهامة»<sup>(٢)</sup> أي وهذا في بعض خرجاتها والأول في خرجتها الأخيرة، وعن أبي هريرة وابن عمر «أن رسول الله ﷺ أراه المكان الذي تخرج منه الدابة»<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خروجها من الصفا ليلة مني، فيصبحون بين رأسها وذنبها لا يدحض داحض ولا يخرج خارج، حتى إذا فرغت مما أمر الله، فهلك من هلك ونجا من نجا كان أول خطوة تضعها بأنطاكية، وفي بعضها من مدينة قوم لوط، وفي بعضها من وراء مكة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بئس الشعب شعب أجياد قالها مرتين أو ثلاثة»<sup>(٤)</sup> قالوا: وما ذاك يا رسول الله قال: «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من في الخافقين»<sup>(٥)</sup> وعن بريدة رضي الله عنه قال: ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا بأرض

(١) انظر تخريج الحديث السابق ورواه باختلاف يسير الطيالسي في مسنده (١٤٤/١) رقم ١٠٦٩، والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٦٢) رقم ٣٤.

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن (٦٦٥/٢) رقم ١٨٦٢ موقوفاً ورواه الطبري في التفسير (١٣/١٠) موقوفاً على قتادة.

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (٦٧/١٠) رقم ٥٧٠٣، وذكره الهيثمي (١٤/٨) رقم ١٢٥٧٥ وقال: رواه أبو يعلى وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

(٤) كذا بالأصل والصواب (ثلاثاً).

(٥) رواه البغوي في تفسيره (١٧٧/١)، وأبو السعود في التفسير (٣٠١/٦)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣١٦/٣) رقم ١٠٧٥ آخره فقط وقال: روى عنه عبد الرزاق قال: أحمد منكر الحديث.

يابسة حولها رمل فقال ﷺ: «تخرج الدابة من هذا الموضع»<sup>(١)</sup> ووجه الجمع من هذه الروايات من وجهين:

أحدهما: أن لها ثلاث خرجات، ففي بعضها تخرج من مدينة قوم لوط، ويصدق عليها أنها من أقصى البادية، وفي بعضها تخرج من بعض أودية تهامة، ويصدق عليها أنها من وراء مكة ومن اليمن، لأن الحجاز يمانية ومن ثم قيل: الكعبة اليمانية، وفي المرة الأخرى تخرج من مكة وهي من عظم جثتها وطولها يمكن أن تخرج من بين المروة والصفاء وأجباد، فإنها تمتد مقدار ثلاثة أيام وأكثر، وحينئذ يصدق عليها أنها خرجت من المروة ومن الصفاء ومن أجباد ومن المسجد، أي ومن البادية التي بالقرب من مكة في حديث بريدة.

والوجه الثاني أنها تخرج من جميع تلك الأماكن في آن واحد خرقاً للعادة في صورة متباينة، على أنه ورد في رواية كما في «حياة الحيوان» أنه يخرج من كل بلدة دابة، مما هو مبثوث نوعها في الأرض، فليست بواحدة فيكون قوله «دابة» اسم جنس، والله أعلم.

فائدة: ذكر في «حياة الحيوان» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن دابة الأرض هي الثعبان الذي كان في جوف الكعبة واختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام، وأن الطائر حين اختطفها ألقاها بالحجون فالتقمتها الأرض، فهي الدابة التي تخرج تكلم الناس وتخرج عند الصفاء. انتهى. وذلك على ما ذكر ابن عبد البر في «التمهيد» عن عمرو بن دينار قال: لما

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٥٣/٢) رقم ٤٠٦٧، وقال: في الزوائد هذا إسناد ضعيف لأن خالد ابن عبيد، قال البخاري: في حديثه نظر، وقال ابن حبان والحاكم: يحدث عن أنس بأحاديث موضوعة وأحمد (٣٥٧/٥) رقم ٢٣٠٧٣، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/١٦١) رقم ٥٥٤.

أرادت قريش بناء الكعبة خرجت منها حية، فحالت بينهم وبينها، فجاء طائر أبيض فأخذها ورمي بها في أجساد، وقال ابن إسحاق: قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من شأن الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة بسببها، شعر:

عجبت لما تصوبت العقاب	إلى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيخ	وأحياناً يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شدت	تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الزجر جاءت	عقاب تثائب ولها انصباب
فضممتها إليها ثم خلت	لنا البنيان ليس لها حجاب
فقمنا حاشدين إلى بناء	لنا منه القواعد والتراب
غداة ترفع التأسيس منه	وليس على مسوينا ثياب
أعز به المليك بني لوي	فليس لأصله منهم ذهاب
فبؤانا المليك بذاك عزاً	وعند الله يلتمس الثواب
	والله أعلم

\* \* \*

## الفصل الثامن

## في خروج الدخان

وهو ثابت بالكتاب والسنة.

أما الكتاب فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] قال ابن عباس، وابن عمر والحسن وزيد بن علي: هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمنين منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ولم يأت بعد وهو آت.

وأما السنة فأخرج مسلم عن حذيفة بن أسيد قال: طلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر فقال: «ما تذكرون؟ قالوا الساعة يا رسول الله، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر منها الدخان»<sup>(١)</sup>. ورواه الترمذي وابن ماجه، وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً وفي حديث حذيفة وأن من أشراط الساعة دخان يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث في الأرض أربعين يوماً فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران، يخرج الدخان من فمه ومنخره وعينه وأذنيه ودبره<sup>(٢)</sup>، وقيل: إن الدخان مر، وأنه الجوع الذي كان حال بين إبصار قريش وبين السماء.

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٠١ بلفظ «تذكرون» بدلاً من «تذكرون» والترمذي (٤٧٧/٤) رقم ٢١٨٣، وابن ماجه (١٣٤١/٢) رقم ٤٠٤١ باختلاف يسير.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير (٢٢٤/١١) وعنه نقله ابن كثير في التفسير (١٧٦/٤) وقال بعد أن نقل كلاماً للطبري يدل على عدم وثوقه بصحته: وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث ههنا فإنه موضوع بهذا السند.

ففي الصحيحين قال مسروق: كنا عند ابن مسعود جلوساً وهو مضطجع بيننا فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن قصاصاً عند أبواب كندة يقول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] أنه دخان يأتي قبل يوم القيامة يأخذ بأنفاس الكفار والمنافقين وأسماعهم وأجسادهم، ويأخذ المؤمنين منه مثل الزكام؟ فجلس ابن مسعود وهو غضبان فقال: يا أيها الناس اتقوا الله، من علم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لا يعلم فليقل الله أعلم، فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ [ص: ٨٦] وسأحدثكم عن ذلك، أن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: «اللهم سبع سنين كسني يوسف عليه الصلاة والسلام، فأصابهم من الجهد والجوع ما أكلوا به العظام والميتة والجلود، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، من ظلمة أبصارهم من شدة الجوع، فاتاه أبو سفيان بن حرب فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بالطاعة وصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم فإنهم لك مطيعون، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] فدعا فكشف، فقال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥] أي إلى كفركم»<sup>(١)</sup>.

قال العلامة: كلام ابن مسعود موافق لظاهر الآية، فلا دليل فيها للجمهور، وإنما الدليل لهم من السنة، ولعل ذلك لم يبلغ ابن مسعود حين أنكر ذلك، على أنه ورد عن ابن مسعود أنه كان يقول: هما دخانان، مضى واحد والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر فينشق مسامعه، فيبعث الله عند ذلك الريح

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٨٢١، ٤٨٢٢، باختلاف في بعض الألفاظ ومسلم رقم ٢٧٩٨.

الجنوب<sup>(١)</sup> من اليمن فتقبض روح كل مؤمن، ويبقى شرار الناس.

وأخرج الإمام أحمد ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام، فلا تبقى على وجه الأرض أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لون أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقولون: ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها، وهم في ذلك دارٌ رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور»<sup>(٢)</sup>. واستشكل بأنه قد تقدم أن الدابة تقتل إبليس، والجواب أنه ليس فيه أن الذي يظهر لهم إبليس، بل يجوز أن يكون شيطاناً آخر غير إبليس من ذريته.

وأخرج الإمام أحمد ومسلم والترمذي من حديث النواس بن سمعان «بينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر - أي يتسافدون تسافد الحمر جمع حمار - فعليهم تقوم الساعة»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث ابن مسعود: «إن المؤمنين يتمتعون بعد خروج الدابة أربعين سنة، ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن، ويبقى الكفار يتهارجون في الطريق كالبهائم، وفيه - فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد أحد من نكاح، ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكونون كلهم أولاد زنا،

(١) الجنوب: الريح التي تقابل الشمال، وهي ريح حارة وتهب في كل وقت، وقيل الجنوب في كل موضع حارة إلا بنجد فإنها باردة. لسان العرب/ مادة: جنب بتصرف يسير.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٩٤٠ باختلاف يسير، وأحمد (١٦٦/٢) رقم ٦٥٥٥ عن عبد الله بن عمرو.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧، وأحمد (١٨١/٤) رقم ١٧٦٦٦.

شرار الناس وعليهم تقوم الساعة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن الله يبعث ريحاً من اليمن أئين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته»<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: تقدم أن الريح تأتي من قبل الشام وهنا: أنها من قبل اليمن والجواب: ما ذكره المناوي في تخريج أحاديث المصاييح بأنهما ريحان، شامية ويمانية.

وأخرج الإمام أحمد بسند قوي عن أنس رضي الله عنه قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله»<sup>(٣)</sup> وهو عند مسلم بلفظ: «حتى لا يقال في الأرض الله الله»<sup>(٤)</sup>. والله أعلم.

\* \* \*

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٦٦٣/٢) رقم ١٨٥٧، والحاكم في المستدرک (٤/٥٦٦) رقم ٨٥٩٠ وقال: محمد بن ثابت بن أسلم البتاني من أعز البصريين وأولاد التابعين إلا أن عبد الوهاب بن الحسين مجهول: وقال الذهبي: ذا موضوع والسلام.

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٧٧، والحاكم (٥٠٢/٤) رقم ٨٤٠٦.

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٨/٣) رقم ١٣٨٦٠.

(٤) أخرجه مسلم رقم ١٤٨.

## الفصل التاسع

## في رفع القرآن العظيم

## وكلام الله القديم من المصاحف والصدور

وهي من معضلات الأمور، فيالها من مصيبة ما أعظمها، وخيبة ما أوخمها.

أخرج الديلمي عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالوا: «يسري على كتاب الله ليل فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف إلا نسخت»<sup>(١)</sup>. قال العلامة في «بهجته»: قرر الأئمة أنه يرفع أولاً من المصاحف، وذلك أنهم يبيتون فيصبحون وليس فيها حرف مكتوب، ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لأعجل زمن حتى لا يكون منه شيء محفوظ، حتى يقول الحافظ للآخر: وقد سأله الآخر كنت أحفظ شيئاً نسيته، لا أدري ما هو، وفي الحديث: «أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه، وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع». قيل: وكيف يرفع ما في صدور الرجال؟ قال: يسري عليهم ليلاً فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

وعند الديلمي من حديث ابن عمر مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء، له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول عز

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٣٦) مرفوعاً، وذكر أحاديث أخرى توافقه.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٧٨)، والألوسي في روح المعاني (٢٠/٢١) وعزياه لابن أبي حاتم وأخرجه الدارمي في سننه (٢/٥٣٠) رقم ٣٣٤١ من أول قوله: «أكثروا تلاوة القرآن» موقوفاً على ابن مسعود.

وجل: مالك؟ فيقول منك خرجت وإليك أعود، أتلى فلا يعمل بي»<sup>(١)</sup>.

وعند ابن ماجه من حديث حذيفة مرفوعاً: «يدرس الإسلام حتى ما يدرى ما صيام وما صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسري على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية»<sup>(٢)</sup>. الحديث.

وأخرج السنجري عن ابن عمر رضي الله عنهما: «لا تقوم القيامة حتى يرفع الركن والقرآن»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج ابن ماجه بسند قوي والحاكم والبيهقي والضياء عن حذيفة رضي الله عنه قال: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا ندرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى طوائف من الناس - الشيخ والمعجوز - يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها»<sup>(٤)</sup>. والله أعلم.



(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٢٣٣/١٤) رقم ٣٨٥٢٧ والسيوطي في الدر المنثور (٥/٣٣٥) موقفاً.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٤٤/٢) رقم ٤٠٤٩، بزيادة «كما يدرس وشي الثوب». والحاكم (٥٢٠/٤) رقم ٨٤٦٠ وقال: هذا صحيح على شرط مسلم، و(٥٨٧/٤) رقم ٨٦٣٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) ذكره الهندي (٢٢٣/١٤) رقم ٣٨٤٨٩ بلفظ: «الساعة» بدل «القيامة».

(٤) انظر الحديث قبل السابق.

## الفصل العاشر

في النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم  
وهي آخر العلامات

أخرج الإمام أحمد والبخاري عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «أما أول  
أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب، وأما أول  
ما يأكل أهل الجنة فزيادة كبد الحوت»<sup>(١)</sup> الحديث.

وأخرج الستة غير البخاري عن حذيفة بن أسد مرفوعاً: «لن تقوم  
الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات - وذكرها - قال: وآخر ذلك نار تخرج من  
اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»<sup>(٢)</sup>. ويروى: «نار تخرج من قعر عدن  
تسوق الناس إلى المحشر»<sup>(٣)</sup> وفي لفظ «من قعر عدن أبين»<sup>(٤)</sup> وأبين بوزن  
أحمر اسم الملك الذي بناها.

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمرو رضي الله عنه وكذا أبو داود والحاكم  
وأبو نعيم: «ستكون هجرة بعد هجرة، فخير أهل الأرض ألزمهم مهاجر  
إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس  
الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقبل معهم

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٣٢٩ باختلاف يسير جداً وأحمد واللفظ له (١٠٨/٣) رقم ٢٠٧٦.

(٢) سبق ص ٥٢٠.

(٣) رواه أبو داود (٥١٧/٢) رقم ٤٣١١، والترمذي (٤٧٧/٤) رقم ٢١٨٣، وقال: هذا  
حديث حسن صحيح.

ويلاحظ أن المصنف قد أورده بصيغة التمريض وهو إيراد غير دقيق هنا.

(٤) ابن ماجه (١٣٤٧/٢) رقم ٤٠٥٥، والطبراني في الكبير (١٧٢/٣) رقم ٣٠٣١، وابن  
أبي شيبة في مصنفه (٥٠٠/٧) رقم ٣٧٥٤٢.

إذا قالوا، وتأكّل من تخلف»<sup>(١)</sup>.

قوله: تقدّرهم نفس الله: هو من المتشابهة والإيمان به واجب بالمعنى الذي أَرادَه اللهُ سبحانه، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس قال: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام»<sup>(٢)</sup>. أي: وهذا هو المراد بمهاجر إبراهيم.

وأخرج الطبراني وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «التقصّدنكم نار هي اليوم خامدة، في واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب أليم، تأكل الأنفس والأموال، تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام، تطير طير الريح والسحاب، حرها بالليل أشد من حرها بالنهار، ولها بين السماء والأرض دوي كدوي الرعد القاصف، هي من رؤوس الخلائق أدنى من العرش، قيل: يا رسول الله أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات؟ قال: وأين المؤمنون والمؤمنات؟ يومئذ هم شر من الحمر، يتسافدون كما يتسافد البهائم، وليس فيهم رجل يقول مه مه»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١٩٨/٢) رقم ٦٨٧١، وأبو داود (٦/٢) رقم ٢٤٨٢، والحاكم (٥٣٣/٤) رقم ٨٤٩٧ وسكت عنه.

(٢) رواه أحمد (١١٩/٢) رقم ٦٠٠٢ و(٨/٢) رقم ٤٥٣٦، و(٥٣/٢) رقم ٥١٤٦، والترمذي (٤٩٨/٤) رقم ٢٢٣ بلفظ «نحو» بدل «بحر» وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٩٢/٥) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦٧/٦٤)، وذكره الهندي في كنز العمال (٣٤٥ / ١٤) رقم ٣٨٨٨٦ وعزاه للطبراني وابن عساكر ولم أقف عليه في معاجم الطبراني الثلاثة.

وأخرج البغوي والبارودي وابن قانع وابن حبان: «يوشك أن تخرج نار من حبس سيل، تسير سير بطئة الإبل، تسير بالنهار وتقيم بالليل، تغدو وتروح يقال: غدت النار أيها الناس فاغدو، قالت: أي من القيلولة، أيها الناس فقبلوا، راحت النار أيها الناس فروحوا، من أدركته أكلته»<sup>(١)</sup>.

وإن قيل: ما وجه الجمع بين كونها تخرج من قعر عدن ومن برهوت ومن حبس سيل.

فالجواب: أنها تخرج من برهوت، ويقال له وادي النار، وهي في قعر عدن وعدن على ساحل البحر، فالعبارات مآلها واحد، وتمر بحبس سيل أيضاً، والخطاب مع أهل المدينة، وحبس سيل قريب من المدينة، فوصول النار إليها يكون قبل وصولها المدينة، فصح أن يقال لهم تخرج نار من حبس سيل.

تتمة: مر أن أهل الأرض يكفرون ويعبدون الأوثان وأنه لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس.

ففي مسلم كالمسند: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»<sup>(٢)</sup>. وفي المستدرک بسند صحيح عن عائشة مرفوعاً: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، ويبعث الله ربحاً طيبة فتتوفى من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من خير، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون على

(١) رواه أحمد (٤٤٣/٣) رقم ٥٦٩٦، وابن حبان (٢٥٤/١٥) رقم ٦٨٤٠، الطبراني في الكبير (٤٢/٢) رقم ١٢٢٩، وأبو يعلى في مسنده (٢٣٣/٢) رقم ٩٣٤، وذكره الهيثمي (٢٤/٨) رقم ١٢٦٠١ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة.

(٢) سبق ص ٥٦٤.

دين آبائهم»<sup>(١)</sup>.

وفي مرفوع ابن عمر: «لا تقوم الساعة حتى يبعث الله ريحاً لا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من خير إلا قبضته، ويلحق كل قوم بما كان يعبد أبائهم في الجاهلية، ويبقى عجاج من الناس لا يأمرن بمعروف ولا ينهون عن منكر، يتناكحون في الطرق، فإذا كان ذلك اشتد غضب الله على أهل الأرض فأقام الساعة»<sup>(٢)</sup>. وفي المستدرک عند الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً: «وحتى تؤخذ المرأة جهازاً نهاراً تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد»<sup>(٣)</sup> وفي لفظ: «حتى ينكح أحدكم أمه، فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول لو تنحيتها عن الطريق قليلاً، فذلك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم»<sup>(٤)</sup>.

قال القرطبي في «التذكرة» عن بعض العلماء: إذا أراد الله انقراض الدنيا وتمام لياليها، وقربت النفخة، خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم وتقبل، حتى يجتمع الخلق بالمحشر، الإنس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وحشاش الأرض، وكل من له روح... ثم ذكر النفخة إلى آخره.

فائدة: ذكر القرطبي أيضاً أن الحشر أربع، حشران في الدنيا،

(١) أخرجه الحاكم (٥٩٢/٤) رقم ٨٦٥٠ وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأخرجه في (٤٩٤/٤) رقم ٨٣٨١ بزيادة وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وله شاهد في صحيح مسلم رقم ٢٩٠٧.

(٢) رواه الحاكم (٥٠٣/٤) رقم ٨٤٠٧ موقوفاً على عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه الحاكم (٥٤١/٤) رقم ٨٥١٦ بتقديم وتأخير بعض الكلمات وصححه، وقال الذهبي: الخبر شبه خرافة.

(٤) انظر تخريج الحديث السابق وليس فيه «حتى ينكح أحدكم أمه».

وحشران في الآخرة، فاللذان في الدنيا المذكور في سورة الحشر، وهو حشر اليهود إلى الشام، والثاني الحشر المذكور في أشرط الساعة، في حديث أنس في مسائل عبد الله بن سلام النبي ﷺ لما أسلم وفيها: «أما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»<sup>(١)</sup> وفيه حديث ابن عمر عند الحاكم مرفوعاً: «تبعت على أهل المشرق نار فتحشرهم إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، ويكون لها ما سقط منهم وتخلف، وتسوقهم سوق الجمل الكبير»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، لأن ابتداء خروجها من عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق.

قال القرطبي: وأما اللذان في الآخرة فحشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعاً، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحْداً﴾ [الكهف: ٤٧] وحشرهم إلى الجنة والنار.

قال الحافظ ابن حجر عن الأول - يعني المذكور في سورة الحشر - ليس حشراً مستقلاً، فإن المراد حشر كل موجود يومئذ، والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة - أي وهم يهود - وهذا وقع كثير، كما وقع لبني أمية حين أخرجهم ابن الزبير من المدينة إلى جهة الشام، وأجيب بأن المراد ما سمي حشراً على لسان الشارع، وقد سمي الله الأول حشراً، والله أعلم.

(١) تقدم ص ٥٦٧ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٩١/٤) رقم ٨٦٤٧ عن عبد الله بن عمرو والطبراني في الأوسط (٩٩/٨) رقم ٨٠٩٢، بلفظ «الكسير» بدل «الكبير». وذكره الهيثمي (٢٤/٨) رقم ١٢٦٠٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات.

تنبيه: اختلف العلماء هل الحشر يوم القيامة أم قبله؟ قال القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض وقواه بحديث حذيفة بن أسد<sup>(١)</sup>: أن هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة، يحشر الناس إلى الشام، وأما الحشر من القبور فهو على ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين وغيرهما مرفوعاً «أنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً»<sup>(٢)</sup>.

وقال الحكيم الترمذي والغزالي: هو يوم القيامة ويدل له حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما: «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، ثقل معهم حيث قالوا، وثبت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»<sup>(٣)</sup> فالحديث كالتفسير لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧].

قال الحافظ ابن حجر: ويؤيد حديث أبي ذر عند الإمام أحمد والنسائي والبيهقي حدثني الصادق المصدوق: «أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج، فوج يحشرون طاعمين كاسين راكبين، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم»<sup>(٤)</sup> الحديث. ثم اختلفوا على هذا القول بين حديث أبي ذر وحديث ابن عباس رضي الله عنهما وهو أنكم تحشرون حفاة الحديث.

(١) تقدم ص ٥٦٧ .

(٢) رواه البخاري رقم ٣٣٤٩، ٦٥٢٧، ومسلم رقم ٢٨٥٩ عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري رقم ٦٥٢٢ بلفظ «وثلاثة على بعير وأربعة على بعير» ثم بقية الحديث، ومسلم رقم ٢٨٦١ .

(٤) رواه أحمد (١٦٤/٥) رقم ٢١٤٩٤، والنسائي (١١٦/٤) رقم ٢٠٨٦، والحاكم (٤/٦٠٨) رقم ٨٦٨٥ وقال: حديث صحيح الإسناد إلى الوليد بن جميع ولم يخرجاه، والطبراني في الأوسط (٢١٤/٨) رقم ٨٤٣٧ .

فقال الإسماعيلي: الحشر يعبر به عن النشر أيضاً لاتصاله به، وهو - أي النشر - إخراج الناس من قبورهم فيخرجون حفاة عراة يساقون ويجمعون إلى الموقف للحساب، ثم يحشر المتقون ركباناً على الإبل، والمجرمون على وجوههم. وقال غيره: يخرجون من القبور على ما في حديث أبي هريرة.

وقال بعضهم: حمل الحشر على هذا قوي من وجوه:

أحدها: أنه إذا أطلق الحشر يراد به شرعاً الحشر من القبور ما لم يخصه دليل.

الثاني: التقسيم المذكور في الخبر لا يستقيم في الحشر إلى أرض الشام، لأن المهاجر لا بد أن يكون راغباً أو راهباً أو جامعاً بين الصفتين.

الثالث: حشر البقية على ما ذكر وإلجاء النار إلى تلك الجهة وملازمتها حتى لا تفارقهم، قول لم يرد به التوقيف وليس لنا أن نحكم بتسليط النار في الدنيا على أهل الشقوة من غير توقيف.

الرابع: أن الحديث يفسر بعضه بعضاً، وقد وقع في حديث أبي هريرة بلفظ ثلثا على الدواب، وثلثاً ينسلون على أقدامهم، وثلثا على وجوههم، قال: ونرى هذا التقسيم نظير التقسيم الذي في سورة الواقعة ﴿كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ فقوله في الحديث «راغبين راهبين» يريد عموم المؤمنين المخلطين عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم أصحاب اليمين، وقوله «اثنان على بعير» إلى آخره، يريد السابقين وهم أفاضل المؤمنين ركباناً، وقوله: «وتحشر بقيتهم النار» يريد أصحاب المشأمة، فيحتمل أن البعير يحمل دفعة واحدة، لأنه يكون من بديع قدرة الله تعالى، فيقوى على ما يقوى عليه عشرة من بعيران الدنيا، ويحتمل أن يتعاقبوه، انتهى ملخصاً. وانتصر

القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي، بأن حديث أبي هريرة «تقيل معهم وتبيت وتصبح وتمسي» يؤيد ما ذكر أن المراد به الحشر في الدنيا إلى الشام، لأن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا، وقوله «اثنان على بعير إلى عشرة» يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد، يركب بعض، ويمشي بعض وذلك لقلة الظهر كما في بعض الأحاديث، انتهى ملخصاً، ورجح هذا الطيبي وتعقب ذلك البعض، وأجاب عن أول وجوه ترجيحه بأن الدليل المخصص ثابت، فقد ورد في عدة أحاديث وقوع الحشر في الدنيا إلى جهة الشام، وذكر حديث حذيفة السابق، وحديث معاوية ابن حيدة رفعه «أنكم محشورون» ونحى بيده إلى الشام، رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم أخرج الترمذي والنسائي وسنده قوي.

وحديث: «ستكون هجرة بعد هجرة، وتنحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ولا يبقى في الأرض إلا شرارها، تلفظهم أرضوهم، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا»<sup>(١)</sup>. أخرج الإمام أحمد وسنده لا بأس به، إلى أن قال: فليس المراد بهذه النار نار الآخرة كما زعمه المعترض، وإلا لقليل تحشر بقيتهم إلى النار، وقد قال تحشر بقيتهم النار، فأضاف الحشر إليها، وأجاب عن الثاني: أن التقسيم المذكور في الحديث أن الذي في الحديث ورد على القصد من الخلاص من الفتن، فمن اغتنم الفرصة سار على فسحة من الظهر، ويسرة في الزاد، راغباً فيما يستقبله، راهباً فيما يستدبره، وهؤلاء هم الصنف الأول في الحديث، ومن توانى حتى قل الظهر، وضاق أن يسعهم لركوبهم اشتركوا وركبوا عقبه، فيحصل اشتراك اثنين في البعير، وكذا الثلاثة، وأما الأربعة فالظاهر من حالهم التعاقب لا غير، وسكت عما فوقها إشارة إلى أنها هي

(١) سبق ص ٥٦٧ .

المنتهى في ذلك، وهؤلاء هم الصنف الثاني في الحديث، وأما الصنف<sup>(١)</sup> الثالث: فعبّر عنه بقوله (تحشر بقتهم النار) إشارة إلى أنهم عجزوا عن تحصيل ما يركبون، ولم يقع في الحديث بيان حالهم، بل يحتمل أنهم يمشون أو يسحبون فراراً من النار، ويؤيد ذلك ما وقع في آخر حديث أبي ذر الذي تقدم، وفي الحديث: أنهم سألوا عن السبب في مشي المذكورين فقال: تلقى الآفة على الظهر حتى لا يبقى ذات ظهر، حتى أن الرجل يعطى الحديقة المعجبة بالشارف - الناقة المسن ذات القتب - أي: يشتريها بالبستان الكريم، لهوان العقار الذي عزم على الرحيل عنه، وعزة الظهر الذي يوصله إلى مقصوده، وهذا لائق بحال الدنيا دون الآخرة مؤكداً لما ذهب إليه الخطابي وغيره.

وأجاب عن الثالث: أنه تبين بشواهد الحديث أنه ليس المراد بالنار نار الآخرة، وإنما هي نار تخرج من الدنيا أنذر النبي ﷺ بخروجها وذكر صفة ما تفعل في الأحاديث المذكورة.

وأجاب عن الرابع: أن حديث أبي هريرة من رواية علي بن زيد الذي استدل به المعترض مع ضعفه لا يخالف حديث الباب، لأنه موافق لحديث أبي ذر في لفظه، وقد تبين من حديث أبي ذر ما دل على أنه في الدنيا لا بعد البعث في الحشر إلى الموقف، إذ لا حديقة هناك ولا آفة تلقى على الظهر، ووقع حديث علي بن زيد المذكور عند الإمام أحمد «أنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك»<sup>(٢)</sup> وأرض الموقف مستوية، ولا عوج فيها ولا أمتا، ولا حذب ولا شوك، قال: وهذا ما سنح لي على سبيل الاجتهاد، ثم

(١) في الأصل (النصف).

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد (٣٥٤/٢) رقم ٨٦٣٢ والترمذي (٣٠٥/٥) رقم ٣١٤٢ وقال: هذا حديث حسن. عن أبي هريرة.

رأيت في صحيح البخاري في باب الحشر «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق»<sup>(١)</sup> فعلمت من ذلك أن الذي ذهب إليه الإمام التوربشتي هو الحق الذي لا محيد عنه - يعني أن ذلك يوم القيامة - انتهى كلام الطيبي مع تلخيص قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) بعد نقله ما تقدم عن الطيبي: قلت: لم أف في شيء من طرق الحديث الذي خرجه البخاري على لفظ يوم القيامة في صحيحه ولا غيره، وكذا هو عند مسلم والإسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم القيامة، ثم اختار هو أنه يتعين كون ذلك في الدنيا لما وقع فيه أن الظهر يقل لما يلقي عليه من الآفة، وأن الرجل يشتري الشارف الواحد بالحديقة المعجبة، فإن ذلك ظاهر جداً في أنه من أحوال الدنيا، قال في «الإشاعة» ثبت أن الحق أن النار قبل يوم القيامة.

قلت: وهو كما قال، وبالله التوفيق.

خاتمة عظيمة النفع جسيمة الوقع لمن كان له قلب أو ألقى السمع: اعلم أن في إخفاء علم الساعة عن العباد كما مر فوائد عظيمة، وعوائد جسيمة، وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها، فكان ذلك أدعى للطاعة وأزجر عن المعصية والفضاعة، وتقدم قول العلامة: قد احتج كثير من العلماء عن تعيين قرب زمانها بأحاديث لا تخلو من نظر.

قلت: أما قرب الساعة فحق، وأما التعيين فلا لأحد منه علم سوى عالم الغيب والشهادة، قال العلامة: فمنهم أي ممن خاض في علمها وأنها قربت من قال بقي لها كذا، ومنهم من قال يخرج الدجال على رأس كذا، وتطلع الشمس على رأس كذا، فجاء الحافظ السيوطي ورد ذلك كله في كتاب «الكشف».

قلت: وهو كتاب لطيف لا يبلغ كرامة.

قال العلامة: وذكر هو تقريباً أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف أو أقل أو أزيد، قال العلامة: وهذا أيضاً مردود لأن كل من تكلم بذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه من الوحي برهان، لكن الشارع صلوات الله وسلامه عليه ذكر لقرب الساعة علامات وأشراط، والله أعلم.

قال السيوطي في «الكشف في مجاوزة هذه الأمة الألف» الذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة، وذلك لأنه ورد من طريق أن مدة الدنيا من لدن آدم ﷺ إلى قيام الساعة سبعة آلاف سنة وأن النبي ﷺ بعث في آخر الألف السادسة، وورد أن الدجال يخرج على رأس مائة سنة، وينزل عيسى ﷺ فيقتله، ويمكث في الأرض أربعين سنة، وأن الناس يمكثون في الأرض بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة، وأن ما بين النفتين أربعين عاماً، إلى أن قال: ولا يمكن أن تكون المدة ألفاً وخمسمائة سنة أصلاً، ثم ذكر حديث أبي هريرة عند الحكيم الترمذي قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي ثم ماتوا عليها، فهم في الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم» وساق بقية الحديث وفيه: «وأطولهم مكثاً فيها من يمكث فيها مثل الدنيا منذ يوم خلقت إلى يوم أقيمت وذلك سبعة آلاف سنة»<sup>(١)</sup>.

قلت: ذكر الحافظ ابن رجب في كتابه «صفة النار» أن هذا الحديث

(١) جزء من حديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٢٦/٨) والهندي في كنز العمال (١٤)

(٥٣٦) رقم ٣٩٥٤٩، والغزالي في إحياء علوم الدين (٣١٢/٤) وقال عنه العراقي: سنده

ضعيف بلفظ «أقيمت» بدل «أقيمت» وانظر حكم المصنف عليه.

خرجه ابن أبي حاتم وغيره وخرجه الإسماعيلي مطولاً، وقال الدارقطني في كتاب «المختلف»: هو حديث منكر، وذكر علله، والله أعلم.

وذكر السيوطي حديث أنس عند ابن عساكر وغيره، أن النبي ﷺ قال: «من قضى حاجة لأخيه المسلم في الله خالصاً، كتب له عمر الدنيا، سبعة آلاف سنة صيام نهارها وقيام ليلها»<sup>(١)</sup>. وذكر حديث أنس أيضاً مرفوعاً عند ابن عدي: «عمر الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾»<sup>(٢)</sup> [الحج: ٤٧]. وذكر حديث عمر بن مجعد عند الطبراني في «الكبير» قال: رأيت رؤيا قصصتها على رسول الله ﷺ فذكر المنام، وفيه: فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درج وأنت في أعلاها درجة، فقال رسول الله ﷺ: «أما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلى درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفاً»<sup>(٣)</sup>. أخرجه البيهقي في الدلائل والسهيلي في الروض الأنف.

قال السهيلي: هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد فقد روي موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق صحاح أنه قال: «الدنيا سبعة أيام كل يوم

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/١٣٣) باختلاف يسير في كلمات يسيرة وذكره الهندي في كنز العمال (٦/٤٤٤) رقم ١٦٤٥٩ وقال: ابن عساكر عن أنس وفيه الحسين بن داود البلخي، قال الخطيب: ليس بثقة حديثه موضوع.

(٢) ذكره الصديقي في «تذكرة الموضوعات» (١٨١٥) ونقل عن السيوطي في اللآلئ أنه موضوع ثم عقب على ذلك بقوله: له شواهد ولو بأسانيد ضعاف ولم أفق عليه عند ابن عدي.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه الطبراني في الكبير (٨/٣٠٢) رقم ٨١٤٦ وذكره الهيثمي (٧/٣٧٩) رقم ١١٧٢ وقال: رواه الطبراني وفيه سليمان بن عطاء القرشي وهو ضعيف. والسهيلي في الروض الأنف (١/٢٥٠).

مقدار ألف سنة وبعث رسول الله ﷺ في آخرها<sup>(١)</sup>. قال أبو جعفر الطبري هذا الأصل، وعضده بآثار وذكر أدلة وآثاراً إلى أن قال: وينزل عيسى ابن مريم فيقتله - يعني الدجال - فيقيمون أربعين سنة لا يموت فيها أحد ولا يمرض، ويقول الرجل لغنمه ودوابه: اذهبوا فارعوا، وتمر الماشية بين الزرعين لا تأكل منه سنبله، والحيات والعقارب لا تؤذي أحداً، والسبع على أبواب الدور لا يؤذي أحداً، ويأخذ الرجل المؤمن القمح فيبذره بلا حرث، فيجيء منه سبع مائة مد فيمكثون في ذلك حتى ينكسر سد يأجوج ومأجوج، فيموجون ويفسدون، فيبعث الله إليهم دابة فتدخل في آذانهم فيصبحون موتى أجمعين<sup>(٢)</sup> وذكر بقية الحديث. رواه الحاكم عن ابن مسعود مرفوعاً.

وأخرج الإمام أحمد في (الزهد) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يلبث عيسى ابن مريم في الأرض أربعين سنة، لو يقول للبطح سيلي عسلاً لسالت، وقد قدمناه إلى أن قال: وبعد عيسى يتولى أمراء صالحون منهم يقال له القحطاني، يتولى إحدى وعشرين سنة، وتعرض لبقيتهم إلى طلوع الشمس من المغرب عشرين سنة أيضاً، إن لم تكن أكثر، فهذه مائة وعشرون سنة والدجال يمكث أربعين سنة، والله أعلم.

وقال بعضهم: إن الساعة تقوم سنة سبع بعد أربعمائة وألف أخذاً من قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ [الزخرف: ٦٦] وقوله: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فإن عدة حروف بغتة ألف وأربعمائة وسبع قال: فيحتمل خروج المهدي على رأس المائة احتمالاً قويا بل قبل المائة، إذ

(١) السهيلي - السابق، وذكره كذلك صاحب (تذكرة الموضوعات) (١٨١٥).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٠٠/٣)، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٥٧٩/٢) رقم ١٦١٩، ولم أفق عليه في المستدرک.

الدجال يخرج في خلافته وهو يخرج على رأس المائة، ويحتمل أن يتأخر للمائة<sup>(١)</sup> الثانية، ولا يفوتها قطعاً وإذا تأخر فلا بد أن يبعث الله على رأس هذه المائة من يحيي للأمة أمر دينها كما ورد في حديث مشهور<sup>(٢)</sup>. قال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ فِي منظومته:

والشرط في ذلك أن تمضي المائة وهو على حياته بين الفئة  
يشار بالعلم إلى مقامه وينصر السنة في كلامه  
وأن يكون في حديث قد روي من أهل بيت المصطفى وهو قوي  
والمختار الذي لا محيد عنه أن علم ذلك مفوض لعالم الغيب  
والشهادة، ليس لأحد من ذلك علم<sup>(٣)</sup>، والله أعلم.

نعم أخرج نعيم عن محمد بن الحنفية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن أبيه قال: يقوم المهدي سنة مائتين، وأخرج أيضاً عن جعفر الصادق مثله، وأخرج أيضاً عن أبي قبيل قال: اجتماع الناس على المهدي سنة أربع ومائتين، وهذا لو صح لم يلزمنا، لكونه لم يصدر عن المعصوم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، نعم قد يستروح له، ولكن التحقيق أن ذلك منفرد به الله بعلمه لا غير، والله سبحانه وتعالى أعلم.

\* \* \*

(١) هذا رجم بالغيب، فلا يعلم متى الساعة إلا الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، ولم يبين القرآن والسنة إلا أمارات الساعة فقط، فكل قول يزيد على ذلك فهو قول بلا علم، بل ويتنافى مع صريح القرآن والسنة.

(٢) روى أبو داود (٥١٢/٢) رقم ٤٢٩١ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، ورواه الطبراني في الأوسط (٦/٣٢٣) رقم ٦٥٢٧، والحاكم (٥٦٧/٤) رقم ٨٥٩٢، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢٨١/١) رقم ٧٤٠ وقال بعد تصحيحه: وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث.

(٣) رحم الله الإمام السفاريني فكان يكفيه هذا ويضرب صفحاً عن كل الأقوال السابقة في تعيين وقت قيام الساعة.

## الفصل الحادي عشر

## في نفخة الفزع

وما يكون فيها من تغير انتظام هذا العالم وفساد انتظامه

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَتُّوْلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] أي من رجوع ومرد، وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ<sup>(١)</sup> مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فسر الزمخشري المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل غير ذلك، وإنما يحصل الفزع لشدة ما يقع من الهول عند تلك النفخة، لأنه إذا نفخ في الصور نفخة الفزع تزلزلت الأرض، وتحركت السماء، وتناثرت النجوم، وتفجرت البحار، وذهلت المراضع، ووضعت الحوامل، وعطلت العشار - أي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر تركت هملاً بلا راع - واختلطت الإنس والجن والدواب والوحوش، وماج بعضهم في بعض، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوقًا رِيكُمُ إِنَّكَ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] وفي البغوي عن أبي ابن كعب قال: ست آيات قبل يوم القيامة، بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت، وفزعت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطيور والوحش، وماج بعضهم في بعض، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] اختلطت ﴿وَإِذَا الْعُشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أهملت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ

(١) في الأصل ﴿ونفخ في الصور ففزع﴾ والمثبت هو الصواب.

سُجِّرَتْ ﴿ قال ابن عباس: أوقدت فصارت ناراً تضرم، قال أبي: قالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وانشقت السماء انشقاقة واحدة إلى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فأماتهم، انتهى.

ولنذكر أموراً تحصل عند نفخة الفزع من تغير انتظام هذا العالم.  
 الأول: فيما يصيب الأرض، قد جاء فيها آيات، منها قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ زُلْزَلَةٌ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] أي شدة الحركة على الحالة الهائلة حتى ينهدم كل بناء على وجه الأرض، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] أي تحركت حركة شديدة لقيام الساعة. قال ابن عباس رضي الله عنه هي عند النفخة الأولى، وعليه جمهور المفسرين، وأخرج البغوي في تفسيره عن أبي هريرة مرفوعاً: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً»<sup>(١)</sup>. وأخرجه مسلم في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ [الواقعة: ٤] أي رجت وزلزلت وحركت تحريكاً شديداً حتى ينهدم كل بناء على وجهها، قال المفسرون: ترتج كما يرتج الصبي في المهد، حتى ينهدم كل ما عليها، وينكسر كل شيء عليها من الجبال. وقال الثعلبي: تكون كالسفينه الموسوقة في البحر، تضربها الأمواج وتقلبها الرياح، ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦] قال البغوي: يوم ترجف الراجفة

(١) أخرجه مسلم رقم ١٠١٣ بزيادة كلمات يسيرة والبغوي في التفسير (٥٠١).

يعني الرجفة الأولى تتزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها جميع الخلق، تتبعها الرادفة، هي النفخة الثانية ردت الأولى، وبينهما أربعون سنة، قال قتادة: هما صيحتان، فالأولى تمت كل شيء، والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله تعالى.

وقال العلامة: ترجف الراجفة أي تهد الأرض بالبناء على الناس، وتذهل الأمراض وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع، حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها وأدبارها فترجع ويولي الناس هارين مدبرين. انتهى.

ومنها قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] قال البغوي: أي مرة بعد مرة، زلزلت فكسر بعضها بعضاً، فينكسر كل شيء على ظهرها، من جبال وبناء وشجر، فلم يبق على ظهرها شيء.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] قال المفسرون: أي رفعت من جميع جهاتها مع الجبال بما يشاؤه الله تعالى من ريح أو ملائكة، والمعنى كسرتا كسرة واحدة، فصارتا أرضاً مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمثا.

تتمة: ذكر ابن أبي الدنيا حديثاً مرسلًا أن الأرض تزلزلت على عهد رسول الله ﷺ فوضع يده عليها ثم قال: «اسكني فإنه لم يأن لك بعد ثم التفت إلى أصحابه فقال: إن ربكم يستعقبكم فاعتبوه»<sup>(١)</sup> أي فارجعوا إليه وتوبوا مما لعلكم اقترفتموه من الذنوب ثم تزلزلت بالناس على عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة إلا عن شيء

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٩) رقم ١٨، وذكره ابن حجر في في تلخيص الحبير (٩٤/٢) في نهاية كلامه على حديث رقم ٧١٠ وقال: هذا مرسل ضعيف.

أحدثتموه، والذي نفسي بيده إن عادت لا أساكنكم فيها أبداً، وفي (مناقب عمر) لابن أبي الدنيا: أن الأرض تزلزت على عهد عمر فضرب يده عليها وقال: ما لك ما لك؟ أما إنه لو كانت القيامة حدثت أخبارها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة فليس فيها ذراع ولا شبر إلا وهو ينطق»<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة رضي الله عنها ورجل آخر فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت: إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمر، وضربوا بالمعازف، غار الله عز وجل في سمائه، فقال للأرض: تزلزي بهم، فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم، قال: يا أم المؤمنين أعذاباً لهم قالت: بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالاً وعذاباً وسخطاً على الكافرين. فقال أنس: ما سمعت حديثاً بعد رسول الله ﷺ أنا أشد فرحاً مني بهذا الحديث<sup>(٢)</sup>.

وقال كعب: إنما تزلزل الأرض إذا عمل فيها بالمعاصي، فترعد فرقاً من الرب جل جلاله أن يطلع عليها، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار أما بعد: فإن هذا الرجف شيء يعاتب الله عز وجل به العباد.

فإن قيل: فما لنا نرى بعض الأرض تزلزل دون بعض؟ فالجواب: ما نقله العلامة في «البهجة» عن وهب، أن ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبلاً صغيراً فقال: ما أنت؟ فقال: أنا قاف، قال: فما هذه الجبال التي حولك؟ قال: هي عروقي، وليست مدينة إلا وفيها عرق منها، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك المدينة.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٣٠) رقم ١٩ وفي آخره «بالناس».

(٢) رواه الحاكم (٥/٥٦١) رقم ٨٥٧٥ وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: بل أحسبه موضوعاً.

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق الله تعالى جبلاً يقال له قاف محيط بالأرض، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل، فيحرك العرق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها، فمن ثم تحرك القرية دون القرية<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

### الأمر الثاني: فيما يصيب الجبال.

وقد جاء في ذلك آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ [الواقعة: ٥] أي فتت فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول - وقال الكلبي: معنى بست أي صيرت على وجه الأرض، وقال مجاهد: لتت لتأ، وقال الحسن: قلعت من أصولها فذهبت، واختلف المفسرون في تفسير الهباء، فقال ابن عباس: أنه ما يرى في شعاع الشمس في الصورة اللطيفة حين تدخل الكوة، وقيل: الرماد يطير من النار إذا اضطربت، فإذا وقع لم يكن شيئاً.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤] فسر الثعلبي الكيب بالرمل المجتمع، والمهيل بالسيال المتناثر إذا مسه تتابع، وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْمَفْشُوشِ﴾ [الفارعة: ٥] قال البغوي: كالصوف المندوف، وقال الثعلبي: إن أول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهياً، ثم عنها منفوشاً، وهو الصوف المصبوغ، فلا يقال العهن إلا للمصبوغ، ثم هباء منثوراً.

(١) روى هذا الأثر ابن أبي الدنيا في (العقوبات) (٣٢) رقم ٢٢ وذكره الإمام ابن كثير في التفسير (٢٨٢/٤) وعلق عليه قائلاً: روى عن بعض السلف أنهم قالوا: ق جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف، وكان هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندني أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] قال العلامة عن بعض المفسرين: معناه أنها إذا كانت الجبال هباءً منبثاً يسير الله ذلك الغبار بين السماء والأرض كالسحاب، قال وظاهر كلام الزمخشري أنها تسير كالسحاب فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد، وهي تمر مرأً حثيثاً كما يمر السحاب. قال الرازي: وليس في الآية ما يدل إلى أين تسير، فيحتمل أن يقال: إن الله عز وجل يسيرها إلى الموضع الذي يريده، ولم يبين ذلك الموضع لخلقها قال: والحق أن الله تعالى يسيرها إلى العدم، لقوله تعالى: ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]. قال العلامة: قلت أحسن من هنا وأظهر أن يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: ٢٠] قال مكّي: أي لا شيء، كما أن السراب لا شيء.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۗ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] قال الفخر: وصف الله سبحانه وتعالى الأرض بأوصاف، أحدها: كونها قاعاً وهو المكان المطمئن من الأرض، وقيل: منتقع الماء، وثانيها: صفصفاً، وهو الذي لا نبات عليه، وقيل: إن القاع والصفصف الأرض الملساء المستوية، وثالثها ورابعها: كونها لا ترى فيها عوجاً ولا أمّتا، قال الزمخشري: الأمّ التواء اليسير والعوج ظاهر، ويحصل بهذه الأربعة أوصاف أن الأرض تكون في ذلك اليوم ملساء خالية من الارتفاع والانخفاض وأنواع الانحراف والاعوجاج، وقال في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] أي ظاهرة ليس عليها من العمارات ولا من الجبال والأشجار شيء، فبقية بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها، وهو المراد بقوله: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧].

فائدة: في تبديل الأرض وأين يكون الناس يومئذ؟ قال العلامة: اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ الآية [إبراهيم: ٤٨] ما المراد بالتبديل هل هو تبديل ذات أم تبديل صفات؟ قال البيضاوي: التبديل يكون في الذات، كقولك بدلت الدراهم بالدنانير، وعليه قوله: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] قلت: قد نص الإمام أحمد نور الله ضريحه في «الأجوبة القرآنية» ما نصه: قالت الزنادقة في قوله ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ فما بال جلودهم التي قد عصت احترقت وأبدلهم الله جلوداً غيرها؟ فلا نرى إلا أن الله عز وجل يعذب جلوداً لم تذب حين يقول: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ فشكوا في القرآن وزعموا أنه متناقض.

قال: فقلت إن قول الله عز وجل ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ليس يعني جلوداً غير جلودهم، وإنما معنى ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ تبديلها تجديدها، لأن جلودهم إذا نضجت جددها الله، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام، ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها الله العلماء. انتهى. بحروفه، ومنه يعلم ما في ما ذكر.

قال البيضاوي وفي الصفة كقولك: بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وغيرت شكلها، وعليه قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] والآية تحتلها. قال الجلال السيوطي: اختلفت الأحاديث والآثار في الأرض المبدلة، وقد وقع الخلاف قديماً للسلف في ذلك، وهل التبديل تغيير ذاتها أو صفاتها فقط، انتهى، فالقائلون بأنه تبديل ذات، منهم ابن مسعود قال: تبدل الأرض كلها ناراً يوم القيامة.

قال كعب الأحبار وأبي بن كعب تصير السموات جنات، ويصير مكان البحر ناراً، وتبدل الأرض غيرها - أي مما لم يكن بحاراً - فقد ورد

أن ما يصير ناراً من البحر يعود على بقية الأرض فيدعها جمرة واحدة من نار، فإن قيل: في هذا حجة لمن زعم أن الجان لم تخلق بعد؛ لأن السموات حيث قلتُم أنها هي الجنة، فالجنة غير موجودة الآن وكذا النار؟

فالجواب أن السموات تضاف إلى الجنة كما أن البحار تضاف إلى النار، لا أن الجنة هي السموات، بل السموات تصير من جملة الجنة، وأن البحار تصير ناراً وتضاف إلى النار، فتكون من جملة النار، والله الموفق.

وعن علي كرم الله وجهه: تبدل الأرض أرضاً من فضة، والسموات سموات من ذهب، وقال ابن جرير ومحمد بن كعب: تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه، لحديث الشيخين من مرفوع أبي سعيد الخدري «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفوها الجبار بيده كما يتكفا أحدكم خبزته في السفر - جمع سفرة - نزلاً لأهل الجنة»<sup>(١)</sup> النزول هو الطعام الذي يؤتى به الضيف أول نزوله، وسيأتي، وفي (الإرشاد) تبدل الأرض يوم القيامة خبزة فيأكل المؤمن من بين رجليه ويشرب من الحوض.

وقال عكرمة: تبدل الأرض أرضاً بيضاء مثل الخبزة، يأكل منها أهل الإسلام حتى يفرغوا من الحساب، قال الحافظ ابن حجر: يستفاد منه أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع زمن الموقف.

والقائلون بأنه تبديل صفة منهم ابن عباس وغيره قالوا: تبديل السموات ذهاب شمسها وقمرها وانكدار نجومها، وتبديل الأرض ذهاب جبالها وأنهارها وأشجارها.

أخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٢٠، ومسلم رقم ٢٧٩٢.

الْأَرْضِ ﴿إِبْرَاهِيمَ : ٤٨﴾ قال: يزداد فيها وينقص وتذهب آكامها من أماكنها وجبالها وأوديتها وشجرها وما فيها، وتمد مد الأديم العكاظي<sup>(١)</sup> أرضاً بيضاء مثل الخبزة الفضة لم يسفك فيها دم، ولم تعمل فيها خطيئة، والسموات تذهب شمسها وقمرها، ويدل لهذا حديث أبي هريرة «تبدل الأرض غير الأرض فيسقطها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها»<sup>(٢)</sup> وهو ظاهر ما في حديث مسلم عن سهيل بن سعد «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد»<sup>(٣)</sup>.

قوله: عفراء العفر بياض يقرب إلى الحمرة، والنقي بكسر القاف هو الحواري.

وقوله: ليس فيها علم لأحد، أي ليس لأحد فيها علامة أو سكن أو بناء أو أثر.

وفي شعب الإيمان للبيهقي في قوله تعالى: ﴿وَجَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] قال: «تصير الأرض غبرة في وجوه الكفار»<sup>(٤)</sup>.

(١) يقال: أديم عكاظي منسوب إلى عكاظ، وسمي به لأن العرب كانت تجتمع كل سنة فيعكظ بعضها بعضاً بالمفاخرة والتناشد، أي يُوَعَكُ وَيَعْرُكُ.

كتاب العين - للفراهيدي مادة عكظ.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٢٦٦) رقم ٣٦، وإسحاق ابن راهويه في مسنده (٨٤/١) رقم ١٠، وذكره ابن كثير في التفسير (١٩٦/٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢٥٧/٧).

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٧٩٠.

(٤) أخرجه الحاكم (٥٤٣/٢) رقم ٣٨٤٧ و(٥٥٩/٢) رقم ٣٨٩٩ موقوفاً على أبي بن كعب بلفظ: «بصيران غبرة على وجوه الكفار لا على وجوه المؤمنين».

واختلفوا في التبديل هل هو قبل يوم الحساب أم بعده؟ فقيل: قبل يوم الحساب، وقيل: والناس على الصراط، الحديث. مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين يكون الناس؟ قال: على الصراط»<sup>(١)</sup>. وفي الترمذي عنها قالت: «أين الناس يا رسول الله قال: على جسر جهنم»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج عنها أيضاً وقال: حسن صحيح قالت: «يا رسول الله قال الله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَقِصَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] فأين يكون المؤمنون يومئذ؟ قال: على الصراط يا عائشة»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاءه خبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد. وذكر الحديث وفيه: فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال ﷺ: «في الظلمة دون الجسر»<sup>(٤)</sup>. قال العلامة: هذا حاصل ما قاله كل من الفريقين.

ووجه الجمع بين القولين ما أشار إليه صاحب «الإفصاح» من أنه لا تعارض بين هذه الآثار، فإن الأرض والسموات تبدل مرتين، الأولى: أنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق، فتنتشر كواكبها، وتكسف شمسها وقمرها، وتصير كالمهل، ثم تكشط عن رؤوسهم، ثم تُسَيَّرُ الجبال، ثم تموج الأرض، ثم تصير البحار نيراناً، ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧١٩، وأحمد (٣٥/٦) رقم ٢٤١١٥.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٢/٥) رقم ٣٢٤١ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) رواه الترمذي (٣٧٢/٥) رقم ٣٢٤٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٣١٥، وابن حبان (٤٠٠/١٦) رقم ٧٤٢٢، وابن خزيمة (١١٦/١) رقم ٢٣٢.

فتصير الهيئة غير الهيئة، والبنية غير البنية، ثم إذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء، ودحيت الأرض، وبدلت السماء سماء أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] وبدلت الأرض، وتمد مد الأديم العكاظي، وأعيدت كما كانت، فيها القبور، والبشر على ظهرها وفي بطنها، وتبدل الأرض تبديلاً ثانياً، وذلك إذا وقفوا في المحشر فتبدل لهم الأرض التي يقال لها الساهرة، يحاسبون عليها، وهي أرض عفراء، وهي البيضاء من فضة، لم يسفك عليها دم حرام قط، ولا جرى عليها ظلم قط، وحينئذ يقوم الناس على الصراط، وهو لا يسع جميع الخلائق، وإن كان قد يروى «أن مسافته ألف سنة صعوداً وألف سنة هبوطاً، وألف سنة استواء»<sup>(١)</sup> لأن الخلق أكثر من ذلك، فيقوم من فضل منهم عن الصراط على متن جهنم، وهي كالهالة الجامدة، وهي الأرض التي قال عبد الله: أنها أرض من نار يعرق فيها البشر، فإذا حوسب الناس عليها - أعني الساهرة - وجاوزوا الصراط وحصل أهل الجنان من وراء الصراط، وأهل النار في النار، وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون، بدلت الأرض كقرصة النقي<sup>(٢)</sup>، فأكلوا من تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت خبزة واحدة - أي قرصاً واحداً - يأكل منه جميع الخلق ممن دخل الجنة، وأدمهم زيادة كبد ثور الجنة، وزيادة كبد النون.

قال الحافظ ابن حجر: لا تنافي بين أحاديث تبديل الأرض وأحاديث مدها والزيادة فيها والنقص منها، لأن ذلك كله يقع لأرض الدنيا، لكن أرض الموقف غيرها، فإنهم يزجرون من أرض الدنيا بعد تغييرها بما ذكر

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (٢١٥).

(٢) النقاوة: أفضل ما انتقيت من الشيء، وقرصة النقي يعني الخبز الحواري. لسان العرب/ مادة: نقا.

إلى أرض الموقف، قال: ولا تنافي أيضاً بين أحاديث مصيرها خبزة وناراً وغباراً، بل يجمع بأن بعضها يصير خبزة وبعضها ناراً وبعضها غباراً، وأن النار هي أرض البحر خاصة، لكن مر أن الأرض تصير كلها ناراً يوم القيامة، وقد يجاب كما في «البهجة» بأن أرض البحر تكون ناراً في الابتداء بطريق الأصالة، ثم البقية بالتبعية، انتهى، وتعقب البدر العيني الحافظ ابن حجر بأن لفظ الحديث «تكون الأرض يوم القيامة خبزة»، وفيما قال - يعني ابن حجر - ارتكاب المجاز، فلا يصار إليه إلا عند تعذر الحقيقة، ولا تعذر هنا من كون الأرض خبزة، لأن القدرة صالحة لذلك، قال بل الجواب الثاني هنا أن يقال: إن المراد من كون الأرض ناراً هي أرض البحر كما في حديث أبي ابن كعب رضي الله عنه تصير السموات جفاناً<sup>(١)</sup> ويصير مكان البحر ناراً، وتصير الأرض خبزة، والمراد من كونها غبرة الجبال، فإنها بعد أن تدك تصير غباراً في وجوه الكفار، انتهى، فعلى كلام العيني أن السموات تصير جفاناً<sup>(١)</sup> كما في الحديث، ولعل المراد من ذهب أو كالذهب ليجمع بين الأحاديث، والأرض خبزة، أي بيضاء كالفضة، والجبال غباراً ومكان البحار ناراً، والله أعلم.

الأمر الثالث: فيما يصيب السماء وفيها آيات، منها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٤] قال عكرمة: كالزيت وقيل: القار المذاب، وقيل: ما أذيب من الفضة والنحاس.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩] قال مجاهد: تدور دوراً، وقال قتادة: مورها تحركها، والضحاك استدارتها، وقيل: تتكفأ تكفؤ السفينة حتى تذهب ولا تكون شيئاً.

(١) كذا بالأصل في الموضعين ولعلها (جنانا).

وقوله: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] قال بعض المفسرين انشقاقها في المحشر وأنها تصير أبواباً لنزول الملائكة، وقال ابن جرير: تذوب السماء فتصير ذائبة حمراء كالدهن الذائب حين يصيبها حر جهنم، وقال مكي في تفسير ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] وذلك يوم القيامة، يكون لونها لون الورد الأحمر، هو تفسير ابن عباس: وأما الدهان فقال مجاهد والضحاك: الدهان والدهن شيء واحد، وقيل: الدهان الجلد الأحمر، وقال زيد بن أسلم: وتكون كعكر الزيت، وقوله: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦] أي ضعيفة مسترخية بعد إحكامها وقوتها ﴿وَأَلْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة: ١٧] أي جوانبها وحافاتاها، - واحده رجلي مقصور - وذلك أن السماء مسكن الملائكة، فإذا انشقت انتقلوا إلى جوانبها وقال الضحاك: تكون الملائكة على حافاتاها حين يأمرهم الرب جل جلاله فيحيطون بالأرض ومن عليها.

الرابع فيما يصيب الشمس والقمر: قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] أي كسفت وذهب ضوءها وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه «أن ذلك بعد نفخة الفزع وقبل قيام الساعة»<sup>(١)</sup> وهو قول أبي بن كعب، وبه قال بعضهم، وظاهر كلام جمع من المفسرين أن ذلك يوم القيامة، قال ابن عباس: تكويرها إدخالها في العرش، ولا شك أن ذلك لا يكون إلا في يوم القيامة، فهي موجودة فيه، ثم يذهب بها بعد ذلك إما إلى إدخالها في العرش، كما قال ابن عباس والضحاك، أو إلى النار، كما قال الزمخشري يروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراهن من عبدها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ

(١) ما ورد في هذا هو ما رواه البخاري رقم ٣٢٠٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة».

جَهَنَّمَ ﴿ الآية [الأنبياء: ٩٨] قال بعضهم: يؤخذ بالشمس والقمر فيلقيان في جهنم، وقال عطاء بن يسار يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى، وقال علي وابن عباس: يدخلان في نور الحجب. وفي البغوي عن ابن عباس: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر، ثم يبعث عليها ريحاً دبوراً فتضرمها فتصير ناراً.

فإن قلت: قدر مر أنه يذهب بالشمس والقمر إلى العرش وأنه يذهب بهما إلى البحر، وأنه يذهب بهما إلى الحجب وأنه يذهب بهما إلى النار فهل هذا إلا كالتناقض؟.

قلت: الأمر دائر أنه يذهب بهما إلى أحد شيئين، إما إلى النار، وإما إلى العرش، وأما البحر فإنه داخل في النار على رأي من زعم أنه النار، أو يصير ناراً ويضاف إلى النار، وأما الحجب فإنها داخلية في كونها يكوران ويذهب بهما إلى العرش، فإننا نعني بالحجب هي ما دون العرش، فظهر ما قلنا إنه يذهب بهما إما إلى العرش، ولا فرق بين أن يكورا ويدخلا فيه، أو يدخلا في نور حجبه أو إلى النار.

والجمع بين القولين بأن يكوران<sup>(١)</sup> في النار أولاً ليراهما من عبدهما من دون الله تبيكياً لهم وصغاراً وهواناً، ثم يذهب بهما إلى العرش، هذا ما يظهر، والله أعلم.

وقد أشار إلى بعضه في «البهجة» وذكر الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة»: أنه اجتمع جماعة من الكبراء والفضلاء يوماً فقرأ قارئ: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾

(١) هكذا بالأصل والصواب (يكورا).

[التكوير: ١ - ٣] حتى بلغ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] وفي الجماعة الإمام أبو الفداء ابن عقيل، فقال له قائل: يا سيدي هب أنه نشر الموتى للبعث والحساب، وزوج النفوس بقربانها للثواب والعقاب، فما الحكمة في هدم الأبنية وتسيير الجبال، ودك الأرض، وفطر السماء، ونثر النجوم، وتخريب هذا العالم، وتكوير شمسهِ وخسف قمره؟ فقال الإمام ابن عقيل على البديهة: إنما بنى لهم الدار للسكنى والتمتع، وجعلها وما فيها للاعتبار والتفكر والاستدلال عليه بحسن التأمل والتذكر، فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم من الدار خربها لانتقال الساكن عنها، فأراد أن يعلمهم بأن في إحالة الأحوال، وإظهار تلك الأحوال، وإبداء ذلك الصنع العظيم، بياناً لكمال قدرته، ونهاية حكمته وعظمة ربوبيته، وعز جلاله وعظم شأنه، وتكذيباً لأهل الإلحاد وزنادقة المنجمين وعباد الكواكب والشمس والقمر والأوثان، ليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، فإذا رأوا منار آلهتهم قد انهدم، وأن معبوداتهم قد انتشرت، والأفلاك التي زعموا أنها وما حوته هي الأرباب المتولية على هذا العالم قد تشققت وانفطرت، ظهرت حينئذ فضائحهم، وتبين كذبهم، وظهر أن العالم مربوب محدث مدبر، له رب يصرفه كيف يشاء، تكديباً لملاحدة الفلاسفة القائلين بقدمه، فكم لله من حكمة لهدم هذه الدار، ودلالة على عظيم قدرته وعزته وسلطانه وانفراده بالربوبية، وانقياد المخلوقات بأسرها لقيهره، وإذعانها لمشيئته، فتبارك الله.

الخامس فيما يصيب النجوم: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾

[التكوير: ٢] ﴿وَإِذَا الْكُوكَبُ انْتَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] ومعناها سقوط الكواكب إلى الأرض، وقد جاء أنها تسقط عند موت الملائكة الذين كانوا بحسبونها وهي معلقة بين السماء والأرض، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه إذا صارت السماء كالمهل تتناثر النجوم وتسقط شمسها وقمرها.

السادس فيما يصيب البحار: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ فُجِرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] أي فاضت وملئت، قال الضحاك والربيع بن خيثم وغيرهما: تفجيرها فيضها. وقال الغزالي: قد تفجر بعضها في بعض حتى امتلأ عالم الهواء ماء، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] وهو بمعنى الأول عند الضحاك والربيع، وقال مجاهد: فجر بعضها على بعض فاختلف العذب والملح فصارت بحراً واحداً، وقاله الضحاك أيضاً، ومقاتل، وقيل معنى سجرت: يبست حتى لم يبق من مائها قطرة، قاله الحسن وقتادة، وقيل معنى سجرت: أضرمت ناراً، قال ابن عباس ووهب وسفيان وابن عطية وابن زيد وفي (البهجة) للعلامة: يمكن الجمع بين الأقوال المتقدمة بأن يقال: إن البحار تفيض أولاً لكثرة فيضها تصير بحراً واحداً، ثم تنشف حتى لا تبقى منها قطرة، ثم بعد ذلك يضرم مكانها ناراً، وفي ذلك آيات دالات على كمال قدرته ووجوب وحدانيته، لا إله إلا هو الفعال لما يريد. وفي تفسير مكّي عن ابن عباس: جهنم في البحر الأخضر، تكور الشمس والقمر فيه، والله أعلم.

\* \* \*

## الفصل الثاني عشر

## في نفخة الصعق

وفيهما هلاك كل شيء، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] وقد فسر الصعق بالموت. قال الفخر: لا شبهة عند أهل الإسلام في أن الله خلق قرناً ينفخ فيه ملك من الملائكة، وذلك القرن يسمى بالصور على ما ذكر الله في مواضع من القرآن، وقال في «التذكرة» والصور قرن من نور يجعل فيه أرواح الخلائق، وقال مجاهد: كالبوق، ذكره البخاري، وأخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن صاحبي الصور بأيديهما أو في أيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران»<sup>(١)</sup>. وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه»<sup>(٢)</sup>. قال الترمذي: حديث حسن وأخرج الترمذي أيضاً وحسنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ» فكان ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل»<sup>(٣)</sup>. وروي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤٢٨/٢) رقم ٤٢٧٣ وقال: في الزوائد إسناده ضعيف لضعف حجاج ابن أرتاة وعطية العوفي.

(٢) أخرجه الترمذي (٦٢٠/٤) رقم ٢٤٣٠ وقال: هذا حديث حسن وأخرج نحوه أحمد (٢/١٦٢) رقم ٦٥٠٧ و(١٩٢/٢) رقم ٦٨٠٥.

(٣) رواه الترمذي (٦٢٠/٤) رقم ٢٤٣١ وقال: هذا حديث حسن، وفي (٣٧٢/٥) رقم ٣٢٤٣ باختلاف يسير وزيادة، وقال: هذا حديث حسن.

أطرق صاحب الصور مذ وكل به مستعداً يحد العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد طرفه كأن عينيه كوكبان دريان»<sup>(١)</sup>. خرجه أبو الحسن بن صخر في فوائده وغيره.

وأخرج ابن المبارك ومؤمل بن إسماعيل وعلي بن معبد عن ابن مسعود حديثاً فيه: «ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، والصور قرن، فلا يبقى خلق في السموات والأرض إلا مات إلا ما شاء ربك»<sup>(٢)</sup>. الحديث وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] فمقتضى هذه الآية هلاك كل شيء إلا هو سبحانه قال العلامة: وهو قول في المسألة، قالوا: إن الله يفني كل شيء حتى الجنة والنار، ولا يبقى شيء سواه، قالوا: وهو معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] قال الغزالي: حدثني من لا أشك في علمه ومعرفته أن الاستثناء في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] واقع عليه سبحانه خاصة، ولو كان ثم أحد لأجابه سبحانه حين يقول: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فيقول: لك يا واحد يا قهار.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين الملوك»<sup>(٣)</sup>. وأخرج مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم

(١) ذكره الأوسى في روح المعاني (٣٠/٢٠) مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه وذكره السيوطي

في الدر المنثور (٢٥٣/٧) وعزاه لأبي الشيخ ذاكراً تصحيحه له وابن مردويه..

(٢) جزء من حديث روى نحوه البيهقي في شعب الإيمان (٣١٤/١) رقم ٣٥٥ وصحح إسناده، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٦٠/٨).

(٣) رواه البخاري رقم ٤٨١٢، ٦٥١٩ بلفظ «أين ملوك الأرض» ومسلم رقم ٢٧٨٧.

يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟<sup>(١)</sup>. والحق في المسألة: أن ثم شيئاً لم تخلق للفناء بل للبقاء، وقد نص على ذلك إمام السنة الإمام أحمد طيب الله ثراه، حيث قال: خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها، خلقهم الله عز وجل، ثم خلق لهما الخلق، لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً، قال: فإن احتج محتج بقول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ونحو هذا من مشابهة القرآن، فالجواب أن كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك فهالك، والجنة والنار خلقهما الله للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحوار خلقن للبقاء، ولم يكتب عليهن الفناء ولا الموت، قال فمن قال خلاف ذلك فهو مبتدع، انتهى وقد أطال في «حادي الأرواح» في الرد على زاعمي ذلك فراجع إن شئت، والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧٨٨ .  
 (٢) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة.



## الكتاب الثالث

في المحشر وما يتعلق به إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة

وأهل النار النار

وفيه ثمانية أبواب



## الباب الأول في نفخة البعث

وقد جاء في الكتاب العزيز آيات كلها تدل على نفخة البعث، منها:  
قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾  
[يس: ٥١]، وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]،  
وقوله: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨].

قال الكلبي وغيره: هي نفخة البعث، والناقور فاعول من النقر.

وقال تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ  
الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ٤١، ٤٢] الآية.

قال المفسرون: المنادي هو إسرئيل عليه السلام ينفخ في الصور وينادي:  
يا أيها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور  
المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

وقيل: ينفخ إسرئيل، وينادي جبريل.

والمكان القريب: صخرة بيت المقدس، قاله جماعة من المفسرين،  
وهي وسط الأرض. وقيل: وسط الأرض مكة المشرفة.

وقال علماء الهيئة: وسط الأرض جزيرة أرين، قالوا: هي نقطة  
الأرض كلها قفراها ومعمورها، وإذا توسطت الشمس الحمل لم يكن في  
هذه الجزيرة ظل لشيء قائم، وهي أعدل الأرض هواءً، واعتدل ليلها  
ونهارها طول الدهر لا يزيد ولا ينقص، ولا ينقص من شجرها ورقة.

قالوا: وكاد أن لا يموت فيها إنسان إلا على مائة عام. وفي هذه الجزيرة أعاجيب شتى ليس هذا محل ذكرها، والله أعلم.

وتقدم أن بين النفختين أربعين عاماً.

قال بعضهم: اتفقت الروايات على ذلك.

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون عاماً؟ قال: أبيت<sup>(١)</sup>... الحديث.

وقول أبي هريرة: أبيت، فيه تأويلات:

فقليل: أبيت، أي امتنعت من بيان ذلك لكم.

وقيل: أبيت أن أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

وقال الغزالي: حدثني من لا أشك في علمه، ومعرفته أن سر ذلك وأمره لا يعلمه إلا الله تعالى، لأنه من أسرار الربوبية.

وفي حديث: «أن بين النفختين أربعين عاماً»<sup>(٢)</sup>.

وفي تفسير الثعلبي عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير سورة الزمر: أن الله تعالى يرسل مطراً على الأرض، فينزل عليها أربعين يوماً حتى يكون

(١) مسلم رقم ٢٩٥٥.

(٢) جزء من حديث أخرجه ابن منده في الإيمان (٧٩٤/٢) وقد أورده ابن حجر في فتح الباري وضعفه، وهذا الجزم الوارد في هذه الرواية يخالف ما جاء في الحديث الصحيح السابق، وقد أخرج الطبري في التفسير (٢٧/١١) عن قتادة «ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» قال نبي الله: بين النفختين أربعون، قال: قال أصحابه فما سألناه عن ذلك ولا زادنا على ذلك غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة».

فوقهم اثني عشر ذراعاً، فيأمر الله عز وجل الأجساد أن تنبت كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت، قال الله تعالى: ليحيي حملة العرش، ليحيي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثم يدعو الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نوراً، والأخرى ظلمة، فيقبضها جميعاً، ثم يلقيها في الصور، ثم يأمره أن ينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كلها كأنها النحل، قد ملأت ما بين السماء والأرض، ثم يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها، فتدخل الأرواح من الخياشيم، ثم تمشي مشي السم في اللدغ، ثم تشقق الأرض، عنهم سراعاً، فأنا أول من تشق عنه الأرض فتخرجون منها إلى ربكم تنسلون<sup>(١)</sup>.

وفي الثعلبي في تفسير سورة الأعراف، وفي تفسير ابن عطية عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما: «إذا مات الناس كلهم في النفخة أمطر عليهم أربعين عاماً كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان، فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم يلقي عليهم نومة فينامون في قبورهم، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم كما

(١) جزء من حديث الصور الطويل رواه أبو الشيخ في العظمة (٣/٨٢٢)، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٢/٢٩٦) وقال عنه: هذا حديث مشهور وهو غريب جدا ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس ومنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء.

يجده النائم إذا استيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون ﴿يَوْمَلْنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَقِدِنَا﴾ [يس: ٥٢].

وأما قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، ففي كونه من كلام الله على لسان الكفار أو من كلامه على لسان الملائكة؟ قولان للمفسرين:

قال مجاهد: إن للكافرين هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم، فإذا صبح بأهل القبور قاموا مذعورين عاجلين ينظرون ما يراد بهم.  
تنبيه:

اختلف الناس هل البعث إعادة بعد تفريق أو إيجاد معدوم؟

قال التفازاني في «شرح عقائد النسفي» والبعث: هو أن الله يبعث الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها حق، وذكر آيات تدل على ذلك، ثم قال: وأنكره الفلاسفة بناء على امتناع إعادة المعدوم بعينه، وهو أنه لا دليل لهم عليه يعتد به، غير مضر بالمقصود؛ لأن مرادنا أن الله تعالى يجمع الأجزاء الأصلية للإنسان، ويعيد روحه إليه سواء سمي إعادة المعدوم بعينه أو لم يسم، وبهذا يسقط ما قالوا: إنه لو أكل إنسان إنساناً بحيث صار جزءاً منه، فتلك الأجزاء إما أن تعاد فيهما، وهو محال، أو في أحدهما فلا يكون الآخر معاداً بجميع أجزائه، وذلك لأن المعاد إنما هو الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره، والأجزاء المأكولة فضلة في الأكل لا أصلية. انتهى.

وتقدم الكلام على ذلك مبيناً.

قال عكرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن الذين يغرقون في البحر، وتقتسم لحومهم

الحيثان ولا يبقى منهم شيء إلا العظام، فتلقبها الأمواج إلى الساحل، فتمكث حيناً، ثم تصير نخرة، ثم تمر بها الإبل فتأكلها، ثم تسير الإبل فتبعر، ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه، ثم تحمد تلك النار فتجيء الريح فتلقي ذلك الرماد على الأرض، فإذا جاءت النفخة: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، يخرج أولئك وأهل القبور سواء».

وقال العلامة: قال العلماء: إن الله تعالى يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء، وبطن الأرض، وما أصاب النار - النيران - منها بالحرق، والمياه بالغرق، وما أبلته الشمس، وذرتة الرياح فإذا جمعها، وأكمل كل بدن منها ولم يبق إلا الأرواح نفخ في الصور وأمر إسرافيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح إلى جسدها ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

هذا وقد دل على قيام الناس من الأجداث، الكتاب والسنة، وإجماع الأمة.

قال تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَبِرٌ﴾ [القمر: ٧]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] والمراد يقومون من مصارعهم حيث كانوا في سائر أقطار الأرض.

وأول من ينشق عنه القبر النبي صلى الله عليه وسلم.

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سيد ولد آدم وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»<sup>(١)</sup>.

وفي البخاري: «أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا

(١) مسلم رقم ٢٢٧٨، وأبو داود (٦٣٠/٢) رقم ٤٦٧٣.

بموسى عليه السلام متعلق بالعرش فلا أدري أكذلك كان، أم بعد النفخة؟<sup>(١)</sup>.  
وفي بعض ألفاظ البخاري: «فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا  
أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور؟»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الحكيم الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم  
ويمينه على أبي بكر، وشماله على عمر فقال: هكذا نبعث يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.  
وفي الثعلبي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ثم تنشق عنكم الأرض،  
وأول من تنشق عنه الأرض أنا، فتسلون سراعاً إلى ربكم عن سن  
الثلاثين»<sup>(٤)</sup>.

وفي لفظ: «كانكم أبناء ثلاث وثلاثين، مهطعين إلى الداعي، فتقفون  
في موقف واحد سبعين عاماً حفاة عراة غرلاً بهما، لا ينظر الله إليكم، ولا  
يقضي بينكم، فتبكي الخلائق حتى تنقطع الدموع ويلجمهم  
العرق...»<sup>(٥)</sup>. الحديث.

وفي حديث علي بن معبد: «فتخرجون منها شباباً كلكم أبناء ثلاث  
وثلاثين...»<sup>(٦)</sup>.

(١) البخاري رقم ٤٨١٣ وفيه «أنا» بعد «فإذا».

(٢) البخاري رقم ٣٣٩٨، ٤٦٣٨.

(٣) أخرجه الترمذي (٦١٢/٥) رقم ٣٦٦٩، والحاكم (٣١٢/٤) رقم ٧٧٤٦ وقال: هذا  
حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: سعيد بن سلمة ضعفوه.

(٤) جزء من حديث الصور الطويل، انظر التعليق عليه ص ٦٠٥.

(٥) جزء من حديث الصور الطويل، انظر التعليق عليه ص ٦٠٥.

(٦) أخرج نحوه الطبراني في الكبير (٢٥٦/٢٠) رقم ٦٠٤ عن المقداد بن الأسود، وذكر  
نحوه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٥/٨) والهيتمي (٦٠٣/١٠) رقم ١٨٣٢٦ وقال:  
رواه الطبراني وفيه يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وهو ضعيف وفيه توثيق لين.

وفي البهجة للعلامة: اللسان يومئذ بالسريانية.

قلت: ويحتاج إلى توقيف ثابت عن المعصوم، والله سبحانه وتعالى

أعلم.

\* \* \*

## الباب الثاني

### في الحشر

وهو لغة: الجمع، تقول: حشرت الناس إذا جمعتهم.

والمراد به في القيامة: جمع الأجزاء بعد التفرق مع إحياء الأبدان بعد موتها، هذا مذهب الجمهور.

وزعم بعضهم: أن الحشر هو الإيجاد والإحياء بعد الإعدام عند البعث، وأجمع أهل السنة أن الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها، تقدمت الإشارة إلى ذلك.

واعلم أن موضع الحشر هو الأرض بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَجْدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤] أي على ظهر الأرض.

والعرب تسمي الفلاة وظهر الأرض ساهرة، لأن فيها نوم الحيوان، وسهره.

قال ابن عباس والحسن وعكرمة: ﴿فَأِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] أي على الأرض.

وقال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد»<sup>(١)</sup> أي ليس فيها سكن أو بناء أو

أثر لأحد وقيل معناه: أنها لم توطأ قبل ذلك. والحديث في الصحيحين عن سهل بن سعد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم ملاقو الله حفاة، عراة، غرلاً»<sup>(١)</sup>. زاد في رواية: «مشاة»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية قال: قام فينا رسول الله ﷺ [خطيباً] بموعظة، فقال: «أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة، عراة، غرلاً، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ألا وإن أول الخلائق يكسى إبراهيم عليه السلام، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْمَرْبِزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨] قال: فيقال لي: «إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»<sup>(٣)</sup> زاد في رواية: «فأقول: سحقاً سحقاً»<sup>(٤)</sup>.

رواه الشيخان، ورواه الترمذي<sup>(٥)</sup>، والنسائي<sup>(٦)</sup> بنحوه.

قال الحافظ المنذري: «الغرل بضم الغين المعجمة، وإسكان الرء،

(١) البخاري رقم ٦٥٢٥، ومسلم رقم ٢٨٦٠.  
 (٢) رواه البخاري رقم ٦٥٢٤، وأحمد (٢٢٠/١) رقم ١٩١٣.  
 (٣) أخرجه البخاري رقم ٣٣٤٩، ٤٦٢٥، ٤٧٤٠، ٦٥٢٦ بزيادة بعض الألفاظ اليسيرة واختلاف في أخرى، ومسلم رقم ٢٨٦٠.  
 (٤) البخاري رقم ٦٥٨٤، ومسلم ٢٣٠٤.  
 (٥) الترمذي (٦١٥/٤) رقم ٣٤٢٣.  
 (٦) النسائي في سننه (١١٧/٤) رقم ٢٠٨٧.

جمع أغرل: الأقلق».

وأخرج الشيخان عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعاً: «يحشر الناس حفاة، عراة، غرلاً» فقالت عائشة: فقلت الرجال والنساء جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ: «من أن ينظر بعضهم إلى بعض»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة». فقالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله، واسوأته، ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «شغل الناس»، قلت: ما شغلهم؟ قال: «نشر الصحائف فيها مناقيل الذر، ومناقيل الخردل»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات عن سودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة، غرلاً قد ألجمهم العرق، وبلغ شحوم الأذان». فقلت: يبصر بعضنا بعضاً؟ فقال: «شغل الناس» ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾<sup>(٤)</sup> [عبس: ٣٧].

واعلم أن الكفار يحشرون على وجوههم. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ الآية [الفرقان: ٣٤].

(١) البخاري رقم ٦٥٢٧، ومسلم رقم ٢١٩٤ باختلاف يسير.

(٢) مسلم السابق.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢٥٤/١) رقم ٨٣٣ بلفظ «الصحف» بدل «الصحائف»، وذكره الهيثمي (٦٠١/١٠) رقم ١٨٣٢٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن موسى بن أبي عياش وهو ثقة.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٣٤/٢٤) رقم ٩١، وذكره الهيثمي (٦٠١/١٠) رقم ١٨٣٢٢، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عباس وهو ثقة.

وقال: ﴿أَفَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾ الآية [الفرقان: ٣٤]. أيعسر الكافر على وجهه؟ قال رضي الله عنه: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه؟» قال قتادة: حين بلغه: «بلى وعزة ربنا»<sup>(١)</sup> رواه البخاري ومسلم.

وأخرج الترمذي، وحسنه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، صنفاً مشاة، وصنفاً ركبانا، وصنفاً على وجوههم» قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك»<sup>(٢)</sup>.

وتقدم الكلام على هذا الحديث.

وأخرج البزار عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «يبعث الله يوم القيامة ناساً في صور الذر، يطوهم الناس بأقدامهم، فيقال: ما هؤلاء الذي في صور الذر؟ فيقال: هؤلاء المتكبرون في الدنيا»<sup>(٣)</sup>.

وعند الترمذي، والنسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال

(١) رواه البخاري رقم ٤٧٦٠، ومسلم رقم ٢٨٠٦ بزيادة «يوم القيامة» بعد وجه الثانية.

(٢) رواه الترمذي (٣٠٥/٥) رقم ٣١٤٢، وأحمد (٣٥٤/٢) رقم ٨٦٣٢، و(٣٦٣/٢) رقم ٨٧٤٠ وتقدم.

(٣) ذكره الهيثمي (٦٠٤/١٠) رقم ١٨٣٢٧ وقال: رواه البزار، وفيه القاسم بن عبد الله العمري وهو متروك.

يفشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يقال له: بُؤْلَس، تملوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»<sup>(١)</sup> قال الترمذي: حديث حسن.

ورواه الإمام أحمد في (الزهد) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ: «يجاء بالجبارين، والمتكبرين يوم القيامة رجال في صورة الذر يطوهم الناس من هوانهم على الله عز وجل حتى يقضى بين الناس» قال: «ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار» قيل: يا رسول الله، وما نار الأنيار؟ قال: «عصارة أهل النار»<sup>(٢)</sup> ورواه صاحب الترغيب والترهيب<sup>(٣)</sup>.

وأخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل - هو مالك بن مرارة الرهاوي - : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً؟ فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»<sup>(٤)</sup>.

هذا الحديث وإن كان خارجاً عن الباب إلا أن له مناسبة ظاهرة، لأنه في معرض النهي عن التكبر، ولهذا بطل تأويل من زعم أن المراد بالكبر هنا الكبر عن الإيمان، أو أنه إذا مات لا يكون في قلبه كبر حين دخوله الجنة، بل المراد بالكبر هو: الارتفاع عن الناس واحتقارهم.

ويجاب عن مفهوم الحديث بما ذكره القاضي عياض، وغيره من

(١) رواه الترمذي (٦٥٥/٤) رقم ٢٤٩٢، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (١٧٩/٢) رقم ٦٦٧٧.

(٢) رواه أحمد في الزهد (٢٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٤٢/٧).

(٣) الترغيب والترهيب للمنزدي (٣/٣٥٥) رقم ٤٤١٨ بلفظ الترمذي.

(٤) مسلم رقم ٩١، وروى نحوه الترمذي (٣٦١/٤) رقم ١٩٩٩.

المحققين: أنه لا يدخلها دون مجازاة، أو لا يدخلها مع أول الداخلين.

وأما قوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال».

قيل: جميل هنا بمعنى مُجْمِل، ككريم وسميع بمعنى مُكْرَم ومُسْمِع.

وقال القشيري: معناه جليل.

وقيل معناه: ذو النور والبهجة، أي مالكتها.

وقيل: جميل الأفعال بكم والنظر إليكم، يكلفكم السير ويعين عليه،

ويثيب عليه الجزيل، ويعفو عن الكثير.

وقال النوري: هذا الاسم ورد في هذا الحديث الصحيح وورد أيضاً

في حديث الأسماء<sup>(١)</sup>، وفي إسناده مقال والمختار جواز إطلاقه على الله

سبحانه، ومن العلماء من منعه. وهذا المنع ممنوع.

قال العلماء: ما ورد الشرع بإطلاقه في أسمائه وصفاته أطلقناه، وما

منع الشرع منعه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم يقض فيه بحكم.

ذكر نحو هذا إمام الحرمين الجويني ثم قال: ولا يشترط في جواز

الإطلاق ورود ما يقطع به في الشرع ولكن ما يقتضي العمل به، وأطال في

«حياة الحيوان» والله أعلم.



(١) رواه ابن ماجه (١٢٦٩/٢) رقم ٣٨٦١، وقال: في الزوائد لم يخرج أحد من الأئمة الستة

عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا من غيره غير ابن ماجه والترمذي، قال:

وإسناده طريق ابن ماجه ضعيف لضعف عبد الملك بن محمد.

### فصل

واعلم أن العبد يبعث على ما مات عليه، ففي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه لما احتضر دعا بثياب جدد يلبسها ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها»<sup>(٢)</sup> رواه أبو داود، والحاكم وصححه.

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه دفن أمه في ثياب جدد، وقال: «حسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون فيها». وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نحوه.

قال القرطبي: هذه الأحاديث معارضة لحديث الحشر عراً، فبعضهم قال: بظاهره، والأكثر حملوها على الشهيد الذي أمر أن يدفن بثيابه التي قتل فيها، وأن أبا سعيد سمع الحديث في الشهيد فحمله على العموم.

وقال البيهقي: يجمع بأن بعضهم يحشر عارياً، وبعضهم بثيابه، أو يخرجون من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر.

وقال الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب): قد قال كل من وقفت على كلامه من أهل اللغة أن المراد بقوله: يبعث في ثيابه التي مات

(١) مسلم رقم ٢٨٧٨ .

(٢) رواه أبو داود (٢٠٧/٢) رقم ٣١١٤، والحاكم (٤٩٠/١) رقم ١٢٦٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

فيها. أي في أعماله، قال الهروي: وهذا الحديث كحديثه الآخر، يبعث العبد على ما مات عليه. قال: وليس قول من ذهب إلى الأكفان بشيء؛ لأن الميت إنما يكفن بعد الموت. انتهى.

وأخرج الشيخان: أن شارب الخمر يبعث والكوز معلق في عنقه، والقدرح بيده، وهو أنتن من كل جيفة على الأرض، يلعنه كل من يمر به من الخلق<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيح: «المقتول في سبيل الله يأتي يوم القيامة، وجرحه يشخب دمًا، اللون لون دم، والريح ريح المسك»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت، ولا في قبورهم، ولا في منشرهم، وهم يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾»<sup>(٣)</sup> [فاطر: ٣٤].

وذكر الفخر في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ

(١) لم أفق على هذا اللفظ في الصحيحين أو غيرهما، وذكر نحوه أو قريباً منه العجلوني في كشف الحفاء (٢٦٣/١) رقم ٧٠١ فقد قال فيه: وفي الدرر الفاخرة للغزالي «يبعث السكران سكراناً يوم القيامة، والزمار زامراً، وشارب الخمر والكوز معلق في عنقه، وكل أحد على الحال الذي صده في الدنيا عن سبيل الله».

(٢) رواه مالك في الموطأ (٤٦١/٢) رقم ٩٨٤ عن أبي هريرة بلفظ «والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يشخب دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك» والبخاري رقم ٢٨٠٣، ومسلم رقم ١٨٧٦.

(٣) روى الطبراني في الأوسط (١٧١/٩) رقم ٩٤٤٥ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا عند القبر» وذكره الهيثمي (١٠/٨٩) رقم ١٦٨٠٧، وقال رواه الطبراني في الأوسط ورقم ١٦٨٠٨ وقال: وفي الرواية الأولى يحيى الحماني وفي الأخرى مجاشع بن عمرو وكلاهما ضعيف.

وَفَدَا ﴿ [مریم: ٨٥] عن علي كرم الله وجهه قال: والذي نفسي بيده إن المتقين إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب. والوفد: القوم الركبان يفدون على الملك. والسوق: القوم يساقون على أرجلهم.

وقال ابن عباس: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَا﴾ [مریم: ٨٥] قال: ركبانا.

﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدَا﴾ [مریم: ٨٦] قال: عطاشاً. وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم، وأبو يعلى، وابن حبان مرفوعاً: «يبعث الله يوم القيامة قوماً من قبورهم تاجح أفواههم ناراً». فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «ألم تر أن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> [النساء: ١٠]».

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما من أمير عشرة إلا أتى يوم القيامة مغلولاً، لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أبو يعلى، والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٣٥٧/١٣) رقم ٧٤٤٠، وابن حبان في صحيحه (٣٧٧/١٢) رقم ٥٥٦٦ وذكره الهيثمي (٥٥/٧) رقم ١٠٩١٥ وقال رواه أبو يعلى والطبراني وفيه زياد ابن المنذر وهو كذاب.

(٢) أحمد (٢٨٥/٥) رقم ٢٢٥١٦، وأخرج نحوه باختلاف يسير في (٤٣١/٢) رقم ٩٥٧٠، و(٢٦٧/٥) رقم ٢٢٣٥٤ ورواه الطبراني في الكبير (٢٢/٦) رقم ٥٣٨٨ من حديث سعد ابن عباد، وذكره الهيثمي (٣٧٠/٥) رقم ٩٠٣٥ وقال: رواه أحمد والبخاري والطبراني وفيه رجل لم يسم وبقية أحد إسنادي أحمد رجالهما رجال الصحيح.

نار، ومن قال في القرآن من غير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار»<sup>(١)</sup>.

وفي الجملة: فالناس مختلفون، فكل يحشر على حاله بحسب عمله.

وروى محمد بن نصر المروزي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة على قدر صنعهم في الصلاة» وفسره بعض رواه بقبض شماله يمينه، والانحناء هكذا» وبإسناده عن أبي صالح السمان قال: «يبعث الناس يوم القيامة هكذا، ووضع إحدى يديه على الأخرى».

نقله ابن رجب في كتابه «الذل والانكسار» والله سبحانه وتعالى الموفق.



(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٥٨/٤) رقم ٢٥٨٥، وأخرج الطبراني في الكبير (١١/١٤٥) رقم ١١٣١٠، والأوسط (٢/٣٨٢) رقم ٢٢٩٠ أوله المتعلق بالعلم، وذكره الهيثمي (١/٤٠٠) رقم ٧٤١ وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير باختصار... ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

## الباب الثالث

## في الوقوف في المحشر

وشدة ما يلقاه الناس من الأهوال في تلك المحال<sup>(١)</sup>

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَايِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْئَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].

وقال: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَأَتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨] أي زمراً زمراً.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة، وطائر، وإنسان».

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥].  
يحشر كل شيء حتى الذباب ليحشر.

قال العلامة: والحاصل أن الله تعالى يجمع في ذلك اليوم الأولين  
والآخرين، حتى لا يدري الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام.

وفي تفسير مكّي: يحشر الناس يوم القيامة على أرض قد مدها الله  
تعالى مد الأديم العكاظي، فهم في ضيق مقامهم فيها كضيق سهام اجتمعت  
في كنانتها، فالسعيد يومئذ من يجد لقدمه مقاماً، قال: وأكثر الأقدام يومئذ  
بعضها على بعض.

(١) هكذا في الأصل ولعلها (الأحوال).

لطيفة:

ذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده عن وهب بن منبه قال: إذا قامت القيامة - الساعة - صرخت الحجارة صراخ النساء، وقطرت العضة<sup>(١)</sup> دماً.

فائدة:

اختلف العلماء في تسمية يوم البعث والحشر يوم القيامة على أربعة أقوال:  
الأول: لوجود أمور المحشر، والوقوف، ونحوهما فيه.

الثاني: لقيام الخلق كلهم من قبورهم إليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَّاءً﴾ [المعارج: ٤٣].

الثالث: لقيام الناس لرب العالمين، كما روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» [المطففين: ٦] قال: يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: يقومون مائة سنة.

ويروى عن كعب: يقومون ثلاثمائة سنة.

الرابع: لقيام الروح والملائكة صفاءً، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَاءً﴾ [النبا: ٣٨].

قال العلماء رحمهم الله تعالى: اعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته، لكنها قيامة صغرى.

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٦٢، والبخاري رقم ٦٥٣١.

(٢) في الأصل (العضة) ولعل المثبت هو الصحيح، إذ هو الوارد، كما في الحلية (٤/٦٣).

قال القرطبي: القيامة قيامتان، صغرى، وكبرى، فالصغرى ما تقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه، وانقطاع سعيه، وحصوله على عمله. والكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة.

قال: والدليل على أن كل من مات فقد قامت قيامته قول المعصوم عليه السلام لقوم من الأعراب سألوه عن الساعة فنظر إلى أحدث إنسان فقال: «إن يعيش هذا يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم»<sup>(١)</sup> خرجه مسلم وغيره.

وقال الشاعر:

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي      غداة أقلّ الحاملون جنازتي  
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا      خروجي وتعجيلي إليه كرامتي  
كأنهم لم يعرفوا قط سيرتي      غداة أتى يومي علي وساعتي  
تنبيه:

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في مقدار مدة الوقوف بالمحشر وذلك لورود الآثار في ذلك.

تقدم قول ابن عمر، وكعب رضي الله عنه.

وقال مكي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] روى «أن الناس يقومون حتى يلجمهم العرق، فيقومون مقدار أربعين عاماً»<sup>(٢)</sup>. وأخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة.

(١) البخاري رقم ٦٥١١، ومسلم رقم ٢٩٥٢ وفيه (لم) بدل (حتى).  
(٢) روى نحوه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣٠٣/١) رقم ٢٧٩ عن ابن مسعود وذكره الجرجاني في تاريخ جرجان (٣٥٠، ٣٥٤)، ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/١٣١)، ولم أقف عليه عند البيهقي في الشعب والسنن الكبرى.

وقال ابن مسعود: يمكثون أربعين سنة رافعين رؤوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد أجمعهم العرق، كل بر وفاجر، قال: فينادي مناد أليس عدلاً من ربكم أنه خلقكم ثم صوركم ثم رزقكم، ثم توليتم غيره أن يولي كل عبد منكم ما تولى في الدنيا؟ فيقولون: بلى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «يقومون سبعين عاماً».

وقيل: مقداره: ألف سنة.

أخرج الطبراني أن ابن عمر رضي الله عنهما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال له: «أما مقام الناس بين يدي رب العالمين فألف سنة لا يؤذن لهم»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البيهقي عنه مرفوعاً: «يمكثون ألف عام في الظلمة يوم القيامة لا يكلمون»<sup>(٢)</sup>.

وقيل مقداره: خمسون ألف سنة.

أخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، قال: «كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم؟»<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٤٢/٨) عن عبد الله بن عمرو، والهيثمي (٦١٠/١٠) رقم ١٨٣٤٩ وقال: رواه الطبراني وفيه هشام بن بلال ولم أعرفه ببقية رجاله وثقوا، ولم أقف عليه عند الطبراني.

(٢) ذكره السيوطي في البدور السافرة (١٠٨) رقم ٢٨٢ وعزاه للبيهقي ولم أقف عليه عند البيهقي.

(٣) أخرجه الحاكم (٦١٦/٤) رقم ٨٧٠٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي (٢٨٥/٧) رقم ١١٤٧٦ وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وأخرج الإمام أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان، والبيهقي بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما طول هذا اليوم؟ فقال: «والذي نفسي بيده، إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلحها في الدنيا»<sup>(١)</sup>.

وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «ما قدر طول يوم القيامة على المؤمن إلا كقدر ما بين الظهر إلى العصر»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن المبارك، والطبراني، وابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً قال: «يجمعون يوم القيامة فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ فيقومون، فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابتليتنا فصبرنا، ووليت الأموال والسلطان غيرنا، فيقول الله: صدقتم، فيدخلون الجنة قبل الأغنياء بزمن، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان، قالوا: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: يوضع لهم كراسي من نور ويظل عليهم الغمام، ويكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٧٥/٣) رقم ١١٧٣٥، أبو يعلى في مسنده (٥٢٧/٢) رقم ١٣٩٠، وابن حبان في صحيحه (٣٢٩/١٦) رقم ٧٣٣٤ والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٤/١) ضمن كلامه على حديث رقم ٣٦١ وذكره الهيثمي (٦١٠/١٠) رقم ١٨٣٤٧ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه.

(٢) أخرجه الحاكم (١٥٨/١) رقم ٢٨٣ وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأخرج نحوه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٥/١) رقم ٣٦٢ ..

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٣٥/١٦) رقم ٧٤١٩ عن عبد الله بن عمرو وابن أبي شيبه في المصنف (٣٨/٧) رقم ٣٤٠٢٨، و(١٢٨/٧) رقم ٣٤٧١٥، وابن المبارك في الزهد (٢٢٦) رقم ٦٤٣، وذكره الهيثمي (٦١١/١٠) رقم ١٨٣٥٠ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي كثير الزبيدي وهو ثقة.

فتحصل لنا ستة أقوال في المسألة: أربعون عاماً، أو سبعون، أو ألف، أو خمسون ألفاً، أو مائة عام، أو ثلاثمائة.

والظاهر أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص على حسب الأعمال، بدليل كونه على المؤمنين أخف من الصلاة المكتوبة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

### لطيفة:

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن يوم القيامة أمن الدنيا هو أم من الآخرة؟ قال: صدر ذلك اليوم من الدنيا، وآخره من الآخرة، والله الموفق. وأخرج ابن المبارك عن كعب قال: لو أن رجلاً كان له مثل عمل سبعين نبياً لخشي أن لا ينجو من ذلك اليوم.

وأخرج الإمام أحمد عن عتبة بن عبد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هرماً في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البيهقي عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] قال: تشخص فيه فلا ترد إليهم ﴿مُهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٣]. إلى الداعي عامدين إليه ﴿مُقِنِّي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

(١) أخرجه أحمد (١٨٥/٤) رقم ١٧٦٨٦، ورقم ١٧٦٨٧، والطبراني في الكبير (١٢٢/٣) رقم ٣-٣، وفي مسند الشاميين (١٧٥/٢) رقم ١١٣٨، وذكره الهيثمي (٢١١/١) رقم ١٥٥ وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

قال: انتزعت قلوبهم حتى صارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا ترجع إلى أماكنها.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ أذانهم»<sup>(١)</sup>.

وفي بعض ألفاظ الصحيح: «سبعين باعاً»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل أو ميلين، قال: فتصهرهم الشمس فيكون في العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عقبه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إجماماً»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية له: «تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل»، قال سليم بن عامر: والله ما أدري ما يعني بالميل؟ مسافة الأرض، أو الميل الذي تكحل به العين، قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً، وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني، وابن حبان في صحيحه، والحاكم

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٥٣٢، ومسلم رقم ٢٨٦٣ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) في مسلم رقم ٢٨٦٣.

(٣) مسلم رقم ٢٨٦٤ بزيادة (العرق) قبل إجماماً، واختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) انظر تخريج الحديث السابق.

وقال صحيح الإسناد، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه، ومنهم من يبلغ نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبته ومنهم من يبلغ إلى العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ عنقه، ومنهم من يبلغ وسط فيه، وأشار بيده أجمها فاه، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير هكذا، ومنهم من يغطيه عرقه، وضرب بيده وأشار، وأمر يده فوق رأسه من غير أن يصيب الرأس، دَوَّرَ راحته يميناً وشمالاً»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «الأرض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها كواعبها وأكوابها، والذي نفس عبد الله بيده إن الرجل ليفيض عرقاً حتى يسبح في الأرض قامته، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب».

قالوا: مم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: مما يرى الناس. رواه الطبراني بإسناد جيد قوي.

وعنه مرفوعاً: «إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول: يا رب أرحني ولو إلى النار»<sup>(٢)</sup>.

رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد، وأبو يعلى وابن حبان بلفظ: «إن الكافر ليلجمه العرق...» الحديث.

(١) أخرجه أحمد (١٥٧/٤) رقم ١٧٤٧٥ وليس فيه «وأمر يده فوق رأسه» إلى آخره، والطبراني في الكبير (٢٥٥/٢٠) رقم ٦٠٢، وفي مسند الشاميين (٣٢٥) رقم ٥٧٣، وابن حبان في صحيحه (٣٢٤/١٦) رقم ٧٣٢٩، والحاكم في المستدرک (٦١٥/٤) رقم ٨٧٠٤ بلفظ المصنف، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن حبان (٣٣٠/١٦) رقم ٧٣٣٥، والطبراني في الكبير (٩٩/١٠) رقم ١٠٠٨٣، وفي الأوسط (٣٦٣/٨) رقم ٨٨٨١، وأبو يعلى في مسنده (٣٩٨/٨) رقم ٤٩٨٣.

والحاكم عن جابر وصححه بلفظ: «إن العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول: يا رب إرسالك بي إلى النار أهون عليّ مما أجد، وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» [المطففين: ٦] مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة، فيهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب»<sup>(٢)</sup>.

رواه أبو يعلى بإسناد صحيح، وابن حبان في صحيحه.

قلت: وهو سابع الأقوال لأنه أفاد أن مدة الوقوف نصف يوم من خمسين ألف سنة، فيكون مقدار الوقوف خمسة وعشرين ألف سنة، والله أعلم.

#### فائدة:

قال الحافظ المنذري رحمته الله: «قد صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» انتهى. فيكونون قد سلموا من تلك الأهوال الشديدة والأحوال المكيدة، وفي ذلك مزية للفقير وأهله»<sup>(٣)</sup>.

ففي مسند الإمام أحمد عن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قمت على باب الجنة، فإذا عامة من يدخلها الفقراء إلا أن أصحاب الجدد -

(١) الحاكم (٦٢٠/٤) رقم ٨٧٢٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: الفضل واه، وروى نحوه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/٢١٠).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٤١٥/١٠) رقم ٦٠٢٥ وليس فيه «يوم» في أوله، وابن حبان في صحيحه (٣٢٨/١٦) رقم ٧٣٣٣، وذكره الهيثمي (١٠/٦١٠) رقم ١٨٣٤٨ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن عبد الله بن خالد وهو ثقة.

(٣) في حاشية الأصل/ قف على مزية الفقر وأهله.

أي الحظ والثروة والمال - محبسون، إلا أهل النار فقد أمر بهم إلى النار<sup>(١)</sup>. الحديث متفق عليه.

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خريفاً»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس»<sup>(٤)</sup>.

وقال ﷺ: «ما من ذي غنى إلا يود يوم القيامة لو كان إنما أوتي قوتاً»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢٠٩/٥) رقم ٢١٨٧٤، والبخاري رقم ٥١٩٦، ٦٥٤٧ بلفظ «المساكين» بدل الفقراء، ومسلم رقم ٢٧٣٦.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٩٧٩، وأحمد (١٦٩/٢) رقم ٦٥٧٨، وابن حبان في صحيحه (٢/٤٥٣) رقم ٦٧٨ بلفظ «سبعين أو أربعين».

(٣) أخرجه أحمد (٢٩٦/٢) رقم ٧٩٣٣، و(٣٤٣/٢) رقم ٨٥٠٣ بلفظ «المسلمين» بدل «المؤمنين» والترمذي (٥٧٨/٤) رقم ٢٣٥٤ بلفظ «الفقراء المسلمين» وقال: هذا حديث صحيح، والطبراني في الأوسط (٣٣/١) رقم ٨٤، وابن أبي شيبة (٨٥/٧) رقم ٣٤٣٨٧.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٩٤/٧) رقم ٧١٨١ عن شداد بن أوس والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٠/٧) رقم ١٠٥٠٩، وابن المبارك في الزهد (١٩٩) رقم ٥٦٨. وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٨٢٨/٢) رقم ١٨٣٥ وقال: قال الحافظ ابن حجر باطل موضوع.

(٥) رواه أحمد (١٦٧/٣) رقم ١٢٧٣٣، و(١١٧/٣) رقم ١٢١٨٤، وأبو يعلى في مسنده (٣٥٤/٧) رقم ٤٣٤١ كلام عن أنس باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وعبد بن حميد في مسنده (٣٧٠) رقم ١٢٣٥ وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٣٥) رقم ٥٧ وقال: في إسناده نفي عن أنس ونفي متروك.

وقال عليه السلام : «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله عز وجل إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا، فيقول: وعزتي وجلالي، ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي، ولكن لما أعددت لك من الكرامة، اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، فمن أطعمك أو كساك يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك»<sup>(١)</sup>.

ذكر ذلك جميعه الإمام ابن الجوزي في (التبصرة).

وقال فيها: قيل لموسى عليه السلام إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين.

وأخرج ابن أبي الدنيا، والطبراني من طرق أحدها صحيح واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء». قال: وينزل الله عز وجل - أي نزولاً يليق بذاته المقدسة عن الشبيه، والمثيل، فمذهب أهل الحق التسليم بما أخير لا كما يخطر للبشر، ومرور نحو هذا كما جاء من غير تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل، ولا تمثيل، كما قال شيخ الإسلام قدس الله روحه: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، فالمشبه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً. انتهى - «في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد: يا أيها الناس، ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم، وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولي كل أناس منكم ما كانوا يعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى، فينطلق كل قوم إلى ما كانوا

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/١٩٦) وقال عنه العراقي: أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بإسناد ضعيف.

يعبدون ويتولون في الدنيا، قال: فينطلقون، ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، والأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون». قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطاناً، ويمثل لمن كان يعبد عزيزاً شيطان ويبقى محمد ﷺ وأمه فيتمثل لهم الرب تبارك وتعالى، فيأتيهم فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال: فيقولون: إن لنا إلهاً ما رأيناه فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال: فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساقه فيخر كل من كان يسجد لله في الدنيا، ويبقى قوم ظهورهم كصيافي - أي قرون - البقر، يريدون السجود فلا يستطيعون، ﴿وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ وَهُمْ سَلْمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]. ثم يقول: ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم<sup>(١)</sup> الحديث.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني بسند جيد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لم يلق ابن آدم شيئاً منذ خلقه الله أشد عليه من الموت، ثم إن الموت أهون مما بعده، وإنهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدة حتى يلجمهم العرق، حتى إن السفن لو أجريت<sup>(٢)</sup> فيه لجرت»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥٧/٩) رقم ٩٧٦٣ باختلاف يسير في بعض الكمات، وذكره الهيثمي (٦٢٠/١٠) رقم ١٨٣٥٢، ١٨٣٥٣ وقال: رواه كله الطبراني من طرق رجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة.

(٢) في الأصل (أجبرت) وفي حاشية الأصل أيضاً: لعله أجريت بتقديم الراء على الياء، انتهى، كاتبه سعيد.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٧٧/٢) رقم ١٩٧٦ واللفظ له، وأحمد (١٥٤/٣) رقم ١٨٣٣١ وليس فيه «وإنهم ليلقون» إلى آخره، وذكره الهيثمي (٦٠٥/١٠) رقم ١٨٣٣١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد، ورواه أحمد باختصار عنه ولم يشك في رفعه وإسناده جيد.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه تعلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»<sup>(١)</sup>.

وقد نظم بعضهم هذا وأحسن فقال:

روينا حديثاً في الصحيحين سبعة	يظلهم المولى بخير ظلال
إمام له عدل ومن في عبادة	نشأ بالتقى لله لا بضلال
ومن قلبه يهوى المساجد دائماً	تعلقه فيها بنير زوال
وشخصان في الله الكريم تحابيا	بحال افتراق منهما ووصال
ومتصدق أخفى التصدق لم يكن	بما أنفقت يمينه علم شمال
وإني أخاف الله من قال عندما	دعت ذات مال منصب وجمال
ومن ذكر الرب المهيمن خالياً	ففاضت به عيناه خوف نكال
فأكرم بهم من سبعة طيب الثنا	وأكرم بها في القوم سبع خصال

وأخرج الإمام أحمد، والحاكم عن سهل بن حنيف مرفوعاً: «من أعان مجاهداً في سبيل الله، أو غارماً في عسرته، أو مكاتباً في رقبته أظله الله يوم لا ظل إلا ظله»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦، ومسلم رقم ١٠٣١ بلفظ «معلق» بدل «تعلق».

(٢) رواه أحمد (٤٨٧/٣) رقم ١٦٠٢٩، ١٦٠٣٠ والحاكم (٩٩/٢) رقم ٢٤٤٨، و(٢/٢٣٦) رقم ٢٨٦٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي بقوله: بل عمرو رافضي متروك، ورواه الطبراني في الكبير (٨٦/٦) رقم ٥٥٩٠، ٥٥٩١، وابن أبي شيبة (٢٣٠/٤) رقم ١٩٥٥٤، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥/٤) =

وأخرج الطبراني عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من أطعم الجائع حتى يشبع أظله الله تحت ظل عرشه»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث: «من أنظر معسراً أظله الله يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>. أو كما قال.

وفي حديث جابر عند الطبراني مرفوعاً: «من كفل يتيمًا، أو أرملة أظله الله في ظله يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الطبراني وابن عدي والأصبهاني عن أبي هريرة مرفوعاً: «أوحى الله إلى إبراهيم الخليل عليه السلام يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل منازل الأبرار، وأن كلمتي سبقت لمن أحسن خلقه أن أظله تحت عرشي، وأن أسكنه في حظيرة قدسي، وأذنيه من جوازي»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟ الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، ويحكمون

---

= رقم ٤٢٧٧، وذكره الهيثمي (٤٣٩/٤) رقم ٧٢٤٤ وقال: رواه أحمد وفيه عيب الله ابن سهل بن حنيف ولم أعرفه، وبقية رجاله حديثهم حسن، وفي (٥١٥/٥) رقم ٩٤٦٣ وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه عبد الله بن سهل بن حنيف ولم أعرفه، وعبد الله بن محمد بن عقيل حديثه حسن.

(١) ذكره ابن حجر في الأمالي المطلقة (١١٠) وقال: هذا حديث غريب.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٣٠٠٦ عن عبادة، والترمذي (٥٩٩/٣) رقم ١٣٠٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأحمد (٣٥٩/٢) رقم ٨٦٩٦.

(٣) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط (١١٧/٩) رقم ٩٢٩٢ وليس فيه «يوم القيامة» وذكره الهيثمي (١١٤/٣) رقم ٤٠٦٦ وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه الخليل بن مرة وفيه كلام.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣١٥/٦) رقم ٦٥٠٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/٢٢٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦/٨) رقم ١٢٦٦٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي وهو ضعيف.

للناس حكمهم لأنفسهم»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث: «الحزين - يعني في الدنيا - في ظل الله . . .»<sup>(٢)</sup>.

قلت: والمراد الحزين من أجل الله؛ لأن قلبه محزون، ولبه خاضع لجلال الله وعظمته، وأما المحزون على الدنيا فهو ساخط على الله، لأنه غير راض بما قسم الله.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرضينا بقضائه، فإن العبد ليس له حيلة في دفع القضاء إلا التسليم، والرضا، ولي في المعنى:

ما لي على مر القضاء من حيلة غير الرضا  
أنا في الهوى عبد وما للعبد أن يتعرضا  
فنسأل الله الرضا بالقضاء.

وفي الحديث: «ثلاثة في ظل العرش: واصل الرحم يزيد الله في رزقه ويمد في أجله، وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتاماً صغيراً فقالت: لا أتزوج أقيم على أيتامي حتى يموتوا، أو يغنيهم الله»<sup>(٣)</sup> وعبد صنع طعاماً

(١) رواه أحمد (٦٧/٦) رقم ٢٤٤٢٤، بزيادة بعض الألفاظ و(٦٩/٦) رقم ٢٤٤٤٣، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٠٤/٧) رقم ١١١٣٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٦)، وذكره ابن حجر في الأمالي المطلقة (١١٣) وقال: هذا حديث غريب . . . ولم أره إلا من حديث ابن لهيعة وحاله معروف وذكره في (٢٠٣) وقال: وابن لهيعة وإن كان سيء الحفظ فحديثه أولى بالقبول.

(٢) جزء من حديث أخرجه الحاكم (٣٦٦/٤) رقم ٧٩٤١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وفي (٥٣٣/١) رقم ١٣٩٥ وقال: هذا حديث رواه عن آخرهم ثقات، والبيهقي في شعب الإيمان (١٥/٧) رقم ٩٢٩١ كلهم عن أبي ذر.

(٣) في حاشية الأصل/ قف على كفالة المرأة أيتامها وفضل ذلك.

فأضافه ضيفه، وأحسن نفقته فدعا عليه اليتيم والمسكين فأطعمه»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني والديلمي عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «ثلاثة في ظل الله يوم القيامة: رجل حيث توجه علم أن الله تعالى معه، ورجل دعت امرأة إلى نفسها فتركها من خشية الله، ورجل يحب الناس لجلال الله»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الديلمي عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً: «حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الأصبهاني، والديلمي عن أنس مرفوعاً: «التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

والديلمي، وابن شاهين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً: «يصبح صائح يوم القيامة: أين الذين عادوا المرضى في الدنيا؟ فيجلسون على منابر من نور يتحدثون الله، والناس في الحساب»<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٨١٦/١٥) رقم ٤٣٢٤٣، وعزاه لأبي الشيخ في الثواب والأصبهاني في مسند الفردوس، وذكره كذلك المناوي في فيض القدير (٣١٨/٣) وقال: فيه حفص بن عبد الرحمن قال الذهبي. مضطرب الحديث.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٤٠/٨) رقم ٧٩٣٥، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٣٧) وقال: وقد دل القرآن على هذا المعنى في مواضع متعددة، والهيثمى (٤٩٦/١٠) رقم ١٨٠١٧ وقال: رواه الطبراني وفيه بشر بن نمير وهو متروك.

(٣) ذكره السيوطي في البدور السافرة (١٣٠) رقم ٣٦٠ وعزاه للديلمي.

(٤) ذكره ابن حجر في الأمالي المطلقة/١٠٩ وقال: هذا حديث غريب فُرد به يحيى بن شبيب وهو منكر الحديث متهم عند الأئمة، والهندي في كنز العمال (٧/٤) رقم ٩٢١٨، والألباني في السلسلة الضعيفة رقم ٢٤٠٥ وقال: موضوع.

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٩/٥)، و(٨٣/٤٣)، وذكره الهندي في كنز العمال (٣٨٨ /٦) رقم ١٦١٩٢ وقال: ابن عساكر عن عمر، الشيرازي في الألقاب والرافعي عن ابن عمر.

والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «بشر المدلجين [إلى المساجد] في الظلم بمنابر من نور يوم القيامة، يفرح الناس ولا يفرعون»<sup>(١)</sup>.

ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: «إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين العرش، هم الذين يعدلون في حكمهم، وأهلهم، وما ولوا»<sup>(٢)</sup>.

وعنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يقول الله يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»<sup>(٣)</sup>.

والإمام أحمد وابن حبان، والترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً: «المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، يغطهم بمكانهم النبيون والشهداء»<sup>(٤)</sup>.

وفي مرفوع ابن عمر: «إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عليها قباب من در، ثم ينادي مناد أين الفقهاء، وأين الأئمة والمؤذنون؟ اجلسوا على هذه فلا روع عليكم ولا خوف حتى يفرغ الله فيما بينه وبين

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٤٢/٨) رقم ٧٦٣٣، و(٢٩٣/٨) رقم ٨١٢٥، وفي مسند الشاميين (١٢٣/٢) رقم ١٠٣٣، وذكره الهيثمي (١٤٩/٢) رقم ٢٠٨٦ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه سلمة العبسي عن رجل من أهله بينه، ولم أجد بيته ولم أجد من ذكرهما.

(٢) مسلم رقم ١٨٢٧ بلفظ «عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»، وأحمد (١٦٠/٢) رقم ٦٤٩٢، وابن حبان في صحيحه (٣٣٧/١٠) رقم ٤٤٨٥.

(٣) مسلم رقم ٢٥٦٦، وأحمد (٣٧٠/٢) رقم ٨٨١٨.

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٩/٥) باختلاف في بعض الألفاظ، ونحوه الطبراني في مسند الشاميين (٣٤١/٣) رقم ٢٤٣٣، والحاكم (١٨٧/٤) رقم ٧٣١٦ وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

العباد من الحساب»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «إن لله عباداً اختصهم لنفسه لقضاء حوائج الناس، وآل على نفسه ألا يعذبهم بالنار، فإذا كان يوم القيامة أجلسوا على منابر من نور يحدثون الله، والناس في الحساب»<sup>(٢)</sup>.

تنبيه:

قال صاحب «مطامح الأفهام»: إضلال الله تعالى لهم: عبارة عن أنه سبحانه يقيهم أهوال المحشر ويعصمهم من حر الشمس حينئذ، ويحمهم من شدة العطش الذي يصيب الخلق يومئذ، والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) ذكره السيوطي في البدور السافرة (١٤٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥٨/١٢) رقم ١٣٣٣٤ بسياق آخر وهو «إن لله عز وجل خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفرع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الأمنون من عذاب الله»، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٢٥/٣) وذكره الهيثمي (٣٥٠/٨) رقم ١٣٧١٠ وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن أيوب وضعفه الجمهور وحسن حديثه الترمذي، وأحمد بن طارق الراوي عنه لم أعرفه وبقيته رجاله رجال الصحيح.

(٣) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة.

### فصل: في الشفاعة العظمى

قال شيخ الإسلام في «الواسطية»: وللنبي ﷺ ثلاث شفاعات، أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه ﷺ كما يأتي.

والثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

فهاتان خاصتان له ﷺ.

الثالثة: يشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصدّيقين وغيرهم من عباد الله الصالحين، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

وبعضهم أوصل الشفاعات المختص بها ﷺ إلى عشر، والله أعلم.

وقد مر مقدار الوقوف، وأن الشمس تدنو من رؤوس الخلائق مقدار ميل، وما يصيبهم من العرق من شدة الهول، وعظم حر الشمس يومئذ.

وقد قال بعض السلف: لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض، وأذابت الجوامد، ونشفت الأنهار، فإذا حصل ذلك الكرب العظيم، والبلاء الجسيم لجميع الخلق من إنس وجن، ووحش وطير، والعقول قد ذهلت، وطال مقامهم، واشتد زحامهم، وسكبت العبرات، وذهبت الإشارات، احتاجوا لشفاعة سيد العالم، وصفوة بني آدم، وهي الشفاعة الكبرى التي وعده بها أرحم الراحمين، وهي تعم الخلائق أجمعين، وتنقذهم من طول الوقوف، وشدة الحر،

والزحمة في تلك الصفوف، ومن الفزع من ذلك اليوم، والقلق وعظم العطش، وكثرة العرق، وهي المشار إليها في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

قاله جماعة من علماء التفسير، بل زعم الواحدي أنه قد أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة، وثم نزاع طويل لسنا بصدد بيانه.

إذا علمت ذلك، فقد أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيصبرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ وما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه، وما بلغنا؟ فقال: - وفي بعضها فيقول: - إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كان لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا<sup>(١)</sup>؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد.

فيأتوني، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنتقل فأتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمّتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من

(١) في الأصل بلغنا وهو خطأ.

أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر و كما بين مكة وبُصرى»<sup>(١)</sup>.

## تنبيهات:

الأول: قول إبراهيم عليه السلام: «وإني كذبت ثلاث كذبات» ليس هي في نفس الأمر كذبات، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين، ومن ثم جاء في بعض الروايات: «والله ما جادل بهن إلا عن دين الله»<sup>(٢)</sup> هي:

قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُمْ كَيْدُكُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩] وقوله لامرأته حين مرَّ على ذلك الملك: هي أختي.

وهذه ليست بكذبات، وإنما هي صور يخيل لمن لم يمعن النظر في ذلك أنها كذبات، وإلا فقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُمْ كَيْدُكُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] إنما هو تنبيه لهم لعلهم أن يعلموا أن ذلك الصنم لا يفعل شيئاً، وإذا جازمت عقولهم أنه لا قدرة له على فعل شيء بطل أن يكون رباً يعبد بالضرورة، فقال سيدنا الخليل لهم: إن الكبير غضب على الصغار لكونها تعبد معه وذلك ليعتبروا أن المعبود بحق يغضب بعبادة غيره مما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.

(١) رواه البخاري رقم ٤٧١٢ باختلاف في ألفاظ يسيرة جداً ومسلم رقم ١٩٤، والترمذي (٦٢٢/٤) رقم ٢٤٣٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٤٣٥/٢) رقم ٩٦٢١، وابن حبان في صحيحه (٣٨٠/١٤) رقم ٦٤٦٥.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه أحمد (٢٨١/١) رقم ٢٥٤٦ بلفظ «والله إن حاول بهن عن دين الله»، والترمذي بلفظ «ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله» (٣٠٨/٥) رقم ٣١٤٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿فاسألوهم﴾ كأنه يقول لهم: أنتم في غرور بعبادتكم من لا يدفع عن نفسه، ولا قدرة له على النطق ليخبركم عن فعل به ما فعل، ويا سبحان الله إذا كان لا يدفع البأس عن نفسه فكيف يدفعه عن غيره؟

على أن الكسائي قرأ: ﴿بَلْ فَعَلَهُمْ﴾ ووقف على فعله ثم قال: ﴿كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ أي فعله من فعله، وأنت خير أن الوجه في القراءة الأولى، والله أعلم.

وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] إنما أراد الفرار من حضور عيدهم ومناكرهم، وعكوفهم على الأصنام، ولو قيل: إن سيدنا الخليل لما نظر نظرة في النجوم فقال: أيها الملك الكريم أنت بحالي عليهم، فهؤلاء عبادك ضلوا وأضلوا، وعكفوا على أصنامهم وولوا، وما منهم ذو فطنة ولب سليم، وأنا لا أقدر على منعهم من عبادة الأصنام فإنني سقيم لكان له وجه، والله الموفق.

وقوله ﷺ لما أتاه أعوان ذلك الملك، وكان عادته إذا أعجبت امرأة إن كانت ذات بعل قتله وأخذها، وإن لم تكن ذات بعل أخذها، فقالوا لإبراهيم ما تكون هذه لك؟ فقال: هي أختي، وقد صدق فإنها أخته في الإسلام.

وقال البغوي: هذه تأويلات لا حاجة إليها، إذ يجوز أن يكون الله أذن له في ذلك لقصد الصلاح، وتوبيخهم والاحتجاج عليهم، كما أذن ليوسف ﷺ في قصة الصواع، ولسنا بصدد تحرير هذا المقام، وفي هذه الإشارة ما يفصح عن المراد، والله أعلم.

**التنبيه الثاني:** زعم الغزالي في «الدرة الفاخرة» أن بين إتيان أهل الموقف آدم وإتيانهم نوحاً ألف سنة، وكذلك كل نبي بينه وبين الذي يليه

ألف سنة.

وهذا باطل، ومن ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: لم أقف لذلك على أصل. قال: وقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها فلا يغتر بشيء منها. انتهى.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: «ثم يأتوني، فإذا جاءوني خرجت حتى آتي قدام العرش فأخر ساجداً، فلا أزال ساجداً حتى يبعث الله ملكاً، فيأخذ بعصدي فيرفعني، فيقول الله عز وجل أنت محمد؟ فأقول نعم، وهو أعلم، فيقول: ما شأنك؟ فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك، واقض بينهم، قال: فيقول: قد شفعتك إيتهم واقض بينهم - قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فأنصرف حتى أقف مع الناس فبينما نحن ووقوف إذ سمعنا حساً من السماء شديداً فهالنا، فنزل أهل سماء الدنيا بمثل من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرفت الأرض لنورهم، فأخذوا مصافهم، فقلنا أفياكم ربنا؟ فقالوا: لا، وهو آت، ثم ينزل أهل السموات على قدر ذلك على التضعيف حتى ينزل الجبار في ظلل من الغمام والملائكة ولهم زجل من تسبيحهم، يقولون: سبحان الملك ذي الملكوت، رب العرش والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميئ الخلائق ولا يموت، سبحان قدوس، رب الملائكة والروح، قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والسلطان والعظمة، سبحانه أبداً أبداً، فنزل جل ذكره، ويحمل عرشه ثمانية يومئذ، وهم الآن أربعة، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى والسموات في حجزهم، والعرش على منكبهم، فيضع الله جل ذكره كرسية حيث شاء من الأرض، ثم ينادي نداءً يسمعه الخلائق: يا معشر الجن والإنس، إني أنصتُ منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع كلامكم وأبصر

أعمالكم، فأنتصتوا لي فإنما هي صحائفكم وأعمالكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه...»<sup>(١)</sup>.

تنبيه:

أورد الفخر على نزول الملائكة سؤالاً، وهو أنه قد ثبت أن الأرض بالقياس إلى السماء كحلقة في فلاة من الأرض، فكيف بالقياس إلى العرش والكرسي، فملائكة هذه المواضع بأسرها أين يسعها؟

وأجاب بعض المفسرين عن ذلك: بأن الملائكة تكون في الغمام. انتهى.

قلت: يرد أن الكرسي يضعه الله جل ذكره حيث شاء من الأرض مع أن السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة.

فلاحسن في الجواب: ما أجاب به «العلامة» أن الله تعالى يزيد في سعة الأرض كيف شاء، إذ هو على كل شيء قدير، وأمره بين الكاف والنون: ﴿إِذَا قَفَّضَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧] والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم يؤتى بالجنة والنار إلى المحشر كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠، ٩١].

ومعنى أزلفت: قربت من المحشر حتى يراها كل أحد من أهل المحشر، وبروز النار: ظهورها في المحشر وانكشافها، وعند ذلك يكون

(١) جزء من حديث الصور وقد سبق في (٦٠٥) وأخرجه كذلك إسحاق بن راهويه في مستنده (٨٤/١) رقم ١٠ والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٩٦) رقم ٣٦.

الفرع الأكبر، لأن الله تعالى يأمر بالجنة فتزخرف وتزلف، ويؤتى بها ولها نسيم طيب أعبق ما يكون، فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام - كما يأتي - فترد النفوس، وتحيا القلوب إلا من كانت أعمالهم خبيثة، فيمنعون ريحها، فتوضع عن يمين العرش، ثم يأمر بإتيان النار، فيؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام، في كل زمام سبعون ألف حلقة، لو جمع حديد الدنيا كله ما عدل منها حلقة واحدة، ولها شهيق وزفير، ورعد وشرر، ودخان يفور حتى يسد الأفق ظلّمته، وتتفلت من أيدي الخزنة، ولم يقدر على إمساكها أحد لعظم شأنها، حتى يجثو كل من بالموقف على ركبتيه، حتى المرسلين، ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بالعرش، وكل منهم يقول: نفسي، نفسي.

وفي تفسير الثعلبي، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] تغير لونه رضي الله عنه وعرف ذلك في وجهه حتى اشتد على أصحابه، ثم قال: «أقراني جبريل ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ إلى قوله: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢١-٢٣]».

قيل له: كيف يجاء بها؟

قال: «يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شرده لو تركت لأحرقت أهل الجمع، ثم أتعرض لجهنم، فنقول: ما لي وما لك يا محمد، فقد حرم الله لحمك عليّ، فلا يبقى أحد إلا قال: نفسي نفسي، وأن محمداً رضي الله عنه يقول: يا رب أمتي أمتي»<sup>(١)</sup>. أخرج ابن أبي حاتم.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١١/٨، ٥١٢) والقرطبي في التفسير (٥٠/٢٠) وابن رجب في التخويف من النار ٢٢٩٠ وعزاه لابن أبي حاتم، وعلق عليه بما نقله المصنف.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «صفة النار» وفيه الوصالي شيخ صالح، لا يحفظ الحديث فكثرت المناكير في حديثه .

وأخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «صفة النار»: وخرجه الترمذي موقوفاً على ابن مسعود، ورجح وقفه العقيلي والدارقطني .

وأخرج أبو يعلى عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضاً، وخزنتها يكفونها»<sup>(٢)</sup>، وهي تقول: وعزة ربي ليخلى بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقاً واحداً، فيقولون من أزواجك؟ فيقول: كل متكبر جبار»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان يبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطلق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم رقم ٨٤٢، والترمذي (٧٠١/٤) رقم ٢٥٧٣ مرفوعاً والطبراني في الكبير (١٩٢/١٠) رقم ١٠٤٢٨ .

(٢) في الأصل/ يلقونها .

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٧٩/٢) رقم ١١٤٥، وذكره الهيثمي (٧١٩/١٠) رقم ١٨٦١٢ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا إلا أن ابن إسحاق مدلس .

(٤) أخرجه أحمد (٣٣٦/٢) رقم ٨٤١١، والترمذي (٧٠١/٤) رقم ٢٥٧٤ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح .

قال الحافظ ابن رجب: صححه الترمذي .

وفي رواية عند الإمام أحمد: «ومن قتل نفساً بغير نفس بدل المصورين»<sup>(١)</sup>.

وعند البزار: «يخرج عنق من النار يتكلم بلسان طلق ذلق، لها عينان يبصران، ولها لسان يتكلم، فتقول: إني أمرت بمن جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار، وبمن قتل نفساً بغير نفس، فينطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام»<sup>(٢)(٣)</sup>.

وخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يؤتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام، آخذ كل زمام سبعون ألف ملك، وهي تمايل عليهم حتى توقف عن يمين العرش، ويلقي الله عليها الذل يومئذ، فيوحي إليها: ما هذا الذل؟ فتقول: يا رب أخاف أن يكون فيّ نقمة، فيوحي الله إليها: إنما خلقتك نقمة، وليس لي فيك نقمة، فيوحي الله إليها فتزفر زفرة لا تبقي دمة في عين إلا جرت، ثم تزفر أخرى فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل، إلا صعق إلا نبيكم نبي الرحمة يقول: يا رب أمتي أمتي ﷺ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٤٠/٣) رقم ١١٣٧٢، وأبو يعلى في مسنده (٣٧٥/٢) رقم ١١٣٨، والطبراني في الأوسط (١٠٣/١) رقم ٣١٨. وذكره الهيثمي (٧٢٠/١٠) رقم ١٨٦١٣، ١٨٦١٤ وقال رواه البزار واللفظ له وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحوه والطبراني في الأوسط وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر الحديث السابق.

(٣) في حاشية الأصل/ قف على من يدخل النار قبل الناس بخمسمائة عام.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (١١٦) رقم ١٨٢.

ثم إن الناس يعرضون على ربهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] وقال: ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨]، وقال: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

قال الفخر في تفسير الصف وجوه:

أحدها: أن تعرض الخلق على الله تعالى صفاً واحداً ظاهرين بحيث لا يحجب بعضهم بعضاً.

ثانيها: لا يبعد أن يكونوا صفوفاً يقف بعضهم وراء بعض، كالصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض.

وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله: ﴿صفا﴾ كقوله ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر: ٦٧].

قلت: ويدل لهذا أي كونهم صفوفاً، ما مر في الحديث السابق: «أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف فمن أطعمك أو كساك...»<sup>(١)</sup> الحديث. وبما يأتي: «أقيموا عبادي صفوفاً».

ثالثها: أن يكونوا قياماً كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا<sup>(٢)</sup> أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ<sup>ط</sup>﴾ [الحج: ٣٦] أي قائمة، انتهى.

وأخرج ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: «يعرض<sup>(٣)</sup> الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجداول ومعاذير، وأما

(١) سبق ص ٦٣٠ .

(٢) في الأصل (واذكروا) وفي الحاشية: الآية (فاذكروا).

(٣) في الأصل / تعرض.

العرضة الثالثة فتطير الصحف في الأيدي فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله»<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ: «فتطير الكتب في الأيمان والشمال»<sup>(٢)</sup>.

قال الحكيم الترمذي: الجدل للأعداء أي الكفار، يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوا نجوا وقامت حججهم، والمعاذير لله يعتذر إلى آدم وإلى أنبيائه، ويقيم حجته عندهم على الأعداء ثم يبعث بهم إلى النار، والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر، يخلو بهم - جل ذكره - فيعاتب من يريد عتابه في تلك الخلوات حتى يذوق وبال الحياة والخيال، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم.

فيا له من مقام ما أعظمه ووبال ما أجسمه، فيا من إذا وقف بين يدي أحد ملوك الأرض ارفض عرقاً، وارتعد فرقاً، فكيف حالك إذا وقفت بين يدي ملك الملوك؟ وعاتبك بما فعلته حتى على الظنون والشكوك؟ فلا هنا الله لعبد عيشاً علم ذلك فالتذ بمعصية الله، ولقد قلت ارتجالاً:

إذا ما تذكرت الجزا يوم عرضتي	على خالقي ضاقت عليّ مذاهبي
فلم أدر ما رد الجواب وما الذي	أقول ورب العالمين معاتبي
فوا أسفى يوم الحساب إذا بدت	قبائح أفعالي وكل معايبي
وعاتبني ربي لديه وقال لي	لك الويل إني كنت لست بغايبي
أما تستحي مني أما كنت تختشي	أما كان أولى أن تكون مراقبي

(١) رواه ابن ماجه (١٤٣٠/٢) رقم ٤٢٧٧، والترمذي (٦١٧/٤) رقم ٢٤٢٥ وقال: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى، وأحمد (٤١٤/٤) رقم ١٩٧٣٠.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٧١/٨)، وبنحوه أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٢١٦).

أما كنت تدري أنني بك عالم  
فما حيلتي واخجلتي من جرائمي  
وصارمني خلي ومل مودتي  
سوى المصطفى ذخري وحظي وبغيتي  
عليه صلاة الله ما هبت الصبا  
كذا الآل والأصحاب ما ناح بلبل

وأخرج الإمام الحافظ ابن مندة في (التوحيد) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه  
رفعه قال: «إن الله ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير قطع: يا عبادي إني  
أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين،  
أحضروا حجتكم، ويسروا جواباً فإنكم مسئولون ومحاسبون، يا ملائكتي  
أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو داود، وابن حبان، عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: «إنكم  
تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»<sup>(٢)(٣)</sup>.

وأخرج أبو يعلى بسند رجاله ثقات عن أبي سعيد رضي الله عنه سمعت  
رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت  
النار يركب بعضها بعضاً، وخزنتها يكفونها وهي تقول: وعزة ربي ليخلين  
بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقاً واحداً، فيقولون: من أزواجك؟

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٠٠/٥) والقرطبي في التذكرة (٢٨٩)، والألوسي في  
روح المعاني (٢٨٩/١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٧٠٥/٢) رقم ٤٩٤٨، وابن حبان في صحيحه (١٣٥/١٣) رقم ٥٨١٨  
وأحمد في (١٩٤/٥) رقم ٢١٧٣٩ وابن عدي في الكامل (٨٣/٣) في ترجمة داود بن  
عمرو رقم ٦٢٦ وقال عنه حديثه مقارب، وقال يحيى: ثقة وقال في آخر الترجمة: ولا  
أرى بروايته بأساً.

(٣) في حاشية الأصل/ قف على أن أهل الموقف ينادون بأسماء آبائهم.

فتقول: كل متكبر جبار، فتخرج لسانها، فتلتقطهم من بين ظهراني الناس فتقذفهم في جوفها، ثم كذلك، فيقولون: من أزواجك؟ فتقول: كل مختال فخور، فتلتقطهم بلسانها، فتقذفهم في جوفها، ثم تتأخر، ويقضى بين الناس<sup>(١)</sup>. وتقدم معناه.

وظاهر هذا أن هؤلاء يلقون في النار بغير حساب، لأنهم تكبروا على خلق الله في دار الدنيا.

وفي الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقته في النار»<sup>(٢)</sup> رواه الإمام أحمد، وأبو داود وابن ماجه.

وعند مسلم، وأبي داود، وابن ماجه: «ألقته في جهنم»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الحاكم: «الكبرياء ردائي، فمن نازعني ردائي قصمته»<sup>(٤)</sup> وقال: صحيح على شرط مسلم.

وأخرج الإمام أحمد، والحاكم، وابن ماجه: «ما من رجل يتعاضم في نفسه، ويختال في مشيته، إلا لقي الله وهو عليه غضبان»<sup>(٥)</sup>.

(١) سبق ص ٦٤٦.

(٢) رواه أحمد (٤١٤/٢) رقم ٩٣٤٨ بلفظ «قذفته» بدل «ألقته» وأبو داود (٤٥٦/٢) رقم ٤٠٩٠، وابن ماجه (١٣٩٧/٢) رقم ٤١٧٤ بلفظ المصنف.

(٣) انظر تخريج الحديث السابق، ولم أقف عليه عند مسلم.

(٤) أخرجه الحاكم (١٢٩/١) رقم ٢٠٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) رواه أحمد (١١٨/٢) رقم ٥٩٩٥ بلفظ: «من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان» عن ابن عمر والحاكم (١٢٨/١) رقم ٢٠١ بلفظ المصنف وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط مسلم، والبخاري في الأدب المفرد (١٩٣) رقم ٥٤٩ بلفظ أحمد.

واعلم أن الكبر مذموم شرعاً وعقلاً، فأما الشرع فقد ذكرنا قطرة من بحر لجي، مما ورد في الكبر، وفي الإشارة ما يغني عن العبارة.

وأما العقل: فإن كل إنسان يعلم أن الكبر مذموم، وأن صاحبه من الأجر محروم، ومن ثم قال بعض الفضلاء: «الكبر والخيلاء يكسيان الرذائل، ويسلبان الفضائل».

وقال الأحنف بن قيس: «ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه».

ورأى أفلاطون رجلاً يختال في مشيته فقال: جعلني الله مثلك في نفسك، ولا جعلني مثلك في نفسي.

وقال الأحنف بين قيس: عجبت لمن خرج من مجرى البول مرتين كيف يتكبر.

ومرَّ بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار، وهو يختال بمشيته، فقال له مالك: يا بني لو تركت هذا الخيلاء لكان أجمل لك، قال: أو ما تعرفني؟ قال: أعرفك معرفة جيدة، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قدرة، وبين ذلك تحمل العذرة، فأحنى الفتى برأسه، وكف عما كان عليه.

والكبر يوجب المقت، ومن مقته رجاله لم يستقم حاله.

وقيل: لا يتكبر إلا كل وضع.

ولله در القائل:

قولاً لأحمق يلوي التيه أجدعه      لو كنت تعلم ما في التيه لم تته  
التيه مفسدة للدين منقصة      للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقال الآخر:

تواضع إذا ما كان قدرك عالياً      فإن انخفاض المرء من شيمة الفضل  
ولا تعجبين من عالم متواضع      يخاطبه طفل فيصغى إلى الطفل  
فإن رسول الله كلّم نملة      وأن إله العرش أوحى إلى النحل  
ولسنا بصدد الكشف عن قبائح الكبر، ولكن ذكرنا ما ذكرنا للمناسبة،  
والشيء بالشيء يذكر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

\* \* \*

## فصل

ثم يؤتى بالصحف، وتؤخذ باليمين والشمال.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

قال الثعلبي: أي التي فيها أعمال بني آدم نشرت للحساب، وإنما يؤتى بالصحف إلزاماً للعباد، ورفعاً للجدل والعناد.

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

قال العلامة: معنى طائرة: عمله.

وقال مقاتل، والكلبي: خيره وشره معه لا يفارقه وهو عين الأول.

وأخرج العقيلي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الكتب كلها تحت العرش فإذا كان يوم القيامة يبعث الله ريحاً فتطيرها بالأيمان والشمائل، أول خط فيها: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾<sup>(١)</sup> [الإسراء: ١٤].»

قال قتادة: سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> [الإسراء: ٧١].

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٤/٤٦٦) في ترجمة يغنم بن سالم رقم ٢١٠١، وقال عنه: منكر الحديث.

(٢) في حاشية الأصل/ هذه الآية في الإسراء (فمن أوتي كتابه) وليس فيها (وأما) ولهذا أصلحتها. انتهى

والفتيل : هو القشر الذي في شق النواة، وهذا يضرب مثلاً للشيء الحقيقير .  
وذكر مجاهد عن ابن عباس : أن المراد بالفتيل الوسخ الذي يظهر  
بفتل الإنسان إبهامه بسبابته .

قال العلامة : وإنما خص القراءة بمن أوتي كتابه يمينه دون من أوتيه  
بشماله ، لأن أهل الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملاً على المهلكات  
العظيمة ، والقبايح الكاملة ، فيستولي الخوف والدهش على قلوبهم ، ويثقل  
لسانهم ، فيعجزون عن القراءة الكاملة ، وأما أصحاب اليمين إذا طالعوها  
ألّفوها على الكمال ، فيقرونها كتابهم على أحسن الوجوه وأتمها ، ثم لم  
يقنع أحدهم بقراءته ، بل يقول لأهل المحشر : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ ﴾  
[الحاقة : ١٩] . قاله الفخر .

وأخرج الديلمي مرفوعاً : عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء  
الناس عليه<sup>(١)</sup> . وقاله ابن مسعود .

وخرج مكّي في تفسيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله ، كيف  
يحاسب حساباً يسيراً؟ قال : يؤتى العبد كتابه يمينه ، فيقرأ سيئاته ويقرأ الناس  
حسناته ، ثم يحول الصحيفة فيحول الله حسناته ، فيقرأها الناس ، فيقولون : ما  
كان لهذا العبد من سيئة؟ فهذا تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ يَمِينَهُ ﴾  
﴿ ٧ ﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿ ٨ ﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿ ٩ ﴾ [الانشقاق : ٧-٩] .

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٦٩/١٤) برقم ٣٨٩٧١ ، وعزاه للديلمي في مسند  
الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (٥٠٧/١٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت : «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :  
اللهم حاسبني حساباً يسيراً قلت : يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال : أن ينظر في  
سيئاته فيتجاوز عنه وإنه من نوقش الحساب يومئذ هلك» ، وذكره الألويسي في روح  
المعاني (١٢٢/١٥) بلفظ المصنف .

أهله هم أهل الجنة كما في البهجة .

وأخرج الترمذي وحسنه وابن حبان والبيهقي والبخاري، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، قال: «يدعى الرجل فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ستون ذراعاً، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلأأ، فينتقل إلى أصحابه، فيرويه من بعيد فيقولون: اللهم آتنا بهذا وبارك لنا في هذا، حتى يأتيهم فيقول: أبشروا فإن لكل واحد منكم مثل هذا، وأما الكافر فيسود وجهه، ويمد في جسمه ستون ذراعاً، ويجعل على رأسه تاج من نار فيراه أصحابه، فيقولون: اللهم إنا نعوذ بك من هذا، اللهم لا تأتنا بهذا، فيأتيهم، فيقولون: اللهم أخزه، فيقول: أبعدم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت: قلت: يارسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: «أما عند ثلاث فلا، عند الميزان حتى يعلم أيثقل أم يخف، وعند تطاير الكتب، فإما أن يعطى بيمينه أو بشماله، وحين يخرج عنق من النار»<sup>(٢)</sup> الحديث .

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٢/٥) رقم ٣١٣٦ وفيه في الكافر «ويمد له في جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم فلبس تاجاً فيراه» الحديث وقال هذا حديث حسن غريب وكذلك ابن حبان (٣٤٦/٦) رقم ٧٣٤٩، والحاكم (٢٦٥/٢) رقم ٢٩٥٥ وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وأبو يعلى في مسنده (٣/١١) رقم ٦١٤٤ .  
(٢) أخرجه أحمد (١١٠/٦) رقم ٢٤٨٣٧ بزيادة ألفاظ يسيرة، وأخرج نحوه الحاكم (٤/٦٢٢) رقم ٨٧٢٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة، على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة ووافقه الذهبي .

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ١٠-١٢] أي يدعو بالويل والثبور ويصلى حر السعير.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِنِي لَوْ أُوْتِ كِتَابِي ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَدْرِي مَا حِسَابِي ﴿٢٦﴾﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦].

يتمنى إذ ذاك أن لا يؤتى كتابه لما فيه من العظامم والقباتح، ويود أن لا يدري ما حسابه، لما يلقي من شدة الخجل وبروز الفضائح، فנסأل الله العظيم أن يسد لنا، ويوقنا لما يرضيه عنا، لو تفكرت النفوس فيما بين يديها أو تذكرت حسابها فيما لها وعليها، لبعث حزنها بريد دمعها كل وقت إليها، فيا لله العجب من جد عند الأنفس كالهزل، ولقد أحسن من قال:

ومن عجب الأشياء أنك تعلم	بأنك مأخوذ بما تتجرم
وأنت على ما أنت فيه مقصر	ولا مقلع عما عليك يحرم
كأنك في يوم القيامة أمين	إذا برزت للمجرمين جهنم
فلا تغترر بالعمر إن طال واعتبر	فإنك لا تدري متى يتصرم
وتسكن بيتاً غير بيتك مظلماً	وما فيه مشروب ولا فيه مطعم
وتترك ما قد كنت فيه محكماً	وغيرك فيه لو علمت المحكم
وتأتي غداً من بعد يسرك معسراً	وما لك دينار ولا لك درهم
فإن كنت قد قدمت من قبل صالحاً	فإنك من هول القيامة تسلم
فكن مقلعاً وارجع إلى الله واغتمم	بقاءك في الدنيا فمحيك مغنم

أما يحق البكاء لمن قد مضى زمانه؟ أما يحق البكاء لمن قد ذهب أوانه؟ أما يحق البكاء لمن طال عصيانه؟ نهاره في المعاصي فقد زاد خسرانه، وليله في الخطايا فقد خف ميزانه، وبين يديه الحشر العنيف فيه

ذله وهوانه، والحساب العسير ينشر فيه ديوانه، والموقف الطويل فيه غمومه وأحزانه، والجحيم الشديد فيه من العذاب ألوانه، ذكر العرض أجرى دموع الخائفين، وهول الحساب قلقل أفئدة التائبين.

سأل رجل ذا النون ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟ فقال: ذكر المقام وقلة الزاد، وخوف الحساب.

ولم لا تذوب أبدان العباد، وتذهل عقولهم والعرض على الله تعالى أمامهم، وقراءة كتبهم بين أيديهم، والملائكة وقوف ينتظرون أمر الجبار في الأختيار والأشرار، فمثل القوم هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم.

إخواني: قد شملت الغفلة الخلائق حتى سترت عنهم وجوه الحقائق، فصار اليقين عندهم كالظنون، فالعاقل يفعل فعل المجنون.

ولله در القائل:

يا أيها الراقد كم ترقد	قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته	حظاً إذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله	لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى	قنطرة العرض لكم موعد

فنسأل الله العظيم أن يوقظنا وأحبابنا من سنة الغفلة، وأن يستعملنا فيما يرضيه عنا بمنه وكرمه.

فوائد:

الأولى: قال ابن المسيب: الذي يأخذ كتابه بشماله تلوى يده خلف ظهره ثم يعطي كتابه.

وقيل: تنزع من صدره إلى خلف ظهره.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق: ١٠].

قال: تجعل شماله وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه.

الثانية: يعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بأن تخلع، أو يدخلها من صدره، أو تلوى، ويعطى المؤمن العاصي كتابه بشماله من أمامه، ويعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من أمامه.

الثالثة: ورد أن أول<sup>(١)</sup> من يأخذ كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد<sup>(٢)</sup> واسمه عبد الله، وهو أول من يدخل الجنة من هذه الأمة، وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة، كما بينت ذلك في كتابي: «تجسير الوفي في سيرة المصطفى».

وروي أن أول من يأخذ كتابه بشماله الأسود أخو أبي سلمة المذكور<sup>(٣)</sup>، روي أنه يمد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده، فيأخذه بشماله من وراء ظهره.

قلت: وذلك لأن أبا سلمة رضي الله عنه لما أراد الهجرة رحّل لزوجته أم سلمة - إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها - بعيره، ثم حملها عليه، وحمل معها ابنها سلمة بن أبي سلمة في حجرها، ثم خرج بها يقود بها بعيره، فرأته رجال بني المغيرة، فقاموا إليه وقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت

(١) في حاشية الأصل/ قف على أول من يعطى كتابه بيمينه ويدخل الجنة.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الأوائل (٨٢) رقم ٨٢.

(٣) انظر السابق.

صاحبتك هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟ فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوها منه، وغضبت عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة فقالوا: لا والله لا نترك ابنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابنه سلمة بينهم حتى خلعوا يده<sup>(١)</sup>.

القصة بتمامها في السيرة، فجوزي الأسود بأن خلع الله يده كما خلع يد الغلام، فالجزاء من جنس العمل.

ولقد أشرت لأمر هذين الأخوين، والتفاوت بينهما في المرتبتين في قولي:

وقف باب مولاك الكريم ووحي	سل الراحم المولي العناية والهدى
وجد على فعل المكارم تسعد	وكن خائفاً من مكره وارج عفوه
بأسلافك الماضين أهل التهجد	ولا تغترر يا ذا المحامد والنهى
كذلك أبو لهب قرابة أحمد	أبو سلمة الأعلى أخو الأسود الشقي

قال القرطبي في (التذكرة): إذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤمر بها بعد البعث حوسبوا بها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب؛ لأن الناس إذا بعثوا لم يكونوا ذاكرين لأعمالهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]. فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف، وقاموا فيه ما شاء الله، وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فَيُؤْتُونَهَا، فمنهم من

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣/٣١٥)، البداية والنهاية لابن كثير (٣/١٦٩).

(٢) في الأصل (ويوم) والمثبت هو الصحيح.

يؤتى كتابه بيمينه، وهم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله، أو وراء ظهره فأولئك هم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كتابه، ويعلم خطأه وصوابه.

وأنشدوا في ذلك:

مثل وقوفك يوم العرض عرياناً	مستوحشاً قلق الأحشاء حيراناً
والنار تلهب من غيظ ومن حنق	على العصاة ورب العرش غضباناً
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل	فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولن تنكر قراءته	اقرأ من عرف الأشياء عرفاناً
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي	وامضوا بعبد عصي للنار عطشاناً
فالمشركون غداً في النار في لهب	والمؤمنون بدار الخلد سكاناً

ومن قصيدة طويلة من كلام الإمام المحقق ابن القيم أودعها في كتابه «طريق الهجرتين ومفتاح السعادتين» وهي عظمة اشتملت على جُلِّ أحكام الموقف فمنها:

ويا ليت شعري كيف حالك عندما	تطائر كتب العالمين وتقسم
أتأخذ باليمنى كتابك أم بيس	راك خلف الظهر منك تسلم
وتقرأ فيها كل شيء عملته	فيشرق منك الوجه أو هو يظلم
تقول كتابي هاؤم فاقراءوه	يبشر بالجنات حقاً ويعلم
وإن تكن الأخرى فإنك قائل	ألا ليتني لم أوته فهو مغرم

ولعمري: إن المقام بتلك المحال والزحام بين النساء والرجال، وقد اشتد الزحام، وطال المقام، وصفت الأقدام، وجمع الخاص والعام، إنه لمن المصائب العظام، والنوائب الجسام، وحرى من صور نفسه في ذلك الجمع الغفير أن يترك الطعام، ولذيذ المنام، ويتشبث بذيال المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

فيا من غفل عن آخرته حتى اشتعل الرأس شيباً، وحال سواد لمته،  
تذكر وقوفك بين يدي الله عرياناً، وقد ضاق بك الفضا ونزل بك مر  
القضا، وظهرت جرائمك على رءوس الأشهاد، ونودي ها فلان قد خسر  
وخاب، وسلك به غير طريق العباد، فيا لها من خجلة ما أعظمها بين يدي  
الجبار، فحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل.

ولقد كنت قلت في هذا المعنى مستغنياً<sup>(١)</sup> بالنبي ﷺ من هول ذلك  
وأشكو له.

نأى شبابي سدى واحتاط بي أجلي  
بأنني راحل للقبر واخجلي  
حتى دنا الموت مني وانقضى أمني  
وفي حضوري وعمري باد في مللي  
من الفؤاد مناد الهمم والكسل  
دار البلاء وما لاقيت من عللي  
أحل بي من ضروب الحزن والنكل  
إذا بدا لي على روس الملا زللي  
إني أتيت بلا علم ولا عملي  
وطول حزني وحيي سيد الرسل  
المرضى سيد الآتين والأولي

إليك أشكو رسول الله من وجلي  
نأى الشباب وجاء الشيب يخبرني  
ضيعت عمري سدى في اللهو وأسفى  
حتى متى أصحاب التسويف في سفري  
إذا عزمت على فعل الرشاد دنا  
أشكو لمولاي تقصيري ولهوي في  
وما اعتراني من الخطب العظيم وما  
واخجلتي من مقام لست أنكره  
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي  
حسبي افتقاري وذلي ثم مسكنتي  
محمد المصطفى المبعوث من مضر

(١) رحم الله الإمام السفاريني ما كان أغناه عن إيراد مثل هذه العبارات، فعن عبادة بن  
الصامت رضي الله عنه قال: قال أبو بكر «قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق،  
فقال رسول الله ﷺ إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله عز وجل» انظر الهيثمي/  
مجمع الزوائد (١٠/٢٤٦) رقم ١٧٢٧٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح  
غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.

صلى عليه إله العرش ما صدحت  
كذا الصحابة والآل الكرام ومن  
وكن إلهي معيني إنني وجل  
محمد الحنبلي يرجو الخلاص إذا  
ورق الحمام على الأغصان بالزجل<sup>(١)</sup>  
نحا طريقتهم من سائر المللي  
لولا اعتقادي بأن الله نعم ولي  
ما حاسب الناس ذاك الواحد الأزلي

\* \* \*

(١) في حاشية الأصل / النظم القديم هنا:

صلى عليه إله العرش ما صدحت

ورق الحمام وما القول القديم تلى

## الباب الرابع

في ذكر الحساب وما يلقاه العالم من شدة البأس والعقاب

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهِنَّ أجمعِينَ ﴿٩١﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وقال في حق أعدائه: ﴿أُولَئِكَ هُمُ السُّوءُ الْحَسَابِ﴾ [الرعد: ١٨].

قال الثعلبي: الحساب: تعريف الله عز وجل الخلائق بمقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم على ما قد نسوه من ذلك.

يدل على هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا<sup>٤</sup> أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ<sup>٥</sup>﴾ [المجادلة: ٦].

وقال بعضهم: معنى كونه تعالى محاسباً لخلقه أنه يعلمهم ما لهم وما عليهم.

أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»<sup>(١)</sup>. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

(١) رواه الترمذي (٦١٢/٤) رقم ١٤١٧، وليس فيه «أربع» وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه في (٦١٢/٤) رقم ٢٤١٦ بلفظ «حتى يسأل عن خمس» وتقديم وتأخير عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال: هذا حديث غريب، والدارمي (١٤٤/١) رقم ٥٣٧ و(١٤٥) رقم ٥٣٩، وأبو يعلى في مسنده (٣٥١/١٣) رقم ٧٤٣٤.

يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت حتى يقال إنك جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه: «شرح الأربعين النووية»: لما بلغ معاوية هذا الحديث بكى حتى غشي عليه، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ [هود: ١٥، ١٦] انتهى.

فدل هذا الحديث الشريف أن أول من يحاسب هؤلاء الثلاثة أشخاص، لأنهم مرءون، ولا شك أن الرياء مذموم<sup>(٢)</sup>، وصاحبه من أبواب الخير محروم.

أخرج الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه

(١) رواه مسلم رقم ١٩٠٥ باختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ، وأحمد (٣٢١/٢) رقم ٨٢٦٠، والنسائي في سننه (٢٣/٦) رقم ٣١٣٧.

(٢) في حاشية الأصل/ قف على فضائح الرياء.

مرفوعاً: «من تعلم علماً مما يتنقى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»<sup>(١)</sup> يعني ريحها.

وأخرج الترمذي عن كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يجاري به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار»<sup>(٢)</sup>.

وخرجه ابن ماجه بمعناه من حديث ابن عمر وحذيفة وجابر رضي الله عنهم.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة، والدين والتمكين في الأرض، من عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب»<sup>(٣)</sup>.

ولسنا بصدد بيان مذام الرياء، ويكفي فيه أنه شرك، فإن الرياء هو الشرك الأصغر كما ثبت ذلك<sup>(٤)</sup>، والله الموفق.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده من أمر الحساب.

قال ﷺ: «من نوقش - في - الحساب عذب». قالت عائشة رضي الله عنها.

(١) أخرجه أحمد (٣٣٨/٢) رقم ٨٤٣٨، وأبو داود (٣٤٦/٢) رقم ٣٦٦٤، وابن ماجه (١) رقم ٩٢ رقم ٢٥٢ وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١/٦١) وقال عنه العراقي: أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند جيد.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢/٥) رقم ٢٦٥٤، وابن ماجه (٩٣/١) رقم ٢٥٣، ٢٥٤، و(٩٦) رقم ٢٦٠ باختلاف في بعض الألفاظ، وابن حبان في صحيحه (٢٧٨/١) رقم ٧٧، والحاكم (١/١٦١) رقم ٢٩٣ وتكلم عنه بما يدل على قبوله ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (١٣٤/٥) رقم ٢١٢٦٠، ورقم ٢١٢٥٨، ٢١٢٦٢، والحاكم (٤/٣٤٦) رقم ٧٨٦٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الحاكم (١/٤٤) عن معاذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اليسير من الرياء شرك...» وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين... وهذا إسناد مصري ولا يحفظ له علة ووافقه الذهبي.

فقلت: أليس يقول الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقَلَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ [الانشقاق: ٧-٩]. فقال: «إنما ذلك العرض، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك»<sup>(١)</sup>. رواه البخاري ومسلم عنها.

وعند البزار، والطبراني عن ابن الزبير رضي الله عنهما نحوه مرفوعاً.

وعن عتبة بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو أن رجلاً يخر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت في مرضاة الله عز وجل لحقره يوم القيامة»<sup>(٢)</sup> رواه الطبراني.

قال الحافظ المنذري: رواه ثقات إلا بقية.

قلت: يعضده ما رواه الإمام أحمد رضي الله عنه بإسناد صحيح عن محمد ابن أبي عميرة رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رفعه: «لو أن رجلاً خر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هراً في طاعة الله عز وجل لحقره ذلك اليوم، ولود أنه لو رد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين، ديوان فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم من الله عز وجل فيقول الله لأصغر نعمة - أحسبه قال في ديوان النعم - خذي ثمنك من عمله الصالح، فتستوعب عمله الصالح فإذا أراد الله أن يرحم عبداً قال: يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك، وتجاوزت عن سيئاتك

(١) رواه البخاري رقم ١٠٣، ٤٩٣٩، ٦٥٣٦ باختلاف يسير ومسلم رقم ٢٨٧٦.

(٢) أخرجه الطبراني (١٧/١٢٢) رقم ٣٠٣ باختلاف يسير وسبق.

(٣) أخرجه أحمد (٤/١٨٥) رقم ١٧٦٨٦.

أحسبه قال: ووهبت لك نعمي»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الحاكم وصححه عن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «خرج من عندي خليلي جبريل أنفأ، فقال: يا محمد، والذي بعثك بالحق إن لله عبداً من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر، عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج له عيناً عذبة بعرض الأصبع تُبَضُّ بماء عذب، فيستنقع في أسفل الجبل، وشجرة رمان تخرج في كل ليلة رمانة يتعبد يومه، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء، وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته، فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً، وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً حتى يبعثه وهو ساجد، قال: ففعل، فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا»<sup>(٢)</sup> فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى، فيقول له الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: رب بل بعلمي فيقول: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: رب بل بعلمي فيقول: قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله، فيوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعمة الجسد فضلاً عليه، فيقول: أدخلوا عبدي النار، فيجر إلى النار، فينادي: رب برحمتك أدخلني الجنة، فيقول: ردوه، فيوقف بين يديه، فيقول: يا عبدي من خلقك ولم تك شيئاً؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: من قواك لعبادة خمسمائة سنة؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: من أنزلك في جبل وسط

(١) أخرج نحوه مختصراً ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٥/٧) رقم ٣٤٥٤٦ عن ابن مسعود رضي الله عنه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٤٧/١٠) رقم ١٨٤٣٤ وقال: رواه البزار وفيه صالح المري وهو ضعيف.

(٢) في الأصل (خرجنا).

اللجة، وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة وإنما نخرج مرة في السنة، وسألته أن يقبضك ساجداً ففعل؟ فيقول: أنت يا رب، قال: فذلك برحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة قال جبريل: إنما الأشياء برحمة الله يا محمد<sup>(١)</sup>.

ولقد قلت مرتجلاً أشير لتقصيري عن شكر نعمه التي من بها عليّ:

عسى رحمة المولى الوسيعة في غد	تكون لنا حصناً من النار يا عدي
فإن لم تكن لي رحمة الله ملجأ	فإني في تلك المصارع مرتدي
فوا أسفى إن لم تكن لي فإنني	على فرط تقصيري مع الله معتدي
وكم نعمة لله ضيعت شكرها	وقابلتها بالبطش بالرجل واليدي
وفي بصري ما لو أقتم مجاهداً	مدى الدهر يا كل المنى في تهجدي
لما كان هذا غير في جنب شكره	كما جاء في نص الحديث المسدد
روينا حديثاً يا منى العين مسندا	يشير لهذا فاتبع ذاك تهتدي

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا، وأبشروا فإنه لن يدخل أحداً الجنة عمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»<sup>(٢)</sup>.

ورواه الإمام أحمد عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظ: «لن يدخل الجنة أحد

(١) أخرجه الحاكم (٢٧٨/٤) رقم ٧٦٣٧ بزيادة بعض العبارات وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، فإن سليمان ابن هرم العابد من زهاد أهل الشام والليث بن سعد لا يروي عن المجهولين.

وتعقبه الذهبي فقال: لا والله وسليمان بن هرم غير معتمد.

(٢) رواه البخاري رقم ٦٤٦٧ بلفظ «بمغفرة ورحمة» بدل «برحمته» ومسلم رقم ٢٨١٨ بلفظ «برحمة».

إلا برحمة الله . قلنا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» وقال بيده فوق رأسه<sup>(١)</sup>.

قلت: فهم بعض أشياخي من حديث الصحيحين هذا من قول النبي ﷺ عند إملائه لنا حديث البخاري هذا من صحيحه، قال: قوله ﷺ «إلا أن يتغمدني الله برحمته» أي فأدخل الجنة بعلمي، فقلت له: حيث تغمده الله برحمته أي عمل له أدخله الجنة؟ قال: هذا مفهوم الحديث، قلت: بل المراد لن أدخل الجنة إلا أن يتغمدني الله برحمته، فيكون الاستثناء راجعاً<sup>(٢)</sup> لدخول الجنة - حسب - فتكأأ الشيخ حفظه الله تعالى، ولم يُد جواباً مع عدم ارتضاه لما قلنا.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم، فكيف أنا منهم؟ فقال له: رسول الله ﷺ: «يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقى قبلك». فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «ما لك؟ ألا تقرأ كتاب الله؟ ﴿وَصَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيباً﴾ [الأنبياء: ٤٧] فقال

(١) أخرجه أحمد (٥٢/٣) رقم ١١٥٠٤، و(٢٥٦/٢) رقم ٧٤٧٣ باختلاف يسير جداً عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والطبراني في الكبير (١٨٧/١) رقم ٤٩٣ عن أسامة بن شريك، وعبد ابن حميد في مسنده (٢٨١) رقم ٨٩٢ عن أبي سعيد.

(٢) في الأصل (راجع) والمثبت هو الصواب.

الرجل: يا رسول الله، ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء - يعني عبيده - أشهدك أنهم أحرار»<sup>(١)</sup>.

قال الترمذي: حديث غريب.

لكن قال الحافظ المنذري: إسناده يعني الترمذي وإسناد الإمام أحمد متصلان ورواته ثقات، وفيه عبد الرحمن بن غزوان، يكنى أبا نوح، ثقة احتج به البخاري، وبقية رجال الإمام أحمد احتج بهم البخاري ومسلم.

قلت: فيكون هذا الحديث صحيحاً والله أعلم.

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لوصيف له «لولا القصاص لضربتك بهذا السواك»<sup>(٢)</sup>. رواه

أبو يعلى بإسناد جيد.

وأخرج البزار بإسناد حسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «من ضرب مملوكه سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد بسند حسن عن عبد الله بن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «يحشر العباد يوم القيامة أو قال الناس عراة غرلاً بهما». قال: قلنا يا رسول الله وما بهما؟ قال: «ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الديان أنا الملك،

(١) رواه أحمد (٢٨٠/٦) رقم ٢٦٤٤، والترمذي (٣٢٠/٥) رقم ٣١٦٥ وقال: هذا حديث غريب.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٦٠/٢) رقم ٦٩٢٨، والطبراني في الكبير (٣٧٦/٢١) رقم ٨٨٩ باختلاف في بعض الألفاظ عن أم سلمة، وذكره الهيثمي في عده مواضع (١٠/١٠) رقم ٦٤٠ وقال: روى هذا كله أبو يعلى والطبراني بنحوه... وإسناده جيد عند أبي يعلى والطبراني.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١٢٠/٢) رقم ١٤٤٥، وذكره الهيثمي (١٠/١٠) رقم ٦٤٠ وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط وإسنادهما حسن.

لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة». قال: قلنا: كيف، وإنما تأتي الله عز وجل عراة غرلاً بهماً؟ قال: «بالحسنات والسيئات»<sup>(١)</sup>.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا، قال: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا، قال: «فوالذي نفسي بيده لا تضارون برؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، فيلقى العبد ربه فيقول: أي فل؟ يعني فلاناً، بمعنى يا فلان حذف منه الألف والنون لغير ترخيم، قاله الأزهري، وغيره، انتهى «ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس؟ أي بمثناة فوق، فراء ساكنة، فهمزة مفتوحة، أي تصير رئيساً. وتربع: أي تأخذ ما يأخذه كبير الجيش وهو ربع المغنم، ويقال له المربع، قاله المنذري، فيقول بلى يا رب، فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإنني أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثاني فذكر مثل

(١) أخرجه أحمد (٤٩٥/٣) رقم ١٦٠٨٥، وابن عمرو الشيباني في الأحاد والمثاني (٧٩/٤)

رقم ٢٠٣٤، والبخاري في الأدب المفرد (٣٣٧) رقم ٩٧٠.

(٢) البخاري رقم ٦٥٣٤، ومسلم رقم ٢٥٨١.

الأول، وكذا الثالث، فيقول للثالث: أظنت أنك ملاقي؟ فيقول: أي رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويشي بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذاً، ثم يقول: الآن نبعث شاهداً عليك، فيتفكر في نفسه من هذا الذي يشهد عليّ؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه انطقي، فتنتطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المناق، وذلك الذي يسخط الله عليه»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البخاري عنه أيضاً قال: إن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تمارون في الشمس ليس دونها سحب؟ قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم؟ فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم؟ فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهراي جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأتمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان - أي وهو نبت له شوك معقف - فقال ﷺ: «هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل». أي يصرع، وقيل: يقطع، قال المنذري: المعنى أنه يقطعه كلاليب الصراط حتى يهوي في النار، انتهى،

ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم فيعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على التاء أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتحشوا. أي بضم التاء وكسر المهملة فشين معجمة أي احترقوا، وقال الهيثم: هو أن تذهب النار الجلد وتبدي العظم، انتهى. «فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة» أي بكسر الحاء المهملة هي بزر البقول والرياحين وقيل: بزر العشب، وقيل: نبت في الحشيش صغير، وقيل: جميع بزور النبات، وقيل: بزر ما ينبت من غير بذر، وما بذر تفتح حاؤه، ذكره الحافظ المنذري «في حميل السيل» أي زبد السيل، وما يلقيه على شاطئه وهو بفتح الحاء المهملة وكسر الميم «ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد»<sup>(١)</sup> الحديث.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ وذكر الحديث وفيه: «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام، والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغبر أهل الكتاب». أي بقاياهم وهو بغين معجمة مضمومة فموحدة مشددة مفتوحة جميع غابر، «فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا

(١) البخاري رقم ٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧.

تبغون؟ فيقولون: يا ربنا عطشنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً - مرتين أو ثلاثاً - حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقه واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الصراط على جسر جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم...»<sup>(١)</sup> الحديث.

تنبيه:

قد تقدم أن أول من يحاسب العلماء والمغازون وأرباب الأموال والسعة، ومما ينبغي أن يعلم أن أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة.

أخرج ابن المبارك وأبو داود والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، يقول الله لملائكته: انظروا لصلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان ينقص منها شيئاً قال الله: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا

(١) رواه البخاري رقم ٤٥٨١، ومسلم رقم ١٨٣.

لعبدى فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك»<sup>(١)</sup>.

وأخرج النسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أول ما يحاسب عليه العبد صلاته، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء»<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: قد ورد في التنزيل أن الناس لا يسألون، قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].

فالجواب: أن هذه معارض بقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلَنَّهِنَّ أجمعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

ويجاب عن الآية الكريمة: بأنهم لا يسألون سؤال استفهام لأنه تعالى عالم بكل أعمالهم، وإنما يسألون سؤال تقرير، فيقال لهم: فعلتم كذا، قاله في «البهجة».

قال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم، لأن الله تعالى حفظها عليهم وكتبها الملائكة.

وأجيب بأنهم لا يسألون سؤال استفهام بل سؤال تقرير.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٢٠) رقم ٩١٥ باختلاف وزيادة ونقص في بعض الألفاظ، وأبو داود (٢٩٠/١) رقم ٨٦٤ باختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ، والترمذي (٢٦٩/٢) رقم ٤١٣، وقال: حديث حسن غريب والحاكم (٣٩٤/١) رقم ٩٦٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والنسائي (١/٢٣٣) رقم ٤٦٦، وابن ماجه (٤٥٨/١) رقم ١٤٢٥.

(٢) أخرجه النسائي (٨٣/٧) رقم ٣٩٩١، وفي السنن الكبرى (٢٨٥/٢) رقم ٣٤٥٣، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٥/٩) رقم ٥٤١٤، والطبراني في الكبير (١٩١/١٠) رقم ١٠٤٢٥ بتقديم وتأخير وذكره العجلوني في كشف الخفا (٣٠٩/١) رقم ٨٢٦ وذكر له شواهد صحيحة.

وقيل: يسألون في موطن دون موطن، رواه عكرمة عن ابن عباس.

نظيره قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَكُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦] وفي آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

فلناس يوم القيامة حالات، والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات، ومن ثم قال إمام أهل السنة سيدنا الإمام أحمد أعلى الله شأنه في الدارين، في أجوبته القرآنية، قال في كلامه على هذه الآية الكريمة: أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون، ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون، فذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ الآية [السجدة: ١٢] فإذا أذن لهم في الكلام تكلموا واختصموا، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ﴾ [الزمر: ٣١] عند الحساب وإعطاء المظالم، ثم يقال لهم بعد ذلك: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٨] أي عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٨] يعني في الدنيا، فإن العذاب مع هذا القول كائن، انتهى.

فائدة: اختلف العلماء عن المسئول عنه، والمسئول.

فقال ابن عباس: عن لا إله إلا الله، وقال الضحاك: عن خطاياهم.

وقال القرطبي: عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَسَأَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

قال الفخر: ولا معنى لقول من يقول: إن السؤال إنما يكون عن

الكفر والإيمان بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الأعمال، لأن اللفظ عام يتناول الكل، والضمير في قوله: ﴿لَنَسْتَأْتَهُمْ﴾ عائد على جميع المكلفين، الأنبياء وغيرهم، ومما يدل على سؤالهم صريحاً قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْتَأْتَنَّهُ الَّذِينَ أُزِيلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأْتَنَّهُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

قال: فهذه الآية تدل على أنه تعالى يحاسب كل عباده، لأنهم لا يخرجون عن أن يكونوا مرسلين أو مرسلأ إليهم، ويبطل قول من زعم أنه لا حساب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الكفار، انتهى.

قال العلامة رحمته الله: يمكن الجواب أن يقال: لا حساب على الأنبياء حساب مناقشة.

قال النسفي في (بحر الكلام): الأنبياء لا حساب عليهم، وكذلك أطفال المؤمنين، والعشرة المبشرة بالجنة، هذا في حساب المناقشة.

قلت: الحديث المار يدل على أن كل من لم يدخل النار لا يناقش في الحساب، فإن من نوقش الحساب عذب، وأما حساب العرض فلا يمتنع حتى على الأنبياء وغيرهم، وهو أن يقال: فعلت كذا، وعفوت عنك، وحساب المناقشة لم فعلت كذا؟

وقال القرطبي: وهذا العموم يعني عموم الآية مخصوص بأحاديث: من يدخل الجنة بغير حساب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقال شيخ مشايخنا الإمام العلامة المتقن «شيخ الإسلام محمد الأنصاري الخزرجي الحنبلي المعروف بالبلباني» قدس الله روحه في عقيدته ما نصه: ويحاسب المسلمون المكلفون إلا من شاء الله أن يدخل الجنة بغير حساب، وكل مكلف مسئول، ويسأل من شاء من الرسل عن

تبليغ الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل، قال: فالكفار لا يحاسبون فلا توزن صحائفهم، وإن فعل كافر قرية من نحو عتق أو صدقة أو ظلمه مسلم، رجونا له أن يخفف عنه العذاب. انتهى.

ولعل مراده غير عذاب الكفر، وأما عذاب الكفر فلا.

وقال شيخ الإسلام قدس الله روحه في «عقيدته الواسطية»: ويحاسب الله الخلق، ويخلو بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، قال: وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها، ويقررون بها. انتهى.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما من عبد يخطو خطوة إلا ويسأل عنها ما أراد بها.

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة أن يقال له: ألم أصحح جسمك، وأرويك من الماء البارد؟ والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد»<sup>(١)</sup> أخرجه البغوي.

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي وأبو نعيم عن الحسن مرفوعاً: «ثلاث لا يحاسب بهن العبد، ظل خوص يستظل به، وكسرة يشتد بها صلبه،

(١) أخرجه البغوي في تفسيره (٥١٩/١) وليس فيه «والذي نفسي بيده» إلى آخره، وابن حبان في صحيحه (٣٦٤/٦) رقم ٧٣٦٤ والحاكم (١٥٣/٤) رقم ٧٢٠٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط (٢٦/١) رقم ٦٢، والترمذي (٤٤٨/٥) رقم ٣٣٥٨ وقال: هذا حديث غريب.

وثوب يوارى به عورته»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنْتَسْتَأْذِنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. قال: الأمن والصحة<sup>(٢)</sup>.

ويروى: «أشد الناس حساباً: الصحيح الفارغ»<sup>(٣)</sup> وما كثر مال رجل إلا كثر حسابه.

والحاصل: أن العبد يسأل عن كل شيء.

ولقد أحسن من قال في ذلك:

ولو أنا إذا متنا تركنا      لكان الموت راحة كل حي  
ولكننا إذا متنا بعثنا      ونسأل بعده عن كل شيء  
والظاهر أنه أراد بكل شيء لم يرد الشرع باستثنائه، والله تعالى أعلم.

\* \* \*

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد (١٢)، وهناد في الزهد (٣١٧) باختلاف يسير في بعض الألفاظ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٦/٧) رقم ١٠٣٦٨ بلفظ «خص يستظل به» وتقديماً وتأخيراً، والطبري في تفسيره (٦٨٠/١٢) موقوفاً على الحسن وقتادة.

(٢) رواه هناد في الزهد (٣٦٤) عن ابن مسعود مرفوعاً، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/١٤٩) رقم ٤٦١٥ موقوفاً، والبغوي في التفسير (١/٥١٩)، وذكره ابن كثير في التفسير (٧٠٤/٤).

وأخرجه الطبري في التفسير (٦٨٠/١٢) موقوفاً على سفيان والشعبي.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد موقوفاً على معاوية بن قرة (٤٦٧) رقم ١٣٢٦، والخطيب كذلك في اقتضاء العلم العمل (١٠٣) رقم ١٧٥.

## مطلب

أول خلق الله تعالى يحاسب يوم القيامة الدواب والبهائم

## فصل في حساب البهائم

قال يحيى بن جعدة: أول خلق الله تعالى يحاسب يوم القيامة الدواب والهوام حتى يقضي الله بينها، حتى لا يذهب شيء بظلامه، ثم يجعلها تراباً، ثم يبعث الثقلين - الإنس والجن - فيحاسبهم، فيومئذ يتمنى الكافر ﴿يَلْتَنِّي كُتُّ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠].

وذكر نحوه البغوي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه وأخرجه الحاكم عن ابن عمرو قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وحشر الله الخلائق - الإنس والجن، والدواب والوحوش - فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب حتى يقضي للشاة الجماء من القرناء بنطحتها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها: كوني تراباً، فيراها الكافر فيقول: ﴿يَلْتَنِّي كُتُّ تُرَابًا﴾<sup>(١)</sup> [النبا: ٤٠].

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن أبي هريرة قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة - البهائم والدواب والطيور وكل شيء - فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول: كوني تراباً، فذلك حين يقول الكافر: ﴿يَلْتَنِّي كُتُّ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠].

وقال مقاتل: يجمع الله الوحوش والهوام والطيور، فيقضي بينهم حتى

(١) رواه الطبري في التفسير (٤١٨/١٢)، والبغوي في التفسير (٣١٨/١) موقوفاً.

يقضي للجماة من القرناء ثم يقول لهم: أنا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم، وكنتم مطيعين أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذي كنتم، كونوا تراباً، فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً يتمنى، فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير، وكنت اليوم تراباً.

تنبيه:

ذكر البغوي عن عبد الله بن ذكوان قال: إذا قضى الله بين الناس وأمر أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار قيل لسائر الأمم ولمؤمني الجن عودوا تراباً، فيعودون تراباً، فحينئذ يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠] وبه قال ليث ابن سليم: مؤمنوا الجن يعودون تراباً.

قلت: والحق أن الجن كالإنس يدخل مؤمنهم الجنة وكافرهم النار.

قال الإمام العلامة شمس الدين محمد بن مفلح الراميني الحنبلي طيب الله ثراه في كتابه «الفروع» ما نصه: الجن مكلفون في الجملة إجماعاً، ويدخل كافرهم النار إجماعاً، ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقاً لمالك والشافعي، لأنه يصير تراباً كالبهائم، وثوابه النجاة من النار، خلافاً لأبي حنيفة. وأطال.

وقال شيخ مشايخنا العلامة بدر الدين البلباني في «عقيدته»: والجن مكلفون يدخل مؤمنهم الجنة، وكافرهم النار انتهى.

وقال العلامة في «البهجة»: وبعضهم جعل مؤمني الجن كالبهائم في أنه إذا حاسبهم الله تعالى يعودون تراباً، والصواب لا.

وقال في موضع آخر: وقال بعضهم: لا ثواب للجن إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم، وهو قول أبي حنيفة، حكاه عنه ابن حزم إلى أن قال: والصواب أنهم يثابون على الطاعة، ويعاقبون

على المعصية وهو قول: ابن أبي ليلى ومالك، ونقل عن الأوزاعي، وأبي يوسف ومحمد، وهو مذهب أحمد والشافعي، وسئل ابن عباس هل لهم ثواب؟ فقال: نعم لهم ثواب وعليهم عقاب.

وعن عمر بن عبد العزيز: أن مؤمني الجن حول الجنة.

وقال الضحاك: يأكلون في الجنة ويشربون.

وقال مجاهد: يدخلونها ولكن لا يأكلون ولا يشربون، ويلهمون التسبيح والتفديس، فيجدون فيه ما يجد أهل الجنة من لذيذ الطعام والشراب.

وقال بعض العلماء: إن نراهم في الجنة، ولا يرونا عكس الدنيا. انتهى.

وأخرج الإمام أحمد، وأبو نعيم عن عمران الجوني قال: حدثت أن البهائم إذا رأت بني آدم قد تصدعوا من بين يدي الله صنفين، صنفاً إلى الجنة، وصنفاً إلى النار، تناديهم البهائم: الحمد لله الذي لم يجعلنا اليوم مثلكم، لا جنة نرجو، ولا عقاب نخاف.

وأخرج البخاري عن ابن عمر مرفوعاً: «دخلت امرأة النار في هرة، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»<sup>(١)</sup>.

فظهر أنه يقتص من الإنسان للبهائم.

وأخرج مسلم، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء - أي التي لا قرن - لها من الشاة القرناء»<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري رقم ٣٤٨٢، ومسلم رقم ٢٦١٩ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٥٨٢، والترمذي (٦١٤/٤) رقم ٢٤٢٠ وأحمد (٣٧٢/٢) رقم ٨٨٣٤، و(٤١١) رقم ٩٣٢٢.

ورواه الإمام أحمد بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: «يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماة من القرناء، وحتى للذرة من الذرة»<sup>(١)</sup>. ورواه رواية الصحيح.

وأخرج الإمام أحمد أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا»<sup>(٢)</sup>. وإسناده حسن. ورواه أيضاً هو وأبو يعلى عن أبي سعيد.

إذا علمت ذلك تبين لك أن حشر البهائم حق، وقد جرى بين العلماء في ذلك نزاع، وها نحن نذكر طرفاً من ذلك مبرهنيين ومحققين على ما نعتمد عليه إن شاء الله تعالى.

قال ابن دحية في كتابه «الآيات البيئات» اختلف الناس في حشر البهائم، وفي جريان القصاص بينها، فقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: لا تجوز المقاصة بين البهائم لأنها غير مكلفة، وما ورد في ذلك من الأخبار نحو قوله ﷺ: «يقتص للجماة من القرناء، ويسأل العود لم خدش العود»<sup>(٣)</sup>. فعلى سبيل المثال والإخبار عن شدة التقصي في الحساب، وأنه لا بد أن يقتص للمظلوم من الظالم.

وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: يجري القصاص بينها، ويحتمل أنها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا.

(١) أحمد (٣٦٣/٢) رقم ٨٧٤١ باختلاف يسير جداً.

(٢) أحمد (٣٩٠/٢) رقم ٩٠٦٠، وأبو يعلى في مسنده (٥٣٠/٢) رقم ١٤٠٠.

(٣) ذكره القرطبي في التذكرة (٣٠٨) في معرض حديثه عن القصاص يوم القيامة وقال في ذلك «وعضدوا ذلك بما روى في غير الصحيح» وذكر ذلك في التفسير (٣٨٤/٦). وذكره كذلك منبهاً على عدم صحته الشوكاني في فتح القدير (١٦٤/٢).

قال ابن دحية: وهذا جار على مقتضى العقل والنقل، لأن البهيمة تعرف النفع والضرر، فتفر من العصا وتقبل للعلف، وينزجر الكلب إذا زجر وإذا انشلى<sup>(١)</sup> استشلى، والطيور والوحش تفر من الجوارح استدفاعاً لشرها.

فإن قيل: القصاص انتقام والبهائم ليست مكلفة.

فالجواب: أنها ليست بمكلفة لكن الله تعالى يفعل في ملكه ما أراد، كما يسلط عليهم في الدنيا التسخير لبني آدم، والذبح لما يؤكل منها، ولا اعتراض عليه سبحانه، وأيضاً فإن البهائم إنما يقتصر لبعضها من بعض، لا أنها لا تطالب بارتكاب نهي ولا مخالفة أمر، لأن هذا مما خص الله به العقلاء، ولما كثر النزاع في ذلك وكان فيه نوع إشكال على العقول نظرنا، فإذا هو سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَإِن نَّزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] فنظرنا في القرآن فإذا فيه: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] والحشر هو الجمع كما مر، ونظرنا في السنة فإذا هي مشحونة من الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة في ذلك مما ذكرناه آنفاً، فتحققنا أن الحق الذي لا محيد عنه، هو القول بما صرحت به السنة الغراء ولا التفات لمن خالفها.

قلت: وإذا تأمل العاقل في أحوال الحيوان انكشف له عن حقيقة ذلك ولاح له البرهان، فانظر في حال النملة كيف تحمل قوتها وتدخره لزمان الشتاء، وانظر إلى النحلة تجد أمراً يذهل العقول، فإنها تجني من الأنوار والأزهار، وتتنزه عن النجاسات والأقذار، وتطيع لواحد من جملتها وهو

(١) في المصباح المنير قال: أشليت الكلب وغيره إشلاء دعوته، وأشليته على الصيد مثل أغريته وزنا ومعنى. المصباح المنير مادة: شلا.

أكبرها شخصاً، وهو أميرها، ثم انظر إلى ما ألهمها الله من العدل والإنصاف، فإن كبيرها يقتل كل من وقع على نجاسة أو خالف أمراً أمر به، ثم تأمل في بنائها بيتها من الشمع واختيارها الشكل المسدس لأنه أوسع الأشكال وأحواها، وكم في ذلك من حكمة تدق على فهم كل ذي فهم.

### حكاية:

وروى أبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت عند كعب الأحمار وهو عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كعب: يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شيء قرأته في كتب الأنبياء - عليهم السلام - أن هامة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت: السلام عليك يا نبي الله، فقال: وعليك السلام، يا هامة أخبريني كيف لا تأكلين من الزرع؟ قالت: يا نبي الله إن آدم أخرج من الجنة بسببه، فقال: فكيف لا تشربين الماء؟ قالت: لأن الله غرق قوم نوح فيه، فمن أجل ذلك لا أشربه، فقال لها سليمان: كيف تركت العمران وسكنت الخراب؟ قالت: لأن الخراب ميراث الله، فأنا أسكن ميراث الله، قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبٍ بِطَرَتِ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ يَشْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨] فالدنيا ميراث الله كلها.

قال سليمان: فما صياحك في الدور إذا مررت عنها؟

قالت: أقول: ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد؟

قال: فما بالك لا تخرجين في النهار؟

قالت: من ظلم بني آدم أنفسهم.

قال: فأخبريني ما تقولين في صياحك؟

قالت: أقول تزودوا يا غافلين، وتهيئوا لسفركم، سبحانه خالق النور.

قال سليمان: ليس في الطيور طير أنصح لابن آدم، وأشفق عليه من الهامة، وما على قلوب الجاهل أبغض منها.

فانظر كيف تعرف أن أمام الناس شدائد.

وذكر في «حياة الحيوان» أن سيدنا سليمان عليه السلام مر على حمامة

تغرد، فقال: أتدرون ما تقول هذه الحمامة؟

فقالوا: لا، فقال: إنها تقول:

يا ليت هذا الخلق ما خلقوا      وليتهم إذ خلقوا علموا لما خلقوا  
وليتهم إذا علموا      عملوا بما علموا

وأشدت في ذلك ارتجالاً أبياتاً منها:

يا ذا النهى قد جاء في خبر      نرويه عن قبلنا سبقوا  
إن ابن داود النبي رأى      حمامة قد حفها الورق  
تقول في تغريد نغمتها      يا ليت هذا الخلق ما خلقوا

والحاصل: أن الله سبحانه وتعالى له حكّم يدق فهمها عن إدراك

أولى الأبواب.

فالواجب على كل موفق التسليم للنصوص الواردة في الكتاب

العظيم، وفي سنة نبيه الكريم، حيث ثبتت عنه عليه السلام بالأسانيد المقبولة، فإن طابقت العقل فيها ونعمت، وإلا علمنا أن ذلك العقل التي<sup>(١)</sup> لم يدرك كنه

(١) كذا بالأصل.

ذلك إنما لم يدرك ذلك لانحراف فيه، لا أن الحديث الثابت عن حضرة  
الرسالة يُرد لعدم قبول عقل بعض الناس له، والله سبحانه وتعالى أعلم.

\* \* \*

## فصل في حساب الناس والإتيان بالشهود

قال تعالى: ﴿فَلَنَسْتَأَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

قال ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما: يسأل الناس جميعاً عما أجابوا المرسلين، والمرسلين عما بلغوا.

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

قال المفسرون: يعني الكتب التي فيها أعمال العباد.

وجيء بالنبيين: يسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الشهداء هنا: هم الذين يشهدون للرسول بتبليغ الرسالة إذا جحد أممهم، وقيل: الحفظة الموكلون بالعبد، وقيل: الذين يستشهدون في طاعة الله.

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

قال مكي: المراد به البر والفاجر.

وقال الضحاك: المشركون.

واختلفوا في السائق فقيل: ملك، وهو قول جل المفسرين كابن عباس وغيره.

وقيل: قرينها من الشياطين، وقد يستأنس له بخبر الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني

إلا بخير»<sup>(١)</sup>.

وأكثر الروايات فأسلم بالنصب أي فإنه أي قريني أسلم، وقيل: فأسلم بالرفع على أنه فعل مضارع أي فأسلم منه، والأول أظهر بدليل تمام الحديث: «فلا يأمرني إلا بخير».

وقال ابن عباس وجمع من المفسرين: المراد بالشهيد العمل.

وقال الضحاك: إنه من أنفسهم الأيدي والأرجل.

وقال مجاهد: السائق والشهيد ملكان.

إذا علم هذا فذكر العلماء رحمهم الله تعالى أن أول من يسأل اللوح المحفوظ، فإسرافيل، فجبريل، ثم أصحاب الشرائع.

وأخرج أبو الشيخ: أول من يحاسب يوم القيامة اللوح المحفوظ يدعى به ترعد فرائضه فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: إسرافيل، فيدعى إسرافيل ترعد فرائضه فيقال له: هل بلغت اللوح؟ فإذا قال: نعم، قال اللوح: الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب.

وأخرج أيضاً قال: إذا كان يوم القيامة دعي إسرافيل ترعد فرائضه فيقال ما صنعت فيما أدى إليك اللوح؟ فيقول: بلغت جبريل، فيدعى جبريل ترعد فرائضه، فيقال: ما فعلت فيما بلغت إسرافيل؟ فيقول: بلغت الرسل، فيؤتى بالرسول فيقال: ما صنعتم فيما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون: بلغنا الناس، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْتَأَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأَنَّ

(١) مسلم رقم ٢٨١٤، والدارمي في سننه (٣٩٦/٢) رقم ٢٧٣٤.

الْمُرْسَلِينَ ﴿ [الأعراف: ٦] وفي رواية: فيقول جبريل: بلغت محمداً، فيأمر الله أن يقدم محمد بالرفق واللين، فتأتيه الملائكة مع جبريل وميكائيل وإسرافيل، فيقولون: أجب ربك عز وجل فيقول جبريل: يا محمد، تداركني فإن محبتي معك إنما كانت لأجل هذا اليوم، قال: فيأتي النبي ﷺ ويسجد بين يدي الله، فيقول الله لي: ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تشفع، فيقول الله: هل بلغك جبريل؟ فأقول: نعم، فيقول الله: وما صنعت بها؟ فأقول: بلغتني إلى أمتي، قال: فيأمر الله حتى تقدم أمتي<sup>(١)</sup>. الخبر وفي النفس منه شيء.

وأخرج البخاري، والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم فتدعى أمته، فيقال لهم: هل بلغكم نوح؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا أحد. فيقال: من يشهد لك؟ فيقول محمد ﷺ وأمته، فذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الآية [البقرة: ١٤٣]».

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود - أي طلب وتمنى - أنه منا، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه<sup>(٢)</sup>».

(١) في الأحاديث الصحيحة ما يغنى عن هذا الكلام غير المسند، وانظر تعليق المصنف عليه.

(٢) البخاري رقم ٣٣٣٩، ٤٤٨٧، ٧٣٤٩، والترمذي (٢٠٧/٥) رقم ٢٩٦١، وابن ماجه (١٤٣٢/٢) رقم ٤٢٨٤، والنسائي في السنن الكبرى (٢٩٢/٦) رقم ١١٠٠٧ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (٨/٢)، وذكره ابن كثير في التفسير (٢٥٨/١)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٤٩/١) وعزياه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.

قوله: «على كوم» هو الشيء المرتفع.

قال المفسرون: تشهد أمة محمد يوم القيامة للأنبياء على أمهم بالتبليغ، فيقول الله لهم: شهدتم على من لم تحضروا، فيقولون: أي ربنا أنت أعلم، جاءنا رسولك ونزل إلينا كتابك، فنحن نشهد بما عهدت إلينا وأعلمتنا به، فيقول الله: صدقتم.

وفي خطبته ﷺ في حجة الوداع: «إنكم تسألون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: «اللهم اشهد»<sup>(١)</sup>. صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) جزء من حديث رواه مسلم رقم ١٢١٨.

(٢) في حاشية الأصل / بلغ مقابلة.

## فصل في شهادة الأعضاء والأزمنة والامكنة

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ بِأَرْجُلِهِمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾ [فصلت: ٢١].

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: «تدرون مم أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين عليك شهوداً، فيختم على فيه، ويقال لأركانه انطقي، فتتطق بأعماله فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل<sup>(١)</sup> أي أجادل وأخاصم وأدفع.

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: «إن<sup>(٢)</sup> أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذ من الرجل الشمال<sup>(٣)</sup>».

وأخرج ابن جرير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: يدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله، فيجحد ويقول: أي رب

(١) مسلم رقم ٢٩٦٩ بزيادة بعض الكلمات، وابن حبان في صحيحه (٣٥٨/١٦) رقم ٧٣٥٨.

(٢) في حاشية الأصل/ قف على أول عضو من الإنسان يشهد.

(٣) رواه أحمد (١٥١/٤) رقم ١٧٤١٢، والطبراني في مسند الشاميين (٤٣٠/٢) رقم

١٦٣٥، وفي الكبير (٣٣٣/١٧) رقم ٩٢١ وذكره الهيثمي (٦٣٦/١٠) رقم ١٨٣٩٩

وقال: رواه أحمد والطبراني وإسنادهما جيد.

وعزتك لقد كتب عليّ هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا، فيقول: لا وعزتك فإذا فعل ذلك ختم على فيه<sup>(١)</sup>.

قال أبو موسى: فإني أحسب أول ما ينطق منه فخذة اليمين، ثم تلى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وأخرج الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام»<sup>(٢)</sup> وإن أول ما يتكلم من الآدمي فخذة»<sup>(٣)</sup>.

فهذا الحديث لم يبين أي فخذي المرء ينطق أولاً، والذي قبله أن أول ما ينطق من الإنسان فخذة اليمين، والذي قبله الشمال، ولعل ذلك يختلف باختلاف الأشخاص على أن حديث عقبة جزم بأن أول ما يتكلم من الإنسان فخذة من الرجل الشمال، وحديث أبي موسى لم يجزم، بل قال أحسب، وأيضاً حديث عقبة صرح برفعه إلى النبي ﷺ، ولا كذلك أبي موسى.

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٠/٤٥٧) موقوفاً على أبي موسى.

(٢) في حاشية الأصل/ هو بالكسر، ما يوضع على فم الإبريق ليصفي به ما فيه، فعال من القدم وهو الشد. انتهى لغة. قلت وجاء في النهاية: الفدام ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه، أي أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم، فشبّه ذلك بالفدام، وقيل كان سقاة الأعاجم إذا سقوا فدموا أفواههم أي غطوها. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة: فدم.

(٣) جزء من حديث رواه أحمد (٥/٣) رقم ٢٠٠٣٦ بلفظ «تخشرون ههنا وأوماً بيده إلى نحو الشام مشاة وركبانا وعلى وجوهكم تعرضون على الله تعالى، وعلى أفواهكم الفدام، وأول ما يعرب عن أحدكم فخذة» والطبراني في الكبير (١٩/٤٢٦) رقم ١٠٣٦ بنحو حديث أحمد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦٣٦) رقم ١٨٤٠٠ وقال: رواه أحمد في حديث طويل ورجاله ثقات.

نعم هو في حكم المرفوع إلا أن حديث عقبة مقدم هنا على حديث أبي موسى لما ذكرنا، ولم أدر ما حكمة نطق الفخذ أولاً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصور نفسك أيها المغرور في ذلك المقام، وتأمل في حالتك إذا اشتد الزحام، ونطق أعضاؤك بما لممت به في غابر الأيام، فيا لها من ساعة ما أظفعتها، وهتيكة ما أشنعها، شهدت عليك أعضاؤك بما عملت من الجرائم، ونظقت بذلك أبعاضك بما فعلت من المظالم وانتهكت من المحارم، فهذه لعمرى الحسرة العظيمة والمصيبة الجسيمة.

وأنشدوا:

إذا جئت عن نفس بنفسي أجادل  
وسيق جميع الناس واليوم باسل  
وتلت عروس عندها ومجادل  
أسامح أم أجزي بما أنا فاعل  
وإن يك غفران فضل ونائل  
ويا خير من ترجى لديه الوسائل  
فعفوك مأمول وجودك شامل  
صلاة بها تعطيه ما هو آمل

خليلي ما أقضي وما أنا قائل  
وقد وضع الرحمن في الحشر عدله  
وجيء بجرم النار خاضعة له  
فيا ليت شعري ذلك اليوم هل أنا  
فإن أك مجزياً فعدل وحجة  
فيا خير مأمول ويا خير راحم  
تعطف على العاصين واغفر ذنوبهم  
وصل على خير الأنام محمد

وقلت في المعنى:

شهادة أعضائي بما كنت تجرمي  
عليك وقد ختم العظيم على فمي  
إذا قيل هذا قد أتى بمحرم  
وصومي وصلي واحفظي الله تسلمي

كفى حسرة يا نفس لو كنت تعلمي  
ونادى مناد الحق ها أنت شاهد  
فوا خجلتي يا نفس في ذلك الملا  
فيا نفس توبي واتقي الله وارجمي

وقومي على الطاعات وارعي حدود من يراك وتوبي واتقي الله واندمي  
ونوحى على الذنب القديم الذي مضى لعلك يا نفس لدى الله ترحمي  
وإن كنت نفسي فاذكري الله واحذري على المصطفى الهادي الأمين وآله

قال المفسرون في قوله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] أنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد، فيقولون: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فيقول الله لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] أنهم شركاء، ثم يختم على أفواههم، وتشهد جوارحهم بالكفر.

وأخرج أبو يعلى، والحاكم وصححه عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا كان يوم القيامة غير<sup>(١)</sup> الكافر بعمله، فيجحد ويخاصم، فيقال: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقول: أهلك وعشيرتك فيقول: كذبوا، فيقول: احلفوا فيحلفون ويصمتهم الله، ويشهد عليهم ألسنتهم فيدخلهم النار»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي وابن حبان، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] أي تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على

(١) في الأصل (يمر) وعند أبي يعلى (عُرِف) وعند الحاكم (غير).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥٢٧/٢) رقم ١٣٩٢، والحاكم (٦٤٨/٤) رقم ٨٧٩٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: على شرط مسلم.

ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا، فذلك أخبارها»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «تحفظوا<sup>(٢)</sup> من الأرض فإنها أمكم، وأنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج أبو نعيم عن معقل بن يسار مرفوعاً: «ليس من يوم يأتي علي ابن آدم إلا ينادي فيه: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل غداً شهيد، فاعمل في خيراً أشهد لك به غداً، فإني لو قد مضيت لم ترني أبداً، ويقول الليل مثل ذلك»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه قال لعبد الرحمن: إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد يوم القيامة»<sup>(٥)</sup>.

فائدة:

أخرج الأصبهاني في ترغيبه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض

(١) أخرجه أحمد (٣٧٤/٢) رقم ٨٨٥٤ بزيادة بعض العبارات، والترمذي (٤٤٦/٥) رقم ٣٣٥٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٥٢٠/٦) رقم ١١٦٩٣، وابن حبان (٣٦٠/١٦) رقم ٧٣٦٠، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٦٤/٥) رقم ٧٢٩٨.

(٢) في حاشية الأصل/ قف على ورود الخبر بأن الأرض أم البشر.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٦٥/٥) رقم ٤٥٩٦ عن ربيعة الجرشي وذكره الهيثمي (١/٥٥٠) رقم ١٢٤٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٠٣/٢)، وذكره القرطبي في التذكرة (٣٣١) وقال: غريب من حديث معاوية، تفرد عنه زيد العمي ولا أعلمه مرفوعاً عن النبي إلا بهذا الإسناد.

(٥) رواه البخاري رقم ٦٠٩.

حتى يلقي الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب»<sup>(١)</sup>.

وهذه بشارة عظيمة، فنسأل الله سبحانه أن يرزقنا توبة نصوحاً تمحو ما تقدمها من الذنوب والخطايا بمنه وفضله.

\* \* \*

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/١٤)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤٨/٤) رقم ٤٧٥٦ وصدده بصيغة التمريض.

## فصل

## في حساب المؤمن ومن يكلمه الله ومن لا يكلمه

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة: ٧، ٨].

قال حبر القرآن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً في الدنيا إلا أراه الله إياه، فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته، فيغفر له سيئاته ويشبهه بحسناته، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته، فيرد عليه حسناته ويعذبه بسيئاته.

وأخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيعرض عليه صغارها ويخبأ عليه كبارها فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وهو يقر ليس ينكر، وهو مشفق من الكبائر أن تجيء، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: إن لي ذنوباً لا أراها هنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فينادى به على رؤوس الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ﴾

(١) أخرجه مسلم رقم ١٩٠، والترمذي (٧١٣/٤) رقم ٢٥٩٦، وأحمد (١٥٧/٥) رقم

اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ [هود: ١٨].

وأخرج البيهقي عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيستر ربه بينه وبين الناس، فيرى خيراً، فيقول: قد قبلت، ويرى شراً، فيقول: قد غفرت، فيسجد عند الخير والشر، فيقول الناس: طوبى لهذا العبد الذي لم يعمل شراً قط»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «ليأتين ناس يوم القيامة ودوا أنهم استكثروا من السيئات، قيل: من هم؟ قال: الذين بدل الله سيئاتهم حسنات»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج أبو نعيم عن بلال بن سعد قال: إن الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة وإن تاب منها.

وأخرج الشيخان عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب يحجبه ولا ترجمان يترجم له، فيقول: أو لم أوتك مالاً؟ فيقول: بلى، فيقول: أو لم أرسل إليك رسولاً؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، وينظر عن يساره فلا يرى إلا النار، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار، فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة»<sup>(٤)</sup>.

قال العلماء: ذلك يكون على الصراط والنار محيطة به.

(١) رواه البخاري رقم ٢٤٤١، ومسلم رقم ٢٧٦٨ بزيادة سيرة عن ابن عمر.

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (١٤ / ٦٢٧) رقم ٣٩٧٤٨، وعزاه للبيهقي وقال: هذا موقوف ولا يقوله إلا توقيفاً.

(٣) أخرجه الحاكم (٤ / ٢٨١) رقم ٧٦٤٣، وقال: إسناده صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) رواه البخاري رقم ١٤١٣، ومسلم رقم ١٠١٦ باختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قال أعرابي: يا رسول الله، من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال: الله قال: نجونا ورب الكعبة، قال: «وكيف يا أعرابي؟» قال: لأن الكريم إذا قدر عفا»<sup>(١)</sup>.

وما أحسن ما قيل من الحكم المدونة: الكريم إذا قدر غفر، وإذا زللت معه ستر.

ومنها: ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام.

فائدة:

ذكر القرطبي في «التذكرة»: أن الله سبحانه وتعالى يكلم المسلمين عند الحساب من غير ترجمان إكراماً لهم، ولا يكلم الكافرين بل تحاسبهم الملائكة إهانة لهم، وتمييزاً عن أهل الكرامة.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع إماماً ما يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفي له، وإلا لم يف له، ورجل يبايع رجلاً سلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى كذا وكذا فصدقه ولم يعط بها»<sup>(٢)</sup>.

فشمل هذا الحديث هؤلاء الثلاثة أشخاص.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٦/١) رقم ٢٦٢، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٣٩) رقم ٢٥، وذكره الشوكاني في كشف الخفاء (٩٢٠/٢) رقم ١٩٢٥ وقال: قال البيهقي وفيه محمد بن زكريا الغلابي، متروك، ويشبه أن يكون موضوعاً، ولكنه مشهور - يعني بين الزهاد ونحوهم - وأنا أبرأ من عهده، يعني لا أقول بوضعه ولا بشوته.

(٢) رواه البخاري رقم ٢٣٥٨، ٧٢١٢، ومسلم رقم ١٠٨ باختلاف في بعض الألفاظ.

**فالأول:** في غاية البخل والشح لأنه منع فضل ماء بالطريق، فلا شك أن هذا من أعداء الله، حيث منع ما لم يحتج إليه من هو محتاجاً إليه، والبخيل عدو الله من غير شك، فقبح الله البخل وأهله، ورحم الله أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز - قدس الله روحه - حيث قالت: أف للبخل لو كان قميصاً ما لبسته، أو كان طريقاً ما سلكته.

**والثاني:** في الغدر، ولا شك أن الغدر مذموم، وصاحبه من الخيرات محروم.

قال بعض العلماء: رب غادر لا تظفر يده بغادر، وضافت عليه من موارد الحركات فسيحات المصادر، وطوقه غدره طوق خزي، فهو على فكه غير قادر، وأوقعه في خطة خسف وورطة حتف، فماله من قوة ولا ناصر.

**والثالث:** الحلف بالله كذباً لا سيما بعد العصر، وهذا معلوم قبحه، فنسأل الله العافية.

وأخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل - أي فقير - مستكبر»<sup>(١)</sup>.

فلا شك أن هؤلاء الثلاثة أشخاص بالغوا في القبح، فإن الزنا من حيث هو قبيح، لكن من الشيخ الكبير الذي قد انطفت شهوته ولم يحمله على فعل هذه الكبيرة إلا مجرد العناد والحماقة أقيح، وكذلك الكذب إنما يحمل عليه الحاجة والطمع والخوف، ونحو هذه الأمور، ومن المعلوم أن

(١) رواه مسلم رقم ١٠٧، وأحمد (٤٨٠/٢) رقم ١٠٢٣٢.

الملك لا يفتقر لشيء من هذه الأشياء، فالكذب قبيح ومن الملك أقبح، لكونه إنما فعله لعناده وحماقته، وكذلك الكبر قبيح، ومن الفقير الذي لم تتوفر له الأسباب الحاملة على الكبر أقبح، نعم إن تكبر الفقير على المتكبر بمعنى أنه لم ينخفض له من أجل دنياه، بل تنزه والتجأ إلى الله، فهذا من مكارم الأخلاق التي يحمد عليها من فعلها، فنسأل الله أن يمن علينا بالتوفيق لما يرضيه عنا بمنه وكرمه.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن سلمان رضي الله عنه مرفوعاً: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني - بسند جيد - عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من ولي من أمور الناس شيئاً، فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>. ومن هذا كثير، والله الموفق.



(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٤٦/٦) رقم ٦١١١ بلفظ «أشمط» وفي الأوسط (٣٦٧/٥) رقم ٥٥٧٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٠/٤) رقم ٤٨٥٢.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٨/٥) رقم ٢٢١٢٩ والطبراني في الكبير (١٥٢/٢٠) رقم ٣١٦، وابن الجعد في مسنده (٣٣٦) رقم ٢٣٠٩ باختلاف يسير، وروى نحوه الحاكم (١٠٥/٤) رقم ٧٠٢٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وإسناده شامي صحيح ووافقه الذهبي.

## فصل

## في سرعة الحساب وفيمن يدخل الجنة بغير حساب

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

روي أنه تعالى يحاسب الخلق في قدر حلب شاة، وفي مقدار فواق ناقة، وروي في مقدار لمحة، ذكره الزمخشري في كشافه.

قال الحسن: حسابه أسرع من لمح البصر، حكاه الثعلبي عنه.

وقيل: لعلي بن أبي طالب عليه السلام كيف يحاسب الله الخلائق يوم القيامة؟ قال: كما يرزقهم في يوم واحد.

وفي الحديث: «لا يتتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار»<sup>(١)</sup>.

قال بعضهم: من غريب حكم الآخرة أن الرجل يؤتى به إلى الله فيوقفه، وتوزن حسناته وسيئاته، وهو يظن أن الله لم يحاسب أحداً سواه، وقد حاسب في تلك اللحظة آلاف ألوف، وما لا يمكن حصره.

قال العلامة: قلت لعل السر في هذا وتقريبه للعقول، إن معنى الحساب قال المفسرون: تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم على ما قد نسوه.

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٤٩٥/١٠)، وذكره ابن كثير في التفسير (٤١٨/٣) والحاكم (٤٣٦/٢) رقم ٣٥١٦ موقوفاً على ابن مسعود وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قال: وهذا قريب للعقل جداً بأن يخلق الله في قلوبهم العلوم الضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب في لحظة واحدة. انتهى.

قلت: والحق أنه سبحانه يحاسبهم حساباً حقيقياً. وتوزن أعمالهم وزناً حسياً، ويخلو الباري عز وجل بكل عبد من عباده المؤمنين، ويقره عن أعماله كما نطق بذلك الحديث الصحيح، والنص الصريح الثابت عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وأي حساب يصدر من الله لعباده حيث جعلتم الحساب مجرد خواطر وأوهام وتخيلات تمر بالأفهام؟

وقد قدمنا أن السماوات والأرض بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، مع أنه ينزله الباري فيضعه حيث شاء من الأرض، فهذا العقل قد يرده لعدم تدبره، مع أن الحق ما صح به الحديث الثابت، فالذي ندين الله به التسليم لجميع ما صح عنه ﷺ، وتلقي جميع ذلك بالقبول من غير طعن في شيء مما ثبت عنه ﷺ، ونحمله على حقيقته، ونكل معنى ما أشكل من ذلك إلى الله، وأما هذه التخيلات، أي أن الله سبحانه إذا حاسب واحداً من خلقه فقد حاسب جميع الناس والخلائق، فالحامل عليه مجرد قصور عقول من لا يسلم للشريعة المطهرة، وأما من سلم لها فقد زال عنه الإشكال، واتضح له الحال، فهو إذا سمع حديث المصطفى ﷺ هش له فرحاً، ورقص قلبه له طرباً، لأنه كلام طيب القلوب المرضي ﷺ.

وأخرج البزار والطبراني بإسناد صحيح عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب هلك»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري رقم ٤٩٣٩، ومسلم رقم ٢٨٧٦ عن عائشة رضي الله عنها، والبزار في مسنده (٦/١٦٠) رقم ٢١٩٨، والطبراني في الأوسط (٦/٣٨١) رقم ٦٦٧٦.

وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من نوقش الحساب عذب» فقلت: أليس يقول الله: ﴿فَأَمَّا (١) مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩)﴾ [الانشقاق: ٧-٩] فقال: إنما ذلك العرض، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك» (٢).

وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلواته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً». فلما انصرف - أي فرغ من صلواته - قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن يكفر عنه من سيئاته حتى الشوكة يشاكها» (٣).

وأخرج الإمام أحمد في الزهد: «أوحى الله إلى داود أنذر عبادي الصديقين فلا يعجبون بأنفسهم، ولا يتكلمون على أعمالهم، فإنه ليس أحد من عبادي أنصبه للحساب وأقيم عليه عدلي إلا عذبتة من غير أن أظلمه».

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن ينجي أحداً منكم عمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل» (٤).

وأخرج أيضاً عن عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ قال: «سدوا، وقاربوا،

(١) في الأصل / (وأما) والمثبت هو الصواب.

(٢) سبق ص ٦٦٦ .

(٣) أخرجه أحمد (٤٨/٦) رقم ٢٤٢٦١ بلفظ «تشوكة» وابن حبان في صحيحه (٣٧٢/١٦) رقم ٧٣٧٢، والحاكم (٦٢٣/٤) رقم ٨٧٢٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه البخاري رقم ٥٦٧٣، ومسلم رقم ٢٨١٦ واللفظ له.

وأبشروا فإنه لا يدخل الجنة أحداً عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»<sup>(١)</sup>.

واستشكل هذا بقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[النحل: ٣٢].

وأجيب بحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، وأما أصل دخولها والخلود فيها فبرحمة الله جل وعز، بدليل ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «تجوزون على الصراط بعفو الله، وتدخلون الجنة برحمة الله، وتقتسمون المنازل بأعمالكم»<sup>(٢)</sup>.

فنسأل الله بنور ذاته المقدسة أن يدخلنا الجنة برحمته، وأن يمن علينا بالنظر إلى وجهه من غير سابقة عذاب ولا محنة، إنه جواد كريم، رؤوف رحيم.

واعلم أن طائفة من هذه الأمة الشريفة تدخل الجنة بغير حساب، وذلك قبل حساب الخلق ووضع الموازين وأخذ الصحف.

فقد أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فقال: «عرضت علي الأمم يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد، والنبي معه الرهط، فرأيت سواداً كثيراً، فرجوت أن يكون أمتي، فقبل هذا موسى صلى الله عليه وآله وقومه، ثم قبل انظر، فرأيت سواداً كثيراً فقبل لي: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة

(١) سبق ص ٦٦٩ .

(٢) أخرجه هناد في الزهد (١٩٨) رقم ٣٢٣ موقوفاً على ابن مسعود وأخرج نحوه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٧٤/٤٧) موقوفاً على عون بن عبد الله.

بغير حساب». فتفرق الناس، ولم يبين لهم رسول الله ﷺ فتذاكر أصحابه، فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكننا قد آمنّا بالله ورسوله هؤلاء أبناؤنا فقال رسول الله ﷺ: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: أنا منهم يا رسول الله؟ وفي لفظ: ادع الله أن أكون منهم قال: «نعم» ثم قام آخر فقال: أنا منهم؟ فقال: «سبقك بها عكاشة»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام المحقق في كتابه: «الداء والدواء» قوله ﷺ: «سبقك بها عكاشة» لم يرد أن عكاشة وحده أحق بذلك ممن عداه من الصحابة، ولكن لو دعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب، وربما قام من لم يستحق أن يكون منهم فكان الإمساك أولى. انتهى.

فلا يفهم من هذا يعني قوله ﷺ: «سبقك بها عكاشة» أن عكاشة اختص بذلك دون غيره، بل لا يريد أن الرجل الذي سأل المصطفى ﷺ ليس من الذين يدخلون الجنة بغير حساب، كيف وهو كما فسره بعض العلماء أنه سعد بن عباد، وأياديه في الإسلام مشهورة، ومناقبه أمام رسول الله ماثورة، ومن تأمل حاله لا سيما ما صدر منه يوم أحد وما تكلف، علم أنه أحق بذلك من كثير من الناس، بل نظير هذا ما ذكره الإمام المحقق قول سيدنا حذيفة رضي الله عنه لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنشدك الله هل سماني لك رسول الله ﷺ يعني في المناققين؟ قال: لا، ولا أزكي بعدك أحداً.

قال المحقق في «الداء والدواء»: سمعت شيخ الإسلام قدس الله

(١) رواه البخاري رقم ٥٧٥٢، ومسلم رقم ٢٠٠ بزيادة بعض الكلمات.

روحه يقول: ليس مراده - أي حذيفة إني لا أبرئ غيرك من النفاق - بل المراد إني لا أفتح عليّ هذا الباب، فكل من سألني هل سماني لك رسول الله ﷺ فأزكيه. انتهى.

فهذا نظير ما تقدم، وإلا فحاشا أن يكون حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يرى أكابر الصحابة من النفاق، كيف وقد جزم المعصوم لكثير منهم بالجنة كالعشرة، وعبد الله بن سلام، والسبطين، وأبي سفيان بن الحارث، وغيرهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعين ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي»<sup>(١)</sup>.

قوله: «وثلاث حثيات من حثيات ربي» قال في «مشارك الأنوار»: «ويروى حففات بالفتح وهو الغرف ملء اليدين، وقيل: الحثية باليد، والحفنة باليدين».

وأخرج الإمام أحمد والبخاري والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن ربي أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب». فقال عمر: يا رسول الله، هلا استزدته؟ قال: «قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً». فقال عمر: فهلا استزدته؟ قال: «قد استزدته فأعطاني هكذا» وفرج بين يديه وبسط باعيه

(١) رواه الترمذي (٦٢٦/٤) رقم ٢٤٣٧ بلفظ «حثياته» وقال: هذا حديث حسن غريب وابن

وحثاً، قال هشام: هذا من الله لا يدري ما عدده<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني والبيهقي عن عمرو بن حزم الأنصاري رضي الله عنه قال: تغيب عنا رسول الله ﷺ ثلاثاً لا يخرج إلا إلى صلاة مكتوبة ثم يرجع، فلما كان يوم الرابع خرج إلينا، فقلنا: يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه حدث حدث، قال: «لم يحدث إلا خير، إن ربي وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً لا حساب عليهم، وإني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزيد، فوجدت ربي ماجداً كريماً، فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً. قلت: يا رب، وتبلغ أمتي هذا؟ قال: أكمل لك العدد من الأعراب»<sup>(٢)</sup>.

ففي هذين الحديثين أن مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً، وعامة الأحاديث سواهما مع كل ألف من السبعين ألفاً سبعون ألفاً.

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب». فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله زدنا قال: «وهكذا»، فقال عمر: يا أبا بكر إن شاء الله أدخلهم الجنة بحفنة واحدة<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا يعلم أن في هذا الحديث حذفاً تقديره: وهكذا ثلاثاً أي

(١) أخرجه أحمد (١٩٧/١) رقم ١٧٠٦، والبزار في مسنده (٢٣٤/٦) رقم ٢٢٦٨، والطبراني في مسند الشاميين (٣٨٢/٤) رقم ٣٦١٣ بشيء من الاختصار، وذكره الهيثمي (٧٥٨/١٠) رقم ١٨٧١٣ وقال: رواه أحمد والبزار بنحوه والطبراني بنحوه وفي أسانيدهم القاسم بن مهرا عن موسى ابن عبيد، وموسى ذكره ابن حبان في الثقات والقاسم بن مهرا ذكره الذهبي في الميزان وباقي رجال إسناده محتج بهم في الصحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٥١/١) رقم ٢٦٨، ونحوه الطبراني في الكبير (٢٢/٣٠٤) رقم ٧٧١ وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٥٤٧/٤) وقال عنه العراقي: فيه موسى بن عبيدة الرندي ضعيف.

(٣) رواه أحمد (١٩٣/٣) رقم ١٣٠٣ باختلاف، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/٣٤٤)، وذكره الهيثمي (٧٥٦/١٠) رقم ١٨٧٠٧ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات على ضعف في أبي خلال الراس قليل.

ثلاث حثيات بدليل قول عمر: إن شاء الله أدخلهم الجنة بحفنة واحدة، وقد جاء ذلك مصرحاً في رواية، والله أعلم.

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أنس مرفوعاً قال: «إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دماً، فازدحموا على باب الجنة، فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء، كانوا أحياء يرزقون، ثم ينادي مناد: ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة، ثم ينادي مناد الثانية: ليقيم من أجره على الله، فليدخل الجنة. قال: ومن الذي أجره على الله؟ قال: «العافون عن الناس، ثم ينادي الثالثة: ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة فقام كذا وكذا ألفاً، فدخلوها بغير حساب»<sup>(١)</sup>.

وفي مرفوع أسماء بنت يزيد: «يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد يسمعون الداعي، وينفذهم البصر، فيقوم مناد فينادي: أين الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء؟ فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: أين الذين كانت ﴿نَسَجَاتٍ جُؤُوبُهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: ليقيم الذين كانوا ﴿لَا لَّهُمَّ يَحْزَرُهُ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون»<sup>(٢)</sup>. رواه ابن أبي الدنيا وغيره.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٨٥/٢) رقم ١٩٩٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٨٧/٦) وذكره الهيثمي (٥٣٦/٥) رقم ٩٥٣٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط في حديث طويل... وفي إسناده الفضل بن يسار، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه وبقية رجاله ثقات، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢١١/٣) وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن.

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (١٧٩/٥) رقم ٢٣٠٥، وهناد في الزهد (١٣٤) رقم ٣٦، والبيهقي في شعب الإيمان في مواضع متفرقة باختلاف في بعضها في (١٦٩/٣) رقم ٣٢٤٤ عن أسماء بنت يزيد، وفي (١٧٠) رقم ٣٢٤٦ عن عقبه بن عامر وفي (١/٤٥٣) رقم ٦٩٣ موقوفاً على الحسن.

وذكر الإمام الحافظ ابن رجب في كتابه «لطائف المعارف» قال: قد روي أن المتهمجين يدخلون الجنة بغير حساب. فذكر عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق سيعلم الخلائق اليوم من أولى بالكرم»<sup>(١)</sup>. فذكر الحديث.

قال الحافظ ابن رجب في (اللطائف): ويروى -يعني هذا الحديث- عن شهر بن حوشب عن ابن عباس من قوله.

ويروى نحوه من حديث أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة ابن عامر مرفوعاً وموقوفاً.

ويروى نحوه أيضاً عن عبادة بن الصامت وربيعة الحرشي والحسن وكعب من قولهم.

قال في (اللطائف): قال بعض السلف: قيام الليل يهون طول قيام يوم القيامة.

قال: وإذا كان أهله يسبقون إلى الجنة بغير حساب، فقد استراح أهله من طول الوقوف للحساب. والله أعلم.

وأخرج البزار عن زيد بن أرقم مرفوعاً: «ما ابتلي عبد بعد ذهاب دينه بأشد من بصره، ومن ابتلي ببصره فصبر حتى يلقي الله لقي الله ولا حساب عليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تخريج الحديث السابق وانظر ابن رجب في لطائف المعارف (٤٣).

(٢) ذكره الهيثمي (٤٢/٣) رقم ٣٨٤١ وقال: روه البزار وفيه جابر الجعفي وفيه كلام كثير وقد وثق.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة»<sup>(١)</sup>. يريد عينيه.

وفي حديث جابر: «من مات في طريق مكة ذاهباً أو راجعاً لم يعرض، ولم يحاسب»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث أبي هريرة: يا رسول الله، هل فينا رجل يدخل الجنة بغير حساب؟ قال: «نعم كل رحيم صبور»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً: «طالب العلم، والمرأة المطيعة لزوجها، والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب»<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إن شدة الجوع لا تصيب الجائع إذا احتسب»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري رقم ٥٦٥٣.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (٣٤٢/١) في ترجمة إسحاق بن بشر أبو يعقوب الكاهلي ترجمة رقم ١٧٢ قال عنه أبو بكر بن أبي شيبة وموسى بن هارون الحمال: إنه كذاب، وفي آخر الترجمة قال: وهو في عداد من يضع الحديث على أنه قد روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات في هذا الوجه من حاج أو معتمر لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة».

سنن الدارقطني (٢٩٧/٢) رقم ٢٨٧، والطبراني في الأوسط (٣٠٥/٥) رقم ٥٣٨٨، وأبو يعلى في مسنده (٧٩/٨) رقم ٤٦٠٨ وذكره الهيثمي (٣٧٨/٣) رقم ٥٢٧٣ وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وفي إسناد الطبراني محمد بن صالح العدوي ولم أجد من ذكره وبقيه رجاله رجال الصحيح، وإسناد أبي يعلى فيه عائذ بن بشير وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (٢٦٦)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢٨٦/٢).

(٤) ذكره الهندي في كنز العمال (١٦٠/١٠) رقم ٢٨٨٢٨، والألباني في السلسلة الضعيفة رقم ٣٢٥٣ وقال: موضوع.

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٥٥/٣) في ترجمة محمد بن الفضل بن العباس رقم ١١٨٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤٢/٨).

وحديث أنس مرفوعاً: «من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة عبادة سبعين حسنة، فإن قضيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب»<sup>(١)</sup>.

وعائشة مرفوعاً: «من ربي صبيلاً حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله»<sup>(٢)</sup>.

وعطاء مرفوعاً: «ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة إلا وفي عذاب القبر، وفتنة القبر ولقي الله ولا حساب عليه»<sup>(٣)</sup>. وتقدم، والله أعلم.



(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/٣٤٤) رقم ٣٣٥٢ بلفظ «من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة يخطوها سبعين حسنة» والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٧٨/٣) في ترجمة عبد الرحيم بن زيد العمي بزيادة «ومحا عنه سبعين سيئة» وقال: لا يتابع عليه ولا على كثير من حديثه، وذكره الهيثمي (٨/٣٤٨) رقم ١٣٧٠٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحيم بن زيد العمي وهو متروك.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/١٢٩) رقم ٤٨٦٥، وفي الصغير (٢/٢٣) رقم ٧١١، وذكره الهيثمي (٨/٢٩٢) رقم ١٣٥٠٦ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه سليمان بن داود الشاذكوني وهو ضعيف. وابن عدي في الكامل (٣/٢٩٨) وقال: منكر بهذا الإسناد ولعل البلاء فيه من أبي عمير هذا فإنه ضعيف.

(٣) روى الترمذي (٣/٣٨٦) رقم ١٠٧٤ عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر» وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (٢/١٦٩) رقم ٦٥٨٢ والطبراني في الأوسط (٣/٢٦٨) رقم ٣١٠٧، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٢٦٩) رقم ٥٥٩٥ بلفظ «برئ من فتنة القبر أو قال وفي فتنة القبر وكتب شهيداً».

## الباب الخامس في الميزان

قال القرطبي في (تذكرته): قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها. انتهى.

قال العلامة البلباني في عقيدته: ونؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، وله لسان وكفتان توزن بهما صحائف الأعمال.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: توزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة. انتهى.

وقال العلامة في بهجته: الصحيح بأن المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل، خلافاً لبعضهم. انتهى.

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٦﴾ فهو في عيشته راضية ﴿[القارة: ٦، ٧] أي راضٍ صاحبها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٨﴾ فَأُتْمِرْهُ هَاوِيَةً ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿[القارة: ٨-١١].

فبست الأم وبس الابن ابنها، فنسأل الله العافية.

وقال: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: ٩].

وروي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشي عليه، فلما أفاق قال: إلهي من ذا الذي يقدر يملاً كفته حسنات؟ فقال: إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرّة واحدة، ذكره الفخر والثعلبي.

وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: إن ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة، والأخرى على جهنم، لو وضعت السماوات والأرض في إحدهما لوسعتهن، وجبريل أخذ بعموده ينظر إلى لسانه<sup>(١)</sup>.

قال العلامة: «في كلام ابن سلام إن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس، وهو كذلك، ارتضاه الأئمة». انتهى.

قال القرطبي: المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة، وصغائرهم [إن كانت لهم] في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً، وتثقل الكفة النيرة حتى لا ترفع، وترفع المظلمة ارتفاع الفارغة الخالية.

قال: وأما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة، وإن كان لهم أعمال بر وضعت في الكفة الأخرى، فلا يقاومها إظهاراً لفضل المتقين، وذلل الكافرين.

قلت: الحق أن الكفار لا يقيم الله لهم وزناً، والله أعلم.

وأخرج الحاكم وصححه عن سلمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت<sup>(٢)</sup>، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي، فتقول

(١) في حاشية الأصل/ قف على أن الآخذ بلبان الميزان جبريل عليه السلام.

(٢) في الأصل (لوسعتهن).

الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البزار، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه أن ملكاً من ملائكة الله عز وجل موكل يوم القيامة بميزان ابن آدم فيؤتى به حتى يوقف بين كفتي الميزان فيوزن عمله، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق باسم الرجل: أَلَا سَعِدَ فُلَانٌ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا، وإن خف ميزانه نادى الملك: أَلَا شَقِيَ فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبَدًا<sup>(٢)</sup>.

وذكر الثعلبي وغيره وابن جرير في تفسيره، وابن أبي الدنيا عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام.

وقال الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان، وهو بيد جبريل عليه السلام.

تنبيه:

اختلف العلماء رحمهم الله هل الميزان واحد أو أكثر. فقال الحسن ابن أبي الحسن البصري: لكل واحد ميزان، لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال بعضهم: الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقوله: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٨].

(١) أخرجه الحاكم (٦٢٩/٤) رقم ٨٧٣٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٧٤/٦)، وفي مسند الحارث (١٠٠٤/٢) رقم ١١٢٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣٥/١٠) رقم ١٨٣٩٤ وقال: رواه البزار وفيه صالح المري وهو مجمع على ضعفه.

قال: وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، وللجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان.

ورده ابن عطية وقال: الناس على خلافه، وإنما لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد.

وأجاب بعضهم عن جمع الموازين في الآية فقال: ذلك لكثرة من توزن أعمالهم وهو جمع تفخيم.

واختلف العلماء أيضاً في الموزون، ف قيل: يوزن العبد مع عمله، وقيل غير ذلك.

والحق ما قدمناه عن شيخ مشايخنا البلباني: إنما الموزون صحف الأعمال، وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما، وصوبه العلامة في بهجته.

وقال الفخر: سئل رسول الله ﷺ عما يوزن يوم القيامة؟ فقال: «الصحف»<sup>(١)</sup> وهو مذهب المفسرين لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

فعلى هذا فالثقل الذي يكون في الميزان إنما يكون في صحائف الأعمال.

وحكاه ابن عطية عن ابن أبي المعالي، قال: وهذا أقرها.

فائدة:

أخرج الترمذي، وابن حبان، وابن ماجه، والحاكم وصححه

(١) ذكره الفخر الرازي في تفسير هذه الآية من سورة الأعراف.

والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الأشهاد يوم القيامة» وفي لفظ عند ابن الجوزي في «التبصرة» أنه قال ﷺ: «إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له» وعند ابن الجوزي عليه تسعة وتسعون سجلاً ولفظ ابن الجوزي بالبناء للفاعل في (ينشر) ونصب (تسعة وتسعين سجلاً) كل سجل منها مثل مد البصر، فيها خطاياها وذنوبه، فيقول له: أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله: بلى، إن لك عندنا حسنة، وأنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش». وفي لفظ: «فطاشت السجلات وثقلت» وفي لفظ: «وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ مشايخنا الإمام العلامة المتقن المحدث أوجد عصره ورئيس أهل الحديث في الديار الشامية، مفتي السادة الحنابلة، الشيخ تقي الدين عبد الباقي والد سيدي شيخ الإسلام أبي المواهب رحمهما الله تعالى: هذا حديث جليل له وقع في القلوب.

قال: وقال أبو الحسن الحراني لما أملى علينا حمزة الكناني هذا الحديث: صاح غريب من الحلقة صيحة فاضت فيها نفسه، قال: وأنا ممن

(١) أخرجه الترمذي (٢٤/٥) رقم ٢٦٣٩ وقال: هذا حديث حسن غريب وابن حبان في صحيحه (٤٦١/١) رقم ٢٢٥، وابن ماجه (١٤٣٧/٢) رقم ٤٣٠٠، والحاكم (٤٦/١) رقم ٩، وقال: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

حضر جنازته وصلى عليه، وهو جيد الإسناد، انتهى.

قال العلامة في (بهجته) ثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون إنما هو صحائف الأعمال، وهذا هو الحق كما قدمنا.

ونقل المفسرون عن مجاهد: أن المراد بالميزان العدل.

قال الفخر: ويروى مثله عن قتادة والضحاك، قال: وحكاه ابن جبير عن ابن عباس وبه قال الأعمش وكثير من المتأخرين.

ورده الفخر وقال: إن حمل الموازين على مجرد العدل، وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة غير جائز، لا سيما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بالأسانيد الصحيحة في هذا الباب.

والمعروف عن ابن عباس خلاف ما ذكره ابن جبير عنه.

أخرج أبو الشيخ في تفسيره من طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الميزان له لسان وكفتان.

فالحاصل: أن الميزان محمول على الحقيقة وأنه واحد، وأن الموزون صحائف الأعمال.

فإن قيل: قد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»<sup>(١)</sup>. فقد صرح بأن نفس الإنسان هو الموزون.

فالجواب: أن هذا ضربه ﷺ مثلاً للذي يغتر ببعض الأجسام، وهو

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٧٢٩، ومسلم رقم ٢٧٨٥.

كناية عن قلة اكتراث الله بالأجسام، فإن الله لا ينظر إلى صوركم، وإنما ينظر للأعمال والقلوب، فكم من جسم وسيم وهو من أصحاب الجحيم، ومن ثم ورد: ما أفلح سمين، يروى أنه من كلام سيدنا الإمام الشافعي، قال: ما أفلح سمين إلا محمد الباقر؛ لأن السمن في الغالب إنما ينشأ عن غفلة القلب، وعدم التفكير في أحوال الدنيا والآخرة، والعامل لا ينفك في هذه الدار عن توارد الأخبار، والتفكير فيما يقوم بأوده في هذه الدار، وما يتزود به لتلك الأسفار، ومن كانت حالته هذه فأني له بالسمن؟

فنسأل الله العافية.

وقال بعض العلماء: إن الموزون نفس الأعمال بأن تجسد ثم توزن<sup>(١)</sup>.

والصواب ما تقدم، على أن هذا لا ينافيه، والله أعلم.

فائدتان:

**الأولى:** قال النسفي: إن الإيمان لا يوزن، لأنه ليس له ضد يوضع في كفة الميزان الأخرى، لأن ضده الكفر، والإيمان والكفر لا يكونان في الإنسان الواحد.

(١) في حاشية الأصل/ قوله: ونحن نقول الذي يوزن ثواب الإيمان وثواب العمل الصالح الخ، مخالف لما رجحه وقال إنه الحق من أن الموزون الصحف، وقوله رَبِّكَ اللَّهُ: هذا الذي يظهر لي، ليس بظاهر لأن ثواب الأعمال إنما هو مسند رفع الدرجات في الجنة والنعيم المقيم فيها والنظر إلى وجه الحق سبحانه وتعالى وغير ذلك مما لا يحصى ولا يحصر، وهذا كله بعد الوزن والمحاسبة والمرور على الصراط، ودعوى أن الجنة وما فيها يوزن يحتاج إلى توقيف ليس للاستظهار فيه مثار انتهى - كاتبه/ محمد الباقاني.

قلت: قد تقدم أن كلمة الإخلاص توزن<sup>(١)</sup>، وهي من الإيمان، بل هي أس الإيمان، ونحن نقول: الذي يوزن ثواب الإيمان، وثواب العمل الصالح، هذا الذي يظهر لي، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال العلامة: قلت: وورد أن البكاء من خشية الله لا يوزن لعظمه عند الله.

أخرج الإمام أحمد «أن النبي ﷺ نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي، قال: من هذا؟ قال: فلان. قال جبريل ﷺ: إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء فإن الله يطفى بالدمعة الواحدة بحوراً من جهنم»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البيهقي «لو أن باكياً بكى في أمة من الأمم لرحموا، وما من شيء إلا له مقدار وميزان إلا الدمعة فإنها يطفأ بها بحار من جهنم»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج البزار والطبراني، والدارقطني، والأصبهاني عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بصحف مختمة، فتنصب بين يدي

(١) في حاشية الأصل/ قوله: قد تقدم أن كلمة الإخلاص توزن إلخ، هذا رد لكلام النسفي القائل أن الإيمان لا يوزن، ولا يخفى أن مرادهم بالإيمان التصديق وهو غير كلمة الإخلاص، على أن الذي تقدم في حديث الترمذي وابن حبان وابن ماجه والحاكم (فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إلا إلا الله) إلخ فالحديث ناص على أن الموزون البطاقة ولا كلمة الشهادة... فلا يتم الرد على النسفي، على أنه مخالف لما أسلفه واعتمده من أن الموزون الصحف. فتأمل. انتهى. كاتبه/ محمد الباقاني.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (٢٧) وروى نحوه البيهقي في شعب الإيمان (١/٤٩٥) رقم ٨١٢، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٤٧) رقم ١٤ مرفوعاً، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٢٣٥) موقوفاً على يزيد بن ميسرة، وانظر تحريج الحديث التالي.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/٤٩٤، ٤٩٥) رقم ٨١١، ٨١٢ عن مسلم بن يسار، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/١٨٩) رقم ٢٠٢٩٢ وروى نحو ابن عدي في الكامل (٢/٨٥) في ترجمة من اسمه تميم رقم ٣٠٥ وقال: تميم بن خرشف هذا لا أعرف له رواية غير هذا الحديث، وهذا الحديث لم يروه عنه غيره وهو منكر.

الله، فيقول الله: ألقوا هذه، فتقول الملائكة: وعزتك ما كتبنا إلا ما عمل، فيقول عز وجل: إن هذا كان لغير وجهي، وإني لا أقبل اليوم إلا ما ابتغي به وجهي»<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث دلنا على أن ما لم يقصد به وجه الله لا يوزن.

فنسأل الله بمنه وكرمه أن يرزقنا علماً وعملاً وإخلاصاً، فإنه لا سبيل لواحد من ذلك إلا بمعونة المالك.

الثانية: اختلف العلماء رحمهم الله تعالى ما الحكمة في وزن الأعمال مع أن الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء على وجه التفصيل والإجمال؟

فقال الثعلبي قولاً سنياً، وحاول وجهاً يصير به اللبيب مرضياً، فقال: ذلك لتعريف الله عباده ما لهم عنده من الجزاء من خير أو شر، ويعلم كل منهم زواده، أو امتحانهم بالإيمان في الدنيا، وجعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة في العقبى، وإقامة الحجة عليهم، وإلا فهو يعلم ما لديهم.

وقال العلامة: قلت: الأحسن أن يقال: الحكمة فيه إظهار العدل، وبيان الفضل، حيث إنه تعالى يزن مثاقيل الذر من أعمال العباد ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] انتهى.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٩٧/٣) رقم ٢٦٠٣ بلفظ: «ما رأينا إلا خيراً» بدل «ما كتبنا إلا ما عمل» والدارقطني في سننه (٥١/١) رقم ٢، وابن عساکر في تاريخ دمشق (٥٥/١٨٤) وذكره الهيثمي (٦٣٥/١٠) رقم ١٨٣٩٥، ١٨٣٩٦. وقال: رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، ورواه البزار.

أي عمل لك يصلح أن يحصل في الميزان؟ أي فعل لك إذا ظهر زان؟ ستعلم من يفتضح إذا نشر له الديوان، ستعرف خبرك إذا شهد الجلد والمكان بكل قبيح فعل أو كان.

فيا من اشتغل بدنياه عن الآخرة، واكتفى بالخزف عن الدرر الفاخرة، وباع لذة لا تفنى ولا تبيد بما لا يعدل مثقال حبة من الحديد، انتبه يا مسكين قبل أن ينصب الميزان، وتوقف يا حزين بين يدي الرحمن، فلا ثم صديق ينفع، ولا حميم يشفع إلا بإذن المنان ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أم من ذا الذي يأمن من مكروه ولعنه؟ فكيف بك وقد آتته فرداً ونصب الميزان، وما ثم ترجو أحداً؟

ولقد أحسن من قال في ذلك:

تذكر يوم تأتي الله فرداً      وقد نصبت موازين القضاء  
وهتكت الستور عن المعاصي      وجاء الذنب مكشوف الغطاء

لطيفة:

ورد ما يقتضي تضعيف الحسنات إلى عدد معلوم، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقال: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] وذلك يقتضي أن الحسنة تتضاعف إلى سبعمائة حسنة.

وجاء أيضاً ما لا يقتضي العد كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وقال: ﴿وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعْفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] ولا شك أن الله يضاعف لمن يشاء ما شاء.

وأخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي

عن ربه تبارك وتعالى قال: «إن الله سبحانه وتعالى كتب الحسنات والسيئات<sup>(١)</sup> ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعلها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب في (شرح الأربعين): وفي هذا المعنى أحاديث متعددة، ثم ذكر حديث أبي هريرة عند الشيخين مرفوعاً «يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف»<sup>(٣)</sup>. هذا لفظ البخاري.

قلت: أفادنا هذا الحديث أن ترك السيئة بعد الهمم بها إنما يكون حسنة إذا كان الترك من أجل الله كما نطق به الحديث، ومفهومه أنه إن لم يكن الترك من أجله تعالى فلا يكون ذلك حسنة، وهو كذلك.

واعلم أن الإنسان إذا هم بالحسنة يكون ذلك حسنة، لأن الهم بالمعروف معروف، وقد أحسن من قال:

لأشكرنك معروفاً هممت به      فإن همك بالمعروف معروف  
ولا ألومك إذ لم يمضه قدر      فالشيء بالقدر المحتوم مصروف  
وإذا هم الإنسان بسيئة فتركها من أجل الله كان ذلك حسنة، فإن عزم

(١) في الأصل / (السيئات والحسنات).

(٢) رواه البخاري رقم ٦٤٩١، ومسلم ١٣١.

(٣) رواه البخاري رقم ٧٥٠١، ومسلم رقم ١٢٩ باختلاف كبير.

وصمم على فعل السيئة ثم لم يقدر عليها فلا يكون ذلك حسنة بل سيئة، فإن صمم على فعل السيئة ثم تركها من أجل الله فهذا ربما يقال: التصميم على فعل السيئة والرجوع عنه من أجل الله كفارة لذلك التصميم.

وقد بين الحافظ ابن رجب تفصيل ذلك في كتابه (شرح الأربعين) فليراجعه من شاء، والله أعلم.

وعن أبي عثمان النهدي قال: «قدمت إلى مكة حاجاً أو معتمراً فلقيت أبا هريرة رضي الله عنه فقلت: بلغني عنك أنك تقول: الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟ فقال: لم أقل ذلك ولكني قلت: إن الحسنة تضاعف بألفي ألف ضعف، ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]»<sup>(١)</sup>.

قلت: خرج الإمام أحمد وقال: قال أبو هريرة إذا قال الله تعالى: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فمن يقدر قدره؟ وروي عن أبي هريرة مرفوعاً وموقوفاً.

وقد قال الحسن ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعَفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] أحب إلي من قول العلماء: من أن الحسنة الواحدة تضاعف مائة ألف حسنة، لأن التضعيف الذي قالوه يكون مقداره معلوماً، وأما على هذه العبارة التي في كتاب الله فغير معلوم.



(١) رواه أحمد (٥٢١/٢) رقم ١٠٧٧٠، وفي (٢٩٦/٢) رقم ٧٩٣٢ مختصراً باختلاف في بعض الألفاظ وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٧/٧) رقم ٣٤٧٠٣، وذكره الهيثمي (١٠/٢١٤) رقم ١٧١٨٨، و(٢١٥) رقم ١٧١٨٩ وقال: رواه أحمد بإسنادين والبزار بنحوه وأحد إسنادي أحمد جيد.

## فصل

قال الله سبحانه وتعالى في حق الكافرين: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] وقال فيهم: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

هذا كله بالنسبة إلى الآخرة، وأما في الدنيا فإن الله مجازيهم بها، ففي مسلم عن أنس مرفوعاً: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطي بها ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها»<sup>(١)</sup>.

وفي طريق آخر: «إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته»<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة: قلت: لكن لو أسلم الكافر فإنه يعتد بحسناته التي سلفت [في حال كفره] كما هو ظاهر الحديث.

هذا كلامه ولعل مراده بحسناته التي لا تحتاج إلى نية، وفيه - لولا سعة فضل الله ورحمته - إشكال.

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٠٨، بزيادة يسيرة وأبو يعلى في مسنده (٢٣١/٥) رقم ٢٨٤٤.

(٢) مسلم نفس الحديث السابق.

تنبيهان:

الأول: اختلف العلماء هل توزن أعمال الكفار أم الوزن خاص بالمؤمنين؟

فذهب بعضهم إلى الأول مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]. أي يجحدون، قاله مجاهد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۗ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨، ٩]. وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ربما يستدل به من قال: بعدم وزن أعمالهم.

وأجاب القائلون بخلافه: بأن المراد وزناً يعتد به، فلا نكرمهم ولا نعطيهم، وهذا مجاز عن عدم الاعتداد بهم، كذا قيل.

والحق أنه لا يوزن لهم عمل، والله أعلم.

وفي كلام القرطبي تلويح لوجه الجمع وهو: أن بعض الكافرين يعجل بهم إلى النار، فلا يوزن لهم، كما أن بعض أهل الجنة يدخلون الجنة بغير حساب، فغير من يعجل به إلى النار يقام له وزن.

الثاني: تقدم عن النسفي أن الإيمان لا يوزن، وقد منا في معارضته حديث البطاقة<sup>(١)</sup>، وليس فيها إلا كلمة التوحيد، وهي أس الإيمان، ولا يعلم أن الإنسان يدخل في الإيمان إلا بها في الجملة، ثم رأيت القرطبي

(١) في حاشية الأصل/ قوله: وقد قدنا في معارضته حديث البطاقة. إلخ كتبنا بالهامش بأنه لا يعارض ما قاله النسفي ولا يردده وبيننا وجهه فلا تغفل. انتهى. كاتبه

أجاب عن ذلك كالمتمصر لكلام النسفي تبعاً للحكيم الترمذي، فقال: إن كلمة التوحيد إنما تكون إيماناً أول مرة، وبعد ذلك تكون من حسناته.

قال: ويدل عليه قوله في الحديث: «بلى إن لك عندنا حسنة» ولم يقل: إن لك إيماناً.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن لا إله إلا الله أمن الحسنات هي؟ فقال: «من أعظم الحسنات»<sup>(١)</sup>. خرجه البيهقي وغيره.

فبعد ما حصل للإنسان الإيمان فالنطق بلا إله إلا الله إنما هو حسنات توضع في الميزان انتهى ملخصاً.

وفيه نظر يظهر بالتأمل، والله أعلم.

لطيفة:

حكى القرطبي عن بعضهم أنه قال: رأيت بعضهم في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: وزنت حسناتي فرجحت السيئات على الحسنات، فجاءت صرة من السماء فسقطت في كفة الحسنات فرجحت، فحللت الصرة فإذا فيها كف تراب كنت ألقيته في قبر مسلم<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه أحمد (١٦٩/٥) رقم ٢١٥٢٥ عن أبي ذر بلفظ «هذا أفضل الحسنات» وفي الزهد (٢٧)، والطبراني في الدعاء (٤٣٩) رقم ١٤٩٩ وذكره الهيثمي (٨٦/١٠) رقم ١٦٧٩٧ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن شهر بن عطية حدث به عن أشياخه عن أبي ذر ولم يسم أحداً منهم.

(٢) لا يجوز أن يكون هذا المنام سنداً لهذا العمل إذ المنامات ليست أدلة أو حججاً شرعية.

## الباب السادس

### في ذكر الصراط

وهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار، وخلق من حين خلقت جهنم.

قال القرطبي: اعلم رحمك الله أن في الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم، ثقلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو تلتقطه عنق النار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه - ولا يخلص عنه إلا المؤمنون الذي علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم - حسبوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله تعالى، لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم التي يسقط فيها من أوبقه ذنبه، وأزكى - أي زاد على الحسنات - جرمه وغيه.

وأخرج البخاري والإسماعيلي في مشيخته عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتصر لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو داود واللفظ له والحاكم وقال: صحيح على شرطهما لولا

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٣٥، وأحمد (١٣/٣) رقم ١١١١٠، وفي (٦٣) رقم ١١٦٢١، وابن حبان في صحيحه (٤٦٠/٦) رقم ٧٤٣٤، وأبو يعلى في مسنده (٤٠٤/٢) رقم

إرسال فيه بين الحسن وعائشة رضي الله عنهما قالت: ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟» قلت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الترمذي وقال حسن غريب، والبيهقي في «البعث» عن أنس رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي في يوم القيامة، فقال: «أنا فاعل إن شاء الله تعالى. قلت: فأين أطلبك؟ قال: أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبي عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبي عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الحاكم وصححه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه مرفوعاً: «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت»<sup>(٣)</sup>، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويوضع الصراط مثل حد الموسي، فتقول الملائكة: من يمشي على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك...»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٦٥٤/٢) رقم ٤٧٥٥، والحاكم (٦٢٢/٤) رقم ٨٧٢٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة، وتقدم.

(٢) رواه الترمذي (٦٢١/٤) رقم ٢٤٣٣ وقال: هذا حديث حسن غريب، وأحمد في (٣/١٧٨) رقم ١٢٨٤٨.

(٣) في الأصل (لوسعتهن).

(٤) سبق ص ٧١٦.

وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن عبد الله رضي الله عنه : «يوضع الصراط على سواء جهنم، مثل حد السيف المرهف، مدحضة - أي مزلقة - مزلة - أي لا تثبت عليه قدم بل تزل - عليه كلاليب من نار يختطف أهلها فممسك<sup>(١)</sup> يهوي فيها، ومصروع، ومنهم من يمر كالبرق، فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كجري الفرس، ثم كسعي الرجل ثم كزمل الرجل، ثم كمشي الرجل، ثم يكون آخرهم إنساناً رجل قد لَوَّحت النار ولقي فيها شراً حتى يدخله الله الجنة بفضل رحمته، فيقال له: تمن وسل<sup>(٢)</sup>؟ فيقول: أي رب أتهزأ مني وأنت رب العزة؟ فيقال له: تمن وسل، حتى إذا انقطعت به الأمانى قال: لك ما سألت ومثله معه»<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ المنذري: وليس في أصلي رفعه.

وفي حديث أبي هريرة عند البخاري: «فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهراي جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأتمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان»<sup>(٤)</sup> الحديث.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً عند الشيخين ولفظه لمسلم: «ثم يضرب الصراط على جسر جهنم، وتحل الشفاعة، وتقولون: اللهم سلم سلم» قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة» أي

(١) في الأصل (فتمسك).

(٢) في الأصل (واسأل).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠٣/٩) رقم ٨٩٩٢، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب

(٤/٢٣٠) رقم ٥٤٨٩ وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن.

(٤) سبق ص ٦٧٣.

بإسكان الحاء هو الزلق، والمزلة المكان الذي لا تثبت عليه القدم إلا زلت كما تقدم «فيه خطاطيف وكلايب، وحسكة - تكون بنجد فيها شوكة يقال لها السعدان - فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فجاج مسلم، ومخدوش مكردس، ومكدوش - أي مدفوع - في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده: ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانه الذين في النار»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: «فما أنتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم». فيقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار<sup>(٢)</sup>. . . الحديث، ويأتي تمامه إن شاء الله تعالى.

قال القرطبي: معنى يخلص المؤمنون من النار أي يخلصون من الصراط المضروب على النار، ودل هذا الحديث على أن المؤمنين في الآخرة مختلفون الحال.

قال مقاتل: إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَلِيدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وفي حديث الشفاعة المار عند مسلم عن حذيفة، وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعاً وفيه: «فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له، وترسل معه الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق - قال:

(١) مسلم رقم ١٨٣، والبخاري ٨٠٦ .

(٢) البخاري رقم ٧٤٣٩ .

قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج، ومكدوش -أي مدفوع دفعاً عنيفاً- في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده: إن قعر جهنم لسبعون خريفاً<sup>(١)</sup>.

وفي مرفوع ابن مسعود عند ابن أبي الدنيا، والطبراني، والحاكم: «والصراط كحد السيف، دحض مزلة، قال: فيقولون: انجوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الرجل ويرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدميه تحريد وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل فتصيب جوانبه النار»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبيد بن عمير عن النبي ﷺ قال: «الصراط على جهنم مثل حرف السيف بجنبتيه الكلاليب والحسك، فيركبه الناس فيختطفون، فوالذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر»<sup>(٣)</sup>. رواه البيهقي مرسلًا وموقوفًا على عبيد بن عمير أيضاً.

وأخرج الحاكم وصححه، وقال: على شرط مسلم، عن أبي هريرة

(١) رواه مسلم رقم ١٩٥ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣٥٧/٩) رقم ٩٧٦٣، والحاكم (٤٠٨/٢) رقم ٣٤٢٤ وقال:

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي .

(٣) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٣٢/٤) وقال: رواه البيهقي مرسلًا وموقوفًا على

عبيد بن عمير أيضاً .

ﷺ مرفوعاً: «يلقى رجل أباه يوم القيامة فيقول يا أبت أي ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن، فيقولك هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم، فيقول: خذ بإزرتي، فيأخذ بإزرتيه ثم ينطلق حتى يأتي الله تعالى وهو يعرض بين الخلق، فيقول: يا عبدي ادخل من أي أبواب الجنة شئت، فيقول: أي رب وأبي معي؟ فإنك وعدتني أن لا تخزني، قال: فيمسخ أباه ضبعاً فيهوي في النار، فيأخذ بأنفه فيقول الله: يا عبدي، أبوك هو؟ فيقول: لا وعزتك»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ المنذري: وهو في البخاري إلا أنه قال: يلقى إبراهيم أباه أزر فذكر القصة انتهى.

قلت: في صحيح البخاري في موضعين: في أحاديث الأنبياء، وفي التفسير عن إسماعيل بن عبد الله، قال: حدثني أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه أزر يوم القيامة، وعلى وجه أزر قفرة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أن يكون أبي في النار؟ فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجلك؟ فينظر فإذا هو بذيخ<sup>(٢)</sup> متلطح، فيؤخذ بقوائمه ويلقى في النار»<sup>(٣)</sup>.

قال العلماء: والحكمة في كونه مسخ ضبعاً دون غيره من الحيوان،

(١) رواه الحاكم (٦٣٢/٤) رقم ٨٧٥٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي والطبراني في الأوسط (٥٦/٤) رقم ٣٥٩٩.

(٢) الذيخ: الذكر من الضباع الكثير الشعر، والجمع أذياخ وذيوخ وذبيخة، والأثنى ذبيخة والجمع ذبيخات. لسان العرب مادة: ذيخ.

(٣) البخاري رقم ٣٣٥٠.

أن الضبع أحرق الحيوان، ومن حمقه أنه يغفل عما يجب له التيقظ، ولذلك قال علي عليه السلام لا أكون كالضبع يسمع الكدم فيخرج له حتى يصاد. والكدم: الضرب الخفيف.

فلما لم يقبل أزر النصيحة من أشفق الناس عليه، وقبل خديعة عدوه الشيطان، أشبه الضبع الموصوفة بالحمق، لأن الصيادين إذا أرادوها رموا في جحرها الحجر، فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك، ويقال لها وهي في جحرها: اطرقني أم طريق، خامري أم عامر<sup>(١)</sup>، استتري بجراد عطلي وشاة هزلي، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها الصياد فيربط يديها ورجليها ثم يجرها، وحمق الضبع أشهر من أن يذكر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال القرطبي: روي عن بعض أهل العلم أنه قال: لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل عن سبع قناطر؛ فأما القنطرة الأولى فيسأل عن الإيمان بالله وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها مخلصاً - والإخلاص قول وعمل - جاز، ثم يسأل على القنطرة الثانية، عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان، فإن جاء به تاماً جاز، ثم يسأل في الرابعة عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في الخامسة عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما تامين جاز إلى القنطرة السادسة، فيسأل عن الغسل والوضوء، فإن جاء بهما تامين جاز، ثم يسأل في السابعة وليس في القناطر أصعب منها فيسأل عن ظلمات الناس.

فيا من غره طول الأمل ولم يتزود لمعاده من العمل، افتكر يا مسكين

(١) من كنى الضبع - انظر - مجمع الأمثال للنيسابوري (٢٣٨/١) رقم ١٢٦٥.

فيما أمامك، واغتنم في الحياة أوقاتك وأيامك، وانظر إذا صرت على الصراط هل تكون من أهل الفوز أو الانحطاط؟ وإذا نظرت إلى جهنم تحتك سوداء مدلهمة هل يبقى لك من همة؟ والحال أنه قد لظى سعيها وعلا لهيبها وزفيرها، وأنت على متنها، ودمعك يجري، تمشي تارة، وتزحف أخرى.

ولله در القائل حيث قال:

أبت نفسي تتوب فما احتيالي  
وقاموا من قبورهم سكارى  
وقد نصب الصراط لكي تجوزوا  
ومنهم من يسير لدار عدن  
يقول له المهيمن يا وليي

إذا برز العباد لدى الجلال  
بأوزار كأمثال الجبال  
فمنهم من يكب على الشمال  
تلقاه العرائس بالغوالي  
غفرت لك الذنوب فما تبالي

وقال الآخر:

إذا مد الصراط على جهنم  
فقوم في الجحيم لهم ثبور  
وبان الحق وانكشف الغطاء

تصول على العصاة وتستطيل  
وقوم في الجنان لهم مقيل  
وطال الويل واتصل العويل

وجاء في الحديث الشريف: إنه إذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت العرش: يا فطرة الملك الجبار، جوزوا على الصراط، وليقف كل عاص منكم وظالم، فيا لها من ساعة ما أعظم خوفها، وما أشد حرها وحوفها، يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفاً مهيناً، ويدحض من كان عظيماً مكيناً، ثم يؤمر بجمعهم بعد ذلك بالجواز على الصراط على قدر أعمالهم، في ظلمتهم وأنوارهم، فإذا عصفت بأمتي نادوا: وامحمداه وامحمداه فأبارز من شدة إشفاقي عليهم، وجبريل أخذ حجزي، فأنادي

رافعاً صوتي: رب أمّتي، لا أسألك اليوم نفسي، ولا فاطمة ابنتي،  
والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره وينادون: رب سلم، وقد عظمت  
الأهوال واشتدت الأوجال، والعصاة يتساقطون عن اليمين وعن الشمال،  
والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال، وينادونهم: أما نهيتم عن كسب  
الأوزار؟ أما خوفتم عذاب النار؟ أما أنذرتهم كل الإنذار؟ أما جاءكم النبي  
المختار؟<sup>(١)</sup> ذكر ذلك الإمام ابن الجوزي في كتابه «روضه المشتاق».

#### فائدة:

في قول الرسل عليهم الصلاة والسلام على الصراط: «رب سلم»  
إشارة إلى عظم شأن السلامة، لا سيما يومئذ، فمن سلم حيثئذ فقد فاز،  
ومن ثم قال بعضهم: «العاقل لا يعدل بالسلام شيئاً».

ومن ثم قيل:

وقائلة ما لي أراك مجانباً      أموراً فيها للتجارة مريح  
فقلت لها ما لي بربحك حاجة      فنحن أناس بالسلامة نفرح  
فالرسل عليهم الصلاة والسلام اقتصروا على طلب السلامة، لأنها  
عين الغنيمة والكرامة.

#### تنبيه:

زعم بعض الناس أن كون الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف  
راجع إلى اليسر والعسر على قدر الطاعات والمعاصي، وأنكر أن يكون  
الصراط بهذه الصفة، واستدل على ذلك بما وصف من أن الملائكة يقومون

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (٣٨١) وعزاه إلى ابن الجوزي كما ذكر المصنف، وما أظنه  
حديثاً مرفوعاً.

بجنبيه، وأن فيه كلاليب، وحسكاً. وأن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يبرك ثم يقوم.

وهذا مردود، والإيمان بما وصفنا من صفات الصراط بأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف واجب، والقادر على إمساك الطير في الهوى قادر أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه، وهذا بساط سيدنا سليمان عليه السلام كان يجلس عليه الملائكة من جنده وهو بين السماء والأرض.

وأي وجه يلجئنا إلى العدول عن الحقيقة إلى المجاز، مع اعترافنا بأن القدرة صالحة ولا شيء يكثر على الله كيف وهو الفاعل المختار، فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، فمن اعترف بأن الله على كل شيء قدير علم أن ذلك حق، وإنما يخيل لبعض النفوس استحالة ذلك لعدم ألفها ذلك مع قلة معرفتها لله سبحانه.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا علماً ربانياً، يقذفه في قلوبنا، ومعرفة تامة ومحبة كاملة، فمن رزق ذلك فاز، ومن لا فله الويل والثبور ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال ابن اليمان: رأيت رجلاً نام وهو أسود الرأس واللحية، شاب يملأ العين، فرأى في منامه كأن الناس قد حشروا، وإذا بنهر من نار ويجسر يمر الناس عليه، فدعي فدخل الجسر فإذا هو كحد السيف يميز به يميناً وشمالاً، فأصبح أبيض الرأس واللحية.

فيا من أعجبه اللهو والانبساط، هلا افتركت في شدة المرور على الصراط؟ ويا من نام ليله الطويل ولم يرض من دنياه بالقليل هلا تزودت ليوم تشخص فيه القلوب والأبصار؟ واتخذت لك مساعداً على ركوب تلك الأسفار؟ فإنه ليس ثم مساعد ولا رفيق موادد، سوى تقوى العزيز الغفار،

انتبه لتلك الأوقات، واعتبر بمن قبلك قد مات، هل بلغ منهم أحد الأوطار، وهل نجا منهم من الموت من أحد هدى أو طار، كلا والله لولا الغفلة والأمل لما قر لذي لب قرار.

وأشدوا:

أجنب جياداً من الدنيا مضمرة  
تمر مر الرياح الهوج عاصفة  
واركض إلى الغاية القصوى وخل لها  
كم جل عزمك من دنيا معوجة  
وفاز من فاز لا حزن ولا فرق  
يا غافلاً والمنايا منه في فكر  
قطعت عمرك في لهو وفي سنة  
ورب رأي تراه اليوم من سفه  
فاضرع إلى الله واطلب عفوه فعسى  
واسأله أزكى تحيات مضاعفة  
عليه خير صلاة لا نفاذ لها

فائدة:

أخرج الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «شعار المؤمنين على الصراط سلم سلم»<sup>(١)</sup>. وقال: حديث غريب.

(١) رواه الترمذي (٦٢١/٤) رقم ٢٤٣٢ بلفظ «المؤمن»، وقال: هذا حديث غريب والطبراني في الكبير (٤٢٤/٢٠) رقم ١٠٢٦ بلفظ «أمتي»، وعبد بن حميد في مسنده (١٥١) رقم ٣٩٤ بلفظ «المسلمين» وكذا الحاكم (٤٠٧/٢) رقم ٣٤٢٢ بزيادة «المستقيم» وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وذكر الحافظ عبد الحق الأشبيلي في «العاقبة» أنه ذكره الحارث بن أبي أسامة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

وذكر ابن عساكر عن الفضيل بن عياض قال: بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة، خمسة آلاف صعوداً، وخمسة آلاف هبوطاً، وخمسة آلاف مستوي، أدق من الشعرة، وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله<sup>(١)</sup>.

قالت المعتزلة: هذا لا يمكن العبور عليه، وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين.

قلنا: أما عدم إمكان المرور عليه فمردود بما مر.

وأما كونه تعذيباً للمؤمنين فباطل، إذ المؤمن لا يحصل له بذلك ألم ولا عذاب، وإنما العذاب على من رفض السنة والكتاب، ورجع إلى رأيه، ونبذ السنة إلى ورائه، والذي أضل هؤلاء عقولهم القاصرة عن معرفة ربهم، وقدرته الباهرة، فنسأل الله سبحانه التمسك بالكتاب والسنة، ومعرفة تمازج قلوبنا حتى يسكن القلب له لا لغيره.

وأخرج الطبراني - بسند حسن - عن أبي أمامة مرفوعاً: «يجيء الظالم يوم القيامة، حتى إذا كان على جسر جهنم بين الظلمة والوعرة لقيه المظلوم فعرفه وعرف ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظلموا يقضون من الذين ظلموا حتى ينزعوا ما في أيديهم من الحسنات، فإن لم يكن لهم حسنات أدرك عليهم من سيئاتهم حتى يوردوا الدرك الأسفل من النار»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩٥/٤٨).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١١٨/٦) رقم ٥٩٧٦ وذكره الهيثمي (٦٤٢/١٠) رقم ١٨٤١٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا.

وأخرج ابن المبارك وأبو نعيم، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه : «يؤتى بالعبد والأمة يوم القيامة فينصبان على رؤوس الأولين والآخرين، فينادي مناد: هذا فلان بن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه، فترجو المرأة أن يدور لها الحق على ابنها وأخيها ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فيغفر الله ما شاء من حقه، ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً، فيقول: رب فنيت الدنيا من أين أوتيتهم حقوقهم؟ فيقال: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق بقدر طلبته، فإن كان ولياً لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخل الجنة، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] وإن كان عبداً شقيماً قال الملك: رب فنيت حسناته وبقي طالبون كثيرون، قال: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكاً إلى النار»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه ليكون للوالدين على ولدهما دين، فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به، فيقول: أنا ولدكما فيودان أو يتمنيان لو كان أكثر من ذلك»<sup>(٢)</sup>. رواه أبو نعيم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه، فيقول: ما لك إليّ وما بيني وبينك معرفة؟ فيقول: كنت تراني على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهاني<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه بن المبارك في الزهد (٤٩٧) باختلاف في بعض الألفاظ وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠٢/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨٥/١٨) كلهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠٢/٤)، والطبراني في الكبير (٢١٩/١٠) رقم ١٠٥٢٦، وذكره الهيثمي (٦٤٣/١٠) رقم ١٨٤٢١ وقال: رواه الطبراني عن عمرو بن مخلد عن زكريا بن يحيى الأنصاري ولم أعرفهما، وبقي رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(٣) ذكره القرطبي في التذكرة (٣٠٨) موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه.

فانظر رحمك الله في هذا الحديث الذي يكاد أن يقصم ظهر من له لب، ويعضد هذا الخبر ما رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقابه»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث عن أبي هريرة عنه رضي الله عنه أنه قال: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهون»<sup>(٢)</sup> عن المنكر، أو ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»<sup>(٣)</sup>.

وقال مالك بن دينار: «قرأت في التوراة من كان له جار يعمل بالمعاصي فلم ينهه فهو شريكه».

وقال مسعر: «أمر ملك أن يخسف بقرية فقال: يا رب فيها فلان العابد، فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ فإنه لم يتمر وجهه في ساعة قط»<sup>(٤)</sup>.

فهذا يدل لما ذكر، والله أعلم.

(١) رواه أحمد (٢/١) رقم ١، وأبو داود (٥٢٥/٢) رقم ٤٣٣٨، والترمذي (٤٦٧/٤) رقم ٢١٦٨ وقال: هذا حديث صحيح وابن حبان في صحيحه (٥٣٩/١) رقم ٣٠٤، وأبو يعلى في مسنده (١٢٠/١) رقم ١٣٢.

(٢) في الأصل / ولتنهن.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٩/٢) رقم ١٣٧٩، والبخاري في مسنده (٢٩٢/١) رقم ١٨٨، والحاثر في مسنده (٧٦٧/٢) رقم ٢٦٧ وذكره الهيثمي (٥٢٦/٧) رقم ١٢١٣٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبخاري وفيه حبان بن علي وهو متروك وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٣٣٦/٧) رقم ٧٦٦١ مرفوعاً من حديث جابر بلفظ «أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن أقلب مدينة كذا وكذا على أهلها، قال: فإن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين، قال: أقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمر لي ساعة قط» والبيهقي في شعب الإيمان (٩٧/٦) رقم ٧٥٩٥، وذكره الهيثمي (٥٣٢/٧) رقم ١٢١٥٦، وقال: رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبيد بن إسحاق العطار عن عمار ابن سيف وكلاهما ضعيف، ووثق عمار بن سيف ابن المبارك وجماعة، ورضي أبو حاتم عبيد بن إسحاق.

وأخرج ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه قال: لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر، قال: «ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ فقال فتية منهم: بلى، يا رسول الله، بينا نحن جلوس، مرت بنا عجوز من عجائز رهايينهم، تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها، فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده قال: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدقت كيف يقدر الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»<sup>(١)</sup>.

تنبيه:

أنكر بعض المغفلة المتبعون هواهم بغير هدى من الله، إعجاباً بأرائهم وتحكماً على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بخساسة عقولهم الضعيفة وقلة أفهامهم الخسيفة القصاص، حيث زعموا أنه لا يجوز في حكم الله وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها، وتؤخذ حسنات من عملها فتعطى لمن لم يعملها، مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تُزْرُ وَأُزْرَةٌ وَزَّرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]. فقالوا: كيف تصح هذه الأحاديث مع مخالفتها الكتاب العزيز والعقل الذي كالذهب الإبريز؟

والجواب: كما في «التذكرة» أن الله سبحانه وتعالى لم يبين أمور الدين على مقتضى عقول العباد، ولم يوعد على ما تحملته عقولهم

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٢٩/٢) رقم ٤٠١٠، وقال: في الزوائد إسناده حسن، وابن حبان في صحيحه (٤٤٣/١١) رقم ٥٠٥٨، وأبو يعلى في مسنده (٧/٤) رقم ٢٠٠٣، بزيادة يسيرة جداً.

فيدركونها بأفهامهم، بل أوعده ووعده بمشيئته وإرادته، وأمر ونهى بحكمته، ولو كان كل ما لا تدركه العقول مردوداً لكان أكثر الشرائع مستحيلاً على موضوع عقول العباد، وذلك أن الله سبحانه أوجب الغسل بخروج المني، الذي هو ظاهر عند بعض الصحابة، وكثير من الأئمة كالإمام أحمد، والإمام الشافعي، وغيرهما، وأوجب غسل الأطراف من الغائط الذي لا خلاف في نجاسته وقذارته، إلى أن قال: وكذلك القصاص بالحسنات والسنات - يعني لا يدرك بالعقل - وقد قال - وقوله الحق - : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبًا﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أُنْفُسَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَنْفَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] و﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥].

وهذا يبين معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُزِرُّ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] أي: لا تحمل حاملة ثقل أخرى إذا لم تتعد، فإذا تعدت واستطالت بغير ما أمرت به فإنها تحمل عليها، ويؤخذ منها بغير اختيارها. انتهى.

قلت: أي عقل يرد مثل هذا القصاص، أفليس هذا عين العدل؟ وإلا فالعدل أن يسفك الدماء، ويأخذ الأموال، وينتهك المحارم، ويظلم الضعيف ويؤلمه ثم لا يؤخذ بمثل هذه الجرائم؟

هذا مما تأباه العقول، وتباينه النقول، فالعدل كل العدل في الحساب والقصاص، ومن ثم جعله الله سبحانه وتعالى بين عباده، ولولا ذلك لأكل القوي الضعيف، إذ لا يخشى في هذه الدنيا من ضعفه، ولا يخاف يوم القيامة من ذنبه.

فويل لأهل الإفك والابتكار من غضب الجبار، ما أجرأهم على أحاديث المصطفى بالرد، والتزييف والطعن والتضعيف؟ سبحان الله عما يصفون، فليتربصوا فسوف يعلمون.

فعلى العاقل أن يحاسب نفسه قبل يوم الحساب، ويعاتبها قبل أن لا ينفع العتاب، ومن ثم قال سيدنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا.

وحساب النفس هو: التوبة النصوح، وتدارك ما فرط من تقصير في أداء الفرائض، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة، ويستحل ما يمكنه استحلاله، والله الموفق.



## الباب السابع

## في الحوض والكوتر

وهما ثابتان بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوتر: ١].

وقال الجلال السيوطي في كتابه «البدور السافرة»: قد ورد ذكر الحوض من رواية بضع وخمسين صاحبياً، منهم الخلفاء الأربعة، وأبي بن كعب، وأنس، والبراء بن عازب، وجابر، وأبي هريرة، وعائشة، وأم سلمة. وذكر بقيتهم.

قال في «التذكرة»: ذهب صاحب القوت إلى أن الحوض بعد الصراط، والصحيح أنه قبله. وهكذا قال الغزالي: ذهب بعض السلف إلى أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله.

قال القرطبي: والمعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، كما تقدم، فناسب تقديمه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء؟ قال: «إي والذي نفسي بيده إن فيه لماء، وإن أولياء الله ليردون إلى حياض الأنبياء عليهم السلام»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٢/١٧٠) وقال: هذا حديث غريب، والهندي في كنز العمال (١٤/٣٧٨) رقم ٣٩٠٠٩، وعزاه لابن مردويه والقرطبي في التذكرة/٣٤٧.

رسول الله ﷺ : «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبداً»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية : «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورد»<sup>(٢)</sup> وهي عندهما أيضاً.

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح وابن حبان في صحيحه واللفظ للإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله وعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، فقال يزيد بن الأحنس : والله ما أولئك في أمتك إلا كالذباب الأصب في الذباب، فقال رسول الله ﷺ : قد وعدني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعين ألفاً وزادني ثلاث خثيات، قال : فما سعة حوضك يا رسول الله؟ قال : كما بين عدن إلى عمان وأوسع وأوسع يشير بيده، فيه مثعبان، بضم الميم والعين المهملة بينهما مثلثة وآخره موحدة : هو مسيل الماء، قاله الحافظ المنذري، من ذهب أي ذلك المثعبان من ذهب، وفضة، قال : فماء حوضك يا نبي الله؟ قال : أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، ولم يسود وجهه أبداً»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج مسلم عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «إني لبعقر حوضي أي مؤخره وهو بضم العين وإسكان القاف، أذود الناس لأهل اليمن

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٧٩ واللفظ له، ومسلم رقم ٢٢٩٢ .

(٢) انظر مسلم الحديث السابق .

(٣) رواه أحمد (٢٥٠/٥) رقم ٢٢٢١٠ وفيه (الجنة) بعد (أمتي)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٠/١٦) رقم ٧٢٤٦، وص ٢٣١ رقم ٧٢٤٧ باختلاف واختصار، والطبراني في الكبير (١٥٥/٨) رقم ٧٦٦٥، وذكره الهيثمي (٦٥٧/١٠) رقم ١٨٤٥٨ وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح .

أي أطردهم وأدفعهم ليرد أهل اليمن، قاله ابن المنذر، أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عمان وسئل عن شرابه فقال: أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل يفت أي بغين معجمة مضمومة ثم مثناة فوق، أي يجريان فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إليّ عمر بن عبد العزيز، فحملت على البريد فلما دخلت إليه قلت: يا أمير المؤمنين لقد شق علي مركبي البريد، فقال: يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك، ولكن بلغني عنك حديث تحدّثه عن ثوبان عن رسول الله ﷺ في الحوض، فأحببت أن تشافهني به، فقلت: حدثني ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «حوضي مثل ما بين عدن إلى عمّان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين، الشعث رؤوساً، أي البعيد عهداً بدهن رأسه وغسله وتسريح شعره، الدنس ثياباً أي الوسخ ثياباً وهو بضم الدال والنون جمع دنس «الذين لا ينكحون المنعمات، ولا تفتح لهم الأبواب السدّد» فقال عمر: قد نكحت المنعمات فاطمة بنت عبد الملك، وفتحت لي الأبواب السدّد، ولا جرم لا أغسل رأسي حتى يشعث، ولا ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد بإسناد حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله

(١) مسلم رقم ٢٣٠١، وابن حبان في صحيحه (٣٦٨/١٤) رقم ٦٤٥٦.

(٢) رواه الترمذي (٦٢٩/٤) رقم ٢٤٤٤، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وابن ماجه (١٤٣٨/٢) رقم ٤٣٠٣، وأحمد (٢٧٥/٥) رقم ٢٢٤٢١، والحاكم (٢٠٤/٤) رقم ٧٣٧٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ﷺ قال: «حوضي كما بين عدن وعمان، أبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، أكوابه مثل نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس عليه وروداً صعاليك المهاجرين، قال قائل: من هم يا رسول الله؟ قال: الشعثة رؤوسهم، الشحبة، أي بفتح الشين المعجمة وكسر المهملة بعدها موحدة المتغيرة وجوههم وذلك من جوع أو هزال أو تعب، اللدنة، أي الوسخة ثيابهم لا تفتح لهم السدد، أي الأبواب المغلقة وذلك لإهانتهم عند الناس وعدم اكتراثهم بهم، ولا ينكحون المنعمات الذين يعطون كل الذي عليهم ولا يأخذون كل الذي لهم»<sup>(١)</sup>.

وعند الطبراني بإسناد حسن في المتابعات عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «حوضي كما بين عدن وعمان فيه أكواب، جمع كوب وهو كوز لا عروة له، وقيل: لا خرطوم له فإذا كان له خرطوم فهو إبريق، عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً»<sup>(٢)</sup> الحديث.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة» وفي رواية: «مثل المدينة وعمان»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد (١٣٢/٢) رقم ٦١٦٢، والطبراني في مسند الشاميين (٤٥٤) رقم ٨٠٢ باختلاف في بعض الألفاظ عن أبي أمامة، وكذا في المعجم الكبير (١٠٠/٢) رقم ١٤٤٣ عن ثوبان وذكره الهيثمي (٦٦٤/١٠) رقم ١٨٤٧٧ وقال: رواه أحمد والطبراني من رواية عمرو بن عمر الأحموسي عن المخارق بن أبي المخارق، واسم أبيه عبد الله بن جابر، وقال ذكرهما ابن حبان في الثقات، وشيخ أحمد أبو المغيرة من رجال الصحيح.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١٩/٨) رقم ٧٥٤٦، وفي مسند الشاميين (٤٥٤) رقم ٨٠٢ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٢٧/٤) رقم ٥٤٧٦ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن في المتابعات.

(٣) رواه ابن ماجه (١٤٣٩/٢) رقم ٤٣٠٤، وأحمد (١٣٣/٣) رقم ١٢٣٨٥ وفي (٢١٦/٣) رقم ١٣٢٨٤، و(٢١٩) رقم ٨٣٣١٨ وابن حبان في صحيحه (٣٥٨/١٤) رقم ٦٤٤٨.

وفي رواية: «ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء» زاد في رواية: «وأكثر من عدد نجوم السماء»<sup>(١)</sup> رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وفي صحيح البخاري من حديث همام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، قال: فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم عنه مرفوعاً: «الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل»<sup>(٣)</sup>.

وفي «حادي الأرواح» للإمام المحقق ابن القيم قدس الله روحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا بنهر يجري حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل»<sup>(٤)</sup>.

وفي سنن الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجره على الدر والياقوت، ترتبه أطيّب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»<sup>(٥)</sup>.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) رواه مسلم رقم ٢٣٠٣، وابن ماجه (١٤٣٩/٢) رقم ٤٣٠٥، وأحمد (٢٣٨/٣) رقم ١٣٥٢١.

(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٨١.

(٣) رواه مسلم رقم ٤٠٠ باختلاف يسير.

(٤) رواه البخاري رقم ٦٥٨١ باختلاف في بعض الألفاظ وتقديم وتأخير.

(٥) رواه الترمذي (٤٤٩/٥) رقم ٣٣٦١، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/١٤٥٠) رقم ٤٣٣٤.

تنبيه:

قال في «التذكرة»: الصحيح أن للنبي ﷺ حوضين:

أحدهما: في الموقف قبل الصراط.

والثاني: في الجنة وكلاهما يسمى كوثرًا، والكوثر في كلام العرب:

الخير الكثير.

قال الجلال السيوطي: وقد ورد التصريح في حديث صحيح عند

الحاكم وغيره، بأن الحوض بعد الصراط<sup>(١)</sup>. ورجحه القاضي عياض.

قال السيوطي: فإن قيل: إذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلم

يحتج إلى الشرب منه، قلت: كلا بل هم محبسون هناك لأجل المظالم

فكان الشرب في موقف القصاص، ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من

الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من

الذنوب، حتى يهذبوا منها على الصراط، ولعل هذا أقوى. انتهى.

قال العلامة في البهجة: هذا كلام في غاية التحقيق جامع للقولين،

وهو دقيق. انتهى.

قال القرطبي في «التذكرة»: ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أن

هذا الحوض يكون على وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده على

(١) رواه الحاكم (٦٠٥/٤) رقم ٨٦٨٣ ضمن حديث طويل عن لقيط بن عامر وفيه «ثم

ينصرف نبيكم ﷺ فيمر على أثره الصالحون، أو قال ينصرف على أثره الصالحون، قال:

فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة فيقول: حس، فيقول ربك أو أنه قال:

فيطلعون على حوض الرسول على أظماً واللّه ناهلة ما رأيها قط» ورواه الطبراني في

المعجم الكبير (٢١١/١٩) رقم ٤٧٧.

الأرض المبدلة على مسافات هذه الأقطار، وفي المواضع التي تكون بدلاً من هذه المواضع في هذه الأرض، وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط كما تقدم.

## لطيفة:

أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود رضي الله عنه : يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأجوع ما كانوا قط، وأظماً ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا لله كساه الله، ومن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقى لله أسقاه الله، ومن عمل لله أغناه الله، ومن عفا لله أعفاه الله.

وأخرج ابن خزيمة والبيهقي عن سلمان مرفوعاً: «من سقى صائماً لله سقاه الله من حوضي شربة لا يظماً حتى يدخل الجنة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً: «من أتاه أخوه متصلاً - أي معتزلاً - فليقبل ذلك منه محققاً كان ذلك أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد الحوض»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الطبراني عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذره لم يرد عليّ الحوض»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ضمن حديث سلمان المشهور (١٩١/٣) رقم ١٨٨٧ بلفظ «من أشبع فيه» بدل «من سقى» ورواه الحارث في مسنده (٤١٢) رقم ٣٢١، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٥/٣) رقم ٣٦٠٨، وابن عدي في الكامل (٢٩٣/٥) في ترجمة عبد العزيز بن عبد الله القرشي رقم ١٤٣٢ وقال: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات.

(٢) أخرجه الحاكم (١٧٠/٤) رقم ٧٢٥٨، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي بقوله: بل سويد ضعيف. والطبراني في الأوسط (٢٤١/٦) رقم ٦٢٩٥ وذكره الهيثمي (١٥٥/٨) رقم ١٣٠٦٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه خالد بن زيد العمري وهو كذاب.

(٣) انظر الطبراني في تخريج الحديث السابق.

تنبيه:

قال القرطبي: ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف، قال: وليس كذلك، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام: ما بين أدرج وحرابا، ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن، وتارة يقدره بالزمان فيقول: مسيرة شهر، والمقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا، وكان ذلك التحديد بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، انتهى.

وسياتي للكلام على الحوض تنمة في صفات الجنة إن شاء الله تعالى.

تنمة:

اعلم أن لكل نبي حوضاً كما ورد ذلك في الأخبار، والأحاديث والآثار فقد أخرج الترمذي عن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وإنني أرجو أن أكون أكثرهم وارده»<sup>(١)</sup>. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وورد في بعض الأخبار: «لكل نبي حوض إلا صالحاً فإن حوضه ضرع ناقته»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٦٤٨/٤) رقم ٢٤٤٣ وقال: هذا حديث غريب، والطبراني في الكبير

(٧/٢١٢) رقم ٦٨٨١، وفي مسند الشاميين (٣٠/٤) رقم ٢٦٤٧.

(٢) ذكره القرطبي في التذكرة (٣٥٤) موقوفاً على ابن الواسطي، وأورده كذلك أيضاً المناوي

في فيض القدير (٥١٦/٢) رقم ٢٤٣٢.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «وإن أولياء الله ليردون إلى حياض الأنبياء»<sup>(١)</sup>.



## الفهرس

- مقدمة ..... ٥
- ترجمة المصنف ..... ٧
- علمنا في الكتاب ..... ١٤
- توثيق نسبة الكتاب إلى المصنف ..... ١٦
- وصف النسخ الخطية التي اعتمدنا عليها في إخراج الكتاب ..... ١٧
- خطبة الكتاب ..... ٢٥
- فصل في مثالب الحسد ..... ٢٨
- المقدمة: في ذكر الموت وما يتعلق به ..... ٣٠
- الفصل الأول: في النهي عن تمني الموت وحكمته ..... ٣١
- الفصل الثاني: في فضل الموت وذكره ..... ٣٩
- الفصل الثالث: في علامة خاتمة الخير: ومن دنا أجله والكلام على  
شدة الموت ..... ٦٥
- الفصل الرابع: فيما يقول الإنسان في مرض الموت: وما يقرأ عنده وما  
يقال إذا احتضر وتوابع ذلك ..... ٧٧
- الفصل الخامس: فيما جاء في ملك الموت وأعوانه ..... ٨٢
- الفصل السادس: فيما يحضر الميت من الملائكة وغيرهم وما يراه  
المحتضر وما يقال له وما يبشر به المؤمن وينذر به الكافر ..... ٩٥
- الفصل السابع: في الكلام على الروح وما يتعلق بذلك ..... ١٠٠
- الكتاب الأول: في أحوال البرزخ ..... ١٤٤
- الباب الأول: في ذكر حال الميت عند نزوله قبره وسؤال الملكين له ..... ١٤٥
- فصل: في كلام القبر للميت عند نزوله ..... ١٥٣
- فصل في ذكر شيء مما شوهد من أحوال القبور ..... ١٥٦

- فصل القبر أول منازل الآخرة ..... ١٧٢
- مطلب: أول من سن القبر ..... ١٧٣
- مطلب: قراءة تبارك الملك أمان من عذاب القبر ..... ١٩٠
- فصل: في فضاة القبر وسعته على المؤمن: وضيقه على الكافر وفي  
ضمة القبر ..... ١٩٥
- الباب الثاني: في عذاب القبر ونعيمه ..... ٢٠٢
- فصل في إنكار الملاحدة لعذاب القبر ونعيمه والرد عليهم ..... ٢١٩
- فصل ما شوهد من نعيم القبر وكرامة أهله ..... ٢٤٨
- الباب الثالث: فيما ورد من سماع الموتى كلام الأحياء وتلاقيهم ..... ٢٥١
- فصل في تلاقي الأموات في البرزخ ..... ٢٥٧
- فصل في معرفة الموتى بمن يزورهم ..... ٢٦٠
- فصل في معرفة الموتى بحال أهلهم وأقاربهم ..... ٢٦٥
- فصل في محل الأرواح بعد الموت ..... ٢٨٢
- فصل في محل أرواح غير الأنبياء والشهداء بعد الموت ..... ٢٩١
- مطلب ..... ٣٠١
- الباب الرابع: في ذكر ضيق القبور وظلمتها على أهلها وتنورها عليهم  
وفي زيارة الموتى والاتعاظ بحالهم والتفكير بهم ..... ٣٢١
- فصل في زيارة القبور والاتعاظ بذلك ..... ٣٢٥
- فصل الزيارة الشرعية والبدعية للقبور ..... ٣٣٩
- فصل: في التذكر بأهل القبور والتفكير في أحوالهم: وذكر طرف من  
أحوال السلف الصالح في ذلك ..... ٣٤٣
- فوائد في مسائل شتى ..... ٣٥٣
- مطلب: قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ..... ٣٦١
- الكتاب الثاني: في أشراط الساعة واقترابها وما يتعلق بذلك ..... ٣٦٩

- الباب الأول: في الأمارات البعيدة التي ظهرت وانقضت ..... ٣٧٣
- من مسخ في الإسلام ..... ٤٢٥
- الباب الثاني: في الأمارات المتوسطة التي ظهرت: ولم تقض بل تتزايد ٤٢٨
- الباب الثالث: في علامات الساعة العظام والأمارات القريبة الجسام التي  
تعقبها الساعة وفيه اثنا عشر فصلاً ..... ٤٣٨
- الفصل الأول: في المهدي وما يتعلق به ..... ٤٣٨
- الفصل الثاني: في الدجال وما يتعلق به والكلام عليه في أربع مقامات ٤٧١
- الفصل الثالث: في نزول سيدنا عيسى عليه السلام ..... ٥١١
- الفصل الرابع: في ذكر يأجوج ومأجوج وخروجهم من الفتن العظام:  
والمصائب الجسام ..... ٥٢٠
- الفصل الخامس: خراب المدينة وخروج القحطاني: والجهجاه والهيثم  
والمقعد وغيرهم وكذا هدم الكعبة ..... ٥٣١
- الفصل السادس: في طلوع الشمس من مغربها ..... ٥٤١
- الفصل السابع: في خروج الدابة ..... ٥٥٢
- الفصل الثامن: في خروج الدخان ..... ٥٦١
- الفصل التاسع: في رفع القرآن العظيم: وكلام الله القديم من المصاحف  
والصدور ..... ٥٦٥
- الفصل العاشر: في النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم:  
وهي آخر العلامات ..... ٥٦٧
- الفصل الحادي عشر: في نفخة الفزع: وما يكون فيها من تغير انتظام هذا  
العالم وفساد انتظامه ..... ٥٨١
- الفصل الثاني عشر: في نفخة الصعق ..... ٥٩٧
- الكتاب الثالث: في المحشر وما يتعلق به إلى أن يدخل أهل الجنة  
الجنة: وأهل النار النار: وفيه ثمانية أبواب ..... ٦٠١

- الباب الأول: في نفخة البعث ..... ٦٠٣
- الباب الثاني: في الحشر ..... ٦١٠
- فصل يبعث العبد على ما مات عليه ..... ٦١٦
- الباب الثالث: في الوقوف في المحشر: وشدة ما يلقاه الناس من  
الأهوال في تلك المحال ..... ٦٢٠
- فصل: في الشفاعة العظمى ..... ٦٣٨
- فصل في الإتيان بالصحف وأخذها إما باليمين أو بالشمال ..... ٦٥٤
- الباب الرابع: في ذكر الحساب وما يلقاه العالم من شدة البأس والعقاب ..... ٦٦٤
- مطلب: أول خلق الله تعالى يحاسب يوم القيامة الدواب والبهائم: فصل في  
حساب البهائم ..... ٦٨١
- فصل في حساب الناس والإتيان بالشهود ..... ٦٨٩
- فصل في شهادة الأعضاء والأزمنة والأمكنة ..... ٦٩٣
- فصل: في حساب المؤمن ومن يكلمه الله ومن لا يكلمه ..... ٦٩٩
- فصل: في سرعة الحساب وفيمن يدخل الجنة بغير حساب ..... ٧٠٤
- الباب الخامس في الميزان ..... ٧١٥
- فصل في عدالة الحساب ..... ٧٢٧
- الباب السادس: في ذكر الصراط ..... ٧٣٠
- الباب السابع: في الحوض والكوثر ..... ٧٤٧
- الفهرس ..... ٧٥٦

تم الصف والإخراج

بشركة غراس للطباعة

هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥



# الجود والبر والخير في علم يوم الأخرى

تصنيف الإمام العلامة  
محمد بن أحمد بن محمد بن أبي سليمان السقافيني الحنبلي

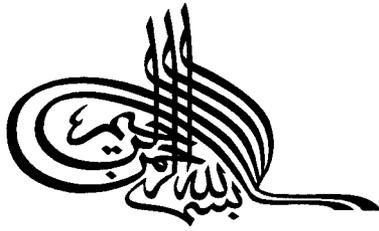
تحقيق

محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي سليمان السقافيني الحنبلي

(ت ١١٨٨ هـ)

الجزء الثاني





البحر في تراجم

في علوم الأختة

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة  
لشركة غراس للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية  
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥  
الكويت - الخالدية: ص. ب: ١٧٠١٢ - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١  
Website: [www.gheras.com](http://www.gheras.com)  
E-Mail: [info@gheras.com](mailto:info@gheras.com)

## الباب الثامن

### في الانصراف من الموقف وذكر شفاعة النبي ﷺ الخاصة وشفاعة بقية الأنبياء والعلماء والصالحين

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: ٦].

قال المفسرون: يصدرون من موقف الحساب، فيأخذ أهل الجنة ذات اليمين، وأهل النار ذات الشمال.

وذكر الثعلبي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إذا حان الانصراف من بين يدي الله تعالى تلقت الملائكة المؤمنين بنوق بيض، رحالها وأزمتها الذهب، على كل مركب حلة لا تساويها الدنيا، فيلبس كل مؤمن حلته، ثم يستوون على مراكبهم، فتهوي بهم النوق حتى تنتهي بهم إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَلِيدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد من قول علي رضي الله عنه: ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق، رحالها ذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن نهموها صارت.

وأما ما يجدون من ريح الجنة قبل الوصول إليها، ففي حديث أبي

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٧١/٤) رقم ٥٦٢١ باختلاف يسير، والسيوطي في الدر المنثور (٥٣٩/٥)، وابن كثير في التفسير (١٨٥/٣)، والهندي في كنز العمال (٤٦٢ ٢) رقم ٤٥٠٤ وسيأتي تخريجه والحكم عليه في (ص ١٤٤).

هريرة: «إن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام»<sup>(١)</sup>.

وعن جابر رضي الله عنه: «ألف عام»<sup>(٢)</sup>.

وعن علي رضي الله عنه أن أهل الجنة يجدون على باب الجنة شجرة يخرج من تحت ساقها عيان، يعمدون إلى أحدهما، فيتطهرون، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلن تتغير نضارتهم بعدها أبداً كأنما دهنوا بالدهن، ثم يعمدون إلى الأخرى فيشربون منها، فيذهب ما في بطونهم من أذى وقذى، وتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزمر: ٧٣] أو كما قال.

وهل يجدون أبواب الجنة مفتحة أو لا؟

فيه خلاف بين العلماء.

ف قيل: مفتحة، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] فظاهر هذه الآية أن أبوابها مفتحة.

وقيل: بل مغلقة لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] فظاهر هذه الآية أنهم يجدونها مغلقة ثم تفتح لهم.

قال أهل القول الأول: بل يجدونها مفتحة حتى لا يقفوا هناك، لأن دار الفرح والسرور لا تغلق بخلاف أهل النار، فإنهم يجدونها مغلقة

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٩١٣/٢) رقم ١٦٢٦، والحاكم في المستدرک (١٠٥/١) رقم ١٣٤ من حديث أبي بكرة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١٨/٦) رقم ٥٦٦٤، وأحمد (٢٧/٥) رقم ٢٠٣٣٠، و(٤٦) رقم ٢٠٤٨٧، و(٥١) رقم ٢٠٥٣٤ والحاكم (٨٧/٢) رقم ٢٥٧٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الأبواب كما هو حال السجون فيقفون هناك حتى تفتح لهم إهانة لهم.

قال بعضهم: يرد على هذا قوله ﷺ: «أنا أول من يفتح باب الجنة»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث: «أتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول لك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»<sup>(٢)</sup> رواه الإمام أحمد، ومسلم عن أنس رضي الله عنه.

والجواب: أنه ﷺ يسبقهم إلى الجنة فيفتحها لهم، فيأتي أهلها بعد ذلك فيجدونها مفتحة.

ثم إنهم يزدحمون على أبواب الجنة.

ففي الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «باب أمي الذي يدخلون منه عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثاً، ثم إنهم ليضغظون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول»<sup>(٣)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان قال: ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام. فتتلقاهم الغلمان.

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/١٢) رقم ٦٦٥١ بلفظ: «يفتح له باب الجنة»، وذكره الهيثمي (٢٦٩/٨) رقم ١٣٥١٩ وقال: رواه أبو يعلى وفيه عبد السلام بن عجلان وثقه أبو حاتم وابن حبان وقال يخطئ ويخالف وبقيه رجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد (١٣٦/٣) رقم ١٢٤٢٠، ومسلم ١٩٧.

(٣) رواه الترمذي (٦٨٤/٤) رقم ٢٥٤٨، باختلاف يسير جداً، وقال: هذا حديث غريب سألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال: لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله. وأبو يعلى في مسنده (٤٠٧/٩) رقم ٥٥٥٤.

قال الثعلبي عن علي كرم الله وجهه : أنهم إذا اغتسلوا تلبقتهم الملائكة، قال: وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به ويقولون: أبشر فقد أعد الله لك كذا وكذا، فينطلق غلام من غلمانه يسعى إلى أزواجه من الحور العين، فيقول: هذا فلان - باسمه الذي كان في الدنيا - قد قدم، فيستخفن الفرح حتى يخرجن إلى أَسْكُفَةِ الباب<sup>(١)</sup>، فيجيء فيدخل الدار، فإذا ﴿سُرِّرَ مَوْضُونَةٌ﴾ [الواقعة: ١٥] أي منسوجة كما توضح حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض.

قال المفسرون: منسوجة بالذهب والجواهر.

وقال الضحاك: «موضونة» مرصوفة.

وقال في «شرح غريب القرآن العظيم»: «موضونة»: منسوجة باليواقيت والجواهر.

و﴿وَأَكْرَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٤]: هو جمع كوب، الإبريق الذي لا عروة له، «ونمارق» أي وسائد ومرافق، «مصفوفة» بعضها بجانب بعض، «وزرابي» أي بسط عريضة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الطنافس التي لها خَمَلٌ مَبْثُوثَةٌ أي مبسوفة ممهدة، وقيل: مفرقة في المجالس، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه فإذا هو قد أسس على جبل من اللؤلؤ ما بين أخضر وأصفر وأبيض، من كل لون، ثم يتكئ على أريكه - أي سرره التي في الحجال، فلا يكون أريكة إلا إذا اجتمعوا - ثم يرفع طرفه إلى سقفه، فيراه كالبرق فيقول: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] قال:

(١) الأَسْكُفَةُ والأَسْكُوفَةُ: عتبة الباب التي يوطأ عليها. لسان العرب/ مادة: سكَف.

فتناديهم الملائكة: ﴿تِلْكُمْ<sup>(١)</sup> الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾  
[الأعراف: ٤٣].

وسنذكر إن شاء الله ما يشفي ويكفي في صفة الجنة .

وأما أهل النار، فقد قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ الْمَجْرِبِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا﴾  
[مريم: ٨٦] أي عطاشاً مشاة على أرجلهم قد تقطعت أعناقهم من العطش .  
والورد: جماعة يردون الماء .

وقال الفخر: يساقون إلى النار إهانة لهم واستخفافاً بهم كنعم عطاش  
تساق إلى الماء .

وقال الواحدي: يساقون إليها وهم ظماء والورد: الجماعة التي ترد  
الماء، ولا يَرِدُ أحد الماء إلا بعد العطش، انتهى .

وقال الثعلبي في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾  
[الزمر: ٧١] أي يساقون سوقاً عنيفاً يسحبون على وجوههم إلى النار زمرًا،  
أفواجاً بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة بعد أن يقفوا على بابها  
حتى تفتحت أبوابها، لأنها لا تفتح إلا بعد مجيئهم، وفي وقوفهم ثم مذلة  
ومهنة<sup>(٢)</sup>، وهكذا حال السجون في الدنيا ولا ريب أن النار سجن الآخرة،  
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعافينا منها بمنه وكرمه .

وأما أهل الجنة فلا يقفون على أبوابها بل يجدون الأبواب مفتحة على  
ما يأتي تحريره إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل (تلك) والمثبت هو الصواب .

(٢) كذا بالأصل .

ثم إذا دخلوا النار دفعتهم الزبانية إليها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: ١٣] أي يدفعون دفعاً، فإذا وقفوا على النار قالوا: ﴿يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧] والواحد من خزنة النار يسوق الأمة وحده، وعلى رقبة جبل يرميهم في النار ويرمي الجبل عليهم.

قال عمرو بن دينار: إن الواحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر.

وقال الثعلبي وغيره في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] أي صوتاً بالغيظ، وزفيراً: غلياناً يفور كالغضب إذا غلي صدره من الغضب.

قال مطرف: التغيط لا يسمع، والمعنى: إذا رأوا لها تغيطاً وسمعوا لها زفيراً.

وقال الواحدي: «من مكان بعيد» مسيرة مائة عام.

«سمعوا لها تغيطاً» هو الغضب «وزفيراً» قال عبيد بن عمير: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا خر لوجهه.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾ [الفرقان: ١٣] من جهنم ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ [الفرقان: ١٣] قال المفسرون: تضيق عليهم كما يضيق الزجاج في الرمح.

وقال رسول الله ﷺ في هذه الآية: «والذي نفسي بيده إنهم يستكروهن كما يستكروه الوند في الحائط»<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٤١٣/٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢٤٠/٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

﴿مُفْرَيْنَ﴾ [الفرقان: ١٣] موثقين في الحديد، قرنوا مع الشياطين  
﴿دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] دعوا بالويل على أنفسهم والهلاك،  
كما يقول القائل: واهلاكاه.

نكتة:

أخرج الواحدي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه  
قال: «أول من يكسى يوم القيامة إبليس، يعني من أهل النار، يكسى حلة  
من النار يضعها على حاجبيه، فيسحبها من خلفه، وذريته من خلفه وهو  
يقول: واثبورا، وهم ينادون: يا ثبورهم، حتى يقفوا على النار فينادي: يا  
ثبورا، وينادون يا ثبورهم، فيقول الله تعالى: ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا  
وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤]»<sup>(١)</sup>.

قال الزجاج: أي هلاككم أكثر من أن تدعو مرة واحدة.

وقال البغوي في قوله تعالى: ﴿إِذَا أَلْقَا فِيهَا سَمْعُوا لَهَا شَهيقًا﴾<sup>(٢)</sup>  
[الملك: ٧] هو أول شهيق الحمار، وذلك أفبح الأصوات.

﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧]. تغلي بهم كغلي المرجل أي القدر.

وقال مجاهد: تفور كما يفور الماء الكثير بالحب القليل.

﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ﴾ [الملك: ٨] أي تتقطع.

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٣٧٠/٩)، وأحمد (١٥٢/٣) رقم ١٢٥٥٨، وابن أبي شيبة  
في المصنف (٥٤/٧) رقم ٣٤١٦٨، و(٢٦٢) رقم ٣٥٩٠٧، وذكره الهيثمي (١٠/  
٧١٩) رقم ١٨٦١١، وقال: رواه أحمد والبخاري ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن  
زيد وقد وثق.

(٢) في الأصل (وإذا ألقوا فيها يسمعون لها شهيقاً) والمثبت هو الصواب.

﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] أي: من تغيظها عليهم.

وقال ابن قتيبة: تكاد تنشق غيظاً على الكفار.

وقال العلامة: أي تكاد جهنم تفرق وتتقطع من الغيظ على الكفار.

وسياتي الكلام على صفة النار مستوفى إن شاء الله تعالى.

\* \* \*

## فصل في الشفاعة الخاصة

وهي فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها، وفيمن دخلها منهم أي يخرج منها، كما تقدم عن شيخ الإسلام قدس الله روحه .

وهي التي تنكرها المبتدعة، فأرجو أن يحرموها، ومن حججهم على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَنْقَرُوا يَوْمًا لَا يَجْرِي فِيهَا نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وزعمت أن من دخل جهنم يخلد فيها، لأنه إما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة .

هذا رأي المعتزلة ومن وافقهم من أهل الأهواء .

وهو رأي فاسد، ومذهب باطل لا ينظر إليه ولا يعول عليه بإجماع أهل السنة والجماعة، أيدهم الله بعلو الكلمة والشفاعة، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير .

أخرج البخاري في صحيحه عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه خطب فقال: إنه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالدجال، ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا<sup>(١)</sup> .

(١) لم أقف عليه في البخاري، وأخرج نحوه عبد الرزاق في المصنف (٥٨٨/٣) رقم ٦٧٥١، والحارث في مسنده (٧٥٥/٢) رقم ٧٥١ موقوفاً عند الجميع على عمر بن الخطاب .

قال في «النهاية»: أي بعد ما احترقوا، والمحش: احتراق الجلد وظهور العظم، ويروى: امتحسوا لما لم يسم فاعله، انتهى.

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها، ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب.

وقيل له: إن قوماً يكذبون بالشفاعة، فقال: لا تجالسوا أولئك.

وأخرج البيهقي قال: ذكروا عند عمران بن حصين رضي الله عنه الشفاعة، فقال رجل: يا أبا نجيد إنكم لتحدثونا أحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن؟ فغضب عمران بن حصين، وقال للرجل: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت صلاة العشاء أربعاً وصلاة المغرب ثلاثاً، وصلاة الفجر ركعتين، والظهر أربعاً، والعصر أربعاً؟ قال: لا، قال: فعن من أخذتم هذا؟ أستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن النبي ﷺ؟ ووجدتم في كل أربعين درهماً درهماً، وفي كل كذا شاة كذا، وفي كل كذا بعير كذا، أوجدتم في القرآن هكذا؟ قال: لا، قال: ووجدتم في القرآن: ﴿وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] أوجدتم طوفوا سبعا، واركعوا ركعتين خلف المقام، أوجدتم هذا في القرآن؟ عمن أخذتموه؟ أستم أخذتموه عنا، وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى إلى أن قال: فإن الله قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وإنا قد أخذنا عن النبي ﷺ أشياء ليس لكم بها علم.

وأخرج الطبراني في الكبير والصغير بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعاً: «يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصي عددهم إلا الله بما عصوا الله واجترأوا على معصيته، وخالفوا طاعته، فيؤذن لي في الشفاعة، فأثني على الله ساجداً كما أثني عليه قائماً،

فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البزار والطبراني وأبو نعيم، بسند حسن عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى أرضيت يا محمد؟ فأقول: أي رب رضيت»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني والبزار بسند جيد عن معاذ وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو الشفاعة فاخترت لهم الشفاعة، وعلمت أنها أوسع لهم وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الطبراني مثله عن أنس رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (٨٠/١) رقم ١٠٣، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٣٩/٣) والهيثمي (٦٨٣/١٠) رقم ١٨٥١١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والصغير وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٢٣٩/٢) رقم ٦٣٨، والطبراني في الأوسط (٣٠٧/٢) رقم ٢٠٦٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٤٨/٢) بلفظ «قلت رضيت» بدل: «فأقول أي رب رضيت»، وذكره الهيثمي (٦٨٠/١٠) رقم ١٨٥١٦ وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه محمد بن أحمد بن زيد المداري ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(٣) جزء من حديث أخرجه أحمد (٢٣٢/٥) رقم ٢٢٠٧٨ بلفظ: «أتاني آت في منامي فخيرني بين أن يدخل الجنة نصف أمتي أو شفاعة، فاخترت لهم الشفاعة، فقلنا: إنا نسألك بحق الإسلام وبحق الصحة لما أدخلتنا الجنة، قال: فاجتمع عليه الناس فقالوا له مثل مقالتنا وكثر الناس، فقال: إني أجعل شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً» وروى نحوه في (٤/٤١٥) رقم ١٩٧٣٩ وابن حبان في صحيحه (٤٤٢/١) رقم ٢١١ عن عوف ابن مالك، والطبراني في الكبير (٧٣/١٨) رقم ١٣٤، وابن أبي شيبة (٣٢٠/٦) رقم ٣١٧٥١.

(٤) في الأوسط (١٠٤/٢) رقم ١٣٩٥.

ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، وإنها ليست للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو داود، والبزار، والطبراني، وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن أنس ﷺ وابن حبان والبيهقي عن جابر ﷺ قالوا: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الحاكم، والبيهقي وصحاحه عن أم حبيبة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «أريت ما تلقى أمتي من بعدي، وسفك بعضهم دماء بعض، فأحزنتني وسبق ذلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يولياني فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي والطبراني عن بريدة ﷺ عن النبي ﷺ: «إني أشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من شجر ومدر»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أحمد (٧٥/٢) رقم ٥٤٥٢ وفيه بعد وأكفى «أترونها للمتقين؟ لا ولكنها للمتلوثين الخطاءون، قال زياد: أما إنها لحن ولكن هكذا حدثنا الذي حدثنا» وابن ماجه (١٤٤/٢) رقم ٤٣١١ من غير لحن وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.  
(٢) أخرجه أبو داود (٦٤٩/٢) رقم ٤٧٣٩، والترمذي (٦٢٥/٤) رقم ٢٤٣٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن حبان (٣٨٦/١٤) رقم ٦٤٦٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨٧/١) رقم ٣١٠، وفي السنن الكبرى (١٩٠/١٠) رقم ٢٠٥٦٣.  
(٣) أخرجه الحاكم (١٣٨/١) رقم ٢٢٨ باختلاف في بعض الألفاظ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبراني في الكبير (٢٢٢/٢٣) رقم ٤١٠، وأحمد (٤٢٧/٦) رقم ٢٧٤٥٠، والشيباني في الأحاد والمثاني (٤٤١/٥) رقم ٣٠٧٧.

(٤) أخرجه أحمد (٣٤٧/٥) رقم ٢٢٩٩٢ بلفظ: «إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة» وأخرج نحوه الطبراني في الأوسط (٢٤٦/٤) رقم ٤١٠٠، وذكره الهيثمي (٦٨٨/١٠) رقم ١٨٥٢٥ وقال: رواه أحمد ورجاله وثقوا على ضعف كثير في إسرائيل الملائي.

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أتي جهنم فأضرب بابها»<sup>(١)</sup> فتفتح لي، فأدخلها، فأحمد الله بمحامد ما حمد أحد قبلي مثله، ولا تحمده أحد بعدي، ثم أخرج منها من قال: لا إله إلا الله مخلصاً، فيقوم إلي أناس من قريش فينتسبون إلي فأعرف نسبهم، ولا أعرف وجوههم فأتركهم في النار»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الطبراني وأبو نعيم، عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: «نعم الرجل أنا لشرار أمتي، قيل: وكيف يا رسول الله؟ قال: أما أشرار أمتي فيدخلهم الجنة بشفاعتي، وأما خيارهم فيدخلهم الجنة بأعمالهم»<sup>(٤)</sup>.

قلت: المراد يدخلهم الجنة بفضلهم، ويقتسمون المنازل بأعمالهم، أو يدخلهم الجنة بسبب أعمالهم، وعلى كل إنما يدخلون الجنة بفضلهم تعالى، كيف وهو الذي وفقهم للعمل الصالح، وقبلة منهم بفضلهم، والله الموفق.

وأخرج ابن أبي عاصم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما

(١) في الأصل (فأضرب بها) والمثبت هو الصواب.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط (١٥١/٤) رقم ٣٨٤٥، وذكره الهيثمي (٦٨٨/١٠) رقم ١٨٥٢٨ وقال: رواه الطبراني عن شيخه علي بن سعيد الرازي، وفيه لين وفيه من لم أعرفه.

(٣) البخاري رقم ٦٥٦٦.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٩٧/٨) رقم ٧٤٨٣، باختلاف في بعض الألفاظ وزيادة لفظ الجلالة بعد الجنة في الموضوعين، وابن عدي في الكامل في ترجمة جميع بن ثوب الرحبي (١٦٤/٢) ترجمة رقم ٣٥٣، وذكره الهيثمي (٦٨٥/١٠) رقم ١٨٥١٨، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه جميع بن ثوب الرحبي قال عنه البخاري: منكر الحديث وقال النسائي: متروك الحديث.

زلت أشفع إلى ربي ويشفعني، وأشفع ويشفعني حتى أقول: أي رب شفعي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: هذا ليس لك يا محمد ولا لأحد، هذه لي وعزتي وجلالي، ورحمتي، لا أدع في النار أحداً يقول: لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

لطيفة:

أخرج البيهقي بسند جيد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من غش العرب لم يدخل في شفاعتي»<sup>(٢)</sup> أي من لم ينصح العرب، لأن الغش عدم النصح، فيما أن يقال: من عامل العرب بضد النصيحة بل بالغش بأن يزين لهم غير المصلحة.

ومنه حديث: «من غشنا ليس منا»<sup>(٣)</sup>.

قال في النهاية: أي ليس من أخلاقنا، ولا على سنتنا.

أو يقال: من لم ينصحهم.

والثاني أشد كما يفهمه من له دقة فهم.

والعرب: اسم مؤنث، ولذا يوصف بالمؤنث، فيقال: العرب العاربة، وهم: الذين يتكلمون بلسان يعرب بن قحطان، وهو اللسان القديم، والمراد هنا: بنوا إسماعيل عليه الصلاة والسلام ومن والاهم.

- 
- (١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٧٣/٥) رقم ٢٧٨٦، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٦٩٤/٢) رقم ٤٣٩، والصنعاني في رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار (١٣٢) رقم ١٣١.
- (٢) أخرجه أحمد (٧٢/١) رقم ٥١٩، وعبد بن حميد في مسنده (٤٨) رقم ٥٣، وابن أبي شيبة (٤١٠/٦) رقم ٣٢٤٧١، والترمذي (٧٢٤/٥) رقم ٣٩٢٨ وفيه «ولم تنله مودتي» وقال: هذا حديث غريب، وضعفه الألباني في الجامع الصغير وزيادته رقم ١٢٤٩٠، وحكم بوضعه في تحريجه لمشكاة المصابيح رقم ٥٩٩٠، وفي السلسلة الضعيفة رقم ٥٤٥.
- (٣) رواه مسلم رقم ١٠١ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأحمد (٤١٧/٢) رقم ٩٣٨٥، والترمذي (٥٩/٤) رقم ١٤٥٩.

وفي نهاية ابن الأثير: العرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس، ولا واحد له من لفظه، وسواء أقام بالبادية أو المدن. انتهى.

ومن ثم قال العلماء: ونعرف للعرب حقها، وفُضِّلَ لسان العرب على غيره، لكونه ﷺ عربياً، ولكون القرآن نزل به، ولكون لسان أهل الجنة به، ويأتي إن شاء الله تعالى.

ولذا يشفع النبي ﷺ في العرب قبل غيرهم.

أخرج الطبراني عن عمر<sup>(١)</sup> رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب من قريش، والأنصار، ثم من آمن بي واتبعني من أهل اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم، وأول من أشفع له أولي الفضل»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: «أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل الطائف»<sup>(٣)</sup>.

تنبيه:

المراد بشفاعته ﷺ للعرب قبل العجم الشفاعة لهذا الجنس قبل هذا الجنس، ولا يمنع أن يشفع لبعض أفراد العجم قبل بعض أفراد العرب قطعاً، وهذا كما تقول: الرجل خير من المرأة أي هذا الجنس خير من هذا الجنس، وإن كان بعض أفراد النساء خيراً من بعض أفراد الرجال.

ولذا قال ﷺ: «وأول من أشفع له أولي الفضل»، فتأمل فإني لم أر من صرح به والله أعلم.

(١) هكذا بالأصل والصواب (ابن عمر).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٤٢١/١٢) رقم ١٣٥٥٠، وذكره الهيثمي (٦٩١/١٠) رقم ١٨٥٣٨ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.

(٣) الطبراني في الأوسط (٢٢٩/٢) رقم ١٨٢٧، وذكره الهيثمي (٢٧/١٠) رقم ١٦٦١٢، وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وفيه من لم أعرفهم.

والجواب عن شبه أهل الاعتزال والزيغ والضلال، لأن المراد بقوله: ﴿لَا يُخْرِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] الكفار، للآيات الواردة، والأخبار الثابتة في الشفاعة.

قال البيضاوي: قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر.

وأجيب: بأنها مخصوصة بالكفار، ويؤيد هذا أن الخطاب معهم، والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن أباهم شفع لهم. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] المراد بالظالمين الكافرين.

قالوا: قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢] وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

قالوا: ومن ارتضاه الله لا يخزيه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ الآية [التحریم: ٨].

قلنا: الجواب عن الآية الأولى ما قاله سيدنا أنس رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ: معنى «من تدخل» من تخلد.

وقال قتادة: «تدخل» مقلوب تخلد، ولا نقول كما قالت أهل حروراء.

فعلى هذا قوله: «قد أخزيت» على بابه من الهلاك، أي: أهلكته، وأبعدته، ومقتته.

ولهذا قال سعيد بن المسيب: الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون

من النار، دليله قوله في آخر الآية: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢] أي للكفار.

وإن سلم أن الآية في عصاة الموحدين، فالمراد بالخزي الحياء، يقال: خزي يخزي خزيا إذا استحيى فهو خزيان، وامرأة خزيا، كذا قال أهل المعاني، فخزي المؤمن يومئذ استحياءهم من دخول النار مع أهل الكفر والاحتقار، ثم يخرجون منها بشفاعة النبي الكريم، ورحمة الرؤوف الرحيم.

وأما خزي الكفار فهو هلاكهم فيها من غير موت، وأما المؤمنون فإنهم يموتون فيها، كما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى.

فافترق الخزي والخسارة كما فهم ذلك من العبارة.

فالمؤمنون يخرجون من النار بشفاعة الشافعين، ورحمة أرحم الراحمين، والكافرون يخلدون فيها، والحمد لله رب العالمين.

وأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أي: لا يعذبه، ولا يعذب الذين آمنوا معه، وإن عذب العصاة وأماتهم فإنه يخرجهم بالشفاعة وبرحمته الواسعة.

والحاصل: أن الإيمان بالشفاعة واجب، ومن أنكرها حرمها، ويكون من إخوان الشيطان، من الفرقة المعتزلة الضالة عن سواء السبيل، فنسأل الله أن يجعلنا من أهل الشفاعة، وأن يوفقنا بمنه للطاعة، وأن يرينا وجه نبينا ﷺ من غير سابقة عذاب، إنه ولي ذلك، وأن يعافينا من جميع أنواع العقاب، وأسباب المهالك<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة.

## فصل في شفاعة الأنبياء والملائكة

## والعلماء والشهداء والصالحين والمؤذنين والأولاد

أخرج البيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه : لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه - يعني النبي ﷺ - ثم الملائكة ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء.

وعنه: يشفع نبيكم رابع أربعة، جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى أو عيسى، ثم نبيكم ﷺ ثم الملائكة ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) قَالُوا لَوْ لَزْنَاكَ مِنْ الْمُصَلِّينَ (٤٣) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّلَفِينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٨]

قال القرطبي: قد قيل إن هذا المقام المحمود لنا ﷺ، خرجه أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود قال: ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة، فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم عيسى أو موسى عليهما السلام - بالشك - ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعاً فيشفع، لا يشفع لأحد بعده في أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعاً: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» <sup>(١)</sup>.

(١) رواه ابن ماجه (١٤٤٣/٢) رقم ٤٣١٣، وقال: الحديث ضعيف ففي الزوائد: في إسناده علاق بن أبي مسلم، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٦٥) رقم ١٧٠٧.

- وأخرجه البزار أيضاً وزاد في آخره: «ثم المؤذنون»<sup>(١)</sup>.
- وأخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «يقال للعالم اشفع في تلامذتك، ولو بلغت عدد نجوم السماء»<sup>(٢)</sup>.
- وأخرج أبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء مرفوعاً: «الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته»<sup>(٣)</sup>.
- وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل من أمتي ليشفع للفئام من الناس، فيدخلون الجنة بشفاعته، وإن الرجل ليشفع في الرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته»<sup>(٤)</sup>.
- قوله: «الفئام من الناس» الفئام: مهموز، الجماعة الكثيرة، ذكره ابن الأثير في نهايته.
- وأخرج الإمام أحمد بسند جيد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة»<sup>(٥)</sup>.
- وروى ابن حبان في صحيحه بإسناد قال الحافظ ابن المنذر: لا أعلم
- 
- (١) البزار في مسنده (٢٧/٢) رقم ٣٧٢ .
- (٢) روى البيهقي في شعب الإيمان (٢٦٨/٢) رقم ١٧١٧ عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يعث العالم والعابد، فيقال للعابد ادخل الجنة، ويقال للعالم أثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدهم» وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٥٧/١) رقم ١٣٤، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب وقال: موضوع.
- (٣) أبو داود (١٩/٢) رقم ٢٥٢٢، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٤/٩) رقم ١٨٣٠٨، وابن حبان في صحيحه (٥١٧/١٠) رقم ٤٦٦٠ .
- (٤) أخرجه أحمد (٢٠/٣) رقم ١١١٦٤، و(٦٣) رقم ١١٦٢٣ بزيادة.
- (٥) أخرجه أحمد في آخر الحديث السابق بلفظ: «وإن الرجل ليشفع للثلاثة وللرجلين وللرجل»، ولم أقف عليه في المسند من حديث أنس.

فيه مطعناً عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: «يقول إبراهيم يوم القيامة يا رباه، فيقول الرب جل وعلا: يا لبيكاه، فيقول إبراهيم: يا رب أحرقت بني، فيقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه ذرة أو شعيرة من إيمان»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني عن يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «يشفع الله تبارك وتعالى آدم يوم القيامة من [جميع] ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد بإسناد جيد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلن الجنة بشفاعته رجل ليس بنبي مثل الحيين ربعة ومضر» فقال رجل: يا رسول الله، وما ربعة من مضر؟ قال: «إنما أقول ما أقول»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج ابن حبان في صحيحه، وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «ليدخلن الجنة بشفاعته رجل من أمتي أكثر من بني تميم» قيل: سواك يا رسول الله؟ قال: سواي<sup>(٤)</sup>.

قال بعض الناس: يقال: إن ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وأخرج الحاكم وصححه: «إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٨٣/١٦) رقم ٧٣٧٨.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٧/٧) رقم ٦٨٤٠، وذكره الهيثمي (١٠/٦٩٢) رقم ١٨٥٤٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٥/٢٥٧) رقم ٢٢٢٦٩، (٢٦١/٢٢٣٠٤) رقم ٢٢٣٠٤، و(٢٦٧) رقم ٢٢٣٥١، وأخرج نحوه الحاكم (٣/٤٥٧) رقم ٥٧٢١، والطبراني في الكبير (٨/١٤٣) رقم ٧٦٣٨.

(٤) رواه ابن حبان (١٦/٣٧٦) رقم ٧٣٧٦ عن عبد الله بن شقيق، وابن ماجه (٢/١٤٤٣) رقم ٤٣١٦ وأحمد في (٣/٤٧٠) رقم ١٥٨٩٦.

من مضر، وإن من أمي من سيعظم للنار حتى يكون أحد زواياها»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه فيما رواه الطبراني: لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار حتى إن إبليس الأبالس ليتناول لها رجاء أن تصيبه.

وعنده عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأول داخل الجنة ولا فخر، وإني لأشفع فأشفع حتى إن من أشفع له فيشفع، حتى إن إبليس ليتناول في الشفاعة»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أبو يعلى، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار، فيناديه رجل من أهل النار؛ يا فلان أما تعرفني؟ فيقول: لا والله لا أعرفك من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة من ماء فسقيتك، قال: قد عرفت، قال: فأشفع لي بها إلى ربك، فيسأل الله، فيشفعه فيه، ويخرج من النار»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج ابن ماجه عن أنس مرفوعاً: «يمر الرجل على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم بعثني بحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم (١٤٢/١) رقم ٢٣٨، عن الحارث بن قيس وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي (٤/٦٣٥) رقم ٨٧٥٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط بزيادة بعض الألفاظ (٥/٢٠٢) رقم ٥٠٨٢، وبنحوه في (٥/٢٥٠) رقم ٥٢٢٧ عن حذيفة، وذكره الهيثمي (١٠/٦٨٢) رقم ١٨٥٠٩، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا على ضعف كثير في عبيد بن إسحاق العطار والقاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/٢١٠) رقم ٣٤٩٠ باختلاف في بعض الألفاظ، وابن عدي في الكامل (٥/٢٠٢ ترجمة) رقم ١٣٥٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦٩٥) رقم ١٨٥٥٠ وقال: رواه أبو يعلى وفيه أبو علي بن أبي سارة وهو متروك.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/١٢١٥) رقم ٣٦٨٥ بنحوه، وأبو يعلى في مسنده (٧/٧٨) رقم =

وأخرجه أبو يعلى بلفظ: «تعرض أهل النار يوم القيامة صفوفاً فيمر بهم المؤمنون، فيرى الرجل من أهل النار الرجل من المؤمنين قد عرفه في الدنيا، فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استعنتني في حاجة كذا وكذا؟ فيذكر ذلك المؤمن، فيشفع له إلى ربه، فيشفعه فيه»<sup>(١)</sup>.

وأخرجه البيهقي بلفظ: «أما تذكر يوم اصطنعت إليك في الدنيا معروفاً»<sup>(٢)</sup>.

وفي مسند إسحاق بن راهويه مرفوعاً: «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد أطفال لم يبلغوا الحلم إلا جيء بهم حتى يوقفوا على باب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: أندخل ولم يدخل أبوانا؟ فيقال لهم في الثانية أو الثالثة: ادخلوا أنتم وآباؤكم»<sup>(٣)</sup>.

قلت: ورواه الإمام أحمد طيب الله ثراه.

قال: أخبرنا إسحاق أخبرنا عوف عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله الجنة وأباهم بفضل رحمته، قال: يقال لهم:

= ٤٠٠٦ والطبراني في الأوسط (٣١٧/٦) رقم ٦٥١١ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وذكره الهيثمي (٦٩٤/١٠) رقم ١٨٥٤٧ وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وفيه يوسف بن خالد السمطي وهو كذاب.

(١) انظر الحديث السابق.

(٢) البيهقي في شعب الإيمان (١٢٥/٦) رقم ٧٦٨٧، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٥١٥/٢) رقم ٨٥٣ وقال في آخره: هذا حديث لا يصح تفرد به الأحنس، قال البخاري: منكر الحديث يتكلمون فيه.

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢٥١/٤) رقم ٢٠٧٤ باختلاف يسير، وقال محققه عبد الغفور البلوشي: في إسناده صدوق تغير بآخره، ولكنه يتقوى بشواهدة والحديث صحيح.

ادخلوا الجنة، قال: يقولون: حتى يجيء أبوانا، قال ثلاث مرات، فيقولون: مثل ذلك قال: فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم<sup>(١)</sup>.

والحنث: هو البلوغ، بأن لم يبلغ الحلم، وكأنه مأخوذ من الذنب، لأنه لا يكتب عليه إلا بعد بلوغه الحلم.

فقوله: «لم يبلغوا الحنث» أي لم يبلغوا أن يكتب عليهم الحنث، وهو الذنب.

وأخرج أحمد من حديث المغيرة ثنا جرير ثنا شرحبيل بن شفعة عن بعض الصحابة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة، فيقولون: يا ربنا حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا، قال: فيقول الله تعالى: ما لي أراكم محبطين<sup>(٢)</sup>، ادخلوا الجنة، أنتم وآباؤكم<sup>(٣)</sup>».

وأخرج أيضاً من حديث شرحبيل بن شفعة قال: سمعت عتبة بن عبد السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء<sup>(٤)</sup>».

وأخرج ابن ماجه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن السقط ليراعم ربه عز وجل إذا أدخل أبويه النار، فيقال: أيها

(١) أخرجه أحمد (٥١٠/٢) رقم ١٠٦٣٠، والنسائي في سننه (٢٥/٤) رقم ١٨٧٦، وفي السنن الكبرى (٦١٥/١) رقم ٢٠٠٤، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٨/٤) رقم ٦٩٣٦، وأبو يعلى في مسنده (٤٦٤/١٠) رقم ٦٠٧٩، وأخرج البخاري أوله رقم ١٢٤٨.

(٢) هكذا بالأصل وفي المسند (مُحْبَطِينَ)، والمحبط: المغضب المستبطن للشيء.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٥/٤) رقم ١٧٠١٢، بزيادة بعض الكلمات وانظر تحريج الحديث السابق.

(٤) أخرجه أحمد (١٨٣/٤) رقم ١٧٦٧٦، والطبراني في الكبير (١١٩١/١٧) رقم ٢٩٤ (١٢٥) رقم ٣٠٩.

السقط المرغم ربه أدخل أبويك الجنة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن شاهين والحافظ ابن عساكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نودي في أطفال المسلمين: أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم، ثم ينادى أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: ربنا ووالدانا معنا، فينادي فيهم الثانية: أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: يا ربنا ووالدانا معنا، قال: فييتسم الرب جل وعلا في الرابعة، فيقول: ووالداكم معكم، فيثب كل طفل إلى أبويه، فيأخذون بأيديهم فيدخلونهم الجنة، لهم أعرف بأبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم الذين في بيوتكم»<sup>(٢)</sup>.

تنبيه:

قد وردت الأحاديث الصحيحة، والأخبار الصريحة بشفاة الإسلام، والقرآن، والأعمال الصالحة.

أخرج مسلم عن النواس بن سمعان: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة، وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان أو غيايتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان»<sup>(٣)</sup> من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه (٥١٣/١) رقم ١٦٠٨ وفي آخره «فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة»، وأبو يعلى في مسنده (٣٦٠/١) رقم ٤٦٨، والبيزار (٥٧/٣) رقم ٨١٥ بلفظ «بسرارهما» وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧/٣) رقم ١١٨٧، وضعف لأجل مندل بن علي وقد وثقه الهيثمي في غير موضع من مجمع الزوائد.

(٢) لم أقف عليه عند ابن عساكر وقد ذكره أبو عبد الله المنجي في كتابه «تسليية أهل المصائب» (١٢٢) وعزاه لابن شاهين وابن عساكر.

(٣) بالأصل رفرقان.

(٤) رواه مسلم رقم ٨٠٥ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وأخرج الحاكم، وابن خزيمة عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً: «إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تهدي إلى كريمها، تضيء لهم، يمشون في ضوئها، كالثلج بياضاً، وريحهم يسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان لا يطفرون تعجباً حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون»<sup>(١)</sup>.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً.

منها: حديث المنام الطويل الذي يقول فيه: «رأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه، فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشياطين عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشت ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً من أمتي يلتهب عطشاً كلما دنا من حوضي منع منه وطرد، فجاءه صيامه شهر رمضان فأسقاها وأرواه، ورأيت رجلاً من أمتي ورأيت النبيين حلقاً حلقاً كلما دنا إلى حلقة طرد، فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، وهو متحير، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً من أمتي يتقي بيده وجهه وهج النار

(١) أخرجه الحاكم (٤١٢/١) رقم ١٠٢٧ وفيه (ألوانهم) قبل (كالثلج بياضاً) وقال: هذا حديث شاذ صحيح الإسناد، وابن خزيمة في صحيحه (١١٧/٣) رقم ١٧٣٠ وقال قبله: «إن صح الخبر فإن في النفس من هذا الإسناد» والطبراني في مسند الشاميين (٣٨٩/٢) رقم ١٥٥٧، وذكره الهيثمي (٣٧٤/٢) رقم ٣٠٠٤ وقال: رواه الطبراني في الكبير عن الهيثم بن حميد عن حفص بن غيلان، وقد وثقهما قوم وضعفهما آخرون وهما محتج بهما.

وشررها، فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار، وظلاً على رأسه، ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان واصلاً لرحمه، فكلموه، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصار فيهم، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الزبانية، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم، وأدخله في ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه، وبينه وبين الله عز وجل حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل، ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمتي خف ميزانه، فجاءه أفراطه<sup>(١)</sup> فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمتي قائم على شفير جهنم، فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي بكا من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط، ويحبو أحياناً، ويتعلق أحياناً، فجاءته صلته علياً فأنقذته وأقامته على قدميه، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له أبواب الجنة، وأدخلته الجنة<sup>(٢)</sup>.

(١) جاء في النهاية يقال: افترط فلان ابناً له صغيراً إذا مات قبله، ومنه الدعاء للطفل الميت «اللهم اجعله لنا فرطاً» أي أجراً يتقدمنا.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٦/٣٤) باختلاف يسير في بعض الألفاظ، والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٨١) رقم ٣٩، وذكره الهيثمي (٣٧١/٧) رقم ١١٧٤٦ وقال: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي وكلاهما ضعيف.

هذا الحديث أخرجه أبو القاسم الحافظ ابن عساكر، قال: أخبرنا أبو العز أحمد بن عبيد الله العكبري ببغداد، ثنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، أنا أبو الحسن علي بن محمد الوراق، ثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي، ثنا أبو الوليد بشر بن الوليد القاضي، ثنا الفرغ بن فضالة، ثنا هلال أبو جبلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال: «إني رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فطرده ملك الموت عنه...»<sup>(١)</sup> وساق جميع ما ذكرنا.

قلت: وهذا الحديث ذكر غير واحد من الحفاظ أن لوائح الصحة ظاهرة عليه، وأن القلب يركن إلى متنه، وفيه بشارة عظيمة للأمة عامة.

فإن قيل: هذه المذكورات أعراض فكيف تصح شفاعتها، وكيف تصدر الشفاعة من عرض وهو مفتقر لمحل يقوم فيه؟ قلنا: لا جرم أن الأعمال والمعاني مخلوقة لله تعالى، ولها صور عند الله سبحانه، وإن كنا لا نشاهد تلك الصور، وقد نص أرباب الحقيقة على أن من أنواع الكشف: الوقوف على حقائق المعاني وإدراك صورها بصورة الأجسام، والأحاديث شاهدة لذلك.

هذا محصل جواب العلامة ملخصاً.

قلت: وهذا ليس بشيء<sup>(٢)</sup> والتحقيق عندي أن الله يخلق من ثواب

(١) الحديث السابق.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: وهذا ليس بشيء إلخ، فيه نظر وما زعمه أنه التحقيق عنده =

القرآن ملائكة يأتون مع أهل القرآن.

وقد جاء في الخبر: من قرأ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]. خلق الله سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

= صرف لصريح الأحاديث عن ظاهرها لغير ضرورة ولا حاجة داعية إلى التأويل فإنه لا يترتب على مجيء القرآن والصلاة والصيام وسائر الأعمال الصالحة وشفاعتها لأهلها محذور، وهو مما تظاهرت به النقول، وما ذكره من السؤال قد جرى بعينه في زمن الحافظ السيوطي، وألف في الجواب عنه رسالة سماها «المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة» وهي دون الكراسة، قال رحمته بعد الديباجة: وأقول: التحقيق الشامل لذلك ولغيره أن جميع المعاني المعقولة عندنا مصورة عند الله تعالى بصورة الأجسام ومشخصة بهيئة الأشخاص، وإن كنا لا نحس ذلك لكوننا محجوبين عنه، وذكر رحمته جملة أحاديث كلها تدل على تشخص الأعمال وتجسدها، منها حديث «إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان فكان عليه كالظلة، فإذا أقلع رجع إليه الإيمان» وفي لفظ «من زنى أو شرب الخمر ينزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص في رأسه» وفي لفظ «الإيمان سربال يستر به الله من يشاء، فإذا زنى العبد نزع منه سربال الإيمان، فإذا تاب رده عليه» وقال وفي هذا الحديث دليل على أن الإيمان شيء مخلوق له صورة وتشخص شخصاً، قوله: «فكان عليه كالظلة» فإنه بعيد القبول للتأويل...

وقال أيضاً في هذه الرسالة المذكورة بعد أن ذكر أحاديث في كبش الموت: فائدة: قال الشيخ عبد الغفار القوسي في كتاب «الوجد» المعاني تتشكل ولا يمتنع ذلك على الله تعالى، فقد ورد في الحديث الصحيح أن الموت يؤتى به في صورة كبش ويذبح بين الجنة والنار، والموت معنى من المعاني، وقد ورد أن العبد إذا قال: لا إله إلا الله خرج من فيه طائر أبيض يرفرف تحت العرش، فيقال له اسكن، فيقول: وعزتك لا أسكن حتى تغفر لقائلها. انتهى. وحكى بعد ذلك حكايات كثيرة عن بعض الصالحين كلها شاهدة بأن المعاني تشخص ويشاهدها من كشف الله بصيرته ونور سريره، والخبر الذي أورده المؤلف نفى التشخص والتصوير كما ذكرنا، ولا يفيد أكثر من أن الله يخلق سبعين ألف ملك يستغفرون لمن قرأ «شهد الله أنه» الآية بل قوله فيه «إلى يوم القيامة شاهد على هذا الخلق والاستغفار في الدنيا، وقول المؤلف: ولعله مراد العلامة إلخ، ممنوع، بل مراد العلامة ومراد السيوطي فيما نقلناه عنه وله فتأمل وانصف. كاتبه/ محمد الباقاني.

قلت: الحديث الذي ذكره «من قال لا إله إلا الله خرج من فيه طائر أبيض» إلخ حديث موضوع.

(١) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٣١٢) رقم ٤٩ وقال: في إسناده وضاع.

وهنا كذلك يخلق الباري جل شأنه وتعالى سلطانه من ثواب القرآن والصيام، وكذلك سائر الأعمال الصالحة ملائكة يشفعون له .

ثم رأيت القرطبي ذكره في «التذكرة» عن الإمام عبد الله ابن المبارك قدس الله روحه في دقائقه .

والحاصل أن الصور نفس ثواب القرآن كبقية الأعمال، لا أن القرآن نفسه يتصور ولعله مراد العلامة، بل هو مراده قطعاً، وإن أوهم خلافه، فتنبه، والله أعلم .

\* \* \*

## فصل

## في سعة رحمة الله تعالى

قال عز وجل: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] وقال تعالى: ﴿يَتَّبِعْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩] ثم قال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية.

ومما ينبغي أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى أرحم بعبده من الأم الشفوقة على ولدها، وأنه تعالى أرحم بنا من أنفسنا، كيف وهو الذي أفاض على العباد من هذه البركات، وأتى بهذه الخيرات، وامتن بهذه النعم التي ملأت ما بين الأرض والسموات، واستخرج عبادة من ظلمات الكفر، واستنقذهم من غمرات الجهل، وهو الذي يغفر الذنوب جميعاً، ويستر العيوب، وينفس عن المكروب، ويجيب المضطر إذا دعاه، وإن كان<sup>(١)</sup> قد أكل رزقه وعصاه، وعتى عن ذكر ربه وتولى سواه، سبحانه من إله، ارتدى بالعظمة، وتسربل بالكبرياء، فلا يحد كرمه، ولا تعد نعمه.

ولله در القائل:

حدث عن الجود وعن فيضه	فالأمر مبني على الجود
واذكر لنا بعض أعاجيبه	فلست تحصيه بتعديد
هيات ما جود عليك الورى	وخالق الخلق بمحدود
حدث عن البحر وما البحر في	بعض أياديه بموجود

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هنا نهاية الجزء الأول من نسخة الأصل، وبداية الجزء الثاني.

يقول: «إن الله خلق الرحمة<sup>(١)</sup> يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد، والبخاري، وأبو يعلى بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ ونفر من أصحابه وصبي في الطريق، فلما رأت أم الصبي القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ابنتها في النار، فقال ﷺ: «ولا الله، لا يلقي حبيبه في النار»<sup>(٣)</sup>.

وأخرجه الشيخان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه: وقال

(١) في حاشية الأصل/ قوله: خلق الرحمة إلخ، لا يذهب عليك أن هذه الرحمة مخلوقة لله سبحانه وتعالى لا أنها صفته، تعالى الله عن ذلك، فإن الله وصفاته قديم وهي قديمة، فالرحمة التي هي صفة الله تعالى قديمة قائمة بذاته لا تشابه صفات المخلوقين، ولا نردها إلى الإرادة كما ذهب إليه المتكلمة، لزمهم أن الرحمة هي الرقة، أي رفته تعالى والميل، والله تعالى منزه عن ذلك، قلنا رحمة الله غير رحمة العبد كما أي سمعه وبصره وعلمه وكلامه وقدرته وإرادته كلها بخلاف صفة العبد، فصفات الله قديمة، وصفات العبد محدثة، وحقيقة صفات الله غير حقيقة صفات العبد، فالله قديم بصفاته وأسمائه، إذ صفة القديم قديمة، والعبد محدث مخلوق، وصفاته كذلك، ومن زعم أن الرحمة ترد إلى الإرادة فقد وقع فيما فر منه كما يعلم من له دقة فهم، وأما هذه الرحمة التي خلقها فهي غير صفته تعالى، لأن صفته لا تنفك عنه ولا تتجزأ كما لا يخفى على من له تحقيق والله ولي التوفيق، مؤلف.

(٢) رواه البخاري رقم ٦٤٦٩، ومسلم في موضعين رقم ٢٧٥٢، عن أبي هريرة، ورقم ٢٧٥٣ عن سلمان.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٤/٣) رقم ١٢٠٣٧ وأبو يعلى في مسنده (٣٩٧/٦) رقم ٣٧٤٧، والحاكم (١٩٥/٤) رقم ٧٣٤٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

رسول الله ﷺ : «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البزار بسند صحيح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في بعض مغازيه فبينما هم يسيرون إذ أخذوا فرخ طير، فأقبل أحد أبويه حتى سقط في يد الذي أخذه، فقال رسول الله ﷺ : «لا تعجبوا، فإن هذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديهم، فوالله لله أرحم بخلقه من هذا الطير بفرخه»<sup>(٢)</sup>.

وفي سنن أبي داود في أوائل كتاب الجنائز من حديث عامر الرام - أخي الخضر - بفتح الخاء وإسكان الضاد المعجمتين، فرد في الأسماء قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل عليه كساء، وفي يده شيء قد التف عليه، فقال: يا رسول الله، إني لما رأيتك أقبلت فمررت بغيطة شجر، فسمعت فيها أصوات فراخ طائر، فأخذتهن فوضعتهن في كسائي، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي، فكشفت لها عنهن، فلبثت معهن فلففتهن بكسائي، فهن أولاء، فقال: دعهن عنك، فوضعتهن، فأبت أمهن إلا لزومهن، فقال رسول الله ﷺ : «أتعجبون لرحمة أم هؤلاء عليهن؟» قالوا: نعم، يا رسول الله، قال: «فوالذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن»<sup>(٣)</sup>. فرجع بهن.

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٩٩٩، ومسلم رقم ٢٧٥٤.  
 (٢) رواه البزار في مسنده (٤١١/١) رقم ٢٨٧، وذكره الهيثمي (٦٩٧/١٠) رقم ١٨٥٥٣ وقال: رواه البزار من طريقين ورجال إحداهما رجال الصحيح.  
 (٣) جزء من حديث أخرجه أبو داود (١٩٩/٢) رقم ٣٠٨٩، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٣٠) رقم ٢٠.

تنبيه:

في هذه الحديث أنه ﷺ أمر الرجل الذي أتى بالفراخ وأمهن أن يرجعها بفراخها إلى موضعهن، وقد نص الفقهاء أنه لا يجوز إعتاق الطيور<sup>(١)</sup>.

قال إمام الحنابلة ومحققهم سيدنا الإمام العلامة ابن عقيل طيب الله ثراه: لا يجوز أعتقتك في حيوان مأكول، لأنه فعل الجاهلية.

وفي (الفروع): وتبعه في (الإقناع)، وإذا أرسل صيداً، وقال: أعتقتك لم يزل ملكه عنه كما لو أرسل البعير أو البقرة. انتهى.

وفي (حياة الحيوان): لا يجوز عتقها - يعني الطيور - على الأصح، وقيل: يجوز لما روى الحافظ أبو نعيم عن أبي الدرداء، أنه كان يشتري العصافير ويرسلها.

قال ابن الصلاح: والخلاف فيما يملك بالاصطياد، أما البهائم الأنسية فإعتاقها من قبيل السوائب الجاهلية، وذلك باطل قطعاً. انتهى.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لله مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا، فمن ثم يعطف الرجل على ولده والطيور على فراخه، فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيوب السخيتاني: إن رحمة الله ما هو أكثر من ذلك إن شاء الله.

(١) إعتاق الطير إرساله وإطلاقه بعد صيده، وقد بحثها الفقهاء وخصوصاً الحنابلة وهي مسألة خلافية. انظر الشرح الكبير (٤٢/١١)، والإنصاف (٤٤٠/١٠).

(٢) مسلم رقم ٢٧٥٢ بالفاظ قريبة.

وأخرج أبو القاسم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه، أخرج كتاباً من تحت العرش، إن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين». قال: فيخرج من النار مثل أهل الجنة، قال: وأكثر ظني أنه قال: «مثلي أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله»<sup>(١)</sup>.

وعند البيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً: «أمر الله بعبد إلى النار، فلما وقف على شفيرا التفت، فقال: أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسنا، فقال: ردوه أنا عند ظني عبدي بي»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الحاكم وصححه، والطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحشر هذه الأمة يوم القيامة على ثلاثة أصناف، صنف يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبون حساباً يسيراً، ويدخلون الجنة، وصنف يجيئون على حمائلهم كأمثال الجبال الراسية، فيقول الله للملائكة وهو أعلم بهم: من هؤلاء؟ فيقولون: ربنا عبيد من عبيدك كانوا يعبدونك لا يشركون بك شيئاً، وعلى ظهورهم الخطايا والذنوب، فيقول الله: حطوها عنهم وضعوها على اليهود والنصارى، وأدخلوهم الجنة برحمتي»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٥٤/٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤١١/١١) رقم ٢٠٨٥٨، وذكره ابن كثير في التفسير (١٨١/١) وعزاه لابن مردويه، والسيوطي في الدر المنثور (٧٢/٣).

(٢) جزء من حديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩/٢) رقم ١٠١٥، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢٣٣/١) عند حديثه عن حديث «أنا عند ظن عبدي بي» والمنذري في الترغيب والترهيب (١٣٦/٤) رقم ٥١٣٢.

(٣) أخرجه الحاكم (١٢٦/١) رقم ١٩٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وفي (٢٨٢/٤) رقم ٧٦٤٥ باختصار وأخرج نحوه الطبراني في الكبير (٧٩/١٨) رقم ١٤٩ عن عوف بن مالك، وذكره الهيثمي (٦٢١/١٠) رقم ١٨٣٥٧.

وعند البيهقي وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين، فيقال: هذا فداؤك من النار»<sup>(١)</sup>.

وأخرج مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه رفعه: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج مسلم أيضاً من وجه آخر: «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فداؤك من النار»<sup>(٣)</sup>.

و«أو» هنا ليست للشك، بل للتخيير والتنويع، أي يدفع له رجل من اليهود أو النصراني.

قال القرطبي في «التذكرة»: ومعنى وضع ذنوب المذنبين من المسلمين على اليهود والنصارى أنه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم بقدر جرمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُزْرَىٰ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وله أن يضاعف لمن يشاء العذاب، ويخفف عن من شاء بحكم إرادته ومشيئته، وهو الفاعل المختار.

لطيفة:

سمع أعرابي ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤٣٤/٢) رقم ٤٢٩٢، وأحمد (٤٠٩/٤) رقم ١٩٦٨٥ باختلاف

يسير عن أبي موسى والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٠/١) رقم ٣٧٥.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٦٧ بلفظ «فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى».

(٣) رواه مسلم رقم ٢٧٦٧ بلفظ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار».

فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴿ [آل عمران: ١٠٣] فقال الأعرابي: والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: خذوها من غير فقيه.

بشارة:

أخرج مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار»<sup>(١)</sup>.

وسنذكر تحقيق هذا الباب بعد إن شاء الله تعالى.

\* \* \*



## الكتاب الرابع

في ذكر الجنة وصفاتها وذكر نعيمها ولذاتها،  
جعلنا الله تعالى من أهلها من غير سابقة  
عذاب، ولا مناقشة حساب



في ذكر الجنة وصفاتها وذكر نعيمها ولذاتها،  
جعلنا الله تعالى من أهلها من غير سابقة  
عذاب، ولا مناقشة حساب

قد تقدم أن الجنة لا تُدخل بالأعمال، وإنما تُدخل برحمة الكريم المتعال، وفضل ذي المنة والنوال. وقد ذكرنا أيضاً أنها موجودة الآن، ولكن لا بد من زيادة هذا المقام توضيحاً وتحريراً وتنقيحاً.

قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح إلى منازل الأفرح»: لم تزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد، على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام، كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها، إلى أن نبعت نابعة من القدرية والمعتزلة، فأنكرت أن تكون الجنة الآن مخلوقة، قالت: بل الله ينشئها يوم القيامة والمعاد، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد، الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذلك، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعاله، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا: خَلَقَ اللهُ الجنة قبل الجزاء عبث، فإنها تصير معطلة مُدَدًا متطاولة ليس فيها سكانها، قالوا: ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح، وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرناً متطاولة، لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه. قال

المحقق قدس الله روحه: هؤلاء حجروا على الرب بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة، وشبهوا أفعاله تعالى بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة، يعني شريعتهم الباطلة التي وضعوها، وحكموا ببدعة وضلال من خالفهم فيها، والتزموا لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء، ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكره من صَنَّفَ في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة، لا يختلفون فيها، ثم ذكر عقائد أهل السنة ومقالاتهم، ثم ذكر الأحاديث والآيات الواردة الدالة على أن الجنة كالنار موجودتان الآن، وأطال بما لم أر في سائر كتب الإسلام أغزر منه تحقيقاً، ولا أظهر منه تدقيقاً، فجزاه الله خيراً.

احتج المخالف أنها لو كانت الآن مخلوقة لوجب أن تفتنى، وأن يهلك كل ما فيها ويموت، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْخُكْرُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] و ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قال: فتموت الحور العين التي فيها والولدان، قالوا: والدار دار خلود، وقد أخبر سبحانه بأنها دار خلود، فلا يموت من فيها ولا يبيد، وخبره لا يجوز خُلْفَه ويستحيل نسخه، أي: لأنه خبر محض، وهو غير جائز. وقد أخرج الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قال: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسهما سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر»<sup>(١)</sup> قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(١) أخرجه الترمذي (٥١٠/٥) رقم ٣٤٦٢ وقال: هذا حديث حسن غريب، والطبراني في الكبير (١٧٣/١٠) رقم ١٠٣٦٣ باختلاف يسير.

وأخرج أيضاً عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة»<sup>(١)</sup> قال: حديث حسن صحيح.

قال المخالف: فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغرس معنى، وقد قال تعالى حاكياً عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١] ومحال أن يقول قائل لمن نسج ثوباً أو بنى بيتاً، انسج لي ثوباً وابن لي بيتاً، وأصرح من هذا قوله صلى الله عليه وسلم: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة»<sup>(٢)</sup> متفق عليه.

وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية، وهذا ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية عثمان، وعلي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك وعمرو بن عبسة رضي الله عنه.

قال المخالف: وقد جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها وتبني للعبد ما دام يعمل، فإذا فتر فترت الملائكة عن العمل، قال: وقد روى ابن حبان في صحيحه والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا قبض الله ولد العبد، قال: يا ملك الموت قبضت قرّة عينه وثمره فؤاده؟ قال: نعم، قال: فما قال عبدي؟ قال: حمدك واسترجع، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٥١١/٥) رقم ٣٤٦٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن حبان في صحيحه (١٠٩/٣) رقم ٨٢٦ والحاكم (٦٨٠/١) رقم ١٨٤٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٤٥٠ باختلاف في بعض الألفاظ ومسلم رقم ٥٣٣ عن عثمان بن عفان.

(٣) رواه ابن حبان (٣١٠/٧) رقم ٢٩٤٨، والترمذي (٣٤١/٣) رقم ١٠٢١، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأحمد (٤١٥/٤) رقم ١٩٧٤٠.

وفي المسند أيضاً من حديثه أيضاً قال ﷺ: «من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة سوى الفريضة بني له بيت<sup>(١)</sup> في الجنة»<sup>(٢)</sup>. قال المخالف: وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم.

فهذا ابن مزين قد ذكر في تفسيره عن نافع - وهو من أئمة السنة - أنه سئل عن الجنة: أمخلوقة هي؟ فقال: السكوت عن هذا أفضل، هذه شبه أهل الاعتزال والزيغ والضلال.

والجواب مع ما تقدم عن هذه الشبه أن تقول لهم: ما تعنون بقولكم: لم تخلق بعد؟ أتريدون أنها الآن عدم محض لم تبرز إلى الوجود كالنفخ في الصور، وقيام الناس من القبور؟ فهذا باطل مردود، وقائله مدحوض مبعود بالأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة، وهو قول مخترع، لم يقله أحد من السلف، ولا من أهل السنة، وهو رأي أهل البدع، ويرده وتزيفه أئمة السنة والجماعة والأكابر قطعاً، أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها، وجميع ما أعد الله لأهلها من نسائها ورجالها، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء؟ وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخرى؟ فهذا حق لا يمكن رده، وأدلتكم إنما تدل على هذا القدر.

وحديث ابن مسعود، وحديث جابر صريحان في أن أرضها مخلوقة، وأن الذكر الذي ينشئ الله سبحانه وتعالى لقائله منه غراساً في تلك الأرض، وكذا بناء البيوت بالأعمال المذكورة، والعبد كلما وسع في الأعمال الصالحة وسع الله له في الجنة، وكلما عمل خيراً غرس له هناك

(١) في الأصل (بيتا) والمثبت هو الصواب.

(٢) رواه أحمد (٤١٣/٤) رقم ١٩٧٢٤ بلفظ: «ثنتي عشر» وروى نحوه أبو داود (٤٠١/١) رقم ١٢٥٠ عن أم حبيبة، ومسلم رقم ٧٢٨.

غراس، وبني له بيت، ونشئ له من العمل أنواع مما يتمتع به، وهذا لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد، ولا يسوع إطلاق ذلك أبداً.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. فإنما أوتيتم ذلك من عدم فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن، نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلها، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم، وإنما وفق لذلك السلف وأئمة الإسلام.

قال البخاري في صحيحه قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أي إلا ملكه ويقال: إلا ما أريد به وجهه.

وقال إمام السنة سيدنا الإمام أحمد - طيب الله ثراه - في رواية ابنه عبد الله: فأما السماء والأرض فقد زالتا، لأن أهلها صاروا إلى الجنة وإلى النار، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب، لأنه سقف الجنة، والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد.

وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وذلك أن الله تعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمع أهل السماء في البقاء، فأخبر سبحانه عن أهل السماوات والأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت.

وقال في رواية أبي العباس، قال: قال أبو عبد الله الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: هذه مذاهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعرونها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن

خالف هذه المذاهب أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن منهج أهل السنة وسبيل الحق.

فَسَاقُ أَقْوَالِهِمْ إِلَى أَنْ قَالَ: وَقَدْ خَلَقْتَ الْجَنَّةَ وَمَا فِيهَا، وَخَلَقْتَ النَّارَ وَمَا فِيهَا، خَلَقَهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ أَنْخَلَقَ لَهُمَا، فَلَا يَفْنِيَانِ وَلَا يَفْنَى مَا فِيهِمَا أَبَدًا.

فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وينحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء والهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحدود العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة، ولا يذفن الموت أبدًا، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل.

قال: وخلق سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماوات الدنيا مسيرة خمس مائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مائة عام، والماء فوق السماء السابعة، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، والله على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع وما بينهما، وما تحت الثرى وما في قعر البحر، ومنبت كل شعرة وشجرة وزرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الرمل والحصى والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم، وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة، ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم بها، قال:

فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ آوْرِيْدٍ﴾ [ق: ١٦] وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]. ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] وقوله: ﴿مَا يَكُوْتُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] ونحو هذا من متشابه القرآن، فقل: إنما يعني بذلك العلم، لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا، يعلم كل ذلك كله، وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان. وقال الإمام أحمد رضي الله عنه أيضاً في رواية أبي جعفر الطائي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي، قال الخلال في حقه: حافظ إمام في زمانه، معروف بالتقدم في العلم والمعرفة، كان الإمام أحمد رضي الله عنه يعرف له ذلك، ويقبل منه، ويسأله عن الرجال من أهل بلده، قال: أملى علي الإمام أحمد بن حنبل فذكر من رسالته في السنة ثم قال في أثنائها: وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا، كما جاء في الخبر قال النبي ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت فيها قصرأ وأرأيت الكوثر واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا»<sup>(١)</sup>.

فمن قال: إنهما لم يخلقا فهو مكذب لرسول الله ﷺ وبالقرآن، كافر بالجنة والنار، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل وقد قال في رواية عبدوس بن مالك العطار وذكر رسالة في السنة، أن قال: والجنة والنار مخلوقتان كما جاء عن رسول الله ﷺ قال: «اطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا»<sup>(٢)</sup>.

فمن زعم أنهما لم يخلقا، فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله

(١) روى البخاري رقم ٣٢٤١ عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» ورواه مسلم رقم ٢٧٣٧ عن ابن عباس.

(٢) انظر تحريج الحديث السابق.

ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار، لخصت هذا كله من كلام الإمام المحقق في (حادي الأرواح) وقد أجاد وأفاد، قدس الله روحه، ونور ضريحه.

تنبيه:

لا يذهب وهمك من كلام الإمام أحمد ﷺ إلى نوع تشبيه أو تمثيل، معاذ الله، فهو ﷺ أبعد خلق الله من ذلك، ولكن نؤمن بأن الله كما أخبر، لا كما يخطر للبشر، فهو مستو على عرشه استواء يليق بذاته، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، والله أعلم.

إذا علمت أن الجنة مخلوقة، وأنها موجودة الآن فلتتكلم على صفاتها في خمسة عشر باباً.



## الباب الأول

## في ذكر أبوابها وما يتعلق بذلك

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبِّئَتْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وقال في صفة النار: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١] بغير واو، فزعمت طائفة أن هذه الواو واو الثمانية، دخلت في أبواب الجنة لكونها ثمانية، بخلاف أبواب النار فإنها سبعة، وذكره الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في (التبصرة) وانتصر له، قال في (التبصرة) عند قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ في هذه الواو ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها زائدة، قاله الفراء.

والثاني: أن الواو زيدت لأن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، والعرب تعطف في العدد بالواو على ما فوق السبعة، فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية، ومثله قوله تعالى: ﴿الْمُتَّقِينَ الْعَبِيدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] فلما ذكر سبع خصال، قال: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] وكذلك ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

والثالث: أنها واو الحال، فالمعنى جاءوها وقد فتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفت الواو من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، قال: ووجه الحكمة في ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن أهل الجنة لما رأوا أبوابها مفتحة استعجلوا السرور،

وأهل النار يأتونها والأبواب مغلقة ليكون أشد لحرها.

والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق ذل، فصين عنه أهل الجنة دون أهل النار.

والثالث: أنه لو وجد أهل الجنة باباً مغلقاً لأثر انتظار فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلق أبواب النار إلى مجيء أصحابها، لأن الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة. انتهى كلامه.

والإمام المحقق لا يرتضي ذلك كله، بل قال: هذا قول ضعيف لا دليل عليه، ولا تعرفه العرب، ولا أئمة العربية، وإنما هذا من استنباط بعض المتأخرين. وقال عن القول بأنها زائدة: هو ضعيف أيضاً، فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد بغير معنى ولا فائدة، واختار بأن الواو عاطفة على قوله تعالى: ﴿جاؤها﴾ وأن الجواب محذوف، قال: وهو اختيار أبي عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم، قال المبرد: حذف الجواب أبلغ عند أهل العلم، قال أبو الفتح ابن جنى: وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به.

فإن قيل: ما السر<sup>(١)</sup> في حذف الجواب في آية أهل الجنة، وذكره في آية أهل النار؟

(١) في حاشية الأصل/ قوله: ما السر؟ إلخ - اعلم أن الإمام ناصر السنة ابن الجوزي طيب الله ثراه ذكر أن الجواب في كلا الآيتين محذوف، فإن قال قائل: أين جواب (حتى إذا جاءوها) فالجواب أنه محذوف، قاله أبو عبيدة والمبرد والزجاج، قال وتقدير هذا المحذوف في حق أهل النار (هلكوا) وفي حق أهل الجنة (سعدوا)، هذا كلامه وأنت خير مما قررنا أن المحذوف إنما هو في آية أهل الجنة حسب، وأما في آية أهل النار فالجواب فتحت، كما صرح به المحقق وهو ظاهر لا غبار عليه، والله أعلم. مؤلف

فالجواب: أن هذا أبلغ في الموضوعين، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة، حتى إذا جاءوها فتحت في وجوههم، ففجأهم العذاب بغته، فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيمة، فإنها دار الإهانة والخزي، فلم يستأذن لهم في دخولها، وأما الجنة فدار كرامته تعالى، ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوها مغلقة، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم، ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله، فكلهم يتأخر عن ذلك، حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، فيقول: «أنا لها»، فيأتي تحت العرش ويخر ساجداً لربه، فيدعه ما شاء الله أن يدعه، ثم يأذن له في رفع رأسه، وأن يسأل حاجته، فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها، فيشفعه ويفتحها تعظيماً لخطرها، وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه، وأن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن ينتهي إليها، وما ركب من الأطباق طبقات فوق طبق. قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] يعني: الشدائد والأهوال، الموت، ثم البعث، ثم العرض. وقال عكرمة: حالاً بعد حال، رضيعاً، ثم فطيماً، ثم غلاماً، ثم شاباً ثم شيخاً، هذا معنى الآية الكريمة. وقيل غير ذلك من الشدائد والمصائب، شدة بعد أخرى، حتى يأذن الله سبحانه لنبيه وخاتم رسله أن يشفع إليه في فتحها لهم، وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور، ولثلاث يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء فجنة غالية، ومنزلة عالية بين الناس، وبينها من العقاب والمفاوز والأخطار ما لا تتال إلا به، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ولهذه الدار، فليعد عنها إلى ما هو أولى به، وقد خلق لها وهبيء له.

قلت: وكلامه كله في الاحتجاج على أن أبواب الجنة يصادفها أهلها مغلقة كما أن أبواب النار يصادفها أهلها كذلك، وهذا فيه نزاع مشهور بين العلماء، والذي ذهب إليه ابن الجوزي وغيره وتلاههم العلامة في (بهجته) خلاف ما نحاها الإمام المحقق.

فإن قلت ما الذي تختاره؟ قلت: كلام المحقق أبلغ، وكلام الجمهور أظهر، وأنا أختار ما قاله المحقق. فإننا إذا قلنا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] دلالة ظاهرة على ما نحاها. وتقدير الكلام: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها سعدوا وفازوا ونعموا، وقال لهم خزنتها، وأما قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَنَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] أي: بعد دخولهم، كما نقره إن شاء الله تعالى.

وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمراً، من فرحة هؤلاء بإخوانهم واستبشارهم وقوة قلوبهم، وخزي أولئك وغمهم، يساقون إلى النار زمراً يلعن بعضهم بعضاً، فإن ذلك أبلغ في الخزي والفضيحة من أن يساقوا واحداً واحداً، فلا تهمل تدبر قوله تعالى: ﴿زُمُرًا﴾ وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: ﴿طَبِّئْزَ فَأَدْخُلُوهَا﴾ [الزمر: ٧٣] أي سلامتكم ودخولها يطيبكم، فإن الله حرمها إلا على الطيبين، فيبشرونهم بالسلام والطيب والدخول والخلود، وأما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحالة من الهم والغم والخزي والحزن، فتحت لهم أبوابها، فوقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه من الخزي والنكال توبيخ خزنتها وتبكيتهم بقولهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ فاعترفوا وقالوا: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

وكلمة العذاب قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وحقت بمعنى: وجبت، فيشرونهم حينئذ بدخولها والخلود فيها، وأنها بئس المثوى، وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: ﴿ادْخُلُوهَا﴾، وقول خزنة النار لأهلها: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾، تجد تحته سرّاً لطيفاً ومعنى بديعاً ظريفاً، وهو أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفضح كل شيء، وأشدّه حرّاً وأعظمه غمّاً، يستقبل الداخل من العذاب ما هو أشد منها، ويدنو من الغم والخزي بدخول الأبواب، فليل ادخلوا أبوابها صغاراً لهم وإذلالاً وخزياً، ثم قيل لهم: لا يقتصر بكم على مجرد ذلك، ولكن وراء ذلك الخلود في النار، وأما الجنة فهي دار الكرامة، والمنزل الذي أعد الله لأوليائه فيشرون من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها، وتأمل قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ ﴿٥٠﴾ متكئين فيها يدعون فيها بفرحهم كثيراً وشرباً﴾ [ص: ٥٠-٥١] كيف تجد تحته معنى بديعاً، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم، بل تبقى مفتحة كما هي، بخلاف النار، فإذا دخلوها أغلقت عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨] أي: مطبقة. وفيه سمي الباب وصيداً، وهي مؤصدة في عمد ممددة، قد جعلت العمدة ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب. قال مقاتل: يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب، ولا يخرج منها غم ولا اكتئاب ولا يدخل فيها نسيم آخر الأبد، وأيضاً: فإن في فتح الأبواب إشارة إلى تصرف أهل الجنة وذهابهم وإيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاءوا، ودخول الملائكة عليهم من كل باب في كل وقت بالتحف والألطف من ربهم، وأيضاً إشارة إلى أنها دار من لا يحتاج إلى غلق الأبواب كما في الدنيا. هذا ملخص كلام الإمام المحقق مختصراً، وهو صريح في أن الجنة يصادفها أهلها مغلقة الأبواب، وقد علم الجواب عن قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ

لَمْ أَتِ أَبْوَابُهَا ﴿ [ص: ٥٠] وهو أنها تكون كذلك بعد دخولهم، واستقرارهم.  
ويؤيده قوله ﷺ: «آتي باب الجنة فأستفتح وقول الخازن بك أمرت ألا  
أفتح لأحد قبلك»<sup>(١)</sup>. وهذا ظاهر والله الموفق.

وأخرجه الشيخان عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:  
«في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا  
الصائمون»<sup>(٢)</sup>. وفيهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من  
أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة، يا  
عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان  
من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، دعي من  
باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان». فقال أبو بكر  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والله يا رسول الله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي؟ فهل يدعى  
منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: «نعم، وإنني لأرجو أن تكون  
منهم»<sup>(٣)(٤)</sup>.

قال القرطبي: قيل الدعاء من جميعها دعاء تنوية وإكرام، ثم يدخل  
من الباب الذي غلب عليه العمل.

(١) أخرجه مسلم رقم ١٩٧ عن أنس بلفظ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول  
الخازن من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك» وأحمد (١٣٦/٣)  
رقم ١٢٤٢٠.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٢٥٧، وروى نحوه مسلم رقم ١١٥٢.

(٣) رواه البخاري رقم ١٨٩٧ وفي أوله: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب  
الجنة» الحديث ومسلم رقم ١٠٢٧، والترمذي (٦١٤/٥) رقم ٣٦٧٤.

(٤) في حاشية الأصل/ وفي لفظ (بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك  
الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم وأرجو أن تكون  
منهم) مؤلف.

وأخرج مسلم عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»<sup>(١)</sup>. زاد الترمذي: «واجعلني من المتطهرين»<sup>(٢)</sup>. زاد الإمام أحمد وأبو داود: «ثم رفع نظره إلى السماء فقال: اللهم اجعلني»<sup>(٣)</sup> الحديث.

وعند الإمام أحمد، عن أنس رضي الله عنه يرفعه: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: ثلاث مرات: أشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتح له ثمانية أبواب الجنة، من أيها شاء دخل»<sup>(٤)</sup>. وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد، وابن ماجه، عن عتبة بن عبد الله السلمي مرفوعاً: «ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»<sup>(٥)</sup>.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم، فتناول الذراع، وكان أحب الشاة إليه، فنهس نهسة، وقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة. ثم نهس نهسة أخرى، وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، فلما رأى أصحابه لا يسألونه، قال: ألا

(١) مسلم رقم ٢٣٤ وليس فيه «وحده لا شريك له» اللهم اجعلني من التوابين».

(٢) الترمذي (٧٨/١) رقم ٥٥.

(٣) رواه أحمد (١٩/١) رقم ١٢١، و(١٥٠/٤) رقم ١٧٤٠١ وليس فيه «اللهم اجعلني».

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٥/٣) رقم ١٣٨١٨ بلفظ: «فتحت له من الجنة ثمانية أبواب» وابن ماجه بلفظه (١٥٩/١) رقم ٤٦٩، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٨/١) رقم ٣٧٤ عن

عمر، وكذا الطبراني في مسند الشاميين (١١٥) رقم ١٧٦.

(٥) رواه أحمد (١٨٣/٤) رقم ١٧٦٧٦ وفي (١٨٤) رقم ١٧٦٨١ وابن ماجه (٥١٢/١) رقم

تقولون كيف؟ قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر». فذكر حديث الشفاعة بطوله. وفي آخره: فأنطلق فأتى العرش فأقع ساجداً لربي فيقيمني رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلي، ولن يقيمه أحد بعدي، فأقول: «يا رب أمتي، فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين مصرعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة»<sup>(١)</sup>. وفي لفظ: «كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى»<sup>(٢)</sup>. وفي لفظ خارج الصحيح بإسناد: «إن ما بين عضادتي الباب كما بين مكة وهجر»<sup>(٣)</sup>.

قوله: «ينفذهم البصر» هو بالذال المعجمة كما في النهاية، يقال: نفذني بصره إذا بلغني وجاوزني، قال في النهاية: قيل المراد به: ينفذهم بصر الرحمن حتى يأتي عليهم كلهم، وقيل: ينفذهم بصر الناظر لاستواء الصعيد، قال أبو حاتم: أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة، وإنما هو بالمهملة أي: يبلغ أولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم ويستوعبهم، من نفذ الشيء، وأنفدته، وحمل الحديث على بصر المبصر أولى من حمله على بصر الرحمن، لأن الله سبحانه يجمع الناس يوم القيامة في أرض يشهد جميع الخلائق فيها محاسبة العبد الواحد على انفراده، ويصرون ما يصير إليه، انتهى.

وأخرج الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، أن رسول الله

(١) رواه البخاري ٣٣٤٠، ورقم ٤٧١٢ باختلاف في بعض الألفاظ وزيادة ونقص، ومسلم رقم ١٩٤.

(٢) مسلم رقم ١٩٤.

(٣) رواه ابن حبان (٣٨٠/١٤) رقم ٦٤٦٥.

ﷺ قال: «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم آخرها وأكرمها على الله، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وله لكفيظ»<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث إن صح محمول على أحد الأبواب وهو أعظمها، وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد ثلاثاً، ثم أنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول»<sup>(٢)</sup> ورواه أبو نعيم عنه أيضاً.

قال الإمام المحقق: وهذا مطابق للحديث المتفق عليه: «إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى»<sup>(٣)</sup>. فإن الراكب المجود غاية الإجابة على أسرع هجين لا يفتر ليلاً ولا نهاراً يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريب منه. كذا قال وهو بعيد جداً.

تنبيه:

حديث حكيم بن معاوية مضطرب قال المحقق: والصحيح هو المتفق على صحته، والله أعلم.

روى ابن مسلم عن خلود، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿مَفَنَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] ترى أي تشاهد وتنظر.

(١) أخرجه أحمد (٣/٥) رقم ٢٠٠٣٧، وعبد بن حميد في مسنده (١٥٦) رقم ٤١١، وذكره الهيثمي (٧٣٢/١٠) رقم ١٨٦٤٥ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) رواه الترمذي (٦٨٤/٤) رقم ٢٥٤٨ وقال: هذا حديث غريب، وأبو يعلى في مسنده (٩/٤٠٧) رقم ٥٥٥٤، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٣٠/٢) رقم ١٥٥٠ وذكر كلام الترمذي عنه حيث قال: «هذا حديث غريب» وسألت محمداً - يعني البخاري - عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال: لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله.

(٣) سبق ص ٥٩.

وذكر أيضاً عن خلود عن قتادة قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، تتكلم وتكلم، وتفهم ما يقال لها، انفتحي انغلقي.

وأخرج أبو الشيخ عن عبد الله بن عتاب الفزاري قال: لكل مؤمن في الجنة أربعة أبواب، فباب يدخل عليه زواره من الملائكة، وباب يدخل عليه أزواجه من الحور العين، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار، يفتحه إذا شاء ينظر إليهم، لتعظم النعمة عليه، وباب فيما بينه وبين دار السلام، يدخل فيه على ربه إذا شاء<sup>(١)</sup> لا يشتهه على ذي فهم، والله أعلم.

وفي حادي الأرواح عن أنس مرفوعاً: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة، ولا فخر»<sup>(٢)</sup>. وفي حديث الشفاعة عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقها»<sup>(٣)</sup>.

قال المحقق: وهذا صريح في أنها حلقة حسية تقعق وتتحرك.

ويذكر عن علي كرم الله وجهه: من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين، في كل يوم مائة مرة كان له أمان من القبر، وأومن من وحشة القبر، واستجلب بها الغنى، واستقرع به باب الجنة، قال: ولما كانت الجنان درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية أوسع من باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب وسع الجنة، قال: ولعل هذا وجه الخلاف الذي

(١) ذكره ابن رجب في التخويف من النار (٢١٨).

قلت: هذه أمور غيبية يجب أن تقوم على الدليل الصحيح، وحيث لا دليل فلنسا ملزمين بها.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٢٨١/٧) رقم ٤٣٠٥، وقال: محققه حسين سليم أحمد: إسناده ضعيف، قلت: له شاهد وهو الحديث الآتي بعده.

(٣) رواه الترمذي (٣٠٨/٥) رقم ٣١٤٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب. قال: ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلونها منه دون سائر الأمم، أخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب ثلاثاً، ثم إنهم يضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول»<sup>(١)</sup>. قوله: يضغطون، أي: يزدحمون حتى يحصل لهم بسبب ذلك ضيق وقهر من شدة الزحمة، والمراد: أنه مع سعته يكون عليه ازدحام، والله أعلم.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي»<sup>(٢)</sup>. الحديث. قال في (حادي الأرواح): روي في معجم الطبراني أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قال قلت: يا رسول الله فما الجنة والنار؟ قال: «لعمرك إلهك إن للنار سبعة أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً، وأن للجنة ثمانية أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً»<sup>(٣)</sup>.

وذكر الحديث بطوله، ثم قال: وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب، لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً، ولا يمكن حمله على باب معين، لقوله «ما منهن بابان»، قلت: وإلى هذا أشار المحقق في النونية بقوله:

(١) سبق ص ٦٠ ولم أقف عليه في المسند.  
 (٢) رواه أبو داود (٦٢٤/٢) رقم ٤٦٥٢، والطبراني في الأوسط (٩٣/٣) رقم ٢٥٩٤، والحاكم (٧٧/٣) رقم ٤٤٤٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. ولم أقف عليه عند أحمد.  
 (٣) جزء من حديث رواه الطبراني في الكبير (٢١١/١٩) رقم ٤٧٧، والحاكم (٦٠٥/٤) رقم ٨٦٨٣ وقال: هذا حديث جامع في الباب صحيح الإسناد كلهم مدنيون ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي بقوله: يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري ضعيف.

في النص وهي لصاحب الإحسان  
 ب الصوم يدعى الباب بالريان  
 سعي منه داخل بأمان  
 جمعاً إذا وافى حلى الإيمان  
 ك خليفة المبعوث بالقرآن  
 لها قدرت بالعد والحسبان  
 خبر الطويل وذا عظيم الشأن  
 ولكم حواه بعد من عرفان  
 من رواه حبر الأمة الشيباني  
 وقف كمرفوع بوجه ثاني  
 أيام لكن عند ذي العرفان  
 وحديث راويه فذو نكران

أبوابها حقاً ثمانية أتت  
 باب الجهاد وذاك أعلاها وبا  
 ولكل سعي صالح باب ورب ال  
 ولسوف يدعى المرء من أبوابها  
 منهم أبو بكر هو الصديق ذا  
 سبعون عاماً بين كل اثنين من  
 هذا حديث لقيط المعروف بال  
 وعليه كل جلاله ومهابة  
 لكن بينهما مسيرة أربعين  
 في مسند بالرفع وهو لمسلم  
 ولقد روى تقديره بثلاثة ال  
 أعني البخاري الرضى هو منكر

فبين رحمه الله ورضي عنه أن بين كل باين مسيرة سبعين عاماً، وبين  
 كل مصراعين من تلك الأبواب مسيرة أربعين يوماً، وبين أن البخاري ينكر  
 حديث تقدير ما بين المصراعين بثلاثة أيام وأن راويه يروي الأحاديث  
 المنكرات، والله أعلم.



## فصل في مفتاح الجنة

اعلم أن الباب لا بد له من مفتاح، وأن مفتاح الجنة هي كلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله. أخرج الإمام أحمد، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: «مفتاح الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>. قال الحافظ ابن رجب في كتابه (التوحيد): إسناده منقطع.

وفي صحيح البخاري عن وهب بن منبه أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح.

وأخرج أبو نعيم عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما مفتاح الجنة؟ قال: «لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أبو الشيخ عن مجاهد عن يزيد بن شجرة قال: إن السيوف مفاتيح للجنة.

وفي المسند عن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت: بلى، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(٣)</sup> قال في حادي الأرواح: ولقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به،

(١) رواه أحمد (٢٤٢/٥) رقم ٢٢١٥٥، وذكر المصنف الحكم عليه.

(٢) روى نحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨/١٩٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٢/٥) رقم ٢٢١٥٢ وفي (٣/٤٢٢) رقم ١٥٥١٨ عن قيس بن سعد بن عبادة، والطبراني في الكبير (١٨/٣١٥) رقم ٨٩٣، والحاكم (٤/٣٢٣) رقم ٧٧٨٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

فجعل مفتاح الصلاة الطهارة، كما قال ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور»<sup>(١)</sup> ومفتاح الحج: الإحرام، ومفتاح البر: الصدق، ومفتاح الجنة: التوحيد، ومفتاح العلم: حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد: الشكر، ومفتاح الولاية: المحبة، ومفتاح المحبة: الذكر، ومفتاح الفلاح: التقوى، ومفتاح التوفيق: الرغبة والرغبة، ومفتاح الإجابة: الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة: الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكير فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له، والإخلاص له في الحب والبغض، والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب: تدبر القرآن والتضرع بالأسحار، وترك الذنوب والأوزار، ومفتاح حصول الرحمة: الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح حصول الرزق: السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز: طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة: قصر الأمل، ومفتاح كل خير: الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا، وطول الأمل.

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم، أعني: معرفة مفاتيح أبواب الخير والشر، فإن الله جعل لكل خير وشر مفتاحاً وباباً يدخل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث به رسوله، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار، والخمر مفتاح كل إثم، والغناء مفتاح الزنا، وإطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق، والكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، والمعاصي مفتاح الكفر، والكذب مفتاح النفاق، والشح

(١) أخرجه أبو داود (٦٣/١) رقم ٦١، والترمذي (٨/١) رقم ٣ وقال: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب.

والحرص مفتاح البخل، وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله،  
والإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة، فسبحان مسبب  
الأسباب، والله الموفق وإلى المفتاح أشار في التونية بقوله:

هذا وفتح الباب ليس بممكن      إلا بمفتاح على أسنان  
مفتاحه شهادة الإخلاص وال      توحيد تلك شهادة الإيمان  
أسنانه الأعمال وهي شرائع ال      إسلام والمفتاح بالأسنان  
لا تلغين هذا المثال فكم به      من حل إشكال لذي العرفان

\* \* \*

## الباب الثاني

## في مكان الجنة ومنشورها وتوقيعها وتوحد طريقها

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿﴾ [النجم: ١٣-١٥] قال في (حادي الأرواح): وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك، لأنه ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها، وما يصعد إليه فيقبض منها. وقال جل ذكره: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا نُوْعِدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] قال مجاهد: الجنة، وقال ابن المنذر عن مجاهد: هو الجنة والنار، قال المحقق: وهذا يحتاج إلى تفسير، فإن النار في أسفل سافلين، ليست في السماء، ومعنى هذا ما قاله في رواية ابن أبي نجیح عنه، وقاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، وعلى هذا المعنى أسباب الجنة والنار مقدر ثابت في السماء من عند الله.

وأخرج أبو نعیم عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: إن أكرم خلق الله أبو القاسم رضي الله عنه وأن الجنة في السماء.

ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبي يعقوب مرفوعاً: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الجنة في السماء السابعة، ويجعلها حيث يشاء يوم القيامة، وجهنم في الأرض السابعة».

وأخرج ابن منده عن عبد الله قال: «الجنة فوق السماء الرابعة، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء، والنار في الأرض السابع، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء»<sup>(١)</sup>.

(١) لم أفق عليه، وما أراه يصح.

وقال مجاهد: قلت لابن عباس: أين الجنة؟ قال: فوق سبع سماوات، قلت: وأين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة. رواه ابن منده وأما الأثر الذي قد رواه ابن أبي شيبه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: الجنة مطوية، يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره، قال المحقق: ولا تناقض فيه، فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله سبحانه بالشمس في كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه، جعله الله مذكراً لتلك الجنة، وإلا فالجنة التي عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس، وهي فوق الشمس وأكبر منها.

وفي الصحيحين عنه رضي الله عنه أنه قال: «إن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع، قال المحقق: والحديث له لفظان، هذا أحدهما. والثاني: «إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدّها الله للمجاهد في سبيله»<sup>(٢)</sup>.

قال: شيخنا - يعني شيخ الإسلام ابن تيمه - طيب الله ثراه يرجح هذا اللفظ: [وهو لا ينافي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك. ونظير هذا: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»<sup>(٤)</sup> أي: من جملة أسمائه هذا القدر.

قال: ويدل هذا على أن منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كله، في درجة في

(١) رواه البخاري رقم ٧٤٢٣.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٧٩٠ بتقديم وتأخير، ومسلم رقم ١٨٨٤ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) من هنا يوجد سقط في نسخة الأصل حتى (ص ٧٣) عند قوله (هذه سبيل الله وعلى) وقد أثبتنا هذا السقط وقابلناه على النسخة الأخرى وهي نسخة (أ).

(٤) رواه البخاري رقم ٢٧٣٦ بزيادة «مائة إلا واحداً» عن أبي هريرة، ومسلم رقم ٢٦٧٧.

الجنة ليس فوقها درجة، وتلك المائة تنالها آحاد أمته ﷺ كالمجاهد، والجنة مقبية، أعلاها أوسعها وأوسطها وهو الفردوس، وسقف العرش، كما قال ﷺ في الصحيح: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفتجر أنهار الجنة»<sup>(١)</sup>.

قال المحقق: قال شيخنا أبو الحجاج المزني: والصواب رواية من رواه فوقه - بضم القاف - على أنه اسم لا ظرف، أي وسقفه عرش الرحمن، فإن قيل: فالجنة جميعها تحت العرش، والعرش سقفها. فإن الكرسي وسع السموات والأرض، والعرش أكبر منه؟ فالجواب: لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنان، بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفاً له، دون ما تحته من الجنان، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدرج شيئاً فشيئاً، ودرجة فوق درجة كما يقال لقارئ القرآن: «اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»<sup>(٢)</sup>.

وهذا يحتمل شيئين: أن تكون منزلته عند آخر حفظه، وأن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه، انتهى كلامه في (حادي الأرواح).

وفهم مما ذكرنا إشكالين<sup>(٣)</sup>، أحدهما: أن العرش ليس هو سقفاً للفردوس فقط بل غير الفردوس كهي.

(١) رواه البخاري رقم ٢٧٩٠ عن أبي هريرة.

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد (١٩٢/٢) رقم ٦٧٩٩، وأبو داود (٤٦٣/١) رقم ١٤٦٤ وابن حبان في صحيحه (٤٣/٣) رقم ٧٦٦، والحاكم (٧٣٩/١) رقم ٢٠٣٠ كلهم عن عبد الله بن عمرو، وذكره الهيثمي (٣٣٧/٧) رقم ١١٦٤٧ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) هكذا بالأصل وهو نسخة (أ) التي اتخذناها أصلاً في هذه الصفحات من (ص ٦٨) حتى (ص ٧٣).

والجواب: أن الفردوس أعلى الجنة، وأن العرش سقفه حقيقة، وأما غير الفردوس فيبينه وبينه حائل، فالفردوس سقف لما تحته وهلم جر، والعرش سقف للفردوس، فالفردوس وسقفه سقف لما تحته، وهكذا.

الثاني: أن الكرسي تحت العرش، والعرش فوقه، فكيف يكون العرش سقفاً للجنة دون الكرسي؟

والجواب عن هذا: أن الجنة فوق السماء السابعة كما أن الكرسي فوقها، فيكون العرش سقفاً للجنة والكرسي معاً، ويكون الكرسي محاذياً للجنة، وفي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: أن العرش سقف المخلوق، وهو عال عليها من جميع الجوانب والجهات. أو نقول: الكرسي قدام العرش وأمامه، ولا يلزم من هذا أن يكون سقفاً للجنة، إذ العرش أكبر وأعظم من الجنة. إذا ليس في مخلوقات الله أعظم من العرش، ومن ثم يتمدح به تعالى، يقول: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] ﴿إِذَا لَابَتَّغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢] إلى غير ذلك من الآيات والآثار. والله الموفق.



## فصل

وأخرج الطبراني عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان، ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام المحقق في «حادي الأرواح» بسنده إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «يعطى المؤمن جوازاً على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قطوفها»<sup>(٢)</sup>. ورواه ابن منده أيضاً قال الإمام المحقق: قلت: وقع المؤمن في قبضه أصحاب اليمين يوم القبضتين ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخة الروح فيه، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته، ثم يعطي هذا المنشور يوم القيامة، والله المستعان. وفي كلام الرب جل ثناؤه: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين: ١٨-٢١].

أخبر تعالى: إن كتاب الأبرار كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخص كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبیین وسادات المؤمنين، ولم يذكر هذا لكتاب الفجار تنويهاً

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٧٢/٦) رقم ٦١٩١، وفي الأوسط (٢٢٤/٣) رقم ٢٩٨٧، وذكره الهيثمي (٧٣٥/١٠) رقم ١٨٦٥٤، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط.  
(٢) ذكره ابن كثير في التفسير (٥٣٣/٤)، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٣١٩/١١) رقم ٦١٢٦، وفي (٦٧/١٢) رقم ٦٤٦٤، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٢٩/٢) رقم ١٥٥٠ وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ.

بكتاب الأبرار وما وقع لهم به وإشهاداً وإظهاراً بين خواص خلقه كما تكتب الملوك توابع من تعظمه بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويها باسم المكتوب له، وإشادة بذكره. وفي مسند الإمام أحمد، وصحيح ابن حبان، وأبي عوانة الإسفراييني من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه المتقدم، فيقول الله جل وعلا: «اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى»<sup>(١)</sup>. والله أعلم.

\* \* \*

---

(١) رواه أحمد (٢٨٧/٤) رقم ١٨٥٥٧ بلفظ «أخرجهم» وهناد في الزهد (٢٠٦) رقم ٣٣٩، وذكره الهيثمي (١٧٠/٣) رقم ٤٢٦٦ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

## فصل في توحيد طريق الجنة

اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد سد جميع الطرق، إلا طريقاً بينه المصطفى ﷺ فلا يوصل إلى الله إلا من طريقه وطريق أنبيائه وهي طريق واحدة.

قال في «حادي الأرواح»: هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأما طرق الجحيم فأكثر من أنت تحصى، ولهذا يوحد سبيله، ويجمع سبيل النار. كقوله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله ﷺ خطأ وقال: «هذه سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه، وعن يساره، ثم قال: هذه سبيل الله وعلى<sup>(١)</sup> كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>».

فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿يَهْدِي بِدِ اللَّهِ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَاطِينِ﴾ [المائدة: ١٦].

فالجواب: هي سبيل تجتمع في سبيل واحد، وهي بمنزلة الجواد والطرق في الطريق الأعظم، فهذه هي شعب الإيمان يجمعها الإيمان، كما

(١) هنا آخر السقط في نسخة الأصل والمثبت من نسخة (أ).

(٢) رواه أحمد (٤٣٥/١) رقم ٤١٤٢، والدارمي (٧٨/١) رقم ٢٠٢، وابن حبان في صحيحه (١٨٠/١) رقم ٦، والبخاري في مسنده (٢٥١/٥) رقم ١٨٦٥، وذكره الهيثمي (٩٠/٧) رقم ١١٠٠٥ وقال: رواه أحمد والبخاري وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف.

أن ساق الشجرة يجمع أغصانها، وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره، فطريق الجنة إجابة الداعي إليها ليس إلا.

وروى البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: «جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقالوا: مثله مثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مآدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المآدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المآدبة، فقالوا: أولوها يفقهها، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، الدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمد فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمداً فرّق بين الناس»<sup>(١)</sup>.

ورواه الترمذي عنه بلفظ: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل على رأسي، وميكائيل عند رجلي»<sup>(٢)</sup>. فذكر نحو ما تقدم. وفيه: «فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل مما فيها»<sup>(٣)</sup>.

وصحح الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء، ثم انصرف، فأخذ بيدي ثم خرج بي إلى بطحاء مكة، فأجلسني ثم خط على خطة، ثم قال: لا تبرحن خطك فإنه سينتهي إليك

(١) رواه البخاري رقم ٧٢٨١.

(٢) رواه الترمذي (١٤٥/٥) رقم ٢٨٦٠، وقال: هذا حديث مرسل، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله، والحاكم (٣٦٩/٢) رقم ٣٢٩٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) الحديث السابق.

فأجلسني ثم خط على خطة، ثم قال: لا تبرحن خطك فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم، فإنهم لا يكلمونك، ثم مضى ﷺ حيث أراد، فبينما أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزط<sup>(١)</sup>، أشعارهم وأجسامهم لا أرى غورة ولا أرى قشراً، وينتهون إليّ، لا يجاوزون الخط، ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل، لكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالس، فقال: لقد رأيتني منذ الليلة، ثم دخل علي في خطي فتوسد فخذي فرقد، وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ، فبينما أنا قاعد، ورسول الله متوسد فخذي إذ أنا برجال عليهم ثياب بيض، الله أعلم ما بهم من الجمال، فانتهوا إليّ فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه، ثم قالوا: ما رأينا عبداً قد أوتي مثل ما أوتي هذا النبي، إن عينيه تامان وقلبه يقظان، اضربوا له مثلاً: مثل سيد بنى قصرأ ثم جعل مآدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه أو قال: عذبه، ثم ارتفعوا، واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك، فقال: سمعت ما قال هؤلاء؟ وهل تدري من هم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هم الملائكة فتدري ما المثل الذي ضربوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: الرحمن بنى الجنة، ودعا إليها عباده<sup>(٢)</sup>، فمن أجابه دخل الجنة، ومن لم يجبه عذبه<sup>(٣)</sup>.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه كلام حسن في جزء سماه:  
«وجوب الاعتصام بالرسالة» فمنه:

(١) الزط: جنس من السودان والهنود. النهاية في غريب الحديث مادة: زطاً.

(٢) في الأصل (جادة).

(٣) أخرجه الترمذي (١٤٥/٥) رقم ٢٨٦١ بلفظ «ثم خط عليه خطاً» واختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

اعلم أن السعادة والهدى في متابعة الرسول ﷺ وأن الضلال والشقاء في مخالفته، وأن كل خير في الوجود إما عام وإما خاص، فمنشؤه من جهة الرسول، وأن كل شر بالعالم، وكل شر يختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول، أو الجهل بما جاء به، وأن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة، والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟!

والدنيا مظلمة ملعونة كلها إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم يشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال: وقال رسول الله ﷺ: «إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»<sup>(١)</sup>. وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسول، فرغ الله عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ، فبعثه الله رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على الخلائق أجمعين.

قال: وافترض الله سبحانه وتعالى على العباد طاعة نبيه ورسوله ومحبته، وتعزيره، وتوقيره، والقيام بأداء حقوقه، وسد إليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه. انتهى.

وبلغنا أن بعض العلماء رأى النبي ﷺ في المنام فسأله عن ابن سينا؟ فقال: ذاك أراد أن يصل إلى الله من غير طريقنا فقطع، أو قال: فقطعناه.

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٢٨٦٥ عن عياض بن حمار، وابن حبان في صحيحه (٤٢٢/٢) رقم ٦٥٣، ٦٥٤، وعبد الرزاق في المصنف (١٢٠/١١) رقم ٢٠٠٨٨.

والله سبحانه المستول أن يوقفنا لسلوك طريق الرسول، وأن يوقفنا  
على معالم الهدى وحق اليقين، وأن يقذف في قلوبنا من نور المعارف  
وعوارف اليقين ما ينجاب به عن القلب غياهب الشكوك الرديئة،  
وحوادم<sup>(١)</sup> الظنون الدنيئة، بمنه وكرمه.

\* \* \*

---

(١) الحدس: التوهم في معاني الكلام، وأنا أخذسُ فيه أي أقول بالظن والتوهم.  
لسان العرب: ماده حدس.

## الباب الثالث

في درجات الجنة وأعلاها، وما اسم تلك الدرجة؟

قال الله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَقْسَمَ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

قال ابن محيريز: هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضممر سبعين عاماً، وأخرج ابن المبارك عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤] قال: بعضهم أفضل من بعض، فيرى الذي قد فضل به فضيلته، ولا يرى الذي أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس.

قلت: وهذا من تمام نعم الله على عبده، لأن الأنفس مطبوعة على التألم بمشاهدة من هو فوقها إلا من وفقه الله، وهنا نكتة عن لي أن أئبه عليها وهي أن العاقل ينبغي له أن يتألم بسبق غيره له في الطاعات ووجوه الخير، فيبادر إلى فعل مثل ما فعل ذلك المبادر، فيحصل له من المزية مثل ما حصل لذلك، وما أحسن قول من قال:

إذا أعجبتك خلال امرئ فكفه تكن مثل من يعجبك  
فليس على الجود والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك  
والله الموفق

قال المحقق في قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ الآيتين: أوقع التفضيل أولاً بدرجة، ثم أوقعه ثانياً بدرجات، فقيل: الأول بين القاعد

المعذور والمجاهد . والثاني : بين القاعد بلا عذر والمجاهد .

وقال تعالى : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٣] وقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق، من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين»<sup>(١)</sup> ولفظ البخاري: في الأفق، وهو أبين .

قال في «حادي الأرواح»: الغابر هو الذاهب الماضي الذي قد تدلى للغروب .

وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى فائدتان: إحداهما: بعده عن العيون، والثانية: أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، وأعلى من بعض، وإن لم تسامت العليا السفلى كالسنتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله . انتهى .

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء»<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه البخاري رقم ٣٢٥٦ ، ومسلم رقم ٢٨٣١ .

(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٥٥ ، ومسلم رقم ٢٨٣٠ وليس فيه «أفق» .

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : «إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدرّي الغارب في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات، قالوا: يا رسول الله، أولئك النبيون؟ قال: بلى والذي نفسي بيده، وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»<sup>(١)</sup>.

قال في «حادي الأرواح»: ورجال الإسناد احتج بهم البخاري في صحيحه وفي هذا الحديث الغارب، وفي حديث أبي سعيد: الغابر. وقوله: الطالع صفة للكوكب، وصفه بكونه غارباً وبكونه طالعاً، وقد خرج هذا المعنى في الحديث الذي رواه ابن المبارك عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «إن أهل الجنة ليتراءون في الغرف كما يرى الكوكب الشرقي والكوكب الغربي في الأفق في تفاضل الدرجات، قالوا: يا رسول الله، أولئك النبيون؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده، وأقوام آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين»<sup>(٢)</sup>.

قال: وهذا على شرط البخاري أيضاً.

وفي المسند عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن المتحابين ل ترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي والغربي، فيقال: هؤلاء المتحابون في الله عز وجل»<sup>(٣)</sup>.

وفي المسند من حديث أبي سعيد أيضاً عن النبي ﷺ قال: «إن الجنة

(١) رواه أحمد (٣٣٥/٢) رقم ٨٤٠٤ باختلاف في بعض الألفاظ وله شاهد في الصحيحين.

(٢) رواه الترمذي (٦٩٠/٤) رقم ٢٥٥٦ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد (٨٧/٣) رقم ١١٨٤٧، وذكره الهيثمي (٧٨٢/١٠) رقم ١٨٧٧٤ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم»<sup>(١)</sup>. وفيه عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه»<sup>(٢)</sup>. قال المحقق: وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة وأما حديث البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»<sup>(٣)</sup>.

فالجواب عنه: أنه يحتمل أن تكون هذه المائة درجة من جملة الدرج، أو تكون نهايتها هذه المائة، وفي ضمن كل درجة درج دونها، قلت: والثاني أوجه، لأن لفظ حديث البخاري معرف الطرفين، فيفيد الحصر على رأي البيانين، وإن استوجه المحقق الأول، واستدل له بما أخرجه الترمذي، عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يغفر له، هاجر أو قعد حيث ولدته أمه، قلت: يا رسول الله ﷺ ألا أخرج فأؤذن الناس؟ قال: لا، ذر الناس يعملون، فإن في الجنة مائة درجة، بين كل درجتين منهما مثل ما بين السماء والأرض، وأعلى درجة منها الفردوس، وعليها يكون العرش، وهي أوسط شيء في الجنة، ومنها تفجر

(١) رواه أحمد (٢٩/٣) رقم ١١٢٤٥، وأبو يعلى في مسنده (٥٣٠/٢) رقم ١٣٩٨، والترمذي (٦٧٦/٤) رقم ٢٥٣٥، وقال: هذا حديث غريب.

(٢) رواه أحمد (٤٠/٣) رقم ١١٣٧٨، وابن ماجه (١٢٤٢/٢) رقم ٣٧٨٠، وقال: في الزوائد في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف، قلت: لكن له شواهد صحيحة.

(٣) رواه البخاري رقم ٧٤٢٣.

أنهار الجنة، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس»<sup>(١)</sup>.

فرواه بلفظة «في» وأخرج أيضاً عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «في الجنة مائة درجة...»<sup>(٢)</sup> فذكر نحوه، وعنده أيضاً عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «في الجنة مائة»<sup>(٣)</sup>. وذكر نحوه وقال: حديث حسن غريب.

وفيه عن أبي سعيد مرفوعاً: «إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم»<sup>(٤)</sup>.

ورواه الإمام أحمد بدون لفظة «في»<sup>(٥)</sup> كما تقدم. فرويت هذه الأحاديث بلفظة «في» وبدونها، فإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجها، وإن كان المحفوظ سقوطها فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار، ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديرها بالخمسة مائة، لاختلاف السير في السرعة والبطء، والنبي ﷺ ذكر هذا تقريباً للأفهام، يدل له حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «مائة درجة في الجنة، ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، وأبعد مما بين السماء والأرض، قلت: يا رسول الله لمن؟ قال: للمجاهدين في سبيل الله»<sup>(٦)</sup>.

\* \* \*

(١) رواه الترمذي بنحوه (٦٧٥/٤) رقم ٢٥٣٠، ورواه بلفظ قريب جداً من لفظ المصنف الطبراني في الكبير (١٥٧/٢٠) رقم ٣٢٧، وله شاهد في البخاري رقم ٢٧٩٠.

(٢) الترمذي (٦٧٥/٤) رقم ٢٥٣١.

(٣) الترمذي (٦٧٤/٤) رقم ٢٥٢٩.

(٤) الترمذي (٦٧٦/٤) رقم ٢٥٣٢.

(٥) أحمد (٢٩٢/٢) رقم ٧٩١٠.

(٦) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢٨٨) رقم ٩٢٢ بزيادة يسيرة في بعض الألفاظ، وروى أوله ابن ماجه (١٤٤٨/٢) رقم ٤٣٣١، وله شواهد كثيرة تقدم بعضها.

## فصل

وأخرج مسلم عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :  
«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي  
صلاة صلى الله عليه عشرأ، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا  
تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة  
حلت له الشفاعة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا  
صليتم علي فاسألوا الله لي الوسيلة، قيل : يا رسول الله ﷺ وما الوسيلة؟  
قال : أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا  
هو»<sup>(٢)</sup>. هكذا الرواية «أن أكون أنا هو» ووجهها كما قال المحقق : أن  
تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها، ولا يكون أنا فصلاً، ولا  
توكيداً، بل مبتدأ، والله أعلم.

وأخرج البخاري ومسلم عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ :  
«من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة أت  
محمدأ الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامأ محمودأ الذي وعدته، حلت له  
الشفاعة يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم رقم ٣٨٤ بلفظ «صلى الله عليه بها عشرأ، ثم سلوا الله لي الوسيلة»  
الحديث، وأبو داود (١٩٩/١) رقم ٥٢٣، والترمذي (٥٨٦/٥) رقم ٣٦١٤ .

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٥/٢) رقم ٧٥٨٨، وعبد الرزاق في المصنف (٢١٦/٢) رقم ٣١٢٠  
وشاهده الحديث قبله .

(٣) رواه البخاري رقم ٦١٤ بلفظ «شفاعتي» بدل «الشفاعة» وأخرجه بلفظ المصنف أبو داود  
(٢٠١/١) رقم ٥٢٩، ورواه مسلم بنحوه رقم ٣٨٤ .

هكذا لفظ الحديث: مقام بالتنكير ليوافق لفظ الآية، ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخص جرى مجرى المعرفة، فوصف بما توصف به المعارف، وهذا أطف من جعل «الذي وعدته» بدلاً.

وأخرج الإمام أحمد، عن أبي سعيد مرفوعاً: «الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة، فاسألوا الله لي الوسيلة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من أهلي وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٢)</sup> [النساء: ٦٩].

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأساً. قال المحقق: سميت درجة النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرب تبارك وتعالى، وهي أقرب الدرجات إلى الله.

وأصل اشتقاق لفظة الوسيلة من القرب وهي فعيلة، من وسل إليه:

(١) رواه أحمد (٨٣/٣) رقم ١١٨٠٠، والطبراني في الأوسط (١٢٦/٢) رقم ١٤٦٦، وذكره الهيثمي (٩٣/٢) رقم ١٨٧٦ وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف.

(٢) رواه أبو نعيم (٢٤٠/٤)، و(١٢٥/٨)، والطبراني في الأوسط (١٥٢/١) رقم ٤٧٧، وفي الصغير (٥٣/١) رقم ٥٢، وذكره الهيثمي (٦٣/٧) رقم ١٠٩٣٧ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة.

إذا تقرب إليه .

قال لبيد رضي الله عنه : بلى كل ذي رأي إلى الله واسل

ومعنى الوسيلة من الوصلة، ولهذا كانت أفضل الجنة .

لطيفة :

قال الفضيل بن عياض : إنما حسنت الجنة، لأن عرش رب العالمين

سقفها . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : نور سقف منازلهم نور عرشه .

وقال الحسن : إنما سميت عدن، لأن فوقها العرش، ومنها تفجر

أنهار الجنة، وللحور العذوية الفضل على سائر الحور .

تنبيه :

قوله رضي الله عنه في حديث الوسيلة : «حلت عليه شفاعتي»<sup>(١)</sup> . يروى :

حلت عليه<sup>(٢)</sup>، وحلت له . فمن رواها باللام فمعناها حصلت له، ومن

رواها بالعين فمعناها وقعت عليه شفاعتي .

ذكره الإمام المحقق في «حادي الأرواح»، والله الموفق .

\* \* \*

(١) أبو داود (١٩٩/١) رقم ٥٢٣ بلفظ «حلت عليه الشفاعة» .

(٢) أبو داود السابق والترمذي (٥٨٦/٥) رقم ٣٦١٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

## الباب الرابع

في عرض الرب الجنة على العباد، وعدد الجنان وأسمائها وذكر  
السابقين إليها وأن أكثر أهلها هذه الأمة

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ  
لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ١١١].

فجعل سبحانه وتعالى الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم، بحيث  
إذا بذلوها استحقوا الثمن، وعقد معهم هذا العقد، وأكده بأنواع من  
التأكيد: أحدها: إخباره به سبحانه بصيغة الخبر المؤكد، بأداة: «إن».

الثاني: الإخبار بذلك بالصيغة الفعلية الماضية الذي مفهومها:  
وقع، وثبت، واستقر.

الثالث: إضافة هذا الفعل إلى نفسه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع.

الرابع: بأنه أخبر بأنه وعد تسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه.

الخامس: إنه أتى بصيغة «على» التي للوجوب، إعلماً لعباده بأن  
ذلك حقاً عليه، أحقه هو على نفسه، وإن كان سبحانه لا يجب عليه شيء،  
ولكن هذا واجب الوقوع؛ لأنه وعد به، وهو لا يخلف الميعاد.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه سبحانه، ويقال: حق الشيء  
إذا ثبت ووجب؛ ولهذا قيل لمرافق الدار حقوقها، أي: حقاً إيقاعه، وإن  
كان غير واجب عليه تعالى.

السابع: إخباره عن محل هذا الوعد، وأنه في أفضل كتبه المنزلة من

السماء، وهي التوراة، والإنجيل، والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة الاستفهام الإنكاري، أنه لا أحد أوفى بعده منه سبحانه.

التاسع: أنه أمرهم أن يبشروا بهذا العقد الثابت الذي لا يثبت فيه خيار، ولا يعرض له ما يفسخه.

العاشر: أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً، أن ذلك هو الفوز العظيم. والبيع هنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن، وهو الجنة، ودلت الآية على عظم خطر النفس الإنسانية، فإن السلعة إذا خفي قدرها فانظر إلى المشتري من هو، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو، وانظر إلى من جرى على يده العقد، فالسلعة النفس، والمشتري الباري جل شأنه، والثمن جنان النعيم، والسفير هو البشير النذير ﷺ، لقد عظم قدرك أيها المؤمن حيث اشتراك خالقتك ومولاك، وجعل الجنة ثمنك ومثواك، فنعيم المشتري الملك الجبار، ونعيم الدلال والسفير المصطفى المختار ﷺ، ونعيم الثمن دار القرار.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

فإن قلت: لم اشتر الأنفس والأموال دون القلوب والأوصال؟

فالجواب: أن الآية نزلت في الحث على الجهاد، والجهاد يكون بالنفس والمال، والنفس يراد بها هذا الهيكل جملة، فالمراد بالنفس جملة البدن.

فإن قلت: أين كان هذا البيع؟ فالجواب: كان في عالم الذر كما ذكره الجلال السيوطي، والحكمة في هذا - والله أعلم - ليعلم العبد أنه إذا

تصدق وأنفق ماله في وجوه الخير، وبذل نفسه في الجهاد، ومنفعة العباد لا يكون له في ذلك نوع مِنَّة، لأنه لا نفس له ولا مال، بل هو وماله لله رقاً ومبيعاً، وثمره جنة عدن، وَثَمَّ حِكْمٌ آخر ليس هذا محل ذكرها، والله أعلم.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»<sup>(١)</sup>. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

قوله: أدلج أي: سار الليل كله، والمعنى: بالغ في السير إلى الله تعالى، واجتهد وشمر عن ساق الجد والاجتهاد في طاعة الملك الجواد، وعند أبي نعيم عن أنس رضي الله عنه أنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ قال: ما ثمن الجنة؟ قال: «لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>. قال في «حادي الأرواح»: وشواهد هذا الحديث كثيرة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاءه أعرابي فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولئى

(١) رواه الترمذي (٦٣٣/٤) رقم ٢٤٥٠، والحاكم (٣٤٣/٤) رقم ٧٨٥١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (٣٤٨/٦) ترجمه موسى بن إبراهيم رقم ١٨٣٠ وقال: حدث بالمناكير عن قوم ثقات - وفي آخره - وهو بين الضعف على رواياته وأحاديثه، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩٩/٧) رقم ٣٥٣١٣ موقوفاً على الحسن، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢٩٧/١) وقال عنه العراقي وأحاديث أخرى في الباب لا يصح شيء منها.

قال: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: «أتى النعمان بن قوطل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرمت الحرام، وأحللت الحلال، أدخل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «نعم»<sup>(٢)</sup> وفيه عن عثمان مرفوعاً: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(٣)</sup>. وفي المسند، وسنن أبي داود عن معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(٤)</sup> وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من ربي فأخبرني، أو قال: فبشروني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن سرق، وإن زنا؟، قال: وإن زنا، وإن سرق، وإن زنا وإن سرق». وفي لفظ: قلت: وإن زنا، وإن سرق؟ قال: «وإن زنا، وإن سرق، قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: وإن زنا وإن سرق رغم أنف أبي ذر في الثانية أو في الثالثة»<sup>(٥)</sup>.

وفي الصحيحين أيضاً عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»<sup>(٦)</sup> وفي

(١) رواه البخاري رقم ١٣٩٧ وليس فيه «ولا أنقص» ومسلم رقم ١٤ بلفظ المصنف، ولا توجد بالأصل كلمة (رجل من).

(٢) مسلم رقم ١٥، وأحمد (٣١٦/٣) رقم ١٤٤٣٤.

(٣) مسلم رقم ٢٦ وأحمد (٦٥/١) رقم ٤٦٤.

(٤) رواه أبو داود (٢٠٧/٢) رقم ٣١١٦، وأحمد (٢٣٣/٥) رقم ٢٢٠٨٧ ولكن بلفظ «وجبت له» بدل «دخل»، و(٢٤٧) رقم ٢٢١٨٠، والحاكم (٥٠٣/١) رقم ١٢٩٩، و(٦٧٨) رقم ١٨٤٢ وقال فيهما: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٥) رواه البخاري رقم ٥٨٢٧، ومسلم رقم ٩٤.

(٦) رواه البخاري رقم ٣٤٣٥، ومسلم رقم ٢٨.

لفظ: «أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ أعطى أبا هريرة نعليه فقال: «أذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة»<sup>(٢)</sup>. وقال الحسن: ثمن الجنة: لا إله إلا الله، وأخرج أبو نعيم بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة، ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا بتوحيد الله»<sup>(٣)</sup> وأصل الحديث في الصحيح.

وهنا نكتة لا بد من التنبيه عليها، وهي أننا قدمنا أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى، وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها، وإن كان فيه نوع سبب لدخولها، وهو كذلك، فإن قلت: قد أثبت الله تعالى دخول العباد الجنة بالأعمال في غير موضع من كلامه القديم، كقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال في غير حديث كقوله ﷺ: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»<sup>(٤)</sup>.

فالجواب: أنه لا تنافي بين كلام الله وكلام حبيبه ورسوله ﷺ أصلاً لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، وانقسام المنازل والدرجات بالأعمال.

(١) رواه مسلم رقم ٢٨، وأحمد (٣١٣/٥) رقم ٢٢٧٢٧.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٣١.

(٣) روى مسلم رقم ٢٨١٧ عن جابر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل أحد منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمة من الله»

(٤) تقدم غير مرة ويأتي نحوه بعد حديثين.

ويدل على هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم»<sup>(١)</sup> رواه الترمذي .

الثاني : الباء التي نفت الدخول بـاء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلًا للآخر، والباء التي أثبتت الدخول بـاء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره . وإن لم يكن مستقلاً بحصوله، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الأمرين في قوله : «سدّدوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله» قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»<sup>(٢)</sup> .



(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٦٨٥/٤) رقم ٢٥٤٩، وقال : هذا حديث غريب، وابن ماجة (١٤٥٠/٢) رقم ٤٣٣٦، وابن حبان في صحيحه (٤٦٦/١٦) رقم ٧٤٣٨ .  
(٢) رواه مسلم رقم ٦٤٦٧، ومسلم رقم ٢٨٢٨ .

## فصل

واعلم أن أهل الجنة ينبغي لهم أن يطلبوها ويجهدوا في طلبها. قال تعالى حاكياً عن أولي الأبواب من عباده: ﴿رَبَّنَا وَعَانِئْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فالمعنى: أتنا ما وعدتنا من دخول الجنة ونعيمها، وما أعددتنا لنا فيها على السنة رسلك صلوات الله وسلامه عليهم، ولا تخزنا يوم القيامة، بإدخالنا النار، وإظهار ما اقترفنا من الذنوب والأوزار، واستر علينا فإنك أنت الستار، واغفر ذنوبنا إنك أنت الغفار.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ [الفرقان: ١٥-١٦] يسأله إياه عباده المؤمنون، ويسأله إياه ملائكته المقربون لهم، والجنة تسأل ربها أهلها، وأهلها يسألونه إياها، والرسول يسألونه إياها لهم ولأتباعهم.

وأخرج أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه والترمذي والنسائي وابن ماجه عن يزيد بن أبي مريم، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار بالله من النار ثلاثاً، قالت النار: اللهم أجره من النار»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٦٩٩/٤) رقم ٢٥٧٢ بلفظ «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار»، والنسائي (٢٧٩/٨) رقم ٥٥٢١، وابن ماجه (١٤٥٣/٢) رقم ٤٣٤٠، وأحمد (٣/١٥٥) رقم ١٢٦٠٧ بلفظ: «ما سأل رجل مسلم الله عز وجل الجنة ثلاثاً...» الحديث وابن حبان في صحيحه (٣٠٨/٣) رقم ١٠٣٤.

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما سألت الله عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلاناً سألتني، فأدخلني»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو يعلى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما استجار عبد من النار سبع مرات، إلا قالت النار: يا رب إن عبدك فلاناً استجار مني فأجره، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات، إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلاناً سألتني فأدخله الجنة»<sup>(٢)</sup>.

قال في (حادي الأرواح): إسناده على شرط الصحيحين.

وعند أبي داود عنه مرفوعاً: «من قال: أسأل الله الجنة سبعاً، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة»<sup>(٣)</sup>. وعند الحسن بن سفيان، عن أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: «أكثروا مسألة الله الجنة، واستعيذوا بالله من النار، فإنهما شافعتان مشفعتان، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة: يا رب عبدك هذا الذي سألتني فأسكنه إياي، وتقول النار: يا رب، عبدك هذا الذي استعاذ بك مني فأعذه»<sup>(٤)</sup>.

واعلم أن جماعة من السلف امتنعوا أن يسألوا الله الجنة، وقالوا:

(١) لم أقف عليه عند ابن أبي شيبة، وأخرجه الطيالسي في مسنده (٣٣٦) رقم ٢٥٧٩ بلفظ «من قال: أسأل الله الجنة سبعاً قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استعاذ من النار سبعاً قالت النار: اللهم أعذه من النار» وأخرجه كذلك إسحاق بن راهويه في مسنده (١) / ٢٤٩ رقم ٢١٣.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٥٤/١١) رقم ٦١٩٢ بزيادة بسيرة جداً.

(٣) لم أقف عليه عند أبي داود، وله شواهد في الأحاديث السابقة.

(٤) ذكر الهيثمي (٢٦٩/١٠) رقم ١٧٣٥١ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما استعاذ عبد من النار سبعاً إلا قالت النار: اللهم أعذه مني، ولا سألت الجنة سبعاً إلا قالت الجنة: اللهم أسكنه إياي، أو كلمة نحوها» وقال: رواه البزار وفيه يونس بن خباب وهو ضعيف، وهذا الحديث وما قبله يقوي بعضهم بعضاً.

حسبنا أن يجيرنا من النار، منهم أبو الصهباء، وعطاء السلمي، روي أن أبا الصهباء صلى ليلة إلى السحر، ثم رفع يديه وقال: اللهم أجرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة؟ وكان عطاء السلمي لا يسأل الجنة، فقال له صالح المري: إن أبان حدثني عن أنس، أن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: انظروا في ديوان عبدي، فمن رأيتموه سألني الجنة أعطيته، ومن استعاذني من النار أعدته»<sup>(١)</sup> فقال عطاء: كفاني أن يجيرني من النار، ذكرهما أبو نعيم، هكذا رأى هؤلاء السادة مع أنه أخرج أبو داود، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أيضاً أن النبي ﷺ قال للفتى يعني الذي شكاه: «كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت؟» قال: أقرأ بفاتحة الكتاب، وأسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، وإني لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: «إني ومعاذ حولها ندندن»<sup>(٣)</sup> وفي الحديث: «ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان، تقول الجنة: يا رب، قد طابت أثماري، واطردت أنهاري، واشتقت إلى أوليائي، فعجل إلي بأهلي»<sup>(٤)</sup>. الحديث.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/١٧٥)، وقال: غريب وفي (٢٢٦).  
 (٢) أخرجه أبو داود (١/٥٢٤) رقم ١٦٧١، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٢٧٦) رقم ٣٥٣٧، وفي السنن الكبرى (٤/١٩٩) رقم ٧٦٧٨ بلفظ: «لا تسأل بوجه الله إلا الجنة» وابن عدي في الكامل (٣/٢٥٧) في ترجمة سليمان بن قرم الضبي رقم ٧٣٥ وتكلم عنه بما يدل على توثيقه  
 (٣) رواه أبو داود (١/٢٧٠) رقم ٧٩٢، ورقم ٧٩٣، وابن ماجه (١/٢٩٥) رقم ٩١٠، و(٢/١٢٦٤) رقم ٣٨٤٧، وأحمد (٣/٤٧٤) رقم ١٥٩٣٩، وابن حبان (٣/١٤٩) رقم ٨٦٨، وابن خزيمة (١/٣٥٨) رقم ٧٢٥ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/٢٥٠) في ترجمة يونس الكوفي رقم ١٠٤٤.  
 (٤) جزء من حديث رواه الطبري في التفسير (٨/٣) عن أبي هريرة، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٢٤٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢٣٦) رقم ٣٣٥ وقال: رواه البزار ورجاله موثقون.

فالجنة تطلب أهلها بالذات وتجذبهم إليها جذباً، والنار كذلك، وقد أمرنا النبي ﷺ بدوام ذكرهما، وحثنا على ذلك حثاً بليغاً، أخرج أبو يعلى الموصلي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنسوا العظيمتين، قلنا: وما العظيمتان يا رسول الله؟ قال: الجنة والنار»<sup>(١)</sup> وعند أبي بكر الشافعي عن كليب بن حزن مرفوعاً: «اطلبوا الجنة جهدكم، واهربوا من النار جهدكم، فإن الجنة لا ينام طالبها، وإن النار لا ينام هاربها، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات، فلا تلهينكم عن الآخرة»<sup>(٢)</sup> قال الإمام ناصر السنة ابن الجوزي قدس الله روحه: اعلم أن الجنة محفوفة بالمكاره، فمتى أردتها فاصبر على ما تكره، لعلك تنال ما تحب، واعلم أن الدنيا والآخرة ضربتان، فمتى أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، والعاقل يشغل قلبه بمولاه، ويطلب بكل جهده رضاه.

شعر لمؤلفه:

ومن لي بأن ترضى علي ولم يكن  
وتسكن في قلبي المحبة والرضا  
لنفسى مطلوب سواك ومقصد  
وأمسي لديك الله أسعى وأحفد

\*\*\*

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٩٧) رقم ١٠٢، وذكره ابن رجب في التخويف من النار/٥١، ولم أقف عليه عند أبي يعلى.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٠٠/١٩) رقم ٤٤٩، وفي الأوسط (٧٣/٤) رقم ٣٦٤٣، باختصار يسير، وذكره الهيثمي (٢٩٧/١٠) رقم ١٧٧٠٨ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار عنه وفيه يعلى ابن الأشرق وهو ضعيف جداً.

## فصل

## في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها

قال في «حادي الأرواح»: لها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسامها واحد باعتبار الذات، فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات، فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب تعالى، وأسماء كتابه، وأسماء رسوله، وأسماء اليوم الآخر، وأسماء النار.

الاسم الأول: الجنة، وهو العام المتناول لتلك الدار جملة، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم، وأصل اشتقاقه من الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتارهم عن عيون الإنس، والمجن لستره ووقايتهم الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه. والجان وهي الحية الصغيرة الدقيقة، ومنه سمي البستان جنة، لأنه يستر ما داخله من الأشجار.

ولا يطلق هذا الاسم إلا على موضع كثير الشجر، مختلف الأنواع. والجنة بالضم ما يستجن، أي: ما يتوقى به من نحو ترس. وبالكسر الجن كما في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّكَاسِ﴾ [الناس: ٦].

الثاني: دار السلام، وقد سماها الله بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥] وهي جديرة بهذا الاسم، لسلامتها من كل بلية وآفة، وأيضاً فإن الله هو السلام وهي داره، فمن أسمائه الحسنی: السلام، فالله سبحانه سلم هذه الدار وسلم أهلها من كل نكبة وداهية، وتحيتهم فيها سلام، والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم، والملائكة يدخلون عليهم من

كل باب سلام عليكم وكلامهم كله فيها سلام، ولا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩٠) فَمَسَلَهُ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠-٩١]. فحقق في «حادي الأرواح»: أن المعنى سلام لك أيها الراحل من الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين، أي: فسلامة لك كائناً من أصحاب اليمين، الذين سلموا من الدنيا وأنكادها، والنار وعذابها، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدمه على الله تعالى كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: «أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان»<sup>(١)</sup> وهذه أول البشري التي للمؤمنين في الآخرة.

**الثالث: دار الخلد** وسميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً، واشتقاقه من الخلد، وهو دوام البقاء، تقول: خلد الرجل يخلد خلوداً، وأخلده الله سبحانه إخلاداً، وخلده تخليداً: أبقيه، وأخلدت إلى فلان ركنت إليه، وأخلد بالمكان أقام به، وأما الخلد بالتحريك فالبال. يقال: سنح في خلدي، أي: خطر في روعي وبالي وقلبي. والخلد أيضاً ضرب من الجراذين أعمى. والله أعلم.

**الرابع: دار المقامة.** قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥] قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبداً لا يموتون ولا يتحولون. قال أهل اللغة: والمقامة والإقامة بمعنى.

(١) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه (١٤٢٣/٢) رقم ٤٢٦٢، وأحمد (٣٦٤/٢) رقم ٨٧٥٤، والنسائي في السنن الكبرى (٤٤٣/٦) رقم ١١٤٤٣ عن أبي هريرة.

الخامس: جنة المأوى، وهو مفعول من أوى يأوي، أي: انضم إلى المكان، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] وقال في النار: ﴿وَأِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٩] وقال تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۗ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٤-١٥] قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة، وقال مقاتل: هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء، وقال كعب: جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترعى فيها أرواح الشهداء، وقالت عائشة رضي الله عنها: هي جنة من الجنات، قال المحقق: والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة.

السادس: جنات عدن. قيل: هو اسم لجنة من جملة الجنان، قال المحقق: والصحيح أنه اسم لجملة الجنان فكلها جنات عدن، قال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١] وقال: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّتُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر: ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [الصف: ١٢] والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن، فإنه من الإقامة والدوام، يقال: عدن بالمكان إذا أقام به، وعدنت البلد توطنته، وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه، قال الجوهري: ومنه جنات عدن، أي: جنات إقامة، وثم قول بأن جنة عدن اسم لموضع من الجنة مخصوص، وهو جنة من جملة الجنان.

قلت: ولا مانع من كونه اسماً<sup>(١)</sup> لموضع مخصوص، ويطلق على الكل أنه عدن أي أقام وخلد واستمر، وأما أنه جنة مخصوصة من جملة الجنان، فهذا أظهر من الشمس الصاحية لورود الأحاديث الثابتة بذلك،

(١) في الأصل (اسم).

وكنت تابعت الإمام المحقق في المسودة على أنها اسم لجميع الجنان، وليست هي جنة بنفسها مستقلة ثم ظهر لي أن الحق: أن جنة عدن اسم لموضع مخصوص في الجنات، وإن جاز إطلاقه على جملة الجنات، لصدق ذلك على جملتها كما فهم مما قررنا، وحجة ما اخترناه ما أخرج الطبراني في المعجم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات ييقن من الليل، فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن، وهي مسكنه الذي يسكن، لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم يره أحد، ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] فيشهده الله وملائكته»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الدارمي عن ابن عمر موقوفاً: خلق الله أربعة أشياء بيده، العرش، والقلم، وعدن، وآدم ثم قال لسائر الخلق: كن فكان.

وأخرج الدارمي عن ميسرة: أن الله لم يمس شيئاً من خلقه بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده.

وأخرج عن كعب قال: لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي، قالت:

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٧٩/٨) رقم ٨٦٣٥، وذكره الهيثمي (٢٣٧/١٠) رقم ١٧٢٥١ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري بنحوه، وفيه زيادة بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وذكر الحاكم عن مجاهد: إن الله تعالى غرس جنات عدن بيده، فلما تكاملت أغلقت فهي تفتح كل سحر، فينظر الله إليها فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «خلق الله جنة عدن بيده، لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها<sup>(١)</sup> المسك، وحصباؤها: اللؤلؤ وحشيشها الزعفران» ثم قال لها: انطقي فقالت: قد أفلح المؤمنون فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل<sup>(٢)</sup>. ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع الحيوان، بجامع أن كلا منهما خلقه الله بيده جل شأنه وتعالى سلطانه، قال في «حادي الأرواح»: تأمل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها بيديه لمن خلقه بيديه، ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وإظهاراً لفضل ما خلقه بيده على غيره. فهذا كله يدل على أن جنة عدن اسم لموضع من الجنان مخصوص. ويطلق على جملة الجنات إما حقيقة لوجود الحقيقة وهي الإقامة والدوام والاستمرار، وإما

(١) المَلْطُ: الذي يملط بالطين، يقال: ملطت ملطاً، وملط الحائط ملطاً وملطه طلاه.

لسان العرب مادة: ملط.

(٢) أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠٤/٦) عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله بنى جنات عدن بيده، وبنها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعلها ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصباؤها اللؤلؤ، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون». وروى نحوه الترمذي (٦٧٢/٤) رقم ٢٥٢٦، وأحمد (٣٠٤/٢) رقم ٨٠٣٠، و(٤٤٥) رقم ٩٧٤٢، والدارمي (٤٢٩/٢) رقم ٢٨٢١، وابن حبان في صحيحه (٣٩٦/١٦) رقم ٧٣٨٧، والطبراني في الأوسط (٩٩/٤) رقم ٣٧٠١، وذكره الهيثمي في عدة مواضع حسن بعضها.

مجازاً من باب إطلاق البعض على الكل، هذا ما ظهر لي، والله تعالى أعلم.

السابع: من أسماء الجنة دار الحيوان، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] والمراد الجنة. قال أهل التفسير: والدار الآخرة يعني الجنة لهي الحيوان، هي دار الحياة التي لا موت فيها، قال أهل اللغة: الحيوان بمعنى الحياة.

قال أبو عبيدة وابن قتيبة: الحياة: الحيوان. وقال أبو عبيدة: الحياة والحيوان والحي - بكسر الحاء - واحد. قال أبو علي: يعني أنها مصادر، فالحياة فعله كالجبلة، والحيوان كالتروان والغليان.

والحي كالعبي. وقال أبو زيد: الحيوان ما فيه روح، والموتان والموات: ما لا روح فيه. والصواب: أن الحيوان يقع على ضربين، أحدهما: مصدر، كما حكاه أبو عبيدة، والثاني: وصف، كما حكاه أبو زيد، فعلى قول أبي زيد يكون المعنى: أنها الدار التي لا تفتنى ولا تنقطع ولا تبديد، كما تفتنى الأحياء في هذه الدار، فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت، والأول أظهر. والله أعلم.

الثامن: الفردوس قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [الزمر: ١٠] الَّذِينَ يَرْتَوُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [المؤمنون: ١٠-١١] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

قال المحقق: والفردوس اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات، وأصل الفردوس البستان، والفراديس البساتين، قال كعب: هو البستان الذي فيه الأعتاب، وقال الليث: الفردوس جنة ذات كروم، يقال: كرم مفردس أي:

مغرس وقال الضحاك واختاره المبرد: إنها الجنة الملتفة بالأشجار. وقيل: إنه ليس بعربي وإنما رومي، ومعناه بالعربية: البستان، قاله الزجاج، وقال: حقيقته: البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين. قال: حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وإن ثواب الله كل مخلد جنان من الفردوس فيها يخلد  
التاسع: جنات النعيم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يَجْنُ أَلَيْمٌ﴾ [لقمان: ٨] وهو اسم جامع لجميع الجنات، لما اشتملت عليه من النعيم المقيم.

العاشر: المقام الأمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَمْتَقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١] فالمقام موضع الإقامة. والأمين: الآمن من كل سوء ومكروه.

الحادي عشر والثاني عشر: مقعد الصدق وقدم الصدق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَنْفَقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥١﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] فسمى الجنة مقعد صدق لحصول ما يراد من المقعد الحسن، كما يقال: مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة، وموضوع هذه اللفظة في كلامهم: الصحة والكمال، ومنه قوله ﷺ: «الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة»<sup>(١)</sup>. ومنه الصدق في الحديث، والصدق في العمل، والصدق الذي يصدق قوله بالعمل. وفسر قدم الصدق بالجنة، وفسر بالأعمال التي تنال بها الجنة. وفسر بالسابقة التي سبقت لهم من الله، وفسر بالرسول الذي على يده وهدايته نالوا ذلك.

(١) رواه البخاري رقم ٦٠٩٤، ومسلم رقم ٢٦٠٧ عن عبد الله بن مسعود.

قال المحقق: والتحقيق أن الجميع حق، فإنهم سبقت لهم من الله السابقة بالأسباب التي قدرها لهم على يد رسوله، وادخر لهم جزاءها يوم القيامة، ولسان الصدق: هو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق، وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع، وأنه ثناء بحق لا يبطل، ومدخل الصدق ومخرج الصدق، هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامناً على الله، وهو دخوله وخروجه بالله ولله.

وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنه لا يزال داخلاً في أمر وخارجاً من آخر، فمتى كان دخوله لله وبالله، وخروجه كذلك، كان قد أدخل مدخل صدق، وأخرج مخرج صدق. والله أعلم.

\* \* \*

## فصل

## في عدد الجنات وأنواعها

تقدم أن الجنة اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمسكن والقصور، وهي مع ذلك جنات كثيرة جداً، كما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه : أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقه رضي الله عنه أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبي الله ، ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غَزَبَ - فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء؟ قال : «يا أم حارثة ، إنها جنان عدن ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»<sup>(١)</sup> .

وأخرج الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»<sup>(٢)</sup> .

وقال القرطبي في (التذكرة) : قيل : الجنان سبع ، دار الجلال ، ودار السلام ، ودار الخلد ، وجنة عدن ، وجنة المأوى ، وجنة نعيم ، والفردوس ، وزاد بعضهم : عليين .

ففي حديث البراء مرفوعاً : «إن عليين تحت العرش»<sup>(٣)</sup> وقد قال

(١) رواه البخاري رقم ٢٨٠٩ بلفظ : «إنها جنان في الجنة» بدل «إنها جنان عدن» ، والترمذي (٣٢٧/٥) رقم ٣١٧٤ .

(٢) رواه البخاري رقم ٧٤٤٤ بلفظ «الكبر» بدل «الكبرياء» ومسلم رقم ١٨٠ واللفظ له .

(٣) ذكره القرطبي في التفسير (٢٢٩/١٦) بلفظ : «عليون في السماء السابعة تحت العرش» وأخرجه البغوي في معالم التنزيل (٣٦٣/١) .

تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] فذكرهما، ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٦٢] فهذه أربع. واختلف في قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ فقيل: فوقهما، وقيل: تحتها، وظاهر كلام المحقق اعتماد الثاني. واستدل له بعشرة أوجه: أحدها: قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أي: أغصان أو أصناف شتى من الفواكه وغيرها، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثاني: قوله: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] وفي الأخرتين: ﴿عَيْنَانِ نَضَّاجَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] والنضاجة هي الفوارة، والجارية هي السارحة الفوارة وهي أحسن من الفوارة فإنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: قوله تعالى: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] وفي الأخرتين: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] ولا ريب أن وصف الأولتين أكمل، فقيل: الزوجان الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وقيل: صنف معروف وصنف من شكله غريب. وقيل: الحلو والحامض، والأبيض والأحمر، قاله المحقق. وفيه أنهم قالوا ليس في الجنة حامض؛ لأنه إنما تطلبه الأنفس السقيمة، ولا سقم في الجنة. والله أعلم.

الرابع: أنه قال: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها، وفي الأخرتين قال: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَقَرَفٍ حُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] وفسر الرفرف بالمجالس والبسط، وفسر بالمجالس فوقها. وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأولتين.

الخامس: أنه قال: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] أي: قريب

سهل يتناولونه كيف شاءوا، ولم يذكر ذلك في الآخرتين.

السادس: أنه قال: ﴿فِيَهِنَّ قَصِرَتْ الظُّرُفُ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، لرضاهن بهم ومحبتهم لهم، وذلك يتضمن قصرهن لطرف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن، وقال في الآخرتين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قَصُرَتْ بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامن: أنه سبحانه قال في الأولتين: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأولتين، وجعلهما جزاء لمن خاف مقام ربه، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون نوعين، مقربين وأصحاب يمين، ذكر جنتي المقربين ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ والسياق يدل على أنه يقتضى فوق، كما قال الجوهري: انتهى كلامه مختصراً ملخصاً. قلت: ويدل لما قال قول ابن زيد: هي يعني دار الآخرة أربع: جنتان للمقربين السابقين، فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين. وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عرش الرحمن الله عز وجل على الماء، ثم

اتخذ لنفسه جنة، ثم اتخذ دونها أخرى، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة.

فإن قيل: كيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه؟

فالجواب: أنه لما كان الخائفون نوعين: مقربين وأصحاب يمين، ذكر جنتي المقربين، ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين. فالمقربون لهم الجنتان العاليتان، واللذان دونهما للذين دونهم، وهم أصحاب اليمين، جعلنا الله من عباد المقربين، ومن حزه المفلحين.

فإن قيل: هل الجنتان لمجموع الخائفين أم لكل واحد جنتان، وهما البستانان؟ فالجواب: إن للمفسرين في هذا قولين، وظاهر كلام المحقق ترجيح الثاني، وذكر لترجيحه وجهين:

أحدهما: من جهة النقل وهو قوله ﷺ: «هما بستانان في رياض الجنة»<sup>(١)</sup>.

والثاني: من جهة المعنى، وهو أن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر، والثانية: جزاء اجتناب المحارم.

\* \* \*

(١) ذكره القرطبي في التفسير (١٥٢/١٧) من حديث ابن عباس وفيه (عرض) بدل (رياض) وقال: ذكره المهدي والشعبي أيضاً من حديث أبي هريرة، والسيوطي في الدر المنثور (٧/٧٠٨) وعزاه لابن مردويه.

## فصل

وقد اتخذ الله سبحانه وتعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده فهي سيدة الجنان، والله سبحانه يختار من كل نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريل<sup>(١)</sup> ومن البشر محمداً ﷺ، ومن السماوات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر الأشهر الحرم، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات: أوقات الصلوات إلى غير ذلك. ذكره في «حادي الأرواح» وأشار إليه في أول «الهدى» وذكرته مطولاً في رسالتي: «اللمعة في فضل الجمعة».

وأخرج الحسن بن سفيان عن أنس مرفوعاً: «إن الله بنى الفردوس بيده، وحظرها على كل مشرك، وكل مدمن الخمر سكير»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الدارمي والنجار وغيرهما عن عبد الله بن الحارث مرفوعاً: «خلق الله تبارك وتعالى ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده. ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر، ولا الديوث - كذا هو بتكبير خمر وتعريف الديوث - قالوا: يا

(١) في حاشية الأصل/ قوله: ومن الملائكة جبريل، هذا يشعر بأن جبريل أفضل الملائكة وهو اختيار جماعة، وظاهر كلام المحقق ابن القيم بل صريحه أنه أفضل الملائكة كما يفهم من كلامه في حادي الأرواح والهدى وإغاثة اللهفان وغيرها من كتبه، والمشهور أن أفضل الملائكة إسرافيل لأنه أقرب الملائكة إلى الله، وهو الذي يبلغ جبريل ما يأمر الله به وينهي ويقضى كما ثبت ذلك في الأحاديث، والحاصل الصحيح المشهور أن إسرافيل أفضل الملائكة، والله تعالى أعلم. مؤلف

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١١/٥) رقم ٥٥٩٠، وأبو نعيم في الحلية (٣/٩٥) وقال: غريب من حديث داود عن أنس، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠٦/٥٣).

رسول الله، قد عرفنا مدمن الخمر، فما الديوث؟ قال: - الذي يقر السوء في أهله<sup>(١)</sup>. قال المحقق: قلت: المحفوظ أنه موقوف.

ثم ذكر من طريق الدارمي عن ابن عمر موقوفاً: خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وعدن، وآدم.

وأخرج أبو الشيخ عن شمر بن عطية قال: خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خميس، فيقول: ازدادي طيباً لأولياي، ازدادي حسناً لأولياي.

وأخرج البيهقي عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده، وقال لها تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فقال: طوبى لك منزل الملوك<sup>(٢)</sup>. فإن قلت: علم من هذه الآثار أن الله خلق عدن والفردوس والعرش والقلم وآدم بيده، وكتب التوراة بيده وفيها<sup>(٣)</sup>: لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة: آدم، وكتب التوراة، وغرس جنة عدن، وفيها القصر على أربعة: العرش، والقلم وعدن، وآدم فما وجه الجمع؟

فالجواب: والله أعلم ليس الحصر على بابه، بل عبر أولاً بما ذكر ثم

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٠٧/٧).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٩٩/٤) رقم ٣٧٠١ بزيادة واختلاف يسيرين، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٤/٦)، وذكره الهيثمي (٧٣٢/١٠) رقم ١٨٦٤٢ وقال: رواه البزار مرفوعاً وموقوفاً والطبراني في الأوسط إلا أنه قال عن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق جنة عدن بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة» والباقي بنحوه، ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف.

(٣) في حاشية الأصل/ لم أر أحداً تعرض لهذا الإشكال وهو وارد، ولعل سكوتهم عن التعرض له على مقتضى ما اختاره المحقق أن عدن اسم لمجموع الجنة وأن... المراد غرس جميع الجنة وبناء جميع الجنة، فليتأمل ذلك وليحرر، والله أعلم. مؤلف

أعلمنا بأنه خلق أشياء أخرى، إما أنه تعالى أعلمه بذلك بعد أن أعلمه بالأول، وأما أنه ذكر الأول لمناسبة اقتضت ذلك، كما تقول: ليس في الدار إلا زيد، وإن كان فيها غيره، وأردت أن الذي ينبغي أن ينوه بذكره إنما هو زيد، هذا ما ظهر لي، وفيه نظر، والله أعلم.

وفي صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، ومصادقه من كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) رواه مسلم رقم ١٨٩، وفيه بعد (رضيت رب) الأولى «فيقول له: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهدت نفسك ولذت عينك فيقول: رضيت رب».

## فصل

## في ذكر أول من يقرع باب الجنة

تقدم أن أول من يقرع باب الجنة رسول الله ﷺ وأول من يدخلها من الأمم أمته، وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة فأستفتح فيقوم الخازن، فيقول: لا أفتح لأحد قبلك، ولا أقوم لأحد بعدك»<sup>(١)</sup>. وذلك أن قيامه إليه ﷺ خاصة إظهاراً لمزيتة ومرتبته، ولا يقوم في خدمة أحد بعده، بل خزنة الجنة دونه، يقومون في خدمته وهو كالمملك عليهم، وقد أقامه الله في خدمة عبده ورسوله، حتى مشى إليه وفتح له الباب.

وأخرجه مسلم في صحيحه عنه بلفظ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا أول من يفتح له باب الجنة، إلا أن امرأة تبادرني، فأقول لها: مالك أو ما أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتامي»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم رقم ١٩٧ دون قوله: «ولا أقوم لأحد بعدك» وزيادة أخرى يسيرة، ولم أقف عليه عند الطبراني.

(٢) أنظر تخريج الحديث السابق.

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (٧/١٢) رقم ٦٦٥١ وفيه «إلا أنه تأتي امرأة» وفي آخرة «أيتام لي» وذكره الهيثمي (٢٩٦/٨) رقم ١٣٥١٩ وقال: رواه أبو يعلى وفيه عبد السلام بن عجلان، وثقه أبو حاتم وابن حبان وقال: يخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات.

وفي الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه فخرج، حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجباً إن لله من خلقه خليلاً اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلامه موسى، كلمه تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم، وقال: «سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجى الله وهو كذلك، وبعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة، فيفتح لي فأدخلها، ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»<sup>(١)</sup>. قوله ﷺ: «ولا فخر» أي: ولا فخر أعظم من هذا الفخر، قاله بعضهم.

وعندي: أن معناه أنني لا أقول ذلك افتخاراً واستكباراً، بل على سبيل التنويه والتعريف والتذكر بنعم الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] فما قاله صلى الله عليه وسلم من باب التحدث بالنعم.

#### نكتة:

لا بأس للعالم أن يذكر ما لديه من العلوم على سبيل التنويه، ليُقصد ويؤخذ عنه ذلك، لا على سبيل الافتخار، فإن ذلك مزلة إلى النار، وبم يعجب العاقل وما لديه من العلم ليس من وسعه وقوته، وإنما هو من فضل مولاه ومنتته، والله أعلم.

(١) رواه الترمذي (٥٨٧/٥) رقم ٣٦١٦ وقال: هذا حديث غريب، والدارمي في سننه (١/٣٩) رقم ٤٧، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/٥٢٨)، وقال عنه العراقي: رواه الترمذي وقال: غريب.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا نصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا يسوا، لواء الحمد بيدي، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر، يطوف علي ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون»<sup>(١)</sup>. رواه الترمذي، والبيهقي واللفظ له.

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»<sup>(٣)</sup> أي: لم يسبقونا إلا بهذا القدر.

قال في «حادي الأرواح»: معنى بيد معنى سوى، وغير، وإلا أنه، ونحوها: أي من أدوات الاستثناء، فمعنى بيد أنهم: غير أنهم. والله أعلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٥٨٥/٥) رقم ٣٦١٠ باختلاف يسير، وقال: هذا حديث حسن غريب، والدارمي (٣٩/١) رقم ٤٨.

(٢) رواه مسلم رقم ١٩٦.

(٣) رواه البخاري رقم ٨٩٦، ومسلم رقم ٨٥٥.

(٤) رواه مسلم رقم ٨٥٠ وليس فيه «بإذنه».

وفي الصحيحين عنه مرفوعاً: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم»<sup>(١)</sup> وعند الدارقطني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمي»<sup>(٢)</sup>، والحديث غريب كما نبه عليه الدارقطني.

والحاصل: أن هذه الأمة المشرفة أسبق الأمم خروجاً من الأرض، وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وإلى الجواز على الصراط، وإلى دخول الجنة، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمي، فقال أبو بكر: يا رسول الله وددت لئن كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمي»<sup>(٣)(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري رقم ٢٠١٧، ومسلم رقم ٨٥٥، وفيه «ونحن أول من يدخل الجنة» بدل «ونحن أول الناس دخولاً الجنة».

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٨٩/١) رقم ٩٤٢، والبعثي في معالم التنزيل (١/٨٩)، وذكره الهيثمي (٥٩/١٠) رقم ١٦٧١٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه صدقة بن عبد الله السمين، وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه جماعة فإسناده حسن.

(٣) رواه أبو داود (٦٢٤/٢) رقم ٤٦٥٢، والطبراني في الأوسط (٩٣/٣) رقم ٢٥٩٤، والحاكم (٧٧/٣) رقم ٤٤٤٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) في حاشية الأصل/ قف على أول من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد نبيها وهو الصديق الأعظم.

وقوله ﷺ وددت لئن كنت معك، حرصاً منه على زيادة اليقين، وأن يصير الخبر عياناً، لا أنه ﷺ عنده شك في ذلك - معاذ الله - نظيره قول سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ومن المعلوم أنه ليس الخبر كالعيان، وإن جزم بأن المخبر به واقع لا محالة، وهذا معنى علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فعلم اليقين حكم الذهن الجازم بالأخبار المتواترة كوجود مكة، وحلاوة العسل، لمن لم ير مكة ولم يذق العسل، فإذا نظر لمكة من أبي قبيس، وشاهد العسل فهو عين اليقين، فإذا دخل مكة، وذاق العسل فهو حق اليقين، والله أعلم.

وأما حديث ابن ماجه عن أبي بن كعب مرفوعاً: «أول من يصفحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده، فيدخله الجنة»<sup>(١)</sup>. فهو منكر جداً قاله المحقق، وفيه داود بن عطاء، قال الإمام أحمد: ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث.

تنبيه:

اسم خازن الجنة الذي تقدم ذكره «رضوان» فهو المقدم على سائر خزنة الجنان ورئيسهم، وهو مشتق من الرضا، وأما خازن النار فاسمه «مالك» مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه، والخزنة جمع خازن، مثل حفظة وحافظ، وهو المؤمن على الشيء الذي

(١) رواه ابن ماجه (٣٩/١) رقم ١٠٤، والطبراني في الأوسط (٣١٧/٤) رقم ٤٣١٠، والحاكم (٩٠/٣) رقم ٤٤٨٩ وسكت عنه، وقال الذهبي: موضوع.

استحفظه، وتقدم ذكر الخزنة في عدة مواضع من الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة، والله تعالى أعلم.

\* \* \*

## فصل

وفي البخاري، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون ولا يمتخطون فيها ولا يتغوطون فيها، أنبتهم وأمشطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية»<sup>(١)</sup>.

قوله: «مجامرهم الألوة» قال في النهاية: أي بخورهم العود، وهو اسم له مرتجل، وقيل: هو ضرب من خيار العود وأجوده، وتفتح همزته وتضم، وقد اختلف في أصليتها وزيادتها، ومنه حديث ابن عمر «أنه كان يستجمر بالألوة غير مطراة»<sup>(٢)</sup>، أي: يتبخر بها ليس عليها ألوان الطيب من غيرها، قال في النهاية: المطراة التي تعمل عليها ألوان الطيب غيرها كالعنبر والمسك والكافور. ومنه قولهم غسل مطري، أي: مربي بالأفاويه<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا

(١) رواه البخاري رقم ٣٢٤٥، ومسلم رقم ٢٨٣٤.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٢٥٤ عن نافع قال: «كان ابن عمر إذا استجمر بالألوة غير مطراة وكافور يطرحه مع الألوة، ثم قال: هكذا كان يستجمر رسول الله ﷺ».

(٣) القهوة: اللبن الذي فيه طعم الحلاوة، واللبن الذي يلقي عليه من سقاء رائب شيء ويروب، واللبن إذا تغير طعمه قليلاً وفيه حلاوة الحلب، القوهي: ضرب من الثياب بيض - لسان العرب مادة: قوه.

يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء»<sup>(١)</sup> وفي «حادي الأرواح» عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عرض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله، وفقير فخور»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج هو والطبراني واللفظ للطبراني، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرّون أول من يدخل الجنة؟ فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء، تقول الملائكة: ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سماواتك، لا تدخلهم الجنة قبلنا، فيقول: عبادي لا يشركون بي

(١) رواه البخاري رقم ٣٣٢٧، ومسلم رقم ٢٨٣٤.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٩/١٢) رقم ١٢٣٤٥، وفي الأوسط (٣/٢٤٠) رقم ٣٠٣٣، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٠/٤) رقم ٤٣٧٣ وذكره الهيثمي (١٠/١١٤) رقم ١٦٨٨٣ وقال: رواه الطبراني في الثلاثة بأسانيد، وفي أحدها قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وغيرهما، وضعفه يحيى القطان وغيره، وبقيّة رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه وإسناده حسن.

(٣) رواه أحمد (٤٢٥/٢) رقم ٩٤٨٨، وابن حبان في صحيحه (١٠/٥١٣) رقم ٤٦٥٦ باختلاف يسير، والطيالسي في مسنده (١/٣٣٤) رقم ٢٥٦٧، وابن خزيمة في صحيحه (٨/٤) رقم ٢٢٤٩، والحاكم (١/٥٤٤) رقم ١٤٢٩ وقال: عامر بن شبيب العقيلي شيخ من أهل المدينة مستقيم الحديث. وسكت عنه الذهبي.

شيئاً تتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: ما تقولون في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد، والترمذي وصححه عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مرتفع مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل عربي، قلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قریش، قلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فقال بلال: يا رسول الله، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها، ورأيت أن لله علي ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: بهما»<sup>(٢)</sup>.

وأنتم تقولون: إن أول من يدخل الجنة محمد، وهي محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد؟

فالجواب: أنا نتلقى هذا بالقبول والتصديق لصحته عند ذوي النقول والتحقيق، غير أنه لا يدل على أن أحداً يسبق النبي ﷺ إلى الجنة، وتقدم بلال رضوان الله عليه إنما كالحاجب والخادم، ومن عادة الخادم أن يمشي

(١) رواه أحمد (١٦٨/٢) رقم ٦٥٧، وعبد بن حميد في مسنده (١٣٨) رقم ٣٥٢، وابن حبان في صحيحه (٤٣٨/١٦) رقم ٧٤٢١، وذكره الهيثمي (٤٥٥/١٠) رقم ١٧٨٨٦ وقال: رواه أحمد والبخاري والطبراني ورجالهم ثقات.

(٢) رواه أحمد (٣٥٤/٥) رقم ٢٣٠٤٦، والترمذي (٦٢٠/٥) رقم ٣٦٨٩ وقال: هذا حديث صحيح غريب، وله شاهد في البخاري رقم ١١٤٩.

بين يدي سيده، ولما كان بلال يدعو إلى الله بالأذان بين يدي رسول الله ﷺ، ويمشي أمامه ليهيئ الماء لوضوئه ﷺ جازاه الله بأن خصه من بين خدم رسول الله ﷺ بالتقدم بين يديه، وقد روي أن النبي ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالأذان، فتقدمه بين يديه إنما هو كرامة لرسول الله ﷺ وإظهار<sup>(١)</sup> لشرفه ومزيتة، لا سبقاً من بلال له، كيف وبلال ومولى بلال حسنة من حسناته ﷺ، بل ولا وجود لهم لولا تلك الذات المعظمة التي ملأت ما بين السماء والأرض نعماً وعلماً ومنناً.

### شعر لمؤلفه:

ما كان إلا بطه كاشف المحن<sup>(٢)</sup>  
آيات والعلم والقرآن والسنن  
جنات عدن دخولاً يا ذوي الفطن  
يقم لغير النبي المصطفى المدني  
ما قال كل رسول ليس ينجدني  
كن لي شفيحاً إذا ما خانني زمني  
ربي فوا وجلي منها ويا حزني  
به نجونا من التخليط والفتن  
إذا بدا للعداء نار لدى نتن  
ورق الحمام وما ناحت على فنن  
والتابعين لهم نقالة السنن

كل الوجود وما في الكون من منن  
فهو الذي جاء بالدين المتين وبال  
وأول الناس طرا في المعاد إلى  
رضوان في خدمة المختار قام ولم  
وهو الشفيح لنا يوم الحساب إذا  
يا سيدي يا رسول الله يا أملي  
واخجلتي من ذنوبي يوم ينشرها  
لكن ملتجاي سر الوجود ومن  
محمد المصطفى كنز الضعيف غدا  
صلى عليه إله العرش ما صدحت  
والآل والصحب والأزواج كلهم

\* \* \*

(١) في الأصل (وإظهاراً).

(٢) إن كاشف المحن هو الله وحده يقول تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَصِيرَ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِلَيْتُكَ يَوْمَئِذٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧] ويقول: ﴿قُلْ إِيَّيْكُمْ يَوْمَئِذٍ مِنَ اللَّهِ أَمْرٌ وَلَنْ أُجِدَّ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾ [الجن: ٢٢].

## فصل

وتقدم أن الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة بخمس مائة عام، أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمس مائة عام»<sup>(١)</sup>. ورواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، قال في (حادي الأرواح): ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه.

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمن غني، ومؤمن فقير كانا في الدنيا، فأدخل الفقير الجنة، وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة، فلقبه الفقير فيقول: أي أخي ماذا حبسك؟ والله لقد حسبت حتى خفت عليك، فيقول: أي أخي إني حبست بعدك محبساً فظيماً كريهاً، ما وصلت إليك حتى سال مني من العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض»<sup>(٣)</sup> لصدرت عنه رواء»<sup>(٤)</sup>. وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت

(١) رواه أحمد (٣٤٣/٢) رقم ٨٥٠٢، والترمذي (٥٧٨/٤) رقم ٢٣٥٤ وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٧٩، وأحمد (١٦٩/٢) رقم ٦٥٧٨.

(٣) في حاشية الأصل / الحمض بالحاء المهملة والضاد المعجمة بينهما ميم ساكنة نبت فيه ملوحة. مؤلف

(٤) رواه أحمد (٣٠٤/١) رقم ٢٧٧١، ورواه في الزهد (٣٩٦/١)، وذكره الهيثمي (٤٦٤/١٠) رقم ١٧٩١٣ وقال: رواه أحمد وفيه دويد، غير منسوب، فإن كان هو الذي روى عن سفيان فقد ذكره العجلي في كتاب الثقات، وإن كان غيره لم أعرفه وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وذلك خمس مائة عام»<sup>(١)</sup> الحديث. والذي في الصحيح: «إن سبقهم لهم بأربعين خريفاً»<sup>(٢)</sup>.

فإما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً وتختلف مدة السبق باختلاف أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين ومنهم من يسبق بخمس مائة سنة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحيدين في النار بحسب جرائمهم<sup>(٣)</sup>.

تنبيه:

لا يلزم من سبق الفقراء أن تكون منازلهم أرفع من منازل الأغنياء، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على ذلك: أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم من مر ذكرهم، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه فوجد شاكرًا لله، قد تقرب بأنواع البر والصدقة، كان أعلى درجة من الفقير السابق له في الدخول من غير تلك الأعمال، لا سيما إذا شاركه الغني في أنواع عباداته وقد زاد عليه بالصدقة بفضل ماله، فإن الله لا يضيع مثقال ذرة، نعم الفقير له المزية بسبقه، وهما مزيتان: مزية السبق، ومزية رفعة

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٣/١) رقم ٨٤ وانظر تخريج الثلاثة أحاديث السابقة.  
(٢) رواه مسلم رقم ٢٩٧٩، والترمذي (٥٧٧/٤) رقم ٢٣٥٢، و(٥٧٨) رقم ٢٣٥٥ وقال:  
هذا حديث حسن.

(٣) في حاشية الأصل/ قلت: وهذا هو التحقيق عندي، لما قدمنا عن الحافظ المنذري أنه قال: صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام، فجزم أنه محفوظ بل صحيح، فالأولى حمله مع ما في الصحيح على ما ذكر، وأنت خبير أن الإمام الترمذي صحح الخبر، ورجاله رجال مسلم. والله أعلم. مؤلف

فقد يجتمعان، فيحصل السبق والرفعة لبعض الأشخاص، وتلك تمام السعادة، وقد يعدمهما آخر، وقد يحصل لبعضهم السبق دون الرفعة، وبالعكس، ومما ينبغي أن يعلم أن المراد بالفقير هو الفقير الصابر، الذي قد اطمأن قلبه لما قدره الله تعالى له، ورضي بقضائه، دون الفقير الساخط، بل فقر هذا كجوع الكلاب، وذاك كجوع الصيام من أولي الألباب، والمراد بالغني هو الغني الشاكر.

وأما مانعوا<sup>(١)</sup> الزكاة وأضرابهم فهم بمعزل عن هذا، بل هم مع إخوانهم في سقر، سيما من استحوذ عليهم الشيطان فأنفق أموالهم في اللهو والهذيان، ثم إذا حال الحول أتوا بأنواع الحيل، التي ورثوها عن إخوانهم من اليهود، فادعى أنه لا زكاة عليه، وهذا قبح إلى قبح مجتمعان، وقد أخبرت عن بعض من ينتسب إلى العلم أنه قبل الحول يهب ماله لزوجته فإذا حال الحول استرده وهلم جرا، فهذا هو غاية الظلم<sup>(٢)</sup>، ومن أظلم ممن افتري علي كذباً، فهذا علمه ضره، ما نفعه<sup>(٣)</sup>.

(١) في الأصل / (ما نعي).

(٢) في حاشية الأصل / قوله: فهذا هو في غاية الظلم إلخ فيه رد شنيع وانتقاص فظيع على من يرى انقطاع الحول بما ذكره من الهبة وعدم وجوب الزكاة والحالة هذه لعدم تمام الحول ولو فعل ذلك كمثل الشافعية فراراً من الزكاة، لكنه أي الفرار مكروه كما هو مصرح به في كتبهم، فليت شعري إذا كان ذلك قول مجتهد أو قرره أصحابه في كتبهم أو جاء على أصوله واعتمده أيكون مقلده - والتقليد في الفروع جائز - ظالماً غاية الظلم، ولهذا قيل: من قلد عالماً لقي الله سالماً، إلا أن يكون المؤلف لا يرى جواز التقليد فليتأمل. كاتبه / محمد الباقاني.

قلت: ما ذكره المصنف رحمته الله يراد به فعل الهبة بغير قصد الهبة بل للفرار من وجوب الزكاة وهذه من الحيل المذمومة.

(٣) في حاشية الأصل / بلغ مقابلة.

## فائدة:

فائدة التحقيق عندي: أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، وهذا خلاف ما كنت أختاره أولاً تبعاً لجماعة.

واعلم أن الفقير الصادق<sup>(١)</sup> له علامات، وآداب باطنة وظاهرة، فأما الباطنة فإن لا يكره ما ابتلاه الله تعالى به من الفقر، وهذا واجب عليه، وأرفع من هذا أن يكون راضياً بالفقر، وأرفع من هذا أن يكون طالباً له، وفرحاً به، وشاكراً عليه.

وأما آداب ظاهرة فإظهار التعفف، وأما في أعماله فلا يتواضع لغني<sup>(٢)</sup>، والله تعالى أعلم.



(١) كذا بالأصل ولعلها (الصابر).

(٢) لعل المراد من ذلك التواضع للغني لغناه طمعاً في إحسانه وانتظاراً لشيء يأتي من ماله، وإلا فالتواضع خلق فاضل من أخلاق المسلمين.



وَرَزَقٌ كَرِيمٌ ﴿ [الأنفال: ٢-٤] فوصفهم بإقامة حقه ظاهراً وباطناً وبأداء حق عبادته.

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد، حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد. فقال رسول الله ﷺ: «كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة، ثم قال رسول الله ﷺ: يا بن الخطاب، اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، قال: فخرجت فناديت أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»<sup>(١)</sup>، وفي البخاري معناه<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «أمر بلالاً ينادي في النار أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وفي لفظ: مؤمنة»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم، وحرمت عليهم ما حللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وأن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظانا، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت: رب إذا يثلغوا رأسي فیدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك»<sup>(٤)</sup> وأغزهم نغزك، وأنفق

(١) رواه مسلم رقم ١١٤ .

(٢) رواه البخاري رقم ٤٢٣٤ من حديث أبي هريرة .

(٣) رواه البخاري رقم ٤٢٠٣، ومسلم رقم ١١١ .

(٤) في الأصل (أخرجوك).

فستنفق<sup>(١)</sup> عليك، وابعث جيشاً نبعت خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، قال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يبيغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل والكذب، والشنظير الفحاش، وأن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدكم على أحد، ولا يبغي أحد على أحد<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر<sup>(٣)</sup>».

وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «إن أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر، جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون<sup>(٤)</sup>».

قوله: جعظري: بالجيم والعين المهملة، والطاء المعجمة: الغليظ، والجواظ: هو الجموع المنوع، والله أعلم.

\* \* \*

(١) في الأصل (فتنفق).

(٢) رواه مسلم رقم ٢٨٦٥ باختلاف يسير.

(٣) رواه البخاري رقم ٤٩١٨، ورقم ٦٦٥٧، ومسلم ٢٨٥٣ بلفظ «مستكبر» بدل «متكبر».

(٤) أخرجه أحمد (٢/٢١٤) رقم ٧٠١٠، والحاكم (٢/٥٤١) رقم ٣٨٤٤، وقال: صحيح

على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

## فصل

## في أن أكثر أهل الجنة هذه الأمة المطهرة

قال رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ فكبرنا ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض»<sup>(١)</sup>، رواه البخاري ومسلم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظ البخاري: «كشعرة بيضاء في ثور أسود، وكشعرة سوداء في ثور أبيض» بغير ألف.

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي بسند صحيح عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة منها ثمانون صفا»<sup>(٢)</sup>. وأخرج عبد الله ولد الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿[الواقعة: ٣٩، ٤٠] قال رسول الله ﷺ: «أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٢٨ بلفظ: «كنا مع النبي ﷺ في قبة فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» ورواه مسلم رقم ٢٢١، ٢٢٢ باختلاف وزيادة ونقص.

(٢) رواه أحمد (٣٥٥/٥) رقم ٢٣٠٥٢، وص (٣٦١) رقم ٢٣١١١ باختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ، والحاكم (١٥٥/١) رقم ٢٧٣، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي (٧٤٤/١٠) رقم ١٨٦٧٧ وقال: هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد وأبو يعلى والبراز والطبراني في الثلاثة، ورجالهم رجال الصحيح غير الحارث ابن حصيرة وقد وثق.

أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة»<sup>(١)</sup>. قال الطبراني: تفرد به ابن المبارك، عن الثوري.

واعلم أنه لا تنافي بين هذه الروايات وبين حديث الشطر، لأنه صلى الله عليه وسلم لأنه رجا أن يكونوا شطر أهل الجنة، فأعطاه الله رجاءه، وزاده عليه شيئاً آخر. قاله في «حادي الأرواح».

واعلم أن النساء في الجنة أكثر من الرجال كما أن النار كذلك، لما ثبت في الصحيحين عن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا، وإما تذاكروا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال: أبو هريرة رضي الله عنه أو لم يقل أبو القاسم رضي الله عنه: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوا كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة عزب»<sup>(٢)</sup>.

قال في «حادي الألواح»: فإن كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثر. والظاهر أنهن من الحور العين، لما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً: «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠١/٧)، وأحمد (٣٩١/٢) رقم ٩٠٦٩ بلفظ «لما نزلت ﴿ثُمَّ مِنَ الْآوَالِينَ﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» شق ذلك على المسلم فنزلت ﴿ثُمَّ مِنَ الْآوَالِينَ﴾ وَثُمَّ مِنَ الْآخِرِينَ» فقال: أنتم ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة وتقاسموهم النصف الباقي».

(٢) رواه البخاري رقم ٣٢٤٥ باختلاف في بعض الألفاظ، ومسلم رقم ٢٨٣٤ واللفظ له.

(٣) رواه أحمد (٣٤٥/٢) رقم ٨٥٢٣، والدارمي (٤٣٣/٢) رقم ٢٨٣٢، والترمذي (٤/٦٧٠) رقم ٢٥٢٢ ضمن حديث وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فإن قيل: كيف هذا مع حديث جابر المتفق عليه. «شهدت مع رسول الله ﷺ العيد، صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعدما صلى، فوعظ الناس وذكرهم، ثم أتى النساء فوعظهن، ومعه بلال، فذكرهن وأمرهن بالصدقة، قال: فجعلت المرأة تلقي خاتمها وخرصها، والشيء كذلك، فأمر النبي ﷺ بلالاً، فجمع ما هناك، قال: «إن منكن في الجنة ليسير، فقالت: امرأة يا رسول الله لم؟ قال: إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير»<sup>(١)</sup> وفي الحديث الآخر: «إن أقل ساكني الجنة النساء»<sup>(٢)</sup> فالجواب: كما في «حادي الأرواح»: إن هذا يدل على أنهم إنما كن في الجنة أكثر بالحوار العين اللاتي خلقن في الجنة، وأقل ساكنيها باعتبار نساء الدنيا، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة، وأكثر أهل النار.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت، قال: كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة، حتى إذا كنا بمر الظهران، فإذا امرأة في هودجها قال: فمال فدخل الشعب، فدخلنا معه، فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في هذا المكان، فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم، أحمر المنقار والرجلين، فقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان»<sup>(٣)</sup>.

قال في «حادي الأرواح»: الأعصم من الغربان الذي في جناحه ريشة

(١) رواه البخاري بنحوه) رقم ٣٠٤، ١٤٦٢، ومسلم رقم ٧٩.  
(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٣٨، وأحمد (٤٢٧/٤) رقم ١٩٨٥٠، والحاكم (٦٤٤/٤) رقم ٨٧٨٠.

(٣) رواه أحمد (٢٠٥/٤) رقم ١٧٨٦٠ بزيادة «قد وضعت يدها على هودجها» بعد «في هودجها»، والحاكم (٦٤٥/٤) رقم ٨٧٨١ وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

بيضاء، قال الجوهري: ويقال هذا كقولهم: الأبلق العقوق، وبيض الأنوق، لكل شيء يعز وجوده، وفي النهاية: الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين، وقيل: الأبيض الرجلين، أراد قلة من يدخل الجنة من النساء، لأن هذا الوصف في الغراب قليل عزيز.

وفي حديث آخر: «المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم، قيل: وما الغراب الأعصم؟ قال: الذي إحدى رجله بيضاء»<sup>(١)</sup> وفي حديث آخر: «عائشة في النساء كالغراب الأعصم في الغراب»<sup>(٢)</sup>.

قلت: فهم مما ذكرنا أن في الغراب الأعصم أربعة أقوال:

أحدها: أنه الذي إحدى رجله بيضاء كما في الحديث.

الثاني: أنه الذي في جناحه ريشة بيضاء.

الثالث: أنه أبيض الجناحين.

الرابع: أنه أبيض الرجلين.

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠١/٨) رقم ٧٨١٧ عن أبي أمامة، وعبد بن حميد في مسند (٤٤١/٥) رقم ١٥٢٨ باختصار واختلاف عن عائشة وذكره الهيثمي (٥٠٣/٤) رقم ٧٤٤٠ وقال: رواه الطبراني وفيه مفرح بن يزيد وهو مجمع على ضعفه.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ وبهذا السياق وما وقفت عليه هو عند الطبراني في مسند الشاميين (١٩٢/٢) رقم ١١٧١ عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «أطعمينا، قالت: ليس عندنا طعام، فقال أطعمينا يا عائشة، قالت: والله ما عندنا طعام، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن المرأة المؤمنة لا تحلف بالله إنه ليس عندها طعام وهو عندنا، فقال رسول الله ﷺ وما يدريك أمؤمنة هي أم لا؟ إن المرأة المؤمنة في النساء كالغراب الأعصم، وإن النار خلقت للسفهاء وإن النساء من السفهاء إلا صاحبة القسط والسراج» ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢١/٦٥).

وتم قول خامس ذكره الغزالي في الإحياء قال: الأعصم أبيض البطن.

وفي وصية لقمان لابنه: يا بني، اتق المرأة السوء، فإنها تشيك قبل المشيب، واتق شرار النساء، فإنهن لا يدعون إلى خير، وكن من خيارهن على حذر، قال الحسن: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار، وقال عمر رضي الله عنه: خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة، وقد قيل: شاوروهن وخالفوهن.

نكتة:

الذي يظهر لي من الدليل والتعليل: أن النساء في الدنيا أكثر من الرجال، أما الدليل فأخرج أبو يعلى الموصلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه، فذكر حديثاً طويلاً، وفيه: «فدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله، وثلثين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا»<sup>(١)</sup>. وذكر الحديث. ومن المعلوم: أن لا عزب في الجنة جزماً.

وأما التعليل: فإن الله سبحانه وتعالى أحل للرجل أن يأخذ أربعاً<sup>(٢)</sup> من النساء ولا يحل لامرأة أن تجمع بين زوجين بخلاف الرجل، فإن للحر أن يجمع بين أربع، وللرقيق أن يجمع بين اثنتين، والذي يليق بحكمة أحكم الحاكمين، بل الذي تقتضيه الحكمة أن تكون النساء في الدنيا أكثر

(١) جزء من حديث الصور الطويل أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٢٦٦) رقم ٣٦، وذكره ابن كثير في التفسير (٣٦٩/٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢٩٨/٤) رقم

٥٧١٤، وانظر التعليق عليه في (٦٠٥/١) من هذا الكتاب.

(٢) في الأصل (أربعة).

من الرجال، لأن فعل الباري سبحانه مقرون بالحكمة، وليس من الحكمة أن يجعل للكثير جمعاً<sup>(١)</sup> من القليل، بل الحكمة تقتضي أن يكون الكثير متوزعاً على القليل، فلما نظرنا إلى حكمة الباري، ورأيناه جل شأنه أحل للرجل الجمع بين أربع في آن واحد، علمنا أن النساء أكثر من الرجال، وهذه النكته والتعليل لم أر من سبقني إليها، والظاهر أنهم تكلموا عليها، وإن لم أره، والله أعلم، ثم رأيت عبارة لطيفة للإمام ابن عقيل نقلها عنه في (الفروع) ونصه في (الفنون) قال فقيه: شهوة المرأة فوق شهوة الرجل تسعة أجزاء، فقال حنبلي: لو كان هذا ما كان له أن يتزوج بأربع، وينكح من الإماء ما شاء، ولا تزيد المرأة على رجل، ولها من القسم الربع، وحاشا حكمته أن تضيق على الأحوج، فهذا فيه تلميح لما ذكرنا، والله تعالى أعلم.

\* \* \*

(١) في الأصل (جمع).

## الباب الخامس

## في تربة الجنة ونورها وغرفها وقصورها

## وخيامها وما يلحق بذلك

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقتناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد؟ قال: لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم. قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: «لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك وحصائها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران من يدخلها ينعم، لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماوات، ويقول الرب: وعزتي وجلالي، لأنصرك ولو بعد حين»<sup>(١)</sup> قوله: «وملاطها المسك» قال في النهاية: الملاط الطين الذي يجعل بين ساقى البناء يملط به الحائط أي يخلط. ومنه الحديث: «إن الإبل بملاطها الأجر»<sup>(٢)</sup> أي بخلاطها.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذر رضي الله عنه

(١) أخرجه أحمد (٣٠٤/٢) رقم ٨٠٣٠، والترمذي (٦٧٢/٤) رقم ٢٥٢٦، وابن حبان في

صحيحه (٣٩٦/١٦) رقم ٧٣٨٧، والحاثر في مسنده (٩٦٨/٢) رقم ١٠٧١.

(٢) لم أقف عليه إلا في النهاية مادة: ملط، ولكن له شواهد بمعناه في البخاري رقم ٥٧١٧، ومسلم رقم ٢٢٠.

يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»<sup>(١)</sup> وهو قطعة من حديث المعراج، قوله: جنابذ اللؤلؤ بالجيم والنون المفتوحتين ثم ألف ثم ذال معجمة: القباب، وفي مشارق الأنوار للقاضي عياض ما نصه: وفي الحديث: وإذا فيها جنابذ اللؤلؤ كذا في كتاب مسلم، وفي البخاري في كتاب الأنبياء من رواية غير المروزي فسروه بالقباب واحدها جنبذة بالضم والجنبذة ما ارتفع من البناء.

وجاء في البخاري في الصلاة «حبائل اللؤلؤ»<sup>(٢)</sup>، وزعم قوم أنه تصحيف من جنابذ، وقال في حرف الحاء مع الباء فيها حبائل اللؤلؤ كذا لجمعهم في البخاري وفي مسلم: (جنابذ اللؤلؤ) وهو الصواب، وقد جاء في حديث آخر: «حافاته قباب اللؤلؤ»<sup>(٣)</sup> والجنابذ جمع جنبذة وهي القبة، وقال: من ذهب إلى صحة رواية: إن الحبائل القلائد العقود أو يكون من حبال الرمل أي فيها اللؤلؤ كحبال الرمل أي وهو ما طال منه وضحم، قال: أو من الحبله وهو ضرب من الحلبي معروف، قال ابن قرقول في استدرآكاته على القاضي عياض: وهذا كله تخيل ضعيف، بل هو لا شك تصحيف من الكاتب، والحبائل إنما تكون جمع حباله أو حبله، انتهى.

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة؟ فقال: درمكة بيضاء، مسك خالص، فقال رسول الله ﷺ: «صدق»<sup>(٤)</sup> قال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي، عن جابر رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد قد غلب

(١) جزء من حديث المعراج رواه البخاري رقم ٣٣٤٢، ومسلم رقم ١٦٣.

(٢) البخاري رقم ٣٤٩.

(٣) البخاري رقم ٤٩٦٤، والترمذي (٤٤٩/٥) رقم ٣٣٥٩.

(٤) مسلم رقم ٢٩٢٨، وأحمد (٤/٣) رقم ١١٠١٥ و(٢٤) رقم ١١٢٠٩.

أصحابك قال: وبأي شيء غلبوا؟ قال: سألهم اليهود: كم عدد خزنة النار؟ فقالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا. فقال رسول الله ﷺ: أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا حتى نسأل نبينا؟ ولكن هم أعداء الله، سألوهم أن يريهم الله جهرة، على بأعداء الله فإني سألتهم عن تربة الجنة، وإنها دَرْمَكَةٌ<sup>(١)</sup>، فلما أن جاءوا قالوا: يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار؟ فقال رسول الله ﷺ بيديه كلتيهما هكذا وهكذا، وقبض واحدة أي تسعة عشر، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تربة الجنة؟ فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال ﷺ: «الخبزة من الدرملك»<sup>(٢)</sup> فحصل من هذه الأحاديث ثلاث صفات في تربتها قيل: زعفران، أو مسك، أو خبزة، قال في «حادي الأرواح»: لا تعارض بينها لإمكان الجمع، قال: ذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران، قال: ويحتمل معنيين آخرين: أحدهما أن يكون التراب من زعفران، فإذا عجن بالماء صار مسكاً، والطين يسمى تراباً، ويدل على هذا قوله: ملاحظها المسك، والملاط: الطين، وفي بعض الروايات: ترابها الزعفران، وطينها المسك، فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً، وانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصارا مسكاً.

الثاني: أن يكون زعفراناً باعتبار لونه مسكاً باعتبار رائحته، وهذا من أحسن شيء يكون البهجة والإشراق لون الزعفران ورائحة المسك، قال:

(١) الدَرْمَكُ: هو الدقيق الحُوَارِي، قال خالد: الدَرْمَكُ الذي يدرمك حتى يكون ذقاقاً من كل شيء، الدقيق والكحل وغيرهما، وكذلك التراب الدقيق درمك. لسان العرب/ مادة: درمك.

(٢) رواه أحمد (٣/٣٦١) رقم ١٤٩٢٦ باختصار، ورواه الترمذي بطوله (٥/٤٢٩) رقم ٣٣٢٧، وقال: هذا حديث غريب، وذكره ابن رجب في التحويف من النار (٢٢٢)، دون قوله «ما تربة الجنة» إلى آخره، وذكره القرطبي في التذكرة/ ٤٥٥.

وكذلك تشبيها بالدرمك، وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها، قال: وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أرض الجنة من فضة وترابها مسك. فاللون في البياض لون الفضة، والرائحة رائحة المسك.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أرض الجنة بيضاء، عرصتها صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثران الرمل، فيها أنهار مطردة، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون، فيبعث الله ريح الرحمة فتهب عليهم ريح المسك»<sup>(١)</sup>.  
الحديث.

وأخرج أبو الشيخ عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قلت ليلة أسري بي: يا جبريل إنهم سيسألوني عن الجنة قال: فأخبرهم أنها من درة بيضاء، وأن أرضها عقيان»<sup>(٢)</sup>.

قال في «حادي الأرواح»: العقيان الذهب، فإن كان محفوظاً فهي أرض الجنتين الذهبيتين، ويكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين، والله أعلم.



(١) ذكره السيوطي في الدرر المنثور (٩٢/١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/٢٨٣)، رقم ٥٦٥٢ وصدوره بصيغة التمريض، وعزاه لابن أبي الدنيا.  
(٢) ذكره السيوطي في الدرر المنثور (٥/٢١٨)، وعزاه لابن مردويه.

## فصل

### وأما نور الجنة وبياضها

فأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الجنة بيضاء، وأحب الزي إلى الله البياض فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم، ثم أمر برعاء الشاة فجمعت، فقال: من كان ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء، فجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إنني اتخذت غنماً سوداً فلا أراها تنمو، فقال: عفري أي بيضي»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «إن الله خلق الجنة بيضاء، وأن أحب اللون إلى الله البياض، فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج عنه أيضاً مرفوعاً: «عليكم بالبياض، فإن الله خلق الجنة بيضاء»<sup>(٣)</sup> الحديث.

وروى الإمام المحقق في «حادي الأرواح» عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل: ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قيل: ما

(١) لم أقف عليه عند أحمد، وروى بعضه الطبراني في الكبير (١٠٩/١) رقم ١١٢٠١، وذكر الهيثمي بعضه أيضاً وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه حمزة النصيبي وهو متروك، وابن عدي في الكامل في ترجمة هشام بن زياد (١٠٦/٧) رقم ٢٠٢٣ وقال في آخره: وأحاديثه يشبه بعضها بعضاً والضعف بين على رواياته.

(٢) انظر الكامل في تخريج الحديث السابق.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل (٣٧٧/٢) في ترجمة حمزة بن أبي حمزة النصيبي رقم ٥٠٢ وقال: يضع الحديث، وفي آخره قال: ولحمزة أحاديث صالحة، وكل ما يرويه أو عامته مناكير موضوعة، والبلاء منه ليس ممن يروى عنه ولا ممن يروى هو عنهم.

نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس، فذلك نورها إلا أنها ليس فيها شمس ولا زمهرير<sup>(١)</sup> الحديث.

وعند ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه هي - يعني الجنة - ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمره نضيجه وزوجه حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبيرة، ونعمة في محلة عالية بهية، أخرجه ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر، عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى، عن كريب أنه سمع أسامة يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل مشمر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، ورب الكعبة نور يتلألأ» وذكر الحديث، وفيه قال: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها؟ قال: «قولوا: إن شاء الله»<sup>(٢)</sup> قال القوم: إن شاء الله.

\* \* \*

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٩٣/١) موقوفاً على ابن عباس، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢٨٦/٤).

(٢) رواه ابن ماجه (١٤٤٨/٢) رقم ٤٣٣٢، وابن حبان في صحيحه (٣٨٩/١٦) رقم ٧٣٨١، والطبراني في مسند الشاميين (٣٢٢/٢) رقم ١٤٢١، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٥/٢٤)، وذكره المزني في تهذيب الكمال (٣٠١/١٣) في ترجمة الضحاك المعافري الدمشقي البزاز، وقال عنه من تابعي أهل الشام وذكره ابن حبان في الثقات وقال: روى له ابن ماجه حديثاً واحداً ولا يعرف له غيره وقد وقع لنا عالياً عنه.

## فصل

### وأما غرف الجنة وقصورها وخيامها ومقاصيرها

قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَفَوْا رَبَّهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَّيْبَةٌ﴾ [الزمر: ٢٠] فأخبر تعالى أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقية لثلاثتهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس ثم بناء، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْرَبُونَ أَلْفُرْقَةَ يَمَّا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥] والغرفة جنس كالجنة. وقال: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الَّذِي صَبَرُوا وَهُمْ فِي أَعْرُفَاتٍ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] وقال: عن امرأة فرعون: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١].

وأخرج الترمذي وقال غريب. عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً: «إن في الجنة لغرفاً»<sup>(١)</sup> يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي، فقال: يا رسول الله لمن هي؟ فقال: «لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام»<sup>(٢)</sup> وعند ابن ماجه عن أبي مالك الأشعري مرفوعاً نحوه.

وفي حادي الأرواح بإسناد حسنه محمد بن عبد الواحد، عن عبد الله ابن عمرو مرفوعاً: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب

(١) في الأصل (لغرف).

(٢) رواه الترمذي (٦٧٣/٤) رقم ٢٥٢٧ بلفظ «أطاب» بدل «طيب» وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (١٥٥/١) رقم ١٣٣٧ والحاكم (١٥٣/١) رقم ٢٧٠ عن عبد الله ابن عمرو وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، و(٤٦٦) رقم ١٢٠٠ وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه.

الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة»<sup>(٢)</sup> طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً»<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة»<sup>(٤)</sup>. حديث صحيح، وتقدم.

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهن: أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «هذه خديجة أقرئها السلام من ربها، وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه أي: لغظ، ولا نصب»<sup>(٥)</sup> أي تعب، والقصب هنا اللؤلؤ المجوف.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن في الجنة لقصرأ من لؤلؤ، ليس فيه صدع ولا وهن، أعده الله عز وجل لخليله إبراهيم عليه

(١) انظر تخريج الحديث السابق عند الحاكم.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، كذا للكافة بالفاء وبالباء للسمرقندي، قال في مشارق الأنوار: قوله من لؤلؤة واحدة مجوفة أي خالية الداخل غير مصمته، ورواه السمرقندي: مجوبة، والمعنى واحد، قال: ورويناه في كتاب الخطابي: مجوبة أي قد قطع داخلها بالنقب فتفرغ وخلا، من قولهم: جبت الشيء إذا قطعت، والمجوب آلة من حديد يقطع بها الأدم قطعاً مستديراً، فمجوبة من جوب بناه للمبالغة، ومجوبة من جاب. انتهى، ومن المادة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أي قطعوه. مؤلف

(٣) رواه البخاري رقم ٣٢٤٣، ورقم ٤٨٧٩ باختلاف وزيادة ونقص، ومسلم رقم ٢٨٣٨ واللفظ له.

(٤) رواه البخاري رقم ٤٥٠، ومسلم رقم ٥٣٣ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٥) رواه البخاري رقم ٣٨٢٠، ومسلم رقم ٢٤٣٢.

الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننت أنني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة لغرفاً، فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها، قيل: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام، وواصل الصيام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى الناس نيام، قيل: وما طيب الكلام؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومجنبات، ومقعبات، قيل: وما واصل الصيام؟ قال: من صام شهر رمضان، ثم أدرك شهر رمضان فصامه قيل: وما إطعام الطعام؟ قال: «من قات عياله وأطعمهم، قيل: فما إفشاء السلام؟ قال: مصافحة أخيك وتحيته، قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: صلاة العشاء الآخرة<sup>(٣)</sup> وفيه حفص بن عمر مجهول.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٠٧/٦) رقم ٨١١٤، و(٣٢٩) رقم ٦٥٤٣ وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤٧/٦) وذكره الهيثمي (٣٦٩/٨) رقم ١٣٧٦٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبخاري بنحوه ورجالهما رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد (١٠٧/٣) رقم ١٢٠٦٥، و(١٧٩) رقم ١٢٢٨٥٧، و(٢٦٣) رقم ١٣٨٠١، والترمذي (٦١٩/٥) رقم ٣٦٨٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح عن أنس، أما حديث الصحيحين فهو عن جابر باختلاف في بعض الألفاظ وهو في البخاري رقم ٧٠٢٤، ومسلم رقم ٢٣٩٤.

(٣) رواه الخطيب في تاريخ بغداد مختصراً (١٧٨/٤) وابن حبان في المجروحين في ترجمة حفص بن عمر بن حكيم (٢٥٩/١) ترجمة رقم ٢٥٦، وابن عدي في الكامل (٣٨٧/٢) في ترجمة حفص بن عمر الحكيم ترجمة رقم ٥٠٩ وقال عنه: حدث عن عمرو ابن قيس الملائي عن عطاء عن ابن عباس أحاديث بواطيل.

وفي (حادي الأرواح): إن ابن عدي ضعفه، وكذا ابن حبان لكن قال: إن حديثه هذا له شواهد ثم ذكر من شواهد حديثاً خرجه ابن السماك عن جابر بن عبد الله مرفوعاً: فذكر نحوه إلا أنه قال ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدمن الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة في جماعة فقد صلى والناس نيام: اليهود، والنصارى والمجوس.

قال: وهذا إن كان إسناده لا يحتج به وحده، فإذا انضم إلى ما تقدم استفاد قوة، مع أنه روي بإسنادين آخرين، أي والإسناد إذا كان ضعيفاً لم يشتد ضعفه إذا اعتضد ارتقى إلى رتبة القبول، وما أحسن قول الشاعر:  
حيث يقول:

يا مريض الجفون عذبت قلباً      كان قبل الهوى قوياً سويماً  
لا تحارب بناظريك فؤادي      فضعيفان يغلبان قويا

والمقصود: أن الضعيف إذا انضم إلى مثله اكتسباً بانضمامهما قوة لم تكن لكل واحد منهما بانفراده، وارتقيا إلى رتبة القبول، والله سبحانه وتعالى أعلم.



## فصل

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]  
الوفد: الجماعة الراكبون.

أخرج ابن أبي الدنيا عن علي كرم الله وجهه قال: قلت يا رسول الله ما الوفد إلا ركب؟ قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض، لها أجنحة عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ، كل خطوة منها مثل مد البصر، وينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من إحداهما جرت في وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضئوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً، فيضربون الحلقة بالصفيحة فيسمعون طنين الحلقة، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل، فتستخفها العجلة فتستغيث قيمها فيفتح له الباب، فلولا أن الله عز وجل عرفه نفسه لخر له ساجداً مما يرى من النور والبهاء، فيقول: أنا قيمك الذي وكلت بأمرك فيتبعه، فيقفو أثره فيأتي زوجته، فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول: أنت حبي وأنا أحبك، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً، والخالدة فلا أظعن أبداً، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع، مبني على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر، وطرائق صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبها، فيأتي الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً عليها سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من باطن الجلد، يقضي جماعهن في مقدار ليلة، تجري من تحتهم أنهار مطردة، أنهار من ماء غير آسن صافي ليس فيه كدر، وأنهار من عسل مصفى، لم يخرج من بطون النحل، وأنهار

من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها، فيأكلون من جنوبها من أي الألوان شاءوا، ثم يطير فيذهب فيها ثمار متدلّية إذا اشتهوا انبعث الغصن إليهم فيأكلون من أي الثمار شاءوا، وإن شاء قائماً وإن شاء متكئاً. وذلك قوله: ﴿وَجَنَى الْجَنَّةِ دَانٌ﴾ [الرحمن: ٥٤]. وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ<sup>(١)</sup> قال في «حادي الأرواح»: هذا حديث غريب وفي إسناده ضعف وفي رفعه نظر، والمعروف أنه موقوف على علي كرم الله وجهه. انتهى.

قلت: إذا صح عن علي فحكمه الرفع، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي جزماً، والله الموفق.

وأخرج أبو نعيم عن الضحاك قال: إذا دخل المؤمن الجنة، دخل أمامه ملك فأخذ به في سككها، فيقول له: انظر ما ترى؟ قال: أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة وأكثر أنيس، فيقول له الملك: فإن هذا أجمع لك حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان: نحن لك، نحن لك، ثم يقول: امش، فيقول له ماذا ترى؟ فيقول: أرى أكثر عساكر رأيتها من خيام، وأكثر أنيس، قال: فإن هذا أجمع لك، فإذا رفع إليهم استقبلوه يقولون: نحن لك، نحن لك. وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (١٨٥/٣) وصدره بقوله: «وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً غريباً جداً مرفوعاً عن علي وقال في آخره: وقد روينا في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة، والسيوطي في الدر المنثور (٥٣٩/٥) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم وابن مردويه، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢٧٠/٤) رقم ٥٦٢١ وصححه موقوفاً على علي رضي الله عنه.

سبعمائة ألف متماسكون أخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل  
آخرهم على صورة القمر ليلة البدر<sup>(١)</sup>. والله أعلم.

\* \* \*

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٥٤، ومسلم رقم ٢١٩.

## الباب السادس

في صفة أهل الجنة وأعلامهم وأدنانهم

منزلة وتحفتهم إذا دخلوا

أما صفتهم: فأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر - وهم نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً فلم يزل ينقص الخلق بعد حتى الآن»<sup>(١)</sup> متفق عليه.

وأخرج الإمام أحمد عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم، ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع»<sup>(٢)</sup>، قيل: تفرد به حماد عن علي بن يزيد.

وفي جامع الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين بني ثلاث وثلاثين»<sup>(٣)</sup>. قال الترمذي: حسن غريب.

(١) رواه البخاري رقم ٦٢٢٧، ومسلم رقم ٢٨٤١، وأحمد (٣١٥/٢) رقم ٨١٥٦.

(٢) رواه أحمد (٢٩٥/٢) رقم ٧٩٢٠.

(٣) رواه الترمذي (٦٨٢/٤) رقم ٢٥٤٥، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأحمد (٥/

٢٤٣) رقم ٢٢١٥٩، والطبراني في الكبير (٦٤/٢٠) رقم ١١٨.

وأخرج أبو بكر بن أبي داود عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحليين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذا أهل النار»<sup>(٢)</sup>.

قال في (حادي الأرواح): فإن كان هذا محفوظاً لم يناقض ما قبله، فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقتين: تارة يذكرون النيف للتحديد وتارة يحذفونه، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم، انتهى.

والحاصل أنه ألغى الكسر وهو كثير في كلام الشارع جداً، والله أعلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(١) أخرج أبو الشيخ في كتاب (العظمة) (١٠٧٩/٣) رقم ٥٨٢ عن أنس قال: قال رسول ﷺ: «يبعث أهل الجنة يوم القيامة في صورة آدم جرد مرد مكحليين، أبناء ثلاثين ثم يؤتى بهم شجرة في الجنة فيكسون منها، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»، وذكره بلفظ المصنف عبد الحق في (العاقبة في ذكر الموت) (٣٤٧)، وله شاهد عند الترمذي (٤/٦٧٩) رقم ٢٥٣٩ بلفظ: «أهل الجنة جرد مرد كحل، لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم» عن أبي هريرة وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٦٩٥) رقم ٢٥٦٢ وقال: هذا حديث غريب، وذكره الهيثمي (١٠/٧٣٧) رقم ١٨٦٥٩ وقال: رواه الطبراني بإسناد ضعيف فيه ابن لهيعة وهو مخالف للثقات فيما رووه والله أعلم.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يدخل أهل الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك، على حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد، جرد مرد مكحلون»<sup>(١)</sup> وأخرج الطبراني عن المقداد بن الأسود مرفوعاً: «يحشر الناس ما بين السقط إلى الشيخ الفاني أبناء ثلاث وثلاثين في خلق آدم، وحسن يوسف، وقلب أيوب، مكحلين ذوي أفانين»<sup>(٢)</sup> أي شعور وجمم.

قال الإمام العلامة: ولعل المراد بقوله: يحشر أي: عند دخول الجنة، وإلا فالأطفال يأتون الموقف كهيئتهم، وعند الدخول يكونون في الجنة كالبالغين، انتهى. والله أعلم.

هذا خلقهم، وأما أخلاقهم فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَيْلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] فأخبر عن قلوبهم وتلاقي وجوههم.

وفي الصحيحين: «أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»<sup>(٣)</sup>.

والرواية (على خلق) بفتح الخاء وسكون اللام، قال في (حادي الأرواح): والأخلاق كما تكون جمعاً للخلق بالضم فهي جمع للخلق بالفتح. والمراد: تساويهم في الطول والعرض والسن وإن تفاوتوا في الحسن والجمال، ولهذه فسرته بقوله: على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء.

(١) ذكره ابن طولون في الأحاديث المائة (٨٤) رقم ٩٤.  
 (٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٥٦/٢٠) رقم ٦٠٤ وفي (٢٨٠) رقم ٦٦٤، وذكره الهيثمي (٦٠٣/١٠) رقم ١٨٣٢٥ وقال: رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن.  
 (٣) رواه البخاري رقم ٣٣٢٧، ومسلم رقم ٢٨٣٤.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : «أول زمرة تلج الجنة»<sup>(١)</sup> الحديث وقد تقدم وفيه : «لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشية» وكذلك وصف الحق سبحانه نساءهم بأنهن أتراباً.

قال في (حادي الأرواح): أي في سن واحد ليس فيهن العجائز والشواب. قال: وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى، فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء كما سيأتي إن شاء الله. ولا يخفى التناسب الذي بين الطول والعرض، وأنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخلقة ويصير طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر، وكلاهما غير مناسب. وقال القرطبي في (التذكرة): تكون الأدميات في الجنة على سن واحد، وأما الحور فأصناف مصنفة صغار وكبار على ما اشتهدت أنفس أهل الجنة. انتهى، والله أعلم.

تنبيه:

زعم بعض الناس أنه يدخل الجنة سيدنا آدم وموسى وهارون وسيدنا إبراهيم الخليل، وسيدنا أبو بكر الصديق، وزاد بعضهم: نوحاً عليهم الصلاة والسلام بلحية، وبعضهم نظم ذلك في أبيات من الشعر وكل هذا كذب مفترى، أنشدنا شيخنا العلامة الشيخ محمد العجلوني الشافعي قال: أنشدنا شيخنا علامة وقته الشيخ أبو رميلة التميمي الخليلي لنفسه في

المسجد الأقصى سنة ١٠٨٩هـ قال رحمه الله تعالى :

وستة ليست لأهل الجنة لا بول لا غائط لا أجنة  
كذلك لا نوم ولا أسنانا ولا لحي أيضاً كما أتانا  
واستثنى منهم ستة قد خصوا بلحية قد جاء فيهم نص :

وهم آدم ونوح إبراهيم هارون والصديق والكليم  
قلت : أما كون أهل الجنة لا بول لهم ولا غائط فهذا حق صحيح ،  
وكذا الأجنة ، أي : لا يولد لأهل الجنة أولاد ، ولا ينامون كما يأتي وليس  
لأحد منهم لحية البتة ، وما ذكرنا عن بعضهم لا أصل له إذ لم يثبت ذلك  
عن حضرة الرسالة جزماً ، نعم ورد في آدم وموسى وهارون أحاديث  
موضوعة وأخبار مصنوعة ، لا يعول عليها ولا ينظر إليها ، وقد ذكرها الإمام  
الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي في الموضوعات . وللبرهان الناجي في  
ذلك مصنف لطيف وقفت عليه وتأملته ولخصته وزدت عليه زوائد حسنة  
حكم فيه ببطلان ما ورد في هذا الباب ، فهذا كلام أهل الأثر طافح ببطلان  
ذلك .

قال الإمام الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي - طيب الله ثراه - في  
كتابه (الموضوعات) بعد أن حكم ببطلان كون لموسى عليه السلام لحية ما نصه :  
قلت : ووضع هذا الحديث وضع قبيح ، لأنه لو كان معظماً باللحية لكان  
نبينا أحق ، ثم إنه متى كان الناس على حالة وانفرد واحد بغير حليتهم كان  
ذلك كالعار عليه والشهرة له ، فلا فائدة في ذلك . انتهى .

وقد أجاب الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني - قدس الله روحه -  
من سأله أنه ورد في بعض كتب الفرس : أن للخليل وأبي بكر لحية في  
الجنة بأنه لم يثبت ذلك ، ولا أعرف ذلك في شيء من كتب الحديث

المشهوره والأجزاء المنشورة، انتهى.

فبطل أن يكون لأحد في الجنة لحية البتة، ولذا قلت في معارضة من  
زعم أن لمن ذكر لحية:

لعمرك أهل الخلد مرد جميعهم      كما صح في أخبار خير البرية  
وما قيل في نوح وموسى الكليم وصنوه      وآدم والصديق ليس بمثبت  
كذاك خليل الله ما صح أنه      يرى في جنان الخلد يوماً بلحية

وأما قوله: «ولا أسنان» هذا مما أتعبت نفسي في تصفح الطروس،  
والبحث في الدروس، ومراجعة الأساطين، ومراسلة الجهابذة الراسخين،  
وتأمل الدفاتر، وكشف الذخائر، فلم أقف لذلك على أصل، ولم أظفر فيه  
بنقل، لا بسند صحيح وضعيف ولا حسن ولا باطل ولا نحيف، وقد  
طالبت شيخنا بالأصل الوارد في ذلك فعسر عليه، فقلت: إن لم يظهر لنا  
دليل هذا فلا ننظر إليه، فإني والله لم أر فيه بعد شدة الفحص وتعب النفس  
أثراً سوى أقاويل كحكايات الأولاد، ومثل هذا إنما يثبت بصحة سنده عن  
خير العباد، فإن رأينا الدليل الثابت فهو المراد، وإلا فهو عندنا مردود، ولا  
سيما وقد ورد خلافه بأن نقي الجنة من حسن ثنانيا الحور العين، فإن قيل:  
لا يلزم أن تقيس الحور العين كأولاد آدم، قلنا: بل هم سواء حينئذ، والله  
تعالى أعلم.

\* \* \*

## فصل

وأما أعلى أهل الجنة منزلة فهو نبينا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قال مجاهد وغيره: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ موسى، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ هو محمد ﷺ، وفي حديث الإسراء المتفق عليه أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: «رب لم أظن أن يرفع علي أحد، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى»<sup>(١)</sup>. وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم أيضاً عن المغيرة بن شعبة مرفوعاً: «إن موسى ﷺ سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: يعني الله سبحانه وتعالى: رجل أي هو رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله، ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، قال رب: فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»<sup>(٣)</sup>.

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري رقم ٧٥١٦ .

(٢) رواه مسلم رقم ٣٨٤ وفيه (ها) قبل (عشرا) و(له) بدل (عليه).

(٣) رواه مسلم رقم ١٨٩ .

وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى خيامه وأزواجه، ونعيمه، وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]» ولهذا الحديث طرق، وروي موقوفاً على ابن عمر، ومرفوعاً كما هنا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما أدنى أهل الجنة منزلة - وليس فيها دنيء - فأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة له سبع درج وهو على السادسة، وفوقه السابعة، وإن له لثلاثمائة خادم، ويغدي عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحيفة، ولا أعلمه إلا قال: من ذهب في كل صحيفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، ومن الأشربة ثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يا رب، لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء، وإن له من الحور لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض»<sup>(٢)</sup>. قال في (حادي الأرواح): فيه سكين بن عبد العزيز وضعفه النسائي، وفيه شهر ابن حوشب وضعفه مشهور، وقال: والحديث منكر مخالف للأحاديث الصحيحة، فإن طول ستين ذراعاً لا يحتمل أن يكون

(١) رواه الترمذي (٦٨٨/٤) رقم ٢٥٥٣ وفي (٤٣١/٥) رقم ٣٣٣٠ وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (٦٤/٢) رقم ٥٣١٧، وفيه (جنانه) و(وسرره) بدل (خيامه) و(سريره).  
(٢) رواه أحمد (٥٣٧/٢) رقم ١٠٩٤٥، وذكره الهيثمي (٧٣٩/١٠) رقم ١٨٦٦٦ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات على ضعف في بعضهم، وانظر حكم ابن القيم عليه في تعليق المصنف.

مقعدة صاحبه بقدر ميل من الأرض قلت: ليس من كانت بهذه المثابة من الجمال بشيء، بل رؤية هذه تزيل العقل والذي في الصحيحين: في أول زمرة تلج الجنة، لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين، فكيف يكون لأدناهم ثنتان وسبعون من الحور العين، وأقل ساكني الجنة نساء الدنيا، فكيف يكون لأدنى أهل الجنة جماعة منهن، كذا في (حادي الأرواح).

قلت: ليس في الحديث إلا أن له اثنتين وسبعين من الحور العين سوى أزواجه من الدنيا، يعني سوى أزواجه الكائنة في الدنيا، لا أنه كل إنسان في الجنة له أزواج من نساء الدنيا، وكون أول زمرة تلج الجنة لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين لا ينافي أن يكون له أكثر من ذلك، إذ العدد لا مفهوم له. فتأمل على أن شهر بن حوشب وثقه جماعة وحسنوا له، لكن خالف الثقات هنا فرد حديثه. والله أعلم.

\* \* \*

## فصل

وأما تحفة أهل الجنة إذا دخلوها فزيادة كبد النون، كما أخرج مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء خبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له ﷺ: أينفعك شيء إن حدثت؟ قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال: سل، فقال اليهودي: أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ فقال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد النون، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسيلاً، قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: ينفعك إن حدثت؟ قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله - أي أتى المولود ذكراً - وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثيا بإذن الله - أي جاء المولود أنثى».

فقال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبى ثم انصرف، فقال ﷺ: لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه، وما لي علم بشيء منه حتى آتاني الله عز

وجل به»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه سمع عبد الله بن سلام رضي الله عنه مقدم رسول الله ﷺ المدينة وهو في أرض يخترف - أي يجتنى منها الثمار، والخريف الزمان الذي تخترف فيه الثمار يقال: اخترفت الثمرة أي اجتنيتها - فأتى النبي ﷺ فقال: إن سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل أنفأ» قال - يعني ابن سلام - جبريل؟ قال النبي ﷺ: نعم، قال ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزع، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، وأنهم إن تعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني، فجاءت اليهود فقال: أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أفأريتم إن أسلم عبد الله؟ فقالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبد الله، فقال: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله»<sup>(٢)</sup>، قلت: وهو في ثلاثيات الإمام أحمد، وفيه أعلمنا وابن أعلمنا.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد مرفوعاً: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً

(١) رواه مسلم رقم ٣١٥ .

(٢) رواه البخاري رقم ٤٤٨٠ .

لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى، قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلى، قال: إدامهم بالأم ونون قال: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون الفاً<sup>(١)</sup>.

قال في مشارق الأنوار: بالام ثور الجنة، والنون الحوت، أما النون فمعروف في كتاب الله تعالى، ولسان العرب، وأما بالام فليست بعربية ولا حكاها أحد عنهم، قال القاضي عياض: وجدت هذه الحروف في كتاب الحميدي يعني الأندلسي باللاي، واللاي: الثور الوحشي على مثال اللهي واللغي، ولا أعلم من رواه هكذا إلا ما رأيت له، فإن كان أصلحه مما ظن أنه صحف فقد بقيت الميم التي تثبت بعد اللام في الصحيح، فتحمل على أنها تصحفت من الياء الساكنة بعد اللام من اللاي.

وقال الخطابي: لعل اليهودي أراد التعمية فقطع الهجاء وقد قدم أحد الحرفين، ولنا الرتبة لام ألف وياء، هجاء لأي، على وزن لغا، فصحف الراوي الياء بالباء. قال: وهذا أقرب ما يقع لي فيه، اللهم إلا أن يكون عبر عنه بالعبرانية فقدم الباء، لأن أكثر العبرانية مقلوب على لسان العرب بتقديم حروف وتأخيرها، وقد قيل: إن العبران هو العريان فقدموا الباء، قال: هذا كله مع ما فيه من التحكم والظن غير مسلم، لأن هجاء اللاي غير هجاء بالام، وأولى ما يقال: أن تقرأ الكلمة كما رويت وتكون عبرانية، ألا ترى أنهم سألوا اليهودي عن تفسيرها ولو كانت كما قال الحميدي باللاي

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٢٠ ومسلم رقم ٢٧٩٢.

لعرفوها بلغتهم، ولا يوجد في اللغة العبرانية بالام، لأنه اسم ثور، قال: وقد سألت عنه من يقوم به فلم يعرفه. قالوا: وإنما بالم في اللغة العبرانية الشديد، فلا يمتنع أن يكون عندهم مستعملاً في الثور، وكل ما يوصف بالقوة والشدة.

وأما زيادة الكبد فهي القطعة المنفردة المنقطة فيها، وهي أطيبها، فهؤلاء السبعون ألفاً يحتمل أنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ويحتمل أنه أراد به التكثير من غير إرادة حصر، والله الموفق<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) في حاشية الأصل/ بلغ.

## الباب السابع

### في ريح الجنة ومناديها وأشجارها وثمارها وزرعها

أما ريحها فأخرج الطبراني عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : «من قتل قتيلاً من الذمة لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام»<sup>(١)</sup> وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظ : «ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»<sup>(٢)</sup> وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً : «ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله، فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً»<sup>(٣)</sup>. قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

قال في «حادي الأرواح» : قال محمد بن عبد الواحد : وإسناده عندي على شرط الصحيح .

قال المحقق : قلت : وقد رواه الطبراني عنه مرفوعاً : «من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة، وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام»<sup>(٤)</sup> وأخرج عن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام»<sup>(٥)</sup> قال في (حادي الأرواح) : وهذه الألفاظ

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٠٦/١) رقم ٦٦٣ عن أبي هريرة بلفظ «من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة، وإن ريح الجنة توجد من مسيرة مائة عام»، وفي (٣/٢٠١) رقم ٢٩٢٣ بلفظ : «من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام» عن أبي بكر، وشواهد ما بعده .

(٢) رواه البخاري رقم ٣١٦٦، ورقم ٦٩١٤ عن ابن عمرو .

(٣) رواه الترمذي (٢٠/٤) رقم ١٤٠٣ وقال : حسن صحيح .

(٤) انظر تخريج الحديث قبل حديثين .

(٥) انظر تخريج الحديث السابق .

لا تعارض بينها بوجه .

وقد أخرجنا في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: «لم يشهد عمي مع رسول الله ﷺ بديراً، قال: فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، فإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد. قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: أين؟ فقال: واهأ لريح الجنة أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قتل قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا بينانه، ونزلت هذه الآية: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه»<sup>(١)</sup>.

قال في «حادي الأرواح»: وريح الجنة نوعان، ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً، لا تدركه العبارة، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس بن النضر رضي الله عنه يجوز أن يكون من هذا وأن يكون من الأول، انتهى.

قلت: الظاهر أنه من الثاني، لأن قوله ريح الجنة أجده دون أحد يشير إلى هذا، فتأمل.

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن رائحة الجنة توجد من

(١) رواه البخاري رقم ٢٨٠٥ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، ومسلم رقم ١٩٠٣ .

مسيرة خمس مائة عام<sup>(١)</sup> وأخرج الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء»<sup>(٢)</sup> وأخرج أبو داود الطيالسي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين عاماً»<sup>(٣)</sup> وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: قال: «تراوح رائحة الجنة من مسيرة خمس مائة عام، ولا يجد ريحها منان بعمله، ولا عاق، ولا مدمن خمر»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج أبو داود وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه عن أبي هريرة مرفوعاً: «من تعلم علماً مما يتنقى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»<sup>(٥)</sup>. قلت: والجمع بين

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٣٠٧)، وأحمد (٥/٥٠) رقم ٢٠٥٢٥، والطبراني في الأوسط (١/١٣٧) رقم ٤٣١، والحاكم (١/١٠٥) رقم ١٣٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/١٨) رقم ٥٦٦٤، وذكره الهيثمي (٥/٢١٩) رقم ٨٥٣٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن كثير الكوفي وهو ضعيف جداً، وفي (٨/٢٧١) رقم ١٣٤٣٦ وقال: رواه الطبراني في الأوسط من طريق محمد بن كثير عن جابر الجعفي وكلاهما ضعيف جداً.

(٣) رواه ابن ماجه (٢/٨٧٠) رقم ٢٦١١ بلفظ «خمس مائة عام» وأحمد (٢/١٧١) رقم ٦٥٩٢ بلفظ «من قدر سبعين عاماً أو مسيرة سبعين عاماً» والطبراني في الدعاء (٥٨٥) رقم ٢١٣٢ بلفظ «سبعين عاماً» وذكره الهيثمي (١/٢٨٢) رقم ٣٥٢ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٥/١٥٩) رقم ٤٩٣٨، وأبو نعيم في الحلية (٣/٣٠٧)، وقال: غريب من حديث هارون عن مجاهد ورواه موسى الجهني عن منصور عن مجاهد عن أبي هريرة موقوفاً وذكره الهيثمي (٨/٢٧١) رقم ١٣٤٣٥ وقال: رواه الطبراني في الصغير وفيه الربيع بن بدر وهو متروك.

(٥) أخرجه أبو داود (٢/٣٦٤) رقم ٣٦٦٤ بلفظ «عرضاً»، وكذا ابن حبان في صحيحه (١/٢٧٩) رقم ٧٨، وأبو يعلى في مسنده (١١/٢٦٠) رقم ٦٣٧٣ وابن ماجه (١/٩٢) =

هذه الأحاديث أنه يختلف ذلك باختلاف الشأم، وهذا الذي أوماً إليه المحقق في «حادي الأرواح» حيث قال: وهذه الألفاظ لا تعارض بينها. والله الموفق.

قال في «حادي الأرواح»: وأشهد الله سبحانه عبادة في هذه الدار آثاراً من آثار الجنة، وأنموذجاً منها من الرائحة الطيبة، واللذات المشتهية، والمناظر البهية، والفاكهة الحسنة، والنعيم والسرور وقررة العين.

وأخرج أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «يقول الله عز وجل للجنة: طيبي لأهلك فتزداد طيباً، فذلك البرد الذي يجده الناس بالسحر من ذلك»<sup>(١)</sup> كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وأحزانها مذكرة بنار الآخرة، قال تعالى في هذه النار: ﴿تَخَنُّنُ جَمَلَنَهَا تَذَكُّرَةً﴾ [الواقعة: ٧٣] وأخبر الصادق عليه السلام: «إن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم»<sup>(٢)</sup> فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها، والله المستعان.



= رقم ٢٥٢، والحاكم (١٦٠/١) رقم ٢٨٩ وقال: روى هذا الحديث بإسنادين صحيحين عن جابر بن عبد الله وكعب بن مالك وتعقبه الذهبي في الأول بقوله (رواه ابن وهب فأرسله).

(١) رواه أبو نعيم في الحلية بنحوه (٣٧٩/٥) موقوفاً على كعب، ورواه بلفظه الطبراني في الصغير (٦٣/١) رقم ٧٥، وذكره المناوي في الاتحافات السنية (٩٢) رقم ٢١٤، والهيثمي (٧٦٠/١٠) رقم ١٨٧١٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمر بن عبد الغفار وهو متروك.

(٢) روى مسلم رقم ٦١٥ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم» وفي رقم ٦١٧ عن أبي هريرة «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير».

## فصل

وأما نداؤها فأخرج مسلم عن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وذلك قول الله عز وجل: ﴿أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]»<sup>(١)</sup>.

قوله: «فلا تبأسوا مأخوذة من البأساء. وهي الشدة، ومثله لا يبأس ولا يبأسون، وكذا في غناء الحور «نحن الناعمات فلا نبأس»<sup>(٢)</sup> أي: لا تصيبنا شدة في الحال ولا في الأنفس، وهو البؤس والبأس.

وفي الحديث: «هل رأيت بؤساً قط؟»<sup>(٣)</sup> ويروى بؤس، والتنوين أكثر وهو المصدر.

وأخرج عثمان بن أبي شيبة عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبداً، وأخلدوا فلا تموتوا أبداً وأنعموا فلا تبأسوا أبداً»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٣٧، والترمذي (٣٧٤/٥)، وأحمد (٩٥/٣) رقم ١١٩٢٤.  
(٢) جزء من حديث رواه الترمذي (٦٩٦/٤) رقم ٢٥٦٤ وقال: حديث علي حديث غريب والطبراني في الكبير (٣٦٧/٢٣) رقم ٨٧٠، والأوسط (٢٧٨/٣) رقم ٣١٤١، عن علي وذكره الهيثمي (٢٥٠/٧) رقم ١١٣٩٦ وقال: رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي.  
(٣) جزء حديث أخرجه مسلم رقم ٢٨٠٧.  
(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٨٣٧ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، والترمذي (٣٧٤/٥) رقم ٣٢٤٦ عن أبي سعيد وأبي هريرة.

وأخرج مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً، يقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة وينجينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إلى الله، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم من النظر إليه»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة يقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً»<sup>(٢)</sup>.

وفيها عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه»<sup>(٣)</sup>، وهذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار، ولهم نداء آخر يوم زيارتهم ربهم جل وعلا، يرسل إليهم ملكاً فيؤذن فيهم بذلك، فيسارعون إلى الزيارة، كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها، وذلك في مقدار يوم الجمعة، والله تعالى أعلم.



(١) رواه مسلم رقم ١٨١ بلفظ «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل».

(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٤٩، ومسلم رقم ٢٨٢٩.

(٣) رواه البخاري رقم ٦٥٤٤ وليس فيه «كل خالد فيما هو فيه»، ومسلم بلفظه رقم ٢٨٥٠.

## فصل

وأما أشجار الجنة وبساتينها وظلالها فقد قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٧٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٢٧-٢٨] [الواقعة: ٢٧-٢٨] أي لا شوك فيه كأنه خضد شوكة أي قطع ونزع منه، ذكره البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة، وقال الحسن: لا يعقر الأيدي، وقال ابن كيسان: لا أذى فيه. انتهى.

وفي الحديث: «في المدينة لا يخضد شوكتها، ولا يعضد شجرها»<sup>(١)</sup>. وقال الضحاك ومقاتل: هو الموقر حملاً. قال العلامة في (البهجة): وليس شيء من ثمر الجنة في غلفه كما يكون في الدنيا مثل الباقلاء وغيره، بل هو مأكول ومشروب، ومنظور إليه ومشموم ﴿وَطَلْحَ مَنُضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] أي: موز متراكم قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره، ليست له سوق بارزة، قال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله.

تنبيه:

ما ذكرنا أن الطلح الموز هو ما قدمه البغوي ونقله في «حادي الأرواح» عن أكثر المفسرين قال: وهذا قول علي وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، قالت طائفة: بل هو شجر عظام طوال، وهو من شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب، قال حاديهم:

(١) لم أقف على هذه اللفظ «يخضد» في حديث إلا عند الحاكم (٥١٨/٢) رقم ٣٧٧٨ ضمن حديث عن نعيم أهل الجنة وصححه ووافقه الذهبي.

يسرها دليلها وقالوا غدا تربن الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور وريحة طيبة وظل ظليل، وقد نضد بالحمل وأثمر مكان الشوك، وقال الليث: الطلح شجر أم غيلان<sup>(١)</sup>، له شوك أحجن<sup>(٢)</sup> من أعظم الغصاه شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً، وقال أبو إسحاق: يجوز أن يعني به شجر أم غيلان، لأن له نورا طيب الرائحة جداً، فوعدوا بما يحبون مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا، فإنه ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسامي.

قال في «حادي الأرواح»: الظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده، وإلا فالطلح في اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادي، والله أعلم.

وأخرج البيهقي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال أعرابي: يا رسول الله، لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة توذي صاحبها، فقال ﷺ: وما هي؟ قال: السدر، فإن لها شوكاً، فقال رسول الله ﷺ: «يقول الله في سدر مخضود يخضد الله شوكه، فيجعل مكان كل شوكة ثمرة، إنها تنبت ثم ينفق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام، ما منها لون يشبه الآخر»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الطبراني مثله<sup>(٤)</sup>. والله أعلم.

(١) أم غيلان: شجر السمر: القاموس المحيط/ باب اللام فصل الغين.  
(٢) الحَجْنُ والحَجْنَةُ والتحجن: الاعوجاج، والتحجين: سمة معوجة - القاموس المحيط باب النوف فصل الحاء.

(٣) أخرجه الحاكم (٥١٨/٢) رقم ٣٧٧٨، وتقدم في الحديث السابق.

(٤) في الكبير (١٣٠/١٧) رقم ٣١٨، وفي مسند الشاميين (٢٨٢) رقم ٤٩٢.

قال تعالى: ﴿وَطَلَّ مَمْدُودٌ﴾ قال البغوي: دائم لا تنسخه الشمس،  
والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع ممدود.

فإن قيل: قد علم أن لا شمس في الجنة فكيف يكون فيها ظل؟

فالجواب: أن الوقت في الجنة يكون كساعة أول النهار قبل طلوع  
الشمس كما هو مقرر، ولا شك أن ذلك ظل، ولذا صح اتصافه بكونه  
ممدوداً، أي دائماً لا تزيله شمس، كما فسره البغوي طيب الله ثراه، والله  
أعلم.

وقال تعالى: ﴿ذَوَاتًا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] وهي جمع فنن وهو  
الغصن، وقال: ﴿فِيهَا فَنَكِهِمُ وَنَحْلٌ وَرُءَمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

وأخرج ابن أبي داود عن عتبة بن عبد السلمي قال: كنت جالساً مع  
رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله نسمعتك تذكر في الجنة  
شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكة منها - يعني الطلح - فقال رسول الله ﷺ:  
«إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود، فيها  
سبعون لونا من الطعام، لا يشبه لون آخر»<sup>(١)</sup> قال في (حادي الأرواح):  
الملبود الذي اجتمع شعره بعضه على بعض.

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا صفوان بن عمرو عن سليمان بن عامر  
قال: كان أصحاب محمد ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومساثلهم،  
أقبل أعرابي يوماً، فقال: يا رسول الله، ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية،  
وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها...»<sup>(٢)</sup> الحديث المتقدم في  
السدر.

(١) انظر تحريج الحديث السابق.

(٢) انظر تحريج الحديث قبل الحديثين السابقين.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، فاقروا إن شئتم: ﴿وِظِلِّ تَمْدُورٍ﴾»<sup>(١)</sup>.

وأخرجه أيضاً عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»<sup>(٢)</sup> وفي رواية: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج وكيع عنه: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، اقرءوا إن شئتم ﴿وِظِلِّ تَمْدُورٍ﴾ فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق، والذي أنزل التوراة على لسان موسى، والفرقان على لسان محمد ﷺ لو أن رجلاً ركب جذعة أو جذعاً ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى تسقط هرمأ، إن الله غرسها بيده، ونفخ فيها، وإن أفنانها من وراء سور الجنة، ما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الظل الممدود شجرة

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٨٨١، ومسلم رقم ٢٨٢٦.

(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٥٢، ومسلم رقم ٢٨٢٧.

(٣) البخاري رقم ٦٥٥٣، ومسلم رقم ٢٨٢٨ عن أبي سعيد.

(٤) أخرجه أحمد (٤٥٥/٢) رقم ٩٨٧٠، وعبد بن حميد في مسنده (٤٢٤) رقم ١٤٥٧

والدارمي (٤٣٦/٢) رقم ٢٨٣٩ ولكن لم يذكر «سبعين» وكذا الطيالسي في مسنده

(٣٣٢) رقم ٢٥٤٧، وابن المبارك في الزهد (٧٥) رقم ٢٦٦.

في الجنة على ساق، قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها، فيخرج إليها أهل الجنة - أهل الغرف وغيرهم - فيتحدثون في ظلها، قال فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»<sup>(١)</sup>. قال: هذا حديث حسن. وأخرج الترمذي أيضاً والنسائي، وابن ماجه عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واطرءوا إن شئتم ﴿وَوَلَّى تَمْدُورٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وموضوع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، واطرءوا إن شئتم: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]»<sup>(٢)</sup> وصدر هذا الحديث متفق عليه.

وفي «حادي الأرواح» عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) رواه الترمذي (٦٧١/٤) رقم ٢٥٢٥، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (٤٢٥/١٦) رقم ٧٤١٠، وأبو يعلى في مسنده (٥٧/١١) رقم ٦١٩٥.  
 (٢) رواه الترمذي (٤٠٠/٥) رقم ٣٢٩٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/١٤٤٧) رقم ٤٣٢٨ والنسائي في السنن الكبرى (٣١٧/٦) رقم ١١٩٨٥.  
 (٣) أخرجه أحمد (٧١/٣) رقم ١١٦٩١، وأبو يعلى في مسنده (٥١٩/٢) رقم ١٣٧٤، وابن حبان في صحيحه (٤٢٩/١٦) رقم ٧٤١٣، وذكره ابن حجر في الأمالي المطلقة (٤٧) وقال: هذا حديث حسن.

وأخرج ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكربها<sup>(١)</sup> ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم، وحلاهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم.

قوله: وكربها ذهب، هو بالكاف والراء محرقة ثم باء موحدة، أصل السعف، وقيل: ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع كالمراقي، قاله في النهاية، وقوله: (منها مقطعاتهم) المقطعات هي الثياب القصار، كأنها قطعت عن بلوغ التمام، قال في النهاية: في هذا الحديث لم يصفها يعني ثياب أهل الجنة بالقصر لأنه عيب، وعندني أن ذلك ليس عيباً كما هو عادة المترفين في الدنيا أنهم يلبسون المقطعات تحت الحلل، والله تعالى أعلم.

وأخرج الإمام أحمد عن عتبة بن عبد السلمي قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض، وذكر الجنة، ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى، فذكر شيئاً لا أدري ما هو؟ وفي لفظ: هي تطابق الفردوس، قال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك، فقال النبي ﷺ: أتيت الشام؟ قال: لا قال: تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد، وينفرش أعلاها، قال: ما عظم أصلها؟ قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرمأ، قال: فيها عنب؟ قال: نعم، قال: فما عظم العنقود؟ قال: مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يفتر، قال: فما عظم الحبة؟ قال: هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً؟ قال: نعم، قال: فسلخ إهابه

(١) كَرَبُ النخلة: أصول السعف، والكَرْبُ أصول السعف الغلاظ العراض التي تبيس فتصير مثل الكتيف، واحدها كَرْبَةٌ، وقيل: ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع كالمراقي. لسان العرب/ مادة: كرب.

فأعطاه أمك، قال اتخذني لنا منه دلوأ؟ قال: نعم، قال: فإن تلك الحبة لتشبعني، وأهل بيتي؟ قال: نعم، وعامة عشيرتك»<sup>(١)</sup>.

ورواه الطبراني في الكبير، والأوسط، والبيهقي، وابن حبان في صحيحه، وفي لفظ: «فأعطاه أمك، فقال: ادبني هذا، ثم افري لنا منه دلوأ نروي به ماشيتنا، قال: فإن تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي...»<sup>(٢)</sup>. الحديث.

وأخرج أبو يعلى الموصلي، عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى فقال: «يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة، أو قال: يستظل في فنن منها مائة راكب فيها فراش من الذهب كأن ثمرها القلال»<sup>(٣)</sup> ورواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

وذكر الزمخشري في (كشافه): السدره واحده السدر، وهو النبق، وهي في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرتها كالقلال، وورقها كأذان الفيلة، ينبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها.

وقال مقاتل: هي شجرة، لو أن ورقة منها وضعت في الأرض

(١) رواه أحمد (١٨٣/٤) رقم ١٧٦٧٩، والطبراني في الكبير (١٢٨/١٧) رقم ٣١٣، وفي الأوسط (١٢٦/١) رقم ٤٠٢٣، وفي مسند الشاميين (١٠٤/٤) رقم ٢٨٦٠ وذكره الهيثمي (٧٦٣/١٠) رقم ١٨٧٢٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له، وفي الكبير وأحمد باختصار عنهما وفيه عامر بن زيد البكالي وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٢٦/١٧) رقم ٣١٢.

(٣) رواه الترمذي (٦٨٠/٤) رقم ٢٥٤١ وقال: هذا حديث حسن غريب، والطبراني في الكبير (٨٧/٢٤) رقم ٢٣٤، وابن عمر الشيباني في الأحاد والمثاني (٤٥٤/٥) رقم ٣١٤١، وابن عساکر في تاريخ دمشق (١٨٧/٥١).

لأضواء لأهل الأرض، تحمل الحلبي والحلل والثمار ومن جميع الألوان، ولو أن رجلاً ركب حقة فطاف على ساقها ما بلغ المكان الذي ركب منه حتى يقتله الهرم، قال العلامة: وهي طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد.

وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ليلة الإسراء في السماء السابعة كما عند مسلم عن أنس، قال: قال النبي ﷺ: «ثم ذهب بي - يعني جبريل عليه السلام - إلى سدة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيتها من أمر الله تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها»<sup>(١)</sup> وفي طريق من طرق الحديث، «أنه ﷺ رأى أربعة أنهار تخرج من أصلها، نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان فنهران في الجنة، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات»<sup>(٢)</sup>. وذكر البخاري هذه الأنهار الأربعة.

قال العلامة في (البهجة): واختلف العلماء في تسميتها بالمنتهى، فقيل: لأن إليها ينتهي علم الخلائق، وما خلفها لا يعلمها إلا الله سبحانه وقيل: لأنه ينتهي إليها من مات على سنة النبي ﷺ، وقيل: لأنه ينتهي إليها ما يعرج من أرواح المؤمنين.

وقال ابن مسعود والضحاك: إن تسميتها بذلك، لأن إليها ينتهي كل ما يهبط من فوقها، وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى، أي مأمورة.

قال: واختلفوا في الذي يغشى السدرة، فقيل: إنه فراش من ذهب قاله ابن عباس، وابن مسعود .

(١) جزء من حديث رواه مسلم رقم ١٦٢ .

(٢) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٣٨٨٧، ومسلم رقم ١٦٤ .

وهو مروى عن النبي <sup>(١)</sup> ﷺ وقيل: يغشاها نور رب العزة فتستنير،  
قاله الحسن وقيل: الملائكة.

وفي «حادي الأرواح»: عن جرير بن عبد الله قال: نزلنا الصفاح،  
فإذا رجل نائم تحت شجرة، وقد كادت الشمس أن تبلغه، فقلت للغلام:  
انطلق بهذا النطع فأظله، قال فانطلق فأظله، فلما استيقظ إذا هو سلمان  
فأتيته، فقال: يا جرير، تواضع لله، فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه يوم  
القيامة، يا جرير، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري.  
قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين أصبعيه، فقال: يا  
جرير، لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده، قلت: يا أبا عبد الله، فأين  
النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاه الثمر.

وفيه عن مجاهد قال: أرض الجنة من ورق، وترابها مسك، وأصول  
أشجارها من ذهب وورق، وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت، والورق والثمر  
تحت ذلك، فمن أكل قائماً لم يؤذه، ومن أكل جالساً لم يؤذه، ومن أكل  
مضطجعاً لم يؤذه. ﴿وَذَلَّلْتَ قُطُوفَهَا نَذِيلاً﴾ [الإنسان: ١٤].

وفيه عن أبي سعيد <sup>(٢)</sup> رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله طوبى لمن رآك  
وآمن بك. قال: «طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى  
لمن آمن بي ولم يرني، فقال رجل: يا رسول الله وما طوبى؟ قال: شجرة  
في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» <sup>(٢)</sup>.

(١) روى الطبري في تفسيره (٥١٧/١١) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتها -  
يعني سدرة المنتهى - حتى استبتهها، ثم حال دونها فراش من ذهب»، ورواه أبو يعلى في  
مسنده (٦٣/٥) رقم ٢٦٥٦، وذكره الهيثمي (٢٤٧/٧) رقم ١١٣٧٣ وقال: رواه أبو  
يعلى وفيه جوير وهو ضعيف.

(٢) رواه أحمد (٧١/٣) رقم ١١٦٩١، وأبو يعلى في مسنده (٥١٩/٢) رقم ١٣٧٤ وسبق

قال في «حادي الأرواح»: قلت: وصدر هذا الحديث في المسند، ولفظه: «طوبى لمن رأني، وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي، ولم يرني» سبع مرات<sup>(١)</sup>، وفي البهجة: هي يعني طوبى شجرة في جنة عدن في دار النبي ﷺ لم يخلق الله عز وجل لونها ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولا يخلق الله فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها، ينبع من أصلها عيناً الكافور والسلسيل، كل ورقة منها تظل أمة، عليها ملك يسبح الله عز وجل بأنواع التسييح. وفيها أيضاً عنه ﷺ: «إن طوبى شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلبي والحلل، وإن أوراقها ترى من وراء سور الجنة»<sup>(٢)</sup> وحكى الأصم أنها في دار النبي ﷺ وفي كل دار مؤمن منها غصن.

\* \* \*

(١) رواه أحمد (١٥٥/٣) رقم ١٢٦٠٠، و(٢٤٨/٥) رقم ٢٢١٩٢، و(٢٥٧) رقم ٢٢٢٦٨.  
(٢) جزء من حديث رواه الطبري في تفسيره (٣٧٩/٧) عن معاوية بن قرّة عن أبيه، والبخاري في التفسير (٣١٦/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٦/٤٧)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة رقم ٣٨٣٠ وقال: موضوع.

## فصل

وأما ثمارها فقد قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]. فقولهم: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي شبيهه ونظيره لا عينه، وهل هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار، أو هذا الذي رزقنا من قبل في الجنة؟ فيه قولان: ففي تفسير السدي عن ابن عباس، وابن مسعود، وناس من الصحابة رضي الله عنهم ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أنهم أوتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا.

قال مجاهد: ما أشبهه به، وقال ابن زيد: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، وأتوا به متشابهاً يعرفونه، وقال آخرون: هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل، هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم، وظاهر كلام المحقق الميل إلى هذا، وذكر حجج القولين في «حادي الأرواح»، ثم قال: وأما قوله عز وجل: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ فقال الحسن: خيار كله لا رذل فيه، أم تروا إلى ثمار الدنيا كيف يسترذلون بعضه، وأما ذلك فليس فيه رذل ونحوه، قال قتادة، وقال ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم: متشابهاً في اللون، وقاله ناس من الصحابة أيضاً، قال مجاهد: متشابهاً لونه مختلفاً طعمه، وقاله الربيع بن أنس، وقال يحيى بن أبي كثير: عشب الجنة: الزعفران، وكثبانها المسك، فيطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الذي جئتمونا به أنفأ، فيقول لهم الخدم: كلوا فاللون واحد، والطعم مختلف، فهو قوله عز وجل: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ وقيل: معنى

الآية: أنه يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطعم، وقال: ابن وهب: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا بالفتح والرمان، قالوا في الجنة: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ يعرفونه وليس هو مثله في الطعم، واختار هذا القول ابن جرير وصححه، وزيف القول الآخر، قال قد أخبر سبحانه أنهم قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، بعد أن قال: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾ فكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق من ثمارها ولم يتقدمه عندهم غيره منها «هذا هو الذي رزقناه من قبل»؟ وشنع على من خالف هذا، لكن المحقق انتصر لمن خالفه، وقال: هم يخصون هذا العام بما عدا الرزق الأول لدلالة العقل والسياق عليه، قال: وليس هذا ببدع من طريقة القرآن، وأنت مضطر إلى تصحيحه<sup>(١)</sup> ولا بد بأنواع من التصحيحات<sup>(٣)</sup>.

أحدها: أن كثيراً من ثمار الجنة وهي التي لا نظير لها في الدنيا لا يقال فيها ذلك.

الثاني: أن كثيراً من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التي لها نظير في الجنة.

الثالث: أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة، قالوا: هذا الذي رزقناه في الدنيا، ويستمرون على هذا الكلام دائماً إلى غير نهاية، والقرآن العزيز لم يقصد إلى هذا المعنى، ولا هو مما يعنى به من نعيمهم ولذتهم، وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من

(١) هكذا في الموضعين ولعلها (تخصيصه ... التخصيصات).

المخاطب، ومعناه: أنه يشبه بعضه بعضاً ليس أوله خير من آخره. والله تعالى أعلم.

وقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكِهَةٍ ءَامِينٍ﴾ [الدخان: ٥٥]  
وقال: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١] وقال: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾ لَكُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢-٧٣] وقال تعالى: ﴿وَفَنَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣]. أي لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها.

وقال تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١-٢٣] والقطوف جمع قطف، والقطف بالفتح الفعل يعني المصدر أي ثمارها دانية قريبة يتناولها فيأخذها كيف شاء، قال البراء بن عازب رضي الله عنه يتناول الثمرة وهو نائم.

وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] قال ابن عباس رضي الله عنه إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت إليه حتى يتناول ما يريد، وقال غيره: قريب إليهم مذلة كيف شاءوا، فهم يتناولونها قياماً وقعوداً أو مضطجعين، ومعنى تذليل القطف: تسهيل تناوله.

وأخرج الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل إذا نزع ثمرة عادت في مكانها أخرى»<sup>(١)</sup> وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً: «أهبط الله آدم من الجنة، وعلمه

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٢/٢) رقم ١٤٤٩ بلفظ «من الجنة» بدل «ثمرة» وذكره ابن كثير في التفسير (٦٨٠/٢)، و(٣٦٣/٤)، والهشمي (٧٦٥/١٠) رقم ١٨٧٣١ وقال: رواه الطبراني والبخاري إلا أنه قال: عبد في مكانها مثلاًها ورجال الطبراني وأحد إسنادي البزار ثقات.

صنعة كل شيء، وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تغير»<sup>(١)</sup> وأخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عرضت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفاً أخذته»<sup>(٢)</sup> وفي لفظ: «فتناولت قطفاً فقصرت عنه يدي»<sup>(٣)</sup> وفي «حادي الأرواح» عنه قال: بينما نحن في صلاة الظهر إذا تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا ثم تناول شيئاً ليأخذه، ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب رضي الله عنه: يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه؟ قال: «إنه عرضت علي الجنة وفيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ثمرة الجنة أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم.

القلال: جمع قلة الحب العظيم، ومنه قلال هجر، وهي معروفة بالحجاز، وهجر قرية كبيرة من المدينة، وليست هجر البحرين، وكانت تعمل القلال بها، تأخذ الواحدة مزادة من الماء، سميت قلة لأنها تقل أي ترفع وتحمل. قاله في النهاية: وفي «المطلع»: القلة هي الجرة، سميت

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٢٠٥/١) والحاكم (٥٩٢/٢) رقم ٣٩٩٦ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي (٣٦٤/٨) رقم ١٣٧٤٨ وقال: رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٩٠٤.

(٣) نفس الحديث السابق.

(٤) جزء من حديث أخرجه أحمد (٣٥٢/٣) رقم ١٤٨٤٢، والحاكم (٦٤٧/٤) رقم ٨٧٨٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكر الهيثمي (٢٤٥/٢) رقم ٢٤٨٢ وقال: رواه أحمد.

بذلك لأن الرجل يقلها بيديه - أي يرفعها - والدلاء جمع دلو وهو معروف، والعجم: النوى من التمر والعنب والنبق، وغير ذلك، والواحدة عجمة.



## فصل

وأما زروع الجنة، فقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهَى<sup>(١)</sup> الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية، فقال - يعني النبي ﷺ -: «إن رجلاً من أهل الجنة ليستأذن ربه عز وجل في الزرع، فقال له: أولست فيما اشتهيت؟ فقال: بلى، ولكنني أحب الزرع، فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله عز وجل: دونك يا بن آدم، فإنه لا يشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصاريّاً، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

قال في «حادي الأرواح»: هذا يدل على أن في الجنة زرعاً<sup>(٣)</sup> وذلك البذر منه، قال: ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث، وفي خبر إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة: بينما رجل في الجنة، فقال في نفسه لو أن الله يأذن لي لزرعت، فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه، فيقولون: سلام عليك، يقول: يقول لك ربك تمنيت في نفسك شيئاً فقد علمته، وقد بعث معنا البذر فيقول: ابذروا، فيخرج أمثال الجبال، فيقول له الرب من فوق عرشه: كل يا بن آدم فإن ابن آدم لا يشبع.

(١) هكذا بالأصل وهي قراءة صحيحة ورواها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وحمزة وشعبة، وقراءة حفص ومن معه (تشتهيه). انظر/ عبد الفتاح القاضي/ البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (٣٦٢).

(٢) رواه البخاري رقم ٢٣٤٨، ورقم ٧٥١٩.

(٣) في حاشية الأصل/ قف على أن في الجنة زرعاً.

قال في «حادي الأرواح»: وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع، قلت: قد مر أن نبات الجنة زعفران ومر أن أرضها من فضة أو درمكة، فكيف يقال: إنها تحرث؟ لكن أمور الآخرة لا تقاس على الدنيا، أو يكون البذر بلا حرث، لعدم التلازم بينهما، كما أن أنهارها بلا أخذود، والله يفعل ما يشاء، والواجب على كل ذي لب التسليم، والله تعالى الموفق<sup>(١)</sup>.



(١) في حاشية الأصل/ بلغ.

## الباب الثامن

في ذكر أنهار الجنة وعيونها وطعام أهلها  
وشرابهم ومصرف ذلك وأنيتهم

قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] وقال  
تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [يونس: ٩] فدل على أن الأنهار  
موجودة حقيقة وأنها جارية، وأنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم، كما  
هو المعهود في أنهار الدنيا، وقد ظن بعض المفسرين أن معنى جريانها أنها  
تجري بأمرهم وتصرفهم لها كيف شاءوا.

قال في «حادي الأرواح»: وكان الذي حمله على ذلك أنه لما سمع  
أن أنهارها تجري في غير أخذود، حمل قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي  
بأمرهم، إذ لا يكون فوق المكان تحته، وهذا من ضعف الفهم، فإن أنهار  
الجنة وإن جرت في غير أخذود، فهي تحت القصور والمنازل والغرف،  
وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها، وقد أخبر عن  
جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهِمْ﴾ [الأنعام: ٦] وحكى سبحانه عن فرعون قوله: ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١].

نكتة:

ذكر الإمام العلامة ناصر السنة ابن الجوزي في مجلس وعظه يوماً  
هذه الآية فقال - طيب الله ثراه - : انظروا يا إخواني هذا الأحمق - يعني  
فرعون - افتخر بنهر ما أجراه ما أجراه، فانظر هذه البلاغة التي تكاد

تسلب الفؤاد، والله تعالى يفعل ما يشاء ويختار، سبحان من منح من شاء ما شاء، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] أي فوارتان، وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد قال: نضاختان بالماء والفواكه، وعن أنس رضي الله عنه: نضاختان بالمسك والعنبر، فينضخان على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا.

وعن البراء: اللتان تجريان أفضل من النضاختين، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥] ذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة<sup>(١)</sup> ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فأفة الماء أن يأسن ويأجن - يعني يتغير ويتن - من طول مكثه، فإن قيل: قد وصف سبحانه الأنهار بأنها تجري، ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن فما فائدة قوله: ﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾؟.

فالجواب: الماء الجاري وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه آسن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه مهما طال. واعلم أن في خمر الدنيا آفات كثيرة، ولا كذلك خمر الجنة، ففي خمر الدنيا الصداع، والغول، والإنزاف، واللغو، وعدم اللذة، فهذه خمسة آفات تغتال العقل، وتكثر اللغو على شرابها، بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها وينزف المال، وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت وعلى الأخت وذوات المحارم، وتذهب الغيرة وتورث الخزي

(١) في الأصل (الأربع) والمثبت هو الصواب.

والندامة والفضيحة، وتلحق شُرَابُهَا بأنقص نوع الإنسان - يعني المجانين -  
وتسلبه أحسن الأسماء والصفات - يعني العقل - وتكسوه أقبحها وتسهل  
قتل النفس، وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرة، ومؤاخاة الشياطين في  
تبذير المال ويكفي في ذمها أنها أم الخبائث، فهي جامعة لجميع المفاسد  
والمحرمات، ومانعة من جميع المصالح والخيرات، على أنها لا تجتمع  
هي وخمرة الجنة في جوف كما ثبت ذلك عنه ﷺ أنه قال: «من شرب  
الخمرة في الدنيا لم يشربها في الآخرة»<sup>(١)</sup>.

وجمع سبحانه وتعالى بين هذه الأنهار الأربعة، لأن أنهار الماء فيها  
ريهم ونظافتهم وأنهار اللبن فيها قوتهم وغذاؤهم، وأنهار الخمر فيها لذتهم  
وسرورهم، وأنهار العسل فيها شفاؤهم ومنفعتهم، فجمع بينها لهذه، فإنها  
جمعت أفضل الأشربة، والله أعلم.

واعلم أن أنهار الجنة تتفجر من أعلاها، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى  
درجاتها كما أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ  
أنه قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله،  
بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه  
الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر  
أنهار الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الترمذي عن معاذ وعبادة بن الصامت نحوه، ولفظ عبادة:  
«والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة، والعرش فوقها، فإذا سألتم

(١) رواه ابن ماجه (١١٢٠/١) رقم ٣٣٧٤ واللفظ له عن أبي هريرة، والبخاري بزيادة  
واختلاف في بعض الألفاظ رقم ٥٥٧٥، وكذا مسلم رقم ٢٠٠٣ عن ابن عمر.

(٢) رواه البخاري رقم ٢٧٩٠.

الله فسلوه الفردوس الأعلى»<sup>(١)</sup>.

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقتها مثل قلال هجر، وورقتها مثل أذن الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ فقال: النهران الباطنان ففي الجنة، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات»<sup>(٢)</sup>.

وفيه أيضاً: أن النبي ﷺ قال: «بيننا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافته قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: الكوثر الذي أعطاك ربك»<sup>(٣)</sup>، فضرب الملك بيده، فإذا طينه مسك أذفر» - أي شديد الرائحة - وهو بالذال المعجمة.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الخير الكثير، وقال أنس: نهر في الجنة، وقالت عائشة رضي الله عنها: «هو نهر في الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه، إلا يسمع خرير ذلك النهر»<sup>(٤)</sup>.

قال في «حادي الأرواح»، وهذا والله أعلم معناه أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل أصبعيه في أذنيه، وفي «حادي

(١) رواه الترمذي (٦٧٥/٤) رقم ٢٥٣٠.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٣٢٠٧، ورقم ٥٦١٠.

(٣) البخاري رقم ٤٩٦٤ وليس فيه «الذي أعطاك ربك» رواه بهذا اللفظ أحمد في (٢٣١/٣) رقم ١٣٤٤٩، والترمذي (٤٤٩/٥) رقم ٣٣٥٩ وفيه «قد أعطاك الله» ورقم ٣٣٦٠.

(٤) روى الطبري في التفسير (٧١٦/١٢) موقوفاً على عائشة «من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه» وذكره ابن كثير في التفسير (٧٢١/٤) وقال: هذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة، وفي بعض الروايات عن رجل عنها، ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك لا أنه يسمعه نفسه، والله أعلم، قال السهيلي: ورواه الدارقطني مرفوعاً من طريق مالك ابن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة عن النبي ﷺ.

الأرواح» عن النبي ﷺ: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك»<sup>(١)</sup>.

ورواه الحاكم أيضاً وصح عن عبد الله موقوفاً: إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك، وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه قال: أظنكم تظنون أنهار الجنة أخذوداً في الأرض، لا والله إنها لسايحة على وجه الأرض، إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت، وطينه المسك الأذفر قيل له: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط له.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان، والنيل والفرات كل من أنهار الجنة»<sup>(٢)</sup>. وفي «حادي الأرواح» عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «أنزل الله من الجنة خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨] فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل عليه السلام فرفع من الأرض القرآن والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة، فرفع ذلك كله إلى السماء فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِنَّ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨] فإذا رفعت هذه الأشياء

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٢٣/١٦) رقم ٧٤٠٨ عن أبي هريرة بلفظ: «أنهار الجنة تخرج من تحت تلال أو من تحت جبال مسك» وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠/٤١٣) وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٢٨٦) رقم ٥٦٦٣.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٨٣٩.

من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

رواه ابن عدي في ترجمة مسلمة، والحديث غير ثابت، لأن فيه أحمد بن عدي، قال في حقه البخاري: منكر الحديث. وفي «حادي الأرواح»: عامة أحاديثه غير محفوظة، وبالجملة فهو من الضعفاء، وقال النسائي: هو متروك، وقال أبو حاتم: لا يشتغل به، ثم أخرج له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن في الجنة نهراً يقال له البيدخ، عليه قباب من ياقوت تحته جوار، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجل<sup>(٢)</sup> منهم جارية مس معصمها فتتبعه»<sup>(٣)</sup>.

فهذا من جملة مروياته المستنكرات عليه. والله الموفق.



(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٥٧/١)، وابن عدي في الكامل (٣١٥/٦) في ترجمة مسلمة بن علي أبو سعيد الخشني الشامي رقم ١٧٩٩، وقد قال في آخره وهذان الحديثان أحدهما رواه مسلمة عن مقاتل والثاني رواه عن عمر بن صبيح عن مقاتل جميعاً غير محفوظين بل هما منكر المتن.

(٢) في الأصل (رجلا).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٩٤/١)، وهو منكر كما ذكر المصنف.

## فصل

وأما عيون الجنة فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥] وقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٦] قال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيث ما مالوا مالت معهم، وقد اختلف في قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ فقال الكوفيون: الباء بمعنى من، أي يشرب منها، وقال آخرون: بل الفعل مضمن، ومعنى يشرب بها أي يروى بها، فلما ضمنه معناه عداه تعديته.

قال في «حادي الأرواح»: وهذا أصح وألطف وأبلغ، وقالت طائفة: الباء للظرفية، والعين اسم للمكان، كما تقول: كنا بمكان كذا وكذا، ونظير هذا التضمن، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظَلَمِ﴾ [الحج: ٢٥] أي: بهم، فعدي تعديته، وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا سُمِّيَ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان: ١٧-١٨] فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً، وإن شراب الأبرار يمزج منها، لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ۝٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ۝٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ ۝٢٦﴾ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٦﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ۝٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٨]. فأخبر سبحانه أن مزاج شرابهم بشيئين، بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع

الشرابين، ومجيء أحدهما على إثر الآخر حالة أكمل وأطيب وألذ من كل واحد منهما بانفراده، وتعديل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما أطف موقع ذكر الكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء بعده فيعدله.

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب، أحدهما مزج بكافور، والثاني مزج بزنجبيل، وأيضاً فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور، وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والإيثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التي نبه بوفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها وهو ما أوجبه الله عليهم. ولهذا قال: ﴿وَجَزَّئَتْهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢] فإن في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم تعالى بين النضرة والسرور، فهذا جمال ظواهرهم، وهذا جمال بواطنهم، كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان، ونظيره قوله تعالى في آخر السورة: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]. فهذا زينة الظاهر، ثم قال: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]. فهذا زينة الباطن المطهر له من كل أذى ونقص، ونظير هذا قوله تعالى لأبيهم آدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩] فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذل الظاهر بالعري، وأن لا يناله حر الباطن بالظما، ولا حر الظاهر بالضحى، والضح هو الحر، ومنه حديث: «لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان»<sup>(١)</sup> أي: يكون نصفه

(١) رواه أحمد (٤١٣/٣) رقم ١٥٤٥٩، وروى نحوه عبد الرزاق في مصنفه (٢٤/١١) =

في الشمس ونصفه في الظل.

وحديث عياش بن أبي ربيعة لما هاجر أقسمت أمه بالله لا يظلمها ظل ولا تزال في الضح والريح حتى يرجع إليها، ذكره في النهاية، ونعم الله لا تحصى، وأياديه لا تستقصى، ﴿وَإِنْ نَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، والله سبحانه أعد لعباده المتقين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

\* \* \*

= رقم ١٩٧٩٩، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٢٣٧) رقم ٥٧١٦، وذكره الهيثمي (٨/١١٧) رقم ١٢٩٢٧ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير كثير بن أبي كثير وهو ثقة.

## فصل

وأما طعام أهل الجنة، وشرابهم، ومصرفه، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَةٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٤٢﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَانُوا يَكْمُلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المرسلات: ٤١-٤٣] وقال تعالى: ﴿كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤] وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٦-٧٧] وقال: ﴿شَلُّوا أَسْمَانًا الَّتِي كُنْتُمْ تُكْفَرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد: ٣٥] وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَتْهُمْ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ أَلْمُنْفُسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٥-٢٦] وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جشأ كريح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس»<sup>(١)</sup> وفيه أيضاً عنه أنهم قالوا للنبي ﷺ: «فما بال الطعام؟ قال: «جشأ ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد»<sup>(٢)</sup> قوله: «فما بال الطعام؟ قال جشأ كذا في جميع نسخ مسلم، قال الوقشي ولعله قال لأنه جاء في رواية الزبيدي أن يهودياً يعني حديث زيد بن أرقم الذي أخرجه الإمام أحمد، قال في «مشارك الأنوار»: «والبال يأتي في معنى الحال، كقوله: ما بال هذه؟ أي ما حالها وشأنها، فمعناه: ما بال عقبي الطعام؟ أو ما شأن عقبا؟»

(١) رواه مسلم رقم ٧٣٣١ بلفظ «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفنون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشأ ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس».

(٢) مسلم رقم ٢٨٣٥ بلفظ «جشأ» و«التحميد» بدل «جشأ» و«الحمد».

وأخرج الإمام أحمد والنسائي بإسناد صحيح عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: «نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة، قال: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له حاجة، وليس في الجنة أذى، قال: تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمربطنه»<sup>(١)</sup> ورواه الحاكم في صحيحه بنحوه. وفي (حادي الأرواح) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخرب بين يديك مشوياً»<sup>(٢)</sup>. وأخرج الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي، فقال أبو بكر رضي الله عنه إنها لناعمة يا رسول الله؟ قال: أنعم منها من يأكلها يا أبا بكر»<sup>(٣)</sup> وفي «حادي

- (١) رواه أحمد (٣٦٧/٤) رقم ١٩٢٨٨ باختلاف ونقص في بعض الألفاظ، وكذا ابن حبان في صحيحه (٤٤٣/١٦) رقم ٧٤٢٤ والطبراني في الكبير (١٧٧/٥) رقم ٥٠٠٤ مختصراً، والنسائي في السنن الكبرى (٤٥٤/٦) رقم ١١٤٧٨، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٥٣٩/٤) وقال عنه العراقي: أخرجه النسائي في الكبرى بإسناد صحيح.
- (٢) أخرجه البزار في مسنده (٤٠١/٥) رقم ٢٠٣٢ بلفظ «فيجي» بدل «فيخر»، وذكره ابن كثير في التفسير (٣٦٣/٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٩١/٧)، و(١٠/٨)، والغزالي في إحياء علوم الدين (٥٤٠/٤) وقال عنه العراقي: أخرجه البزار بإسناد صحيح.
- (٣) هذه الرواية أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (١٥/٦) في ترجمة الفضل بن مختار رقم ١٥٦١ وقال بعد إيراده أحاديثه: وهذه الأحاديث بهذا الإسناد الذي ذكرته لا يروها غير الفضل بن مختار وبه تعرف، وعامتها مما لا يتابع عليه، وقال في آخره: وعامتها مما لا يتابع عليه إما إسناداً وإما متنأ، وأخرجها كذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/١٦٤) وأخرجه الحاكم (٥٨٥/٢) رقم ٣٩٧٨ عن أنس في حديث عن الكوثر وفيه «يرده طائر أعناقها مثل أعناق الجزر، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله: إنها لناعمة، فقال: أكلها أنعم منها» وقال: قد أخرج هذا الحديث مسلم، ووافقه الذهبي.
- والرواية الأخرى أخرجه أحمد ضمن حديث عن الكوثر وفيه «فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنها لناعمة يا رسول الله، قال: فقال رسول الله =

الأرواح» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَكَايِبٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨] يقول الخمر، ﴿لَا فِيهَا عَوُّ﴾ [الصفات: ٤٧] ولا صداع. ﴿وَلَا يُزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩] لا تذهب عقولهم، وفي قوله: ﴿وَأَسَا دِهَاقًا﴾ [النبا: ٣٤] ممتلئة، وفي قوله: ﴿رَحِيقٍ مَّخْتَوٍ﴾ [المطففين: ٢٥] يقول: الخمر خُتِمَ بالمسك، وقال علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه (ختامه مسك) قال: خلطه وليس بخاتم يختم.

قال المحقق قلت: يريد والله أعلم أن آخره مسك فيخالطه، فهو من الخاتمة ليس من الخاتم، وعن مسروق الرحيق الخمر، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك. وقال عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِّن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧] قال: يمزج لأصحاب اليمين، ويشربها المقربون صرفاً، وكذلك قال ابن عباس: يشرب منها المقربون صرفاً، وتمزج لمن دونهم، وقال عطاء: التسنيم اسم العين التي يمزج منها الخمر.

وقال في (حادي الأرواح): في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلاً﴾ [الإنسان: ١٨] قال بعضهم: إنها جملة مركبة من فعل وفاعل، وسلسيلاً منصوب على المفعول، أي سل سبيلاً إليها، قال: وليس هذا بشيء، وإنما السلسيل كلمة مفردة، وهي اسم للعين نفسها باعتبار صفتها، وقال قتادة في اشتقاقها: سَلِسَةٌ لهم يصرفونها حيث شاءوا، وهو من الاشتقاق الأكبر، وقال مجاهد: سَلِسَةٌ السبيل حديدة الجرية، وقال أبو العالية: تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم، وهذا من سلاستها وحدة جريتها.

وقال آخرون: معناها طيبة الطعم والمذاق، وقال أبو إسحاق:

= سَلِسَةٌ: «أكلوها أنعم منها» أحمد (٢٣٦/٣) رقم ١٣٥٠٥، وصر (٢٣٦) رقم ١٣٥٠٠ بلفظ «أكلتها» والترمذي (٦٨٠/٤) رقم ٢٥٤٢ عن أنس وقال: هذا حديث حسن غريب.

سلسبيل صفة لما كان في غاية السلاسة، فسميت العين بذلك، وصوب ابن الأنباري أن سلسبيل صفة للماء وليس باسم للعين، واحتج بأن سلسبيل مصروف، ولو كان اسماً للعين لمنع من الصرف، وأيضاً فإن ابن عباس رضي الله عنه قال معناه: إنها تسيل في حلوقهم انسلاًلاً.

ورده الإمام المحقق بأن الصرف إنما هو لاقتضاء رءوس الآي له كفظائره، وأما قول ابن عباس فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة، والله أعلم.

ومما قررنا علم أن المختار أن العين تسمى سلسبيلا ليس إلا، ولذا قيل، شعر:

دع الدنيا ولا تركز إليها      وكن مع من فر منها سلسبيلا  
لعلك في جنان الخلد تحظى      بها عين تسمى سلسبيلا  
تنبيه:

قد تضمنت الأخبار التي ذكرناها أن لأهل الجنة فيها خبزاً ولحمًا وفاكهة، وحلوى وأنواع أشربة من الماء واللبن والخمر والعسل، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الموافقة في الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.

فإن قيل: فأين يشوى اللحم ولا ثم نار؟ قلت: أجاب بعض العلماء عن هذا الاستشكال بأنه يشوي في الجنة بأسباب قدرها الله سبحانه غير النار، كما قدر إنضاج الثمر والطعام، وقيل غير ذلك. وظاهر كلام الإمام المحقق في «حادي الأرواح» أنه يشوى في الجنة بنار تكون مصلحة غير مفسدة، بل صرح بذلك حيث قال: لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح ولا

تفسد شيئاً، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «مجامرهم الألو»<sup>(١)</sup> فالمجامر جمع مجمر، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه، والألوه العود المطري كما مر، فأخبر سبحانه<sup>(٢)</sup> أنهم يتجمرون به أي يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم رائحته، وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالاً، والظلال لا بد أن تقي مما يقابلها، فقال: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ﴾ [يس: ٥٦] وقال: ﴿وَتُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعي أسباباً تتم بها، والله سبحانه خالق السبب والمسبب، وهو رب كل شيء ومليكه، لا إله إلا هو، هذا كلامه، وهو تأييد لما صوبه أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز العليم لإنضاجه وإصلاحه، كما قدر هناك أسباباً لإنضاج الثمر والطعام، وكما جعل في أجواف العالم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلفظه ويهيؤه لخروجه رشحاً وجشاً، وكذلك ما هناك من الثمار والفواكه يخلق لها من الحرارة ما ينضجها، ويجعل سبحانه أوراق الشجر حللاً قرب الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق بالأسباب، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها تختلف، وقد أجاب بعضهم عن الاستشكال بأنه يشوى بكن، وآخرون: بأنه يشوى خارج الجنة، ثم يؤتى به إليهم قلت: وحديث ابن مسعود حجة لمن قال يشوى بكن، وتقدم قريباً.

والحاصل أن الله قادر، والقادر الذي لا يجوز عليه العجز البتة لا يسع كل ذي لب إلا التسليم لما أخبر هو به أو نبيه ﷺ، فإن إخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما هو إخبار منه تعالى على ألسنتهم، وربما سبحانه

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٢٤٦، ومسلم ٢٨٣٤.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: فأخبر سبحانه، لعله فأخبره ﷺ، لأن المتقدم حديث نبوي وليس حديثاً قدسياً، ويمكن الجواب عنه بأن إخبار الأنبياء عليهم السلام هو إخبار من الله تعالى على لسانه، فيصير قوله: فأخبر سبحانه أي أخبر على لسان نبيه، لأن النبي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، انتهى، كاتبه حفيد المؤلف/ عبد القادر السفاريني.

جعل للأشياء أسباباً غير الأسباب المعهودة المألوفة، فينكر ذلك من لا عنده علم ولا عقل ولا فهم، فهذا محض الجهل والظلم، إذ ليست قدرته تعالى قاصرة عن أسباب آخر، ومسببات ينشؤها منها كما لم تقتصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته، وليس هذا بأهون عليه من ذلك، ولعل النشأة الأولى التي أنشأها تعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب، ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من تربة الجنة ومائها وهوائها ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة، من بين فرث ودم، ومن قيء ذباب أعجب من إخراجها أنهاراً في الجنة بأسباب آخر، ولعل إخراج جوهري الذهب والفضة في عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من إنشائها هناك من أسباب، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمرة والصفرة أحكم بناء أعجب من إخراجها من أكام تتفتق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخذود.

وبالجمله فالمعبود بحق قادر على كل شيء، والقادر له أن يعكس الأسباب بأن يجعل الماء ينضج ويحرق إذ لا يسأل عما يفعل، وإذا تأمل العاقل بين أمور الدنيا والآخرة، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به تعالى من أمور الآخرة من الجنة والنار وما فيهما وجد هذه الأشياء أنموذجاً دالاً على تلك أتم دلالة شاهدة لها، فمن رزقه الله علماً لدنيا وقذف في قلبه نوراً ربانياً انكشف جميع ذلك لبصيرته انكشافاً تاماً فآمن به، واطمأن قلبه، وصدق به فكان مؤمناً حقاً، والذين حجبوا عن ذلك وجعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، فبعداً لقوم لا يؤمنون.

## فصل

وأما آيتهم، فقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١] والصحاف جمع صفحة وهي: القصاص، قاله الكلبي، وقال الليث: الصفحة قصعة مسطحة<sup>(١)</sup> عريضة والجمع صحاف، والأكواب جمع كوب هو المستدير الرأس الذي لا أذن له، ومرت الإشارة إليها، وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ<sup>(٣)</sup>﴾ يَا كُوبِ وَأَبَارِقُ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿[الواقعة: ١٧-١٨] فالأباريق هي الأكواب، غير أن لها خراطيم، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير، يرى من ظاهرها ما في باطنها، والعرب تسمى السيف أبريقاً لبريق لونه.

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِبَائِنَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا<sup>(٤)</sup> قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا<sup>(٥)</sup>﴾ [الإنسان: ١٥-١٦] فالقوارير هي الزجاج وشفافته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقطع توهم كون تلك القوارير من زجاج بقوله من فضة.

وأخرج البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافهما، فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة»<sup>(٦)</sup>.

(١) هكذا بالأصل ولعلها (مسطحة).

(٢) في الأصل (ويطوف) والمثبت هو الصواب.

(٣) رواه البخاري رقم ٢٤٢٦ بلفظ «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة» ورواه مسلم رقم ٢٠٦٧ باختلاف يسير جداً.

وأخرج أبو يعلى الموصلي عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا، فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثنى عليه معروفاً<sup>(١)</sup> كان أعجب لرؤياه إليه، فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأنني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة ارتجت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، فسمت اثني عشر رجلاً - كان رسول الله ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك - فجيء بهم عليهم ثياب طلس، تشخب أوداجهم، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدح أو البندخ، فغمسوا فيه، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر، فأكلوا من بسرة ما شاءوا، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم، فجاء البشير من تلك السرية، فقال: أصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلاً، فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال: قصي رؤياك، وجعلت تقول: جيء بفلان وفلان كما قال<sup>(٢)</sup> ورواه أحمد في مسنده بنحوه. قال في «حادي الأرواح»: وإسناده على شرط مسلم.

\* \* \*

(١) في الأصل (معروف).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٤/٦) رقم ٣٢٨٩، وابن حبان في صحيحه (٤١٨/١٣) رقم ٦٠٥٤، وأحمد (١٣٥/٣) رقم ١٢٤٠٨، و(٢٥٧) رقم ١٣٧٢٣، وذكره الهيثمي (٧/

٣٦٥) رقم ١١٧٣٦ وقال: زواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

### الباب التاسع

في ذكر لباس أهل الجنة وحليتهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم  
ووساندهم وسررهم وأرائكهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾  
يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الدخان: ٥١-٥٣] وقال تعالى:  
﴿يَحُلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا  
عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

قال في «حادي الأرواح» عن جماعة من المفسرين: السندس ما رق  
من الديباج، والإستبرق ما غلظ منه.

وقالت طائفة: ليس المراد به الغليظ، ولكن المراد به الصفيق، وقال  
الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الخضر، وألين الملابس  
الحرير، فجمع لهم سبحانه بين حسن المنظر وحسن اللباس مع نعومته  
وتلذذ الجسم به.

وقد ذكر في «حادي الأرواح» مسألة عظيمة، وملخصها: أنه قد قال  
سبحانه: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] وقد صح عن المصطفى  
ﷺ أنه قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»<sup>(١)</sup>، أخرجه  
البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عمر وأنس رضي الله عنهما، وقيل: لا يلبس  
الحرير في الجنة، ولكن يلبس غيره، وخصوا عموم الآية، وقيل: هو من

(١) رواه البخاري رقم ٥٨٣٣، ٥٨٣٤، ومسلم رقم ٢٠٧٣ ورقم ٢٠٢٤.

الوعيد الذي له حكم أمثاله، مثل قوله ﷺ: «من أتى كاهناً، فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد»<sup>(١)</sup> أو كما قال، فيحمل على الزجر، فإذا تاب فلا خلاف في أنه خرج من عهدة الوعيد، وكذا الحسنات الماحية، والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين، وشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة فيه، وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه، ونظيره: «من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة»<sup>(٢)</sup> وسمعت بعض السادة يقول: أخشى على من لبس الحرير في الدنيا ولم يتب أن يخرج من الدنيا على غير فطرة الإسلام، وكان ذلك لكون من يدخل الجنة لا بد وأن يلبس الحرير، ومن مات مسلماً لا بد من دخوله الجنة، والمصطفى ﷺ منع أن يلبس الحرير في الجنة، فعلى هذا لا يموت مسلماً، ونعوذ بالله ونسأل الله الهداية والعناية بمنه وكرمه، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١] فقله: عليهم أي: بارزاً وظاهراً، يجمل ظواهرهم، ليس ذلك بمنزلة الشعار الباطن، بل ذلك للزينة والجمال، وقرئ عليهم بالرفع على الابتداء، وبالنصب على الظرفية كما صوبه في «حادي الأرواح».

فإن قيل: عال مفرد، وثياب جمع، فكيف يخبر عن المفرد بالجمع؟  
فالجواب: إن عالياً قد يراد به الكثرة، كقول الشاعر:

ألا إن جيران العشيّة رايح دعتهم دواع من هوى ومناح  
ومنه قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْرِبِينَ بِهٖ سَمِرًا تَهَجُّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧]

(١) رواه أحمد (٤٢٩/٢) رقم ٩٥٣٢ بزيادة «بما يقول»، وابن ماجه (٢٠٩/١) رقم ٦٣٩ بزيادة «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها» وكذا الدارمي في سننه (٢٧٥/١) رقم ١١٣٦، والحاكم (٤٩/١) رقم ١٥ بلفظ أحمد وقال: هذا حديث على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٢) تقدم ص ١٨٥ .

فقوله: عاليهم بالرفع مبتدأ، وثياب سندس خبره، ومن رفع خضراً جعله صفة لثياب وهو الأقيس، ومن جره جعله صفة لسندس على إرادة الجنس، كما يقال: أهلك الناس الدينار الصفر، والدرهم البيض، ووجه الرفع أقيس وأسلم من وجوه:

أحدها: المطابقة بينهما في الجمع.

الثاني: موافقته لقوله تعالى: ﴿وَيَبْسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: ٣١].

الثالث: تخلصه من وصف المفرد بالجمع.

الرابع: مجيء كلام العرب بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠] وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْمَارُ نَحْلِ مُنْعَرٍ﴾ [القمر: ٢٠] والله أعلم.

وفي «حادي الأرواح» عن الحسن: الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء، وفيه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا بسواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»<sup>(١)</sup> وفيه ابن لهيعة وثقه الإمام أحمد، وتكلم فيه ابن معين وغيره، وفيه عن أبي أمامة مرفوعاً في أهل الجنة: «مسورون بالذهب والفضة، مكللون بالدر عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جرد مرد مكحلون»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد (١٦٩/١) رقم ١٤٤٩، وص ١٧١) رقم ١٤٦٧، والطبراني في الأوسط (٨/

٣٦٣) رقم ٨٨٨٠، والترمذي (٦٧٨/٤) رقم ٢٥٣٨ وقال: هذا حديث غريب، كلهم

عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير (٣/٧٣٥) والسيوطي في الدر المنثور (٧/٢٦) وعزاه لابن أبي

حاتم عن أبي أمامة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان وهو يتوضأ للصلاة يمد يده حتى تبلغ إبطه، فقال له أبو حازم، يا أبا هريرة، ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بني فروخ، أنتم ههنا؟ لو علمت أنكم هاهنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلي رضي الله عنه يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»<sup>(١)</sup> وفي هذا استثناس لمن استحب غسل العضد وإطالته، قلت: صححه في (الإنصاف)، وجزم به في (المغني، والشرح)، وابن رزين وغيره، وقدمه في (الفروع)، وعنه لا يستحب ذلك.

قال الإمام أحمد: لا يغسل فوق المرفق، قال في (الفاثق): ولا تستحب الزيادة على محل الفرض في أنص الروايتين، وهو الذي صححه الإمام المحقق قال: وهو قول أهل المدينة: ولا حجة في الحديث، لأن الحلية إنما تكون زينة في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف، وأما ما في الحديث: «فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»<sup>(٢)</sup> فهذه الزيادة من كلام أبي هريرة رضي الله عنه مدرجة في الحديث، لا من كلامه رضي الله عنه قال: وكان شيخ الإسلام قدس الله روحه يقول: هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الغرة لا تكون إلا في الوجه وإطالته غير ممكنة، إذ يدخل في الرأس ولا يسمى ذلك غرة، والله أعلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا

(١) رواه مسلم رقم ٢٥٠ ولم أقف عليه بهذا السياق عند البخاري وسياق البخاري هو الوارد في الحديث التالي.

(٢) رواه البخاري رقم ١٣٦، ومسلم رقم ٢٤٦ وفيه «إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء» الحديث - عن أبي هريرة.

عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: جاء أعرابي عُلوِيّ<sup>(٢)</sup> جرمي فقال: يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة إليك أين ما كنت؟ أم لقوم خاصة؟ أم إلى أرض معلومة؟ أم إذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرار، ثم جلس، فسكت رسول الله ﷺ ثم قال: «أين السائل؟» قال: هاهو ذا يا رسول الله، قال: الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر فقام آخر: فقال يا رسول الله أخبرني عن ثياب أهل الجنة تخلق خلقاً، أم تنسج نسجاً؟ قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «تضحكون من جاهل يسأل عالماً؟ فسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال: أين السائل عن ثياب الجنة؟ قال: هاهو ذا يا رسول الله قال: لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة ثلاث مرار»<sup>(٣)</sup>.

وعند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها،

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٣٦ وليس فيه «في الجنة» الحديث، ورواه هذه الزيادة أحمد (٢/٤٠٧) رقم ٩٢٦٨، و(٤١٦) رقم ٩٣٨٠، و(٣٦٩) رقم ٨٨١٣، وأبو يعلى في مسنده (٣١٣/١١) رقم ٦٤١٨، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١١٩) رقم ٣٦.  
(٢) ليست بالأصل، وهي نسبة إلى العالية، والعوالي أماكن بأعلى أرض المدينة، وأدناها من المدينة على أربعة أميال، وأبعدها من جهة نجد ثمانية - النهاية - مادة: علا.  
(٣) رواه أحمد (٢/٢٢٤) رقم ٧٠٩٥ بلفظ «علوي جرى» واختلاف آخر يسير، ورواه بنحوه الطيالسي في مسنده (٣٠٠) رقم ٢٢٧٧ وروى جزءاً منه الطبراني في الأوسط (٢/٣٥٤) ولكن عن جابر، والبخاري (٤٠٨/٦) رقم ٢٤٣٤ وذكره الهيثمي (١٠/٧٦٦) رقم ١٨٧٣٥ و(٧٦٧) رقم ١٨٧٣٦ وقال: رواه البخاري في حديث طويل ورجاله ثقات.

قيل لأبي هريرة رضي الله عنه ما النصيف؟ قال: «الخمار»<sup>(١)</sup>.

وفي «حادي الأرواح» عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «إن الرجل في الجنة ليتكى سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه، فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيئ ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام، ويسألها: من أنت؟ فتقول أنا المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً، أداها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها لتيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيئ ما بين المشرق والمغرب»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي منه ذكر التيجان وما بعده<sup>(٣)</sup>. وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى ففتح له أكمامها، فيأخذ من أي ذلك، شاء أبيض وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، مثل شقائق النعمان»<sup>(٤)</sup> وأرق وأحسن<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٤٨٣/٢) رقم ١٠٢٧٥، وذكره الهيثمي (٧٦٧/١٠) رقم ١٨٧٣٩ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد (٧٥/٣) رقم ١١٧٣٣، وابن حبان في صحيحه (٤٠٩/١٦) رقم ٧٣٩٧، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٥/٢) رقم ١٣٨٦، وذكره الهيثمي (٧٧٥/١٠) رقم ١٨٧٦٢ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن.

(٣) الترمذي (٦٩٥/٤) رقم ٢٥٦٢.

(٤) شقائق النعمان هو الزهر الأحمر المعروف، ويقال له: الشَّقْرُ، وأصله من الشقيقة وهي الفرجة بين الرمال، وأضيفت إلى النعمان وهو ابن المنذر - ملك العرب - لأنه نزل شقائق رمل قد أنبت هذا الزهر فاستحسنه، فأمر أن يُحمى له، فأضيفت إليه وسميت «شقائق النعمان» النهاية - مادة: شقق.

(٥) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٩٤/٤) رقم ٥٦٩٩، وابن كثير في التفسير (٢/٦٧٣).

وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل: ما حلل الجنة؟ قال: شجر فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها فانفلقت عن سبعين حلة ألواناً بعد ألوان، ثم تنطبق ترجع كما كانت<sup>(١)</sup>، وعنده عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل ما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دار المؤمن في الجنة لؤلؤ فيها شجرة، فتنبت الحلل، فيأخذ الرجل بأصبعيه وأشار بالسبابة والإبهام سبعين حلة متمنقة باللؤلؤ والمرجان.

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: «أهدي أكيدر دومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة من سندس فتعجب الناس من حسنها، فقال صلى الله عليه وسلم: لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»<sup>(٣)</sup>.

وفيها أيضاً عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»<sup>(٤)</sup>.

قال في «حادي الأرواح»: لا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه هاهنا، فإنه كان في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين،

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٨٦/٤) رقم ٥٦٦٤ وقال: رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً بإسناد حسن.

(٢) رواه الطبري في التفسير (٣٧٩/٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٣١٦/١)، وابن حبان في صحيحه (٤٢٩/١٦) رقم ٧٤١٣ وأبو يعلى في مسنده (٥١٩/٢) رقم ١٣٧٤.

(٣) رواه البخاري رقم ٢٦١٥، ورقم ٣٢٤٨، ومسلم رقم ٢٤٦٩.

(٤) البخاري رقم ٥٨٣٦، ومسلم ٢٤٦٨.

واهتز لموته العرش<sup>(١)</sup>، وكان ﷺ لا تأخذه في الله لومة لائم، وختم الله له بالشهادة وأثر رضى الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله من فوق سبع سماوات، ونعاه جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ يوم موته، فحق له ﷺ أن يكون مناديله التي يمسح بها يديه أحسن من حلل الملوك، وقد<sup>(٢)</sup> ذكرت في كتابي «تحيير الوفا في سيرة المصطفى» في وقعة بني قريظة ما يشفي، وذكرت في قصة إسلامه ﷺ ما يدل على رسوخه وعلو كلمته، رضوان الله عليه فإنه كان من الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم.

\* \* \*

(١) انظر البخاري رقم ٣٨٠٣، ومسلم رقم ٢٤٦٦.  
 (٢) في حاشية الأصل/ مطلب: للمؤلف كتاب اسمه «تحيير الوفا في سيرة المصطفى».

## فصل

## ومن ملابس أهل الجنة التيجان على رؤوسهم

أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «من قرأ القرآن فقام به آناء الليل وأطراف النهار، ويحلل حلاله، ويحرم حرامه، خلطه الله بلحمه ودمه، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجاً، فقال: يا رب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا إلا فلاناً كان يقوم بي آناء الليل والنهار فيحل حلاله ويحرم حرامه، يقول: رب فأعطيه، فَيَتَوَجَّهُ اللهُ تاج الملك ويكسوه من حلة الكرامة، ثم يقول: هل رضيت؟ فيقول: يا رب أرغب له في أفضل من هذا، فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله، ثم يقول له: هل رضيت؟ فيقول: نعم، يا رب»<sup>(١)</sup>.

وفي مسند الإمام أحمد عن بريدة رضي الله عنه مرفوعاً: «تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة، ثم سكت ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، والقرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب»<sup>(٢)</sup>، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول له القرآن: أنا الذي أظمأتك في الهواجر. وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٤٥/٢) رقم ١٩٩١، وذكره الهندي في كتر العمال (١)

(٥٣٩) رقم ٢٤٢٠ .

(٢) في الأصل (المشاحب).

بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه جبتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً<sup>(١)</sup> قوله: البطلة: أي السحرة، والغاية ما أظلم الإنسان، وكذا الغمامة.

\* \* \*

---

(١) رواه أحمد (٣٤٨/٥) رقم ٢٣٠٠٠، والدارمي في سننه (٥٤٣/٢) رقم ٣٣٩١، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٤/٢) رقم ١٩٨٩، وذكره الهيثمي (٣٣٠/٧) رقم ١١٦٣٣ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

## فصل

وأما الفرش، فقال تعالى: ﴿مُتَّكِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وقال: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] فسر قوله: بطائنها من إستبرق: على أن ظواهرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها للأرض وظواهرها للجمال، قال عبد الله رضي الله عنه: هذه البطائن قد أخبرتم بها فكيف بالظواهر؟ ويدل قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ على أنها عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظاهرة، وأخرج الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمس مائة عام»<sup>(١)</sup>.

قال الترمذي: غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين<sup>(٢)</sup> بن سعد قال في (حادي الأرواح): قلت: رشدين<sup>(٢)</sup> بن سعد عنده مناكير، وبين ذلك، ومعنى الحديث كما قال الترمذي: إن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها، وعند عبد الله بن وهب عن أبي سعيد مرفوعاً: «ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض»<sup>(٣)</sup>.

قال في «حادي الأرواح»: وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ، كذا قال: وأخرج الطبراني عن كعب في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: مسيرة أربعين سنة، وعن أبي أمامة: لو أن أعلاها يسقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفاً، رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً، ورواه الطبراني مرفوعاً: بلفظ:

(١) رواه الترمذي (٤٠١/٥) رقم ٣٢٩٤، وقال: هذا حديث غريب، وج ٦٧٩/٤ رقم ٢٥٤٠، وأحمد (٧٥/٣) رقم ١١٧٣٧، وابن حبان في صحيحه (٤١٨/١٦) رقم ٧٤٠٥، وأبو يعلى (٥٢٨/٢) رقم ١٣٩٥، ودافع عنه العسقلاني في القول المسدود (٧٢) الحديث الرابع عشر.

(٢) في الأصل (رشد بن سعد) في الموضعين.

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٥٣٩/٤).

سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة قال: «لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف»<sup>(١)</sup>. ونظر في رفعه المحقق.

وأما البسط فقال تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى رُقْفٍ حُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] وقال: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ (١٣) و﴿أَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ (١٤) و﴿فَارُوقٌ مَّصْفُوفَةٌ﴾ (١٥) و﴿زَرَائِبٌ مَبْنُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٦] قال جبير: الرفرف رياض الجنة، والعبقري: عتاق الزرابي، قال الحسن في قوله تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى رُقْفٍ حُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ هي البسط، قال: وأهل المدينة يقولون هي البسط، والنمارق هي الوسائد، قاله الواحدي في قول الجميع، واحدها نمرقة بضم النون، وحكى الفراء كسرهما، والزرابي: البسط والطنافس، واحدها زريبة في قول جميع أهل اللغة والتفسير، وقوله: مبثوثة: أي مبسوطة مثورة، وقال الليث: الرفرف ضرب من الثياب خضر تبسط، الواحد ررفة، وقال أبو عبيدة: الرفارف البسط، وقيل: رياض الجنة، وتقدم، وقيل: الوسائد، وقيل غير ذلك، وقال المحقق: قلت: أصل الكلمة من الرف والجانب، فمне الرف في الحائط، والرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منه، ومنه رفراف الطير إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه، والرفرف ثياب خضر تتخذ منها المجالس، الواحدة ررفة، وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨] ررفاً أخضر سد الأفق متفق عليه، وتقدم أن العبقري البسط، وقيل موضع في البادية كثير الجن، يقال: كأنهم جن عبقر فنسب إلى ذلك، وهي الأرض التي يسكنها الجن فصار مثلاً منسوباً إلى شيء رفيع، وأنشد أبو عبيدة لزهير:

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٤٢/٨) رقم ٧٩٤٧، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٩٥/٤) رقم ٥٧٠٤، والهيثمي (٢٥٧/٧) رقم ١١٣٩٩ وقال: رواه الطبراني وفيه جعفر بن الزبير الحنفي وهو ضعيف.

بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا  
قال الواحدي: وهذا الصحيح في العبقرية، لأن العرب إذا بالغت في  
وصف شيء نسبتة إلى الجنة وشبهته بهم، ومنه قول لبيد:

جن البدي رواسياً أقدامها

وقال آخر في صفة امرأة:

جنية أولها جنني يعلمها رمى القلوب بقوس ما لها وتر  
وذلك لأنهم يعتقدون كل صفة عجيبة في الجن، وأنهم يأتون بكل  
أمر عجيب، قال في «حادي الأرواح»: ولما كان عبقر معروفًا بسكناهم  
نسبوا كل شيء مبالغ فيه إليها، يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم، هذا  
هو الأصل، ثم صار العبقرية اسماً ونعتاً لكل ما بولغ في صفتها، ومنه قوله  
عَلَيْهِ السَّلَام حين ذكر عمر: (فلم أر عبقرياً يفري فَرِيَةً)<sup>(١)</sup>.

وعن الفراء: العبقرية: السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان  
والجوهر، وواحد العبقرية عبقرية.

والحاصل: أن كل شيء عجيب يقال له عبقرية لما وصفنا، وتأمل  
كيف وصف سبحانه الفرش بأنها مرفوعة، والزرابي بأنها مبثوثة، والنمارق  
بأنها مصفوفة، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال على  
كثرتها، وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره  
وجوانبه، وصف المساند يدل على أنها مهياة للاستناد إليها دائماً، ليست  
مخبأة تصف في وقت دون وقت، والله أعلم.

\* \* \*

(١) رواه البخاري رقم ٣٦٢٣، ٣٦٧٦، ٣٦٨٢، ومسلم رقم ١٨٦٢.

## فصل

## وأما خيامهم وسررهم وأرانكهم وبشخاناتهم

فقد قال تعالى: ﴿حُرُّ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً»<sup>(١)</sup>. وفي رواية في البخاري: «طولها ثلاثون ميلاً»<sup>(٢)</sup> قال في «حادي الأرواح»: وهذه الخيام غير الغرف والقصور، بل خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار. وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله رضي الله عنه قال: لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة، لم يكن قبل ذلك، لا مرحات ولا ذفرات ولا سخرات ولا طماحات، حور عين كأنهن بيض مكنون، وأخرج ابن المبارك عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: الخيمة لؤلؤة واحدة، لها سبعون باباً، كلها من درة، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حُرُّ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] الخيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ، ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخاً، يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْمَلِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

(١) رواه البخاري رقم ٤٨٧٩ باختلاف سير، ومسلم رقم ٢٨٣٨ .

(٢) البخاري رقم ٣٢٤٣ .

وأما السرر فقال تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَرَوَّاجِلَهُمْ مَحْوِرٍ عَيْنٍ﴾ [الطور: ٢٠]. وقال: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُنْقَلِبِينَ﴾ [الواقعة: ١٥-١٦] وقال: ﴿فِيهَا (١) سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣] فأخبر سبحانه عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب، بعض ليس بعضها خلف ولا بعيداً منه، وأخبر أنها موضونة، أي منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض، كما يوضن حلق الدرع، ومنه يسمى الوضين، وهو نطاق من سيور ينسج فيدخل بعضه في بعض، ومنه قول الشاعر:

ومن نسج داود موضونة ببساق مع الحي عيراً فعيراً

قالوا: موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد، وقال ابن عباس رضي الله عنه مزمولة بالذهب، وقال مجاهد: موصولة بالذهب، وأخبر سبحانه بأنها مرفوعة، قال عطاء: عن ابن عباس رضي الله عنه سرر من ذهب مكلفة بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير مثل ما بين مكة وأيلة، وقال الكلبي: طول السرير في السماء مائة عام، فإذا أراد الرجل أن يجعل عليه تواضع له حتى يجلس عليه، فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه.

وأما الأرائك فتقدم أنها جمع أريكة، وأن ابن عباس قال: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة، فإن كان سرير<sup>(٢)</sup> بغير حجلة لا تكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة، فالسرير والحجلة أريكة، والحجلة هي البشخانة التي تعلق فوق السرير، وقال في (حادي الأرواح): لا تسمى أريكة إلا بالسرير في الحجلة، وأن يكون على السرير فراش.

وفي الصحاح: الأريكة سرير منجد مزين في قبة أو بيت، فإذا لم

(١) في الأصل (على) والمثبت هو الصواب.

(٢) هكذا بالأصل.

يكن فيه سرير فهو حجلة، والجمع: الأرائك.

وفي الحديث: «إن خاتم النبي ﷺ - أي خاتم النبوة - كان مثل زر الحجلة»<sup>(١)</sup> وهو الزر الذي يجمع به بين طرفيها من جملة إزارها.

قلت: وكون المراد بزر الحجلة ما ذكرنا هو الذي صوبه أكثر المحققين، منهم الإمام العلامة المحقق في «حادي الأرواح» وغيره كالدميري، وقال الإمام الترمذي بعد إirاده حديث: إن النبي ﷺ كان بين كتفيه خاتم مثل زر الحجلة، إن المراد بالحجلة هذا الطائر وزرها بيضاء، وإذا كانت المرأة مقصورة في الحجال فهو مما يتمدح به، كما قال كثير عزة في ذلك:

وأنت التي حببت كل قصيرة      إليّ فلا تدري بذلك القصائر  
عينت قصارات الحجال ولم أرد      قصار الخطا شر النساء البحائر<sup>(٢)</sup>  
والله أعلم.

\* \* \*

(١) رواه البخاري رقم ١٩٠، ورقم ٥٦٧٠، ومسلم رقم ٢٣٤٥، والترمذي (٦٠٢/٥) رقم

٣٦٤٣.

(٢) البُخْتَرُ بالضم القصير المجتمع الخلق، والأنثى بُخْتَرَةٌ، والجمع البحائر. لسان العرب/  
مادة: بحتر.

## الباب العاشر

في ذكر خدم أهل الجنة وغلماهم ونسانهم وسرايرهم، والمادة التي خلقت منها الحور العين، ونكاحهم، وهل في الجنة ولد أم لا؟

أما خدمهم وغلماهم، فقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ﴾ [الطور: ٢٤] وقال: ﴿وَيَطُوفُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩] قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون، وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون، أي في آذانهم القرطة، وفي أيديهم الأساور، والخلد القرطة، ومنه قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكشبان

وجمعت طائفة بأنهم لا يعرض لهم الكبر والهرم، وفي آذانهم القرطة، وشبههم سبحانه وتعالى باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة، وفي كونه منثوراً فائدتان: الدلالة على أنهم غير معطلين، بل مبهوثون في خدمتهم، والثانية: أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ولا سيما على بسط من ذهب أو حرير كان أحسن وأبهى من كونه مجموعاً، واختلف العلماء في هؤلاء الغلمان، فقال الإمام علي كرم الله وجهه وحسن البصري: هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم، يكونون خدماً لأهل الجنة إذ الجنة لا ولادة فيها، وبعضهم قال: هم أولاد المشركين يجعلهم الله خدماً لأهل الجنة، واستدل هؤلاء بقول النبي ﷺ: «سألت ربي اللاهين من ذرية البشر ألا يعذبهم فأعطانيهم»<sup>(٢)</sup> فهم خدم لأهل الجنة

(١) الواو ساقطة من الأصل في الموضعين.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١١١/٦) رقم ٥٩٥٧، وأبو يعلى في مسنده (٣١٦/٦) =

- يعني الأطفال - رواه يعقوب بن عبد الرحمن القارئ، وعبد العزيز بن الماجشون، وفضيل بن سليمان.

قال في «حادي الأرواح»: وطرقه ضعيفة، ففيه يزيد وإه، وفضيل بن سليمان متكلم فيه، وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

قال ابن قتيبة: واللاهون من لهيت عن الشيء إذا غفلت عنه وليست من لهوت، وقيل هم غلمان أنشأهم الله في الجنة إنشاء، كما أنشأ الحور العين، وولدان أهل الدنيا يكونون يومئذ أبناء ثلاث وثلاثين سنة لقوله ﷺ: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار»<sup>(١)</sup> رواه الترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه واختار هذا القول في «حادي الأرواح»، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ﴾ [الطور: ٢٤] وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله لهم أن يجعل أبناءهم مخدمين معهم لا غلماناً لهم، وفي حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا» وفيه: «ويطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون»<sup>(٢)</sup> والمكنون: هو المستور الذي لم تتبذله الأيادي.

والحاصل أن الولدان من جنس الحور العين، وليس من ذرية آدم على الصحيح المعتمد.

= رقم ٣٦٣٦، و(١٣٨/٧) رقم ٤١٠١ عن أنس، وذكره الهيثمي (٤٤٣/٧) رقم ١١٩٥٤ وقال: رواه أبو يعلى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير عبد الرحمن ابن المتوكل وهو ثقة.

(١) جزء من حديث رواه الترمذي (٦٩٥/٤) رقم ٢٥٦٢، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

(٢) رواه الدارمي (٣٩/١) رقم ٤٨، والترمذي أوله فقط (٥٨٥/٥) رقم ٣٦١٠ وقال: هذا حديث حسن غريب.

قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً قال للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩] هذا الخادم فكيف المخدم؟ قال: «والذي نفسي بيده إن فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»<sup>(١)</sup> حكاه مكّي، وأخرج ابن المبارك، والبيهقي عن ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: إن أدنى أهل الجنة منزلاً من يسعى إليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه، وتلا قوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة، من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم.

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن أبي هريرة قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة - وليس فيهم دنئ - من يغدو ويروح عليه خمسة عشرة ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه.

وقد نبه غير واحد من العلماء في مثل هذه الأحاديث على تقدير لفظة: (من) أي إن من أدنى أهل الجنة كيت وكيت، وكذا أحب العمل إلى الله كذا، وأحب العمل إلى الله كذا، أي إن من أحب العمل إلى الله، وبهذا تزول أشكلة كثيرة في أبواب كثيرة من الحديث. والله تعالى أعلم.

\* \* \*

(١) رواه الطبري في التفسير (٤٩٢/١١)، والبغوي في معالم التنزيل (٣٩٠/١).

## فصل

وأما نساؤهم وسرارهم فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] والأزواج جمع زوج، والمرأة زوج الرجل وهو زوجها، هذا الألفصح وهي لغة قريش، وبها نزل القرآن، كقوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ومن العرب من يقول: زوجة وهو نادر، والمطهرة التي طهرت من الحيض، والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قدر، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، ونظرها من طمع عينها إلى غير زوجها، وكذلك خلقت حواء، فلما اقترفت ما اقترفت قال سبحانه: إني خلقتك مطهرة وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة، يعني لما خصفت عليها من ورق الشجر وهي التين، فأدميتها، كذا قيل<sup>(١)</sup> وهو في العرائس للكسائي، وفي منظومة ابن العماد التي جمع فيها الأنبياء على حكم ما قاله القرطبي في «تذكرته»: إن أول من حاض بنات يعقوب عليه السلام قال في منظومته:

وأرسل الحيض على البنات من نسل يعقوب عن الثقات  
ولم أر بغيره، وعندى فيه بعد، لقوله تعالى في حكايته عن الست

(١) روى هذا الكلام الطبري في التفسير (٢٠٥/١) وفي (٢٧٢/١) وعقب عليه بقوله: وقد رويت هذه الأخبار عن رويتها عنه من الصحابة والتابعين في صفة استئلال إبليس عدو الله آدم وزوجته حتى أخرجهما من الجنة، وأولى ذلك بالحق عندنا ما كان لكتاب الله موافقا، وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبيدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما.  
وذكره كذلك ابن كثير في التفسير (٩٥/١) وقال: وهذا غريب، وعليه فلا أظن ذلك يصح.

سارة: ﴿فَصَحَّكَتْ فَبَشَّرْتَنَهَا بِإِسْحَاقَ﴾ أي حاضت، والله تعالى أعلم.

وقال جل شأنه: ﴿وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ﴾ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهَمَةٍ  
ءَامِينِكِ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ  
الْجَحِيمِ ﴿ [الدخان: ٥٤-٥٦] والهور جمع حوراء، وهي المرأة الشابة  
الحسنة الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم: هي التي  
يحار فيها الطرف، والعين: حسان الأعين، وقال مجاهد: هي التي يحار  
فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون، وقال الحسن: هي شديدة بياض  
العين شديدة سوادها، واختلف في اشتقاق هذه اللفظة، فقال ابن عباس:  
الهور في كلام العرب البيض، وكذا قال قتادة، وقال مقاتل: الهور البيض  
الوجوه، وكلام مجاهد يدل على أن اللفظة مشتقة من الحيرة، ورده الإمام  
المحقق وقال: بل أصل الهور البياض، والتحوير التبييض، ومنه الحوريون  
أي القصارون، والصحيح أن الهور مأخوذ من الهور في العين وهو شدة  
بياضها مع قوة سوادها، فهو متضمن لأمرين كما في الصحاح، وقال  
أبو عمرو: الهور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر، وليس في  
بني آدم حور، وإنما قيل للنساء حور العيون، لأنهن شبهن بالظباء والبقر،  
وقال الأصمعي: ما أدري ما الهور في العين؟ قال في «حادي الأرواح»:  
وأهل اللغة قالوا: الهور في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد  
وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر، وعين حوراء إذا  
اشتد بياض بياضها وسواد سوادها، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع  
حور عينها بياض لون جسدها، والعين جمع عيناء، وهي العظيمة العين من  
النساء، ورجل أعين إذا كان ضخم العين، وامرأة عيناء، والجمع عين،  
قال: والصحيح أن العين: اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن  
والملاحة.

## لطيفة:

ذكر في «حادي الأرواح» أنه يستحب الضيق في المرأة في أربعة مواضع: فمها، وخرق أذنها، وأنفها وما هناك، وتستحب السعة منها في أربعة أيضاً: وجهها، وصدرها، وكاهلها - وهو ما بين كتفها - ووجهتها، ويستحب البياض منها في أربعة: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها، ويستحب السواد منها في أربعة: عينها، وحاجبها، وهدبها، وشعرها، ويستحب الطول منها في أربعة أيضاً: قوامها، وعنقها، وشعرها، وثيابها، ويستحب القصر منها في أربعة وهي معنوية: لسانها، ويدها، ورجلها، وعينها، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج، وعن بذله، وتستحب الدقة منها في أربعة: خصرها، وفرقها، وحاجبها، وأنفها، وقال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِنْسَانِ وَالطَّرْفُ الْأَرْبُؤُا﴾ [ص: ٥٢] فالأثراب جمع ترب وهو لذة الإنسان، وقال: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ الْإِنْسَانُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي: لم يمسهن، قاله أبو عبيدة ويونس، وقال الفراء: الطمث الجارية إذا افتراض وهو النكاح بالتدمية، والطمث هو الدم، يقال: طمئت الجارية إذا افترضتها، وبيت الفرزدق<sup>(١)</sup> يدل لما قاله أبو عبيدة:

خرجن إلي لم يطمثن قبلي      وهن أصح من بيض النعام  
أي لم يمسهن قبلي أحد، قال المفسرون: لم يطأهن، ولم يغشهن، ولم يجامعهن، هذه ألفاظهم، والله تعالى أعلم.

(١) في الأصل (الفرزدق).

وقال تعالى في وصفهن ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] المقصورات: المحبوسات، قال أبو عبيدة: خدرن في الخيام، قال في «حادي الأرواح»: وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يردن غيرهم وهم في الخيام، وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم، ولا يطمحن إلى من سواهم، ذكره الفراء.

قال المحقق: قلت: هذا معنى قاصرات الطرف، لكن أولئك قاصرات بأنفسهن، وهؤلاء مقصورات.

وقوله: ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ على هذا القول صفة لجواري هن في الخيام، وليس معمولاً لمقصورات، وكأن أرباب هذا القول فروا من كونهن محبوسات والحبس عذاب، والجواب أنه سبحانه وصفهن بأنهن مخدرات لا يخرجن من خدورهن، ولا يلزم من هذا أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين، ألا ترى أن نساء ملوك الدنيا وذويهم من المخدرات المصونات قد يخرجن في بعض الأوقات لنحو تنزه، والله تعالى أعلم.

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيرة كسيدة ولينة.

وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق، حسان الوجوه، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٨] الضمير عائد للنساء الدال عليهن الفرش، على أنه قيل في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] كناية عن النساء. لكن قوله: (مرفوعة) يأباه كما نبه عليه المحقق إلا أن يقال رفعة القدر، وصوب في «حادي الأرواح»: أن الفرش على حقيقتها ودلت

على النساء لأنها محلهن غالباً، قال قتادة: وابن جبير في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ أي خلقناهن خلقاً جديداً.

وقال ابن عباس: يريد إنشاء الأدميات، وقال الكلبي، ومقاتل: يعني نساء أهل الدنيا العجر الشمط، يقول تعالى: خلقهن بعد الكبر والهزم بعد الخلق الأول في الدنيا، ويؤيده حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها عجوز فقال: «من هذه؟ قالت: إحدى خالاتي، قال: إنه لا يدخل الجنة العجز فدخل العجوز من ذلك ما شاء الله، فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ خلقاً آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول من يكسى خليل الرحمن ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾»<sup>(١)</sup>.

وذكر مقاتل أن المراد بهن الحور العين، واختاره الزجاج، أي أنشأهن سبحانه لأولياته لم تقع عليهن ولادة، وظاهر كلام المحقق الميل إلى هذا، وأن الحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف، بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة، فلا يتوهم انفراد الحور العين، نعم هن أحق بذلك منهن، فالإنشاء واقع على الصنفين، وقوله: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب، وهن المحببات إلى أزواجهن، قال أبو عبيدة العروبة الحسنة التبعل، قال في «حادي الأرواح»: يريد حسن موافقتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع. وقال المبرد: هي

(١) روى الطبراني في الأوسط (٥ / ٣٥٧) رقم ٥٥٤٥ عن عائشة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله: إن الجنة لا يدخلها عجوز، فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال نبي الله: إن ذلك كذلك، إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً.

ورواه هناد في الزهد (١ / ٥٨) رقم ٢٤، وأورده بسياق قريب من هذا البغوي في معالم التنزيل.

العاشقة لزوجها . وأنشد لبيد في ذلك :

وفي الخروج عروب غير فاحشة ربا الروادف يعشى دونها البصر  
وقيل : هي الغنجة ، وهي لغة المدينة ، قال في «حادي الأرواح» :  
جمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها ، وهذه غاية ما يطلب من  
النساء ، وبه تكمل لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه ، وقال تعالى :  
﴿كَوَاعِبَ أَرْبَابًا﴾ [النبا: ٣٣] فالكواعب جمع كاعب أي الناهد ، قاله قتادة  
ومجاهد والمفسرون ، والمراد ثديهن نواهد كالرمان ، ليست متدلّية إلى  
أسفل ويسمين نواهد .

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : «لغدوة في سبيل الله  
أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده -  
يعني : سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من  
نساء أهل الجنة إلى الأرض لمألت ما بينهما ريحاً ، ولأضاءت ما بينهما ،  
ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»<sup>(١)</sup> تقدم أن النصيف : هو  
الخمارة .

وفي المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «للرجل من أهل الجنة  
زوجتان من حور العين ، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من  
وراء الثياب»<sup>(٢)</sup> .

وأخرج الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله  
أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿حُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢] قال : «حور

(١) رواه البخاري رقم ٢٧٩٦ .

(٢) رواه أحمد (٣٤٥/٢) رقم ٨٥٢٣ ، والترمذي (٦٧٠/٤) رقم ٢٥٢٢ بلفظ «ردائها» بدل  
«وراء الثياب» وقال : هذا حديث حسن صحيح .

بيض عين ضخام العيون، شعر الحوراء بمنزلة جناح النسر قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا آيَا قُوْتُ وَالْمَرْمَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: صفاؤه ن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي قلت: أخبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] قال: خيرات الأخلاق حسان الوجوه قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا بَيْضٌ مَّكَوْنٌ﴾ [الصافات: ٤٩] قال: رقتهن كرقعة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة فيما يلي القشرة وهو الغرقي قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿عُرْبًا أَرْبَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧] قال: هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً، خلقهن الله تعالى بعد الكبر، فجعلهن عذارى عرباً متعشقات محبيات، أتراباً على ميلاد واحد قلت: يا رسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة على البطانة، قلت: يا رسول الله، ومما ذلك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلبي، مجامرهن الدر، وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا، قلت: يا رسول الله، إن المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال: يا أم سلمة، إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً، فتقول: أي رب، إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فزوجيني، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣٦٧/٢٣) رقم ٨٧٠، وفي الأوسط (٢٧٨/٣) رقم ٣١٤١، وذكره الهيثمي (٧٧٢/١٠) رقم ١٨٧٥٥ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وفي إسنادهما سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف.

قال في «حادي الأرواح»: تفرد به سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير، ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً، ثم ساق هذا الحديث من طريقه، قال: ولا يعرف إلا بهذا السند.

قلت: وقد ورد خلافه، فعن حذيفة أنه قال لامرأته<sup>(١)</sup>: إن سرك أن تكون زوجتي في الجنة - إن جمعنا الله فيها - فلا تتزوجي من بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها، وخطب معاوية أم الدرداء فأبت وقالت: سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «المرأة لآخر أزواجها في الآخرة»<sup>(٢)</sup> وقال لي: إن أردت أن تكوني زوجتي في الآخرة فلا تتزوجي من بعدي. والله أعلم.

وأخرج أبو يعلى الموصلي، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي بعثني بالحق، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل الرجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة، سبعين مما ينشئ الله، واثنتين من ولد آدم، لهما فضل على من أنشأ الله تعالى بعبادتهما في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوته، على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ، عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق، وإنه ليضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبه الياقوت كبده لها مرآة، وكبدها له مرآة، فبينما هو عندها لا

(١) في الأصل (لامامة).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٧٥/٣) رقم ٣١٣٠ وفيه (في الجنة) بدل (الآخرة) ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٣/٧٠) و(١٥٤)، (١٥٥)، عن أبي الدرداء، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٢٨/٩) ولكن عن عائشة وذكره الهيثمي (٤٩٦/٤) رقم ٧٤٢٤ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه أبو بكر بن أبي مريم وقد اختلط.

يملها ولا تمل، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء، ما يفتر ذكره ولا تشتكي قبلها، فبينما هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أنه لا مني ولا منية، إلا أن تكون له أزواج غيرها، فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة، قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إلي منك»<sup>(١)</sup>.

قال في (حادي الأرواح): وهذا قطعة من حديث الصور الذي تفرد به إسماعيل بن رافع، وقد روى له الترمذي وابن ماجه، وضعفه الإمام أحمد، ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه فيها نظر، وقال الترمذي: يضعفه بعض أهل العلم، وسمعت محمداً يعني البخاري يقول: هو ثقة مقارب الحديث.

قال المحقق: وقال شيخنا أبو الحجاج: هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل وغيره هذه السياقة، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد، وما تضمنه معروف في الأحاديث. انتهى كلامه. وفي صحيح ابن حبان<sup>(٢)</sup> عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال: «ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيئ ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون لها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك»<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٤/٣٦٩) وانظر حكم المصنف عليه.

(٢) في حاشية الأصل/ حبان بفتح المهملة وتشديد الموحدة، كذا ضبطه النووي في شرح مسلم.

قلت: حبان هذا هو حبان بن هلال.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٦/٤٠٩).

وأخرج الترمذي وصححه والبخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يزوج العبد في الجنة سبعين زوجة، قيل: يا رسول الله، أيطيقها؟ قال: يعطي قوة مائة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى مرفوعاً قال: «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمس مائة حوراء، وأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف ثيب، يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره من الدنيا»<sup>(٣)</sup>. ثم أخرجه عن عبد الرحمن بن سابط، موقوفاً عليه وصححه، وأخرج أبو نعيم في صفة الجنة، وأبو الشيخ عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعاً قال: «يزوج كل رجل من أهل الجنة بأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف أيم، ومائة حوراء، فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم يسمع الخلائق بمثلهن: نحن

(١) روى الترمذي في (١٨٧/٤) رقم ١٦٦٣ في حديث عن الشهيد «يزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين» عن المقدم بن معد وقال: حديث حسن صحيح، وروى في (٦٧٧/٤) رقم ٢٥٣٦ «يعطي المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع، قيل يا رسول الله: أيطيق ذلك؟ قال: يعطي قوة مائة» عن أنس وقال: هذا حديث صحيح غريب.

(٢) رواه أحمد (٧٦/٣) رقم ١١٧٤١، والترمذي (٦٩٥/٤) رقم ٢٥٦٢، وقال: هذا حديث غريب، وابن حبان في صحيحه (٤١٤/١٦) رقم ٧٤٠١، وأبو يعلى في مسنده (٢/٥٣٢) رقم ٤١٠٤، وذكره الشوكاني في كشف الخفا (٢٥٨/١) في كلامه على حديث رقم ٦٨٢ وقال: رواه الطبراني بإسناد قوي عن أنس ورواه الترمذي بلفظ «أدنى أهل الجنة» الحديث.

(٣) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٩٦/٤) رقم ٥٠٧٠٧، والغزالي في إحياء علوم الدين (٥٤١/٤)، وقال عنه العراقي: إسناده ضعيف.

الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبى لمن كان لنا وكنا له»<sup>(١)</sup>. وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ قال: «حدثني جبريل عليه السلام قال: يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة، قال رسول الله ﷺ فبأي بنان تعاطيه، لو أن بعض بنانها بدا لقلب ضوءه ضوء الشمس والقمر، ولو أن طاقة من شعرها بدت لملاأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها، فبينما هو متكئ معها على أريكة إذ أشرف عليه نور من فوقه، فيظن أن الله قد أشرف على خلقه، فإذا حوراء تناديه: يا ولي الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: من أنت يا هذه؟ فتقول: من اللواتي قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] فيتحول عندها، فإذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الأولى، فبينما هو متكئ على أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه، فإذا حوراء أخرى تناديه: يا ولي الله، أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] فلا يزال يتحول من زوجة إلى زوجة»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة، ثنتان من الحور العين، وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا، ليس منهن امرأة إلا ولها قبل شهوي، وله ذكر لا يثنى»<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٩٩/١) وعزاه إلى البيهقي في البعث وتقدم نحوه ص ٢٢٥.  
 (٢) رواه الطبراني في الأوسط (٣٦٢/٨) رقم ٨٨٧٧، وذكره الهيثمي (٧٧٣/١٠) رقم ١٨٧٥٦ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعيد بن زربي وهو ضعيف.  
 (٣) رواه ابن ماجه في (١٤٥١/٢) رقم ٤٣٣٧ وفيه «من أهل النار» بدل «من أهل الدنيا» وقال: في الزوائد في إسناده مقال، وخالد بن يزيد بن أبي مالك وثقه العجلي، وأحمد بن صالح المصري ضعفه أحمد وابن معين وأبو داود والنسائي... وغيرهم.

وأخرج أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة فقلنا: يا رسول الله، أو له قوة ذلك؟ قال: إنه ليعطي قوة مائة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله هل نصل إلى نساتنا في الجنة؟ فقال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء»<sup>(٢)</sup> قال محمد بن عبد الواحد المقدسي: رجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله أنفسي إلى نساتنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: «والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء»<sup>(٣)</sup>.

قلت: ذكر هذه الأحاديث الإمام المحقق في «حادي الأرواح» بأسانيدها، وتكلم على رجالها وفي الجملة هي أحاديث مقبولة، وإن تكلم في رجالها - والله تعالى أعلم - إن كثرتها مع تباين طرقها يدل على ثبوتها وليست موضوعة جزماً، ثم قال في «حادي الأرواح» عقب ذكرها: والأحاديث الصحيحة إنما فيها: إن لكل منهم زوجتين، وليس في الصحيح زيادة على ذلك، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة، كالخدم والولدان، وإما أن يراد أنه يعطي المؤمن

(١) روى نحوه أبو نعيم في الحلية (١١٦/٨) وسبق نحوه ص ٢٢٨ .  
 (٢) رواه الطبراني في الصغير (٦٨/٢) رقم ٧٩٥، وفي الأوسط (٢٦٣/٥) رقم ٥٢٦٧، وأبو يعلى في مسنده (٣٢٦/٤) رقم ٢٤٣٦، وذكره الهيثمي (٧٧٠/١٠) رقم ١٨٧٤٦ وقال: رواه أبو يعلى وفيه زيد بن أبي الحواري وقد وثق على ضعف وبقيته رجاله ثقات.  
 (٣) الطبراني في الأوسط (٢١٩/١) رقم ٧١٨ عن أبي هريرة، وانظر تخريج الحديث السابق.

قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ، ورواه بعض هؤلاء بالمعنى، فقال له كذا وكذا زوجة، وقد روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه : «يعطى المؤمن قوة كذا وكذا من الجماع»<sup>(١)</sup>.

قلت : والأول أظهر، ولا ينبغي أن يظن بأئمة الحديث النقاد والحفاظ أن يسري إليهم هذا الوهم في جملة هذه الأحاديث، سيما وقد علمت أن الحفاظ نصوا على تصحيح بعضها، ولا ريب أن للمؤمن أكثر من اثنتين في الجنة جزماً، لما في الصحيحين من حديث عبد الله بن قيس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن للبعد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للبعد المؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً»<sup>(٢)</sup>.

تنبيه :

الظاهر أن حديث أبي أمامة مقلوب، وأن الاثنتين من نساء الدنيا، والسبعين من الحور العين، والله تعالى أعلم.

\* \* \*

(١) الترمذي (٦٧٧/٤) رقم ٥٣٦، وقال : هذا حديث صحيح غريب.

(٢) سبق ص ٢١٣ .

## فصل

وأما المادة التي خلق منها الحور العين، فقد روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الحور العين خلقن من الزعفران»<sup>(١)</sup> قال البيهقي: منكر، قال المحقق: لكن فيه شعبة، أي: وشعبة لا يروى المناكير.

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً: «خلق الحور العين من الزعفران»<sup>(٢)</sup> قال الطبراني: تفرد به علي بن الحسين بن هارون، قال المحقق: وروي عن مجاهد موقوفاً، وهو أشبه بالصواب، ومن طريق أوقفه على ابن عباس، قال المحقق: ولا يصح رفعه، وحسبه أن يصل إلى ابن عباس، أي يكفيه ذلك لجلالة قدر ابن عباس رضي الله عنه وفخامة شأنه.

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: إن لولي الله في الجنة عروساً لم يلدتها آدم ولا حواء، ولكن خلقت من الزعفران، وهذا مروى عن صحابين، وهما: أنس وابن عباس رضي الله عنهما، وعن تابعين وهما: أبو سلمة، ومجاهد، قاله المحقق، قال: وبكل حال فهن من المنشآت في الجنة، ليس مولودات من الآباء والأمهات، ورواه أبو نعيم عن أنس يرفعه: «لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها، وخلق الحور

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٩٨/٧) في ترجمة بنان بن سليمان رقم ٣٥٤٠، والطبري موقوفاً على مجاهد، وذكره الهندي في كنز العمال (٥١٨/١٤) رقم ٣٩٤٦٣ وعزاه لابن مردويه والخطيب وانظر الحديث التالي.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٠٠/٨) رقم ٧٨١٣ والأوسط (٩٥/١) رقم ٢٨٨، وذكره الهيثمي (٧٧٦/١٠) رقم ١٨٧٦٣ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفي إسنادهما ضعفاء.

العين من الزعفران»<sup>(١)</sup> قال في «حادي الأرواح»: وإذا كانت هذه الخلقة التي هي من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب، وجاءت الصورة من أحسن الصور، فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك؟ فإله المستعان.

وأخرج أبو نعيم عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سطع نور في الجنة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»<sup>(٢)</sup>.

وإلى هذا أشار من قال:

فلو أن حوراء في الدياجي تبسمت      لجلى دجى الظلماء في الأرض نورها  
ولو مزج الماء الأجاج بريقها      لأصبح عذباً سلسبيلاً بحورها

قال في «حادي الأرواح»، عن كثير بن مرة قال: إن من الميزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: فماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئاً إلا مطروا قال: يقول كثير: لأن أشهدني الله ذلك لأقولن: أمطرينا جوارٍ مزيّنات.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن في الجنة نهراً يقال له البيذخ، عليه قباب من ياقوت، تحته جوار ناشئات يقول أهل الجنة:

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور موقوفاً على ابن عباس قوله «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر كانت تلك الأبحر أحلى من العسل» وذكره المنذري في الترغيب والترهيب بصيغة التمريض (٢٩٩/٤) رقم ٥٧١٧.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٧٤/٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/١٦٢)، وذكره ابن حجر في لسان الميزان (٣٤٤/٢) في ترجمة حليس الكلابي رقم ١٤٠٠ وقال عنه نقلاً عن ابن عدي: منكر الحديث، وكذا ابن عدي في الكامل (٤٥٧/٢) في ترجمة حليس رقم ٥٦٧ وقال عنه: منكر الحديث عن الثقات.

انطلقوا بنا إلى البيذخ، فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري، فإذا أعجب رجل منهن جارية مس معصمها فتتبعه.

وأخرج ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً مع كعب يوماً، فقال: لو أن يداً من الحوراء دليت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، قال: إنما قلت يدها، فكيف بالوجه في بياضه وحسنه وجماله.

وأخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا»<sup>(١)</sup>.

وفي مراسيل عكرمة، عن النبي ﷺ: «إن الحور العين لأكثر منكن عدداً يدعون لأزواجهن، يقلن: اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه معرفتك، يا أرحم الراحمين»<sup>(٢)</sup>. ذكره ابن أبي الدنيا.

وفي (حادي الأرواح) عن ابن مسعود رضي الله عنه: إن في الجنة حوراء يقال لها اللعبة، كل حور الجنان يعجب بها، يضربن بأيديهن على كفتها ويقلن: طوبى لك يا لعبة، لو يعلم الطالبون لك لجدوا، بين عينيها مكتوب: من كان يتبغي أن يكون له مثلي، فليعمل برضا ربي.

وقال الحضرمي: قمت أنا وأبو حمزة على سطح، فجعلت أنظر إليه

(١) رواه أحمد (٢٤٢/٥) رقم ٢٢١٥٤، وابن ماجه (٦٤٩/١) رقم ٢٠١٤، والطبراني في الكبير (١١٣/٢٠) رقم ٢٢٤، والترمذي (٤٧٦/٣) رقم ١١٧٤ وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٩٩/٤) رقم ٥٧١٩، وصدره بصيغة التمرريض وقال في آخره: رواه ابن أبي الدنيا مرسلًا.

يتقلب على فراشه إلى الصباح، فقلت: يا أبا حمزة ما رقدت الليلة؟ فقال: إنني لما اضطجعت تمثلت لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها قد مس جلدي، فحدثت به أبا سليمان، فقال: هذا رجل كان مشتاقاً يعني: والشوق لا يزال بصاحبه حتى يريه مطلوبه، ويمثل له محبوبه، كما قال عتبة:

أراكم بقلبي من مكان بعيدة      فيا هل تروني بالفؤاد على بعد  
فؤادي وطرفي بأسفان عليكم      وعندكم روعي وذكركم عندي  
ولست ألد العيش حتى أراكم      ولو كنت في الفردوس في جنة الخلد

وقال غيره:

خيالك في عيني وذكرك في فمي      ومثواك في قلبي فأين تغيب  
وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني جعفر بن محمد قال: لقي حكيم حكيماً، فقال: أتشتاق للهور العين؟ فقال: لا، قال: فاشتق إليهن فإن نور وجوههن من نور الله، فغشي عليه، فحمل إلى منزله، فجعلنا نعوده شهراً.

وقال: ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: نشئ خلق الحور العين إنشاء فإذا تكامل خلقهن، ضربت عليهن الملائكة الخيام.

وذكر ابن أبي الدنيا عن صالح المري، عن يزيد الرقاشي، قال: بلغني أن نوراً سطع في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك فيه، فقيل ما هذا؟ قيل: حوراء ضحكت في وجه زوجها، قال صالح فشهو رجل من ناحية المجلس، فلم يزل يشهو حتى مات. فنسأل الله سبحانه أن يرزقنا منهن ما تقر به العيون، وتشرح به الصدور، بمنه وكرمه.

## فصل

وأما نكاحهم، ووطؤهم، والتذازم فقد قال ﷺ: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء»<sup>(١)</sup> إسناده صحيح، وأخرج ابن وهب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده دحماً دحماً»<sup>(٢)</sup>، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة»<sup>(٣)</sup>.

ورواه الطبراني عن أبي أمامة بلفظ: سئل رسول الله ﷺ هل يتناكح أهل الجنة؟ قال: «بذكر لا يمل وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً»<sup>(٤)</sup> وفي رواية زيادة: «ولكن لا مني ولا منية»<sup>(٥)</sup> أي: لا إنزال ولا موت.

وأخرج الحاكم عن الأوزاعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَتِكُهُونَ﴾ [يس: ٥٥] قال: شغلهم افتضاض الأبقار، وقال مقاتل: شغلوا بافتضاض الأبقار عن أهل النار، فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم. وكذا قال ابن عباس وغيره من المفسرين، وأخرج ابن أبي الدنيا عن سعيد ابن جبير: إن شهوته لتجري في جسده سبعين عاماً يجد اللذة، ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير، ولا ضعف ولا انحلال قوة، بل

(١) سبق ص ٢٣٠.

(٢) الدَّحْمُ: الدفع الشديد - لسان العرب مادة: دحم. وفي النهاية: دَحْمًا دَحْمًا: هو النكاح والوطء بدفع وإزعاج. النهاية مادة: دحم.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٤١٥/١٦) رقم ٧٤٠٢.

(٤) المعجم الكبير (١٦٠/٨) رقم ٧٦٧٤.

(٥) الطبراني في الكبير (٩٦/٨) رقم ٧٤٧٩، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٢٠/١١) رقم ٢٠٨٨٧، وذكر هذه الروايات الهيثمي (٧٧٠/١٠) رقم ١٨٧٤٦، ١٨٧٤٧، ١٨٧٤٨، ١٨٧٤٩ وقال: رواها كلها الطبراني بأسانيد ورجال بعضها وثقوا على ضعف في بعضهم.

وطؤهم وطء التذاذ نعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه، وأكمل الناس فيه لذة أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام، فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشرب في الآخرة، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة، كما قال النبي ﷺ: «إنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة»<sup>(١)</sup>، فمن استوفى طيباته والتذاذته وأذهبها في هذه الدار المضمحلة حرمها هناك كما نفى سبحانه وتعالى عن أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها النعيم ثم اللذة وأذاقهم عذاب الهون، فالدنيا والآخرة ككفتي الميزان ما زيد في إحداها كان نقصاً وبخساً من الأخرى، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف.

وذكر الإمام أحمد - طيب الله ثراه - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه رآه الإمام عمر رضي الله عنه ومعه لحم قد اشتراه لأهله. فقال: ما هذا؟ قال: لحم، اشتريته لأهلي بدرهم، فقال: أوكلما اشتهى أحدكم شيئاً اشتراه، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وأخرج الإمام أحمد قدس الله روحه قال: قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى رضي الله عنه على عمر رضوان الله عليه، قال بعض الوفد: فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة أيام ربما وافقناها مأدومة بالسمن، وربما وافقناها مأدومة بالزيت، وربما وافقناها مأدومة باللبن، وربما وافقناها القدائد اليابسة، قد دقت ثم أغلي بها، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل، فقال ذات يوم: إني والله قد أرى تعذيركم وكراحتكم لطعامي، إني

(١) رواه البخاري رقم ٥٦٣٣، ٥٨٣١.

والله لو شئت لكنت من أليينكم طعاماً وأرقمكم عيشاً، ولكني سمعت الله تعالى غير قوماً بأمر فعلوه، فقال: ﴿أَذْهَبَتْ طَبِيبِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] فمن ترك اللذة المحرمة استوفاهها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاهها هاهنا حرمها ثم، أو نقص كمالها، فلا يجعل الله لذة من عكف على معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبداً.

قلت: وبالجمله كل من ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه، أو عوضه ذلك الشيء بنفسه على وجه مباح شرعي، وقد حكى الإمام الحافظ ناصر السنة أبو الفرج ابن الجوزي - طيب الله ثراه - في كتابه «التبصرة» عن بعض السلف قال: كان لنا جار من المتعبدين قد برز في الاجتهاد فصلى حتى تورمت قدماه، وبكى حتى مرضت عيناه، فاشتري جارية وكانت تحسن الغناء وهو لا يعلم، فبينما هو في محرابه رفعت صوتها بالغناء فطار له، ورام ما هو عليه من التعب فلم يقدر عليه، فقالت له الجارية: يا مولاي، لقد أبليت شبابك، ورفضت لذات الدنيا في أيام حياتك، فلو تمتعت بي؟ فمال إلى قولها وترك التعب، واشتغل بفنون اللذات فبلغ ذلك أخاً له كان يوافقه في العبادة فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الناصح الشفيق، والطبيب الرفيق إلى من سلب حلاوة الذكر والتلذذ بالقرآن، بلغني أنك اشتريت قينة بعت بها حظك من الآخرة، فإن كنت بعت الجزيل بالقليل، والقرآن بالقيان، فإني محذرك هاذم اللذات، ومنغص الشهوات، فكأنه قد جاءك على غرة، فأبكم منك اللسان، وهدم منك الأركان، وقرب منك الأكفان، واحتوشك الأهل والجيران، وأحذرك من الصيحة إذا جثت الأمم لملك جبار، ثم طوي الكتاب وبعته إليه فوفاه وهو على مجلس سروره، فأذهله وأغصه بريقه، فنهض من مجلسه وعاد إلى اجتهاده حتى مات، فقال الذي وعظه، فرأيته في

المنام بعد ثلاث . فقلت : ما فعل الله بك؟ فقال شعر :

الله عوضني ذو العرش جارية      حوراء تغنيني طوراً وتسقيني  
تقول لي اشرب بما قد كنت تأملني      وقر عيناً مع الولدان والعين  
يا من تخلي عن الدنيا وأزعجه      عن الخطايا وعيد في الطواسين

وقد ذكرت لهذا يعني «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه» باباً في مجموعي نديم الندماء، وذكرت ثم أشياء تُوفي بالمراد، فعلى العاقل أن يستدرك ما فات من الهفوات، وأن ينخلع عن المساوي والآفات، وأن لا ينهمك في زخارف الدنيا الدنيئة واللذات، فإن ذلك يجلب الندامة، ويورث المهالك والعاهات يوم القيامة، هذا وباب التوبة مفتوح لمن طلبه، والمولى صفوح لمن ترك من أجله ذنبه، شعر :

مولاي جنتك والرجاء      قد استجار بحسن ظني  
أبغي فواضلك التي      تمحوها ما كان مني  
فانظر إليّ بحق لطفك      يا إلهي واعف عني  
لا تخزني يوم المعاد      بما جنيت ولا تهني

\* \* \*

## فصل

## وأما اختلاف الناس: هل في الجنة حمل أم لا؟

فقد أخرج الترمذي في جامعه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضع، وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي»<sup>(١)</sup> قال الترمذي: حسن غريب.

وقد اختلف أهل العلم في هذا، فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد، هكذا روي عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي.

وقال البخاري: قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي ﷺ: «إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي، ولكن لا يشتهي» قال البخاري: وقد روي عن أبي رزين العقيلي، عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة لا يكون لهم ولد»<sup>(٢)</sup> انتهى. كلام الترمذي.

قال في «حادي الأرواح»: قلت: إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح، فرجاله يحتج بهم فيه، ولكنه غريب جداً، وتأويل إسحاق فيه نظر، فإنه قال: إذا اشتهى المؤمن، فإذا للمتحقق الوقوع، ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال: لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة، فإن ما لا يكون أحق بأداة «لو»، كما أن المحقق الوقوع أحق بأداة «إذا».

وقد أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد رضي الله عنه قيل: يا رسول الله ﷺ أيولد

(١) رواه الترمذي (٦٩٥/٤) رقم ٢٥٦٣، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/١٤٥٢) رقم ٤٣٣٨، والدارمي (٤٣٤/٢) رقم ٢٨٣٤، وأحمد (٩/٣) رقم ١١٠٧٨، وابن حبان في صحيحه (٤١٧/١٦) رقم ٧٤٠٤.

(٢) الترمذي في تخريج الحديث السابق.

لأهل الجنة فإن الولد من تمام السرور؟ فقال: «نعم، والذي نفسي بيده، وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم، فيكون حمله ورضاعه، وشبابه»<sup>(١)</sup> وأخرج في «حادي الأرواح» بسنده عنه نحوه، إلا أنه قال: «فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة» ورواه الحاكم وهو ضعيف كما قال البيهقي.

وفي حديث لقيط الطويل قلت: يا رسول الله، ولنا فيها - يعني الجنة - أزواج أو منهن مصلحات؟ قال: «الصالحات للصالحين تلذوا بهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذنكم غير أن لا توالد»<sup>(٢)</sup>. قال لقيط: أقصى ما نحن بالغون ومنتھون إليه؟ فلم يجبه النبي ﷺ، الحديث.

قال المحقق: هذا حديث كبير مشهور، وعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادي على صحته، وقال في (الهدى): بعد سياقه حديث الوفد من أوله، هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة، لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة ابن عبد الرحمن المدني، رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما في الصحيح، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، ورواه أئمة السنة في كتبهم، وتلقونه<sup>(٣)</sup> بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه، ولا

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٥٤٢/٤) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن غريب، ولم أقف عليه عند من ذكرهم المصنف وذكره الألويسي في روح المعاني (١٦/١٣٢).

(٢) جزء من حديث رواه الحاكم (٦٠٥/٤) رقم ٨٦٨٣، والطبراني في الكبير (٢١١/١٩) رقم ٤٧٧، وأحمد (١٣/٤) رقم ١٦٢٥١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦١١) رقم ١٨٣٥١ وقال: رواه عبد الله والطبراني بنحوه وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات.

(٣) كذا بالأصل.

في أحد من رواته، فممن رواه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه، وفي كتاب السنة، والحافظ الجليل أبو بكر بن عمرو، والحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم، والحافظ الطبراني والحافظ أبو عبد الله ابن محمد بن حبان أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب السنة، والحافظ ابن الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده حافظ أصبهان، والحافظ ابن مردويه، والحافظ أبو نعيم وجماعة من الحفاظ، ثم قال: ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد أو جاهل، أو مخالف للكتاب والسنة. هذا كلام أبي عبد الله بن منده، رحمه الله تعالى، قلت: وأنا أذكر الحديث بطوله أَجْمَلُ به مجموعي هذا متبركاً به ومقتدياً بهؤلاء الأعلام، فأقول: أخرج هؤلاء الأعلام المذكورون عن عاصم بن لقيط: أن لقيطاً رضي الله عنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك، قال لقيط بن عامر رضي الله عنه خرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً، فقال: «يا أيها الناس، ألا إنني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لتسمعوا اليوم، ألا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ إلا ثم؟ لعله أن يلهيه حديث نفسه، أو حديث صاحبه، أو يلهيه الضلال، ألا إنني مسئول: هل بلغت، ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا، ألا اجلسوا، فجلس الناس، - وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت: يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه، وعلم أنني أبتغي سقطه - فقال: ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله، وأشار بيده، قلت: وما هي؟ قال: علم المنيّة، قد علم متى منية أحدكم، ولا تعلمونه، وعلم المنيّ حتى يكون في الرحم ولا تعلمونه، وعلم ما في غد ما أنت طاعم غداً ولا تعلمه، ويعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب.

قال لقيط: فقلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً يا رسول الله، قال: وعلم يوم الساعة متى تكون؟ قلت: يا رسول الله، علمنا مما تعلم الناس، فإننا من قبيل لا يصدق تصديقنا أحد مذحج التي تربوا علينا، وخشم التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها، قال: تلبثون ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصائحة لعمر إلهك لا تدع على ظهرها شيئاً إلا مات، والملائكة الذين مع ربك عز وجل، فأصبح ربك يطوف في الأرض، وخلت عليه البلاد، فأرسل ربك السماء بهضب أي: مطر من عند العرش، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل، ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه فيستوي جالساً، فيقول ربك مهيم؟ لما كان فيه، يقول: يا رب أمس اليوم ولعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله، فقلت: يا رسول الله كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟ قال: أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله، الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بالية؟ فقلت: لا تحيا أبداً، ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها، وهي شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فيخرجون من الأصواء<sup>(١)</sup> من مصارعهم، فتنظرون إليه وينظر إليكم، قال: قلت: يا رسول الله، فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة ولا تضارون في رؤيتهما، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما، قلت: يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح بقلكم بها، لعمر إلهك ما

(١) في الأصل (الأضواء).

تخطئ وجه أحدكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فتخطمه مثل الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم ﷺ ويفرق على أثره الصالحون، فيسلكون جسراً من النار فيطأ أحدهم الجمرة، يقول: حس، فيقول ربك عز وجل أوانه: ألا فتطلعون على حوض الرسول ﷺ على أظماء والله ناهلة قط رأيتها، فلعمر إلهك ما بسيط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى، وتخنس الشمس والقمر، فلا ترون منهما أحداً، قال: قلت: يا رسول الله فما نبصر؟ قال: بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض، ثم واجهته الجبال، قال: قلت: يا رسول الله، فيما نجزي من حسناتنا، وسيئاتنا. قال: الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلا أن يعفو، قلت: يا رسول الله، ما الجنة ما النار؟ قال: لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً، وأن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً، قلت: يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة؟ قال: على أنهار من غسل مصفى، وأنهار من خمر، ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن ما تغير طعمه، وماء غير آسن وفاكهة، ولعمر إلهك مما تعلمون، وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة، قلت: يا رسول الله أولنا فيها أزواج، أو منهن مصلحات؟ قال: الصالحات للصالحين، وفي لفظ: المصلحات للمصالحين، تلذذونهن ويلذذنكم مثل لذاتكم في الدنيا غير أن لا توالد.

قال لقيط: فقلت يا رسول الله، أقصى ما نحن بالغون ومتهون إليه؟ فلم يجبه النبي ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، علام أبياعك؟ فبسط النبي ﷺ يده وقال: على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وزيال الشرك، وألا تشرك بالله إلهاً غيره قلت: يا رسول الله، وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟

فقبض رسول الله ﷺ يده، فظن أنني مشروط ما لا يعطينه، قال: قلت: نحل منها حيث شئنا ولا يجني على أمرئ إلا نفسه، فبسط يده، وقال: لك ذلك تحل حيث شئت ولا يجني عليك إلا نفسك، قال: فانصرفنا عنه، ثم قال: ها إن ذين، ها إن ذين، مرتين من اتقى الناس في الدنيا والآخرة وفي لفظ: في الأولى والآخرة.

فقال له كعب بن الحدارية أحد بني بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟ قال: بنو المنتفق، بنو المنتفق - ثلاثاً - أهل ذلك منهم، قال: فانصرفنا وأقبلت عليه وقلت: يا رسول الله، هل لأحد ممن مضى من خير في جاهليتهم؟ فقال: رجل من عرض قريش، والله إن أباك المنتفق لفي النار، قال: فكأنه وقع حر بين جلد وجهي ولحمه مما قال لأبي على رءوس الناس». فهمت أن أقول: وأبوك يا رسول الله؟ ثم إذا الأخرى أجمل، فقلت: يا رسول الله، وأهلك؟

قال: وأهلي لعمر الله، ما أتيت عليه من قبر عامري، أو قرشي من مشرك فقل: أرسلني إليك محمد، فأبشرك بما يسوءك تجر على وجهك ويطنك في النار، قال: قلت: يا رسول الله، ما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟ قال: ذلك بأن الله بعث في آخر كل سبع أمم نبياً، فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) انظر الحديث السابق وانظر تعليق المصنف عليه منقولاً عن ابن القيم في (زاد المعاد).

## فصل

في الإشارة إلى غريب هذا الحديث العظيم .

تقدم قوله بهضب: أي مطر، والأصواء: القبور، والسقطة: الهفوة، والشربة بفتح الراء الحوض الذي يجتمع فيه الماء، وبالسكون: الحنظلة، يريد إن الماء قد كثر فمن حيث شئت تشرب، وعلى رواية السكون يكون شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنظلة واستوائها .

قوله: ضن ربك بمفاتيح خمس أي كتم علم خمس، وأصل الضن: البخل، فتقول العرب: ضننت بالشيء بكسر النون لتضن به ضنونا وضنا وضنانه، فأنا ضنين أي بخيل، وضننت أضن لغة، ومنه حديث زمزم: «أحفرن المضمونة» أي التي يضمن بها لنفاستها، وعزتها .

واعلم أنه لا يجوز إطلاق البخل على الله - تعالى الله عن ذلك - فالمراد أن الله كتم علم خمس من الغيب أو نحو ذلك، فالله أعلم بمراده، والمنية: الموت، والمني: هو ماء الرجل الخارج دفقاً بلذة، والرحم بيت الولد، ويشرف يعني الغيث الذي هو المطر يقرب .

وقوله: أزلين: بسكون الزاء الشدة، والأزل على وزن كتف هو الذي قد أصابه الأزل، وأشد به حتى كاد يسقط .

وقوله: فيظل يضحك، هذا من صفات أفعاله تعالى التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته، وكذا فأصبح ربك يطوف في الأرض ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] وجميع ما ثبت بالكتاب والسنة الصحيحة، فأهل الأثر وجميع السلف يؤمنون به ويكلونه إليه سبحانه من غير تحريف ولا

تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل إذ هم جازمون بأن ليس كمثل شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أقواله، ولا في أفعاله، فالمشبه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً، وعلماء الخلف يؤولون ذلك، وأبت الجهمية إلا التعطيل، فعليهم ما يستحقون من المولى الجليل، والجسر: الصراط.

وقوله: حس كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه أو يؤلمه، قال الأصمعي رَحَّلَهُ وَهِيَ مِثْلُ مِثْلٍ أَوْه، وقوله: يقول ربك أوانه. قال ابن قتيبة: فيه قولان: أحدهما: أن يكون (أونه) بمعنى نعم، والآخر أن يكون الخبر محذوفاً. كأنه قال: أنتم كذلك، أوانه على ما يقول، والطوف هو الغائط. ومنه «لا يصلي أحدكم وهو يدافع الطوف والبول»<sup>(١)</sup>.

وفي النهاية ما نصه، قوله: ما يبسط أحدكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف والأذى، الطوف: الحدث من الطعام، والمعنى أن من شرب تلك الشربة طهر من الحدث والأذى، وأنث القدح، لأنه ذهب بها إلى الشربة.

ومنه الحديث: «نهى عن متحدثين على طوفهما»<sup>(٢)</sup> أي عند الغائط انتهى. وقوله: فلعمر إلهك: هو قسم بحياة الرب جل جلاله، وفيه جواز القسم بصفاته وانعقاد اليمين بذلك، وأنها قديمة. وقوله: ثم تجيء الصائحة، يعني: صيحة البعث ونفخته.

وقوله: حتى يخلف من عند رأسه، هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١٧٩ / ٨) رقم ٢٢٤٦٤ بلفظ «لا يصلين أحدكم وهو يدافع بولا وطوفاً» موقوفاً على ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢٥٩ / ٦) في ترجمة محمد بن أبي نعيم الواسطي رقم ١٧٣٨، وقال عنه نقلاً عن يحيى بن معين: كذاب خبيث.

حصاده، شبه نشأة الآخرة باختلاف الزرع بعد حصاده، وتلك الخلفة من عند رأسك، كذا هنا، والذي في صحيح مسلم يدل على أن الإنسان ينشأ من عجم الذنب كما تقدم.

فأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجم الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»<sup>(١)</sup> وأخرجه أبو داود والنسائي أيضاً.

وأخرج عنه أيضاً مرفوعاً: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجم الذنب، منه خلق ومنه يركب»<sup>(٢)</sup> وقد قدمت الكلام على ذلك بما لعله يشفي ويكفي.

قلت: والذي يظهر لي في الجمع بين الأحاديث النبوية والآثار المحمدية أن الإنسان يركب خلقه يوم القيامة من عجم الذنب بلا ريب ثم إذا خلقه ونفخ سيدنا إسرافيل في البوق، ورجعت الأرواح إلى أجسادها دخلت الأرواح في الأجساد من قبل الرأس، وبها يزول الإشكال إن شاء الله تعالى، وقد قدمنا في حديث أبي هريرة الطويل: «إن الله تعالى يرسل مطراً على الأرض، فينزل عليها أربعين يوماً حتى يكون فوقهم اثني عشر ذراعاً، فيأمر الله تعالى الأجساد أن تنبت كنبات البقل، أي: وذلك النبات يتركب من عجم الذنب، حتى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت، قال الله تعالى: ليحيى حملة العرش، ليحيى جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثم يدعو الأرواح فيؤتى بها، تتوهج أرواح المؤمنين نوراً، والأخرى ظلمة، فيقبضها جميعاً،

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٥٥ .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٩٥٥ .

ثم يلقبها في الصور، ثم يأمره أن ينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كلها كأنها النحل، قد ملأت ما بين السماء والأرض، ثم يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها، فتدخل الأرواح في الخياشم، ثم تمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنكم سراعاً... الحديث<sup>(١)</sup> هذا ما ظهر لي من الجمع على ما فيه، والله أعلم.

وقوله: «فاستوى جالساً» أي: عند تمام خلقه بعد نفخ الروح فيه. وقوله: «يقول الرب: أمس اليوم استقلالاً لمدة لبثته في الأرض، وكأنه لبث فيها يوماً فقال أمس، بعض يوم، فقال اليوم، يحسب أنه حديث عهد بأهله، فكانه إنما فارقهم أمس أو اليوم».

وقوله: «فيقول ربك عز وجل: مهيم» أي ما شأنك، وما أمرك وفيم كنت؟ قال في النهاية: وهي كلمة يمانية.

وفي قول لقيط: كيف يجمعنا إلخ، رد على زاعمي عدم تدقيق الصحابة، وأنهم لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل، وأن أفراخ الصابئة والمجوس من الجهمية والمعتزلة، والقدرية وذويهم أعرف منهم بالعلميات، ولعمري لقد اجترأ زاعم ذلك على ربه، ومنصب أصحاب المصطفى أجل وأرفع، وأخص وأمنع، من أن يذكر هؤلاء الملاحدة في حيزه، كيف وهم الذين فسروا الكتاب، واستنبطوا الشرائع من تلك الآيات العجائب؟ ولكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

قال في «الهندي»: وفي هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء

(١) جزء من حديث الصور الطويل وتقدم (١/٦٠٥).

العبد بعدما فرقها، وينشؤها نشأة أخرى، ويخلقه خلقاً جديداً كما سماه في كتابه، وقد مر الكلام على ذلك مبسوطاً، وفي هذا السؤال أيضاً إثبات القياس في أدلة التوحيد والمعاد، والقرآن مملوء منه، وفيه أن حكم الشيء حكم نظيره، وأنه سبحانه إذا كان قادراً على شيء فكيف يعجز عن نظيره؟

وقوله في الأرض: أشرفت عليها وهي مدرة أي: بالية.

وقوله: فتنظرون إليه وينظر إليكم، فيه إثبات صفة النظر لله عز وجل وإثبات رؤيته في الآخرة.

وقوله: كيف ونحن ملئ الأرض وهو شخص واحد؟ قد جاء في هذا الحديث، وفي حديث آخر: «لا شخص أغير من الله»<sup>(١)</sup> والمخاطبون بذلك قوم عرب يعلمون المراد منه فلا يقع في قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرف عقولاً وأصح أذهاناً وأسلم قلوباً من ذلك، وحقق ﷺ وقوع الرؤية عياناً برؤية الشمس القمر تحقيقاً لها ونفياً لتوهم المجاز الذي يظنه المعطلون.

وقوله: «فياخذ ربك بيده غرفة من الماء» فيه بيان صفة اليد له سبحانه لكن نؤمن بذلك كما أخبر، لا كما يخطر في أوهام البشر، بل نمرها كما جاءت، هذا مذهب السلف الصالح، وعند الخلف التأويل لذلك بالقدرة، وفي محلات النعمة، وأنا أسلم من فرث المشبهة ودم المعطلة إن شاء الله، وأسلك طريق السلف من غير تفسير لشيء لم يفسروه، رضوان الله عليهم أجمعين.

(١) روى البخاري رقم ١٠٧ «أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه والله أغير مني» عن سعد ابن عباد، ورواه مسلم رقم ١٤٩٩ باختلاف يسير، ورواه بلفظ المصنف الدارمي (٢/٢٠٠) رقم ٢٢٢٧، وأحمد (٢٤٨/٤) رقم ١٨١٩٣.

الريطة: الملاءة، والحمم جمع حممة، الفحمة، وقوله: ثم ينصرف  
نيكم أي: من موقف القيامة إلى الجنة.

وقوله: فيفرق على أثره الصالحون أي: يفرعون ويمضون على أثره،  
وقوله: فتطلعون على حوض نبيكم، ظاهره أن الحوض من وراء الجسر،  
فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر، وللسلف في ذلك قولان،  
قيل: وراءه بدليل هذا الحديث، وقيل في الموقف بدليل ما قدمنا، وحقق  
في «الهدى» وتبعه السيوطي أنه لا تنافي بين أحاديث النبي ﷺ، وكلا  
الحديثين صحيح، فإن طول الحوض شهر، وعرضه شهر، وإذا كان بهذا  
الطول والسعة، فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر، فيرده المؤمنون  
قبل الصراط وبعده، فهذا في حيز الإمكان وقوعه، موقوف على خبر  
الصادق، وقدما ما فيه كفاية في محله.

وقوله: على أظماً والله ناهلة، الناهلة العطاش الواردون للماء، أي  
يردون الحوض أظماً ما هم إليه، وهذا الظماً من مروقهم على الصراط.

وقوله: ويخنس الشمس والقمر أي: يخفيان فلا يريان، والانخناس  
التواري والإخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾  
[الناس: ٤].

قال الزجاج: هو الشيطان جائم على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله  
خنس، وإذا غفل وسوس، وفي الحديث انتفاء الولادة، وهو المدعى،  
وقول لقيط ﷺ أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه، لا جواب لهذه  
المسألة، لأنه إن أراد أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلم ذلك إلا الله، وإن  
أراد أقصى ما نحن منتهون إليه بعد دخول الجنة والنار فكذلك، فلا تعلم  
نفس ما أخفي لهم، ولهذا لم يجبه ﷺ، وفيه أن المشركين في النار وإن

ماتوا قبل البعثة. والله تعالى أعلم.

فإن قلت: أي القولين اعتمدت عدم الولادة في الجنة أم هي؟ فإنك ذكرت لنا قولين بأدلتهم، قلت: الذي أذهب إليه عدم الولادة فيها اقتفاء للآثار الصحيحة والأخبار الصريحة، إذ هو أرجح وأصح من مقابله لعشرة أوجه:

أحدها: هذا الحديث الصريح الثابت الصحيح.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] وهن اللاتي طهرن من الحيض، والنفاس، والأذى، قال سفيان عن مجاهد: مطهرة من الحيض، والغائط، والبول، والنخام، والبصاق، والمنى، والولد، وقال عطاء: أزواج مطهرة من الولد والحيض والغائط والبول.

الثالث: قوله ﷺ: «غير أنه لا مني ولا منية» والولد إنما يخلق من المنى، فإذا لم يكن هناك مني ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد.

الرابع: أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يبقى في الجنة فضل فينشئ الله لها خلقاً يسكنهم إياها»<sup>(١)</sup> ولو كان في الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم.

الخامس: أن الله تعالى جعل الحمل والولادة مع الحيض والمنى، فلو كن النساء يحبلن في الجنة لم يقطع عنهن الحيض والإنزال.

السادس: أن الله تعالى قدر التناسل في الدنيا، لأنه قدر الموت، وأخرجهم إلى هذه الدار قرناً بعد قرن، وجعل لهم أمداً ينتهون إليه، فلولا

(١) رواه البخاري رقم ٧٣٨٤ ومسلم ٢٨٤٨ عن أنس.

التناسل لبطل النوع الإنساني، ولهذا الملائكة لا تتناسل، فإنهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن، بل كلما عدم منه أحد وجد مكانه من غير نكاح ولا تناسل، والظاهر أنهم إنما يموتون مع نفخة الفزع، وإياك أن يذهب وهمك إلى عدم موتهم، فإن كل نفس ذائقة الموت، فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلهم من الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت، فلا يحتاجون إلى تناسل لحفظ النوع الإنساني، إذ هو منشأ للبقاء والدوام، فلا أهل الجنة ولا أهل النار يتناسلون.

السابع: أنه سبحانه قال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ<sup>(١)</sup> يَأْمُرُ بِالصَّالَةِ وَالْحَقِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ<sup>(١)</sup> يَأْمُرُ بِالصَّالَةِ وَالْحَقِّ﴾ [الطور: ٢١] أخبر أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم في الدنيا بهم في الآخرة، ولو كان ينشئ في الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذريتهم الذين كانوا في الدنيا، لأن قرّة عيونهم كانت تكون بهم كما هي بذرياتهم من أهل الدنيا.

الثامن: إما أن يقال باستمرار التناسل فيها أو إلى غاية ثم ينقطع، وكلاهما باطل، أما الأول فلاستلزامه اجتماع أشخاص لا تناهي لها، وأما الثاني فلاستلزامه انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم، لا يقال بتناسل، يموت نسل ويخلفهم نسل، إذ لا موت ثم.

التاسع: أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون، ولا الرجال ينمون، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون، فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلاً، ومعلوم أن من مات من

(١) كذا بالأصل وهي قراءة صحيحة رواها أبو عمرو، وقراءة حفص ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ انظر/ عبد الفتاح القاضي/ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (٣٨٢).

الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين سنة من غير نمو يوضحه .

**الوجه العاشر:** أن الله سبحانه وتعالى ينشئ أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم، بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون ولا يهرمون على تناول الأحقاب، ولا تنمو أجسادهم، يلهمون التسبيح كالنفس من غير كلفة، فإن قلت: ماذا تقول في قول الأستاذ أبي سهل فيما نقله عنه الحاكم أنه قال: أهل الزيف ينكرون هذا الحديث - يعني حديث الولادة في الجنة - وقد روي فيه غير إسناد، وسئل النبي ﷺ عن ذلك، فقال: يكون ذلك على نحو ما أسلفنا، قال: وهذا الله يقول: ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِي (١) الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمن الممكن من شهواته، قرة عين وثمره فؤاد .

قلنا: الناقدون للولادة في الجنة لم ينفوها لزيغ في قلوبهم، بل لبثت الأحاديث والآثار التي ذكرناها، وأقوال السلف والخلف، نعم للعلماء في ذلك مذهبان وقد ذكرناهما، وحديث أبي سعيد أجود أسانيده إسناد الترمذي، وقد حكم عليه بالغرابة، وأنه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناجي<sup>(٢)</sup>، وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه إذا اشتهى الولد، وتارة أنه يشتهي الولد، وتارة أن الرجل من أهل الجنة ليولد له .

وقوله: إذا اشتهى الولد، معلق بالشرط، ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به، و«إذا» وإن كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل

(١) هكذا بالأصل وهي قراءة صحيحه رواها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة، وقراءة حفص (تشتهيه). وتقدمت ص (١٨١).

(٢) هو بكر بن عمرو وقيل بن قيس أبو الصديق الناجي، وثقه ابن معين وأبو زرعة، والنسائي وابن حبان توفي سنة ١٠٨ هـ انظر تهذيب التهذيب (٤٢٦/١) ترجمة رقم ٨٩٤، ولسان الميزان (٤٧٠/٧) ترجمة رقم ٥٥٤٥ .

لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره، قال في «حادي الأرواح» بعد ذكره للقولين مع ترجيح عدم الولادة، وذكر أن حديث أبي سعيد إن كان النبي ﷺ قد قاله فهو الحق الذي لا شك فيه، وهذه الألفاظ لا تنافي بينها ولا تناقض، وحديث أبي رزين «غير أن لا توالد»، أن ذلك نفى التوالد المعهود في الدنيا، ولا ينفي ولادة حمل الولد فيها ووضعها وسنه وشبابه في ساعة واحدة، فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر في هذه المسألة، انتهى.

وأنا أقول كما قال الذي قاله المصطفى وثبت عنه هو الصحيح، وإذا نظرنا النظر التام رأينا أن علماء الإسلام قد صححوا حديث لقيط وجزموا به، وحكموا على حديث أبي سعيد بالغرابة والاضطراب، والله أعلم بالصواب.

\* \* \*

## الباب الحادي عشر

في ذكر سماع أهل الجنة وغناء الحور العين وذكر مطاياهم وزيارة بعضهم بعضاً

أما سماع أهل الجنة، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] قال ابن كثير: الحبرة اللذة والسماع، وبه قال الأوزاعي وغيره. وفي لفظ: يحبرون الحبرة السماع في الجنة.

قال في «حادي الأرواح»: ولا يخالف هذا قول ابن عباس: يكرمون، ومجاهد وقتادة: ينعمون. لأن قولهم أعم من السماع، ولا مانع من دخول السماع فيما قالوا، فلذة الأذن السماع وذلك من الإكرام والنعيم، وهذا ظاهر لكل ذي طبع سليم.

وأخرج الترمذي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين، يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له»<sup>(١)</sup>.

وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس، وحديث علي كرم الله وجهه غريب، قال في «حادي الأرواح»: قلت: وفي الباب عن ابن أبي

(١) رواه الترمذي (٦٩٦/٤) رقم ٢٥٦٤ وقال: حديث غريب، وأحمد (١٥٦/١) رقم ١٣٤٢ بزيادة في أوله، وأبو يعلى في مسنده (٢٣٢/١) رقم ٢٦٨، وفي (٣٣٨) رقم ٤٢٩، والبزار في مسنده (٢٨٢/٢) رقم ٧٠٣، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠/٧) رقم ٣٣٩٧١.

أوفى وأبي أمامة، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فأما حديث أبي هريرة فأخرج جعفر الفريابي عنه: «إن في الجنة نهراً طول الجنة حافتاه، العذارى قيام متقابلات يغنين بأصوات حتى تسمعها الخلائق، ما يرون في الجنة لذة مثلها» .

قيل: يا أبا هريرة، وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح، والتحميد، والتقدیس، والشاء على الرب عز وجل، هكذا رواه موقوفاً .

وأخرج أبو نعيم عنه مرفوعاً: «إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ریح فتصطفق، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألد منه»<sup>(١)</sup>. وأما حديث أنس فأخرج أبو نعيم عنه مرفوعاً: «إن الحور يغنين في الجنة نحن الحور الحسان، خلقن لأزواج كرام»<sup>(٢)</sup> ورواه ابن أبي الدنيا .

وأما حديث ابن أبي أوفى فأخرج أبو نعيم عنه مرفوعاً: «يروح إلى كل رجل من أهل الجنة أربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف أيم، ومائة حوراء، فيجتمعن في كل سبعة أيام، فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلهن نحن الخالدات فلا نبید»<sup>(٣)</sup> كحديث علي رضي الله عنه بزيادة: «ونحن المقيمات فلا نظعن» .

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٩٠/٤) رقم ٥٦٨٠، وصدوره بصيغة التمريض، وقال في آخره: رواه أبو نعيم في صفة الجنة، والمباركفوري في تحفة الأحوذى (٧/١٩١).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٣١٢/٦) رقم ٦٤٩٧ بلفظ «هدينا» بدل «خلقن» والبحاري في التاريخ الكبير (١٦/٧) بلفظ «خبثنا» بدل «خلقن» وذكره الهيثمي (٧٧٥/١٠) رقم ١٨٧٦١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا .

(٣) رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة (١١٠٨/٣) رقم ٦٠٣، والسيوطي في الدر المنثور (١/٩٩)، وابن حبان في طبقات المحدثين بأصبهان (١٨٧/٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣٠١/٤) رقم ٥٧٢٥ وصدوره بصيغة التمريض وقال في آخره: رواه أبو نعيم في صفة الجنة .

وأما حديث أبي أمامة فأخرج جعفر الفريابي عنه مرفوعاً: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور العين، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزامير الشيطان»<sup>(١)</sup>.

وأما حديث ابن عمر فأخرج الطبراني عنه مرفوعاً: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغنين به نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن مما يغنين به، نحن الخالدات فلا يمتهن، ونحن الآمات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنهن»<sup>(٢)</sup>.

وسئل ابن شهاب رحمه الملك الوهاب: هل في الجنة سماع فإنه حبب إلي السماع؟ فقال: إي، والذي نفسي ابن شهاب بيده إن في الجنة لشجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد، تحته جوار ناهدات، يتغنين بالقرآن، يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً، فأجبن الجواري، فلا يدري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر؟ رواه ابن وهب.

وأخرج عن خالد بن يزيد: أن الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن: نحن الخيرات الحسان، أزواج شباب كرام، ونحن الخالدات الحديث وفيه في صدر إحداهن مكتوب: «أنت حبي وأنا حبك، انتهت نفسي عندك، لم تر عيني مثلك».

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٤٢٣/٢) رقم ١٦١٨ بلفظه وفي الكبير (٩٥/٨) رقم

٧٤٧٨ باختلاف يسير، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩٥/١٦)، وذكره الهيثمي (١٠/

٧٧٤) رقم ١٨٧٥٩ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١٤٩/٥) رقم ٤٩١٧، في الصغير (٣٥/٢) رقم ٧٣٤، وذكره

الهيثمي (١٠/٧٧٥) رقم ١٨٧٦٠ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله

رجال الصحيح.

وأخرج الأصبهاني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، هل في الجنة سماع، فإني أحب السماع؟ قال: «نعم»، والذي نفسي بيده، إن الله ليوحي إلى شجر الجنة أن أسمع عبادي الذين شغلوا أنفسهم عن المعازف والمزامير بذكري، فتسمعهم بأصوات ما سمع الخلائق مثلها قط بالتسبيح والتكبير»<sup>(١)</sup>.

وفي الثعلبي قال إبراهيم: إن في الجنة أشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع، بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار، فتتحرك تلك الأجراس بأصوات لوسمعتها أهل الدنيا لماتوا طرباً.

وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال: إذا أراد أهل الجنة أن يطربوا أوحى الله إلى رياح يقال لها الهفافة، فدخلت في آجام قصب اللؤلؤ الرطب، فحركته فضرب بعضه بعضاً، فتطرب الجنة، فإذا طربت لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت، ولأهل الجنة سماع أعلى من هذا، وهو صوت إسرافيل.

أخرج ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي أنه قال: بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل عليه السلام فيأمره الله تبارك وتعالى، فيأخذ في السماع، فما يبقى ملك في السماوات إلا قطع عليه صلاته، فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، فيقول الله: وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَنَا

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٤٨٩/١٤) رقم ٣٩٣٧٨، وعزاه الديلمي، وقد أخرج الطبري في التفسير (٢١٠/١١) موقوفاً على مجاهد قيل له: في الجنة سماع؟ قال: إن فيها لشجراً يقال له العيص، له سماع لم يسمع السامعون إلى مثله.

لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَنَابٍ ﴿ [ص: ٤٠] قال: إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة، ثم نودي: يا داود، مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم، الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا، قال: فيستفرغ صوت داود عليه السلام نعيم أهل الجنان، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَنَابٍ﴾ وأخرجه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد طيب الله ثراه في زوائد الزهد لأبيه، ولفظه: «يقيم الله سبحانه داود عليه السلام عند ساق العرش فيقول: يا داود، مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم، فيقول: إلهي كيف أمجدك وقد سلبتني في دار الدنيا؟ قال: فيقول الله عز وجل: فإني أردت عليك، قال: فيرده عليه، فيزداد صوته، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة».

وأعلى من هذا كله - بل يضمحل دونه كل سماع - كلام رب العالمين جل جلاله، وخطابه وسلامه ومحاضرتة لعباده، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك.

أخرج أبو الشيخ عن عبد الله بن بريدة: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد، فلم يقر أعينهم بشيء ولم يسمعوا شيئاً قط، أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد، وسيأتي لهذا تنمة إن شاء الله تعالى.

لطيفة:

أخرج ابن أبي الدنيا والأصبهاني عن محمد بن المنكدر قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير

الشیطان؟ أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة أسمعوهم حمدي وثنائي، وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأخرج الدينوري عن مجاهد قال: ينادي مناد يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أصواتهم وأسماعهم عن اللهو، ومزامير الشيطان؟ قال: فيجعلهم الله في رياض الجنة من مسك، فيقول للملائكة: أسمعوا عبادي تحميدي وتمجيدي، وخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأخرج ابن أبي الدنيا، والضياء المقدسي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في الجنة شجرة على ساق واحد، قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام، فيخرج أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها، فيستهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا. أي وهي شجرة طوبى.

وعن شهر بن حوشب قال: إن الله جل ثناؤه يقول للملائكة: إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلى، فأسمعوا عبادي، فيأخذون بأصوات من تهليل وتسييح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط. والله تعالى أعلم.

قلت: وهذا من باب «من ترك شيئاً عوضه الله خيراً منه»، فنسأله سبحانه أن يمن علينا بنظره تصلح قلوبنا، وتمحو ذنوبنا، وتشرح صدورنا، وتيسر أمورنا، وتؤهلنا لخدمته، وتجعلنا من القائمين بطاعته، والحافظين لحرمة، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

## فصل

وأما مراكبهم . فأخرج الترمذي عن بريدة رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ هل في الجنة من خيل؟ قال: «إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت» وسأله رجل هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل ما قال لصاحبه قال: «إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهدت نفسك ولذت عينك»<sup>(١)</sup>.

وأخرجه أيضاً عن عبد الرحمن بن سابط، عن النبي ﷺ بمعناه، وقال: هو أصح من الأول.

ورواه أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في ذكر الجنة فقال: «والفردوس أعلاها سموماً وأوسعها محلة، ومنها تفجر أنهار الجنة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة» فقام إليه رجل، فقال: يا رسول الله، إني رجل حبيب إلي الخيل، فهل في الجنة خيل؟ قال: «إي والذي نفسي بيده: إن في الجنة لخيلاً وإبلاً هفافة، تزف بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها حيث شاءوا، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، إني حبيب إلي الإبل»<sup>(٢)</sup>. وذكر الحديث. قلت: حديث الترمذي إسناده ضعيف، وقد أخرجه عن واصل بن السائب عن أبي سنورة، عن أبي أيوب الأنصاري

(١) رواه الترمذي (٦٨١/٤) رقم ٢٥٤٣، وأحمد (٣٥٢/٥) رقم ٢٣٠٣٢، روى ابن أبي شيبة أوله (٣٣/٧) رقم ٣٣٩٩١، وكذا الطبراني في الكبير (١٨٠/٤) رقم ٤٠٧٥ عن أبي أيوب وابن المبارك في الزهد (٧٧) رقم ٢٧١، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/٢٩٣)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣٠٤/٤) رقم ٥٧٣٧، والهيثمي (١٠/٧٦٢) رقم ١٨٧٢٥ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٢٦٥/٣) رقم ٤٢٧.

قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ قال: إني أحب الخيل، فهل في الجنة خيل؟ قال: «إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوته، له جناحان، تُحْمَلُ عليه، وتطير بك في الجنة حيث شئت»<sup>(١)</sup> وفي معجم ابن قانع: أن هذا الرجل اسمه: عبد الرحمن بن ساعد الأنصاري، وكذلك رواه الدينوري في أوائل المجالسة، وروى ابن عدي هذا الإسناد الضعيف أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتزاورون على نجائب بيض كأنهن الياقوت، وليس في الجنة من البهائم إلا الإبل والطير»<sup>(٢)</sup> وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون، عليها رحال مسك، تثير مناسمها غبار المسك، خطام أحدها خير من الدنيا وما فيها».

قوله: على العيس هو بكسر العين: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها أعيس، والأثنى عيس. وقيل: هي كرام الإبل، وما أحسن قول من قال:

ومن<sup>(٣)</sup> المعجائب والمعائب جمة      قرب الحبيب وما إليه وصول  
كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ      والماء فوق ظهورها محمول  
وقال بعض العلماء: العيس إبل في بياضها ظلمة خفيفة، والجون يطلق على البياض والسواد، والمراد هنا الجنس<sup>(٤)</sup>، أي الإبل البيض،

(١) رواه الترمذي (٦٨٢/٤) رقم ٢٥٤٤ وقال: هذا حديث ليس إسناده بالقوي، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب، رقم ٥٧٣٨.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٨٥/٧) في ترجمة واصل بن السائب الرقاشي رقم ٢٠٠٩ وذكر عن البخاري قوله فيه: منكر الحديث وفي آخره قال: وأحاديثه لا تشبه أحاديث الثقات، ورواه الطبراني في الكبير (١٧٩/٤) رقم ٤٠٦٩، وذكره الهيثمي (٧٦٢/١٠) رقم ١٨٧٢٤ وقال: رواه الطبراني وفيه جابر بن نوح وهو ضعيف.

(٣) في حاشية الأصل/ والمحمفوظ: وأمر مالا قيت من ألم الهوى.

(٤) في نسخة (أ) (البياض كسائر الإبل البيض).

والمناسم بنون وسين مهملة، جمع منسم، وهو باطن خف البعير.

وعند أبي نعيم عنه رضي الله عنه: «إن أهل الجنة ليتزاوون على نجائب بيض كأنها الياقوت، وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو الشيخ عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر، لها أجنحة، لا تبول ولا تروث، فقعدها عليها، ثم طارت بهم في الجنة فيتجلى لهم الجبار، فإذا رآوه خروا سجداً، فيقول لهم الجبار تعالى: ارفعوا رءوسكم فإن هذا ليس يوم عمل، وإنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون رءوسهم»<sup>(٢)</sup> وذكر الحديث.

وأنت عليم بأن في هذه الأحاديث من الاضطراب ما يقضي عليها بعدم القبول لولا كثرتها وتباين طرقها، وإذا تباينت طرق الأحاديث وكثرت اشتد بعضها ببعض، وفي قول الترمذي هذا أصح من حديث المسعودي يفهم منه أنه مقبول، بل صحيح كما لا يخفى، على أن ثمَّ من تكلم فيه، والله تعالى هو الموفق<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) انظر تخريج الحديث السابق.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٣٤) رقم ١٥٢٣ باختلاف يسير جداً موقوفاً على جابر.

(٣) في حاشية الأصل/ بلغ.

## فصل

وأما زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً، فقد قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ<sup>(١)</sup> بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٦﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٧﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصفات: ٥٠-٥٧] فأخبر سبحانه أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويتساءلون عن أمور وأحوال كانت تعرض لهم في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة.

قال مجاهد: كان شيطاناً وقال آخرون: كان من الإنس.

وقال مقاتل: كانا أخوين، وقال الباقون: كانا شريكين، أحدهما: اسمه فطروس، والآخر مؤمن اسمه يهوذا، وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴿٣٢﴾ قَالَ الْبَغُوي: ثم يقول لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار، لننظر كيف منزلة قريني وما صار إليه، هذا أظهر الأقوال، وقيل: إن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين: هل أنتم مطلعون؟ رواه عطاء عن ابن عباس.

وقيل: إنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم: ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ﴾ وقدم هذا في البغوي وأتبعه بالأول ولم يذكر الثاني، والصحيح: الأول<sup>(٢)</sup> كما في «حادي الأرواح». قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة: هل أنتم مطلعون؟ قالوا له: أنت أعرف به منا، فاطلع أنت.

(١) في الأصل (وأقبل) والمثبت هو الصواب.

(٢) في الأصل (الأهل) والمثبت هو الصواب كما في حادي الأرواح (١٧٩).

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار، فاطلع المؤمن فرأى قرينه في وسط الجحيم، ولولا أن الله تعالى عرفه إياه لما عرفه، لقد تغير وجهه ولونه، وغيره العذاب أشد تغيير. فعندها قال: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ﴾ [الصفات: ٥٦] لتهلكني وقال مقاتل: إن كدت لتغويني، ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾ [الصفات: ٥٧]. معك في النار، وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْتَأْذِنُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٥-٢٦] خائفين ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَدَابَ السَّمُورِ﴾ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٧-٢٨].

أخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيتزاور أهل الجنة؟ قال: «يزور الأعلى الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلى، إلا الذين يتحابون في الله، يأتون منها حيث شاءوا على النوق محتقبين»<sup>(١)</sup> الحشايا»<sup>(٢)</sup> قال في «حادي الأرواح»: فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضاً، وبذلك تتم لذتهم وسرورهم، ولهذا قال حارثة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد سأله: «كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً قال صلى الله عليه وسلم: إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاونون فيها فقال صلى الله عليه وسلم: عبد نور الله قلبه»<sup>(٣)</sup>.

(١) الْحَقْبُ: الحزام يلي حَقْوَ البعير، أو جبل يُشَدُّ به الرجل في بطنه. القاموس المحيط باب الباء فصل الحاء.

والحشايا: ليان الفرش/ النهاية/ مادة: حشا، ومادة: خور.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٤٤/٨) رقم ٧٩٥٦، وفي (٢٤٠) رقم ٧٩٣٦ ولكن بتقديم وتأخير، وذكره الهيثمي (٤٩٦/١٠) رقم ١٨٠١٦ وقال: رواه الطبراني وفيه بشر بن نمير وهو متروك.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٦٦/٣) رقم ٣٣٦٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٣/٧) =

قلت: وسمعت من لفظ شيخنا وحيد عصره - الشيخ عبد الغني النابلسي صاحب التصانيف الجمّة - وقد ذكر هذا الحديث، فقال له المصطفى ﷺ: «عرفت فالزم»<sup>(١)</sup>. انتهى.

وأقول: قد روى الحديث الإمام الحافظ ابن رجب في كتابه «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» وزاد في آخره فقال النبي ﷺ: «عرفت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه». ثم قال الحافظ: وهذا الحديث روي مرسلًا، وروي مسندًا متصلًا لكن من وجوه ضعيفة، انتهى.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه رفعه: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يشتاق الإخوان بعضهم بعضاً إلى بعض، فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعاً، فيقول أحدهما لصاحبه: أتعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: يوم كنا في موضع كذا فكذا، فدعونا الله فغفر لنا»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أن رسول الله ﷺ قال: «إن من نعيم أهل الجنة أنهم

= رقم ١٠٥٩١ عن الحارث بن مالك، ورواه في (٣٦٢/٧) رقم ١٠٥٩٠ عن أنس، وذكر الهيثمي هاتين الروایتين وانظر كلامه في الحديث التالي.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٦/٣) رقم ٣٣٦٧، وعبد الرزاق في مصنفه (١٢٩/١١) رقم ٢٠١١٤، وابن أبي شيبة في المصنف (١٧٠/٦) رقم ٣٠٤٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٢/٧) رقم ١٠٥٩٠، ١٠٥٩١، ١٠٥٩٢، وذكره الهيثمي (٢٢٠/١) رقم ١٨٩ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه، وفي (٢٢١) رقم ١٩٠ وقال: رواه البزار وفيه يوسف بن عطية لا يحتج به.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧١/٢١)، وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير (٢/١٠٣) في ترجمة سعيد بن دينار التمار رقم ٥٦٨ وقال: لا يتابع على حديثه وليس بمعروف بالنقل، وتابعه على ذلك ابن حجر في لسان الميزان (٢٦/٣)، وذكره الهيثمي (٧٧٩/١٠) رقم ١٨٧٧٠ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير سعيد ابن دينار والربيع ابن صبيح وهما ضعيفان وقد وثقا.

يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، فيركبونها، حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل، فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون: أمطري علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانهم، ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية، فتتسف كثباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذ ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي معارفها وفي رؤوسهم، ولكل رجل منهم جمعة على ما اشتتهت نفسه، فيعلق ذلك المسك في تلك الحمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله، أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت؟ فتقول المرأة: أو ما تعلم أن الله قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] فيقول: بلى وربى، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً لا يلتفت ولا يعود، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن سيدنا الحسن بن علي عن أبيه رضوان الله عليهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة، من در وياقوت لا تروث ولا تبول، لها أجنحة، خطوها مد بصرها، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذي أسفل منهم درجة، يا رب بما بلغ عبادك هذه الكرامة، فيقال لهم: كانوا يصلون بالليل، وكنتم تنامون، وكانوا يصومون

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٦٩) رقم ٢٣٩، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤) (٣٠٣) رقم ٥٧٣٢.

وكتتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكتتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكتتم  
تجنبون<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (٣٨٣) رقم ٣٣٠، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٦٦/١) في ترجمة محمد بن أحمد بن إبراهيم رقم ١٠٠، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٨٩/٣) وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣٠٤/٤) رقم ٥٧٣٥، وصدّره بصيغة التمرّض.

## فصل

## في ذكر سوق الجنة وما أعد الله فيه لأهلها

أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»<sup>(١)</sup> ورواه الإمام أحمد في المسند وقال: فيها كئبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح.

وأخرج ابن أبي عاصم في كتاب (السنة)، إن سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله تبارك وتعالى، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من مسك، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أذنهم - وما فيهم دنيء - على كئبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً، قال أبو هريرة رضي الله عنه: وهل نرى ربنا عز وجل؟ قال: نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا، قال: فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حضره الله محاضرة حتى يقول: يا فلان ابن

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٣٣، وأحمد (٢٨٤/٣) رقم ١٤٠٦٧، وابن حبان في صحيحه (١٦/٤٤٤) رقم ٧٤٢٥.

فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: بلى أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه، قال: فبينما هم على ذلك، غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط قال: ثم يقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم<sup>(١)</sup>، قال: فيأتون سوقاً قد حفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الأذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا، ليس يباع فيه شيء ولا يشتري، وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً، قال: فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه - وما فيهم دنيء - فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة، فما يتقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلاً بحبنا، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل وبحقنا أن نتقلب بمثل ما انقلبنا<sup>(٢)</sup>.

ورواه الترمذي في صفة الجنة، وابن ماجه، وليس في سنده من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب، وهو كاتب الأوزاعي، فلا ينكر عليه تفرده عن الأوزاعي بما لم يروه غيره، وقد قال الإمام أحمد - طيب الله ثراه - وأبو حاتم الرازي هو ثقة، نعم ضعفه دحيم والنسائي، وقال الترمذي:

(١) في الأصل (شتتم) والمثبت هو الموافق للحديث.

(٢) رواه الترمذي (٦٨٥/٤) رقم ٢٥٤٩ وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه (١٤٥/٢) رقم ٤٣٣٦، وابن حبان في صحيحه (٤٦٦/١٦) رقم ٧٤٣٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩/٣٤) وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣٠١/٤) رقم ٥٧٢٨ وعلق عليه بما يشعر بقوله له فقد قال بعد إيراد كلام الترمذي عنه: رواه ابن أبي الدنيا عن هقل ابن زياد كاتب الأوزاعي أيضاً واسمه محمد وقيل عبد الله وهو ثقة ثبت احتج به مسلم وغيره عن الأوزاعي.

غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

قال في «حادي الأرواح»: قلت: قد رواه ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة، وروى الترمذي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها»<sup>(١)</sup> قال الترمذي: حديث غريب، قلت: حكم على هذا الحديث الإمام ناصر السنة ابن الجوزي بالوضع، وأعله بعبد الرحمن بن إسماعيل الواسطي بأنه متروك، واستدرك عليه الإمام جلال الدين السيوطي بأنه قد أخرجه الإمام ابن الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند، والترمذي، قال الحافظ ابن حجر في (القول المسدد) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إسحاق حسن له الثوري حديثاً غير هذا مع قوله فيه: أنه تكلم فيه من قبل حفظه، وصحح له الحاكم حديثاً آخر، وأخرج له ابن خزيمة في صحيحة، لكن قال في القلب منه شيء، وله شاهد من حديث جابر أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية.

وأخرج الحافظ أبو عبد الله الحضرمي عن جابر نحوه.

وإلى هذا السوق أشار الإمام المحقق ابن القيم في قصيدته الميمية

حيث قال:

وحي على السوق الذي فيه يلتقي ال	محبون ذاك السوق للقوم معلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له	فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحي على يوم المزيد الذي به	زيارة رب العرش فاليوم موسم

(١) رواه الترمذي (٦٨٦/٤) رقم ٢٥٥٠ وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (١٥٦/١) رقم ١٣٤٢، وأبو يعلى (٢٣٢/١) رقم ٢٦٨ وسبق.

وتربته من أذفر المسك أعظم  
ومن خالص العقيان لا يتفصم  
لمن دون أصحاب المنابر تعلم

وحي على واد هنالك أفيح  
منابر من نور هناك وفضة  
وكثبان مسك قد جعلن مقاعداً  
والله أعلم.

\* \* \*

## الباب الثاني عشر

## في السعادة العظمى، وزيارة إله الأرض والسماء ورؤيته

أخرج الإمام الشافعي عن أنس رضي الله عنه قال: «أتى جبريل بمراة بيضاء فيها نكتة إلى النبي ﷺ، فقال ﷺ: ما هذه؟ قال: الجمعة، فُضِّلَتْ بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع - اليهود والنصارى - ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد، قال النبي ﷺ: وما يوم المزيد؟ قال: إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح - أي واسع - فيه كتب مسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها النبيون، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب، مكللة بالياقوت والزبرجد، عليها الشهداء والصديقون يجلسون من ورائهم على تلك الكتب، فيقول الله تعالى: أنا ربكم صدقتم وعدي، فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم، ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو نعيم عن أبي برزة الأسلمي: «إن أهل الجنة ليغدون في

(١) رواه الشافعي في مسنده (٧٠) رقم ٢٠٨، وروى نحوه الطبراني في الأوسط (١٥/٧) رقم ٦٧١٧، والحاثر في مسنده (٣٠١/١) رقم ١٩٦، وأبو يعلى (٢٢٨/٧) رقم ٤٢٢٨، وذكره الهيثمي (٧٧٩/١٠) رقم ١٨٧٧١ وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم، وإسناد البزار فيه خلاف.

حلة، ويروحون في أخرى، كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل . . .»<sup>(١)</sup> الحديث.

وأخرج عن علي رضي الله عنه : إذا سكن أهل الجنة في الجنة أتاهم ملك يقول: إن الله تعالى يأمركم أن تزوروه، فيجتمعون، فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد، قالوا: يا رسول الله، وما مائدة الخلد؟ قال: زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون، ثم يكسون، فيقولون: لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم فيخرون سجداً، فيقال لهم: لستم في دار عمل، إنما أنتم في دار جزاء»<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٣/٢٣٣) رقم ٣٩٤ .  
 (٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٣٠٥) رقم ٥٧٣٩ و صدره بصيغة التمریض وعزاه إلى أبي نعيم في صفة الجنة .

## فصل

ورؤية المولى جل وعلا ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع أهل الحق من الأمة، وهي أشرف وأعظم وأجل وأنعم نعيم الجنة قدراً وأجله خطراً، وأعلاه أمراً، فما أقرها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدّها على أهل البدع والشناعة، فهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، ورغب فيها الراغبون، وتتم فيها العاشقون، ولمثل ذلك فليعمل العاملون، ويجتهد المجتهدون، فإذا نال ذلك أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وتنعموا برؤية الرؤوف الرحيم، واتفق جميع الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، وأئمة الإسلام أجمعين على ثبوتها في دار القرار والنعيم والنوال، وأنكرها أهل البدع والاعتزال، والكفر والضلال، منهم الجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبال الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون، وبقذف سيدة النساء أم المؤمنين، حبيبة المصطفى، المبرأة من كل ريبة بالآيات الصريحة القرآنية، والروايات الصحيحة المحمدية، ومن أجمع أهل الحق قاطبة بكفر من طعن فيها، بل بكفر من لم يجزم ببراءتها، كما يجزم بنبوّة محمد ﷺ، وكما يجزم بعدم الشريك لله تعالى، شعر:

حصان<sup>(١)</sup> رزان لا تبوء بريبة      وتصبح غرثي<sup>(٢)</sup> من لحوم الغوافل  
عقيلة حي من لؤي بن غالب      كرام المساعي مجدهم غير نازل

(١) يقال: امرأة حصان: عفيفة بينة الحصانة. لسان العرب مادة: حصن.

(٢) الغرث: أيسر الجوع، وقيل شدته، وقيل هو الجوع عامة، وغرثه: جوعه. لسان العرب/ مادة: غرث.

مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سوء وباطل فالرافضة عليهم اللعنة بقذف هذه السيدة يتعبدون، ولرؤية الحق ينكرون، ولسنة رسول الله الغراء محاربون، ولمخالفة الله ورسوله متبعون، وبتغليب الروح الأمين يتحدثون<sup>(١)</sup>، وكل هؤلاء الضلال عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطردون، بل وفيه شاكون، ولكتابه مخالفون، فكل منهم مبعود ملعون.

أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين وأعداء الرسول وحزبه ومن خالفوا الذكر الحكيم وما أتى به المصطفى بالحق من عند ربه قال الله تعالى: ﴿وَجُودٌ بِؤْمُرٍ تَأْتِرُ<sup>(٢)</sup> وَتَأْتِي<sup>(٣)</sup> إِلَيْكَ رَيْحًا نَاطِرَةً﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وأخرج ابن بطة في «الإبانة» عن عمارة بن روية قال: نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية له: «إنكم سترون الله تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس، ولا ركعتين قبل غروبها فافعلوا»<sup>(٣)</sup>.

وفي «حادي الأرواح» عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: يأتون النبي

(١) الذين يقولون بخطأ جبريل في الرسالة هم فرقة الغرابية من الشيعة. انظر/ الفرق بين الفرق للبيغدادي (٢٣٧).

(٢) الإبانة لابن بطة (٨/٣) رقم ٤، والبخاري رقم ٥٥٤، والترمذي (٦٨٧/٤) رقم ٢٥٥١ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) انظر الحديث السابق.

ﷺ فيقولون: يا نبي الله، إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: «نعم، أنا صاحبكم» فيخرج يجوس - أي: يطوف - الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة، فيأخذ بحلقة الباب، فيقرع، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد قال: فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله، فيستأذن في السجود، فيؤذن له<sup>(١)</sup> الحديث.

وأخرج ابن بطة، وابن المبارك عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فإذا في كفه مرآة كأصفي المرايا وأحسنها، وإذا في وسطها نكتة سوداء، قال: قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها، قال: قلت: وما هذه اللعة في وسطها؟ قال: هذه الجمعة، قلت: وما الجمعة؟ قال: يوم من أيام ربك عظيم، وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة، أما شرفه وفضله في الدنيا: فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق، وأما ما يرجى فيه: فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه، وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة: فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وجرت عليهما أيامهما وساعاتهما ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرزون ويخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد: يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد، لا يعلم سعة وعرضه وطوله إلا الله عز وجل، في كئيبان المسك، قال فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت، قال: فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٤٧/٦) رقم ٦١١٧ باختلاف في بعض الألفاظ، وكذا ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٨/٦) رقم ٣١٦٧٥ وذكره الهيثمي (٦٧٥/١٠) رقم ١٨٥٠٣ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحاً تدعى المثيرة، تثير عليهم أنايير المسك الأبيض، فتدخله من تحت ثيابهم، وتخرجه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح أعلم كيف يصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها كل طيب على وجه الأرض لكانت تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من تلك المرأة لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى، ثم يوحى الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة، وبينه وبينهم الحجب، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، وصدقوا رسلي واتبعوا أمري؟ فسلوني فهذا يوم المزيد قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: رب رضينا عنك، فارض عنا، قال: فيرجع الله تعالى في قولهم: أن يا أهل الجنة أني لو لم أرض عنكم لما أسكتتكم جنتي، فسلوني فهذا يوم المزيد، قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: رب وجهك رب وجهك أرنا نظرك إليه، قال: فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب، ويتجلى لهم، فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحرقوا لاحترقوا مما غشاهم من نوره، قال: ثم يقال: ارجعوا إلى منازلكم، قال: فيرجعون إلى منازلهم. وقد خَفَّوْا على أزواجهم، وخَفَّين عليهم مما غشاهم من نوره تعالى، فإذا صاروا إلى منازلهم تزداد النور وأمكن، وتزداد وأمكن، حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها، قال: فتقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها، قال: فيقولون: ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم، قال: فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣/٣١) رقم ٢٦، وذكره الهيثمي (٧٨٠/١٠) رقم ١٨٧٧٢ وقال: رواه البزار وفيه القاسم بن مطيب وهو متروك.

ورواه البزار وقال حذيفة رضي الله عنه في قوله عز وجل ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئِرٍ وَزَيَْادَةٍ﴾ [يونس: ٢٦] قال: النظر إلى وجه الله عز وجل وقال الحاكم: وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع.

وأخرج ابن خزيمة عن أبي نضرة، قال: خطبنا ابن عباس رضي الله عنهما فقال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا له دعوة تعجلها في الدنيا، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فأتي باب الجنة، فأخذ بحلقة الباب، فأقرع الباب، فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فأتي ربي وهو على كرسيه أو وهو على سريره، فيتجلى لي ربي، فأخر له ساجداً»<sup>(١)</sup>.

ورواه ابن عيينة عنه، وأبو بكر ابن أبي داود عنه مرفوعاً: «إن أهل الجنة يرون ربهم تعالى في يوم كل جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلساً أسرعهم يوم الجمعة، وأبكرهم غدواً»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الصغاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: خلق الله الملائكة لعبادته أصنافاً، فإن منهم ملائكة قياماً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، ومنهم ملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى، ونظروا إلى وجهه الكريم، قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك. وأخرج الدارقطني عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئِرٍ وَزَيَْادَةٍ﴾ [يونس: ٢٦] قال النظر إلى وجه الله

(١) أجزاء من مواضع متفرقة من حديث طويل رواه أحمد (٢٨١/١) رقم ٢٥٤٦، وذكره

الهيثمي (٦٧٥/١٠) رقم ١٨٥٠٤.

(٢) أخرجه ابن بطه في الإبانة (٤١/٣) رقم ٣٠.

عز وجل، ورواه محمد بن حميد عن كعب بن عجرة مرفوعاً<sup>(١)</sup>. وأخرج الدارمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن فضالة يعني ابن عبيد كان يقول: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك<sup>(٢)</sup>، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، وأخرج الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قد حدثتكم عن الدجال» الحديث وفيه: «وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»<sup>(٣)</sup> وقال الصديق رضي الله عنه وقد سئل: ما الزيادة يا خليفة رسول الله؟ قال: النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى. ذكره في «حادي الأرواح».

وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى الله تبارك وتعالى في جنته. رواه ابن حاتم. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: كل مؤمن دخل الجنة يرى الله عز وجل؟ قال: نعم. وقال أنس في قوله عز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]. يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه إن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «هل تضارون في القمر

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤٥٧/٣) رقم ٧٨١، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة (٤٨٤/١) رقم ٤٨٤.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: ولذة النظر إلى وجهك، هذا محل الاستدلال، إذ الرسول لا يطلب مستحيل الوصول عند ذوي العقول بإجماع أهل الحق، وهذا الصريح منقول، فاصغ لما جاء عن المختار، وارضض كلام أهل البدع والإنكار، ولا تصغ لكل مبتدع كفور، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

(٣) أخرجه أحمد (٣٢٤/٥) رقم ٢٢٨١٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٥٧/٥)، والطبراني في مسند الشاميين (١٨٥/٢) رقم ١١٥٧ وذكره الهيثمي (٦٦٧/٧) رقم ١٢٥٤١ وقال: رواه البزار وفيه بقية وهو مدلس.

ليلة البدر؟ قالوا: لا، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحب، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك»<sup>(١)</sup> الحديث.

وفي صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تعالى ثم تلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> [يونس: ٢٦] الحسنى الجنة، والزيادة الرؤية، وقال هذا جماعة المفسرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم منهم الصديق الأعظم، وعلي، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة. وقال البيهقي: هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين، ومثله لا يقال إلا بتوقيف، وقد روي مرفوعاً، أخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث يوم القيامة نادياً ينادى بصوت يسمعون أولهم وآخرهم: يا أهل الجنة، إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن»<sup>(٣)</sup> وقد مر ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ أيضاً.

وأخرج الأجرى والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٥٧٣، ٧٤٣٧ باختلاف يسير، ومسلم رقم ٢٩٦٨.

(٢) رواه مسلم رقم ١٨١، والترمذي (٦٨٧/٤) رقم ٢٥٥٢، وأحمد (٣٣٢/٤) رقم ١٨٩٥٥.

(٣) رواه الطبري في التفسير (٥٤٩/٦)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤٥٧/٣) رقم ٧٨٢ وذكره ابن كثير في التفسير (٥٤٥/٢).

تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]. قال: حسنة: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>\*</sup> [القيامة: ٢٣] قال: نظرت إلى الخالق، وقال عكرمة: ناضرة من النعيم ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>\*</sup> قال: تنظر إلى ربها نظراً، وقال محمد بن كعب والقرطبي في الآية: نضر الله تلك الوجوه وحسنها للنظر إليه. وقال الحسن: النضرة الحسن، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>\*</sup> نظرت إلى ربها فنضرت لنوره، وقال أشهب: سأل رجل مالكا: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم لم يعير الكفار بالحجاب، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥] قيل له: فإن قوماً يزعمون أن الله لا يرى؟ فقال مالك - قدس الله روحه - : السيف السيف.

والحاصل أنه قد روي حديث الرؤية عن ختام الأنبياء عليه الصلاة والسلام خلق كثير وجم غفير من الصحابة رضي الله عنهم منهم: أبو بكر، وعلي، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وجريير، وأبو موسى الأشعري، وصهيب، وجابر وابن عباس، وأنس، وعمار بن ياسر، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وزيد ابن ثابت، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وعدي بن حاتم، وأبو رزين لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد، وبريدة بن الحصيب، وعبد الله بن عمر، وعائشة أم المؤمنين، وعمارة بن زوينه، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ولم يرو عن أحد منهم نفيها، ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم إلينا كما نقل اختلافهم في مسائل الحلال والحرام والشرائع والأحكام، فهم مجمعون على رؤية الحق في الآخرة، وكذا التابعون وتابعوهم بإحسان وجميع أئمة الإسلام من أهل السنة، كإمام السنة حليلها، ومبين قوتها من هزيلها، مبيد جيش الاعتزال، وكاسر عنصر الضلال، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، طيب الله ثراه وإمام دار

الهجرة، وعالم المدينة الإمام مالك - قدس الله روحه - والإمام النبيل ومن هو للسنة الغراء حليل، الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمته الله، والإمام الأعظم والصدر المفخم الإمام محمد بن ثابت أبو حنيفة النعمان رضي عنه الملك الديان، وابن الماجشون، والأوزاعي والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وجريير بن عبد الحميد، وعبد الله بن المبارك، ووكيع ابن الجراح، وقتيبة بن سعيد، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والأسود بن سالم شيخ الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة الإسلام، رضوان الله عليهم أجمعين.

قال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة: إن المؤمنين لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.

وقال في «حادي الأرواح»: قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام، وأهل الحديث عصابة الحق وخاصة سيد الخلق، على أن الله سبحانه يرى في القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحواً، وكما ترى الشمس في الظهيرة، والله تعالى الموفق.

وقد تلونا عليك هنا فيما تقدم في المحشر ما تجزم العقول السليمة، والقلوب المستقيمة، تبعاً للآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة، الدالة على رؤية الملك الجبار بأنها حق ثابتة، وأن منكرها منسلخ من السنة الغراء، مكذب لله ورسوله، ولكونها ثابتة بلا نزاع بين أهل الحق وأن إنكارها إلحاد، ووسم منكرها من أهل البدع والعناد، وأطلق عليه معتزلي فاسد الاعتقاد، وأثبتها أهل السنة في أصول العقائد، وقالوا: كل من أنكرها فهو ملحد، بل جاحد.

وإن أردت مزيد بيان فعليك بالكتب المؤلفة في هذا الشأن، منها «حادي الأرواح» للإمام المحقق، «والجيوش الإسلامية» له، «والبهجة» للشيخ الإمام العلامة مرعي.

وعقائد أهل الأثر كلها مشحونة بذلك، والله سبحانه ولي التوفيق، وهو المستول أن يذيقنا حلاوة التحقيق، وأن يمن علينا بالنظر إلى وجهه الكريم من غير سابقة عذاب ولا محنة، إنه رءوف رحيم.

تمة:

ذهب جماعة من العلماء منهم عماد الدين بن كثير إلى أن النساء لا يرين الله سبحانه وتعالى في الجنة، وجماعة أيضاً، منهم العز بن عبد السلام.

وتبعه صاحب «آكام المرجان»، وابن جماعة، إلى أن الملائكة لا يرونه تعالى في الجنة، والتحقيق خلافه بالنص الصريح، عند الدارقطني مرفوعاً: «إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل، فأحدثهم عهداً بالنظر إليه في كل جمعة، ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم الأضحى»<sup>(١)</sup> أي في مثل يوم الفطر ويوم الأضحى.

وأخرج البيهقي: إذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم يعني: الملائكة، ونظروا إلى وجهه، وقد مر.

ونص على أنهم يرونه تعالى: أبو الحسن الأشعري في «الإبانة» وقال بذلك من المتأخرين الإمام المحقق ابن القيم، والجلال السيوطي

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٥٥)، وأبو طاهر بن أبي الصقر في مشيخته (٣٠٨) وقال محققه: إسناد ضعيف.

والبلقيني. قال الحافظ السيوطي: وهو أرجح بلا شك، وقرر الجلال  
البلقيني ثبوت الرؤية للملائكة، ومال إلى ثبوتها لمؤمني الجن أيضاً، وهو  
اللائق بكرمه سبحانه، والتحقيق عندي: أن كل من دخل الجنة يرى الله  
سبحانه وتعالى يومئذ بلا ريب، وأما رؤيته سبحانه في الموقف فذهب  
جماعة إلى أنها تحصل حتى للمنافقين، وآخرون للكافرين، ثم يحجبون،  
والله تعالى أعلم.

\* \* \*

## فصل

## في تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ بِمَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية [آل عمران: ٧٧]. فللاية منطوق ومفهوم، فأما منطوقها فعدم كلامه سبحانه وتعالى لمن اشترى بآياته وأيمانه ثمنًا قليلًا، وأما مفهومها فهو إثباته لمن لم يتصف بهذه الصفة، بل صدق رسله سبحانه، وقابل آياته بالقبول وامثل لكل ما جاء به الرسول.

وفي حديث جابر: أن النبي ﷺ قال: «إنه يشرف عليهم سبحانه من فوقهم، ويقول: سلام عليكم يا أهل الجنة، فيرونه عياناً»<sup>(١)</sup>. رواه ابن ماجه وغيره، وفي آخره وهو قول الله عز وجل: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وفي حديث بريدة رضي الله عنه «ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب»<sup>(٢)</sup>، رواه ابن إسحاق وقال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة

(١) رواه ابن ماجه (٦٥/١) رقم ١٨٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠٩/٦)، وذكره اليهثمي (٢١٨/٧) رقم ١١٣٠٠، وقال: رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٣٥٩٥، رقم ٧٤٤٣ من حديث عدي بن حاتم، ومسلم رقم ١٠١٦.

(٣) انظر البخاري رقم ٧٥١٨، ٧٥١٩.

أحاديث<sup>(١)</sup>. ولا جرم أن أفضل نعيم أهل الجنة رؤية معبودهم وتكليمه لهم سبحانه وتعالى، فويل لمن أنكر ذلك فقد باء بغضب الله والمهالك.

### تكملة:

اعلم أن أهل الجنة كلهم ملوك خالدون، يحاضرون<sup>(٢)</sup> الملك الأزلي سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] قال مجاهد: عظيماً، وقال: استئذان الملائكة عليهم، فإنها لا تدخل إلا بإذن، وكذا قال كعب، وقال أبو سليمان في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ قال: المَلِكُ الكبير إن رسول رب العزة يأتيه بالتحفة واللطف، فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه، فيقول للحاجب: استأذن علي ولي الله، فإني لست أصل إليه، فيعلم ذلك الحاجب حاجباً آخر، وحاجب بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالْمَلِكُ الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربه بلا إذن.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه يرفعه: «إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم إلا

(١) جاء في النهاية: حَضْرَةُ الرجل: قُرْبُهُ، والحاضر: القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه. النهاية/ مادة: حضر.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٤٢/٧) رقم ٧٦٧٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/١٧٥)، وذكره الهيثمي (١٠/٧٤١)، رقم ١٨٦٧٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

معه طرفة ليست مع صاحبه» وفي رواية: عشرة آلاف .

وأخرج عبد الله بن المبارك عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: إن المؤمن يكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنة، وعنده سماطان من الخدم، وعند طرف السماطين باب مبوب، فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن، فيقوم أدنى الخدم إلى الباب، فإذا هو الملك يستأذن، فيقول للذي يليه ملك يستأذن، ويقول للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن، فيقول: ائذنوا له، فيقول أقربهم إلى المؤمن: ائذنوا له، فيقول الذي يليه للذي يليه كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب، فيفتح له فيدخل فيسلم، ثم ينصرف .

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة. فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْكٍ مُلْكٍ من ملوك الدنيا، فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك، ولذت عينك. فيقول: رضيت رب»<sup>(١)</sup> الحديث. وقال أبو سعيد: إنه يقال للجنة: طوبى لك منزل الملوك. وروى مرفوعاً والصحيح أنه موقوف، والله تعالى أعلم .

\* \* \*

(١) رواه مسلم رقم ١٨٩، والترمذي (٣٤٧/٥) رقم ٣١٩٨ .

### الباب الثالث عشر

في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال ويتوهمه الخيال  
أو يدور في الخلد وفوق ما يصف كل أحد، كيف  
وموضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً﴾  
[السجدة: ١٧] وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله  
ﷺ: «قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن  
سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله عز وجل:  
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد مرفوعاً: «موضع سوط في  
الجنة خير من الدنيا وما فيها»<sup>(٢)</sup> ورواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة  
رضي الله عنه بلفظ: «لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء  
والأرض»<sup>(٣)</sup>. وإسناده على شرطهما.

ومعنى قيد: قدر، وفي الباب عن أنس، وأبي سعيد، وعبد الله بن  
عمرو بن العاص وغيرهم رضي الله عنهم.

وإنما كان موضع سوط في الجنة خيراً من الدنيا وما فيها، لكونه لا

(١) رواه البخاري رقم ٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ومسلم رقم ٢٨٢٤.

(٢) البخاري رقم ٣٢٥٠، وأحمد (٤٣٣/٣) رقم ١٥٦٠١، ١٥٦٠٢.

(٣) رواه أحمد (٣١٥/٢) رقم ٨١٥٢، وابن حبان في صحيحه (٢٨/١٤) رقم ٦١٥٨، وأبو

يعلى في مسنده (٢٠٤/١١) رقم ٦٣٦٦.

يفنى ولا يبید، ولا يشوبه هم ولا حزن ولا تنكيد مع رضا الملك المجید، وقرّة العين، بخلاف الدنيا بحذافيرها، فإنها مشوبة بالأوصاب<sup>(١)</sup> وحلوها صاب<sup>(٢)</sup>، والله أعلم بالصواب.

قال في «حادي الأرواح»: وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقراً لأحبابه، وملاًها من كرامته ورحمته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، ومُلْكُها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فأرضها الزعفران، وتربتها المسك، وسقفها عرش الرحمن، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر، وبنائها لبنة من فضة، وأخرى من ذهب، وساقات شجرها الذهب الأحمر والفضة، لا من الخشب، وثمرها كالقلال، ألين من الزبد وأحلى من العسل، وورقها من أحسن ما يكون من رقائق الحلل، وأنهارها من لبن لم يتغير طعمه، وخمر لذة للشاربين، ومن عسل مصفى، وماء غير آسن، وطعام أهلها فاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وشرابهم التسنيم والزنجبيل والكافور، وأنيتهم الذهب والفضة والقوارير، وسعة أبوابها مسيرة أربعين عاماً بين المصراعين مع لذة ما يسمعون من كلام رب العالمين، ولباسهم الحرير، وحليتهم الذهب والفضة وأنواع المعادن من الياقوت والمرجان، وعلى رؤوسهم كالملوك التيجان، وأهلها أبناء ثلاث وثلاثين، على صورة آدم أبي البشر، ووجوههم أنور من القمر، وأزواجهم الكواعب الأتراب، التي جرى في أعضائهن ماء الشباب.

(١) الوصب: دوام الوجع ولزومه، وقد يطلق على التعب والفتور في البدن. النهاية مادة وصب.

(٢) الصّاب: شجر مر، واحدته صابة، وقيل: هو عصارة الصبر، لسان العرب، مادة: صوب.

فللورد والتفاح ما لخدودها      ضياء وللرمان ما لنهودها  
 وللؤلؤ المنظوم ما ضم ثغرها      ومن أين للأغصان لين كعودها  
 إذا ما بدت للشمس ترخي نقابها      تخاف انكسافاً صابها من شهودها  
 بها هام قلبي واعتراني بحبها      ولوه وتيمني انعطافي لخدوها<sup>(١)</sup>  
 عسى الله يجمع شملنا بعد بعدنا      وأحظى بها لا أختشي من صدودها

فنسأل الله سبحانه أن يمن علينا بالرضا والعافية، ويدفع عنا أمر  
 القضاء، ويرزقنا من شراب محبته الصافية، وأن يجعلنا أهلاً لتلك الدار،  
 وأن يمتعنا بتلك الكواعب الأبيكار، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة  
 جدير، آمين.

\* \* \*

(١) الخوذ: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً، وقيل: الجارية الناعمة والجمع: خوذات وخود. لسان العرب مادة: خود.

## الباب الرابع عشر

في فصول جامعة وحكم هامة<sup>(١)</sup>

## الفصل الأول

## في ذكر آخر أهل الجنة دخولاً

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب، وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي أو تضحك بي وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، قال: فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها: رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا كبارها، فتمرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، وكذا وكذا؟

(١) هَمَّعَ الدَّمْعَ والماء ونحوهما، يَهْمَعُ وَيَهْمُهُ هَمْعًا وَهَمْعًا وَهَمُوعًا وَهَمْعَانًا، وَأَهْمَعُ: سَالَ لِسَانَ الْعَرَبِ، مَادَّةٌ: هَمْعٌ.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٥٧١، ومسلم ١٨٦.

فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن، كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه، يعجز عنه عمله أن يسعى، فيقول: يا رب بلغ بي الجنة، ونجني من النار، فيوحي الله تبارك وتعالى إليه عبدي إن أنا نجيتك من النار، وأدخلتك الجنة، أتعترف لي بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد: نعم يا رب وعزتك وجلالك، لأن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي، فيجوز الجسر، ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لأن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار، فيوحي الله إليه عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك، أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط، فيوحي الله إليه: عبدي إن لي عليك بينة، فيلتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً، فيقول: يا رب أرني بيتك، فيستنطق الله جلده بالمحقرات، فإذا رأى ذلك العبد يقول: يا رب عندي وعزتك وجلالك العظام، فيوحي الله إليه: عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه، فيدخله الجنة، ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، يقول: هذا أدنى أهل الجنة منزلة، فكيف بالذي فوقه؟»<sup>(٢)</sup>. ورواه ابن أبي شيبة.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «آخر

(١) مسلم رقم ١٩٠.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٥٨/٨) رقم ٧٦٦٩، وذكره، والهيثمي (٧٤٢/١٠) رقم ١٨٦٧٢ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم وضعفاء فيهم توثيق لين.

من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين - يعني النجاة بعد أن آيس من نفسه وتحقق الهلاك - فترفع له شجرة، فيقول: أي رب أدني من هذه الشجرة أستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله تبارك وتعالى: يا بن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها ورب يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: يا رب، أدني من هذه، لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، ورب يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولتين، فيقول: أي رب، أدني من هذه الشجرة لأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا بن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها، ورب يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: يا رب أدخلنيها. فيقول: يا بن آدم [ما يصريني<sup>(١)</sup> منك]<sup>(٢)</sup>، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها، قال: يا رب، أستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مما أضحك؟ قالوا: مما تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله

(١) يصريني منك: هو بفتح الباء وإسكان الصاد المهملة، ومعناه: يقطع مسألتك مني. انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٣٥) وفي النهاية: (ما يصرين منك) أي يقطع مسألتك ويمنعك من سؤالي، يقال: صريت الشيء إذا قطعتَه/ النهاية: مادة: صرم.

(٢) ما بين المعقوفتين ليست بالأصل ولا في نسخة (أ) وأثبتناها من نص الحديث.

ﷺ فقالوا: مما تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟ فيقول: لا أستهزئ بك ولكني على ما أشاء قادر»<sup>(١)</sup>.

وأخرجه البرقاني بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري بنحوه، غير أنه قال في الشجرة الأولى مثل له شجرة ذات ظل فقال: «قدمني إلى هذه الشجرة لأكون في ظلها، وفي الثانية ذات ظل وثمر، فقال: لأستظل بظلها، وأكل من ثمرها، وفي الثالثة ذات ظل وثمر وماء فقال: لأكون في ظلها وأكل من ثمرها، وأشرب من مائها، وأبدل «العلي إن أعطيتكها» «بهل عسيت إن أعطيتك ذلك» وكررها في كل شجرة وأبدل «ترفع» بمثل له، ولفظه: سمع أصوات أهل الجنة بقوله: فتبرز له الجنة فيقول: أي رب، قدمني إلى باب الجنة، فأكون بنجاف الجنة».

وفي رواية: «تحت نجاف الجنة. أنظر إلى أهلها، فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها، فيقول: أي رب أدخلني الجنة، فيدخله الجنة، فإذا دخل الجنة، فيقول: هذا لي، فيقول الله له: تمن. قال: فيتمني، ويذكره الله: سل كذا وكذا. فإذا انقطعت به الأمانى قال الله: هو لك وعشرة أمثاله، قال: ثم يدخل بيته. وتدخل عليه زوجاته من الحور العين»<sup>(٢)</sup> الحديث.

قوله: تحت نجاف الجنة، قال في النهاية: قيل هو أسكفة الباب، والله تعالى أعلم.

\*\*\*

(١) رواه مسلم رقم ١٨٧ .

(٢) رواه أحمد (٢٧/٣) رقم ١١٢٣٢، وروى بعضه مسلم رقم ١٨٨ .

## الفصل الثاني

## في لسان أهل الجنة

أخرج ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك، وعلى حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد ﷺ جرد مرد مكحولون»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس: لسان أهل الجنة عربي، وكذا الزهري، رواه عنه ابن المبارك، قال القرطبي: ولسانهم إذا خرجوا من قبورهم سرياني<sup>(٢)</sup>. وقال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية، فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية.

قال العلامة: وفيه بحث، فإن القرآن ناطق بتكلمهم بالعربية قبل دخولهم الجنة، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا يَا بُولِيسَ أَرْحَبْنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدَانَا﴾ [يس: ٥٢] ﴿وَقَالُوا لِيُجْلُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] وكذا لسان أهل النار قال حكاية عنهم: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِكُمْ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] ثم قال: اللهم إلا أن يكون ذلك من باب حكاية المعنى جمعاً للقولين، فليتأمل، والمراد بالملك في قوله: «بذراع الملك» ملك من ملوك اليمن له ذراع معروف المقدار، وقيل: ملك بالعجم، ذكر ذلك الحافظ المنذري، والله تعالى أعلم.

\*\*\*

(١) ذكره ابن طولون في الأحاديث المائة (٨٤) رقم ٩٤ .

(٢) في حاشية الأصل/ قف على لسان الموتى إذا خرجوا من قبورهم سرياني على رأي القرطبي .

### الفصل الثالث

#### في احتجاج الجنة والنار

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشياء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء، ولكل واحدة منكما ملؤها»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) رواه البخاري رقم ٤٨٥٠ بلفظ «تحتاج الجنة والنار» ومسلم رقم ٢٨٤٦ واللفظ له.

## الفصل الرابع

## في امتناع النوم على أهل الجنة

روى ابن مردويه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون»<sup>(١)</sup>.

وأخرجه الطبراني عنه سئل نبي الله ﷺ أينام أهل الجنة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون»<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٨٢/١) رقم ٩١٩، و(٣٤٢/٨) رقم ٨٨١٦، وأبو نعيم في الحلية (٩٠/٧)، وذكره الهيثمي (٧٦٨/١٠) رقم ١٨٧٤٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبيزار ورجال البزار رجال الصحيح.  
(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

## الفصل الخامس

في ارتقاء العبد وهو في الجنة من

درجة إلى درجة أعلى منها

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:  
«إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟  
فيقول: باستغفار ولدك لك»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) رواه أحمد (٥٠٩/٢) رقم ١٠٦١٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٥٥/٦)، وبنحوه ابن ماجة (١٢٠٧/٢) رقم ٣٦٦٠، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٨/٧) رقم ١٣٢٣٧، والطبراني في الأوسط (٢١٠/٥) رقم ٥١٠٨، وذكره الهيثمي (٣٥١/١٠) رقم ١٧٥٩٥ وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وقد وثق.

## الفصل السادس

## في إلحاق ذرية العبد المؤمن به في

## الدرجة وإن لم يعملوا عمله

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ<sup>(١)</sup> يَأْمُرُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا وَيُؤْتِيهِمْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَأَخْبَرُونَ<sup>(٢)</sup>﴾ [الطور: ٢١].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه ثم قرأ الآية»<sup>(٣)</sup> قال: ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين، ذكره في «حادي الأرواح».

وأخرج ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال شريك أظنه حكاها، عن النبي ﷺ «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته، وولده؟ فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك، فيقول: يا رب، قد عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به»<sup>(٣)</sup> ثم تلا ابن عباس: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ الآية<sup>(٤)</sup>.

(١) كذا بالأصل وهي قراءة صحيحة رواها أبو عمرو وابن عامر، وتقدمت غير مرة.  
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٠٢/٤) باختلاف يسير مرفوعاً، والبخاري في معالم التنزيل (٣٨٨/١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٣٢/٧)، ورواه موقوفاً على ابن عباس البيهقي في السنن الكبرى (٢٦٨/١٠) رقم ٢١٠٧٩، وابن أبي الدنيا في العيال (٢/٦١٦)، وذكره الهيثمي (٢٤٥/٧) رقم ١١٣٧٠ وقال: رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٤٤٠/١١) رقم ١٢٢٤٨، والصغير (٣٨٢/١) رقم ٦٤٠، وذكره الهيثمي (٢٤٥/٧) رقم ١١٣٦٩ وقال رواه الطبراني في الصغير والكبير وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف.

(٤) في الأصل (بالإلحاق بهم) والمثبت هو الموافق لنص الحديث.

واختلف العلماء ما المراد بالذرية؟ فقالت طائفة: المعنى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان فأتوا بمثل ما أتوا به من الإيمان، فألحقناهم بهم في الدرجات، فالمراد بالذرية: الكبار، وقد أطلق الله الذرية عليهم في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤] وفي قوله: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣] ويدل عليه قول ابن عباس يرفعه: «إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كان دونه في العمل لتقر بهم عينه»<sup>(١)</sup> فهذا يدل على أنهم كبار، لأنهم من أهل العمل، كما نطق به الحديث، وقالت طائفة أخرى: المراد بالذرية هنا الصغار، والمعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء، والذرية تبع الآباء - وإن كانوا صغاراً - في الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والدفن وغير ذلك، فعلى هذا قوله: ﴿بِإِيمَانٍ﴾ في موضع نصب على الحال من المفعولين، أي واتبعتهم ذرياتهم بإيمان الآباء، ويدل على هذا أن التابعين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ويكون أولادهم كذلك، وكذا أولاد أولادهم وهلم جرا إلى ما لا نهاية، فيلزم أن يكون جميع الناس في درجة واحدة، ولا قائل به.

وقالت طائفة منهم الواحدي: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار، لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب، وهذا هو الصحيح الذي لا شك فيه، لثلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، والقرآن ناص على خلافه، ولا يلزم مثل ذلك في الصغار، لأن كل رجل وذريته من الأطفال معه في درجته، ولا يذهب عليك أن لا طفل في الجنة من أبناء المؤمنين كما أسلفنا الكلام عليه، فالمراد أن من مات من أولاد المؤمنين، وإن دخلوا الجنة أبناء ثلاث وثلاثين سنة فإنهم يكونون في درجة الآباء ملحقين بهم، لأنهم لم يعملوا في دار العمل، هذا الذي يظهر لي على الصحيح، والله أعلم.

(١) انظر الحديث قبل السابق.

## الفصل السابع

## في مسألة عظيمة ونكتة جسيمة

وهي أن رجلاً من أهل العلم قدم على الشام حرسها الملك السلام، فأظهر أن الله سبحانه لا يعلم عدد نعيم الجنة، فخالفه جل أهل العلم، بل كلهم إلا من شاء الله، ثم بعد أيام اجتمعت به، وعنده جماعة من الفضلاء، فسألني بعضهم وقال: ما تقول في هذه المسألة؟ فقلت: قد عُلم بالضرورة أن علم الله يتعلق بالواجب والجائز والمستحيل من حيث هو علي ما يكون، وقد علمنا أن نعيم الجنة لا نهاية له، فلو أن الله علم عدده لكان له نهاية، لأن علم الله إنما يتعلق بالشيء على ما هو عليه، ولو كان له نهاية لكان ينفد ضرورة، لكن أقول: قد علم الله أن لا نهاية لنعيم الجنة، ولا أقول: إن الله لا يعلم عدد نعيم الجنة، هذا جوابي لمن سألني ثم رأيت سنة أربعين ومائة وألف في آخر كتاب العلامة الشيخ مرعى توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين ما نصه: قال النسفي في (بحر الكلام): سأل قوم: هل يعلم الله عدد أنفاس أهل الجنة والنار أم لا؟ فإن قلت: لا، فقد وصفتهم الله بالجهل - تعالى الله عنه - وإن قلت نعم، لزم أن أهل الجنة والنار يفنون، قال: والجواب أن نقول: إن الله يعلم أن أنفاس أهل الجنة والنار ليست بمعدودة، ولا تنقطع، فإن قيل: إن قلت بأنهم لا يفنون، فقد سويتهم بينهم وبين الله؟ قلنا لا، لأن الله تعالى قديم بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، وأهل الجنة محدثون، وإنما يبقون ولا يفنون بإبقاء الله تعالى إياهم، والله تعالى باق بنفسه، فلا يكون تسوية بين الخالق والمخلوق، انتهى<sup>(١)</sup>. فسأل

(١) في حاشية الأصل/ واعلم أن كل ذي فهم يفرق بين قولنا: الله يعلم أن لا شريك له، =

الله يرزقنا علم الأشياء على ما هي عليه على الحقيقة، بمنه وكرمه، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

\* \* \*

---

= وبين قولنا: الله لا يعلم له شريكا، وكذا الله يعلم أن لا عدد لنعيم الجنة، والله لا يعلم عدد نعيم الجنة، فليتأمل - مؤلفه.

### الفصل الثامن

ترفع جميع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر، فإنها دائمة لا تبيد ولا ترفع حتى في دار الجزاء.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: «التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس»<sup>(٢)</sup> - بالتاء المثناة فوق - أي تسبيحهم وتحميدهم وتكبيرهم لا كلفة عليهم فيه، بل يجري مع الأنفاس.

واعلم أن أعظم الذكر: القرآن العظيم، فإن أهل الجنة يتنعمون به فيها، وقد مر في غير حديث ذكر ذلك، والله تعالى أعلم.

\* \* \*

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٣٥ وتقدم.

(٢) رواه أحمد (٣/٣٥٤) رقم ١٤٨٥٧ بلفظ «التسبيح والتحميد»، وأبو يعلى في مسنده (٣/

٤١٨) رقم ١٩٠٦، و(٤٥/٤) رقم ٢٠٥٢.

## الباب الخامس عشر

## فيمن يستحق لهذه الدار من الملل والأنفار

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] وقال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣١﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠-٣١] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والكلمات الربانية، ومدارها على ثلاث<sup>(١)</sup> قواعد: إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة الغراء، فأهل هذه الثلاثة أصول هم: أهل البشري دون من سواهم من سائر الخلق لفأ ونشراً<sup>(٢)</sup>، وعليها دارت بشارات القرآن، وسنة سيد ولد عدنان، وهي

(١) في الأصل (ثلاثة) والمثبت هو الصواب.

(٢) يقال: جاء القوم بلفهم ولفتهم ولفيفهم أي بجماعتهم وأخلاقهم، واللفيف: القوم يجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحداً. لسان العرب مادة: لفف.

- يقال: أنشر الله الموتى فَنَشَرُوا، هم إذا حَيُّوا، وأنشروهم الله أي أحياهم - لسان العرب مادة: نشر.

- واللف والنشر نوع من أنواع البديع، وهو من المحسنات المعنوية، وقد عرف بأنه: ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه، وهو قسمان: لف ونشر مرتب، ولف ونشر غير مرتب، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣] وكقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [البقرة: ١١١] انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقرظيني (٤٢/٦)، وخزانة الأدب للحموي (٥٧/١) وما بعدها.

تجتمع في رجلين، إخلاص في طاعة الله، وإحسان إلى خلقه، وضدها  
تجتمع في الذين يراءون ويمنعون الماعون، ويرجع ذلك إلى خصلة  
واحدة، وهي موافقة الرب تعالى في محابه، ولا طريق لذلك إلا بتحقيق  
القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ، ولا تتحقق القدوة به ﷺ إلا باتباع ما  
جاء به من الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة، أمراً ونهياً، وإثباتاً ونهياً،  
وقولاً وعملاً، وتقريباً وصفة، وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل  
فهي «بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى  
عن الطريق»<sup>(١)</sup> وبينهما سائر الشعب التي مدارها على تصديق الرسول ﷺ  
في كل ما أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به، إيجاباً واستحباباً، كالإيمان  
بأسماء الرب وصفاته وأفعاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا  
تمثيل، بل هو كما وصف به نفسه وفوق ما وصفه به خلقه، وها نحن نملي  
عليك جملة اعتقادنا موافقة لإمام السنة وحليلها وصاحبها، وخليلها الإمام  
المبجل، سيدنا الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، طيب الله ثراه، لا تقليداً  
له في ذلك إذ لا يجوز التقليد في العقائد وهل يجوز أم لا؟ الحق يجزئ  
خلافاً لقوم.

قال في شرح (مختصر التحرير): ويحرم التقليد في معرفة الله سبحانه  
وفي التوحيد والرسالة عند الإمام أحمد والأكثر، وذكره الإمام أبو الخطاب  
من أجلاء أصحابنا عن عامة العلماء، وذكر غيره أنه قول الجمهور. وكذا لا  
يجوز في الأركان الخمس، ونحوها مما ثبت بالتواتر، وقال في (جمع  
الجوامع): اختلف في التقليد في أصول الدين، قال شارحه الجلال  
المحلي، فقال كثيرون، ورجحه الإمام الرازي والآمدي: لا يجوز. بل

(١) حديث رواه مسلم رقم ٣٥ .

يجب النظر، لأن المطلوب فيه اليقين، ثم قال، وقيل: النظر فيه حرام، لأنه مظنة الوقوع في الشبه والضلال، ثم قال: وعن الأشعري: لا يصح إيمان المقلد، قال الشارح: وشنع أقوام عليه بأنه يلزمه تكفير العوام وهم غالب المؤمنين، ثم دفع التشنيع بأنه إن كان التقليد أخذاً بقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم بأن لا يجزم به، فلا يكفي إيمان المقلد قطعاً، وإن كان التقليد أخذاً لقول الغير بغير حجة، لكن جزمياً فيكفي إيمان المقلد عند الأشعري، خلافاً لأبي هاشم من المعتزلة، وقال شارح المنتهى: انعقد الإجماع على وجوب معرفة الله، ولا تحصل بتقليد لجواز كذب المخبر.

قلت: والصحيح المعتمد أنه لا يجوز التقليد في أصول الدين، لكن يجزئ حيث جزم بكلام من قلده، وكان يصلح للتقليد جزمياً لا يتطرق إليه شك ولا وهم، وتردد كما أخبرنا أستاذنا الشيخ حسن المصري، قال: كان يحضرنى رجل نجدى، فكنا إذا تذاكرنا في أصول الدين يقول ذلك الرجل: قال لي أستاذي الشيخ أبو المواهب كذا. فنأتي بأدلة وكلام المحققين فلا يلتفت إليه ويقول: كذا أخبرني أستاذي ولا أرجع عما أخبرني به أبداً، فهذا جزم بما أخبره به أستاذه جزمياً لا يتطرق إليه أدنى وهم، وعلى كل حال النظر والاستدلال واجب على فحول الرجال، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].

وفي صحيح ابن حبان لما نزل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْبَتِلِ وَالنَّهَارِ﴾ الآيات. [آل عمران: ١٩٠] قال ﷺ: «ويل لمن قرأهن ولم يتدبرهن، ويل له ويل له»<sup>(١)</sup> فالذي ندين الله به موافقة

(١) جزء من حديث رواه ابن حبان في صحيحه (٣٨٦/٢) رقم ٦٢٠ باختلاف يسير.

لأصحاب الحديث، وما ذهبوا إليه في القديم والحديث، الإقرار بالله سبحانه وتعالى وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن المعصوم عليه السلام، لا نرد من ذلك شيئاً، ولا نؤول إلا ما أوله أصحابه عليهم السلام وسلف الأمة من علماء الآثار، وأن الله سبحانه إله واحد فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]. وأن جميع ما ورد من آيات الصفات سواء كانت صفات ذات، أو صفات فعل تؤمن بها، ونمرها كما جاءت، ونعتقد ذلك مع جزمنا بعدم التشبيه والتمثيل، وأن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وإنا لا ندرك كنه ذات الله تعالى وأنه لا يعلم ذلك إلا هو، وأن جميع الرسل حق جاءوا بالحق، وأنهم بلغوا ما أمروا به بتبليغه، وأنهم معصومون من جميع الرذائل، صلوات الله عليهم، فنؤمن بجميع ما أخبر سبحانه، لا كما يخطر في أوهام البشر.

سائلي عن عقيدتي أحسن الله ظنه	علم الله أنها شهد الله أنه
هذا اعتقادي ما حييت وأن أمت	فوصيتي ذاكم إلى إخواني
لا أنثني عن ذا ولا أبغي الهدى	في غيره لا والذي هداني
يا مبتغى طرق السلامة إنني	بينتها بالنص خير بياني
فأطرح كلام مشبه ومعتل	وأنحو كلام مسلم رباني
جاس <sup>(١)</sup> الشريعة فافتنى سنن الهدى	وأتى مقالة أحمد الشيباني
فعليه من رب العباد تحية	ما ناح مشتاق إلى الأوطان
ثم الصلاة على النبي وآله	ما صاح شحورور على الأغصان

(١) يقال: يجوس الرجل الأخبار أي يطلبها، والجوس: طلب الشيء باستقصاء. لسان العرب، مادة: جوس.

فنسأل الله سبحانه بكتبه المنزلة، ورسله المرسلة، أن يتوفانا على الكتاب والسنة، لا مغيرين ولا مبدلين، بجاه سيد العالم وخير بني آدم محمد ﷺ.

شعر لمؤلفه:

لكل امرئ عند الإله وسيلة  
وما لي سوى ذلي وفقرى وفاقي  
عسى خالقي يمحو ذنوبي بمنه  
تنجيه في يوم الجزاء من عذابه  
وحسن رجائي وانكساري ببابه  
ويقبضني متمسكاً بكتابه  
تمة:

أول دعاء أهل الجنة التسبيح، وآخر دعواهم التحميد، كما قال سبحانه: «دعواهم فيها - أي في الجنة - سبحانه» سئل رسول الله ﷺ عن سبحانه؟ فقال: «تنزيه الله عن السوء»<sup>(١)</sup>. وسئل علي عنها فقال: «كلمة رضيها الله لنفسه».

وقوله: اللهم، أي يا الله، فالميم عوض عن حرف النداء، ومن ثم لا يجمع بينهما إلا ضرورة، وتحيتهم - يعني أهل الجنة - فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، قال ابن جريج: أخبرت أن قوله: ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ إذا مر بهم الطير يشتهونه فيسلم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله: ﴿وَمَحْيَتْهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله: ﴿وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

والحاصل أن أول دعاء أهل الجنة في كل شيء التسبيح وآخره

(١) رواه الطبري في التفسير (٥٣٥/٦)، وفي (٣/٨) ولكن بلفظ «إنزاه» بدل «تنزيه» والدارقطني في العلل (٢٠٨/٤) رقم ٥١٤.

التحميد، إشعاراً بأن لا تكليف عليهم، وإنما يلهمون ذلك إلهاماً كالنفس  
من غير كلفة، والله تعالى أعلم.

\* \* \*

## الكتاب الخامس

في ذكر النار وصفاتها وشدة عذابها وزفرتها

أعاذنا الله تعالى منها بمنه وكرمه

قد مر أنها مخلوقة الآن كالجنة، خلافاً لأهل الضلال والبدع والاعتزال، ولنذكر الكلام عليها في عشرة أبواب وخاتمة.



## «الباب الأول»

في ذكر الإنذار والتحذير من النار

والخوف منها وأحوال الخائفين من تلك الدار

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ الآية [التحریم: ٦]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] وقال: ﴿وَاتَّقُوا<sup>(١)</sup> النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] وقال: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤] وقال: ﴿لَهُمْ مِنْ قُودِهِمْ طُلُلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُمْ يَجْعَلُونَ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦] وقال: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ﴾ (٣١) ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ (٣٢) وَإِذْ أُنذِرَ (٣٣) وَالصَّبْحِ إِذَا أَشْفَرِ (٣٤) إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبْرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشْرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٢-٣٧].

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار» عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشْرِ﴾ [المدثر: ٣٦] قال: والله ما أنذر الله العباد شيئاً قط أدهى منها، وقال قتادة: في قوله: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبْرِ﴾ [المدثر: ٣٥] يعني النار، وأخرج الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخطب يقول: «أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا»<sup>(٢)</sup>، وفي لفظ: «حتى لو أن رجلاً في أقصى السوق لسمعه

(١) في الأصل (فاتقوا) والمثبت هو الصواب.

(٢) رواه أحمد (٢٧٢/٤) رقم ١٨٤٢٢، والحاكم (٤٢٣/١) رقم ١٠٥٨ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وسمع أهل السوق صوته وهو على المنبر»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا النار، قال: وأشاح، ثم قال: اتقوا النار، ثم أعرض وأشاح ثلاثاً، حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»<sup>(٢)</sup>.

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا أخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيها»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية لمسلم: «مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذا الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن فيقتحمن فيها، قال فذلكم مثلي ومثلكم، أنا أخذ. بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني وتقتحمون فيها»<sup>(٤)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يدعهن عنها وأنا أخذ بحجزكم عن النار وأنتم تتفلتون من يدي»<sup>(٥)</sup> الفراش دواب مثل البعوض، واحدها فراشة، وهي التي تطير وتتهافت في السراج بسبب ضعف أبصارها، فهي لضعف بصرها تطلب ضوء النار، فإذا رأت المسكينة السراج في الليل ظنت أنها في بيت مظلم، وأن السراج كوة

(١) رواه أحمد (٢٧٢/٤) رقم ١٨٤٢٣، وبنحوه أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٤١/٢) رقم ٦٦٧، والدارمي (٤٢٥/٢) رقم ٢٨١١٢.  
 (٢) أخرجه البخاري رقم ٦٠٢٣، ورقم ٦٥٤٠، ٦٥٦٣، ومسلم رقم ١٠١٦.  
 (٣) أخرجه البخاري رقم ٦٤٨٣، ومسلم رقم ٢٢٨٤.  
 (٤) رواه مسلم رقم ٢٢٨٤ باختلاف في بعض الألفاظ.  
 (٥) رواه مسلم رقم ٢٢٨٥، وأحمد (٣٩٢/٣) رقم ١٥٢٥٠ بلفظ «يدبهن» بدل «يدعهن».

في البيت المظلم، فتقصد الموضع المضيء، ولا تزال تطلب الضوء وترمي نفسها إلى الكوة، فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود إليها مرة أخرى حتى تحترق.

قال الإمام الغزالي: ولعلك تظن أن هذا لنقصان عقلها وكثرة جهلها، فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها، بل صورة الإنسان في الإكباب على الشهوات كالتهافت على النار، فلا يزال يرمي نفسه فيها إلى أن ينغمس فيها ويهلك هلاكاً مؤبداً.

فليت جهل الآدمي كان كجهل الفراش، فإنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال، والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أو مدة مديدة. انتهى.

والجنادب ضرب من الجراد، واحدها جندب مثلث الدال، قال سيويه: النون فيه زائدة، وقيل: هو ذكر الجراد، والصحيح: أن الجندب غير الجراد كما هو معروف، والله تعالى أعلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال: «يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدالمطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذني نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم رقم ٢٠٤، وأحمد (٣٦٠/٢) رقم ٨٧١١ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها»<sup>(١)</sup> وفيه يحي ضعفه. ورواه ابن مردويه بسند أجود من سند الترمذي.

وخرجه الترمذي أيضاً بإسناد نظروا فيه عن أنس رضي الله عنه، وابن عدي بإسناد ضعيف عن عمر رضي الله عنه ذكره الحافظ ابن رجب، وذكر عن يوسف بن عطية عن المعلى بن زياد: كان هرم بن حيّان يخرج في بعض الليل فينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف ينام طالبها؟ وعجبت من النار كيف ينام هاربها؟ ثم يقول: ﴿أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ الآية [الأعراف: ٩٧].

وخرج الإمام أحمد في (الزهد) عن أبي الجوزاء أنه قال: لو وليت من أمر الناس شيئاً اتخذت مناراً- أي بفتح الميم مكاناً مرتفعاً- على الطريق وأقمت عليها رجالاً ينادون الناس: النار، النار.

وخرج ولده في زوائد الزهد عن ابن دينار أنه قال: لو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها: يا أيها الناس: النار، النار، وفي لفظ: لو وجدت أعواناً لناديت في منار البصرة- أي بفتح الموحدة وكسرهما- بالليل: النار، النار، النار.

\* \* \*

(١) رواه الترمذي (٧١٥/٤) رقم ٢٦٠١، والطبراني في الأوسط (١٧٧/٢) رقم ١٦٣٨ عن أنس، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٠/١) رقم ٣٨٨، وأبو نعيم في الحلية (١٧٨/٨)، وذكره الهيثمي (٣٩٨/١٠) رقم ١٧٧٠٩ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

## فصل

وأما الخوف من النار فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [المعارج: ٢٧، ٢٨].

وقال: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٤].

وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السُّمُورِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٥-٢٧].

قال إبراهيم التيمي رحمته الله: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار، لأن أهل الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤] أي فإنه يدل على أنهم كانوا متلبسين به في حال الدنيا، لأن قولهم أذهب عنا الحزن- يقتضى أنهم كانوا محزونين ومتصفين به، فعوضهم الله فرحاً دائماً وسروراً لا انقضاء له، قال: وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور: ٢٦].

وقد كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يستعيد من النار<sup>(١)</sup>، ويأمر بذلك في

(١) انظر سنن أبي داود (٧٣٤/٢) رقم ٥٠٥٨، وابن ماجه (١٢٦٤/٢) رقم ٣٨٤٦، وأحمد (١١٧/٢) رقم ٥٩٨٣.

الصلوات وغيرها، والأحاديث في ذلك أكثر من أن تستقصى.

قال أنس رضي الله عنه : «كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ : ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»<sup>(١)</sup>. أخرجه البخاري.

وأخرج النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من حر جهنم»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أبو داود وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لرجل: «كيف تقول في الصلاة؟ قال أتشهد ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: حولها ندندن»<sup>(٣)</sup> وأخرجه البزار بلفظ، «وهل أدندن أنا ومعاذ إلا لندخل الجنة ونعاذ من النار»<sup>(٤)</sup>.

قال الحافظ في (التخويف): روينا عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إنما يدخل الجنة من يرجوها، ويُجَنَّبُ من النار من يخافها، وإنما يرحم الله من يرحم»<sup>(٥)</sup>.

وأخرجه أبو نعيم وعنده: وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، وقال غريب.

(١) رواه البخاري رقم ٦٣٨٩، ومسلم رقم ٢٦٩٠.

(٢) جزء من حديث رواه النسائي (٢٧٨/٨) رقم ٥٥٢٠.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٠/١) رقم ٧٩٢، وابن ماجه (٢٩٥/١) رقم ٩١٠، و(١٢٦٤/٢) رقم ٢٨٤٧.

(٤) ذكره الهيثمي ضمن حديث طويل (٣٢١/٢) رقم ٢٨٠٢، وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا معاذ بن عبد الله بن حبيب وهو ثقة لا كلام فيه.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨١/٧) رقم ٣٤٣٤٩ بلفظ «يخشاهما» بدل «يخافها»، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨٣/١) رقم ٧٧٨ بلفظ المصنف، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٢٥/٣) وقال: هذا حديث غريب من حديث زيد مرفوعاً متصلاً.

قال الحافظ: ورواه ابن عجلان عن زيد مرسلًا قال: والمرسل أشبه.

وقال الإمام عمر رضي الله عنه: لو نادى مناد من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون أنا هو، خرجه أبو نعيم.

وخرج الإمام أحمد عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يذهب بي، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

واعلم أن الخوف من عذاب جهنم لا يخرج عنه أحد من الخلق، وقد توعد الله سبحانه خاصة خلقه على المعصية، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

وقال في حق الملائكة: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ، فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة قال: «فيأتون آدم فيقول آدم: إني ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه أمرني بأمر فعصيته فأخاف أن يطرحني في النار، انطلقوا إلى غيري، نفسي نفسي، وذكر في نوح وإبراهيم وموسى وعيسى مثل ذلك، كلهم يقول: إني أخاف أن يطرحني في النار»<sup>(١)</sup>، خرجه ابن أبي الدنيا، وخرجه مسلم بنحوه، وكذلك البخاري.

(١) سبق غير مرة.

قال الحافظ- ابن رجب-: «ولم يزل الأنبياء عليهم السلام، والصديقون، والشهداء، والصالحون، يخافون النار ويخوفون منها، فأما ما يذكر عن بعض العارفين من عدم خشية النار، فالصحيح منه له وجه سنذكره إن شاء الله تعالى.

قال ابن المبارك عن وهب بن منبه، قال حكيم من الحكماء: إني لأستحي من الله عز وجل أن أعبدته رجاء ثواب الجنة - أي فقط - فأكون كالأجير السوء، إن أعطى عمل وإن لم يعط لم يعمل، وإني لأستحي من الله تعالى أن أعبدته مخافة النار - أي فقط - فأكون كالعبد السوء إن رهب عمل وإن لم يرهب لم يعمل، وإنه يستخرج حبه مني ما لا يستخرجه مني غيره خرجه أبو نعيم.

وفيه تفسير لهذا الكلام من بعض رواته، وهو أنه ذم العبادة على وجه الرجاء وحده، أو على وجه الخوف وحده وهذا حق، وكان بعض السلف يقول: من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله تعالى بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله تعالى بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن، وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الثلاثة، فلا بد له من جمعها، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان، وكلام هذا الحكيم يدل على أن الحب ينبغي أن يكون أغلب من الخوف والرجاء، كذلك قال الحافظ رحمته الله.

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: المحبة أفضل من الخوف، ثم استشهد بكلام هذا الحكيم، وقال يحيى بن معاذ: حسبك من الخوف ما يمنع من الذنوب ولا حسب من الحب أبداً، فأما الخوف والرجاء فأكثر السلف على أنهما يستويان لا يرجح أحدهما على الآخر، قاله الإمام أحمد والحسن ومطرف وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يكونان كجناحي الطائر، فأيهما غلب صاحبه وقع أو هلك، ومنهم من رجح الخوف على الرجاء، وهو محكي عن الفضيل وأبي سليمان، وعلى القول بتسويتهما وهو المعتمد. جاء عن حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى: إن عبداً يعمل على خوف لعبد سوء، وإن عبداً يعمل على رجاء لعبد سوء، كلاهما عندي سواء، قال الحافظ: مراده إذا عمل على أفراد أحدهما عن الآخر، وقال بعضهم: لا تكونوا كالعامل يقال له: تعمل كذا وكذا فيقول: نعم إن أحسنت لي من الأجر، ومراده ذم من لا يلحظ في العمل إلا الأجر، قال الحافظ: وهؤلاء العارفون لهم ملحظان، أحدهما: أن الله سبحانه يستحق لذاته أن يطاع ويحب، ويبتغي قربه والوسيلة إليه، مع قطع النظر عن كونه يثيب عباده أو يعاقبهم، كما قال القائل.

هب البعث لم تأتنا رُسُلُهُ      وجاحمة النار لم تضرم  
أليس من الواجب المستحق      حياء العباد من المنعم

فقد أشار على أن نعمه على عباده تستوجب شكره عليها وحياءهم منه، وهذا الذي أشار إليه النبي ﷺ لما قام حتى تورمت أقدامه، فقيل له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»<sup>(١)</sup>.

والملاحظ الثاني: أن أكمل الخوف والرجاء ما تعلق بذات الحق سبحانه دون ما تعلق بالجنة والنار، فأعلى الخوف خوف البعد والسخط والحجاب عنه، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿المطففين: ١٥، ١٦﴾ قدم عذاب الحجاب على عذاب

(١) رواه البخاري رقم ١١٣٠، ومسلم رقم ٢٨١٩.

صليهم النار، لأنه بالنسبة إليه كلا عذاب، قال ذو النون رحمه الله تعالى: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي، كما أن أعلى الرجاء ما تعلق بذاته سبحانه من رضاه ورؤيته، ومشاهدته وقربه، ولكن قد يغلط بعض الناس في هذا فيظن أن هذا كله ليس بداخل في مسمى نعيم الجنة ولا في مسمى الجنة إذا أطلقت، ولا في مسمى عذاب النار إذا أطلقت، وليس الأمر كذلك، قال الإمام المحقق في كتابه «شرح منازل السائرين» بعد قول شيخ الإسلام صاحب المنازل في منزلة تعظيم حرمان الله تعالى.

**الدرجة الأولى:** تعظيم الأمر والنهي لا خوفاً من العقوبة فيكون خصومة للنفس، ولا طلباً للمثوبة فيكون مستشرفاً للأجرة، ولا مشاهداً لأحد فيكون متزيناً بالمرءاة، فإن هذه الأوصاف كلها من شعب عبادة النفس، فذكر الشارح كلام المعظم لهذا المقام، والطاعن في هذا الكلام بسياق حجيج الفريقين، وما لهم من الأدلة والبراهين، ثم قال: والتحقيق أن يقال: الجنة ليست اسماً لمجرد الأشجار والفواكه والثمار والطعام والشراب والحدود العين والأنهار والقصور والوالدان ونحوها، وأكثر الناس يغلطون في مسمى الجنة، وأن الجنة اسم لدار النعيم المطلق الكامل، ومن أعظم نعيم الجنة التمتع بالنظر إلى وجه الرب، وسماع كلامه، وقرّة العين بالقرب منه ورضوانه، فلا نسبة للذة ما فيها من المأكول والمشروب والملبوس والصور إلى هذه اللذة أبداً، فأيسر يسير من رضوانه تعالى أكبر من الجنان وما فيها من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وأتى به منكرأ في سياق الإثبات، أي كل شيء كان من رضوانه عند عبده فهو أكبر من الجنة وما فيها، كما قيل:

قليل منك يقنعني ولكن قليلك لا يقال له قليل

وفي الحديث الصحيح: «فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث الآخر: «أنه سبحانه إذا تجلى لهم، ورأوا وجهه عياناً نسوا ما هم فيه من النعيم، وذهلوا عنه ولم يلتفتوا إليه»<sup>(٢)</sup>، ولا ريب أن الأمر هكذا كما أشرنا إليه سابقاً، وهو أجل مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، ولا سيما عند قول المحبين: المرء مع من أحب، فأبي نعيم، وأي لذة، وأي قرة عين، وأي فوز يداني نعيم تلك الرؤية، وتلك المعية، ولذتها وقرّة العين بها؟ وهذا هو العلم الذي شمر إليه المحبون، واللواء الذي أمّه العارفون، وهو روح مسمى الجنة وحياتها، وبه طابت الجنة، وعليه قامت، فكيف يقال: لا يعبد الله طلباً لجنّته ولا خوفاً من ناره؟ وكذلك النار فإن ما لأربابها من عذاب الحجاب عن الله، وإهانتة وغضبه وسخطه، والبعد عنه أعظم من التهاب النار في أجسامهم وأرواحهم، بل التهاب هذه النار في قلوبهم هو الذي أوجب التهاباً في أبدانهم، ومنها سرت إليها، فمطلوب الأنبياء والمرسلين والصدّيقين والشهداء والصالحين هو الجنة - التي هي ما وصفنا، وهربهم من النار، التي هي اسم لغضب الله والبعد عنه، وسخطه ومقتة والحجاب عنه، مع ما أعد سبحانه لأعدائه

(١) رواه مسلم رقم ١٨١، والترمذي (٦٧٨/٤) رقم ٢٥٥٢.

(٢) لعله يشير إلى ما أخرجه ابن ماجة (٦٥/١) رقم ١٨٤ عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع عليهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، قال: وذلك قول الله ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه...».

وذكره الهيثمي (٢١٨/٧) رقم ١١٣٠٠ وقال: رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف.

الذين اتصفوا بغضبه وسخطه والبعد عنه، وما أشبه ذلك من الحيات والعقارب على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ومقصد القوم أن العبد يعبد ربه بحق العبودية، والعبد إذا طلب من سيده أجره على خدمته له كان أحق ساقطاً من عين سيده إن لم يستوجب عقوبته، إذ عبوديته تقتضي خدمته له.

والناس على أربعة أقسام: من لا يريد ربه ولا يريد ثوابه، فهؤلاء أعداؤه حقاً، وهم أهل العذاب الدائم، وعدم إرادتهم لثوابه إما لعدم تصديقهم به، وإما لإيثار العاجل عليه ولو كان فيه سخطه، ومن يريده ويريد ثوابه، وهؤلاء خواص خلقه، ومن يريد منه ولا يريده، فهو ناقص غاية النقص، وهو حال الجاهل الغافل الذي يسمع أن ثَمَّ جنة وناراً، فليس في قلبه غير إرادة نعيم الجنة المخلوقة، وخوف النار المخلوقة، ولا يخطر بباله سوى ذلك البتة، وهذا حال أكثر المتكلمين المنكرين رؤية رب العالمين، فهم عبيد الأجرة<sup>(١)</sup> المحضة، حتى يزعم بعض هؤلاء أن إرادة الله محال، قالوا لأن الإرادة إنما تتعلق بالحادث، فالقديم لا يراد، فهؤلاء منكرون لإرادة الله غاية الإنكار، وأعلى الإرادة عندهم إرادة الأكل والشرب والنكاح واللباس في الجنة وتوابع ذلك، وهؤلاء أكثف الناس حجاباً، وأغلظهم طباعاً، وأفساهم قلوباً، وأبعدهم عن روح المحبة والتأله ونعيم الأرواح والقلوب، وهم يطعنون على أصحاب المحبة والشوق إلى الله تعالى، وعندني أن هؤلاء محرومون، فنسال الله أن يرزقنا محبته وقربه، ولذة النظر إليه، والتأله به، والتلذذ بحبه.

والقسم الرابع محال: وهو أن يريد الله ولا يريد منه، وهو الذي

(١) في الأصل (الآخرة) والمثبت من مدارج السالكين وهو الصواب.

يزعم صوفية زماننا وذوهم أنه مطلوبهم، ويزعمون أن من لم يصل إلى هذا المقام ففي سيره علة، وأن العارف ينتهي إلى هذا المقام، بأن يريد الله ولا يريد منه شيئاً، كما يحكى عن سيدي أبي يزيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قيل لي ما تريد؟ فقلت أريد أن لا أريد.

قال الإمام المحقق ابن القيم: وهذا في التحقيق عين المحال الممتنع عقلاً وفطرة وحساً وشرعاً، فإن الإرادة من لوازم الحي، وإنما يعرض له التجريد عنها بالغيبة عن حسه وعقله، كالسكر والإغماء والنوم، ثم قال: ونحن لا ننكر التجريد عن إرادة ما سواه من المخلوقات التي تزاحم إرادتها إرادته، أفليس صاحب هذا الحال مريداً لقربه ورضاه، ودوام مراقبته والحضور معه؟

وأى إرادة فوق هذه الإرادة؟ نعم قد زهد في مراد لمراد<sup>(١)</sup> هو أجل منه وأعلى، فما خرج عن الإرادة، وإنما انتقل من إرادة إلى إرادة، ومن مراد إلى مراد، وأما خلوه عن صفة الإرادة بالكلية مع حضور عقله وحسه فمحال، ثم قال: وإن حاكمنا في ذلك محاكم إلى ذوق مصطلم مأخوذ عن نفسه قلنا له: هذه حالة عارضة غير دائمة، ولا هي غاية مطلوبة للسالكين، ولا مقدورة للبشر، انتهى كلامه ملخصاً.

قلت: وفي قول سيدي أبي يزيد: أريد أن لا أريد، إثبات لإرادة ما، فقد طلب أن يريد أن لا يريد، فهو مستمر بإرادة أن لا يريد.

فقد ثبت أنه مريد، فتأمل لهذه الدقيقة التي هي عين الحقيقة، والذي يظهر من طلب عدم الإرادة، يعني أن لا يريد سوى المحبوب المطلق ومحابه، كما هو مصرح به في كلام فحولهم، والله تعالى أعلم.

قال الحافظ ابن رجب: وهنا أمر آخر وهو أن في جهنم من أنواع

(١) في الأصل (في مراد المراد) ولعل المثبت هو المراد.

العذاب المتعلق بالأمور المخلوقة لا تخافها العارفون، كما أن ما أعده الله تعالى في الجنة من أنواع النعيم المتعلق بالأمور المخلوقة لا يحبه العارفون ولا يطلبونه.

قال: وهذا في نفس الأمر غلط، والنصوص دالة على خلافه، وهو مخالف لما جبل الله عليه الخلق من محبة الملائم وكراهة المنافر، وإنما صدر مثل هذا الكلام ممن صدر منه في حال سكره واستغراقه، فظن أن العبد لا يبقى له إرادة أصلاً، فإذا رجع إليه عقله علم أن الأمر على خلاف ذلك.

قال: ونحن نضرب لك مثلاً يتضح به هذا الأمر وهو: أن أهل الجنة إذا دخلوها واستدعاهم الرب سبحانه إلى زيارته ومشاهدته ومحاضرتة يوم المزيد، فإنهم ينسون عند ذلك كل نعيم، ولا يلتفتون إلى شيء مما كانوا شاهدوا من نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم، فلو ذُكروا في حال نظرهم إليه بشيء من النعيم لأعرضوا عنه، ولأخبروا أنهم لا يريدونه في تلك الحال، وكذلك لو خُوفوا بعذاب ونحوه لم يلتفتوا إليه، وربما لم يستشعروا ألمه في تلك الحال، وإنما يحذرون الحجاب عما هم فيه والبعد عنه، كما أشار من استشعر ذلك إلى هذا المقام بقوله:

عذب بما شئت غير البعد عنك تجد      أوفى محب بما يرضيك مبتهج  
وخذ بقية ما أبقيت من رمق      لا خير في الحب إن أبقى على المهج

وقال:

وإن هُدِّدوا بالهجر ماتوا مخافة      وإن أُوعدوا بالقتل حنوا إلى القتل

قال الحافظ: فإذا رجعوا إلى منازلهم رجعوا إلى ما كانوا عليه من التنعم بأنواع النعيم المخلوق لهم، بل يُزاد نعيمهم بذلك مع شدة شوقهم

إلى يوم المزيد ثانياً، فهكذا حال العارفين الصادقين في الدنيا، إذا تجلى على قلوبهم أنوار الإحسان فاستولى عليها، ولله المثل الأعلى، فإن هذا من شواهد ما يحصل لهم في الجنة يوم المزيد، فهم لا يلتفتون في تلك الحال إلى غير ما هم فيه من الأنس بالله والتنعيم بقربه وذكره ومحبته، حتى ينسوا ذكر نعيم الجنة ويصغر عندهم بالنسبة إلى ما هم فيه، فلا يخافون حينئذ إلا الحجاب ولا يلذ لهم غير الخطاب.

وأيضاً فالعارفون قد يلاحظون من النار أنها ناشئة عن صفة انتقام وغضب، والأثر يدل على المؤثر، فجهنم دليل على عظمتها وشدة بطشها، فالخوف منها في الحقيقة خوف منه سبحانه، فالخائف من النار خائف من المنتقم القهار، فاجعل هذا البحث منزرعاً في صفحات قلبك، ونابتاً في رياض لبك، والله تعالى أعلم.

واعلم أن الخوف واجب على كل مؤمن لقوله تعالى: ﴿وَحَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وهو واقع بأسباب، فمنها الخوف بسابق الذنب، ومنها حذر التقصير في الواجبات، ومنها الخوف من السابقة أن تكون على ما يكره، ومنها خوف الإجلال والتعظيم، كما قال عز وجل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] ومن تفكر فيما قضى عليه في السابق، لم يزل منزعجاً خائفاً خوفاً لا يملك رده.

واعلم أن الخوف إذا أفرط قتل، فالواجب منه ما يحمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً، فإن زاد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً أو هما لازماً، بحيث يقطع عن السعي في تكسب

الفضائل المطلوبة، والفواضل المحبوبة، لم يكن محموداً، ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من شدة خوفه الذي أنساه القرآن وصيره صاحب فراش، وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها.

وذكر بعض المحققين أن الخوف والرجاء كالحرارة والبرودة، فمن غلب عليه أحدهما تداوى بالآخر حتى يرجع إلى حد الاعتدال، وقال الإمام ناصر السنة الحافظ ابن الجوزي قدس الله سره في (التبصرة): المحمود من الخوف المتوسط، وهو الذي يجمع الشهوات، ويكدر اللذات، ويكف الجوارح عن المعاصي، ويلزمها الطاعة، وقد ينحل البدن ويزيد به البكاء، ولذلك قيل: ليس الخائف من بكى وعصر عينيه، وإنما الخائف من ترك ما يقدر عليه. انتهى.

**وفائدة الخوف:** التقوى والورع والاجتهاد في الطاعات، فإذا أراد أن يخرج عن حد الاعتدال أوقع في القنوط، فبطلت فائدة الخوف، وصارت من البؤس والحواف، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه، ولهذا عدّها سبحانه من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمن.

قال سفيان بن عيينة: خلقت النار رحمة يخوف الله بها عباده لينتهوا. رواه أبو نعيم، وقال الإمام العز بن عبد السلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مر بي في التلاوة تكرار قوله تعالى: ﴿يَأْتِي آءِآءَهُ رَبِّكُمْ أَنْ تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٢] قال: فرأيت لذلك موقعاً عظيماً في الآيات المتضمنة للنعم، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١، ٢] إلى آخره، ولم يظهر لي ذلك في آيات التخويف نحو ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، ﴿بُرْسُلٌ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئٌ مِّنْ نَّارٍ وَغَاسٌّ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥] إذ ليس فيها ذكر شيء من الآلاء،

فطال بي الفكر في هذا، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فسألته عن ذلك فقال: أما علمت أن من حذّر فقد بشر. انتهى.

قال الإمام المصطفى المحيي ومن خطه نقلت: والبشارة من جملة الآلاء، انتهى.

وقال الإمام البغوي في قوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿ [الرحمن: ٤٣-٤٤] قد انتهى حره، أي يسعون بين الحميم وبين الجحيم، ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فكل ما ذكر الله تعالى من قوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] إلى هنا مواظ ومزاجر وتخويف، وكل ذلك نعمة من الله تعالى، لأنها تزجر عن المعاصي، ولذلك ختم بقوله: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ انتهى.

والمقصود من التخويف والخوف طاعة الله وفعل مرضيه، وترك مناهيه ومكروهاته، والخوف وسيلة ليس مقصوداً بالذات، ولا ننكر أن هيبة الله وعظمته وخشيته في الصدور وإجلاله مقصود أيضاً، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عوناً على التقرب إلى الله سبحانه بفعل ما يحبه، وترك ما يكرهه، فمتى منع الخوف من ذلك انعكس المقصود وصار النفع غير موجود، نعم إن حصل عن غلبة عُدْر صاحبه، وقد كان في السلف من حصل له في ذلك أحوال شتى لغلبة حال شهادة قلوبهم النار، وصفات الانتقام والقهر، فمنهم من كان يلازمه القلق والبكاء، وبما اضطرب وغشى عليه إذا سمع ذكر النار، وقد روى أنه ﷺ سمع قارئاً يقرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ (١١) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿ [المزمل: ١٢، ١٣] فصعق ﷺ (١) وفي

(١) رواه الطبري في التفسير (٢٨٩/١٢)، وهناد في الزهد (١٨٠) رقم ٢٦٧، وابن عدي في الكامل (٤٣٦/٢) في ترجمة حمران بن أعين رقم ٥٤٨ وقال عنه نقلاً عن يحيى: =

رواية فبكى حتى غشي عليه، لكنه مرسل ضعيف، وروي أنه لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦] تلاها ﷺ ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشياً عليه فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده، وفي لفظ بطنه فإذا هو يتحرك فقال ﷺ: يا فتى قل لا إله إلا الله. فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ قال: أو ما سمعتم قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] رواه الحاكم<sup>(١)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يصلي وهو يتأمل ويتأوه، حتى لو رآه ممن يجهله لقال لقد أصيب الرجل، وذلك لذكر النار، إذا مر بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِيحًا مُقْرَنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣] أو نحو ذلك، خرجه أبو عبيد، وأخرج الإمام أحمد في (الزهد) عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر قال: قلت ليزيد بن مرثد: مالي أرى عينيك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به، قال: يا أخي: إن الله توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حريباً أن لا تجف لي عين، فقلت: فهكذا أنت في خلواتك؟ قال: وما مسألتك؟ قلت: عسى الله تعالى أن ينفعني به، قال: والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي فيحول بيني وبين ما أريد، وإنه ليوضع الطعام بين يدي فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله، حتى تبكي امرأتي ويكي صبياننا، ما يدرون ما أبكانا، ولربما أضجر ذلك امرأتي فتقول: يا ويحها ماذا خصت به

=ضعيف، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/٢٩٧) وقال عنه العراقي: رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلًا.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/٤٦٧) رقم ٧٣٤، والحاكم (٢/٣٨٢) رقم ٣٣٣٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

من طول الحزن معك في الحياة الدنيا، ما تقر لي معك عين.

وذكر الحافظ في «التخويف» عن بعض السلف أنه قال: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبدالعزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما.

وبكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني في النار غداً ولا يبالي.

وقال رحمه الله تعالى: إن المؤمنين قوم ذلت منهم الأسماع والأبصار والأبدان، حتى حسبهم الجاهل مرضى، وهم والله أصحاب القلوب، ألا تراه يقول: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤] والله لقد كابدوا في الدنيا حزناً شديداً، وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم، والله ما أبكاهم إلا الخوف من النار.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت عبدالله بن حنظلة يوماً وهو على فراشه، وعُدته من علة، فتلا رجل عنده هذه الآية: ﴿لَمْ يَنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] فبكى حتى ظننت أن نفسه ستخرج، وقال صاروا بين أطباق النار، ثم قام على رجله، فقال قائل يا أبا عبدالرحمن اقعدي، قال: منع مني ذكر جهنم القعود، لا أدري لعلي أحدهم.

وسمع بعضهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤] وكان على شاطئ الفرات فتمايل، فلما قال التالي: ﴿لَا يُقَرَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥] سقط في الماء فمات.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن عياش قال: صليت خلف الفضيل ابن عياض المغرب وإلى جانبي عليّ ابنه فقراً الفضيل: ﴿أَلْهَنَكُمُ

التَّكَاثُرُ ﴿التكاثر: ١﴾ فلما بلغ ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦] سقط عليّ مغشياً عليه، وبقي الفضيل لا يقدر يجاوز الآية، ثم صلى بنا صلاة خائف، قال: ثم رابطت علياً فما أفاق إلا في نصف الليل.

وروى أبو نعيم بإسناده عن الفضيل قال: أشرفت ليلة على عليّ وهو في صحن الدار يقول: النار ومتى الخلاص من النار.

وكان علي يوماً عند ابن عيينة، فحدث ابن عيينة بحديث فيه ذكر النار وفي يد علي قرطاس في شيء مربوط، فشقق شقة ورمى بالقرطاس أو وقع من يده، فالتفت إليه سفيان وقال: لو علمت أنك ها هنا ما حدثت به، فما أفاق إلا بعد ما شاء الله.

وقال سرار أبو عبدالله: عاتبت عطاء السلمي في كثرة بكائه فقال: يا سرار كيف تعاتبني في شيء ليس هو إلي، إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله عز وجل وعقابه، تمثلت لي نفسي بينهم فكيف لنفس تغل يداها إلى عنقها، وتسحب إلى النار، ألا تبكي وتصيح؟ وكيف لنفس تعذب أن لا تبكي.

وعوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه وقيل له: لو كانت النار خلقت لك مازدت على هذا؟ قال: وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن، أما تقرأ: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] أما تقرأ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥] فقرأ حتى بلغ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتِينَ﴾ [الرحمن: ٤٤] فجعل يطوف في الدار ويصرخ ويبكي حتى غشي عليه.

وقرئ على رابعة العدوية آية فيها ذكر النار، فصرخت ثم سقطت فمكثت ما شاء الله لم تفق.

ولما أهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيتاً مطيباً فقام يصلي حتى أصبح، وفعلت معاذة كذلك، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله، فقال له: إنك أدخلتني بالأمس بيتاً أذكرتني فيه النار، ثم أدخلتني بيتاً أذكرتني فيه الجنة، فمازالت فكرتني فيهما حتى أصبحت.

وكان من السلف من إذا رأى النار اضطرب وتغير حاله، وقد قال تعالى: ﴿مَنْ جَعَلْنَاهَا - أي نار الدنيا - ﴿تَذَكُّرَةً﴾ [الواقعة: ٧٣] لنار الآخرة، قاله مجاهد، ومر ابن مسعود على الذين ينفخون الكير فسقط. خرج الإمام أحمد، وكان أويس القرني يقف على موضع الحدادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير ويسمع صوت النار فيصرح ثم يسقط.

وقال العلاء بن محمد: دخلت على عطاء السلمى فرأيته مغشياً عليه، فقلت لامرأته: ما شأنه؟ قالت: سجرت جارتنا التنور، فلما نظر إليه غشي عليه، ومر عليه صبي معه شعلة نار، فأصابته النار الريح فسمع ذلك منها فغشي عليه.

وقال الحسن: كان عمر رضي الله عنه ربما توقد له النار، ثم يديني يده منها، ثم يقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر.

وكان الأحنف بن قيس يجيء إلى المصباح بالليل فيضع أصبعه عليه ثم يقول: حس يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا وكذا؟

وخرج ابن أبي الدنيا مرسلًا قال: انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وهو يقول لنفسه: ذوقي، نار جهنم أشد حراً، أنت جيفة بالليل وبطالة بالنهار، فيينا هو كذلك إذ أبصر النبي ﷺ في ظل شجرة

فأتاه فقال: غلبتني نفسي فقال له النبي ﷺ: ألم يكن لك بد من الذي صنعت لقد فتحت لك أبواب السماء، ولقد باهى بك الله الملائكة<sup>(١)</sup>، وخرج الطبراني نحوه عن بريدة موصولاً.

قال الحافظ: وفي إسناده من لا يعرف حاله.

\* \* \*

---

(١) جزء من حديث أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٩٤) رقم ٥٧، وروى نحوه الطبراني في الكبير (٢٢/٢) رقم ١١٥٩، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤٠٧/٤) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس من رواية ليث بن سليم عنه، وهذا منقطع أو مرسل، ولا أدري من طلحة هذا.

## فصل

ومن الخائفين من منعه خوف جهنم من النوم، قال أسد بن وداعة: كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلتي، فيقول: اللهم إن ذكر جهنم لا يدعني أنا، فيقوم إلى مصلاه.

وقال أبو سليمان الداراني: كان طاووس يفتش فراشه ثم يضطجع عليه فيتقل على كما تتقل الحبة على المقلتي، ثم يشب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول: ذكر جهنم طير نوم العابدين.

وكان عامر بن عبدالله يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، وما رأيت مثل النار نام هاربها، فكان إذا جاء الليل قال: أذهب حر النار النوم، فما ينام حتى يصبح، وإذا جاء النهار قال: أذهب حر النار النوم، فما ينام حتى يمسي، وكان يتلوى كما يتلوى الحب في المقلتي، ثم يقوم فينادي: اللهم إن النار قد منعتني النوم فاغفر لي، وقيل له: مالك لا تنام؟ قال: إن ذكر جهنم لا يدعني أنا.

وأمر لبعض العبّاد بمائة ألف درهم، فأبى أن يقبلها وقال: ذكر جهنم أذهب حلاوة الدنيا من قلبي.

وما كان سفيان الثوري ينام إلا أول الليل ثم يستقيظ فرعاً مرعوباً ينادي: النار، النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم، ولا أطلب إلا فكاك رقبتني من النار.

وفي هذا يقول الإمام الكبير عبدالله بن المبارك رحمته الله:

إذا ما الليل أظلم كابدوه  
أطار الخوف نَوْمَهُم فقاموا  
وقال أيضاً:

وما فرشهم إلا أيامن أزهم  
وما ليلهم فيهن إلا تخوف  
وألوانهم صفر كأن وجوههم  
نواحل قد أزرى بها الجهد والسرى  
ويكون أحياناً كأن عجيجهم  
ومجلس ذكر فيهم قد شهدته  
وما وُسْدُهُم إلا ملاء وأذرع  
وما نومهم إلا عشاش مروع  
عليها جساد طلي بالورس مشبع  
إلى الله في الظلماء والناس هُجَّعُ  
إذا نوم الناس الحنين المرجع  
فأعينهم من رهبة الله تدمع

ومنهم من منعه خوف النار الضحك، قيل لسعيد بن جبير: إنك لم  
تضحك قط؟ قال: كيف أضحك وجههم قد سعرت، والأغلال قد نصبت،  
والزبانية قد أعدت؟!

وكان جماعة من السلف قد عاهدوا الله أن لا يضحكوا أبداً حتى  
يعلموا مصيرهم إلى الجنة أم إلى النار.

وسئل رسول الله ﷺ: «ما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً  
كلها، كان فيها: عجت لمن أيقن بالموت وهو يفرح، وعجت لمن أيقن  
بالنار وهو يضحك»<sup>(١)</sup>، الحديث خرجه ابن حبان في صحيحه وغيره.

ومنهم من حدث به من خوف النار مرض، ومنهم من مات من ذلك،

(١) جزء من حديث طويل أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٦/٢) رقم ٣٦١ من حديث أبي  
ذر، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٦٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/٢٧٥)  
وابن حبان في الثقات (٢/١٢١) باختلاف يسير، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب  
(٣/١٣١) رقم ٣٣٧٨.

وكان الحسن يقول في وصف الخائفين: قد أبراهم الخوف، فهم أمثال الفراخ ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما هم بمرضى، ويقول قد خولطوا، ولقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم.

وسمع الإمام عمر رضي الله عنه رجلاً يتهجّد في الليل ويقرأ سورة الطور فلما بلغ إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾  مَا لَهُمْ مِنْ دَافِعٍ ﴿ [الطور: ٧، ٨]، قال عمر: قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إلى منزله، فمرض شهراً يعودُه الناس لا يدرون ما مرضه.

وكان جماعة من عباد البصرة مرضوا من الخوف ولزموا منازلهم، كالعلاء بن زياد، وعطاء السلمي، وكان عطاء قد صار صاحب فراش عدة سنين، وكانوا يرون أن بدو مرض عمر بن عبدالعزيز الذي مات فيه من الخوف، وأخرج الإمام أحمد رضي الله عنه أن شاباً من الأنصار رضي الله عنه دخل خوف النار قلبه، فجلس في البيت، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه فاعتنقه، فشقق شهقة خرجت نفسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم، فلذَّ خوف النار كبده<sup>(١)</sup>، ورواه ابن أبي الدنيا وزاد فيه: «والذي نفسي بيده لقد أعاده الله منها، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه»<sup>(٢)</sup> وهذا متصل، وسند الإمام أحمد مرسل وهو أصح كما قال الحافظ رحمته الله.

وخرج أبو نعيم وابن أبي الدنيا وغيرهما قصة منصور بن عمار مع الذي مر به في الكوفة ليلاً وهو يناجي ربه، فتلا منصور هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) رواه أحمد في الزهد (٣٩٧) وذكره ابن رجب في التخويف من النار (٤٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٩٨) رقم ٩٢، وفي الوجل والتوثق بالعمل (٢٧)

رقم ١ من قوله: «من رجا» موقوفاً على مسلم بن يسار، وذكره كذلك ابن عساكر في

تاريخ دمشق (٢٧٢/٥٩) عن بعض التابعين.

الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴿٦﴾ الآية [التحریم: ٦]، قال منصور: سمعت دكدكة<sup>(١)</sup> لم أسمع بعدها حساً، ومضيت، فلما كان من الغد رجعت فإذا جنازة قد أخرجت، وإذا عجوز، فسألتها عن أمر الميت ولم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل لا جزاه الله - خيراً - إلا ما جزاه، مر بابني البارحة وهو قائم يصلي، فتلا آية من كتاب الله فتفطرت مرارته، فوقع ميتاً.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن بعض السلف قال: بينا أنا جالس في الحدادين ببلخ، إذ مر رجل فنظر إلى النار في الكور، فسقط، فقمنا فنظرنا فإذا هو قد مات.

وروي من غير وجه أن علي بن الفضيل رضي الله عنه عنهما مات من سماع قراءة هذه الآية: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُودًا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْلِنَا نُرْدُ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

\* \* \*

(١) الدك: هدم الجبل والحائط ونحوهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾. لسان العرب مادة: دك.

## فصل

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيتم يا رسول الله قال: رأيتم الجنة والنار»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال لما كسفت الشمس: «رأيتم النار فلم أر كاليوم قط أظف»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خطب فقال: «لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار، ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جانبي لحيته ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لمشيتم إلى الصعيد، ولحيتهم على رؤوسكم التراب»<sup>(٣)</sup>. رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده.

وقال عبد الأعلى: ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الجنة والنار إلا قالت الملائكة: أغفلوا العظيمتين.

وقال ابن السَّمَاك: قطع قلوب العارفين بالله ذكر الخلد من الجنة والنار.

وخطب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه الناس بالبصرة، فذكر في خطبته

(١) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٤٢٦، وأحمد (١٠٢/٣) رقم ١٢٠١٦، والنسائي (٣/٨٣) رقم ١٣٦٣.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري رقم ١٠٥٢، ومسلم رقم ٩٠٧.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٩٧) رقم ١٠٢، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٤٧/٤) رقم ٥٥٣٧، ولم أقف عليه عند أبي يعلى.

النار فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر، وبكى الناس يومئذ بكاءً شديداً.

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا علي بن أبي الحسن قال: أوحى الله إلى يحيى بن زكريا عليه السلام: يا يحيى وعزتي لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب جسمك، ولزهقت نفسك اشتياقاً، ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع، ولبست الحديد بعد المسوح.

وقال صالح المري رحمه الله: للّبكاء دواعى الفكرة في الذنوب، فإن أجابت على ذلك القلوب وإلا نقلتها إلى الموقف وتلك الشدائد والأهوال، فإن أجابت إلى ذلك وإلا فأعرض عليها التقلب بين طباق النيران، ثم صاح وغشي عليه، وتصايح الناس من جوانبه.

وقال الحسن رضي الله عنه: والله ما صدق عبد بالنار إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره لم يصدق بها حتى يهجم.

وقال وهب بن منبه: كان عابد في بني إسرائيل قام في الشمس يصلي حتى اسود وتغير لونه، فمر به إنسان فقال: كأن هذا خُوفٌ بالنار، قال هذا من ذكرها فكيف بمعابيتها؟

وقال إبراهيم التيمي رضي الله عنه: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبقارها، ثم مثلت نفسي في النار، آكل من زقومها وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أي شيء تريدان؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قال: فقلت فأنت في الأمانة فاعلمي.

واعلم ان الخوف علي مراتب، فخوف العارفين خوف إجلال وتعظيم، لما غلب على قلوبهم من ذكر الله وجلاله وعظمته وقهره وجبروته، وقد يخافون من النار باعتبار أنها ناشئة عن صفات جلاله وقهره وكبريائه وانتقامه وغضبه وسخطه، فالنار أثر لمؤثر هو صفات الجلال، فالخائف من غضبه سبحانه يخاف من النار، والخائف من النار بهذا الاعتبار خائف من غضبه وانتقامه، وفي نفس الأمر الخوف ليس إلا من غضبه تعالى فمن غضب عليه - والعياذ به منه - عذبه بناره، ومن رضي عليه أسكنه في جواره، فالجنة رضاه ونعمته، والنار غضبه ونقمته، فالعارفون يخافون من جلال عظمتهم، ويشفقون من آثار نقمتهم، وهو خوف الأنبياء والملائكة وخواص الأولياء، وأما خوف أكثر المؤمنين فبذكر الوعد والوعيد، وأحوال يوم القيامة الشديد، مع فكرتهم في الجنايات والتفريط، واتهامهم لنفوسهم أن يكون فيها من الآفات ما يربي على المعاصي الظاهرة، كالعجب والرياء والحسد والكبر ونحوها.

قال عطاء السلمي: خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان، يصلون الفجر بوضوء العشاء، قد تورمت أقدامهم من طول القيام، وغارت أعينهم في رؤوسهم، ولصقت جلودهم على عظامهم، وكأنهم خرجوا من القبور، فبيناهم يمشون إذ مرَّ بمكان، فخر مغشياً عليه، فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقاً، فلما أفاق سأله عن حاله فقال: إني كنت عصيت الله في ذلك المكان.

فانظر رحمك الله إلى حال أولياء الله، يا معاشر المذنبين ألا تستحيون من قلة الحياء، فالحر تكفيه الملامة، إلى متى تمشون على وجوهكم إلى ما يسقط جاهكم.

قفوا في القلي حيث انتهيتم تدمما ولا تقتفوا من جار لما تحكما

ما تفي لذة التأمر على الهوى والتولي بمرارة الانصراف والتولي، كلا، والله بين الولاية والصرف صَرْف، قف على الباب باكيا، وارفع قصة الندم شاكياً، وناد في نادي الأسي بصوت من أسي: أنا المسيء المذنب الخاطيء، ما بقي في يديك غير البكاء، ولا لقلبك إلا التحسر، ولا لفؤادك إلا القلق، فالعارف يبكي على ما فات، ويندم على ما اقترب من الآفات، وإذا مر بمكان كان قد حلا له مُر المعاصي، بكى وتذكر يوم الأخذ بالنواصي، وأشد ما يهيج خوف هؤلاء ويزعج قلوبهم خوف السابقة والخاتمة، فإن العبد لا يدري هل سبق له في علم الله السعادة فيختم له بخاتمة الإيمان؟ أو سبق له في علم الله الشقاوة فيختم له بخاتمة السوء والخذلان؟ فكم من مغبوط في أحواله انعكس عليه الحال، ورضي بمقارفة قبيح الأعمال، فبدل بالأنس وحشة وطردا، وبالقرب حجابا وبعدا، فأمسى بعد المحاضرة مبعوداً، وبعد القرب مطروداً.

شعر:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت      ولم تخف سوء ما يأتي به القدر  
وسالمتك الليالي فاغتررت بها      وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قال سهل بن عبدالله: خوف الصديقين خوف سوء الخاتمة عند كل خطوة وعند كل حركة، وقيل لسفيان الثوري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك؟ فقال: أو على ذنوبي أبكي؟ لو علمت أنني أموت على التوحيد لم أبال بأمثال الجبال من الخطايا.

تنبيه:

خوف بعض العارفين بالتفكر في السابقة، وبعضهم بالتدبر في الخاتمة، ولكل وجه، فمن تفكر في السابقة فهو عين الحقيقية، والمعول عليها، لأن السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه،

فهو ناظر إلى ما في نفس الأمر، فإنه لا يتغير ما في علم الله أبداً، ومن تدبر في الخاتمة فباعتبار أنها هي النتيجة والصورة البارزة، فمن ختم له بخير فاز ودخل الجنة وجاور مولاه، ومن لا فلا.

فنسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة في عاقبة، فالأمور بخواتيمها باعتبار الخارج، وفي نفس الأمر المعول عليه إنما هو السابقة ليس إلا، والله الموفق.

\* \* \*

## فصل

واعلم أن النار خلقها الله سبحانه وتعالى لعصاة الإنس والجن وبهما تمتلئ. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الآية [الأعراف: ١٧٩]. وقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ الآية [السجدة: ١٣]. وقال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرُ الْجِنُّ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨]. وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ إلى قوله ﴿فِيؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٣١-٤١].

وأما سائر الخلق ما عدا الثقلين فأشرفهم الملائكة، وهم متوعدون على المعصية بالنار، وهم يخافون منها، قال تعالى: ﴿وَهُمْ - يعني الملائكة - مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٨-٢٩].

وقد استفاض عن جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن هاروت وماروت كانا ملكين، وأنهما خيرا بعد المعصية بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا، لعلمهما بانقضائه، وقد روي فيه حديث مرفوع خرجه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر عنه <sup>(١)</sup> رضي الله عنهما، لكن صحح بعضهم أنه موقوف.

(١) يشير إلى ما أخرجه أحمد في المسند (١٣٤/٢) رقم ٦١٧٨، وابن حبان في صحيحه (٦٣/١٤) رقم ٦١٨٦، وهو حديث طويل يشير إلى اقتراف هاروت وماروت لشرب الخمر وقتل صبي ووقوع على امرأة، وهذه قصة منكورة، وللوقوف على عللها وردّها رداً محكماً يراجع تفسير ابن كثير (١/١٩٣).

ومحققوا<sup>(١)</sup> علمائنا طعنوا في القصة بأسرها وقالوا: هاروت وماروت بشران أطلق عليهما اسم ملكين لصلاحهما، بدليل قراءة «ملكين»<sup>(٢)</sup> بالكسر، وثم خلاف لم يثبت عن حضرة الرسالة منه شيء، وإنما نُقل عن علماء الكتاب، والله أعلم بالصواب.

وخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام فقال: مالي لا أرى ميكائيل عليه السلام يضحك؟ فقال جبريل: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج في (الزهد) عن أبي عمران الجوني قال: «بلغنا أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ وهو يبكي فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا جبريل؟ قال: أو ما تبكي أنت يا محمد؟ ما جفت عيني منذ خلقت النار مخافة أن أعصيه فيلقيني فيها»<sup>(٤)</sup>.

وروي نحوه من وجوه كثيرة مرسلة.

وخرج الطبراني عن عمر رضي الله عنه بسند فيه سَلَام الطويل وهو ضعيف جداً قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في غير حينه الذي كان يأتيه

(١) في الأصل (ومحقيقي) والمثبت هو الصواب.

(٢) هذه القراءة التي أشار إليها المصنف ليست ثابتة في القراءات المتواترة وإنما هي قراءة شاذة.

(٣) رواه أحمد (٢٢٤/٢) رقم ١٣٣٦٧، وفي الزهد (٦٩)، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٢٦٩) رقم ٤٠٨، وذكره الهيثمي (٧٠٥/١٠) رقم ١٨٥٦٨ وقال: رواه أحمد من رواية إسماعيل بن عياش عن المدنيين وهي ضعيفة وبقيّة رجاله ثقات.

(٤) روى أحمد في الزهد أن النبي ﷺ قال لجبريل «لم تأتني إلا وأنت صار بين عينيك؟ قال: إني لم أضحك منذ خلقت النار» ورواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٢٦٩) رقم ٤٠٩، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٢٩/١)، ولم أقف على السياق الذي ذكره المصنف عند أحمد.

فيه، فقال يا جبريل: مالي أراك متغير اللون؟ فقال له: ما جئتك حتى أمر الله بمنافخ النار، قال قال<sup>(١)</sup> يا جبريل صف لي النار وانعت لي جهنم - فذكر الحديث - فقال ﷺ: حسبي يا جبريل لا تصدع قلبي فأموت، قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكي، فقال ﷺ: تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به؟! فقال ومالي لا أبكي وأنا أحق بالبكاء، لعلي أن أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها، وما أدري لعلي ابتلى بما ابتلي به هاروت وماروت، وما ابتلي به إبليس، فقد كان من الملائكة، فبكي النبي ﷺ وبكى جبريل عليه السلام، فما زالا يبكيان، حتى نوديا: أن يا محمد ويا جبريل إن الله قد أمنكما أن تعصياه، فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ، فمر بقوم من الأنصار يضحكون، فقال: أتضحكون ووراءكم جهنم؟ فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما أسغتم الطعام والشراب، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل، فنودي يا محمد لا تقنط عبادي، فإنما بعثتك مبشراً ولم أبعثك منفرأً، فقال رسول الله ﷺ: سدودا وقاربوا<sup>(٢)</sup>، وقد علمت أنه فيه سلام الطويل وهو ضعيف جداً بل ربما أشعر سياقه بغير ذلك، واستغفر الله العظيم<sup>(٣)</sup>.

وقال محمد بن المنكدر: لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها، فلما خلق بنو آدم عادت، وأخرج نحوه أبو نعيم عن طاووس.

(١) في حاشية الأصل / تأمل تكرار (قال قال) مرتين في هذا السياق.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط بزيادة في أوله واختلاف يسير (٨٩/٣) رقم ٢٥٨٣، وذكره الهيثمي (٧٠٦/١٠) رقم ١٨٥٧٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه.

(٣) لعل المصنف رحمه الله يشعر بشيء من الحرج في إيراد هذا الحديث مع ما علمت من حال راويه، ثم إن الحكم بأن إبليس كان من الملائكة مخالف لما نطق به القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

وأما البهائم والوحوش والطيور، فقد روى ما يدل على خوفها من النار، قال يحيى ابن أبي كثير: بلغنا أنه كان إذا كان يوم نوح عليه السلام تأتي الوحش من البراري، وتأتي السباع من الغياض، وتأتي الهوام من الجبال، وتأتي الطير من الأوكار، ويجتمع الناس لذلك اليوم، ويأتي داود عليه السلام حتى يرقى المنبر، فيأخذ في الثناء على ربه، فيضجون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار، فيموت طائفة من الناس، وطائفة من السباع، وطائفة من الهوام، وطائفة من الطير، وطائفة من الوحوش، وطائفة من الرهبان والعداري المتعبدات، ثم يأخذ في ذكر الموت وأهوال القيامة، ويأخذ في النياحة على نفسه، فيموت طائفة من هؤلاء وطائفة من هؤلاء، ومن كل صنف طائفة، خرجه ابن أبي الدنيا.

قلت: وخرجه ناصر السنة الإمام الحافظ ابن الجوزي في «التبصرة» وزاد فيه: فإذا رأى سليمان ما قد كثر من الموتى نادى: يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق، وقتلت طوائف من بني إسرائيل ومن الرهبان والوحوش، فيقطع النياحة ويأخذ في الدعاء ويغشى عليه، فيحمل على سرير، فإذا أفاق قال: يا سليمان ما فعل عباد بني إسرائيل؟ ما فعل فلان وفلان؟ فيقول: ماتوا، فيقوم فيدخل بيت عبادته ويغلق عليه بابه، وينادي: أغضبان أنت على داود؟ أم كيف قصرت به أن يموت خوفاً منك؟

وقد روى مرفوعاً من حديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهم «أن الذباب كله في النار، وفي رواية غير النحل»<sup>(١)</sup>، لكن حكم على هذا الحديث الإمام ناصر

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠٨/١٠) رقم ١٠٤٨٧ عن ابن مسعود وفي (٣٨٩/١٢) رقم ١٣٤٣٦ عن ابن عمر، وعبد الرزاق في مصنفه (٢١٣/٥) رقم ٩٤١٥، وذكره الهيثمي (٥٩/٤) رقم ٦٠٨٨ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير بأسانيد رجال بعضها ثقات كلهم، وفي (٦٠) رقم ٦٠٩٠ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن حازم وهو ثقة.

السنة ابن الجوزي بالوضع .

قلت : وهو في مسند أبي يعلى الموصلي من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : «عمر الذباب أربعون<sup>(١)</sup> ليلة ، والذباب كله في النار إلا النحل»<sup>(٢)</sup> .

وهو في الكامل في ترجمة عمر بن شقيق عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «الذباب كله في النار غير النحل»<sup>(٣)</sup> .

وتعقب الإمام جلال الدين السيوطي الإمام ناصر السنة ابن الجوزي بأن الحديث ليس بموضوع .

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : حديث أنس إسناده لا بأس به ، وحديث ابن عمر إسناده ضعيف . انتهى .

وقد ورد أيضاً من حديث ابن عباس وابن مسعود أخرجهما الطبراني بسندين جيدين ، قال السيوطي : فالحديث حسن أو صحيح . انتهى .

قال بعض الفضلاء : قيل كونه في النار ليس بعذاب له ، بل ليعذب به أهل النار بوقوعه عليهم ، كذا هو بالحاء على الصواب ، وربما صحفه بعضهم النمل كما رأيت في نسخة قديمة النمل بالميم ، وهو غلط ، والله تعالى أعلم .

وأما الجمادات فقد أخبر سبحانه أنها تخشاه قال تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٧٤] . قال ابن عباس : إن الحجر ليقع على الأرض ، ولو اجتمع عليه ألف من الناس ما استطاعوه ، وإنه يهبط من خشية الله .

(١) في الأصل (أربعين) والمثبت هو الصواب والموافق للحديث .

(٢) رواه أبو يعلى (٢٣٠/٧) رقم ٤٢٣١ ، و(٢٧١) رقم ٣٢٩٠ ، وذكره الهيثمي (٤/٦٠) رقم ٦٠٨٩ وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

(٣) الكامل (٤٤/٥) ترجمة رقم ١٢١٢ .

وفي تاريخ الدول: لما أراد الله تعالى خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَام أوحى إلى الأرض: إني أريد أن أخلق فيك خلقاً، فمنهم من يطيعني، ومنهم من يعصيني، فمن أطاعني أدخلته جنتي، ومن عصاني أدخلته النار، فبكت الأرض، [فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة]<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الفضل بن العباس - وكان من الأبدال، وكانت الدموع قد أثرت في وجهه، وكان يصوم الدهر، ويفطر كل ليلة على رغيف- قال: مر عيسى عليه الصلاة والسلام بجبل بين نهرين، نهر عن يمينه، ونهر عن يساره، ولا يدري من أين يجيء هذا الماء ولا أين يذهب، فسأله، فقال: من أين يجيء هذا الماء؟ قال: أما الذي يجري عن يميني فمن دموع عيني اليمنى، وأما الذي يجري عن يساري فمن دموع عيني اليسرى، قال: مما ذلك؟ قال: خوفاً من ربي أن يجعلني من وقود النار، قال عيسى: فأنا أدعو الله عز وجل أن يهبك لي، فدعا الله له، فقال عيسى: قد وهبت لي قال: فانفجر منه من الماء حتى احتمل عيسى فذهب به، قال عيسى: اسكن بقدره الله فقد استوهبتك من ربي فوهبك لي، فما هذا البكاء؟! قال: أما البكاء الأول فبكاء الخوف، وأما البكاء الثاني فبكاء الشكر<sup>(٢)</sup>.

قلت: قد يكون البكاء عن حزن وقد يكون عن فرح، وقد جاء أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الهجرة وقد قال له: إن الله قد أذن لي في الخروج فقال له: الصحبة - بأبي أنت وأمي يا رسول الله-؟ قال: نعم، فبكى الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سروراً بصحبة حبيبه وحبيب كل مسلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

(١) ما بين المعقوفتين مطموس في الأصل وأثبتناه من نسخة (أ).

(٢) في النفس من هذه الرواية أشياء كثيرة، وعلى كل فهي من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها في إثبات أمر أو نفيه.

الهجرة، قالت عائشة رضي الله عنها: «فأريت أبا بكر يبكي، وما كنت أحسب أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر رضي الله عنه يبكي»<sup>(١)</sup>، وما أحسن قول من قال في ذلك:

ورد الكتاب من الحبيب بأنه      سيزورنا فاستعبرت أجفاني  
غلب السرور عليّ حتى أنه      من عظم ما قد سرني أبكاني  
يا عين صار الدمع عندك عادة      تبكين من فرح ومن أحزان

وقد ذكر الإمام المحقق ابن القيم - طيب الله ثراه - في كتابه «الهدى»

للبيداء أنواعاً، وملخص ذلك:

أنه تارة يكون للرقّة والرحمة، الثاني: بكاء الخوف والخشية، الثالث: بكاء المحبة والشوق، الرابع: بكاء الفرح والسرور، الخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتمال، السادس: بكاء الحزن، والفرق بينه وبين بكاء الخوف أن بكاء الحزن يكون عما مضى من حصول مكروه، أو فوات محبوب، وبكاء الخوف لما يتوقع في المستقبل من ذلك، والفرق بين بكاء السرور والفرح، وبكاء الحزن، أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان، ودمعة بكاء الحزن حارة والقلب حزين قلقان، ولهذا يقال لما يفرح به «هو قرّة عين»، «وأقر الله عينه»، ولما يحزن «هو سخنة عين»، «وأسخن الله عينه»، السابع: بكاء الخور والضعف، الثامن: بكاء النفاق: وهو أن تدمع العين والقلب قاس، فيظهر صاحبه الخشوع والبكاء وسفك الدموع، وهو من أقسى الناس قلباً، التاسع: بكاء المعار والمستأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة، فإنها كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: تبيع عبرتها وتبكي شجو غيرها، العاشر: بكاء الموافقة: وهو أن يرى الرجل الناس يكون لأمر ورد عليهم فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون، وما كان

(١) سيرة ابن هشام (١٠/٣).

من ذلك دمعاً بلا صوت فَبَكِّي بالقصر، وما كان معه صوت فبالمد، كما قال الشاعر:

بكت عيني وحق لها بكاهها وما يغني البكاء ولا العويل  
وما كان مستدعياً متكلفاً فالتباكي، وهو نوعان:

محمود: وهو أن يستجلب لركة القلب، وخشية الله، لا للرياء والسمعة.

ومذموم: وهو ما كان لذلك، والله تعالى أعلم.

واعلم أن هذه النار التي في الدنيا من نار جهنم، فقد روى ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين لما انتفعتم بها، وإنها لتدعو الله أن لا يعذبها فيها»<sup>(١)</sup> وفيه بقية ضعيف.

وروي عن أنس موقوفاً، وخرجه الحاكم عنه وزاد بعد قوله: ما انتفعتم بها، وأيم الله إن كانت لكافية، وأنها لتدعو الله وتستجير به إن لا يعذبها في النار أبداً.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، واعترضه الحافظ ابن رجب بأن فيه جسر بن فرقد ضعيف.

وخرج ابن أبي الدنيا عن أبي رجاء قال: لما ألقى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار أوحى الله تعالى إليها: إن ضررتيه أو آذيتيه لأردنك إلى

(١) رواه ابن ماجه (١٤٤٤/٢) رقم ٤٣١٨ بلفظ «يعيدها» بدل «يعذبها» وروى نحوه الحاكم (٦٣٥/٤) رقم ٨٧٥٣ باختلاف في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: حسن واه و«بقية» الذي ذكره المصنف ليس من رجال إسناده، وروى البخاري أوله رقم ٣٢٦٥.

النار الكبرى، فخرت مغشياً عليها ثلاثة أيام لا ينتفع الناس منها بشيء.

وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنه سمع صوت النار فقال: وأنا، فقيل له ما هذا؟ فقال: والذي نفسي بيده إنها لتستجير من النار الكبرى.

وقال مجاهد: ناركم هذه تعوذ من نار جهنم.

فقد ذكرنا أن جميع مخلوقات الله تخاف من النار، وذلك لأنها أثر انتقامه وغضبه، وأن خواص خلقه أشد خوفاً وإشفاقاً، وقد ذكرنا من ذلك طرفاً.

وذكر الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في «التبصرة»: أن إبراهيم الخليل كان إذا قام في الصلاة يسمع لصدره أزيز من شدة الخوف.

ويكى نوح لما عوتب في ابنه ثلاثمائة عام.

وروينا في الاسرائيليات أن كلباً أجرب مر بنوح فقال له: إخساً يا قبيح، فأوحى الله إليه: يا نوح أعبتني أم أعبت الكلب؟ فراح لذلك فسمي نوحاً<sup>(١)</sup>، واسمه عبدالغفار كما في تاريخ الحنبلي وغيره

فهذا خوف القوم، ونحن أحق بالخوف منهم، غير أن الخوف يكون بمقدار صفاء القلوب وقوة المعرفة، وإنما أمثلاً لغلبة الجهل.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا معرفته، وأن يمنحنا القرب إليه، ومجاورته في الدار التي لا حزن فيها، بمنه وكرمه.

\* \* \*

(١) هذه إسرائيليات كما ذكر المصنف ولا حجة فيها على شيء، ولذا لسا ملزمين بشيء منها. ما دام لم يؤيدها الأثر الصحيح عن رسول الله ﷺ.

## فصل

واعلم أن البكاء من خشية النار ينجي منها، وأن التعوذ بالله منها يوجب الإعادة منها، وقد تكاثرت بذلك الأحاديث.

قال بعض السادة: البكاء من خشية الله سبب للنجاة من النار، بل ومن كل ما يخشى الإنسان، والبكاء من نار جهنم هو البكاء من خشية الله، لأنه بكاء من خشية عقاب الله وسخطه، والبعد عنه وعن رحمته وجواره ودار كرامته.

أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع»<sup>(١)</sup>، ورواه النسائي.

قلت: وظاهره ولو وقع البكاء في العمر مرة، وفضل الله واسع فلا يحجر عليه، وأخرج الترمذي أيضاً وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «عينان لا تمسهما النار، عين بكت في جوف الليل من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

وخرج الإمام أحمد واللفظ له والنسائي والحاكم وصححه عن أبي ریحانة مرفوعاً: «حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله،

(١) رواه الترمذي (١٧١/٤) رقم ١٦٣٣ بزيادة في آخره وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه (١٢/٦) رقم ٣٠٠٨، وأحمد (٥٠٥/٢) رقم ١٠٥٦٧.

(٢) رواه الترمذي (١٧٥/٤) رقم ١٦٣٩ بلفظ «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» وقال: حديث حسن، وأخرجه بلفظ قريب من لفظ المصنف القضاعي في مسند الشهاب (٢١١/١) رقم ٣٢٠.

وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله، وذكر عيناً ثالثة<sup>(١)</sup>. وخرجه الجوزجاني بلفظ: «حرمت النار على عين سهرت بكتاب الله، وحرمت النار على عين دمعت من خشية الله، وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله، أوفقتت في سبيل الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

وخرج ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يخرج من عينيه دموع وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئاً من حروجه إلا حرمه الله على النار»<sup>(٣)</sup>.

قوله: حر وجهه: أي ما أقبل عليك منه وبدا لك.

وأخرج ابن أبي الدنيا عنه رضي الله عنه أنه قال: «ما اغرورقت عينا عبد بمائها من خشية الله إلا حرم جسدها على النار، فإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، ولو أن عبداً بكى في أمة من الأمم لانجى الله عز وجل ببكاء ذلك العبد تلك الأمة من النار، وما من عمل إلا وله وزن أو ثواب إلا الدمعة فإنها تطفئ بحوراً من النار»<sup>(٤)</sup>.

(١) جزء من حديث رواه أحمد (١٣٤/٤) رقم ١٧٢٥٢ وفيه: «حرمت النار على عين أخرى ثالثة لم يسمعها محمد بن سمير» بدل «وذكر عينا ثالثة» ورواه الدارمي في سننه (٢/٢٦٧) رقم ٢٤٠٠، والطبراني في الأوسط (٣١٥/٨) رقم ٨٧٤١ والحاكم (٩٢/٢) رقم ٢٤٣٢ كلهم باختلاف يسير وقاله الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الحاكم (٩٢/٢) رقم ٢٤٣٢ بلفظ «في سبيل الله» بدل «بكتاب الله» وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) رواه ابن ماجه (١٤٠٤/٢) رقم ٤١٩٧، ورواه الطبراني في الكبير (١٧/١٠) رقم ٩٧٩٩، ولكن باختلاف يسير، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٠/١) رقم ٨٠٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦٦/٤)، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١٦٣/٤) وقال عنه العراقي: أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٤٧) رقم ١٤، وذكره ابن رجب في التخويف =

وقد روي هذا أو نحوه من كلام الحسن موقوفاً وأبي عمران الجوني وخالد بن معدان وغيرهم .

وفي «التبصرة» عنه عليه السلام من حديث أبي أمامة: «ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين، قطرة دمع من خشية الله، وقطرة دم مهراق في سبيل الله»<sup>(١)</sup> ثم أنشد الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في تبصرته:

لا تُحِبِّسَنَّ ماءَ العيون فإنه لك يا لديغ هواهم درياق<sup>(٢)</sup>  
 شنوا الإغارة في القلوب بأسهم لا يرتجى لأسيورها إطلاق  
 واستعذبوا ماء الجفون فعذبوا الأسراء حتى درت الآماق<sup>(٣)</sup>

وعن زاذان أبي عمر رحمته الله أنه قال: بلغنا أنه من بكى خوفاً من النار أعاده الله منها، ومن بكى شوقاً إلى الجنة أسكنه الله إياها.

وفي الجملة البكاء دليل الخوف والخشية، وتقدم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، منهم رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»<sup>(٤)</sup>.

قال في (التبصرة): وكان من دعائه عليه السلام: «اللهم ارزقني عينين

= من النار/٦٢، والهندي في كنز العمال (٣/١٤٨) رقم ٥٩٠٨ وقال: أبو الشيخ عن النضر ابن حميد مرسلًا.

(١) رواه الترمذي (٤/١٩٠) رقم ١٦٦٩ بلفظ «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين، قطرة من دموع في خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله...» الحديث وقال: هذا حديث حسن غريب، والطبراني في الكبير (٨/٢٣٥) رقم ٧٩١٨.

(٢) الدَّرَائِقُ والدَّرِيَاقُ والدَّرِيَاقَةُ: الترياق مغرب. لسان العرب/ مادة: درق.

(٣) موق العين وموقها ومؤقيها ومأقيها مؤخرها وقيل مقدمها، والجمع آماق. لسان العرب/ مادة: ماق.

(٤) رواه البخاري ومسلم وتقدم.

هطالتين يبكيان بذروف<sup>(١)</sup> الدموع من خشيتك، من قبل أن تكون الدموع دماً، والأضراس جمرأ<sup>(٢)</sup>، وذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله، وعين سهرت في سبيل الله، وعين يخرج منها مثل الذباب من خشية الله»<sup>(٣)</sup>، وذكر عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون حتى تصير الدموع في وجوههم جداول، فتنفذ الدموع، فتقرح الجفون، حتى لو أن السفن أجريت فيها لجرت»<sup>(٤)</sup>.

وفي الحديث: «لو وزنت دموع داود عدلت دموع الخلائق، ودمعة آدم تعدل الكل»<sup>(٥)</sup>، وكان مجرى الدموع من خد ابن عباس كالشراك البالي، وقال عبدالله ابن عمرو بن العاص: لأن أدمع دمعة من خشية الله عز وجل حتى تسيل على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل ذهب.

(١) هكذا في المصادر وبالأصل (بذبوب)، وفي لسان العرب مادة ذبل: ذَبَّ ذُبُوباً إذا جف ويس ريقه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا (٥٧) رقم ٤٤، والطبراني في الدعاء (٤٢٩) رقم ١٤٥٧، وابن المبارك في الزهد (١٦٥) رقم ٤٨٠، وأحمد في الزهد (١٠) وابن عساکر في تاريخ دمشق (١١) / ١٢١، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/١٦٣) وقال عنه العراقي: أخرجه الطبراني في الكبير في الدعاء وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد حسن.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/١٦٣)، وابن أبي عاصم في الجهاد (٢/٤١٨) رقم ١٤٨، وابن عساکر في الأربعين في الجهاد (١١١) رقم ٣٦ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/١٦٠) رقم ١٩٢٩، وصدوره بصيغة التمريض.

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده (٧/١٦١) رقم ٤١٣٤، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٦١) من حديث أبي موسى وفي (٣/١٠٣)، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٦١) رقم ٤٥، وذكره الهيثمي (١٠/٧١٧) رقم ١٨٦٠٤ وقال: رواه أبو يعلى وأضعف من فيه يزيد الرقاشي وقد وثق على ضعفه.

(٥) روى أحمد في الزهد (٤٧) «لو بكى أهل الأرض جميعاً ما عدل دموع داود عليه السلام حين أصاب الخطيئة، ولو أن دموع أهل الأرض ودموع داود عليه السلام جميع ما عدل دموع آدم حين أهبط من الجنة» موقوفاً على علقمة بن مرثد.

وقال الحسن: لو بكى عبد من خشية الله تعالى لرحم من حوله ولو كانوا عشرين ألفاً. وقال مالك بن دينار: البكاء على الخطيئة يحط الذنوب كما تحط الريح الورق اليابس.

وكان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى فسدت عيناه.

وبكى عمر بن عبدالعزيز حتى بكى الدم، وكذا فتح الموصلي.

قيل لعبدالواحد بن زيد: ما يفهم كلامك من بكاء عتبة، فقال يبكي عتبة على ذنبه وأمنعه؟ لبس واعظ قوم أنا.

وكان أمية الشامي يتحب في المسجد فأرسل إليه الأمير: إنك تفسد على المصلين صلاتهم، فبكى وقال: إن حزن القيامة أورثني دموعاً غزيراً، فأنا استريح إلى ذريها أحياناً:

كلما عنفوا عليك ولاموا      عصف الوجد بي ولج الغرام  
يتجافى الرقاد أجفان عيني      فكأن الكرى عليها حرام  
وإذا مدة الوصال تقضت      فعلى مدة الحياة السلام

فانظر بكاء القوم يا من كل قصده النوم، أهذا البكاء عن عبث؟! يا من لآخرتة ما أكثرت، أما والله لنحن أحق بذاك منهم، ولكن شتان بين النائم واليقظان، كم بين علم اليقين وبين من أحاديث الآخرة عنده كالمين<sup>(١)</sup>؟  
فيالها من غفلة لو كنا نعقل.

مالي وما للهوى يا نفس لولاك      يانفس يكفي زوى أسى خالف مولاك  
يا نفس فيقي وهبي واحزني فلقد      جاء النذير بأن النار مشواك

(١) المين: الكذب. لسان العرب مادة: مين.

حتى متى في الهوى والبين<sup>(١)</sup> يطلبني  
فأنت أولى عباد الله قاطبة  
يا ويحنا لو بكينا قبل رحلتنا  
وأنت في غفلة والموت ينحك  
بالحزن والنوح لولا الذنب أعماك  
لكان أولى بنا من شكية الشاكي

\* \* \*

---

(١) البين في كلام العرب جاء على وجهين، يكون البين من الفرقة، ويكون الوصل، بأن يبين  
بيناً وبينئونة، وهو من الأضداد، لسان العرب: مادة: بين.

## فصل

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذكر الملائكة الذين يلمسون مجالس الذكر: «إن الله عز وجل يسألهم - وهو أعلم بهم فيقول: مم يتعوزون؟ فيقولون من النار، فيقول: وهل رأوها: لا والله ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد منها مخافة، فيقول: أشهدكم أنني قد غفرت لهم»<sup>(١)</sup>.

وخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار بالله من النار ثلاثاً إلا قالت النار: اللهم أجره من النار»<sup>(٢)</sup>، وتقدم.

وأخرج أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا كان يوم حار فإذا قال الرجل: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرني من حر جهنم. قال الله لجهنم: إن عبداً من عبادي استجارني من حر وأنا أشهدك أنني قد أجرته، وإذا كان يوم شديد البرد فإذا قال العبد: لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم. قال الله تعالى لجهنم: إن عبداً من عبادي استجارني من زمهريك وأنا أشهدك أنني قد أجرته، قالوا وما

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٦٤٠٨، ومسلم رقم ٢٦٨٩ ولكن بشيء من الاختلاف.

(٢) رواه الترمذي (٦٩٩/٤) رقم ٢٥٧٢، والنسائي (٢٧٩/٨) رقم ٥٥٢١، وابن ماجه (٢/١٤٥٣) رقم ٤٣٤٠ وتقدم.

زمهير جهنم؟ قال: بيت يلقي فيه الكافر فيتميز<sup>(١)</sup> من شدة بردها<sup>(٢)</sup>، ذكره الحافظ في «التخويف».

وقال عطاء الخراساني: من قال أستجير بالله من النار سبع مرات. قالت جهنم: لا حاجة لي فيك.

اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وباسمك العظيم، وبكلامك القديم، من عذاب الجحيم، وعاملني بلطفك وكرمك، ورأفتك وإحسانك، يا أرحم الراحمين، أستعيذ بك من مكرك وغضبك، وسخطك وعذابك، اللهم إني أعتذر إليك مما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي وارحمي برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً يا رب العالمين.

\* \* \*

(١) في حاشية الأصل/ لعله فيتمزق.

(٢) رواه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في نقض كلام المريسي (١/٣٢٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٣) والعجلوني في كشف الخفا (٢/١٩٨٣) رقم ٢٩٨٢ وعزاه لابن السني وأبي نعيم في عمل اليوم والليلة وضعف إسناده.

## الباب الثاني

في ذكر مكان جهنم، وطبقاتها، ودركاتها

وصفاتها، وقعرها، وعمقتها

أما مكانها: فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: جهنم في الأرض السابعة - رواه أبو نعيم - .

وخرج ابن منده عن مجاهد قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما أين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة .

وأخرج البيهقي بسند فيه ضعف عن ابن مسعود رضي الله عنه: الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض السابعة السفلى، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ﴾ [المطففين: ١٨] و﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَّارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ [المطففين: ٧] .

ورواه ابن منده وزاد فيه: فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء، وخرج ابن خزيمة وابن أبي الدنيا عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه: أن الجنة في السماء وأن النار في الأرض، وابن أبي الدنيا عن قتادة كانوا يقولون: الجنة في السماوات السبع، وإن جهنم في الأرضين السبع .

وفي حديث البراء في حق الكافر يقول الله: «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا»<sup>(١)</sup> خرج الإمام أحمد وغيره، وتقدم أول الكتاب بطوله .

(١) رواه أحمد (٢٨٧/٤) رقم ١٨٥٥٧، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤/٣) رقم ١٢٠٥٩ وتقدم غير مرة .

وأخرج الإمام أحمد بسند فيه نظر عن يعلى بن أمية عن النبي ﷺ قال: «البحر هو جهنم، فقالوا ليعلى ألا تركبها؟ - يعني البحور - قال: ألا ترون أن الله يقول: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]. لا والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله عز وجل، ولا يصيبني منها قطرة حتى ألقى الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب: وهذا إن ثبت فالمراد به أن البحار تفجر يوم القيامة فتصير بحراً واحداً، ثم تسجر ويوقد عليها فتصير ناراً، وتزاد في نار جهنم، وقد فسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] بنحو هذا.

وقال ابن عباس تسجر حتى تصير ناراً، وفي رواية عنه تكون الشمس والقمر والنجوم في البحر، فيبعث الله عليها ريحاً - دبورا - فتنفخه حتى يرجع نار. رواه ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم.

وأخرج عنه أيضاً في قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] قال: هو هذا البحر فتنشر الكواكب فيه، وتكور الشمس والقمر فيه، فيكون هو جهنم. وقال سيدنا علي رضي الله عنه: أين جهنم؟ قال: تحت البحر. قال علي: صدق ثم قرأ: ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ رواه ابن أبي ياس، وخرج ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾. قال: قالت الجن للإنس نأتكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار يأجج.

وفي سنن أبي داود عن ابن عمرو مرفوعاً: «لا يركب البحر إلا حاجا

(١) رواه أحمد (٢٢٣/٤) رقم ١٧٩٨٩، والحاكم (٦٣٨/٤) رقم ٨٧٦٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

أو معتمراً أو غازياً في سبيل الله فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً»<sup>(١)</sup>.

وروي عن ابن عمر مرفوعاً: «إن جهنم محيطة بالدنيا وإن الجنة من ورائها فلذلك كان الصراط على جهنم طريقاً إلى الجنة»<sup>(٢)</sup>، قال الحافظ ابن رجب هذا حديث غريب منكر.

وقيل: إن النار في السماء، خرج الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أُتيتُ بالبراق فلم نزائل طرفه أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء ورأيت الجنة والنار»<sup>(٣)</sup>.

وخرج عنه أيضاً عن النبي ﷺ: رأيت ليلة أسري بي الجنة والنار في السماء فقرأت هذه الآية: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] فكانني لم أقرأها قط»<sup>(٤)</sup>.

ولا حجة في هذا ونحوه على أن النار في السماء لجواز أن يراها في الأرض وهو في السماء، وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار، وليست الجنة في الأرض، وقد ثبت أنه ﷺ رآهما وهو في صلاة الكسوف وهو في الأرض<sup>(٥)</sup>، وفي بعض طريق حديث الإسراء عن أبي هريرة أنه مر على أرض الجنة والنار في مسيره إلى بيت المقدس، ولم يدل شيء من ذلك على أن الجنة في الأرض، فحديث حذيفة إن ثبت فيه أنه رأى الجنة

(١) رواه أبو داود (٨/٢) رقم ٢٤٨٩، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٣٣٤) رقم ٨٤٤٥ وقال أبو داود: هذا حديث ضعيف جداً أبو عبد الله وبشير مجهولان.

(٢) ذكره ابن رجب في التخويف من النار/٦٩ وقال: غريب منكر.

(٣) جزء من حديث رواه أحمد (٥/٣٩٢) رقم ٢٣٣٨٠، وفيه (ظهره) بدل (طرفه) والطيالسي في مسنده (٥٥) رقم ٤١١، وذكره الهندي في كنز العمال (١١/٣٨٥) رقم ٣١٨٣٧.

(٤) ذكره ابن رجب في التخويف من النار (٦٩).

(٥) رواه البخاري رقم ١٠٥٢، ومسلم رقم ٩٠٧.

والنار في السماء فالسمااء ظرف للرؤية لا للمرئي، أي رأيت الجنة والنار حال كوني في السماء- يعني صدرت الرؤيا مني وأنا في السماء - ولا تعرض في الحديث للمرئي، فتأمل.

وفي حديث ضعيف جداً أنه ﷺ «رأى الجنة والنار فوق السماوات»<sup>(١)</sup>، فلو صح حمل على ما ذكرنا.

وقد أخرج القاضي أبو يعلى من رؤوس أصحابنا بسند جيد عن الإمام أبي بكر المروزي أن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسر له آيات متعددة من القرآن، فكان مما فسر له قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْبَاغُوا سِجْرَتًا﴾. قال: أطباق النيران، والبحر المسجور قال: جهنم.

وهذا يدل على أنه يرى أن النار في الأرض، بخلاف ما رواه الخليل عن المروزي من أن النار في السماء.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يعني الجنة والنار.

وتأوله بعضهم على أن المراد أن أعمال الجنة والنار مقدره في السماء.

والحاصل أن الجنة في السماء، وأن النار في الأرض على الصحيح المعتمد كما قدمناه، والله تعالى الموفق.

\* \* \*

(١) لعله أخذ ذلك من مفهوم حديث المعراج الطويل والذي رواه الطبري (١٢/٨).

## فصل

وأما طبقاتها وأدراكها فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْكُفَّيْنَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

قال الضحاك: الدرك إذا كان بعضها أسفل من بعض، والدرج إذا كان بعضها فوق بعض.

وقال غيره: الجنة درجات، والنار دركات.

وقد تسمى النار درجات، كما قال تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾. [الأنعام: ١٣٢] وقال: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١١٦) هُمْ دَرَجَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

وقال عبدالرحمن بن زيد: درجات الجنة تذهب علواً، ودرجات النار تذهب سفولاً.

وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: ٤٤]. قال: سبعة طباق.

وفي قوله: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]. قال: هي منازل بأعمالهم.

وقال يزيد بن أبي مالك الهمداني: لجهنم سبعة نيران تأتلق، ليس منها نار إلا وهي تنظر إلى التي تحتها مخافة أن تأكلها.

وقال ابن جريج<sup>(١)</sup> في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾. قال: أولها

(١) في حاشية الأصل/ لعله ابن جريج.

جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، وفيها أبو جهل.

وفي «الإحياء» للغزالي على خلاف هذا الترتيب قال: الأعلى جهنم، ثم سقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الهاوية، ثم الجحيم، والأول أصح لورود الآثار به.

قال القرطبي: الباب الأول يسمى جهنم، وهو أهونها عذاباً، وهو مختص بعصاة هذه الأمة، وسمي بذلك لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء، فتأكل لحومهم، والهاوية آخرها، وهي أبعداها قعرأ.

وقال الفخر: الظاهر أن جهنم والعياذ بالله طبقات، والظاهر أيضاً أن شرها أسفلها.

وحكى الزمخشري والشعبي والفخر أن أصحاب الطبقة الأولى أهل التوحيد، يعذبون على قدر أعمالهم ثم يخرجون، والثانية لليهود، والثالثة للنصارى، والرابعة للصابئين، والخامسة للمجوس، والسادس للمشركين، والسابعة للمنافقين.

قال الضحاك: للنار سبعة أبواب، وهي سبعة أدراك بعضها على بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد - يعني عصاتهم - يعذبون على قدر أعمالهم وأعمارهم في الدنيا ثم يخرجون منها، وذكر الذي ذكرناه عن المفسرين الثلاثة.

قال الحافظ: وهذا ضعيف عن الضحاك، لأن فيه سلاماً المدائني وهو ضعيف.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أي أهل النار أشد عذاباً؟ قالوا له اليهود والنصارى والمجوس، قال: لا ولكن المنافقون في الدرك الأسفل من النار

في توابيت من نار، مطبقة عليهم ليس لها أبواب.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : الدرك الأسفل من النار بيوت لها أبواب يطبق عليها، فتوقد من فوقهم ومن تحتهم، قال تعالى : ﴿لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ضُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ضُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]. قال أبو يسار: الظلة من جهنم فيها سبعون زاوية، في كل زاوية صنف من العذاب ليس في الأخرى.

وقال كعب رضي الله عنه في اقتحام العقبة في كتاب الله عز وجل، يعني قوله: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعُقَبَةَ﴾ [البلد: ١١] سبعون درجة في النار.

وقال أبو رجاء: بلغني أن العقبة التي ذُكِرَتْ في كتاب الله مطلعها سبعة آلاف سنة، ومهبطها سبعة آلاف سنة.

وقال بعض السلف في العقبة: جبل في جهنم، أفلا أجاوزه بعثت رقية؟ وقال مقاتل بن حيان: هي عقبة في جهنم، قالوا: بأي شيء تقطع؟ قال: بفك رقية.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما : قال رأيت في المنام أنه جاءني ملكان، وفي يد كل واحد منهما مقمعة من حديد، ثم لقيني ملك في يده مقمعة من حديد فقال: لن ترع، نعم الرجل أنت لو كنت تكثر الصلاة من الليل، فانطلقوا بي حتى وقفوا على سفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وإذا فيها رجال معلقون بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، وعرفت فيها رجالاً من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين، فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال «إن عبدالله رجل صالح»<sup>(١)</sup>.



(١) رواه البخاري رقم ٧٠٣٠، ٧٠٣١، ومواضع أخرى، ومسلم رقم ٢٤٧٩.

## فصل

وأما صفة النار ونعوت دار البوار، فهي أفظع من أن توصف وأقبح من أن تعرف، أعدها الله تعالى لكل كافر وعاص إلا من رحم سبحانه وتعالى، وما بالك بدار هي آثار غضب الجبار، فهي حَرِيَّةٌ بأن تسمى الجحيم، لأنها أثار نقمة العزيز الحكيم، أخرج الطبراني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «يا جبريل مالي أراك متغير اللون؟ قال: ما جئتك حتى أمر الله بمنافخ النار، فقال يا جبريل صف لي النار، قال: إن الله أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهبها، والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره، ولو أن خازناً من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه ومن نتن ريحه، ولو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لا رفضت وما تقارت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: «هذه النار جزء من مائة جزء من نار جهنم»<sup>(٢)</sup>. فنسأل الله سبحانه من فضله أن يعافينا من النار ومن غضبه بمنه وكرمه.

\* \* \*

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٨٩/٣) رقم ٢٥٨٣، وذكره الهيثمي (٧٠٦/١٠) رقم ١٨٥٧٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه وتقدم.  
(٢) رواه أحمد (٣٧٩/٢) رقم ٨٩١٠، وذكره الهيثمي (٧٠٨/١٠) رقم ١٨٥٧٥ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

## فصل

وأما قعرها وعمقها، فعن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان فقال: إنه ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً، واللّه لتملأه أفعبتتم. رواه مسلم موقوفاً هكذا.

وكذا أخرجه الإمام أحمد موقوفاً، وخرجه أيضاً مرفوعاً<sup>(١)</sup>، قال الحافظ: والموقوف أصح.

وخرج الترمذي عن عتبة بن غزوان أنه قال على منبر البصرة عن النبي ﷺ قال: «إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم، فتتهوى فيها سبعين عاماً وما تُفضي إلى قرارها»<sup>(٢)</sup>.

قال: وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامها من حديد، قال الترمذي رواه الحسن عن عتبة ولا نعرف للحسن سماعاً من عتبة بن غزوان.

وفي مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال كنا عند رسول الله ﷺ يوماً فسمعنا وجبة، فقال النبي ﷺ: «أتدرون ما هذا؟ قلنا اللّٰه ورسوله أعلم، قال: هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً»<sup>(٣)</sup>.

(١) جزء من حديث رواه أحمد (١٧٤/٤) رقم ١٧٦١١، مرفوعاً، ورواه موقوفاً مسلم رقم ٢٩٦٧.

(٢) رواه الترمذي (٧٠٢/٤) رقم ٢٥٧٥، وروى نحوه الطبراني في الأوسط (١٠٠/٣) رقم ٢٦١٣، وله شاهد في الحديث قبله وبعده.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٨٤٤ باختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ، وأحمد (٣٧١/٢) رقم ٨٨٢٦.

وخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أن حجراً قذف به في نار جهنم لهوى فيها سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن المبارك عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن ما بين شفير جهنم مسيرة سبعين خريفاً من حجر يهوي، أو صخرة تهوي، عظمها كعشر عشراوات - أي نوق عشارية - عظام سمان فقال له رجل: تحت ذلك شيء يا أبا أمامة؟ قال: نعم غي وأثام، قال الحافظ في «التخويف»: وقد روي هذا مرفوعاً بإسناد فيه ضعف، وزاد فيه: قيل وما غي وما أثام؟ قال: بثران يسيل فيهما صديد أهل النار، وهما اللتان ذكرهما الله في كتابه: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] وفي الفرقان: ﴿يَلْقَوْنَ (٢) أَثَامًا﴾<sup>(٣)</sup> [الفرقان: ٦٨].

قال الحافظ: والموقوف أصح.

وأخرج الإمام أحمد عن عبدالله عنه رضي الله عنه قال: «ما من حَكَم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة، وملك أخذ بقفاه حتى يقفه على شفير جهنم، ثم يرفع رأسه إلى الله عز وجل، فإذا قال ألقه ألقاه في مهوى

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٥٠٩/١٦) رقم ٧٤٦٨، وأبو يعلى في مسنده (١٧٥/١٣) رقم ٧٢٤٣، وذكره الهيثمي (٧١٢/١٠) رقم ١٨٥٨٨ وقال: رواه البزار والطبراني وفيهما محمد بن أبان الجعفي وهو ضعيف.

(٢) في الأصل (يلقون) والمثبت هو الصواب، وجاء في حاشية الأصل أيضاً الذي في الفرقان (يلقو أثاماً).

(٣) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٢٠/١) رقم ٣٦، وذكره الهيثمي (٧١٢/١٠) رقم ١٨٥٩١، وقال: رواه الطبراني وفيه ضعفاء قد وثقهم ابن حبان وقال: يخطئون.

أربعين خريفاً»<sup>(١)</sup>.

وفي «التخويف» للحافظ بسند فيه عبيدالله بن الوليد الوصافي - لا يحفظ الحديث وكان شيخاً صالحاً - أن أبا ذر رضي الله عنه قال لعمر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالوالي يوم القيامة، فينبد على جسر جهنم، فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه، فإن كان مطيعاً لله في عمله مضى به، وإن كان عاصياً لله في عمله انخرق به الجسر فهوى في جهنم مقدار خمسين عاماً، فقال له عمر رضي الله عنه: من يطلب العمل بعد هذا؟ قال أبو ذر رضي الله عنه: من سلت<sup>(٢)</sup> الله أنفه وألصق خده بالتراب، فجاء أبو الدرداء فقال له عمر: يا أبا الدرداء هل سمعت رسول الله ﷺ حدثنا بحديث حدثني به أبو ذر، قال: فأخبره أن مع الخمسين خمسين عاماً يهوي أو نحو هذا»<sup>(٣)</sup>.

وفي موعظة الأوزاعي للمنصور قال: أخبرني يزيد بن يزيد بن جابر عن عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري أن أبا ذر وسلمان قالوا لعمر رضي الله عنه: سمعنا رسول الله ﷺ يقول، فذكر معناه، وقال هوى به في النار سبعين خريفاً.

(١) رواه أحمد واللفظ له (٤٣٠/١) رقم ٤٠٩٧، وابن ماجه (٧٧٥/٢) رقم ٢٣١١، وقال: في الزوائد في إسناده مجالد وهو ضعيف، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٦/١٠) رقم ٢٠٠١٠، وابن أبي شيبه في المصنف (٤١٩/٦) رقم ٣٢٥٤٥، والطبراني في الأوسط (١٢٨/٤) رقم ٣٧٨٥.

(٢) يقال: سَلَتَ أنفه يَسْلُتُهُ ويسْلُتُهُ سَلْتًا جَدَعَهُ، والرجل أَسْلَتَ: إذا أوعِبَ جَدَعُ أنفه، والأسلت: الأجدع. لسان العرب: مادة: سلت.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٣٩/٢) رقم ١٢١٩، وذكره الهيثمي (٣٧١/٥) رقم ٩٠٤٠ وقال: رواه الطبراني وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار»<sup>(١)</sup>، وفي لفظ: «يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها في النار سبعين خريفاً»<sup>(٣)</sup>، وخرجه ابن ماجه وكذا البزار بنحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه. هذا عمقها.

وأما سعتها فروي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتدرون ما سعة جهنم؟ قلنا: لا، قال: أجل والله ما تدرون، ما بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه مسيرة سبعين خريفاً، تجري فيه أودية القيح والصديق والدم، قلنا: أنهار؟ قال: لا بل أدوية، ثم قال: أتدرون ما سعة جهنم؟ قلنا لا، قال: حدثتني عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]. فأين الناس يومئذ؟ قال: «على جسر جهنم»<sup>(٤)</sup>، رواه الإمام أحمد.

وخرج النسائي والترمذي عنه المرفوع، وصححه الترمذي، وخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، والله سبحانه وتعالى أعلم.

\* \* \*

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٨٨ .

(٢) رواه البخاري رقم ٦٤٧٧ .

(٣) رواه الترمذي (٥٥٧/٤) رقم ٢٣١٤ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأحمد (٢٣٦/٢) رقم ٧٢١٤، وابن حبان في صحيحه (١٣/١٣) رقم ٥٧٠٦ .

(٤) رواه أحمد (١١٦/٦) رقم ٢٤٩٠٠، والحاكم (٤٧٣/٢) رقم ٣٦٣٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي، والنسائي في السنن الكبرى (٤٤٧/٦) رقم ١١٤٥٣، والترمذي (٣٧٢/٥) رقم ٣٢٤١ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

## الباب الثالث

في ذكر أبواب جهنم وسرادقها، وظلمتها وشدة سوادها

أما أبوابها فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤].

وخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «الجهنم سبعة أبواب، منها باب لمن سل سيفه على أمتي»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث أبي رزين العقيلي عند الإمام ابن الإمام أبي عبد الرحمن عبدالله ابن الإمام أحمد والطبراني والحاكم وغيرهم عنه ﷺ أنه قال: «لعمرك إن للنار سبعة أبواب ما منهن باب إلا يسير الراكب فيها سبعين عاماً»<sup>(٢)</sup>، وتقدم بطوله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن علي كرم الله وجهه قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، وقال بأصبعه وعقد خمسين، وأضجع يده ثم يمثل الأول والثاني والثالث حتى عقدها كلها.

وقال جويرير عن الضحاك: سمي الله تعالى أبواب جهنم لكل باب منهم جزء مقسوم، باب لليهود، وباب للنصارى، وباب للمجوس، وباب للصابئين، وباب للمنافقين، وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب، وباب

(١) رواه أحمد (٩٤/٢) رقم ٥٦٨٩، والترمذي (٢٩٧/٥) رقم ٣١٢٣، وقال: هذا حديث غريب، وابن حبان في المجروحين (٢١١/١) في ترجمة جنيد بن العلاء رقم ١٧٧.  
(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢١١/١٩) رقم ٤٧٧ من حديث لقيط وتقدم غير مرة.

لأهل التوحيد، وأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى للآخرين. خرجه الخلال.

وقال عطاء الخراساني: إن لجهنم سبعة أبواب أشدها غمًا وكرهاً وحرًا، وانتها ريحاً للزناة الذين ركبوا بعد العلم.

وقال كعب: لجهنم سبعة أبواب، باب منها للحرورية.

وهذا يدل على أن كل باب من السبعة لعمل مخصوص من الأعمال السيئة، كما أن أبواب الجنة الثمانية كل باب لعمل مخصوص من الأعمال الصالحة.

وقال وهب: بين كل بابين من أبواب النار مسيرة سبعين سنة، كل باب أشد حرًا من الذي فوقه.

ويروي عن بلال رضي الله عنه أن أعرابية صلت خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]. فخرت مغشياً عليها، فلما أفافت قالت يا رسول الله: كل عضو من أعضائي يعذب على كل باب منها؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «لكل باب منهم جزء مقسوم يعذب على كل باب على قدر أعمالهم، فقالت: مالي إلا سبعة أعبد، أشهدك أن كل عبد منهم لكل باب من أبواب جهنم حر لوجه الله تعالى، فجاء جبريل فقال: بشرها أن الله قد حرم عليها أبواب جهنم»<sup>(١)</sup>، هذا خرجه الثعلبي في تفسيره بإسناد مجهول.

قال الحافظ في «التخويف»: لا يصح رفعه، وفيه من لا تحل الرواية

(١) ذكره القرطبي في التفسير (٢٩/١٠)، وفي التذكرة (٤٤٦) وانظر تعليق المصنف في الحكم عليه.

عنه، والصحيح ما خرجه ابن أبي الدنيا عن هشام بن حبان قال: خرجنا حجاجاً، فنزلنا منزلاً في بعض الطريق، فقرأ رجل كان معنا هذه الآية: ﴿هَذَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ فسمعت امرأة فقالت: أعد رحمتك الله، فأعادها، فقالت: خلفت في البيت سبعة أعبد، أشهدكم أنهم أحرار، لكل باب واحد.

**لطيفة:** أخرج ابن أبي الدنيا من طريق عبدالعزیز بن أبي وراذ قال: كان بالبادية رجل قد اتخذ مسجداً، فجعل في قبلته سبعة أحجار، فكان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار أشهدكم أن لا إله إلا الله، قال: فمرض الرجل، فخرج بروحه، قال: فرأيت في منامي أنه أمر بي إلى جهنم، فلما أوقفت على بابها فرأيت حجراً من تلك الحجارة أعرفه بعينه، قد عظم، فسد عني باباً من أبواب جهنم، فذهبوا بي إلى باب آخر، فإذا بحجر آخر حتى سد عني بقية الأحجار أبواب جهنم<sup>(١)</sup>.

فهذا أشهد حجراً فنفعته تلك الشهادة، وأنا أشهد الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً قاهراً جباراً، وملكاً قادراً قهاراً، للذنوب غفاراً، وللعيوب ستاراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وأسأله أن يتوفاني على كلمة الإخلاص، وأطلب منه العافية والإخلاص، بمنه وكرمه ولطفه وحلمه، والمسلمين أجمعين.



(١) هذه منامات وإن كان لا يترتب عليها حكم، بمعنى أنه لا يجوز أن تكون سنداً في إظهار الأحجار على الإيمان، إلا أنها غير ممتنعة شرعاً، وفي صحيح البخاري أن أبا سعيد الخدري قال لعبد الله بن عبد الرحمن بن صعصعة الأنصاري «إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديته فأذنت بالصلاة فأرفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ البخاري رقم ٦٠٩.

## فصل

وقد وصف الله سبحانه وتعالى أبوابها مغلقة فقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠]. قال مجاهد: هي بلغة قريش مغلقة، أصد الباب: أي أغلقه، وقال مقاتل: أبوابها مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد، وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إنها عليهم مؤصدة، قال مطبقة»<sup>(١)</sup>، قال الحافظ في «التخويف»: رفعه لا يصح.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾  في عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿ [الهمزة: ٨، ٩]. معناه: أطبقت عليهم بعمد، قاله قتادة، وكذلك هو في قراءة عبدالله بعمد بالباء الموحدة، قال عطاء: هي عمد من حديد في النار.

وقال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم، ثم سدت بأوتاد من حديد حتى يرجع عليهم غمها وحرها، وعلى هذا فقوله: ممددة: صفة للعمد، يعني: أن العمدة التي أوثقت بها الأبواب ممدودة مطولة، والممدودة الطويل أرسخ وأثبت من القصير، وقيل: إن الممددة صفة لأبواب، وهو عن ابن عباس رضي الله عنه، وقيل المراد بالعمد الممددة: القيود الطوال، وقيل المراد بالعمد الممددة: الزمان الذي لا انقطاع له.

قال السدي: من قرأها في عمد بالفتح فهي عمد من نار، ومن قرأها بالضم، فهو أجل ممدود.

واعلم أن إطباق جهنم على نوعين:

(١) رواه الطبري في التفسير (١٢/٦٨٩) عن ابن عباس، وقاتدة موقوفاً.

أحدهما: خاص لمن يدخل في النار، أو من يريد الله التضيق عليه -  
أجارنا الله من ذلك كله .

قال بعض السلف: إن في النار أقواماً مؤصدة عليهم كما يطبق الحق  
على طبقه، خرج ابن أبي حاتم عن أبي توبة الزيني .

والثاني: العام وهو إطباق النار على أهلها المخلدين فيها، كذا في  
«التخويف» للحافظ، قال: وقد قال سفيان وغيره في قوله تعالى: ﴿لَا  
يَخْرُجُ مِنْهَا وَلَئِنْ أَبْرَأْتُمْ إِلَهُاتِكُمْ إِلَّا إِلَهُ عَزِيزٌ أَلْحَقُ بِهِ  
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي النَّارِ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. قال: هو إطباق النار على  
أهلها .

وخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: ينادي رجل في شعب  
من شعاب النار مقدار ألف عام: يا حنان يا منان، فيقول الله عز وجل: يا  
جبير أخرج عبي فيجدها مطبقة فيقول: إنها عليهم مؤصدة مطبقة .

وقال ابن عمرو رضي الله عنه: إذا أجاب الله تعالى أهل النار: ﴿أَخْسَبُوا فِيهَا  
وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. أطبقت عليهم، فلم ينطق القوم بعد تلك  
الكلمة، وإن كان إلا الزفير والشهيق، يعني: يئس القوم فلم ينطقوا. وقال  
أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار عنيد وكل شيطان  
مريد، وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره فأوثقوا بالحديد، ثم أمر  
بهم إلى جهنم، ثم أوصدوها عليهم، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار  
أبدأ، ولا ينظرون فيها إلى أديم السماء أبدأ، ولا والله تلتقي جفون أعينهم  
على غمض نوم أبدأ، ولا والله يذوقون فيها بارد شراب أبدأ .

وقال بعض السلف في إطباق النار على أهلها: لبسوا النضيج من  
النحاس، ومنعوا خروج الأنفاس، فالأنفاس في أجوافهم تترد، والنيران  
على أبدانهم تتوقد، وقد أطبقت عليهم الأبواب، وغضب عليهم رب

الأرباب، ومنعوا السؤال والجواب، ولم يبق إلا الزفير والشهيق والتشلوخ<sup>(١)</sup> والتمزيق.

وأشد بعضهم في هذا:

لو أبصرت عيناك أهل الشقاء  
يصلونها حين عصوا ربهم  
تقول أخراهم لأولاهم  
قد كنتم حذرتم حرها  
وجيء بالنيران مزمومة  
وقيل للنيران أن أحرقي  
سيقوا إلى النار وقد أحرقوا  
وخالفوا الرسل وما صدقوا  
في لجج المهل وقد أغرقوا  
لكن من النيران لم تفرقوا  
شراها من حولها محرق  
وقيل للخزان أن أطبقوا

وقد ورد في بعض أحاديث الشفاعة فتح باب النار، فخرج الطبراني من رواية العباس عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني آتي جهنم فأضرب بابها، فيفتح لي، فأدخلها فأحمد الله بمحامد ما حمده أحد قبلي مثله ولا حمده بعدي، ثم أخرج منها من قال لا إله إلا الله مخلصاً، فيقوم إليّ أناس من قريش فينتسبون لي فأعرف نسبهم ولا أعرف وجوههم، فأتركهم في النار»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ في التخويف: إسناده ضعيف، والله أعلم.

(١) التشليح: التعرية - انظر القاموس المحيط/ باب الحاء فصل الشين. وفي لسان العرب: قال الأزهري: ما أرى الشُّلحاء والشُّلْحَ عريية صحيحة وكذلك التشليح الذي يتكلم به أهل السواد. مادة شلح.

(٢) جزء من حديث طويل رواه الطبراني في الأوسط (١٥١/٤) رقم ٣٨٤٥، وذكره الهيثمي (٦٨٨/١٠) رقم ١٨٥٢٨ وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه علي بن سعيد الرازي وفيه لين وفيه من لم أعرفه.

## فصل

وأما السرادق فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِبِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

قال الزجاج: السرادق كلما أحاط بشيء نحو المضرب والحائط المشتمل على الشيء.

وقال ابن قتيبة: السرادق الحجرة التي تكون حوط الفسطاط، وقيل الدهليز، وهو معرب، وأصله بالفارسية سرادار.  
قال ابن عباس رضي الله عنه: هو سرادق من نار.

وخرج الترمذي بسند فيه ابن لهيعة عن أبي سعيد مرفوعاً: «السرادق النار أربعة جدر كثف، كل جدار مسيرة أربعين سنة»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ: وإحاطة السرادق بهم قريب من المعنى المذكور في غلق الأبواب، وهو شبه قول من قال في السرادق: إنه حائط لا باب له.

ولما كان إحاطة السرادق بهم موجباً لغمهم وكرهم لشدة وهج النار. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَفِئُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمَهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِنْ حديدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢١-٢٢].

(١) رواه الترمذي (٧٠٦/٤) رقم ٢٥٨٤، وأحمد (٢٩/٣) رقم ١١٢٥٢، وابن المبارك في الزهد (٩٠) رقم ٣١٦، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٣٦/٢) رقم ١٥٦٠ وقال: هذا حديث لا يصح، ابن لهيعة ذاهب الحديث، قال أحمد: وأحاديث دراج مناكير.

قال أبو معشر: كنا في جنازة مع أبي جعفر القاري، فبكى أبو جعفر ثم قال: حدثني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون، فذلك الذي أبكاني، أخرجه الجوزجاني.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: [على كل باب من أبواب النار سبعون ألف سرادق من نار، في كل سرادق منها]<sup>(١)</sup> سبعون ألف قبة من نار، في كل قبة سبعون ألف تنور من نار، في كل تنور منها سبعون ألف كوة من نار، في كل كوة منها سبعة آلاف صخرة من نار، على كل صخرة منها سبعون ألف حجر من نار، وعلى كل حجر منها سبعون ألف عقرب من نار، لكل عقرب منها سبعون ألف ذنب من نار، لكل ذنب منها سبعون ألف فقارة من نار، في كل فقارة منها سبعون ألف قلة من سم، وسبعون ألف موقد من نار، يوقدون تلك النار<sup>(٢)</sup>، وذكر تمام الحديث.

وستأتي إن شاء الله تعالى بقيته، وفيه أنهم يهربون من باب إلى باب خمسمائة سنة.

قال الحافظ في «التخويف»: وهذا الخبر غريب منكر، وفيه إبراهيم ابن الحكم بن أبان ضعيف تركه الأئمة.

وتقدم أن أبواب جهنم قبل دخول أهلها إليها يوم القيامة تكون مغلقة، وذكرنا قوله تعالى: ﴿وَسَيَقُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١] الآية.

وفي حديث أبي هارون العبدى - وهو ضعيف جداً - عن أبي سعيد

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل ومن نسخة (أ) وأثبتناه من كتاب التخويف من النار للحافظ ابن رجب (٩١).

(٢) هذا الأثر تظهر عليه آثار الصنعة، ولقد أحسن المصنف رحمه الله في تعقيبه عليه.

مرفوعاً في قصة الإسراء «ثم عُرِضَتْ عَلَيَّ النار وإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته، لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها، ثم أغلقت دوني»<sup>(١)</sup>.

وقد روي أنها تفتح في كل يوم نصف النهار.

وأخرج الإمام أحمد أن خباب بن الأرت رأى رجلاً يصلي نصف النهار فنهاه وقال: إنها ساعة تفتح فيها أبواب جهنم فلا يصلي فيها.

وتقدم أن الحكمة في غلقها ليزداد حرها، ويعظم ضررها، ويقوى شرها، ويزيد سعيرها، ويكثر زفيرها ويحبس دخانها، ويحرق خزائنها، فنسأل الله أن يعافينا من زفراتها، ويبعدنا عن عقاربها وحياتها، بمنه وكرمه.

وقد ورد ما يستدل به على أن أبوابها مفتوحة، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصدفت الشياطين»<sup>(٢)</sup>.

وخرج الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صدفت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب»<sup>(٣)</sup>.

وأجيب بأن غلق أبواب النار إنما هو عن الصائمين خاصة، وكذا فتح أبواب الجنة لهم خاصة، ويدل عليه حديث ابن عباس مرفوعاً «يفتح فيها - أي أول ليلة من رمضان - أبواب الجنة للصائمين من أمة محمد، ويقول الله

(١) جزء من حديث رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٣/ ٥١٤)، وذكره ابن كثير في التفسير (٣/ ١٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٩٨) وانظر حكم المصنف عليه المذكور قبله.

(٢) رواه مسلم واللفظ له رقم ١٠٧٩، والبخاري رقم ١٨٩٩ باختلاف يسير.

(٣) رواه الترمذي (٣/ ٦٦) رقم ٦٨٢، وابن ماجه (١/ ٥٢٦) رقم ١٦٤٢، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٢٢١) رقم ٣٤٣٥ وله شواهد عند البخاري.

عز وجل: يا رضوان افتح أبواب الجنان، يا مالك أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد ﷺ<sup>(١)</sup> والحديث منقطع، فإنه رواه الضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنه، هكذا جواب بعض العلماء.

قلت: والذي يظهر لي من الجواب عن هذه الأحاديث أن المراد بقوله ﷺ: «وغلقت أبواب النار» أي استمرت على حالها قبل رمضان مغلقة كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ﴾ [النساء: ١٣٦].

وكذا القول في أبواب الجنة - على رأى من زعم أنها مفتوحة الآن - وإلا هذا الكتاب قد نطق بتغليق الأبواب، فقد قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحْتِ أَبْوَابَهَا﴾ [الزمر: ٧١] فالحق أن أبواب جهنم مغلقة، أما اليوم فعلى الصحيح المعتمد، وأما في الآخرة فبلا نزاع، اللهم إلا أن ينازع في ذلك من لا يعتد بنزاعه، والله تعالى الموفق.



(١) جزء من حديث طويل أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩١/٥٢) وذكره الهندي في كنز العمال (٨/ ٥٨٦) رقم ٢٤٢٨١ وقال: ضعيف.

## فصل

وأما ظلمتها، وشدة سوادها: فروى ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء كالليل المظلم»<sup>(١)</sup>.

قال الترمذي: حديث أبي هريرة في هذا موقف أصح، قال: ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك، وتقدم هذا عند الطبراني عن عمر بنحوه.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «أثرونها- يعني النار- حمراء كناركم هذه؟ لهي أشد سواداً من القار»<sup>(٢)</sup>، وخرجه البزار بلفظ: «لهي أشد سواداً من دخان ناركم سبعين ضعفاً»<sup>(٣)</sup>.

وروي موقوفاً على أبي هريرة وهو أصح، قاله الدارقطني.

(١) رواه الترمذي (٧١٠/٤) رقم ٢٥٩١ بلفظ «مظلمة» بدل «كالليل المظلم» وقال: هذا حديث حسن غريب وابن ماجه (١٤٤٥/٢) رقم ٤٣٢٠ باختلاف في بعض الألفاظ، وكذا ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤/٧) رقم ٣٤١٦٥، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٤٨٩) رقم ٧٩٩.

(٢) رواه مالك في الموطأ (٩٩٤/٢) رقم ١٨٠٥، باختلاف في بعض الألفاظ موقوفاً على أبي هريرة، والدارقطني في العلل (٨٣/١٠) رقم ١٨٨٢ وقال: وروى عن معن وابن أبي بكير مرفوعاً، والصحيح موقف.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٥/١) رقم ٤٨٥، وذكره ابن كثير في التفسير (٧٠٢/٤) والهيشمي (٧٠٨/١٠) رقم ١٨٥٧٦ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْبَسْتُمُ الْمَوْتِمَ﴾ [التكوير: ١٢]. قال سعرت ألف سنة حتى ابيضت، ثم ألف سنة حتى احمرت، ثم ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة.

قال الحافظ في (التخويف): وفيه الحكم ابن ظهير ضعيف، والصحيح ما رواه عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة كما سبق - يعني من قوله فيما تقدم - «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت» الحديث.

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: النار سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يضيء لها، ثم قرأ ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢].

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: ضرب الله مثلاً للكافر: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ الآية [النور: ٤٠]، قال: فهو يتقلب في خمس من الظلم، كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات، إلى النار، رواه أبو جعفر.

وقال الضحاك: جهنم سوداء، وماؤها أسود، وشجرها أسود، وأهلها سود. وقد دل على سواد أهلها قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَحْضَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الآيتين [آل عمران: ١٠٦].

وثبت أن عصاة الموحدين منهم من يحترق في النار حتى يصير فحمًا.

فنسأل الله سبحانه بوجهه<sup>(١)</sup> العافية من النار ومن غضبه، وما ينشأ عنه غضبه، ونستعيز به وبأسمائه وصفاته وكلامه وخواص<sup>(٢)</sup> خلقه من غضبه

(١) هكذا بالأصل ولعلها (بوجهه).

(٢) غفر الله للإمام السفاريني، فما كان أغناه عن سؤال الخلق فيما لا يقدر عليه إلا الله =

وسخطه، وتحصن من النار بمدلول اسمه الغفار، ونبيه المختار ﷺ .

\* \* \*

---

= تعالى، خصوصاً وقد جاء عن النبي ﷺ الأمر بسؤال الله والاستعانة به، فقال ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» رواه الترمذي وأحمد وغيرهما وهو صحيح.

## الباب الرابع

في شدة حر جهنم وزمهيرها وسجرها  
وتسعيورها وتغيظها وزفيرها أعاذنا الله منها

أما حرها فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فنفسني، فأذن لها في نفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر من سمومها، وأشد ما تجدون من البرد من زمهيرها»<sup>(١)</sup>.

وفيها عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ناركم هذه ما يوقد ابن آدم جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية، قال: إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرها»<sup>(٢)</sup>.

وخرجه الإمام أحمد وزاد فيه: «وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»<sup>(٣)</sup>، وتقدم.

(١) رواه البخاري رقم ٣٢٦٠ بلفظ «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الحر، وأشد ما تجدون من الزمهير» ومسلم رقم ٦١٧ باختلاف يسير.  
(٢) رواه البخاري رقم ٣٢٦٥، ومسلم رقم ٢٨٤٣، والترمذي (٧٠٩/٤) رقم ٢٥٨٩.  
(٣) أحمد (٢٤٤/٢) رقم ٧٣٢٣.

وخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إن هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم»<sup>(١)</sup>.

وروى الطبراني: أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره»<sup>(٢)</sup>، قال الحافظ: وروي عن الحسن مرسلًا من وجه ضعيف، والحديث تكلم فيه، والله تعالى أعلم.

وقال كعب الأخبار رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها.

وقال عبدالملك بن عمير: لو أن أهل النار كانوا في نار الدنيا لقالوا فيها.

وقال بشير بن منصور: قلت لعطاء السلمي رضي الله عنه: لو أن إنساناً أوقدت له نار وقيل له: من دخل هذه النار نجا من النار، فقال عطاء: لو قيل لي ذلك لخشيت أن تخرج نفسي فرحاً قبل أن أقع فيها.

فإن قلت: قد ذكرت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أن هذه النار جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وفي حديث آخر من مائة جزء، وكلا الحديثين ثابت عنه صلى الله عليه وسلم.

قلت لفظة سبعين وسبعمائة وسبعة آلاف ونحوها كثيراً ما يراد بها

(١) رواه أحمد (٣٧٩/٢) رقم ٨٩١٠، وذكره الهيثمي (٧٠٨/١٠) رقم ١٨٥٧٥ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) جزء من حديث رواه الطبراني في الأوسط (٨٩/٣) رقم ٢٥٨٣ وتقدم غير مرة.

التكثير، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٨٠] وهذا كثير جداً في كلام العرب.

أو يقال: إن هذين الحديثين وردا بحسب اختلاف النارين اللتين من نار الدنيا، وكل أحد يشاهد أن بعض نار الدنيا أقوى وأشد حراً من بعض، هذا معلوم بالحس لا ينكره أحد، والله تعالى أعلم.

\* \* \*

## فصل

وأما زمهريرها، فروي أن بيتاً في جهنم يتميز فيه الكافر من برده، يعني ينقطع ويتمزع، وقال مجاهد: إن في النار لزمهريرا، يقلون فيه، يهربون إلى ذلك الزمهيرير، فإذا وقعوا حطم عظامهم حتى يسمع لها نقيض.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يستغيث أهل النار من الحر، فيغاثون بريح باردة يصدع العظام بردها، فيسألون الحر.

وعن عبدالملك بن عمير أنه قال: بلغني أن أهل النار يسألون خازنها أن يخرجهم إلى جانبها، فأخرجهم فقتلهم البرد والزمهيرير، حتى رجعوا إليها فدخلوها مما وجدوا من البرد.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن كعباً رضي الله عنه قال: إن في جهنم برداً هو الزمهيرير، يسقط اللحم حتى يستغيثوا بحر جهنم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الزمهيرير لون من العذاب.

وذكر الحافظ في «التخويف» أن زبيداً اليامي قام ليلة للتهجد، فعمد إلى مطهرة له قد كان يتوضأ فيها، فغسل يده ثم أدخلها في المطهرة، فوجد الماء فيها بارداً برداً شديداً، كاد أن يجمد، فذكر الزمهيرير الذي في النار، ويده في المطهرة، فلم يخرجها منها حتى أصبح، فجاءت الجارية وهو على تلك الحال، فقالت: ما شأنك يا سيدي، لم تصل الليلة كما كنت تصلي؟ قال: ويحك إني أدخلت يدي في هذه المطهرة فاشتد عليّ برد الماء، فذكرت به الزمهيرير، فوالله ما شعرت لشدة برده حتى وقفت عليّ،

انظري لا تخبري بهذا أحداً ما دمتُ حيا، فما علم بذلك أحد حتى مات،  
رحمه الله تعالى.

\* \* \*

## فصل

وأما سَجْر جهنم وتسعيرها فقد سبق أن أوقد عليها ثلاثة آلاف عام .  
 وخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «لما خلق الله النار أرسل جبريل عليه السلام إليها وقال له : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال : فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع وقال : وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال : اذهب فانظر ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فرجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»<sup>(١)</sup> .

واعلم أن جهنم تسجر كل يوم نصف النهار، أخرج مسلم عن عمرو ابن عبسة عن النبي ﷺ أنه قال : «صلّ صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفياء فَصَلَّ»<sup>(٢)</sup> ، وذكر بقية الحديث .

وفي حديث صفوان بن المعطل السلمي مرفوعاً : «إذا طلعت الشمس فصل حتى يعتدل على رأسك مثل الرمح، فإذا اعتدلت على رأسك فإن تلك

(١) رواه أحمد (٣٣٢/٢) رقم ٨٣٧٩، وأبو داود (٦٤٩/٢) رقم ٤٧٤٤، وابن حبان في صحيحه (٤٠٦/١٦) رقم ٧٣٩٤، والترمذي (٦٩٣/٤) رقم ٢٥٦٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٨٣٢ بزيادة «محضورة» بعد «مشهودة» وأحمد (١١٢/٤) رقم ١٧٠٦٠ .

الساعة تسجر جهنم فيها وتفتح فيها أبوابها حتى تزول عن حاجبك الأيمن»<sup>(١)</sup> خرجه عبدالله بن الإمام أحمد طيب الله ثراهما، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «فإذا انتصف النهار فاقصر عن الصلاة حتى تميل الشمس، فإنه حينئذ تسجر جهنم، وشدة الحر من فيح جهنم»<sup>(٢)</sup>.

وخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»<sup>(٣)</sup>، وعند أبي نعيم «من فيح جهنم، أو من فيح أبواب جهنم»<sup>(٤)</sup>، وعند أبي داود عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه رضي الله عنه كره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة، وقال: إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة»<sup>(٥)</sup>، وفي إسناده انقطاع.

وقد تسجر أحياناً في غير نصف النهار كما خرجه الطبراني عن ابن أم مكتوم رضي الله عنه قال: «خرج النبي ﷺ ذات غداة فقال: سعرت النار، وجاءت الفتن»<sup>(٦)</sup>، فذكر الحديث.

- 
- (١) رواه أحمد (٣١٢/٥) رقم ٢٢٧١٣، وذكره الهيثمي (٤٧٣/٢) رقم ٣٣٤٦ وقال: رواه عبد الله في زيادته في المسند ورجاله رجال الصحيح إلا أنني لأدري سمع سعيد المقبري منه أم لا.
- (٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٥٧/٢) رقم ١٢٧٥، وابن حبان في صحيحه (٤١٨/٤) رقم ١٥٥٠، وأبو يعلى في مسنده (٤٥٧/١١) رقم ٦٥٨١، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠٢/٣) رقم ٦٠٢٣، وله شواهد في الأحاديث السابقة.
- (٣) رواه أحمد (٢٦٦/٢) رقم ٧٦٠٢، و(٢٨٥) رقم ٧٨١٦، ورواه البخاري رقم ٥٣٤ من حديث ابن عمر، ومسلم رقم ٦١٥ من حديث أبي هريرة.
- (٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٧٤/٦).
- (٥) رواه أبو داود (٣٥٢/١) رقم ١٠٨٣، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٦٤/٢)، وذكره ابن حجر في تلخيص الحبير (١٨٩/١) رقم ٢٧٤ وقال: نقلًا عن أبي داود: مرسل، أبو الخليل لم يسمع من أبي قتادة، وزاد - وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.
- (٦) رواه الطبراني في الأوسط (٢٧٢/١) رقم ٨٨٧، والحاكم (٧٣٦/٣) رقم ٦٦٧٢، وذكره الهيثمي (٣٩٦/١٠) رقم ١٧٧٠٥ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا أهل الحجرات سعرت النار، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»<sup>(١)</sup>، وفيه من تكلم فيه.

ورواه الأعمش مرسلًا، والله تعالى أعلم.

وتسجر جهنم أيضاً يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿﴾ [التكوير: ١٢-١٤].

وقرئ: سُعِرَتْ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: المعنى واحد، إلا أن معنى المشدد أوقدت مرة بعد مرة.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ أوقدت.

وقال السدي: أحميت.

وقال قتادة: سورها غضب الله وخطايا بني آدم، خرجه ابن أبي حاتم وهذا يقتضي - كما قال الحافظ - أن تسعير جهنم حيث سعرت وإنما تسعر بخطايا بني آدم المقتضية غضب الجبار عليهم، فتزداد جهنم حينئذ تلهباً وتسعراً، وهذا كما أن درج الجنة وغرس أشجارها يحصل بأعمال بني آدم الصالحة من الذكر وغيره، وكذلك حسن ما فيها من الأزواج وغيرهم يتزايد

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٤٩/٧) رقم ٧٤١٣، وذكره الهيثمي (٣٩٦/١٠) رقم ١٧٧٠٤ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري وفيه عيب الله بن سعيد قائد الأعمش وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان وقال: يخطئ وبقية رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

(٢) قراءة التشديد مروية عن حفص ونافع وأبو جعفر وغيرهم وقراءة التخفيف قراءة صحيحة رواها ابن كثير وأبو عمرو وهشام وشعبة وغيرهم. انظر/ عبدالفتاح القاضي/ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (٤٢٧).

بتحسين الأعمال الصالحة، فكذلك جهنم تسعر، وتزداد آلات العذاب فيها بكثرة ذنوب بني آدم وخطاياهم وغضب مولاهم، عياداً اللهم بك من غضبك ومن النار، وما يقرب إليها من قول وعمل ونية.

وقول الحافظ: يحصل بأعمال بني آدم، يعني يزداد بذلك كما فهم من أثناء كلامه، والله أعلم.

وتسجر أيضاً على أهلها بعد دخولهم إليها، قال تعالى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كلما طفيت أوقدت.

وقال: خبت: سكنت.

قال ابن قتيبة: خبت النار إذا سكن لهبها، فاللهب يسكن والجمر يغلي، وقال غيره من المفسرين: تأكلهم، فإذا صاروا فحمًا ولم تجد النار شيئاً تأكله أعيد خلقهم خلقاً جديداً فتعود لهم.

وقوله: زدناهم سعيراً: أي ناراً تتسعر وتلتهب.

قلت: يكون السعير موجوداً فيزداد عليه سعير أيضاً، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾. فإن قولك: ازددت علماً يشعر أنك كنت قبل الزيادة عالماً ومتصفاً بالعلم، وإنما الذي حصل لك زيادة على ما كنت متصفاً به، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]. أي توهج، قاله مجاهد وغيره.

وقرأ عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه في صلاته سورة ﴿وَأَلَيْلٍ إِذَا يَفَتَى﴾ فلما

بلغ قوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ بكى ولم يستطع أن يجيزها<sup>(١)</sup>، ثم عاد فقرأ  
السورة حتى بلغ الآية، فلم يستطع أن يجيزها مرتين أو ثلاثاً، ثم قرأ سورة  
غيرها، رحمه الله تعالى.

\* \* \*

(١) في حاشية الأصل / لعلها (أن يجاوزها).

## فصل

وأما تغيظها وزفيرها فقال جل شأنه وتعالى سلطانه: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١١-١٢].

وقال: ﴿وَاللَّذِينَ كَفَرُواْ فِيهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمٌ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أَلْقَا فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿المالك: ٦-٨﴾﴾.

والشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار.

وقال الربيع: الشهيق في الصدر، وقال المنذري: الشهيق في الصدر والزفير في الحلق، وقال ابن فارس: الشهيق ضد الزفير، لأن الشهيق رد النفس، والزفير إخراجها، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَفُورٌ﴾ تغلي كما تغلي القدور، وابن عباس: تميز تفرق، وعنه: يكاد يفارق بعضها بعضاً وتتفطر، وقال الضحاك: «تميز» تتفطر، وذلك من شدة الغيظ على أهل المعاصي غضباً لله تعالى وانتقاماً له.

وخرج ابن أبي حاتم عن رجل من الصحابة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً، قيل يا رسول الله وهل لها عينان<sup>(١)</sup>؟ قال: نعم أو لم تسمع قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]»<sup>(٢)</sup>.

(١) في الأصل (عينين).

(٢) رواه ابن جرير في التفسير (٣٦٩/٩) باختلاف يسير، وأبو بكر القطيعي في جزء الألف دينار، أوله فقط (٤٨٢) رقم ٣٣٠ وقال محققه: إسناده حسن.

قوله: «فليتبوا مقعداً»: أي فليتخذ ويمهد له في جهنم مقعداً، ولعل مراده بعيني جهنم وسطها، أو يحمل على ظاهره، والله أعلم.

وقال كعب: ما خلق الله شيئاً إلا وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشية إلا الثقلين اللذين عليهما الحساب والعذاب، رواه الجوزجاني، ورواه الإمام أحمد في (الزهد) بمعناه عن معتب بن سُمَيِّ.

وقال الضحاك: إن لجهنم - يعني يوم القيامة - زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر ساجداً يقول رب نفسي.

وعند ابن عمير نحوه، إلا أنه قال: فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي إلا وقع لركبتيه ترعد فرائصه، يقول رب نفسي رب نفسي.

وقال وهب: إذ سيرت الجبال فسمعت حسيس النار وتغيظها وزفيرها وشهيقها صرخت الجبال كما تصرح النساء، ثم يرجع أوائلها على أواخرها، يدق بعضها بعضاً - خرج الإمام أحمد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾. من مسيرة مائة عام، وذلك إذا أتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام، يشد بكل زمام سبعون ألف ملك، لو تركت لأتت على كل بر وفاجر ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ تزفر زفرة لا تبقى قطرة من دمع إلا بدرت، ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من أماكنها وتقطع اللهوات والحناجر، وهو قوله: ﴿الْقُلُوبُ الْحَاكِرَةَ﴾ [الأحزاب: ١٠] رواه آدم، وفيه عاصم الكوري ضعيف جداً.

وخرج عبدالله بن الإمام أحمد عن عبيد الله بن أبي جعفر قال: إن جهنم لتزفر زفرة تنشق منها قلوب الظلمة، ثم تزفر أخرى فيطيرون من الأرض حتى يقعوا علي رؤوسهم.

وخرج أبو نعيم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: خوفنا، قال: والذي نفسي بيده إن النار لتقرب يوم القيامة لها زفير وشهيق، حتى إذا دنت وقربت زفرت زفرة، فما خلق الله من نبي ولا صديق ولا شهيد إلا وجئى لركبتيه ساقطاً، حتى يقول كل نبي وصديق وشهيد: اللهم لا أكلفك اليوم إلا نفسي، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبياً لظننت أنك لا تنجو، قال عمر رضي الله عنه: والله إن الأمر لشديد.

وفي رواية عنه: لا يبقى ملك مقرب ولا غيره إلا خر جاثياً على ركبتيه، يقول: رب نفسي نفسي، وجئى نبينا وإبراهيم وإسحاق عليهم السلام، فأبكى القوم حتى نشجوا<sup>(١)</sup>، وفي رواية فأطرق عمر رضي الله عنه ملياً، فقال له كعب: يا أمير المؤمنين أستم تجدون هذا في كتاب الله عز وجل؟ قال عمر: كيف؟ قال: يقول الله عز وجل في هذه الآية ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهَمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

فيا صريع شهوته وقتيل لذته انتبه لهذا اليوم العظيم، وتزود لهذا الخطب الجسيم، يا لاهيا في اللذات، هلا وله في الطاعات؟ ويحك يا قتيل نفسه، ويا مطيع حدسه، تفكر فيما أنت آيل إليه، وتدبر فيما أنت قادم عليه، حيث يتلاشى الشفعاء، وينحط الرفعاء، من علم عظمة الإله زاد وجله، ومن خاف مقام ربه حسن عمله، الخوف يستخرج داء البطالة ويشفيه، وهو نعم المؤدب للمؤمن ويكفيه، فالخوف للنفس سائق، والرجاء قائد، ربح الرجاء يسكن وجوف الخوف، وسيف الخوف يقطع سيف سوف.

(١) النشيج الصوت، والنشيج أشد البكاء، وقال أبو عبيد: النشيج مثل البكاء للصبي إذا ردد صوته في صدره ولم يخرج. لسان العرب/ مادة: نشج.

في «التبصرة» للإمام ناصر السنة - طيب الله ثراه - قال بعض السلف: رأيت في بعض الجبال شاباً أصفر اللون، غائر العينين، مرتعش الأعضاء، لا يستقر على الأرض، كأن به وخز الأسنان، ودموعه تتحادر، فقلت: من أنت؟ فقال: آبق، آبق من مولاه، فقلت: فتعود وتعتذر، قال: العذر يحتاج إلى إقامة حجة، فبماذا يعتذر المقصر؟ قلت يتعلق بمن يشفع فيه، فقال: كل الشفعاء يخافون منه، قلت: فمن هو؟ قال: مولى رباني صغيراً فعصيته كبيراً، شرط إلي فوفاني، وضمن لي فأعطاني، فخنته في ضماني، وعصيته وهو يراني، فواحيائي من حسن صنعه وقبيح فعلي، فقلت: أين هذا المولى؟ فقال: أين توجهت لقيت أعوانه، وأين استقرت قدمك ففي داره، فقلت: ارفق بنفسك، فربما أحرقك هذا الخوف، فقال: الحريق بنار خوفه لعله يرضى أخف وأولى، ثم أنشأ يقول رحمه الله تعالى:

لم يبق خوفك لي دمعاً ولا جلدًا      لا شك أنني بهذا ميت كمدا  
عبد كئيب أتى بالعجز معترفاً      وناره تحرق الأحشاء والكبدا  
ضائق مساكته في الأرض من وجل      فهب له منك لطفاً إن لقيك غدا

فقلت له: يا غلام: الأمر أسهل مما تظن، فقال: هذا من فتن البطالين، هبه تجاوز عني وعفا أين آثار الإخلاص والصفاء؟ ثم صاح صيحة سقط ميتاً، فخرجت عجوز من كهف جبل عليها ثياب رثة، فقالت: من أعان على قتل البائس الحيران؟ فقلت: يا أمة الله دعوته إلى الرجاء. قالت: قد دعوته إلى ذلك، فقال: الرجاء بلا صفاء شرك، قلت: من أنت منه؟ قالت: والدته، قلت أقيم عندك أعينك عليه؟ فقالت: خلّه ذليلاً بين يدي قاتله، عساه يراه بغير معين فيرحمه، فلم أدِرِ مماذا أعجب من صدق الغلام في خوفه، أو من قول العجوز، وحسن صدقها؟

## فصل

## في ذكر دخان جهنم، وشررها، ولهبها

قال تعالى: ﴿وَأَحْبَبُ إِلَيَّ مَا أَصْحَبُ الشَّمَالَ (٤١) فِي سَمُورٍ وَحَمِيرٍ (٤٢) وَظِلِّ مِّنْ يَحْمُورٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ظل من دخان، وكذا قال مجاهد وعكرمة وغيرهم، وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ لا بارد المدخل، ولا كريم المنظر.

والسموم: هو الريح الحارة. قاله قتادة وغيره.

وهذه الآية تضمن<sup>(١)</sup> ذكر ما يستبرد به في الدنيا من الكرب والحر، وهو ثلاثة: الماء، والهواء، والظل، فهواء جهنم السموم الشديدة الحر، وماؤها الحميم، وهو الذي قد اشتد حره، وظلها اليحموم وهو قطع دخانها، أجارنا الله تعالى من ذلك كله، بمنه وكرمه وفضله.

وقال البغوي: «وظل من يحموم» من دخان شديد السواد، تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السواد، قال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود.

وقال ابن كيسان: اليحموم اسم من أسماء النار.

قلت: والأول وهو أنه الدخان الأسود أظهر، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]. قال

(١) هكذا بالأصل، ولعلها (تضمنت).

مجاهد هو دخان جهنم، اللهب الأخضر والأسود والأصفر الذي يعلو النار إذا أوقدت.

وقال السدي في قوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]. قال: زعموا أن شررها الذي يرمي به كأصول الشجر ثم يرتفع فيمتد.

وقال القرطبي: على جهنم سور فما خرج من وراء سورها يخرج منها في عظم القصور ولون القار.

وقال الضحاك والحسن في قوله: «كالقصر» هو أصول الشجر العظام، ومجاهد: قطع الشجر والجبل.

وصح عن ابن مسعود قال: سور<sup>(١)</sup> كالقصور والمدائن، وابن عباس شرر كالقصر العظيم.

وفي صحيح البخاري عنه: كنا نرفع من الخشب بقصر ثلاث أذرع أو أقل نرفعه للشتاء نسميه القصر.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾. قال ابن عباس: حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض، يكون كأوساط الرجال.

وقال مجاهد: حبال الجسور.

وقالت طائفة: بل هي الإبل، منهم الحسن وقتادة والضحاك، وقالوا: الصفر هي السود.

(١) هكذا بالأصل ولعلها (شرر).

وعن ابن عباس ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ﴾ قطع النحاس .

وأخرج البيهقي بإسناد لا بأس به عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنهَا تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ﴾ .

قال: أما إني لست أقول: كالشجر، ولكن كالحصون والمدائن .

وقال تعالى: ﴿بُرْسُلٌ عَلَيْكُمَا سُوَابٌ مِّن نَّارٍ وَمُهَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥] .

قال ابن عباس: ﴿سُوَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يقول لهب النار، و«نحاس» يقول: دخان النار .

وقال سعيد بن جبير وغيره: النحاس لهيب، والشواظ الدخان .

وقال مجاهد: الشواظ اللهب الأخضر المنقطع .

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف امرئ أبداً»<sup>(١)</sup> .

وخرج الإمام أحمد عن أبي الدرداء مرفوعاً نحوه<sup>(٢)</sup> . والله أعلم .

\* \* \*

(١) رواه الترمذي (١٧١/٤) رقم ١٦٢٣ وتقدم .

(٢) رواه أحمد (٥٠٥/٢) رقم ١٠٥٦٧ .

## الباب الخامس

## في ذكر أودية جهنم وجبالها وعيونها وأنهارها

قال تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ﴾ الآية [المطففين: ١].

خرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ويل واد في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»<sup>(١)</sup>، وفي لفظ: «واد بين جبلين يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»<sup>(٢)</sup>.

وخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحهما.

وخرج ابن جرير بسند فيه نظر عن عثمان مرفوعاً: «الويل: جبل»<sup>(٣)</sup>.

والبزار بإسناد مجهول عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «إن في النار حجراً يقال له ويل، يصعد عليه العرفاء وينزلون فيه»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أحمد (٧٥/٣) رقم ١١٧٣٠، والترمذي (٣٢٠/٥) رقم ٣١٦٤، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٣/٢) رقم ١٣٨٣، والحاكم (٥٥١/٢) رقم ٣٨٧٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٠/٥) رقم ٣١٦٤ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة، وابن حبان في صحيحه (٥٠٨/١٦) رقم ٧٤٦٧، والحاكم (٥٥١/٢) رقم ٣٨٧٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الطبري في التفسير (٤٢١/١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٠١/١)، والهندي في كنز العمال (٣٥٨/٢) رقم ٤٢٣٤.

(٤) رواه البزار (٣٢٦/٣) رقم ١١٢٣، بلفظ (منه) بدل (فيه) وذكره الهيثمي (٤٤/٣) رقم ٤٤٨٠ وقال: رواه البزار وفيه جماعة لم أجد من ذكرهم.

وعن عبدالله: ويل واد في جهنم من قيح، رواه ابن أبي حاتم.

وَرُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «الغي واد في جهنم»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ: لا يصح رفعه.

وقال ابن مسعود: غي واد في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر، خرجه ابن أبي الدنيا وغيره.

وخرجه البيهقي بلفظ: الغي نهر حميم في النار، يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات.

وخرجه أيضاً عن البراء بن عازب بنحوه.

وقال شُفِي بن ماتع: إن في جهنم قصراً يقال له هوى، يُزَمَى الكافر من أعلاه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَى﴾ [طه: ٨١] وإن في جهنم وادياً يدعى أثاماً، فيه حيات وعقارب، فقار إحداهن مقدار سبعين قلة سم، والعقرب منهن مثل البغل المؤكفة، تلدغ إحداهن الرجل فلا يلهيه ما يجد من حر جهنم حموة لدغتها، فهو لمن خلق له، وإن في جهنم وادياً يدعى غيا يسيل قيحاً ودماً، وإن في جهنم سبعين داء، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم. خرجه ابن أبي الدنيا.

وقال أنس في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢]: هو واد من قيح ودم، خرجه الإمام عبدالله بن الإمام أحمد ويزيد بن درهم، وقال ابن عمرو: هو واد عميق في النار، وعن عمرو بن عبسة قال: الفلق بئر في جهنم فإذا سمرت جهنم فمنه تسعر، وإن جهنم لتتأذى منه كما يتأذى

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٢٨)، وابن رجب في التخويف من النار (١١٩) وقال: لا يصح رفعه.

بنو آدم من جهنم - خرج ابن أبي حاتم، وخرجه من وجه آخر عن زيد بن علي عن آبائه: الفلق: جُبُّ في قعر جهنم عليه غطاء، فإذا كشف عنه خرجت منه نار، تصيح منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه.

وعن كعب رضي الله عنه أنه دخل كنيسة فأعجبه حسناتها فقال: أحسن عمل وأصل قومٍ رضيت لهم بالفلق، قالوا: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فُتح صاح جميع أهل<sup>(١)</sup> النار من شدة حره.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الفلق سجن في جهنم.

وفي البغوي: الفلق جب في جهنم مغطى، والسجين جب في جهنم مفتوح.

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: «تعوذوا بالله من جب الحزن، قالوا: وما جب الحزن؟ قال: واد في جهنم، تعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة، قيل: يا رسول الله من يدخله؟ قال: القراء المراءون بأعمالهم»<sup>(٢)</sup>. وخرجه الترمذي وقال غريب.

وفي رواية «تعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة، وأن أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء الجورة»<sup>(٣)</sup>، وفي إسناده ضعف، كذا قال الحافظ.

(١) في الأصل كتبت كلمة (جهنم).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٩٤/١) رقم ٢٥٦ بلفظ «أربعمائة» بدل «مائة» والترمذي واللفظ له (٤/٥٩٣) رقم ٢٣٨٣ وقال: هذا حديث حسن غريب، والطبراني في الأوسط بنحوه (٣/٢٦١) رقم ٣٠٩٠، وابن عدي في الكامل (٧١/٥) في ترجمة عمار بن سيف الضبي رقم ١٢٥٠ وقال عنه: منكر الحديث.

(٣) انظر ابن ماجه في تخريج الحديث السابق، والطبراني في الدعاء (٤١١) رقم ١٣٩١، وذكره الهيثمي (٣٤٨/٧) رقم ١١٦٨٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه بكير بن شهاب الدامغاني وهو ضعيف.

قلت: ذكر ابن الجوزي جب الحزن وأورد فيه حديث أبي هريرة هذا، وأخرجه أيضاً عن علي كرم الله وجهه ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن، قيل يا رسول الله وما جب الحزن أو وادي الحزن؟ قال: واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعدده الله للقراء المرأين، وإن من شر القراء أن يزوروا الأمراء»<sup>(١)</sup>، ثم حكم على هذا الحديث بطرقه بالوضع.

قال: أما حديث أبي هريرة فأعله بعمار بن سيف الضبي قال: هو متروك، وكذا شيخه أبو معان، وأما حديث علي فأعله بأبي بكر الزاهدي<sup>(٢)</sup> قال: ليس بشيء، وتعبه الجلال السيوطي بأن حديث أبي هريرة أخرجه البخاري في تاريخه والترمذي وابن ماجه والبيهقي في الشعب، وعمار وثقه الإمام أحمد والعجلي، وقال يحيى: ثقة، وضعفه أبو زرعة وأبو حاتم، وقال الذهبي: يقال لم يكن بالكوفة أفضل منه، وقال العجلي: ثقة ثبت متعبد صاحب سنة، وقال أبو داود: كان مغفلاً.

قال السيوطي: ومن يوصف بهذا لا يحكم على حديثه بالوضع، بل بالحسن إذا توبع، وله شاهد عن ابن عباس أخرجه الديلمي.

وعن عمران القصير قال: بلغني، فذكره، انتهى.

قلت: أخرجه البيهقي من غير زيادة (وإن من شر القراء) . . إلى آخره.

وقال الحافظ المنذري: إسناده حسن، والله تعالى أعلم.

(١) رواه الطبراني في الدعاء (٤١١) رقم ١٣٩٠ وابن عدي في الكامل (٤/١٣٩) في ترجمة

عبد الله بن حكيم أبو بكر الداهري رقم ٩٧٥ وقال تبعاً ليحيى: ليس بشيء، وقال أحمد:

يروى أحاديث مناكير ليس هو بشيء، وانظر تعقيبات المصنف.

(٢) كذا بالأصل، والذي عند ابن عدي (الداهري).

وإنما أطلت الكلام على هذا الحديث لنكتة اقتضت ذلك، فنسأل الله أن يعافينا من جميع المهالك.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن عمران القصير قال: بلغني أن في جهنم وادياً تستعيز منه جهنم كل يوم أربعمئة مرة، مخافة أن يرسل عليها فيأكلها، أعد الله ذلك الوادي للمرائين من القراء.

قلت: وهذا هو الذي استشهد به الجلال السيوطي في معارضة ابن الجوزي.

وقال الحافظ ابن رجب: روينا من حديث معروف الكرخي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال بكر ابن حبيش: إن في جهنم لوادياً تتعوذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات، وإن في ذلك الوادي لجباً يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات، وإن في الجب لحية يتعوذ الوادي والجب وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات، يبدأ بفسقة حملة القرآن، فيقولون: أي رب تبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ قيل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم.

وقال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن في أسفل درك جهنم تنانير ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض، يقال له جب الحزن، يدخلها قوم بأعمالهم، فيضيق عليهم، خرج هناد بن السري، وخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: إن في النار لجباً يقال له جب الحزن، لهو أضييق على من يدخل فيه من زج أحدهم على رمحه، يطبقها الله أو قال - يضيّقها الله - على عباد من عباده سخطاً عليهم، ثم لا يخرجهم منها آخر الأبد.

وخرج ابن المبارك عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن في جهنم لوادياً يقال

له لملم، وإن أودية جهنم تستعيز بالله من حره»<sup>(١)</sup>، وخرجه الضياء وابن أبي الدنيا وغيرهما، وفيه يحيى بن عبيدالله ضعفوه.

وخرج ابن أبي الدنيا عن ابن أبي بردة عن أبيه مرفوعاً: «إن في جهنم وادياً، ولذلك الوادي بثر يقال له ههب، حق على الله أن يسكنها كل جبار»<sup>(٢)</sup>.

قلت: ذكره الإمام ابن الجوزي في الموضوعات.

وقال أبو حاتم: هذا متن لا أصل له. انتهى.

وقال الحافظ ابن رجب فيه أزهري بن سنان ضعيف ضعفوه.

قلت: قال يحيى بن معين: أزهري ليس بشيء، ذكره ابن الجوزي عنه في الموضوعات.

قلت: وتعبه الجلال السيوطي بأن أخرجه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي، والبيهقي في الشعب، وأزهري من رجال الترمذي وثقه ابن عدي فقال: ليست أحاديثه بالمنكرة جداً، أرجو أنه لا بأس به. انتهى.

وأنت خبير بأن هذا التوثيق ليس بالوثيق في التحقيق.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٩٥) رقم ٣٣١، وفي مسنده (٧٩) رقم ١٣٣ بلفظ «منه» بدل «من حره»، وأبو نعيم في الحلية (١٧٨/٨) وقال: غريب لم نكتبه إلا من حديث يحيى.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (٢٧١) رقم ٢٢٥، والطبراني في الأوسط (٤/٣٧) رقم ٣٥٤٨، وأبو يعلى في مسنده (١٨٣/١٣) رقم ٧٢٤٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠/٥١٧)، والحاكم (٤/٦٣٩) رقم ٨٧٦٥ وقال: هذا حديث تفرد به أزهري بن سنان عن محمد بن واسع لم يكتبه عالياً إلا من هذا الوجه، وانظر تعقيبات المصنف عليه حيث ذكر عن السيوطي تصحيح الحاكم له، وهذا التصحيح لم أقف عليه عند الحاكم، وذكره الهيثمي (٥/٣٥٧) رقم ٩٠٠٥ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

قال الحافظ: والصحيح ما خرجه الإمام أحمد وغيره عن محمد بن واسع قال: قلت لبلال ابن أبي بردة وأرسل إليّ، إنه بلغني أن في النار بئراً يقال له جب الحزن، يؤخذ المتكبرون فيجعلون في توابيت من نار، ثم يجعلون في تلك البئر، ثم تنطبق عليهم جهنم من فوقهم، فبكى بلال.

وخرج الإمام أحمد والترمذي وحسنه والنسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى دخلوا سجناً في جهنم يقال له بُولَس، فتعلوهم نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال - عصارة أهل النار-»<sup>(١)</sup> وهو غريب كما نص عليه الترمذي قائلًا: هذا حديث حسن غريب.

وخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن بشر بن عاصم الجشمي حدث عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يلي أحد من أمر الناس شيئاً إلا أوقفه الله على جسر جهنم، فزلزل به الجسر زلزلة، فجاج أو غير جاج، لا يبقى منه عظم إلا فارق صاحبه، فإن هو لم ينج ذهب فيه في جب مظلم كالقصر في جهنم، لا يبلغ قعره سبعين خريفاً»<sup>(٢)</sup> الحديث.

قال الحافظ ابن رجب: فيه إبراهيم بن الفضل ضعيف.

وخرج ابن أبي الدنيا عن عطاء بن يسار قال: إن في النار سبعين ألف واد، في كل واد سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف جحر، في

(١) رواه أحمد (١٧٩/٢) رقم ٦٦٧٧، والترمذي (٤/٦٥٥) رقم ٢٤٩٢ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والبخاري في الأدب المفرد (١/١٩٦) رقم ٥٥٧.

(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/١٢١) رقم ٣٣٢٣ وصدده بصيغة التمرريض وعزاه لابن أبي الدنيا، وابن رجب في التخويف من النار (١٢٢) وذكر نحوه الهيمي (٣٧١/٥) رقم ٩٠٤٠ وقال رواه الطبراني وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك.

كل جحر حية تأكل وجوه أهل النار.

وخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن أبي المنهال الرياحي أنه بلغه أن في النار أودية في ضحضاح من نار، وفي تلك الأودية حيات أمثال أزواج الإبل، وعقارب كالبغال الحيش<sup>(١)</sup>، فإذا سقط إليهن بشيء من أهل النار أنشأن به لسعاً ونشطاً، حتى يستغيثوا بالنار فراراً منهن وهرباً منهن.

وخرج أبو نعيم أن طارقاً<sup>(٢)</sup> قال لسليمان بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جب في جهنم هوت فيها- أي في تلك الجب - سبعين خريفاً حتى استقرت قرارها، أتدري لمن أعدها الله؟ قال: لا، قال ويلك، لمن أعدها الله؟ قال: لمن أشركه الله في حكمه فجار، قال: فبكى لها.

وأخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابن عساكر وابن منده عن الحجاج الثمالي الصحابي عن نفيير بن مجيب رضي الله عنه وكان من قدماء أصحاب رسول الله ﷺ قال: إن في جهنم سبعين ألف واد، في كل واحد سبعون ألف شُعب، في كل شُعب سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف بئر، في كل بئر سبعون ألف ثعبان، في شدة كل ثعبان سبعون ألف عقرب، لا ينتهي الكافر أو أو المنافق حتى يواقع ذلك كله<sup>(٣)</sup>.

(١) يقال: تحيشت أي نفرت وفزعت، والحيش الفرع، والحيشان الكثير الفرع. لسان العرب/ مادة: حيش.

(٢) هكذا بالأصل ولعله (طاووس) أي ابن كيسان اليماني، فقد وردت له واقعة شبيهة بهذه مع هشام بن عبد الملك، انظر إحياء علوم الدين (٢/١٤٦).

(٣) هذا الأثر وأمثاله يحتوي على تهويلات وأمور لا تتلقى إلى من الوحي، وحيث لا دليل صحيح يسند تلك الأقوال فلا حجة فيها على شيء، بل إن آثار الصنعة والوضع ظاهر عليها وانظر تعليق المصنف عليه.

قال الحافظ المنذري: فيه سعيد بن يوسف اليمامي الحمصي ضعفه يحيى بن معين، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن أبي حاتم: ليس بالمشهور ولا أرى حديثه منكراً، كذا قال.

قال الحافظ المنذري: وأورد عليه هذا الحديث لظهور نكارتة. انتهى

وأما جبال جهنم، ونعوذ بالله منها، فقال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُمْ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧] روى دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عنه رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُمْ صَعُودًا﴾ قال: جبل من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، يصعد سبعين خريفاً ثم يهوي كذلك<sup>(١)</sup> وخرجه الإمام أحمد وغيره بمعناه، وخرجه الترمذي مختصراً ولفظه: «الصعود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ويهوي فيه كذلك أبداً»<sup>(٢)</sup>.

قال الترمذي: غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج. قال الحافظ في «التخفيف»: لكن رواه عمرو بن الحارث عن دراج به، خرجه من طريقه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُمْ صَعُودًا﴾ جبل في النار زلق، كلما صعده الفاجر زلق، فهوى في النار.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٦٦/٥) رقم ٥٥٧٣، والترمذي (٧٠٣/٤) رقم ٢٥٧٦ ولكن بلفظ «الصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ويهوى به كذلك منه أبداً» وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، وأحمد باختلاف يسير عن سياق الترمذي (٧٥/٣) رقم ١١٧٣٠، وذكره الهيثمي (٢٧٧/٧) رقم ١١٤٥٢ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عطية وهو ضعيف.

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

وقال ابن السايب: هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدها [حتى إذا بلغ أعلاها انحدر إلى أسفلها، ثم يكلف أن يصعدها] فذلك دأبه أبداً، يجذب من أمامه بسلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع الحديد، فيصعدها في أربعين سنة.

والمقامع: جمع مقمع وهو المطرق، وقيل السوط.

وروى عطية عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَفْنَحَمُ الْمَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١] قال جبل زلزال في جهنم، وقد سبق ذكره، فنسأل الله العافية بمنه وكرمه.



### الباس السادس

في ذكر سلاسل جهنم وأغلالها وحجارتها وأنكالها وحياتها وعقاربها  
نسأل الله سبحانه العافية من ذلك كله

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾  
[الإنسان: ٤]، وقال: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ<sup>(١)</sup> فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ<sup>(٢)</sup>﴾  
في الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ<sup>(٣)</sup>﴾ [غافر: ٧١، ٧٢] وقال: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ<sup>(٤)</sup>﴾  
﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ<sup>(٥)</sup> صَلُّوهُ<sup>(٦)</sup>﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ<sup>(٧)</sup>﴾  
[الحاقة: ٣٠، ٣١، ٣٢] وقال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا<sup>(٨)</sup>﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ<sup>(٩)</sup>﴾  
[المزمل: ١٢، ١٣] فهذه ثلاثة أنواع ذكرها الله سبحانه وتعالى.

أحدها: الأغلال وهي في الأعناق كما ذكر جل شأنه، قال الحسن بن  
صالح: الغل اليد الواحدة إلى العنق، والصفد: اليدان جميعاً إلى العنق،  
أخرجه ابن أبي الدنيا.

وقال السدي: الأصفاد تجمع اليدين إلى عنقه، وقال قتادة: في قوله  
تعالى: ﴿مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩] في القيود والأغلال.

وقال الحسن: إن الأغلال لم تجعل في أهل النار لأنهم أعجزوا الرب  
عز وجل، ولكنها إذا طفا بهم اللهب أرسنهم، ثم خر الحسن مغشياً عليه.

وقال: لو أن غلاً منها وضع على الجبال أقصمها إلى الماء الأسود،

(١) في الأصل (وجعلنا الأغلال في أعناقهم) والمثبت هو الصواب.

(٢) في الأصل (الحميم) والمثبت هو الصواب، وفي حاشية الأصل هنا أيضاً جاء: قوله: «ثم  
الحميم صلوه» التلاوة «ثم الجحيم صلوه» فتأمل فإن المؤلف رحمه الله تعالى سهى عند  
ذلك، فجعل من لا يسهو. كاتبه حفيد المؤلف.

ولو أن ذراعاً من السلسلة وضع على جبل لرضه .

وخرج ابن أبي حاتم عن موسى بن أبي عائشة أنه قرأ قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٢٤] قال : تشد أيديهم بالأغلال في النار، فيستقبلون العذاب بوجوههم، قد شدت أيديهم فلا يقدرُونَ على أن يتقوا بها، كلما جاء نوع من العذاب يستقبلونه بوجوههم .

وقال الفضيل بن عياض : إذا قال الرب تبارك وتعالى : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة : ٣٠] يتدره سبعون ألف ملك، كلهم يتدر أيهم يجعل الغل في عنقه .  
النوع الثاني : الأنكال، وهي القيود، قاله مجاهد والحسن وعكرمة وغيرهم، قال الحسن : قيود من نار .

قال أبو عمران : والله لا تحل أبداً .

وواحد الأنكال نكل، وسميت القيود أنكالاً لأنها ينكل بها أي يمنع .  
وفي البغوي عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ لَدَيْنَا﴾ أي عندنا في الآخرة ﴿لَدَيْنَا﴾ قال : قيوداً عظيماً لا تنفك أبداً، واحدها نكل، قال الكلبي : أغلالاً من حديد .

النوع الثالث : السلاسل : خرج الإمام أحمد وغيره عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «لو أن رضاضة مثل هذه، وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض - وهي مسيرة خمسمائة عام - لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً - الليل والنهار - قبل أن تبلغ أصلها»<sup>(١)</sup> .

(١) رواه أحمد (١٩٧/٢) رقم ٦٨٥٦ بلفظ «رصاصة» بدل «رضاضة» والترمذي (٧٠٩/٤) رقم ٢٥٨٨ وقال : هذا حديث إسناده حسن صحيح، والحاكم بنحوه (٤٧٦/٢) رقم ٣٦٤٠، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

قال الحافظ ابن رجب: غريب، وفي رفعه نظر، كذا قال.

قلت: رواه الإمام أحمد والترمذي والبيهقي، وقال الترمذي إسناده حسن، ذكره الحافظ المنذري رحمته الله، ولفظه: عن ابن عمرو رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِذِ الْأَعْتَلُ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ...﴾ الآية فقال: «لو أن رضراضة مثل هذه، وأشار إلى جمجمة، أرسلت من السماء إلى الأرض، فذكره بعينه غير أنه قال: قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها»<sup>(١)</sup> بالشك، وفي «البهجة» أن الترمذي قال: إسناده صحيح.

والذي ذكره الترمذي أن إسناده حسن كما ذكرناه عن الحافظ المنذري، ولعله وقع في بعض نسخ الترمذي صحيح وفي بعضها حسن، والله أعلم.

وأخرج الطبراني عن يعلى بن منية من الصحابة رضي الله عنه، ومنية أمه، ويقال جدته وهي بنت غزوان، وأبوه أمية، رفع الحديث - قال: «ينشيء الله سحابة سوداء مظلمة، فيقال: يا أهل النار أي شيء تطلبون؟ فيذكرون بها سحابة الدنيا، فيقولون: يا ربنا الشراب، فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم، وجمراً يلهب عليهم»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ المنذري: وروي موقوفاً عليه وهو أصح.

وأخرج الطبراني عن عمر أن جبريل قال للنبي ﷺ «لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا

(١) ذكره المنذري (٢٥٦/٤) رقم ٥٥٧٢ وانظر تخريجه في الحديث السابق.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٤٧/٤) رقم ٤١٠٣، وذكره الهيثمي (٧١٥/١٠) رقم ١٨٥٩٨ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه.

لأنقضت ولم ينهئها<sup>(١)</sup> شيء حتى تنتهي إلى الأرض السفلى»<sup>(٢)</sup>.

وروى سفيان عن بشير عن نؤف البكالي في قوله تعالى: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ قال: الذراع سبعون باعاً، والباع من ها هنا إلى مكة، وهو إذ ذاك بالكوفة.

وأخرج ابن المبارك عن كعب قال: إن حلقة من السلسلة التي قال الله: ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قال بذراع الملك.

قال ابن المنكدر: لو جمع حديد الدنيا كله ما خلا منها، وما بقي ما عدل حلقة من الحلقة التي ذكر الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ خرجه أبو نعيم.

وفي البغوي قال ابن عباس: سبعون ذراعاً بذراع الملك، فتدخل في دبره وتخرج من منخره، وقيل: تدخل في فيه وتخرج من دبره.

وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً، وقال الحسن: الله أعلم أي ذراع هو.

قلت: السبعون يراد بها الكثير، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أي لو استغفرت لهم مهما استغفرت، ولو زدت على مائة ألف مرة فلن يغفر الله لهم، وكذا يقال هنا: المراد بهذه اللفظة الكثير.

ولعل من قال: كل ذراع سبعون ذراعاً، مراده هذا، والله تعالى أعلم.

(١) التَّهْنَةُ: الكف، وَتَهْنَتْ السبع: أي صحت به لتكفه. لسان العرب/ مادة: نهنه.

(٢) جزء من حديث سلام الطويل، رواه الطبراني في الأوسط باختلاف يسير جدا (٨٩/٣) رقم ٢٥٨٣ وتقدم غير مرة.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: السلسلة تدخل في استة ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى، وفي رواية تسلك في دبره حتى تخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤْتِقُ وِثَاقَهُ أَحَدًا﴾.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هاشم قال: يجعل لهم أوتاد في جهنم فيها سلاسل، فتلقى في أعناقهم، فتزفر بهم جهنم زفرة فتذهب بهم مسيرة خمسمائة سنة، ثم تجيء بهم في يوم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] يؤخذ بناصيته وقدميه ويكسر كما يكسر الحطب في التنور.

وقال السدي: يجمع بين ناصية الكافر وقدميه، فتربط ناصيته ويفتل ظهره.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن: إن جهنم ليغلي عليها من أول الدهر إلى يوم القيامة، يحمى على طعامها وشرابها وأغلالها، ولو أن غلاً منها وضع على الجبال لقصمها إلى الماء الأسود، ولو أن ذراعاً من السلسلة وضع على جبل لرضه، ولو أن جبلاً كان بينه وبين عذاب الله مسيرة خمسمائة عام لذاب ذلك الجبل، وإنهم ليجمعون في السلسلة من آخرهم، فتأكلهم النار وتبقى الأرواح في الحناجر، وصرخ الحسن، وروي مرفوعاً والموقوف أشبه، قاله الحافظ ابن رجب.

وفي الثعلبي عن سويد بن نجيح قال: بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة، ولو أن حلقة منها وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرها.

وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمْلِكْ مِنْ حديدِ﴾ ﴿٢١﴾ كَلَمًا  
أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢١، ٢٢] المقامع:  
المطارق.

وأخرج الإمام أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن أبي سعيد  
رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض  
فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض»<sup>(١)</sup>.

ورواه أبو يعلى مرفوعاً، وفي رواية للإمام أحمد وأبي يعلى مرفوعاً:  
«ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت ثم عاد»<sup>(٢)</sup>.

وروى هذه الحاكم أيضاً إلا أنه قال: «لفتت فصار رماداً»<sup>(٣)</sup> وقال  
صحيح الإسناد.

وقال الإمام عمر رضي الله عنه: اذكروا لهم النار لعلهم يفرقون، فإن حرها  
شديد، وقعرها بعيد، وشرابها الصديد، ومقامعها الحديد.

وأخرج عبدالله ولد الإمام أحمد: أن رجلاً قرأ على يزيد الضبي  
﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩] فجعل يزيد  
يبكي حتى غشي عليه.

(١) رواه أحمد (٢٩/٣) رقم ١١٢٥١، والحاكم (٦٤٢/٤) رقم ٨٧٧٣ وقال: هذا حديث  
صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٦/٢) رقم ١٣٨٨، وذكره  
الهيثمي (٧١٠/١٠) رقم ١٨٥٨٣ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ضعف ووثقوا.  
(٢) رواه أحمد (٨٣/٣) رقم ١١٠٨٣، وأبو يعلى (٥٢١/٢) رقم ١٣٧٧.  
(٣) الحاكم (٦٤٤/٤) رقم ٨٧٧٧ بزيادة وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه  
ووافقه الذهبي.

وعن مالك بن دينار أنه قام ليلة في وسط الدار إلى الصباح، فقيل له في ذلك، فقال: ما زال أهل النار يعرضون علي بسلاسلهم وأغلالهم.

وقال الفخر في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١] المقامع السياط.

قال الثعلبي: واحداها مقمعة، سميت بذلك لأنها تقمع المضروب، أي تذله.

وأخرج البيهقي عن أبي صالح قال: إذا ألقى الرجل في النار لم يكن له منتهى حتى يبلغ قعرها، ثم تجيش به جهنم فترفعه إلى أعلاها، وما على عظامه مزعة لحم، فتضربه الملائكة بالمقامع، فيهوي بها في قعرها، فلا يزال كذلك.

وقال الفخر في قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢] الإعادة إنما تكون بعد الخروج، والمعنى هنا: أن أهل النار يرفعهم لها حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا، فهووا فيها سبعين خريفاً، وقيل لهم: ذوقوا عذاب الحريق، الغليظ من النار العظيمة الإهلاك، والحريق المحرق، مثل لثيم ووجيع.

وفي تفسير الواحدي عن الليث: المقمعة شبه الجُزْز من الحديد يضرب بها الرأس، وجمعها المقامع، وأصلها من قولهم: قمعت رأسه إذا ضربته ضرباً عنيفاً، والجزز بضم الجيم وسكون الراء المهملة وبعدها زاي هو عمود من حديد. وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ من النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ أي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب

الذي يأخذ أنفاسهم حتى ليس لهم مخرج ردوا إليها بالمقامع .

قال المفسرون: إن جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى أعلاها، فيريدون الخروج فيردهم الخزان، ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق، فنسأل الله العافية والتوفيق والهداية لأقوم طريق .

\* \* \*

## فصل

## وأما حجارتها

فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦] وقال: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

قال بعض المفسرين هي حجارة الأصنام التي عبدت من دون الله، واستشهد لهذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوها وَكُلُّ فِيهَا خَلِيدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن هاشم قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ «قرأها النبي ﷺ فسمعها شاب إلى جنبه، فصعق، فجعل رسول الله ﷺ رأسه في حجره رحمة له، فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم فتح عينه، فقال: بأبي أنت وأمي مثل أي شيء الحجر؟ قال: أما يكفيك ما أصابك؟ على أن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه، وإن مع كل إنسان منهم حجراً وشيطاناً»<sup>(١)</sup>.

وفيه عباءة - قال أبو حاتم: صدوق في حديثه إنكار، أخرجه البخاري في الضعفاء.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٢٦/٨) وعزاه لابن أبي الدنيا وابن قدامة في كتاب «الرقعة والبكاء».

وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة في الآيتين حجارة الكبريت توقد بها النار.

قال الحافظ ابن رجب: ويقال: إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها من الحجارة، سرعة الإيقاد، وتتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قال: هي حجارة الكبريت، خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين.

وقال مجاهد: حجارة من كبريت أنتن من الجيف.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنها من كبريت أسود.

وخرج الحاكم في المستدرک عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الأرضين سبع بين كل أرض إلى التي تليها مسيرة خمسمائة سنة، فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء، والحوت على صخرة، والصخرة بيد ملك، والثانية مسجن الرياح، فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الرياح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً، قال: يا رب أرسل عليهم من الرياح قد منخر الثور، قال له الجبار تبارك وتعالى: إذا تكفأ الأرض ومن عليها- أي تقلبها- وهو بالهمز، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم، فهي التي قال الله في كتابه: ﴿مَا نَدَّرْ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢] والثالثة منها حجارة جهنم، والرابعة فيها كبريت جهنم، قالوا يا رسول الله النار جهنم كبريت؟ قال: نعم والذي نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت، والخامسة

فيها حيات جهنم، إن أفواهاها كأودية، تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وَصَم - أي بفتح الواو والضاد المعجمة هو كل شيء يوضع عليه اللحم، والمراد هنا لا يبقى منه لحم إلا سقط عن موضعه، قاله الحافظ المنذري، والسادسة فيها عقارب جهنم إن أدنى عقرب منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم، والسابعة سقر وفيها إبليس مصفد بالحديد، يد أمامه ويد خلفه، فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء من عباده أطلقه»<sup>(١)</sup>.

قال الحاكم: تفرد به أبو السمح، وقد ذكرت عدالته بنص الإمام يحيى بن معين، والحديث صحيح ولم يخرجاه.

قال الحافظ المنذري: أبو السمح هو دراج وفي متنه نكارة، والله تعالى أعلم.

وقال بعض متأخري الحفاظ: هو حديث منكر، وفيه عبدالله ابن عياش القيتاني ضعفه أبو داود، وعند مسلم أنه ثقة، ودراج كثير المناكير. ذكره الحافظ ابن رجب في «التخويف» ثم قال: قلت رفعه منكر جداً ولعله موقوف، وغلط بعضهم فرفعه، وروى عطاء بن يسار عن كعب من قوله نحو هذا الكلام أيضاً. انتهى.

قلت: وأخرج نحوه أبو الشيخ عن حسان بن عطية، وهو في كتب القصاص من جملة الإسرائيليات، ففي الإسرائيليات: أن اسم الأرض

(١) أخرجه الحاكم (٦٣٦/٤) رقم ٨٧٥٦ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وقال: هذا حديث تفرد به أبو السمح عن عيسى بن هلال، وقد ذكرت فيما تقدم عدالته بنص الإمام يحيى بن معين رحمته الله والحديث صحيح ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر، وتأمل تعليق المصنف عليه أيضاً.

الأولى الرمكاء، وتحتها الريح العقيم، زمت بسبعين ألف زمام من حديد، وكل بكل زمام سبعون ألف ملك، وبها أهلك الله قوم عاد، وبها ينسف الله تعالى يوم القيامة الجبال والتلال، والثانية تسمى جلدة وهي من حديد، وجعل الله سكانها عقارب أهل النار، والثالثة تسمى عرفة، وأسكنها الله أصناف العذاب لأهل النار لا يقدر أحد على وصفه.

والرابعة: الجدباء، وأسكنها الله سبحانه حيات أهل النار، نسأله سبحانه العافية.

والخامسة: قلتاء، وأسكنها الله سبحانه الكبريت والحجارة التي أعدت لأهل النار.

والسادسة: سجيناً، وجعل الله عز شأنه فيها دواوين أهل النار.

والسابعة: عجيباً: وأسكن الله سبحانه إبليس في وسطها، وجنوده حافة به، وهو فيها محبوس موثوق، وأرواح الفجار عند إبليس، في وسطها حجاب من ظلمة، في إحدى جانبيه باب إلى سقر، وهناك عرش إبليس، قيل فما تحت ذلك يا روح الله؟ قال: هواء وظلمة وما لا يعلم أحد به إلا الله تعالى<sup>(١)</sup>.

والله سبحانه وتعالى أعلم بصحة هذا وعدمها.



(١) هذه الإسرائيليات تشبه الأحاديث الموضوعة والتي روجها القصاص وعكروا بها كثيراً من الكتب الإسلامية، ولذا لا ينبغي التعويل عليها أو تصديق شيء من مضمونها، اللهم إلا إذا وافقت أثراً صحيحاً عن المعصوم عليه السلام.

## فصل

## وأما حيات جهنم وعقاربها

فخرج الإمام أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في النار حيات كأمثال أعناق البُخت، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حُموتها أربعين سنة»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨] قال: زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال، رواه أبو يعلى والحاكم موقوفاً، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وفي رواية عنه عند آدم بن أبي إياس قال: زيدوا عقارب من نار كالبغال الدهم، أنيابها كالنخل.

قلت: لعله أراد بقوله كالبغال الدهم في الصفة لا في العِظْم، وإلا فالتي أنيابها كالنخل لا تكون هي كالبغل، كما لا يخفي على ذي عقل.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن يزيد بن شجرة قال: إن لجهنم لجباباً في ساحل كساحل البحر، فيه هوام وحيات كالبخاتي، وعقارب كالبغال الذل، فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل: اخرجوا إلى الساحل، فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذلك، فتكشطها، فيرجعون،

(١) رواه أحمد (٤/١٩١) رقم ١٧٧٤٩، وابن حبان (١٦/٥١٢) رقم ٧٤٧١، والحاكم (٤/٦٣٥) رقم ٨٧٥٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

فيأدرون إلى معظم النيران، ويسلط عليهم الجرب، حتى إن أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم، فيقال: يا فلان هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقال له ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين.

قال الحافظ المنذري: ويزيد بن شجرة الرهاوي مختلف في صحبته.

وروى حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي عثمان قال: على الصراط حيات يلسعن أهل النار، فيقولون: حس حس، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

وكان نهيم العجلي رضي الله عنه يقع البعوض على كتفه وظهره فيتأذى بهن فيقول:

وأنت تأذى من حسيس بعوضة فللنار أشقى ساكنين وأوجع  
وأخرج أبو يعلى بسند جيد عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:  
«الذباب كله في النار إلا النحل»<sup>(١)</sup>، وتقدم الكلام عليه مبسوطاً.

وفي حديث آخر: «كل مؤذ في النار»<sup>(٢)</sup>.

وفي تأويله وجهان:

أحدهما: أن كل من آذى الناس في الدنيا فهو معذب في النار يوم القيامة.

(١) سبق ص ٤٤٩ .

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/٣٥٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/٢٩٧) من حديث علي، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٧٤٩) رقم ١٢٥١ وقال: هذا حديث لا يصح.

والثاني: أن كل ما يؤذي من السباع والهوام ونحو ذلك في النار يعذب بذلك أهلها، ويشهد لهذا ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال: أسر إلي النبي ﷺ فقال: «يا حذيفة إن في جهنم لسباعاً من نار، وكلاباً من نار، وكلاليب من نار، وسيوفاً من نار، وإنه يبعث ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاليب بأحناكهم، ويقطعونهم بتلك السيوف عضواً عضواً، ويلقونهم إلى تلك السباع والكلاب، كلما قطعوا عضواً عاد مكانه عضو جديد»<sup>(١)</sup>.

قلت: والذي يظهر ويفهم من هذا الخبر أن في النار كلاباً وسباعاً من نار، لا أن كلاب الدنيا وسباعها تعذب في النار، كما لا يخفى، والله تعالى أعلم سبحانه<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٩/٢).  
(٢) في حاشية الأصل/ بلغ.

## الباب السابع

في ذكر طعام أهل النار، وشرابهم، وكسوتهم، وثيابهم

أما طعامهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]. وقال تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ [الصافات: ٦٢-٦٥] الآيات، وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ الآيات [الواقعة: ٥١-٥٢]، وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٢]، وقال: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْمُوءَةَ فِي الْقُرْآنِ وَتُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ [الإسراء: ٦٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. فقال صلى الله عليه وسلم: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟»<sup>(١)</sup> رواه الترمذي، والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال: «فكيف بمن ليس له طعام غيره»<sup>(٢)</sup>، والحاكم بلفظ: «والذي نفسي بيده لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الأرض لأفسدت أو قال: لأمرت على أهل الأرض معاشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟»<sup>(٣)</sup>

(١) رواه الترمذي (٧٠٦/٤) رقم ٢٥٨٥ واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح،

والنسائي في السنن الكبرى (٣١٣/٦) رقم ١١٠٧٠.

(٢) رواه ابن ماجه (١٤٤٦/٢) رقم ٤٣٢٥ بلفظ «في الأرض» بدل «في دار الدنيا»، وابن

حبان (٥١١/١٦) رقم ٧٤٧٠.

(٣) رواه الحاكم (٤٩٠/٢) رقم ٣٦٨٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الحاكم: على شرطهما، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وروي موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن اسحاق: حدثني حكيم ابن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل - لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شجرة الزقوم - يا معشر قريش أتدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا لا، قال: عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكننا منها لنتزقمناها تزقماً، فأنزل الله: ﴿إِنَّ سَجَرَتَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾، الآية، أي ليس كما يزعم، وأنزل تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ الآية.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿فِتْنَةٌ لِلظَّالِمِينَ﴾ قال: زادتهم تكذيباً حين أخبرهم أن في النار شجرة، فقالوا: يخبرهم في النار شجرة، والنار تحرق الشجر؟ فأخبرهم أن غذاءها من النار.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن شجرة الزقوم نابتة في أصل سقر.

وقال الحسن: أصلها في قعر النار وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

وقد دل القرآن على أن أهل النار يأكلون من شجرة الزقوم حتى تمتلئ منها بطونهم، فتغلي في بطونهم كما يغلي الحميم، وهو الماء الذي قد انتهى حره، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم شرب الهيم - أي الإبل العطاش - قاله ابن عباس.

وقال السدي: هو داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً، ودل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصفات: ٦٧] على أن الشوب من الحميم يشاب به ما في بطونهم من الزقوم فيصير شوباً له - أي يمزج به.

قال عطاء الخراساني: يخلط طعامهم ويساط بالحميم-

وقال قتادة: مزاجاً من حميم.

وقال سعيد بن جبير: إذا جاع أهل النار استغاثوا فأغيثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها فانسلخت وجوههم، حتى لو أن ماراً مر عليهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم، فإذا أكلوا منها ألقى عليهم العطش فأغيثوا بماء كالمهل، وهو الذي انتهى حره.

وفي البغوي: المهل دردي<sup>(١)</sup> الزيت الأسود، فإذا أدنوه من أفواههم أنضج حره الوجوه، ويصهر به ما في بطونهم.

قال الواحدي في تفسيره: روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم، فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوف الكافر، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من<sup>(٢)</sup> قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان»<sup>(٣)</sup>.

وهذا معنى قوله: ﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾ أي بذلك الحميم ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودِ﴾.

قال الواحدي: فسر الصهر بالإذابة والإحراق والإنضجاج، وهو قول المفسرين.

(١) دُزْدِيّ الزيت وغيره: ما يبقى في أسفله. لسان العرب/ مادة: درد.

(٢) في الأصل (يخرق) والمثبت لفظ الحديث.

(٣) رواه الترمذي (٧٠٥/٤) رقم ٢٥٨٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والحاكم

(٤١٩/٢) رقم ٣٤٥٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي

وأحمد (٣٧٤/٢) رقم ٨٨٥١ وليس فيه «وهو الصهر» إلى آخره.

قال ابن عباس في رواية عطاء: ينضج.

وقال قتادة ومجاهد: يذاب.

قال الواحدي: والمعنى أن أمعاءهم وشحومهم تذاب وتحرق بهذا الحميم وتشوي جلودهم فتساقط من حرها. انتهى.

﴿وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١] يضربون بها، فيسقط كل عضو على حياله، يدعون بالثبور، ثم إن مرجعهم بعد أكل الزقوم وشرب الحميم لإلى الجحيم، وهذا يدل على أن الحميم خارج من الجحيم، فهم يردونه كالإبل ترد الماء، ثم يردون إلى الجحيم، ويدل على هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيرٍ ءَآنَ﴾ [الرحمن: ٤٤]. الحميم دون النار، فيؤخذ العبد بناصيته فيحرك في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس، ويدل لهذا قوله سبحانه: ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦، ٧].

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوك يأخذ بالحلقة لا يدخل ولا يخرج، وعنه وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿مِنْ ضَرِيحٍ﴾. قال: شجر في النار.

وقال مجاهد: الضريع الشبرق، نبت ذو شوك، يأخذ بالحلقة لا يدخل ولا يخرج، وعنه: أنه إذا يبس يسمى ضريعاً.

قال قتادة: من أضرع الطعام.

وفي البغوي عن مجاهد وعكرمة وقتادة أن الضريع: نبت ذو شوكة لاطئ بالأرض، تسميه قريش الشبرق، فإذا هاج سموها الضريع، وهو أخبث طعام وأبشعه، وهو رواية العوفي عن ابن عباس.

قال الكلبي: لا تقره دابة إذا يبس، قال ابن زيد: أما في الدنيا فإن الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة شوكة من نار.

قال البغوي: وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه: «الضريع شيء في النار، شبه الشوك أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار»<sup>(١)</sup>. انتهى.

وقيل: هو الزقوم، وقال سعيد بن جبير: «من ضريع» أي من حجارة.

وأخرج الترمذي عن أبي الدرداء مرفوعاً: «يلقى على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون بالطعام، فيغاثون بطعام من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام، فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب، فيرفع إليهم الحميم بكلايب الحديد، فإذا دنت من وجههم شوت»<sup>(٢)</sup> وجوههم، فإذا وصلت إلى بطونهم قطعتهما»<sup>(٣)</sup>، وذكر بقية الحديث.

(١) رواه البغوي في معالم التنزيل (٤٠٨/١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٩٢) وعزاه إلى ابن مردويه بسند واه.

(٢) في الأصل (شويت).

(٣) رواه الترمذي (٧٠٧/٤) رقم ٢٥٨٦ وقال: قال عبد الله بن عبد الرحمن، والناس لا يرفعون هذا الحديث، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٩/٧) رقم ٣٤١٢٩، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٢٦٢) رقم ٥٥٨٩.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في غسلين أنه صديد أهل النار .  
وعنه : أن الغسلين الدم والماء يسيل من لحومهم ، وهو طعامهم .  
وخرج أبو نعيم عن كعب أنه قال : لو أدلي من غسلين دلو واحد في  
مطلع الشمس لَعَلَّتْ منه جماجم قوم في مغربها .  
وأخرج ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : ما أدري  
ما الغسلين ولكني أظنه الزقوم .  
وعلى القول الأول مأخوذ من الغسل ، كأنه غَسَّالَةٌ فزوجهم  
وجوارحهم وقروحهم .  
وقال الحسن : إن الضريع الزقوم ، والشجرة الملعونة هي شجرة  
الزقوم .  
قال أبو عمران الجوني : بلغني أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا  
نهشت منه مثلها . والله تعالى أعلم .

\* \* \*

## فصل

وأما شرابهم فقال تعالى: ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٤].  
 وقال: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. وقال: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا  
 بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٤) ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ [النبأ: ٢٤-٢٥]. وقال: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ  
 صَدِيدٍ﴾ (١٦) ﴿يَجْرَعُهُمْ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]. وقال:  
 ﴿وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ الآية [الكهف: ٢٩]، فهذه  
 أربعة أنواع من شرابهم، ذكرها الله تعالى في كتابه:

الأول: الحميم، وهو الماء الحار الذي يحرق، قاله ابن عباس،  
 وقال الضحاك: إنه لم يزل يوقد عليه ويغلي منذ خلق الله السموات  
 والأرض إلى يوم يسقونه ويصب على رؤوسهم.

وقيل: إنه دموع أعينهم في النار، تجتمع في حياض النار  
 فيسقونه.

وقال جمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]  
 المراد بالآن: ما انتهى حره.

وقيل: حاضر، وفي البغوي [آن] انتهى حره، قال الزجاجي: أني  
 يأتي فهو آن: إذا انتهى في النضج. وقال كعب الأحبار: آن واد من أودية  
 جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار، فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في  
 ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منه وقد أحدث الله  
 لهم خلقاً جديداً، فيلقون في النار، فذلك قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ  
 ءَانٍ﴾.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿تُسْقَى<sup>(١)</sup> مِنْ عَيْنٍ عَيْنِيَّةٍ﴾. انتهى حرها وحن شربها.

وقال الحسن: كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حره حتى لا يكون شيء أحر منه قد أنى حره.

وفي البغوي: ﴿تُسْقَى<sup>(١)</sup> مِنْ عَيْنٍ عَيْنِيَّةٍ﴾ متناهية في الحرارة، وقد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا إليها ورداً عطاشاً، قال المفسرون: لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت. انتهى.

**النوع الثاني:** الغساق وهو ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وعنه: أنه الزمهرير البارد الذي يحرق من برده، وقال ابن عمرو: الغساق القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، ولو تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب.

وقيل: إنه عين في جهنم، حمة كل ذات حمة من حية وعقرب أو غير ذلك، فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط لحمه وجلده عن العظام، ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه ويجر لحمه كما يجرجر الرجل ثوبه.

وخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

(١) في الأصل (يسقى) وهي قراءة شاذة.

(٢) رواه الترمذي (٧٠٦/٤) رقم ٢٥٨٤ وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفي رشدين مقال وقد تكلم فيه من قبل حفظه، وأحمد (٢٨/٣) رقم ١١٢٤٧، و(٨٣) رقم ١١٨٠٣، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٢/٢) رقم ١٣٨١، والحاكم (٦٤٤/٤) رقم ٨٧٧٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

واستدل لقول ابن عباس إنه الزمهرير البارد بقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبا: ٢٤، ٢٥] فاستثنى من البرد الغساق، ومن الشراب الحميم، وبه قال مجاهد.

وفي البغوي في قوله تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ [ص: ٥٧] بعد أن ذكر قول ابن عباس ومجاهد علي ما نحو ما ذكرنا: وقال قتادة: هو ما يَغْسِقُ أي يسيل من القيح والصدید من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة، من قولهم: غَسِقَتْ عينه إذا انصبت، والغسق الانصباب. انتهى.

الثالث: الصدید وهو القيح والدم، قاله مجاهد.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٧] هل لكم بهذا يدان؟ أم لكم على هذا صبر؟ طاعة الله يا قوم أهون عليكم من هذا، فأطيعوا الله ورسوله.

وخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿مَنْ رَأَاهُ جَهَنَّمَ وَنَسَقَ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [النبا: ١١]، قال: «يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعائه، حتى تخرج من دبره، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَفِيئُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف: ٢٩]»<sup>(١)</sup>. قال الترمذي: حديث غريب.

ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(١) رواه أحمد (٢٦٥/٥) رقم ٢٢٣٣٩، والترمذي (٧٠٥/٤) رقم ٢٥٨٣ وقال: هذا حديث غريب، والطبراني في الكبير (٩٠/٨) رقم ٧٤٦٠، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٣٧١) رقم ١١٢٦٣، والحاكم (٣٨٢/٢) رقم ٣٣٩ وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال، قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار»<sup>(١)</sup>.

ورواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> والترمذي<sup>(٣)</sup> والنسائي<sup>(٤)</sup> وابن ماجه<sup>(٥)</sup> وابن حبان<sup>(٦)</sup> عن ابن عمر مرفوعاً نحوه، إلا أنه ذكر ذلك في المرة الرابعة.

وفي بعض الروايات «من عين خبال»<sup>(٧)</sup>، وفي أخرى عند الإمام أحمد من «نهر الخبال، قيل لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار»<sup>(٨)</sup>، ورواه الترمذي وحسنه.

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً «من مات مدمن خمر سقاه الله من نهر الغُوطَة، قيل: وما نهر الغُوطَة؟ قال: نهر يخرج من فروج المومسات، يؤدي أهل النار ريح فروجهن»<sup>(٩)</sup>. والمومسات بضم الميم الأولى وكسر الثانية الزانيات، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

- 
- (١) رواه مسلم رقم ٢٠٠٢ .  
(٢) رواه أحمد (٣٦٠/٣) رقم ١٤٩٢٣ .  
(٣) الترمذي (٢٩٠/٤) رقم ١٨٦٢ بسياق آخر واختلاف وقال: هذا حديث حسن .  
(٤) النسائي في السنن الكبرى (٢٣٨/٣) رقم ٥٢١٨ عن جابر .  
(٥) رواه ابن ماجه (١١٢٠/٢) رقم ٣٣٧٧ عن عبد الله بن عمرو .  
(٦) صحيح ابن حبان (١٨٣/١٢) رقم ٥٣٦٠ .  
(٧) أحمد (١٨٩/٢) رقم ٦٧٧٣ .  
(٨) أحمد (٣٥/٢) رقم ٤٩١٧، وذكر هذا الحديث الهيثمي (١٠٦/٥) رقم ٨١٧٧ وقال: رواه أحمد والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح خلا نافع بن عاصم وهو ثقة .  
(٩) رواه أحمد (٣٩٩/٤) رقم ١٩٥٨٧، وابن حبان (١٦٥/١٢) رقم ٥٣٤٦، والحاكم (٤/١٦٣) رقم ٧٢٣٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

الرابع: الماء الذي كالمهل: أخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿كَالْمُهْلِ﴾ قال: «كعكر الزيت، فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه منه»<sup>(١)</sup>، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. وقال مجاهد: ﴿يَمَاءٌ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩] مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت.

والحاصل: أن للمفسرين في المهل أقوالاً:

وقيل: هو دردي الزيت.

وقيل: الذائب من النحاس والفضة.

وقيل: ماء غليظ مثل دردي الزيت.

وقيل: هو القيح والدم

وقيل: ماء أسود.

وقيل: هو ضرب من القطران. والله تعالى أعلم.

ومر بعض السلف على كروم بقرية يقال لها طيرباباذ وهم يعتصرون فيها الخمر، فأشد الرجل بيتاً من الشعر وهو:

بطيرباباذ كرم ما مررت به  
إلا تعجبت ممن يشرب الماء  
فهتف به هاتف وهو يقول مجيباً له:

وفي جهنم ماء ما تجرعه  
خلق فأبقى له في البطن أمعاء

(١) رواه أحمد (٧٠/٣) رقم ١١٦٩٠ بلفظ «فيه» بدل «منه»، والترمذي (٧٠٦/٤) رقم ٢٥٨٤ وابن حبان في صحيحه (٥١٤/١٦) رقم ٧٤٧٣، والحاكم (٥٤٤/٢) رقم ٣٨٥٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وواقفه الذهبي.

وقد كان من الخائفين من السلف عليه السلام من ينغص عليهم ذكر طعام أهل النار وشرابهم طعام الدنيا وشرابها، حتى يمتنعوا من تناوله أحياناً لذلك، وكان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فلا أشتهيه.

وأتى عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بعشاء وهو صائم فقراً: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾. فلم يزل يبكي حتى نقع طعامه، فما تعشى وإنه لصائم. خرجه الجوزجاني.

وذكر الحسن رضي الله عنه أن رجلاً من السلف لقي رجلاً فقال: يا هذا إني أراك قد تغير لونك ونحل جسمك، فمم هذا؟ فقال الآخر: وإني أرى ذلك بك فمم هو؟ قال: أصبحت منذ ثلاثة أيام صائماً، فلما أتيت بإفطاري عرضت لي هذه الآية: ﴿وَسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَٰكِدٍ﴾ الآية. فلم أستطع أن أتعش، فأصبحت صائماً، فلما أتيت بعشائي عرضت لي أيضاً، فلم أستطع أن أتعش، فلي ثلاثة أيام منذ أنا صائم، قال يقول الرجل الآخر: وهي التي عملت هذا العمل بي.

وأخرج ابن أبي الدنيا مثله عن الحسن نفسه، ثم إن ابنه في اليوم الثالث ذهب إلى يحيى البكاء وثابت البناني ويزيد الضبي فقال: أدر كوا أبي فإنه هالك، فلم يزالوا به حتى سقوه شربة من سويق.

أفق من سكر الغفلة وتهياً للنقلة، وتأمل طعام الزقوم والضريع، وشراب الحميم والصدید الشيع، كم هذا التماذي، والمنون بك ينادي، كأنني بك وليس لك طعام إلا من شجرة الزقوم، كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم، فتصهر ما فيها يا ظلوم، يا عجباً لمن يتحرى الرفيع من طعامه وشرابه، ويوقن بالتشيع من داره إلى ترابه، كيف لا يتحاشى من

شراب المهل على الضريع، وذلك من جوارحه وصديده الشنيع، فنسأل  
الله المعونة والتوفيق والهداية لأقوم طريق.

لمؤلفه<sup>(١)</sup>:

من الزقوم مع شرب الحميم	أخاف عليك يا نفسي استقيمي
تفوزي في المعاد من الجحيم	وكفي عن معاصي الله حتى
وجدي واتعبي جزعاً وهيمي	ولا تدعي البكاء أسفاً ونوحى
بوصف جآذر ونعوت ريم	وخافي وارهي ودعي اشتغالي
سعاد ونغمة الصوت الرخيم	وفريقي من هوى لبنى وخلي
منون عن الأحبة والنعيم	وروحى إن روحى قد نعاها الـ
رجا البر الرؤوف بنا الرحيم	وبى خوف من التقصير لولا
شفيع المذنبين لدى الكريم	وجاه محمد المبعوث فينا
مدى الأيام والذكر الحكيم	عليه الله صلى كل وقت
ذوي الإخلاص والدين القويم	كذا الآل الكرام وكل صحب

\* \* \*

## فصل

وأما كسوة أهل النار ولباسهم فقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]. وكان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية في قصصه يقول: سبحان من خلق من النار ثياباً.

وروى الحافظ ابن رجب في «التخويف»: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يقطع للكافر ثياب من نار، حتى ذكر القباء والقميص والكمة.

وخرج أبو داود عنه رضي الله عنه أنه قال: «من أكل برجل مسلم أكلة من الدنيا أطعمه الله مثلها في نار جهنم، ومن كسى أو اكتسى برجل مسلم ثوباً كساه الله مثله من جهنم»<sup>(١)</sup>.

وخرج أبو داود والنسائي والترمذي عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه «رأى علي رجل خاتماً من حديد، فقال مالي أرى عليك حلية أهل النار؟»<sup>(٢)</sup>.

وخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أول من

(١) أخرجه أبو داود (٦٨٦/٢) رقم ٤٨٨١ وليس فيه «أو اكتسى» وزيادة في آخره، والطبراني في الأوسط (٢١٥/١) رقم ٦٩٧، وفي الكبير (٣٠٩/٢٠) رقم ٧٣٥، والبخاري في الأدب المفرد (٩٣/١) رقم ٢٤٠، والحاكم (١٤٢/٤) رقم ٧١٦٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، كلهم عن المستورد بن شداد.

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠/٢) رقم ٤٢٢٣ بزيادة في أوله وآخره، والنسائي في سننه (١٧٢/٨) رقم ٥١٩٥، والترمذي (٢٤٨/٤) رقم ١٧٨٥ وقال: هذا حديث غريب، وابن حبان في صحيحه (٢٩٩/١٢) رقم ٥٤٨٨، وله شواهد صحيحة فقد روى أحمد (١٦٣/٢) رقم ٦٥١٨ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أن النبي ﷺ رأى على بعض أصحابه خاتماً من ذهب، فأعرض عنه فألقاه واتخذ خاتماً من حديد، فقال: هذا شر، هذا حلية أهل النار، فألقاه، فاتخذ خاتماً من ورق فسكت عنه» وذكره الهيثمي (٢٧٠/٥) بروايات عدة رقم ٨٧٢٢، وقال: أحد إسنادي أحمد رجاله ثقات.

يكسى حلة من النار إبليس يضعها على حاجبه ويسحبها من خلفه، وذريته خلفه من بعده وهو يقول يا ثوراه، وهم يقولون: يا ثورهم، فيقال: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَاذْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤]»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني عن عمر رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠]. هو النحاس الذائب. وقال عكرمة: هو من صفر يحمي عليها.

ولعل هذا التقدير على قراءة من قرأ «من قطران» أي النحاس المذاب الشديد الحرارة، كما خرجه ابن جرير عن ابن عباس، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

وقال الفخر: السرابيل جمع سربال وهو القميص، والقطران من شجر يسمى الأسل، يطبخ ويطلق به الإبل الجربة، فتحرق الجرب حرارته، وقد تصل حرارته إلى داخل الجوف.

قال: ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وهو متنن الرائحة أسود

(١) رواه أحمد (٢٤٩/٣) رقم ١٣٦٢٨، (وص ١٥٢) رقم ١٢٥٥٨، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤/٧) رقم ٣٤١٦٨، وعبد بن حميد في مسنده (٣٦٨) رقم ١٢٢٥، وذكره الهيثمي (٧١٩/١٠) رقم ١٦٦١١ وقال: رواه أحمد والبخاري ورجال الصريح غير علي بن زيد وقد وثق.

(٢) جزء من حديث سلام الطويل رواه الطبراني في الأوسط (٨٩/٣) رقم ٢٥٨٣، وتقدم غير مرة.

اللون، فتطلى به جلود أهل النار حتى يصير ذلك الطلي كالسراويل وهو القميص.

قال: فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب، لذع الحرقه، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، وبتن الريح.

وقال أيضاً: التفاوت بين قطران الدنيا والآخرة كالتفاوت بين النارين، وقال الحسن: قطران الإبل.

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»<sup>(١)</sup>.

وخرجه ابن ماجه بلفظ: «النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثياباً من قطران ودرعاً من لهب النار»<sup>(٢)</sup>.

وخرجه ابن ماجه أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تبعث يوم القيامة وعليها سراويل من قطران، يُغلى عليها بدروع من لهب النار»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج أبو نعيم عن وهب ابن منبه قال: كسي أهل النار والعري كان خيراً لهم، وأعطوا الحياة والموت كان خيراً لهم.

\* \* \*

(١) رواه مسلم رقم ٩٣٤ .

(٢) رواه ابن ماجه (٥٠٣/١) رقم ١٥٨١ .

(٣) رواه ابن ماجه (٥٠٤/١) رقم ١٥٨٣ وفيه «ثم» قبل «يُغلى» .

## فصل

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]. قال الضحاك والسدي وغيرهما: المهاد الفراش، والغواش اللحف.

وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿وَجَمَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾. فراشاً ومهاداً، وقال قتادة: محبساً حصروا فيها، وكان الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في وصف أهل النار وسكونهم دار البوار: قد حذيت<sup>(١)</sup> لهم نعال من نار، وسراويل من قطران، وطعامهم من نار، وشرابهم من نار، وفرش من نار، ولحف من نار، ومساكن من نار، في شر دار وأسوأ عذاب، فالأجساد أكلاً أكلاً، وصهراً صهراً، وحطماً حطماً، وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن رجلاً من صدر هذه الأمة كان إذا دخل المقابر نادى: يا أهل القبور بعد الرفاهية والنعيم، معالجة الأغلال في نار الجحيم، وبعد القطن والكتان، لباس القطران ومقطعات النيران، وبعد تلطف الخدم ومعانقة الأزواج، مقارنة الشيطان في نار جهنم مقرنين في الأصفاد.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن وهب ابن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: أما أهل النار الذين هم أهلها فهم في النار لا يهدؤون ولا ينامون ولا يموتون، يمشون على النار ويجلسون، ويشربون من صديد أهل النار، ويأكلون من زقوم النار، لحفهم نار، وفرشهم نار، وقمصهم نار وقطران، وتغشى وجوههم النار، جميع أهل النار في سلاسل، بأيدي الخزنة أطرافها، يجذبونهم

(١) اخْتَذَى يَخْتَذِي: إذا انتعل، وَخَذَا لَهُ نَعْلًا وَخَذَاهُ نَعْلًا إِذَا حَمَلَهُ عَلَى نَعْلٍ، وَالْجَذْوَةُ وَالْجَذِيَّةُ وَالْحُدْيَا وَالْحُدْيَا الْعَطِيَّةُ، وَأَخَذَى الرَّجُلُ: أَعْطَاهُ لِسَانَ الْعَرَبِ/ مَادَةٌ/ حَذَا.

مقبلين ومدبرين، فيسيل صديد إلى حفر في النار، فذلك شرابهم، ثم بكى وهب حتى سقط مغشياً عليه، ولما ذكر هذا الخبر بكر بن خنيس<sup>(١)</sup> غلب عليه البكاء حتى قام فلم يقدر أن يتكلم.

وفي الإسرائيليات أن أم سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام أقبلت عليه في ثوب تعالجه له ليلسه، فقال لها: أفعلى، قالت: من أي شيء؟ قال: من شغرى، قالت: يا بني إذا يأكل لحملك، قال: يا أمه أما إنني إذا ذكرت مقطعات النيران لان على جلدي.

وكان عطاء الخراساني رحمته الله ينادي في أصحابه في السفر: يا فلان يا فلان، قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شراب الصديد ومقطعات الحديد، الوحي الوحي الوحي<sup>(٢)</sup>، ثم يقبل على صلاته.

ولما ماتت النوار امرأة الفرزدق - رحمهما الله - ودفنت، وقف الفرزدق على قبرها بحضرة الحسن البصري وأنشد هذه الأبيات العظيمة وهي:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني	أشد من القبر التهاباً وأضيقت
إذا جاء في يوم القيامة قائد	عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى	إلى النار مغلول القلادة أزرقا
يساق إلى نار الجحيم مسربلاً	سراويل قطران لباساً محرقاً
إذا شربوا فيها الصديد رأبتهم	يذوبون من حر الصديد تمزقاً
فبكى الحسن بكاء شديداً.	

رحم الله تلك الأرواح الزكية والأخلاق الرضية.

(١) في الأصل (خنيس).

(٢) سبق تعريفها (١/٣٤٦).

## الباب الثامن

في عظم خلق أهل النار وقبحهم  
وأشكال عذابهم بحسب أعمالهم

أما خلقهم وقبح صورهم وهياتهم، وذلك من أنواع العذاب وشديد المقت لهم بلا ارتياب، فأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»<sup>(١)</sup>، وخرجه مسلم بلفظ: «ما بين منكبي الكافر في النار»<sup>(٢)</sup> الحديث، وخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»<sup>(٣)</sup>، والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً: «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان»<sup>(٤)</sup>، ومقعدته من النار ما بيني وبين الربذة»<sup>(٥)</sup>، وخرجه الإمام أحمد من غير ذكر عضده.

قوله: البيضاء هو جبل، وكذا ورقان، وقوله: ما بيني وبين الربذة أي كما بين المدينة والربذة، والربذة اسم مكان، وهو الذي مات فيه أبو ذر رضي الله عنه لما نفاه سيدنا عثمان، وذكرت قصته في كتابي (تحيير الوفي في سيرة المصطفى).

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٥١ .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٨٥٢ .

(٣) رواه مسلم رقم ٢٨٥١ .

(٤) وَرِقَان: جبل أسود بين العُزج والرُّؤَيْثَة على يمين المار من المدينة إلى مكة .

النهاية مادة: ورق .

(٥) رواه الحاكم (٦٣٧/٤) رقم ٨٧٥٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه

السياقة، ووافقه الذهبي وأحمد (٥٣٧/٢) رقم ١٠٩٤٤ .

وأخرج الترمذي حديث أبي هريرة بلفظ: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة»<sup>(١)</sup>، وقال حديث حسن غريب صحيح.

ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: «جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار، وضرسه مثل أحد»<sup>(٢)</sup>، والجبار ملك من ملوك اليمن له ذراع معروف المقدار كذا قال ابن حبان وغيره. وقيل: ملك بالعجم قاله المنذري.

ورواه الحاكم<sup>(٣)</sup> وصححه وهو رواية للإمام أحمد بإسناد جيد ولفظه «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده من النار ما بيني وبين الربرة»<sup>(٤)</sup>.

قال أبو هريرة: وكان يقال: مثل بطن أضم<sup>(٥)</sup>. وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأبي غسان الضبي بظهر الحيرة: تعرف عبدالله بن خداش، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فخذه في جهنم مثل أحد، وضرسه مثل البيضاء، قلت لم ذاك يا رسول الله؟ قال كان عاقاً بوالديه»<sup>(٦)</sup>، رواه الطبراني.

- 
- (١) رواه الترمذي (٧٠٣/٤) رقم ٢٥٧٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.  
(٢) صحيح ابن حبان (٥٣١/١٦) رقم ٧٤٨٦.  
(٣) الحاكم (٦٣٧/٤) رقم ٨٧٦٠ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.  
(٤) رواه أحمد (٣٢٨/٢) رقم ٨٣٢٧ وليس فيه عضده مثل البيضاء، وفي (٣٣٤/٢) رقم ٨٣٩١ وفي (٥٣٧) رقم ١٠٩٤٤ ولكن بشيء من الاختصار والاختلاف.  
(٥) أضم: بالضم ثم السكون - موضع قرب أحد بالمدينة.  
معجم البلدان - ياقوت الحموت باب الهمزة والضاد.  
(٦) جزء من حديث رواه الطبراني في الأوسط (٦٣/٧) رقم ٦٨٥٧ وفيه (أتعرف) بدل (تعرف)، وذكره الهيثمي (٢٧١/٨) رقم ١٣٤٣٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وأبو غسان وأبو غنم الراوي عنه لم أعرفهما وبقية رجاله ثقات.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس»<sup>(١)</sup>، رواه الترمذي. وخرج البيهقي عن عبدالله بن عمرو ابن العاص بدل عبدالله بن عمر بن الخطاب، وصوبه بعضهم.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً «يعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد»<sup>(٢)</sup>، رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، قال الحافظ المنذري: وإسناده قريب من الحسن.

وأخرج الترمذي وقال: حسن غريب واللفظ له، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْبِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]. قال: «يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ستون ذراعاً، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من نور يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد، فيقولون اللهم اتنا بهذا وبارك لنا في هذا، حتى يأتيهم، فيقول لهم: أبشروا لكل رجل منكم مثل هذا، قال: وأما الكافر فيسود وجهه، ويمد له في جسمه ستون ذراعاً في صورة آدم، ويلبس تاجاً من ناره، فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا بهذا، فيأتيهم، فيقولون: اللهم أخره.

(١) رواه الترمذي (٧٠٤/٤) رقم ٢٥٨٠ وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (٩٢/٢) رقم ٥٦٧١ بلفظ «إن الكافر ليحجر لسانه يوم القيامة وراه قدر فرسخين يتوطؤه الناس» وكذا رواه عبد ابن حميد في مسنده (٢٧٢) رقم ٨٦٠، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٤/٤) رقم ٥٥٩٦.

(٢) رواه أحمد (٢٦/٢) رقم ٤٨٠٠، والطبراني في الكبير (٤٠٢/١٢) رقم ١٣٤٨٢ وفي الأوسط (٤١/٣) رقم ٢٤١٠، وذكره الهيثمي (٧١٧/١٠) رقم ١٨٦٠٥ وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وفي أسانيدهم أبو يحيى القنات وهو ضعيف وفيه خلاف وبقية رجاله أوثق منه.

فيقول: أبعادكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا»<sup>(١)</sup>، وتقدم.

قلت: هذا الحديث إنما فيه أنه يمد له في جسمه ستون ذراعاً، مع أن الأحاديث الصحيحة مصرحة بأنه يكون أعظم من ذلك، كيف وضرسه مثل أحد، وقد قال ﷺ في حديث أبي سعيد عند ابن ماجه ورواه الإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم كلهم من طريق ابن لهيعة: «إن الكافر ليعظم حتى إن ضرسه لأعظم من أحد، وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه»<sup>(٢)</sup>.

والجواب: أنه يمد له في جسمه ستون ذراعاً في الموقف، فإذا دخل النار صار ضرسه كأحد وعظم كما أخبر عنه ﷺ، وهذا ظاهر، أو يقال: إن عظم أجسادهم مختلف باختلاف أعمالهم، فمنهم من يكون جسمه ستين ذراعاً، ومنهم من يكون بالصفة التي نعت بها رسول الله ﷺ، فتأمله، فإني لم أر من صرح بهذا، على أنني في شك من ثبوت حديث أبي هريرة هذا؛ لثبوت الأحاديث الطافحة بما ذكرنا من صفة أهل النار.

وأخرج الإمام أحمد والحاكم والبيهقي عن مجاهد قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت لا، قال إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً، تجري فيه أودية القيح والدم،

(١) رواه الترمذي (٣٠٢/٥) رقم ٣١٣٦ بلفظ (أخزه) بدل (أخره) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (٣٤٦/١٦) رقم ٧٣٤٩ وأبو يعلى في مسنده (٣/١١) رقم ٦١٤٤ والحاكم (٢٦٥/٢) رقم ٢٩٥٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن ماجه (١٤٤٥/٢) رقم ٤٣٢٢، وقال: في الزوائد عطية العوفي والراوي عنه ضعيفان، وقد روى مسلم في صحيحه والترمذي بعضه من حديث أبي هريرة ورواه أحمد (٢٩/٣) ولكن بسياق آخر ليس فيه (وفضيلة جسده) الحديث.

قلت: أنهار؟ قال: لا بل أودية.

قال في «البهجة»: «ولا تعارض بين الأحاديث، فإن أجسادهم متفاوتة في العظم على حسب جرائمهم. انتهى.

وعن عمرو بن ميمون أنه قال: إنه ليسمع بين جلد الكافر ولحمه جلبة الدود كجلبة الوحش.

واعلم أنه قد ورد أن بعض عصاة هذه الأمة يعظم في النار، لا أن ذلك يختص بأهل الشرك والكفار، أخرج الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن النبي ﷺ أنه قال: «إن من أمتي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها»<sup>(١)</sup>، إسناده الإمام أحمد جيد، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

وفي «التخويف» للحافظ ابن رجب عن أنس مرفوعاً: «يجاء بالأمير الجائر يوم القيامة فتخاصمه الرعية، فيفلجوا عليه، فيقال له: سد عنا ركناً من أركان جهنم»<sup>(٢)</sup> وفيه أغلب بن تميم، قال الحافظ: فيه ضعف.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا

(١) رواه أحمد (٢١٢/٤) رقم ١٧٨٩٢ من حديث أبي برزة، وفي (٣١٢/٥) رقم ٢٢٧١٧ من حديث الحرث بن أقيش، وابن ماجه (١٤٤٦/٢) رقم ٤٣٢٣، والحاكم (٦٣٥/٤) رقم ٨٧٥٢ وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وذكره الهيثمي (٣/٩٠) رقم ٣٩٨٤ وقال: رواه أحمد من حديث أبي برزة ورجاله ثقات.

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير (٦٨/٤) وعزاه إلى البزار، والمنذري (١١٧/٣) رقم ٣٣٠٨ وقال: رواه البزار وهذا الحديث مما أنكر على أغلب بن تميم، والهيثمي (٣٧١/٥) رقم ٩٠٣٩ وقال: رواه البزار وفيه أغلب بن تميم وهو ضعيف.

كَلِّحُونَ ﴿١﴾ . قال : «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة»<sup>(١)</sup> .

قال ابن رجب : وكان لطاووس رحمه الله طريقان إذا رجع من المسجد ، إحداهما فيها رواس ، وكان يرجع إذا صلى المغرب ، فإذا أخذ الطريق الذي فيه الرواس<sup>(٢)</sup> لم يتعش ، فقيل له في ذلك فقال : إذا رأيت الرووس كالحمة لم أستطع أن أكل .

وكان أويس القرني رضي الله عنه إذا نظر إلى الرووس المشوية يذكر هذه الآية : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ فيقع مغشياً عليه حتى يظن من نظر إليه أنه مجنون ، خرجهما ابن أبي الدنيا .

وقال الأصمعي : مرَّ ابن سيرين برواس قد أخرج رأساً فغشي عليه .

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قرأ رجل عند عمر هذه الآية : ﴿ كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَّتْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء : ٥٦] فقال عمر : أعد علي ، فأعادها ، فقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه عندي تفسيرها ، تبدل في ساعة واحدة مائة مرة ، فقال عمر : «هكذا سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(٣)</sup> ، وفي رواية لابن مردويه أن كعباً رضي الله عنه قال : يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير هذه الآية لما قرأها الرجل قال كعب : قرأتها قبل الإسلام - يعني إسلام نفسه - لأن كعب الأخبار رضي الله عنه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم إلا

(١) رواه أحمد (٨٨/٣) رقم ١١٨٥٤ ، والترمذي (٧٠٨/٤) رقم ٢٥٨٧ ، و(٣٢٨/٥) رقم ٣١٧٦ وقال في الموضعين : حديث حسن صحيح غريب ، والحاكم (٢٦٩/٢) رقم ٢٩٧١ وقال : هذا حديث صحيح من إسناده المصريين ولم يخرجاه وفي (٤٢٨) رقم ٣٤٩٠ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) يقال : رجل رأس بوزن رعاس : يبيع الرؤوس . لسان العرب مادة : رأس .

(٣) ذكره ابن رجب في التخويف من النار (١٧٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

في زمن خلافة عمر رضي الله عنه - فلما قال كعب ما قال، قال له عمر: هاتها يا كعب، فإن جئت بها كما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقنا وإلا لم ننظر إليها، قال إني: قرأتها قبل الإسلام: «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة». فقال عمر: هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup>. والحديثان ضعيفان. والله أعلم.

وقد ورد أن لبعض أهل النار لسانين من نار أو وجهين من نار، ففي سنن أبي داود عن عمار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار» <sup>(٢)</sup>.

ويروى نحوه عن أنس وأبي هريرة.

وخرج الطبراني عن سعد مرفوعاً: «ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار» <sup>(٣)</sup>.

ومنهم من تمسخ صورته على صورة قبيحة، وفي الصحيح أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذا شفع في أبيه قيل له: «يا إبراهيم انظر ما تحت رجلك، فإذا هو بذيخ متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار» <sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٧٧٤/١) وليس فيه «فقال عمر» إلى آخره وضعف إسناده وعزاه إلى ابن أبي حاتم والطبراني، والهندي في كنز العمال (٣٨٢/٢) رقم ٤٣١٤ وعزاه لابن مردويه، وضعف المصنف إسناده هو والحديث الذي سبقه.

(٢) رواه أبو داود (٦٨٤/٢) رقم ٤٨٧٣، وابن أبي شيبه في المصنف (٥/٢٢٣) رقم ٢٥٤٦٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/٣٥٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١/٤٤) رقم ١٣١٠ بنحوه، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/١٥٨) وقال عنه العراقي: أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٦/٢٣٤) رقم ٦٢٧٨، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٣٧١) رقم ٤٤٧٣، والهيثمي (٨/١٧٩) رقم ١٣١٥١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه خالد بن يزيد العمري وهو كاذب.

(٤) رواه البخاري رقم ٣٣٥٠ وتقدم.

والذيخ هو ذكر الضبع وتقدم.

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥].  
قال: في النار في صورة خنزير، خرجه ابن أبي حاتم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً غير صورهم وألوانهم فلا يعرف منهم أحد.

وفي موعظة الأوزاعي للمنصور: بلغني أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «لو أن رجلاً أدخل النار ثم خرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه»<sup>(١)</sup>، وقد رواه بكر بن خنيس عن عبد الملك الجسري مرسلًا.

وأخرج ابن لهيعة عن ابن عمرو: لو أن رجلاً من أهل النار أخرج إلى الدنيا لمات أهل الدنيا من وحشة منظره ونتن ريحه، ثم بكى عبدالله بن عمرو رضي الله عنه بكاءً شديداً.

وخرجه عنه ابن أبي الدنيا. والله تعالى أعلم.

\* \* \*

(١) جزء من حديث طويل رواه أبو نعيم في الحلية (٦/١٣٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥/٢١٧، ٢١٨)، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/٣٥٠) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا معضلاً بغير إسناد.

## فصل

في أنواع عذاب أهل النار، وتفاوتهم في ذلك  
في دار البوار، على حسب ما اقترفوا من الذنوب والأوزار

وقد قدمنا أن تغير صورهم وكبر أجسامهم من جملة أنواع العذاب، وأخرج الإمام مسلم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في صفة عذاب أهل النار: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته- أي معقد إزاره- ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن أهون أهل النار عذاباً رجل متعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه مع أجزاء العذاب، ومنهم من قد اغتمر»<sup>(٢)</sup>. وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن أهون أهل النار عذاباً رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم»<sup>(٣)</sup>، ولفظ مسلم: «إن أهون أهل النار عذاباً رجل له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٤٥ .

(٢) جزء من حديث رواه أحمد (٧٨/٣) رقم ١١٧٥٦، والحاكم (٦٢٥/٤) رقم ٨٧٣٤ باختلاف يسير، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم وذكره الهيثمي (٧٢٤/١٠) رقم ١٨٦٢٨ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري رقم ٦٥٦٢، ومسلم رقم ٢١٣ بلفظ «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه».

عذاباً»<sup>(١)</sup>. قوله المرجل: يعني القدر.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منهما دماغه»<sup>(٢)</sup>.

وفيهما عن العباس رضي الله عنه أنه قال: «يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويفضبك لك؟ قال: نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»<sup>(٣)</sup>.

وفي مسلم: «وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح»<sup>(٤)</sup>.

وفي مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه»<sup>(٥)</sup>.

قلت: قد استدل الإمام البرزنجي في كتابه (سداد الدين وسداد الدين في نجات الوالدين) على نجات أبي طالب، بل وعلى أنه ليس بكافر مخلد في النار بهذه الأحاديث الصحيحة والآثار، وذلك أن المصطفى أخبر أن شفاعته ﷺ قد نفعت أبا طالب، وأنقذته من غمرات جهنم إلى ضحضاح من نار، ومن المعلوم أن الكفار لا تنفعهم شفاعاة الشافعين، كما نطلق به كلام رب العالمين، فلو كان كافراً مخلداً فيها لما نفعته الشفاعاة، لكنها

(١) رواه مسلم رقم ٢١٣ .

(٢) رواه البخاري رقم ٣٨٨٥ بلفظ «منه» بدل «منهما»، ومسلم رقم ٢١٠ .

(٣) رواه البخاري رقم ٦٢٠٨، ومسلم رقم ٢٠٩ .

(٤) مسلم رقم ٢٠٩ .

(٥) مسلم رقم ٢١٢ .

نفعته، فلا يكون كافراً، كذا قال، وقد ذكرت في كتابي «تحبير الوفي» من ذلك ما يزيل الظماً ويجلي عن القلب العمى، فليراجع من أراد الوقوف على تحقيق ذلك.

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا والله يا رب، ويؤتي بأشد أهل الدنيا بؤساً من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة صبغة، فيقال: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس ولا رأيت شدة قط»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا، وأنت في صلب آدم أن لا تشرك ولا أدخلك النار، فأبيت إلا الشرك»<sup>(٢)</sup>.

واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب بحسب تفاوت أعمالهم القبيحة، كما قال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَذَابٌ عَمَلُهَا﴾ [الأحقاف: ١٩]. وقال: ﴿جَزَاءً وَفَأَقَا﴾ [النبا: ٢٦].

قال ابن عباس: وافق أعمالهم. فليس عقاب من يغلظ كفره وأفسد في الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]. وقال: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٠٧، وأحمد (٣/٢٠٣) رقم ١٣١٣٤.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٨٠٥.

وكذلك تفاوت عصاة الموحدين، من عذب منهم في العذاب بحسب أعمالهم، فليس عقوبة أهل الكبائر والبدع كعقوبة غيرهم، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»<sup>(١)</sup>. ومعنى هذا والله أعلم أن من أشد الناس عذاباً بتقدير من<sup>(٢)</sup>، ثم إن المصور إما أن يكون مسلماً أو كافراً، فإن كان مسلماً فيكون المعنى إن من أشد الناس المتصفين بالإسلام المستحقين للعذاب بسبب جرائمهم عذاباً المصورين، وذلك لعظم جريمتهم، وإن كان المصور كافراً فالأمر ظاهر.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من شتم الأنبياء ثم أصحابي ثم المسلمين»<sup>(٣)</sup>. وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي، وإمام جائر، وهؤلاء المصورون»<sup>(٤)</sup>. وأخرج البخاري في التاريخ والطياصي عن خالد ابن الوليد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً

(١) رواه البخاري رقم ٥٩٥٠، ومسلم رقم ٢١٠٩.

(٢) هذا نص رواية أخرى عند مسلم في نفس الحديث السابق.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩٦/٤) وقال: غريب من حديث ميمون، تفرد به محمد بن زياد، وفي (٢١٥/١٠)، وذكره الهندي في كنز العمال (٦٠٤/٣) رقم ٨١٣١.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٢١٦/١٠) رقم ١٠٥١٥ وفي (٢١١) رقم ١٠٤٩٧ باختلاف

يسير، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٢٢/٤) وقال غريب من حديث طلحة، ورواه أحمد

(٤٠٧/١) رقم ٣٨٦٨ بلفظ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبياً،

وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين»، وعبد الرزاق في المصنف بلفظ قريب، وذكره

الهيثمي (٤٣٤/١) رقم ٨٥٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفي الصحيح منه قصة

المصور وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف، وفي (٤٢٥/٥) رقم ٩١٩٨ وقال: قلت في

الصحيح بعضه، رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

للناس في الدنيا»<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير الثعلبي عن عبدالله: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة، المنافق، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون. قال صاحب «كنز الأسرار»: وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى، أما أصحاب المائدة فقال تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].

وأما آل فرعون فقال تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وأما المنافقون. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقد يخفف العذاب عن بعض أهل النار بحسنات آخر، أو بما شاء الله من الأسباب، ولهذا يموت بعضهم في النار كما سيأتي.

قلت: إذ لطف الله بعبده فلا عليه في أي الدارين أدخله، وإذا غضب عليه والعياذ بالله انتقم منه أين ما كان، عياداً بك اللهم من غضبك، وتوسلاً بعفوك، وسلمك من حربك.

وأما الكفار إذا كان لهم حسنات في الدنيا من نحو عدل وعتق وإحسان إلى الخلق فهل يخفف عنهم بذلك من العذاب في النار أم لا؟

فيه قولان لسلف هذه الأمة المطهرة ولخلفها: أحدهما، بلى وهو مروري عن سعيد بن جبير واختاره ابن جرير الطبري وغيره.

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (١٤٣/٣) رقم ٤٨٥، والطيالسي في مسنده (١٥٨) رقم ١١٥٧، والطبراني في مسند الشاميين (٤٤/١) رقم ٣٦، وأحمد (٩٠/٤) رقم ١٦٨٦٥، وذكره الهيثمي (٤٢١/٥) رقم ٩١٨٧ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح خلا خالد بن حكيم وهو ثقة.

وأخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق عن عائشة رضي الله عنها مرسلًا أنها قالت: يا رسول الله أين عبدالله ابن جدعان؟ قال: «في النار، فجزعت عائشة رضي الله عنها واشتد عليها، فلما رأي ذلك قال يا عائشة ما يشتد عليك من هذا؟ قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كان يطعم الطعام، ويصل الرحم، قال: إنه يهون عليه بما قلت»<sup>(١)</sup>.

وخرج ابن أبي حاتم والخرائطي والبيزار في مسنده والحاكم في المستدرک وقال: صحيح الإسناد والبيهقي في البعث والنشور وقال: في إسناده نظر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحسن من محسن كافر أو مسلم إلا أثابه الله عز وجل في عاجل الدنيا أو ادخر له في الآخرة، قلنا: يا رسول الله، ما إثابة الكافر في الدنيا؟ قال: إن كان قد وصل رحماً أو تصدق صدقة أو عمل حسنة أثابه الله المال والولد والصحة وأشبه ذلك، قلنا: فما إثابة الكافر في الآخرة؟ قال: عذاباً دون عذاب، ثم تلا: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]»<sup>(٢)</sup>.

قال: الحافظ ابن رجب في «التخويف»: وفيه عتبة بن يقظان تكلم فيه بعضهم. وتقدم أن الله خفف عن أبي طالب بسبب إحسانه إلى رسول الله ﷺ، وكذا خفف عن عمه أبي لهب بسبب عتقه لثوية حين بشرته بولادة النبي ﷺ، فقد ذكر الحافظ الدمياطي رحمته الله أن أبا لهب روي بعد موته،

(١) ذكره ابن رجب في التخويف من النار (١٨١) وعزاه للخرائطي في مكارم الأخلاق وقال: هو مرسل.

(٢) رواه البيزار في مسنده (٢٨٤/٤) رقم ١٤٥٤، والحاكم (٢٧٨/٢) رقم ٤٦٢١ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي (٢٨٧/٣) رقم ٤٦٢١ وقال: رواه البيزار وفيه عتبة بن يقظان وفيه كلام وقد وثقه ابن حبان وبقية رجاله ثقات. قلت: وأجود منه عند مسلم وسيأتي بعد حديثين.

ف قيل له : ما حالك ؟ قال في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعي هاتين - وأشار برأس أصبعيه - وأن ذلك بإعتاقي لثوية عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبارضاعها له<sup>(١)</sup> ، ونحوه في (المواهب اللدنية) .

قلت : والرائي لأبي لهب هو العباس رضي الله عنه ، وقد ذكرت ذلك مطولاً في كتابي تحبير الوفي في ذكر إرضاعه رضي الله عنه ، وما أحسن ما قاله الحافظ الشمس محمد بن ناصر الدين الدمشقي في ذلك :

إذا كان هذا كافر جاء ذمه      وتبت يدها في الجحيم مخلدا  
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً      يخفف عنه للسرور بأحمدا  
فما الظن بالبعد الذي كان عمره      بأحمد مسروراً ومات موحدأ

والقول الثاني : أن الكافر لا ينتفع في الآخرة بشيء من حسناته بحال ، ومن حجة أهل هذا القول قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ الآية [إبراهيم : ١٨] .

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة ، يُعطي بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فَيُطْعَمُ بحسنات ما عمل بها في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها»<sup>(٢)</sup> ، وفي رواية له أيضاً «إن الكافر إذا عمل حسنة أطمع بها طعمة من الدنيا ، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته»<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر في ذلك البخاري رقم ٥١٠١ من كلام عروة ، وذكر ذلك بطوله الغزالي في إحياء

علوم الدين (٤/٥٠٧) .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٨٠٨ .

(٣) رواه مسلم رقم ٢٨٠٨ .

وفي صحيح مسلم أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت: «يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»<sup>(١)</sup>.

وقال أصحاب هذا القول في الجواب عما ورد في أبي طالب، تخفيف العذاب عنه من خصائص النبي ﷺ لا يشركه فيها غيره.

قلت: أما عذاب الكفر فإن الله لا يخفف عنه منه شيئاً، وأما عذاب فروع الدين فيجوز أن يخفف منه على من يشاء من عباده، وإن كفاراً فإن المعتمد أن الكفار مخاطبون بفروع الإسلام<sup>(٢)</sup>، وأما ما ورد من تخفيف العذاب عن أبي طالب عم المصطفى فلأياديه مع ولد أخيه، أليس هو القائل لما تألبت عليه القبائل بسبب حفظه للنبي ﷺ وذبح أعداء الله عنه من قصيدة طويلة منها:

وإن فخرت يوماً فإن محمداً  
تداعت قريش غشها وسمينها  
وكنا قديماً لا نقر ظلامه  
وهو القائل:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم  
حتى أوسد في التراب دفيناً

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٠٨.

(٢) هذه مسألة خلافية بين الأصوليين، والجمهور على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، وخالف في ذلك الأحناف، ويبين ذلك إمام الحرمين فيقول «ذهب بعض أصحاب أبي حنيفة إلى أن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة، وظاهر مذهب الشافعي رحمته الله أنهم مخاطبون بها، وفصل فاصلون من العلماء بين المأمورات والمنهيات، وقالوا: هم معاقبون على ارتكاب المنهيات غير معاقبين على ترك المأمورات» ثم فصل هذا الكلام. راجع «البرهان في أصول الفقه» لأبي المعالي الجويني (٩٢/١) وما بعدها، وكذا «البحر المحيط» للزركشي (٣٩٧/١) وما بعدها.

فانفذ لأمرك ما عليك غضاضة  
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي  
وعرضت دينا قد علمتُ بأنه  
لولا الملامة أو حذار مسبة  
فكفى بنا دنيا لديك ودينا  
فلقد صدقت وكنت ثم أمينا  
من خير أديان البرية دينا  
لوجدتني سمحاً بذلك مبينا

قال هذا الشعر عند وفاته، ثم دعا بني عبدالمطلب وقال: لن تزالوا  
بخير ما سمعتم من محمد وتابعتم أمره، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا، ثم قال  
لابن أخيه ربيعة ابن الحارث بن عبدالمطلب يحثه على نصر المصطفى:

اعلم أبا أروى بأنك ماجد  
لله درك إن عرفت مكانه  
شرف القيامة والمعاد بنصره  
أكرم بمن يُفضى إليه بأمره  
وخلايقاً شرفت بمجد نصابه  
من صلب شيبة ما نصرت محمداً  
في قومه ووهبت منك له يدا  
وبعاجل الدنيا تحوز السؤددا  
نفساً إذا عدا النفوس ومحتدا  
يكفيك منه اليوم ما ترجوا غدا

أليس من كان هذا حثه وحفظه لهذا النبي مع كونه إذ ذاك قليل  
الأنصار، قد قلاه الأقارب وجفاه الأجنب، ورماه الناس عن قوس واحد،  
ولا ثم إلا مشرك أو جاحد، والذين اتبعوه إذ ذاك بين مخافة لا يظهر أمره،  
وبين دخيل على ذي قوة يسند إليه ظهره، وأبو طالب قد شمر عن ساعد  
الجد والاجتهاد، ونادى على رؤوس الأشهاد يقول:

فلا تحسبونا خاذلين محمدا  
ستمعه منا يد هاشمية  
إلى قوله:

لنحلف بطلا بالعتيق المحجب  
وما بال تكذيب النبي المقرب  
يمينا صدقنا الله فيها ولم نكن  
نفارقه حتى نصرع حوله

وقد حاربه قريش غشها وسمينها، وقاطعته كلها فاجرها وأمينها، حتى إن أخاه أبا لهب جفاه، فقام أبو طالب فالتجأ إلى الشعب هو ومن والاه، أليس من كان بهذه المثابة حري بأن يخفف عنه من العذاب، ويهون عليه من العقاب؟ ومن يساوي بين أبي طالب وبين أبي جهل، وبل وبين أبي لهب؟ شتان بين مشرق ومغرب، وإنما الذي ذكرناه من أيادي أبي طالب مع رسول الله ﷺ قطرة من بحر لحي، وقد ذكرت جل صنایعه معه ﷺ في كتابي «تحيير الوفي»، ومع هذا فإني أقول لا أدري ما يفعل بي ولا بكم، والله يفعل ما يشاء، غير أنني لا أتجرأ على أذية أهل بيت المصطفى، وأتبع الوارد عنه ﷺ وأقنع بهذا وكفى.

\* \* \*

## فصل

قال كثير من السلف في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (٤٧) ثُمَّ صُوبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ (٤٨) ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٧-٤٩] نزلت في أبي جهل، قال الأوزاعي: يؤخذ أبو جهل يوم القيامة، فيحرق في رأسه خرق، ثم يؤتى بسجل من الحميم فيصب في ذلك الخرق، ثم يقال له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.

قال في البغوي: وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا أعز من في الوادي وأكرمهم، فيقول له هذا خزنة النار على طريق الاستخفاف والتوبيخ.

وقال مجاهد في قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْطٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ النحاس الصفر يذاب ويصب على رؤوسهم يعذبون به، والشواط اللهب الذي لا دخان فيه، وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار.

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: ٧] تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده أنشئ خلقه.

وقال ثابت البناني: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، لقد بلغ منهم العذاب، ثم بكى.

وقال صالح بن حيان عن بريدة في قوله تعالى: ﴿لَا تَبْقَىٰ وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]، قال: تأكل العظم واللحم والمخ ولا تذر على ذلك.

وقال السدي: تأكل ولا تبقى من جلودهم شيئاً ولا تذرهم من العذاب.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَى﴾ [المعارج: ١٦] تنزع  
الجلد عن العظم، وعنه: تنزع ما دون العظم.

وقال غيره: تحرق كل شيء منه ويبقى فؤاده يصيح.

ومن أنواع عذابهم: سحبهم في النار على وجوههم، قال تعالى:  
﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي صَلْبٍ وَسُعْرِ﴾ (٤٧) ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ دُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾  
(٤٨) [القمر: ٤٧-٤٨]. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠) ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ  
وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٠-٧٢] في  
نار الجحيم، يسحبون في النار مرة بعد مرة، أولئك الذين غضب عليهم  
العزیز الحكيم، جزاء وفاقا، لا يظلم ربنا أحداً من عباده، بل كما فعل  
العبد لاقى.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قتل  
نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً  
فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسُم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً  
مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم  
خالداً مخلداً فيها أبداً»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه: «القتل في سبيل الله يكفر كل شيء أو  
قال يكفر الذنوب إلا الأمانة، يؤتي بصاحبها فيقال له: أد أمانتك، فيقول:  
أني يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية، فيهوى فيها حتى  
ينتهي إلى قعرها، فيجدها هناك كهيتها، فيحملها، فيضعها على عنقه  
فيصعد بها في نار جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج منها زلت فهوت، وهو

(١) رواه البخاري رقم ٥٧٧٨ بتقديم وتأخير، ومسلم رقم ١٠٩ باختلاف يسير.

في أثرها أبد الأبدين، والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشد ذلك الودائع<sup>(١)</sup>، رواه عن شريك وأبو إسحاق الأزرق، ورواه جماعة موقوفاً، وقال عاصم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا ألقى الرجل في النار لم يكن له منتهى حتى يبلغ قعرها، ثم تجيش به جهنم، فترفعه إلى أعلى جهنم، وما على عظامه مزعة لحم، فتضربه الملائكة بمقامع الحديد، فيهوى بها في قعرها فلا يزال كذلك، أخرجه البيهقي وتقدم.

قال الحافظ ابن رجب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابه «التخويف»: وفي هذا المعنى يقول ابن المبارك:

تهوى بساكنها طوراً وترفعه إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا

\* \* \*

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٣/٤) رقم ٥٢٦٦، وفي السنن الكبرى (٢٨٨/٦) رقم ١٢٤٧٢، وأبو نعيم في الحلية (٢٠١/٤) والطبراني في الكبير (٢١٩/١٠) رقم ١٠٥٢٧ مختصراً، وذكره الهيثمي (٥٣٢/٥) رقم ٩٥١٥ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

## فصل

ومنهم من يدور في النار ويجر معه أمعاه، «وقد رأى النبي ﷺ عمرو ابن لحي يجر قُضْبَه في النار»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين عن أسامة ابن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يؤتي بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه، فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية»<sup>(٢)</sup>.

وقال بعض السلف: إن في النار أقواماً يربطون بنواعير<sup>(٣)</sup> من نار تدور بهم النواعير وما لهم فيه راحة ولا فترة.

ومنهم من يُلقى في مكان ضيق، لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]. قال كعب: إن في النار تنانير، ضيقها كضيق زج رمح أحكم، تطبق على قوم بأعمالهم، وتقدمت الإشارة إليه أولاً.

وأخرج أبو نعيم الحافظ عن شفي ابن مائع عن النبي ﷺ قال: «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون فيما بين الجحيم والحميم،

(١) رواه البخاري رقم ٣٥٢١ .

(٢) رواه البخاري رقم ٣٢٦٧، ومسلم رقم ٢٩٨٩ .

(٣) الناعورة: الدولاب، والناعور: جناح الرحي، والناعور: دلو يستقي بها، والناعور: واحد النواعير التي يستقي بها يديرها الماء ولها صوت. لسان العرب مادة: نعر.

يدعون بالويل والثبور، ويقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى؟ قال: فرجل معلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه، فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس، ثم يقال للذي يجر أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه لا يغسله، ثم يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلى كلمة فيستلذها كما يستلذ الرفث، وفي رواية يعمد إلى كل كلمة خبيثة قذعة أي فاحشة فيستلذها، ثم يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، قال: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس، زاد في رواية: ويمشي بالنميمة<sup>(١)</sup>.

قال أبو نعيم: وشفي بن ماته مختلف فيه، فقيل: له صحبة، وقيل: لا.

وأخرج الإمام أحمد عن منصور بن زاذان رضي الله عنه قال: نبئت أن بعض من يلقي في النار يتأذى أهل النار بريحه، فيقال له: ويلك ما كنت تعمل؟ أما يكفينا ما نحن فيه من الأذى والسوء حتى ابتلينا بك وبتن ريحك؟ فيقول: كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي.

قلت: في ذم عدم عمل العالم أحاديث جمّة منها: ما رواه الطبراني في الصغير والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشد

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٦٨/٥)، والطبراني في الكبير (٣١٠/٧) رقم ٧٢٢٦، والطبري في صريح السنة (٢٨) رقم ٣٨، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٢٨) رقم ١٨٦ باختصار يسير، وذكره الهيثمي (٤٩١/١) رقم ١٠٣٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير وهو هكذا في الأصل المسموع ورجاله موثقون.

الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البزار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «شرار الناس شرار العلماء في الناس»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الطبراني في الكبير عن جندب بن عبدالله البجلي صاحب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه»<sup>(٣)</sup>، قال الحافظ المنذري: إسناده حسن إن شاء الله تعالى، والآثار في هذا كثيرة جداً.

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِسَحِيبٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]. المعنى أنه يأتيه مثل شدة الموت وألمه من كل جزء من أجزائه حتى شعره وظفره، وهو مع هذا لا تخرج نفسه فيستريح ولا ترجع إلى مكانها من خوفه.

\* \* \*

(١) رواه الطبراني في الصغير (٣٠٥/١) رقم ٥٠٧، والقضاعي في مسند الشهاب (١٧١/٢) رقم ١١٢٢، وذكره ابن حجر في لسان الميزان (١٥٧/٤) في ترجمة عثمان بن مقسم البري رقم ٣٦٤، وقال عنه: كان ينكر الميزان ويقول إنما هو العدل، تركه يحيى القطان وابن المبارك، وقال أحمد حديثه منكر، وذكره الهيثمي (٤٤٠/١) رقم ٨٧٢ وقال: رواه الطبراني في الصغير وفيه عثمان البري، قال الفلاس: صدوق لكنه كثير الغلط صاحب بدعة، ضعفه أحمد والنسائي والدارقطني.

(٢) جزء من حديث رواه أبو نعيم في الحلية (٢٤٢/١)، وفي (٢٢٠/٥) وقال: غريب من حديث خالد، والطبراني في مسند الشاميين (٢٥٨/١) رقم ٤٤٧، وذكره الهيثمي (١/٤٤١) رقم ٨٧٤ وقال: رواه البزار وفيه الخليل بن مرة، قال البخاري: منكر الحديث، ورد ابن عدي قول البخاري، وقال أبو زرعة: شيخ صالح.

(٣) جزء من حديث رواه الطبراني في الكبير (١٦٧/٢) رقم ١٦٨٥، وفي (١٦٥) رقم ١٦٨١، وأحمد في الزهد/١٨٢، وذكره الهيثمي (٤٤٠/١) رقم ٨٧١ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

## فصل

وعذاب الكفار في النار لا يفتقر عنهم ولا ينقطع، بل هو متواصل أبد الآباد، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٧٤) لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٥]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. وقال: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ (٤٩) قَالُوا أَوْلَمْ نَأْتِكُمْ رُسُلَكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿[غافر: ٤٩-٥٠].

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت إسحاق بن إبراهيم على منبر دمشق يقول: لا يأتي على صاحب الجنة ساعة إلا وهو يزداد ضعفاً من النعيم لم يكن يعرفه، ولا يأتي على صاحب النار ساعة إلا وهو مستنكر لشيء من العذاب لم يكن يعرفه.

وسأل الحسن أبا بزرّة عن أشد آية في كتاب الله عز وجل على أهل النار قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَدُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠] فقال: هلك القوم بمعاصيهم لله عز وجل، خرج ابن أبي حاتم، وفيه من هو ضعيف، وخرجه البيهقي، وقال: لم أعرفه.

وقال مجاهد: بلغني أن استراحة أهل النار أن يضع أحدهم يده على خاصرته، واعلم أن لأهل النار أنواعاً من العذاب لم يطلع الله خلقه عليها في الدنيا ثم قرأ مجاهد: ﴿وَمَا آخِرُ مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ﴾ [ص: ٥٨].

وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل، وبعدهم منه،

وإعراضه عنهم، وسخطه عليهم، كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم، كما مرت الإشارة إليه بما هو كاف، قال جل شأنة: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ بَقِيَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِدِهٍ تَكْذِبُونَ ﴿المطففين: ١٤-١٧﴾ فذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب، الحجاب عنه الذي هو أشد من كل عذاب وأعظم من كل عقاب، ثم صليهم الجحيم، ثم توبيخهم بتكذيبهم به في الدنيا مع ما وصفهم به من أن الران على قلوبهم، وهو صدأ الذنوب التي سودت قلوبهم، فلم يصل إليها بعد ذلك شيء من معرفة الله ولا من إجلاله ومهابته وخشيته ومحبته والالتذاذ بذكره والتفكر في آياته. ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْآنَعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]. فلما حجبت قلوبهم في الدنيا عن معرفة الله والتلذذ بذكره وكلامه، والتنعم بمحبته والتفكر في إنعامه حجبا في الآخرة عن النظر إليه ومجاورته، فيالها من حسرة ما أعظمها، ومصيبة ما أجسمها.

قال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا أحمد بن موسى عن أبي مريم قال: يقول أهل النار: إلهنا أرض عنا وعذبنا بأي نوع شئت من عذابك، فإن غضبك أشد علينا من العذاب الذي نحن فيه، قال أحمد: فحدثت به سليمان بن أبي سليمان فقال: ليس هذا كلام أهل النار، هذا كلام المطيعين لله، قال فحدثت به أبا سليمان فقال: صدق سليمان بن أبي سليمان، وسليمان هو ولد أبي سليمان الداراني وكان عارفاً كبير القدر، رَحِمَهُ اللهُ .

قال الحافظ ابن رجب: وما قاله حق، فإن أهل النار جهال لا يتقظون لهذا، وإن كان في نفسه حقاً، وإنما يعرف هذا من عرف الله وأطاعه، ولعل هذا يصدر من بعض من يدخل النار من عصاة الموحدين كما أن بعضهم يستغيث بالله لا يسغيث بغيره فيخرج منها وبعضهم يخرج

منها برجائه لله وحده، وبعض من يؤمر به إلى النار يتشفع إلى الله بمعرفته فينجيه منها، وقد روي عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال: يوقف رجل بين يدي الله عز وجل لا يكون معه حسنة، فيقول الله عز وجل له: اذهب هل تعرف أحداً من الصالحين أعفرك لك بمعرفته؟ فيذهب فيدور مقدار ثلاثين سنة، فلا يرى أحداً، فيرجع إلى الله عز وجل فيقول: يا رب لا أرى أحداً، فيقول الله عز وجل: اذهبوا به إلى النار، فيتعلق به الزبانية يجرونه، فيقول: يا رب إن كنت تغفر لي بمعرفة المخلوقين فإنني عارف بوحدانيتك، فأنت أحق أن تغفر لي، فيقول الله للزبانية: ردوه فإنه كان يعرفني، واخلعوا عليه خلع كرامتي، ودعوه يتبحج في رياض الجنة، فإنه عارف بي وأنا له معروف.

قلت: وأخرج الدينوري عن صالح المري قال: بلغني أن أهل النار يعذبون بأنواع العذاب، فكلما عذبوا بنوع من العذاب نقلوا إلى نوع أشد منه، فيقولون: ربنا عذبنا كيف شئت بما شئت ولا تغضب علينا، فإن غضبك أشد علينا من العذاب، إذا غضبت ضاقت علينا الأكبال والقيود والسلاسل والأغلال.

فهذا ربما قيل فيه: إنهم ليسوا من الموحدين، لما سيأتي أن الموحدين لا يغلون بالأغلال والقيود والأنكال، وقد نطق في هذا الأثر بأنه سبحانه إذا غضب عليهم ضاقت القيود والأغلال عليهم، والله أعلم.



## فصل

فيما يتحف به أهل النار عند دخولهم دار

البوار، أعاذنا الله منها بمنه وكرمه

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَا الضَّالِّينَ الْمَكْذِبِينَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَالْكُوفُ وَمَتَاهُ الْبُطُونُ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُّهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿الواقعة: ٥١-٦٠﴾، والنزل هو ما يعد للضيف عند قدمه، فدلّت هذه الآيات على أن أهل النار يتحفون عند دخولهم بالأكل من شجر الزقوم، والشرب من الحميم، وهم إنما يساقون إلى جهنم عطاشاً، كما قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] وقد تقدم أنهم يبعثون عطاشاً ثم يقضون مشاهد القيامة عطاشاً.

وأخرج ابن المبارك عن كعب الأخبار قال: إن الله ينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان عليه، فيقول: خذوه، فيأخذه منه ألف ملك أو يزيدون، فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضباً لغضب الله، فيسحبونه على وجهه إلى النار، قال: فالنار أشد غضباً من غضبهم سبعين ضعفاً، قال: فيستغيث بشربة يسقط منها لحمه وعظامه وعصبه، ثم يركس أو يدكس في النار فويل له من النار، وفي رواية عن غير كعب فيفتق في أيديهم إذا أخذوه، فيقول: ألا ترحموني؟ فيقولون: كيف نرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين؟ وروى الأعمش عن مالك بن الحارث قال: إذا طرح الرجل في النار هوى فيها، فإذا انتهى إلى بعض أبوابها قيل: مكانك حتى تتحف،

قال: فيسقي كاساً من سم الأسود<sup>(١)</sup> والعقارب، فيتمزق الجلد على حدة، والشعر على حدة، والعصب على حدة، والعروق على حدة، خرجه ابن أبي حاتم.

والحاصل أن من دخل النار- ونعوذ برحمة الله وعفوه ومغفرته من غضبه ونقمته ومناقشته- خسر الخسارة التي لا ربح بعدها أبداً، اللهم إلا أن يكون من عصاة المؤمنين، فإنه يخرج منها كما يأتي، وأنواع العذاب أكثر من أن نذكرها هنا، واعلم أنه كما أن نعيم الجنة لا يحد ولا يحصى ولا يعد، فكذلك عذاب النار لا يحد، وقد أعد الله لأعدائه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من العذاب، والله تعالى أعلم.



(١) الأسود: الحيات، قال شمير: الأسود أخبث الحيات وأعظمها وأنكأها - لسان العرب/  
مادة: سود.

## فصل

في بكاء أهل النار وزفيرهم وشهيقهم وصراخهم ودعائهم الذي لا يستجاب له، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠] وقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ [هود: ١٠٦]. فالزفير في الحلق، والشهيق في الصدر.

وقال داود عليه السلام: رب ارزقني عينين هطالتين، يبكيان بذروف الدموع من خشيتك، قبل أن تعود الدموع دما، والأضراس جمرأ، وتقدم من كلام نبينا<sup>(١)</sup>، وكان عليه السلام يعاتب في كثرة البكاء، فيقول: دعوني أبكي قبل يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال اللحي، وقبل أن تؤمر بي ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وقال عليه الصلاة والسلام: أبكى نفسي قبل يوم البكاء، أبكى نفسي قبل أن لا ينفع البكاء، ثم دعا بجمر فوضع يده عليه حتى آذاه حره، ثم رفعها، وقال: أوه لعذاب الله، أوه قبل أن لا ينفع أوه.

وذكر صفوان بن محرز كلام داود هذا، وهو قوله أوه من عذاب الله عز وجل قبل أن لا ينفع أوه، فبكى حتى غلب عليه البكاء.

وقال كعب الأحبار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِيْرَهُمْ لَعَلِيمٌ أَوْهٌ﴾ [هود: ٧٥]. كان إذا ذكر النار قال: أوه من النار، أوه من النار.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/١٩٦ - ١٩٧)، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٥٧/٥٧) رقم ٤٤، والطبراني في الدعاء (٤٢٩) رقم ١٤٥٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/١٢٠ - ١٢١)، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/١٦٣) وقال عنه العراقي: أخرجه الطبراني في الدعاء وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد حسن.

وعن محمد بن كعب القرظي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: لأهل النار خمس دعوات، يكلمون في أربع ويسكت عنهم في الخامسة فلا يكلمون، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِدُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]. فيرد عليهم: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر: ١٢]. ثم يقولون ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. فيرد عليهم ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَكِنَّا لَكِنَّا حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [الآيتين [السجدة: ١٣]. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ مِّنْهُ دَعْوَتَكَ وَتَوَسَّعَ الرُّسُلُ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. فيرد عليهم: ﴿أُولَٰئِكَ نَعْمِزُكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧]. فيرد عليهم: ﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨-١١٠]. فلا يتكلمون بعد ذلك، خرجه آدم ابن أبي إياس، وابن أبي حاتم عن عبدالله بن عمرو قال: نادى أهل النار ﴿يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] قال: فخلى عنهم أربعين عاماً ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]. فخلى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم: ﴿أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. قال: فأطبقت النار عليهم ويشوا من كل خير، ولم ينطق القوم بعد تلك الكلمة، وإن كان إلا الزفير والشهيق.

وفي رواية عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن مالكا لم يجبههم عند قولهم ليقض علينا ربك ألف عام.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ليس بعد هذه الآية خروج: ﴿أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾.

وقال بعض السلف: إذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً غير وجوههم  
وألوانهم، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول: يا رب، فيقول من  
عرف أحداً فليخرجه، فيجيء شبيه الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف  
أحداً، فيناديه الرجل فيقول: يا فلان أنا فلان، فيقول: ما أعرفك، قال:  
فعند ذلك يقولون في النار: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾  
[المؤمنون: ١٠٧] فيقول عند ذلك: ﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾  
[المؤمنون: ١٠٨] فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم أحد.

\* \* \*

## فصل

ثم إن أهل النار لا يزالون في رجاء الفرج، والخروج من الحرج، إلى أن يذبح الموت، فعند ذلك ينقطع الرجاء، وتعظم عليهم الحسرة، فلا يرجون مخرجاً، وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، ويقال: يا أهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا هو الموت، فيؤمر به فيذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> [مريم: ٣٩]، وخرجه الترمذي وزاد: «فلولا أن الله قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لماتوا ترحاً»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية في الصحيحين: «يزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم»<sup>(٣)</sup>.

واعلم أن بكاء أهل النار لا يجدي لهم فائدة، بل الحسرة عليهم والكآبة لم تنزل زائدة، نعم ربما نفع البكاء بعض عصاة الموحدين دون أهل الشرك الملحدين، ففي الترمذي بإسناد ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

(١) رواه البخاري رقم ٤٧٣٠ بزيادة «وكلهم قد رآه» بعد قولهم «نعم هذا الموت» في

الموضعين، ورواه مسلم رقم ٢٨٤٩ واللفظ له.

(٢) الترمذي (٣١٥/٥) رقم ٣١٥٦ وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) البخاري رقم ٦٥٤٨، ومسلم رقم ٢٨٥٠.

رسول الله ﷺ قال: «إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما، فقال الرب عز وجل: أخرجوهما، فلما خرجا قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالوا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار، قال: فينطلقان، فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها عليه برداً وسلاماً، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه، فيقول الرب عز وجل: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعدما أخرجتني، فيقول الله عز وجل: لك رجاؤك، فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار أربعة، فيعرضون على الله عز وجل، فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب إذ أخرجتني منها فلا تُعديني (فيها)<sup>(٢)</sup> فينجيه الله منها»<sup>(٣)</sup>.

وعند ابن حبان في صحيحه: «فيلتفت فيقول: يا رب ما كان هذا رجائي فيك، فيقول: وما كان رجاؤك في؟ قال: كان رجائي إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها، فيرحمه الله فيدخله الجنة»<sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

(١) رواه الترمذي (٧١٤/٤) رقم ٢٥٩٩ وقال: إسناده هذا الحديث ضعيف، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٦٨) رقم ٥٩.

(٢) ليست بالأصل.

(٣) رواه مسلم رقم ١٩٢.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٠٠/٢) رقم ٦٣٢.

## فصل

في نداء أهل النار أهل الجنة وأهل الجنة أهل النار وكلام بعضهم بعضاً، وهذا من جملة أنواع عذاب أهل النار، قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ . الآيات إلى قوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤-٥٠]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينادي الرجل أخاه: إني قد احترقت فأفرض علي من الماء، فيقال: أجه، فيقول: «إن الله حرّمها على الكافرين» وقال أبو بكر بن عبد الله: ينادون يعني- أهل النار- أهل الجنة: أن يا أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله، ثم يقال: أجيئوهم وقد قطع الرحم والرحمة، فيقول أهل الجنة: يا أهل النار عليكم لعنة الله، يا أهل النار عليكم غضب الله، يا أهل النار لا ليحكم ولا سعديكم ماذا تقولون؟ فيقولون: ألم نكن في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم؟ فيقولون: بلى، فيقولون: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، قالوا: إن الله حرّمها على الكافرين.

وأخرج ابن أبي الدنيا والضياء كلاهما في «صفة النار» عن زيد بن ربيع رفعه «أن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زماناً، ثم بكوا القيح زماناً، فيقول لهم الخزنة: يا معاشر الأشقياء تركتم البكاء في الدنيا هل تجدونه اليوم من تسغيثون به؟ فيرفعون أصواتهم يا أهل الجنة يا معاشر الآباء والأمهات والأولاد، خرجنا من القبور عطاشاً، وكنا طول الموقف عطاشاً، ونحن اليوم عطاشاً، فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله،

فيدعون أربعين سنة، ثم يجيبهم: إنكم ماكثون، فيياسون من كل خير<sup>(١)</sup>.  
وتقدم الكلام على قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾  
[الصفات: ٢٧]. والله تعالى الموفق.

\* \* \*

(١) رواه ابن أبي الدنيا في صفة النار (١٣١) رقم ٢١١ وذكره ابن كثير في التفسير (٤٩٦/٢) وسكت عنه، والسيوطي في الدر المنثور (٢٥٧/٤).

## الباب التاسع

## في ذكر خزنة جهنم وزبانياتها

قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَذَابَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآيات [المدثر: ٣٠-٣١]، قال أبو العوام رحمه الله تعالى في قوله: تسعة عشر ما تقولون تسعة عشر ملكاً؟ فقيل: بل تسعة عشر ألفاً، قال: ومن أين علم ذلك؟ قيل لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَذَابَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾. قال أبو العوام: صدقتم، ويبد كل واحد منهم مرزبة من حديد، لها شعبتان، فيضرب بها الضربة يهوي بها سبعين خريفاً، بين منكبي كل ملك منهم مسيرة كذا وكذا.

قال الحافظ ابن رجب: فعلى قول أبي العوام ومن وافقه: الفتنة للكفار جاءت من قبل العدد الموهوم للقلعة، حيث لم يذكر المميز له ويشبه هذا ما روى سعيد بن بشير عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَلْمُوكُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي من كثرتهم.

وروي عن عكرمة أنه قال: إن أول من وصل من أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربعمائة ألف من خزنة جهنم، مسودة وجوههم، كالحة أنيابهم، قد نزع الله الرحمة من قلوبهم، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة، لو طار الطائر من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون على الباب التسعة عشر، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً، ثم يهونون من باب إلى باب خمسمائة سنة، حتى يأتوا الباب، ثم يجدون على كل باب منها من الخزنة مثل ما وجدوا على الباب الأول، حتى ينتهوا إلى آخرها، خرجه ابن أبي حاتم وفيه الحكم بن أبان فيه ضعف.

قال الحافظ: وهذا يدل على أن كل باب من أبوابها عليه تسعة عشر خازناً، هم رؤساء الخزنة، وتحت يد كل واحد أربعمئة ألف، قال: والمشهور بين السلف والخلف أن الفتنة إنما جاءت من حيث عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقلتهم، وظنوا أنهم يمكنهم مدافعتهم وممانعتهم، ولم يعلموا أن كل واحد من الملائكة لا يمكن البشر كلهم مقاومته، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

قال في البغوي: على النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خزنتها، مالك ومعه ثمانية عشر، جاء في الأثر أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكب أحدهم مسيرة سنة، نزع منهم الرحمة، يرفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنم.

قال عمرو ابن دينار: إن واحداً منهم يدفع بالدفع الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. قال في البغوي أيضاً: وقال ابن عباس وقتادة والضحاك ونقله ابن رجب الحافظ في «التخويف»: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر أتم الدهم - أي الشجعان - أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم؟ قال أبو الأشد ابن كلدان بن خلف الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين، روي أنه قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي ندخل الجنة، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ لا رجالاً آدميين، فمن ذا يغلب الملائكة؟

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ أي عددهم في القلة ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي

ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر ﴿وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقاً لمحمد ﷺ، إذ وجدوا ما قال موافقاً لما في كتبهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ لا يشك ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ في عددهم: ﴿وَلِقَوْلِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ﴾ شك ونفاق ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ مشركوا مكة ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي شيء أراد الله بهذا الحديث، وأراد بالمثل الحديث نفسه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. قال مقاتل: هذا جواب أبي جهل حين قال: أما لمحمد ﷺ أعوان إلا تسعة عشر؟ قال عطاء: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتهم إلا الله، والمعنى أن تسعة عشرهم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلا الله عز وجل. انتهى كلام البغوي.

وفي حديث عن أنس رضي الله عنه يرفعه: «والذي نفسي بيده خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام، فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم، حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصي والأقدام»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أن خزنة جهنم تسعة عشر، ما بين منكبي أحدهم مسيرة خريف، ليس في قلوبهم رحمة، إنما خلقوا للعذاب، يضرب الملك منهم الرجل فيتركه طحينا من لدن قرنة إلى قدمه. فنسأل الله سبحانه التوفيق والهداية والتحقيق والعناية وأن يعافيني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة، بمنه وكرمه وجوده وحلمه.



(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/٧٠٥) وعزاه إلى ابن مردويه والضياء المقدسي في صفة النار، وذكره كذلك الألوسي في روح المعاني (٢٧/١١٥).

## الباب العاشر

في ذكر حال الموحدين في النار، وخروجهم منها

برحمة أرحم الراحمين وشفاعة الشافعين

وفي أكثر أهل النار وأصنافهم

أما حال الموحدين في النار ودخولهم دار البوار، فقد تقدم في الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة أن الموحدين يمرون على الصراط فينجو منهم من ينجو ويقع من يقع، فإذا دخل أهل الجنة الجنة فقدوا من وقع في النار من إخوانهم، فابتهلوا يسألون الحق جل جلاله ويتشفعون إليه فيهم ويحاجون عنهم، واعلم أن ذلك لأمر أراه الله سبحانه وارتضاه، وإلا ف ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إذا علمت ذلك فأخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حديث تقدم في المحشر وفيه: « . . . حتى إذا خلس المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله تعالى في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون ويصلون معنا ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتَحَرَّمْ صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً، قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم

يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً، وكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج بها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا - أي صاروا - حمماً - أي فحماً - فيلقينهم في نهر في أفواه الجنة، يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل»<sup>(١)</sup> الحديث. قال الحافظ ابن رجب: والمراد بقوله ﷺ «لم يعملوا خيراً قط» من أعمال الجوارح وإن كان أصل التوحيد معهم، ولهذا جاء في حديث الذي «أمر أهله أن يحرقوه بعد موته بالنار أنه لم يعمل خيراً قط غير التوحيد»<sup>(٢)</sup>، خرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وعن ابن مسعود موقوفاً، ويشهد له ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً فأقول: «يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي، لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله»<sup>(٣)</sup> متفق عليه، وعند مسلم فيقول: «ليس ذلك لك أو ليس ذلك إليك»<sup>(٤)</sup>.

وهذا يدل على أن الذين يخرجهم الله سبحانه برحمته من غير شفاعته مخلوق هم أهل كلمة التوحيد، الذين لم يعملوا معها خيراً قط بجوارحهم.

(١) رواه البخاري رقم ٧٤٣٩، ومسلم رقم ١٨٣.  
(٢) رواه أحمد (٢/٢٠٤) رقم ٨٠٢٧ من حديث أبي هريرة مرفوعاً، و(١/٣٩٨) رقم ٣٧٨٥ من حديث ابن مسعود موقوفاً، وله شواهد في الصحيحين.  
(٣) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٧٥١٠، ومسلم رقم ١٩٣.  
(٤) مسلم الحديث السابق.

وخرج الحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه :  
«إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَفْقَدُ الْمُؤْمِنُونَ رَجَالًا فِي  
الدُّنْيَا كَانُوا يَصِلُونَ بِصَلَاتِهِمْ، وَيَزْكُونَ زَكَاتِهِمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ،  
وَيَحْجُونَ حَجَّهُمْ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ، فَيَقُولُونَ: أَيُّ رَبِّ عِبَادٍ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا  
فِي الدُّنْيَا يَصِلُونَ بِصَلَاتِنَا، وَيَزْكُونَ زَكَاتِنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحْجُونَ  
حَجَّنَا، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا لَا نَرَاهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَذْهَبُوا إِلَى النَّارِ فَمَنْ  
وَجَدْتُمُوهُ فِيهَا فَأَخْرِجُوهُ، قَالَ: فَيَخْرِجُونَهُمْ وَقَدْ أَخَذْتَهُمُ النَّارَ عَلَى قَدَرِ  
أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذْتَهُ إِلَى قَدَمِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذْتَهُ إِلَى رِكْبَتِيهِ، وَمِنْهُمْ  
مَنْ أَخَذْتَهُ إِلَى أُزْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذْتَهُ إِلَى ثَدْيِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذْتَهُ إِلَى عُنُقِهِ  
وَلَمْ تَغْشِ الْوَجْهَ، قَالَ فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ، فَيَطْرَحُونَ فِي مَاءِ الْحَيَاةِ، قِيلَ: يَا  
نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا مَاءُ الْحَيَاةِ؟ قَالَ: غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبَتُونَ فِيهَا كَمَا تَنْبَتُ  
الزَّرْعَةُ فِي غَثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي كُلِّ مَنْ  
كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ  
سَبْحَانَهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا، فَمَا يَتْرِكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ  
الْإِيمَانِ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا»<sup>(١)</sup>.

وخرجاه في الصحيحين عنه مرفوعاً بلفظ: «يدخل أهل الجنة الجنة،  
وأهل النار النار، ثم يقول الله عز وجل: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة  
من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحيا أو  
الحياة بالشك من مالك، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر  
أنها تخرج صفراء ملتوية»<sup>(٢)</sup>، هذا لفظ البخاري، وعند مسلم «فيخرجون

(١) رواه الحاكم (٦٢٨/٤) رقم ٨٧٣٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم  
يخرجاه، وأحمد (١١/٣) رقم ١١٩٦.

(٢) رواه البخاري رقم ٢٢.

منها حمماً قد امتحشوا»<sup>(١)</sup>، قال في النهاية: أي احترقوا، والمحش احترق الجلد وظهور العظم، ويروي امتحشوا لما لم يسم فاعله، وقد محشته النار تمحشه محشاً. انتهى.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة..» الحديث وفيه: «حتى فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن دخل النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون فيها كما تنب الحبة- أي بكسر الحاء بزر البقول والرياحين، وقيل غير ذلك، وأما ما تفتح حاؤه فهو ما يبذر، ذكره الحافظ المنذري- في حميل السيل»<sup>(٢)</sup> أي بفتح الحاء المهملة وكسر الميم هو الزبد وما يلقيه على شاطئه، ومثله الغشاء، قال في النهاية: الغشاء بالضم والمد ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره، قال: وفي كتاب مسلم: «كما تنبت الغشاء»<sup>(٣)</sup> يريد ما احتمله السيل من البزورات، ومنه حديث الحسن: هذا الغشاء الذي كنا نحدث عنه، يريد أراذل الناس وسقطتهم.

وخرج مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، أو قال بخطاياهم فأماتهم الله إمامته، حتى إذا كانوا فحمماً أذن في

(١) مسلم رقم ١٨٤ .

(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٧٣، ومسلم رقم ١٨٢ .

(٣) رواه مسلم رقم ١٨٤ .

الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر- أي جماعات في تفرقة، واحدها ضبارة مثل عمارة وعمائر، وكل مجتمع ضبارة، وفي رواية أخرى «فيخرجون ضبارات ضبارات» هو جمع صحة للضبارة، والأول جمع تكسير ومنه الحديث: أتته الملائكة بحريرة فيها مسك ومن ضبائر الريحان قاله في النهاية- فَبُثُوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل<sup>(١)</sup>. وظاهر هذا- كما قال الحافظ ابن رجب- يدل على أن هؤلاء يموتون حقيقة، وتفارق أرواحهم أجسادهم ويدل له ما خرجه البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إن أدنى أهل الجنة حظاً أو نصيباً قوم يخرجهم الله تعالى من النار، فيرتاح لهم الرب تبارك وتعالى، وذلك أنهم كانوا لا يشركون بالله شيئاً، فينبذون بالمراء، فينبتون كما ينبت البقل، حتى إذا دخلت الأرواح أجسادهم فيقولون: ربنا كما أخرجتنا من النار ورجعت الأرواح إلى أجسادنا فاصرف وجوهنا عن النار، فيصرف وجوههم عن النار»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام القرطبي في (تذكرته) في قوله ﷺ: «فأماتهم الله إمامة» هذه المومة للعصاة مومة حقيقية، لأنه أكدها بالمصدر، وذلك تكريماً لهم، حتى لا يحسوا ألم العذاب، قال: فإن قال قائل: فأى فائدة حينئذ في إدخالهم النار وهم لا يحسون بالعذاب؟ فالجواب يجوز أن يدخلهم تأديباً لهم وإن لم يذوقوا فيها العذاب، ويكون صرف نعيم الجنة مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين في السجن، فإن السجن عقوبة لهم وإن لم يكن معه غل ولا قيد، قال: ويحتمل أنهم يعذبون أولاً وبعد ذلك يموتون،

(١) رواه مسلم رقم ١٨٥ .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥١/٦) وعزاه لابن مردويه، والهيشمي (٧٤٠/١٠) رقم

١٨٦٦٧ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

ويختلف حالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم، ويجوز أن يكونوا متألّمين حالة موتهم، غير أن آلامهم أخف من آلام الكفار، لأن آلام الكفار المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء، دليله قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]. فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى.

وقال في «مطامح الأفهام»: يجوز أن يريد بالإماتة المذكورة أنه أنامهم: وقد سمى الله سبحانه النوم وفاة، لأن فيه نوعاً من إعدام الحس، وفي الحديث المرفوع: «إذا أدخل الله الموحدين النار أماتهم فيها، فإذا أرادوا أن يخرجوا منها أمسهم العذاب تلك الساعة»<sup>(١)</sup>. وأنت خبير بأن كلام القرطبي مخالف لكلام صاحب «مطامح الأفهام»، وأن الإماتة حقيقية على الصواب، سيما بما صرح به في الحديث الذي قدمناه من رجوع الروح إلى الأجساد.

واعلم أن كلام الإمام القرطبي فيه الغث والسمين، والحاصل الذي نعتمده مما ذكرنا أن الإماتة حقيقية، وأنا نقول: قد عذبوا عذاباً أليماً قبل الإماتة حتى ماتوا، وهل ماتوا إلا من شدة ما ذاقوا من العذاب والآلام والأوصاب، ولله في ذلك حِكْمٌ آخر يدق فهمها عن كثير من الناس، ولطائف لا يدركها عقل ولا قياس، فنسأله سبحانه التوفيق والهداية لأقوم طريق.



(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١/ ٤٦) رقم ٢٤٠ وعزاه إلى مسند الفردوس، والألباني في السلسلة الضعيفة رقم ٢٠٢٨ وقال: موضوع.

## فصل

وروى مسكين أبو فاطمة قال: حدثني اليمان بن يزيد عن محمد بن حمير عن محمد بن علي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم كلها إذا ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل النار منهم في الباب الأول من أبواب جهنم، لا تزرق أعينهم، ولا تسود وجوههم، ولا يقرون بالشياطين، ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم، ولا يلبسون القطران في النار، حرم الله تعالى أجسامهم على الخلود من أجل التوحيد، وصورهم على النار من أجل السجود، منهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه النار إلى حُجْرَتِهِ، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثاً بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفتى، فإذا أراد الله تعالى أن يخرجوا منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمتمم بالله وكتبه ورسله، فنحن اليوم وأنتم في النار سواء، فيغضب الله تعالى لهم غضباً لم يغضبه لشيء مما مضى، فيخرجهم إلى عين في الجنة وهو قوله عز وجل: ﴿رُبِمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]»<sup>(١)</sup>. خرجه ابن أبي حاتم وغيره، وخرجه الإسماعيلي مطولاً.

(١) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (١١٨/٩) وقال: قال الدارقطني: لا أعرف محمد إلا من هذا الحديث وهو منكر الحديث، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٤١/٢) وقال: هذا حديث لا يصح وفيه جماعة مجاهيل، وانظر حكم المصنف عليه.

وقال الدارقطني في كتاب المختلف هو حديث منكر، واليمان مجهول، ومسكين ضعيف، ومحمد بن حمير لا أعرفه إلا في هذا الحديث، ذكره الحافظ ابن رجب.

وأخرج أبو نعيم والضياء عن كعب قال: يقول الله للزبانية: انطلقوا بالمصرين بالكبائر من أمة محمد إلى النار، فتأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء فتنتقل بهم إلى النار، وما من عبد يساق إلى النار من غير هذه الأمة إلا مُسَوِّد وجهه، وقد وضعت الأنكال في قدميه، والأغلال في عنقه، إلا من هذه الأمة، فإنهم يساقون بألوانهم، فإذا وردوا على مالك قال لهم: من أي أمة أنتم فما وردت عليّ أمة أحسن وجوها منكم؟ فيقولون: نحن من أمة القرآن، فينادي: يا مالك لا تسود وجوههم، فقد كانوا يسجدون في دار الدنيا، يا مالك لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة، يا مالك لا تقيدهم بالأنكال فقد طافوا حول البيت الحرام، يا مالك لا تلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها، فمنهم من تأخذه إلى كعبه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى سرتة، ومنهم من تأخذه إلى صدره.

وأخرج مسلم والحاكم عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: «إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته»<sup>(١)</sup>.

وخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن عبدا في

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٤٥، والحاكم (٦٢٩/٤) رقم ٨٧٤٠ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

جهنم لينادي ألف سنة: يا حنان يا منان، فيقول الله عز وجل لجبريل عليه السلام: اذهب فأتني بعبدى هذا، فينطلق جبريل فيجد أهل النار منكبين، فيرجع إلى الله عز وجل فيخبره، فيقول اتئني به، فإنه في مكان كذا وكذا، فيجىء به فيقفه على ربه فيقول: يا عبدى كيف وجدت مكانك؟ فيقول: يا رب شر مكان وشر مقيل، فيقول: ردوا عبدى، فيقول: يا رب ما كنت أرجو إذا أخرجتني منها أن تعيدني، فيقول (دعوا) <sup>(١)</sup> «عبدى» <sup>(٢)</sup>. وفيه أبو ظلال واسمه هلال قال الحافظ ابن رجب ضعفه.

قلت: أورده الإمام ابن الجوزي في (الموضوعات) وهو تساهل منه، ومن ثم تعقبه الجلال السيوطي والحافظ ابن حجر العسقلاني في «القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد»، وقد أخرجه الإمام أحمد وابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وقال الحافظ ابن حجر في «القول المسدد» أبو ظلال علق له البخاري حديثاً وقال فيه: مقارب الحديث، وحسن له الترمذي بعض حديثه، وله شاهد من حديث الحسن أخرجه الآجري في آخر الإفك، وبما ذكرنا علم أن ذكر الإمام ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات ليس بصواب، والله أعلم.

وقوله: «ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني، فيقول: ردوا عبدى»: أي من أخذكم له إلى النار إلى الجنة، أي ردوه إلى الجنة، لأنه ترجاني فظن بي خيراً، وأنا عند ظن عبدى بي.

(١) في الأصل (ردوا) والمثبت لفظ الحديث.

(٢) رواه أحمد (٢٣٠/٣) رقم ١٣٤٣٥، وأبو يعلى في مسنده (٢١٤/٧) رقم ٤٢١٠، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله/١٠٤) رقم ١١٠، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٢/١) رقم ٣٢٠، وذكره الهيثمي (٦٩٩/١٠) رقم ١٨٥٥٩ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح غير أبي ظلال وضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان.

وقال الحافظ ابن رجب في «التخويف»: روينا من طريق محمد بن معاوية عن الحسن قال: أهل التوحيد في النار لا يقيدون، فتقول الخزنة بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء يقيدون وهؤلاء لا يقيدون؟ فناداهم مناد: إن هؤلاء كانوا يمشون في ظلام الليل إلى المساجد.

وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يخرج رجل من النار بعد ألف سنة. قال الحسن: ليتني ذلك الرجل. وقال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: لئن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه، ولئن طالبني ببخلي لأطالبنه بجوده، ولئن أدخلني النار لأخبرن أهل النار أنني كنت أحبه، ثم أنشد يقول:

ما أطيّب وصله وما أعذبه      ما أثقل هجره وما أصعبه  
في السخط وفي الرضى فما أهيبه      القلب يحبه وإن عذبه

\* \* \*

## فصل

## في حسن الظن بالله تعالى

روى ابن أبي الدنيا عن علي بن بكار رحمه الله تعالى أنه سئل عن حسن الظن بالله تعالى قال: أن لا يجمعك والفجار دار واحدة. ودعا رجل بعرفات فقال: لا تعذبنا بالنار بعد أن أسكنت توحيدك قلوبنا ثم بكى، وقال: ما أخالك تفعل بعفوك، ثم بكى وقال: ولئن عذبتنا بذنوبنا (لا تجمعن)<sup>(١)</sup> بيننا وبين أقوام طالما عاديناهم فيك.

وقال إبراهيم عليه السلام: اللهم لا تشمت من كان يشرك بك بمن كان لا يشرك بك.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن [أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه] أنه<sup>(٢)</sup> كان إذا تلا هذه الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] قال: ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليعثن الله من يموت، أتراك تجمع بي القسامين في دار واحدة، ثم بكى أبو حفص الصيرفي بكاء شديداً.

وأخرج أبو نعيم عن عون بن عبد الله أنه قال: ما كان الله لينقذنا من شيء ثم يعيدنا فيه ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وما كان الله ليجمع أهل القسامين في النار ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ

(١) في الأصل (لتجمعن) والمثبت هو الموافق للمعنى والسياق.

(٢) هكذا بالأصل، والذي رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٢٧) رقم ١٥ حدثني أبو حفص الصيرفي بلغني أن عمر بن ذر رضي الله عنه كان إذا... إلخ.

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴿ [النحل: ٣٨]. ونحن نقسم بالله جهد  
أيماننا ليعثن الله من يموت .

وقال ابن السماك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لما طلبني هارون الرشيد قال : تكلم وادع ،  
فدعوت بدعاء فأعجبه ، وقلت في دعائي : اللهم إنك قلت : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ  
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ . اللهم إنا نقسم بالله جهد أيماننا  
لتبعثن من يموت ، أفتراك يا رب تجمع بين أهل الْقَسَمِينَ في مكان واحد؟  
وهارون الرشيد يبكي .

\* \* \*

## فصل

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وأخرج الشيخان أنه عليه السلام قال مخبراً عن ذي العزة والجلال: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه، إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث: «إن لله مئة رحمة، كل رحمة منها تملأ طباق ما بين السماء والأرض، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم، فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الطير والوحش على أولادها، وأخر تسعة وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>، رواه مسلم وغيره.

وفي الحديث: «حسن الظن من العبادة»<sup>(٣)</sup>.

- (١) رواه البخاري رقم ٧٤٠٥ وفيه «فإن ذكرني» بعد «ذكرني» الأولى، ومسلم رقم ٢٦٧٥ وفيه «حين يذكرني» بدل «إذا ذكرني». من حديث أبي هريرة.
- (٢) روى مسلم رقم ٢٧٥٢ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله مئة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فيها يتعاطفون وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة» وروى نحوه رقم ٢٧٥٣، وابن حبان في صحيحه (١٤/١٤) رقم ٦١٤٦.
- (٣) رواه أبو داود (٧١٦/٢) رقم ٤٩٩٣ بلفظ: «حسن الظن من حسن العبادة» وأحمد (٢/٢٩٧) رقم ٧٩٤٣، و(٣٠٤) رقم ٨٠٢٣، وابن حبان في صحيحه (٣٩٩/٢) رقم ٦٣١ بلفظ «في» بدل «من»، والحاكم بلفظ «إن حسن الظن بالله تعالى من عبادة الله» (٤/٢٦٩) رقم ٧٦٠٤ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، كلهم من حديث أبي هريرة.

وقال ﷺ قبل موته بثلاثة أيام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله»<sup>(١)</sup>، وتقدم، وتقدم أيضاً قوله ﷺ: «إن شئتم أنباتكم ما أول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين؟ قالوا نعم، قال: إن الله يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا، فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك، فيقول: قد وجبت لكم مغفرتي ورحمتي»<sup>(٢)</sup>.

وخرج البيهقي «أن الله عز وجل أمر بعبد إلى النار، فلما وقف على شفتها التفت، فقال: أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسن، فقال الله عز وجل: ردوه أنا عند ظن عبدي بي»<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيح «أن رسول الله ﷺ سأل الله تعالى أمته وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له سنرضيك في أمتك ولا نسوءك»<sup>(٤)</sup>.

وقال ﷺ «إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق فيبقى رجلاً، فيؤمر بهما إلى النار، فيلتفت أحدهما، فيقول الجبار تبارك اسمه:

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٧٧ بلفظ «يحسن»، وأحمد (٣/٣٢٥) رقم ١٤٥٢١ بلفظ «بربه» من حديث جابر.

(٢) رواه أحمد (٥/٢٣٨) رقم ٢٢١٢٥، والطبراني في الكبير (٢٠/١٢٥) رقم ٢٥١، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٢٣) رقم ١٠ عن معاذ، وذكره الهيثمي (٣/٦٢) رقم ٣٩٠٣ بأكثر من طريق حسن أحدهما، في (١٠/٦٤٩) رقم ١٨٤٣٩ وقال: رواه الطبراني بسنتين أحدهما حسن.

(٣) جزء من حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٩) رقم ١٠١٥، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٣٦) رقم ٥١٣٢ وقال: رواه البيهقي عن رجل من ولد عبادة ابن الصامت لم يسمه عن أبي هريرة، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٢٣٣) عند إيراده لحديث رقم ٦١٣، وذكر له شواهد في الصحيح.

(٤) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٠٢ عن عبد الله بن عمرو، وابن حبان في صحيحه (١٦/٢١٦) رقم ٧٢٣٤، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٣٧٣) رقم ١١٢٦٩.

ردوه، فقال له: لم تلتفت؟ فقال: كنت أرجو أن تدخلني الجنة، قال: [فيؤمر به إلى الجنة]<sup>(١)</sup> فيقول: لقد أعطاني ربي حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك مما عندي شيئاً»، خرج ابن المبارك عن فضالة بن عبيد وعبادة ابن الصامت قالا: «وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يرى السرور في وجهه»<sup>(٢)</sup>.

وروي عن مسلم بن يسار نحوه لكنه لم يرفعه كذا رأيت في الأصل الذي نقلت منه، وفيه طي إن لم يكن سقط من قلم النساخ، وفي ذكرني أني رأيت في بعض الكتب أنه لما التفت وأمر برده وقال له ما قال. قال له: اذهبوا به إلى الجنة قال: وما أصنع وقد أخذ الناس منازلهم، فأعطاه الله ما أعطاه على ما تقدم في صفة الجنة، وأن الله أمر الملائكة برد الذي بادر إلى النار، فقال له تعالى: علام هذا البدار؟ أتدري أين أنت ذاهب؟ قال: نعم إلى النار وبادرت امتثالاً لأمرك يا رب، فغفر له سبحانه أو كلام هذا معناه<sup>(٣)</sup>. فنسأله سبحانه العفو والعافية وأن يعاملنا بالطفاه وكرمه وحلمه.

وفي الحديث أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل وأثبتناه من لفظ الحديث ليستقيم المعنى.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١٢٢) رقم ٤٠٩، وأحمد (٣٢٩/٥) رقم ٢٢٨٤٥، وفي

(٢١/٦) رقم ٢٤٠١٠، وذكره الهيثمي (٦٩٨/١٠) رقم ١٨٥٥٧ وقال: رواه أحمد

ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) لعله يشير إلى ما أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٢٦/٥) وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله

(٦٩) رقم ٦٠ عن بلال بن سعد موقوفاً «يؤمر بإخراج رجلين من النار، فإذا خرجا ووقفوا

قال الله لهما: كيف وجدتما مقيكما وسوء مصيركما؟ فيقولون: شر مقيلا وأسوأ مصير

صار إليه العباد، فيقول لهما: بما قدمت أيديكما وما أنا ظلام للعبد، قال: فيأمر

بصرفهما إلى النار، فأما أحدهما فيعدو في أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها، وأما الآخر

فيمضي وهو يتلفت إلى آخره.

مغفرة ما خطرت على قلب بشر، والذي نفس محمد بيده ليغفرن الله مغفرة يتناول لها إبليس رجاء أن تصيبه»<sup>(١)</sup>.

وقال إبراهيم بن أدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خلا لي الطواف ليلة فصرت أطوف بالبيت وأقول: اللهم اعصمني، فهتف بي هاتف فقال: يا إبراهيم كلكم تسألون الله العصمة، فإذا عصمكم فعلى من يتكرم.

وقال يعقوب القاري: رأيت في المنام أويس القرني فقلت: أوصني قال: ابتغ رحمة الله عند محنته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك في خلال ذلك.

وقال مالك بن دينار: رأيت مسلم بن يسار بعد موته في المنام فقلت له: ما لقيت بعد الموت؟ قال: لقيت - والله - أهوالاً عظيماً شداداً قلت: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه أن يكون من الكريم إلا الكرم، قبل منا الحسنات، وعفى لنا عن السيئات، وضمن عنا التبعات، ثم شهق ابن دينار شهقة وسقط مغشياً عليه، ثم مات بعد أيام، وكانوا يرون أن قلبه انصدع.

ونظر أعرابي إلى الناس وهم وقوف بعرفة المشرفة فأنشد يقول:

برزوا لوجهك يا كريم بدعوة ألقاها شتى بمعنى مفرد  
فاسمح بمغفرة تكون لجمعنا زادا إليك غداة يوم المشهد  
تنبيه: وثم نكتة لا بد من التنبيه عليها وهي: أن كثيراً من الجهال اعتمدوا

(١) جزء من حديث رواه الطبراني في الأوسط (٢٥٠/٥) رقم ٥٢٢٧ من حديث حذيفة وفي الكبير آخره فقط (١٦٨/٣) رقم ٣٠٢٢، وذكره الهيثمي (٣٦٤/١٠) رقم ١٧٦٣٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفي إسناد الكبير سعد بن طالب أبو غيلان وثقه أبو زرعة وابن حبان وفيه ضعف وبقية رجال الكبير ثقات.

علي سعة رحمة الله الكبير المتعال، وعطلوا أمره ونهيه، وتركوا الأعمال، وارتكبوا المحارم، وقالوا: الله هو الراحم، ونسوا المساكين قوله: ﴿أَنْتَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٩٨]. وأنه ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسَهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧]. و﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «الداء والدواء»: من اعتمد على العفو مع الإصرار فهو كالمعاندين، قال معروف: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق، وقال بعض العلماء: من قطع عضوا منك في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا.

وكثير من الناس لم يفرقوا بين الرجاء والتمني، والفرق أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز، والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]. فطوى سبحانه بساط الرجاء إلا عن هؤلاء، وقال: المغترون الذين ضيعوا الأمر وارتكبوا نواهيهِ واتبعوا ما أسخطه وتجنبوا ما يرضيه، أولئك يرجون رحمته؟ وليس هذا ببدع من غرور النفس والشيطان لهم.

قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح الكبرى»: الرجاء لعبد قد امتلأ قلبه من الإيمان بالله واليوم الآخر، فمثل بين عينيه ما وعده الله من كرامته وجنته، فامتد القلب مائلاً إلى ذلك شوقاً إليه، وحرصاً عليه، فهو شبيه بالماد عنقه إلى مطلوب قد صار نصب عينيه، قال وعلامة الرجاء الصحيح أن الراجي لخوف فوت الجنة وذهاب حظه منها بترك ما يخاف أن يحول بينه وبين دخولها، وأما الأماني فإنها رؤوس أموال المفاليس، أخرجوها في

قالب الرجاء، وتلك أمانيتهم، وهي تصدر من قلب تزاحمت عليه وساوس النفس، فأظلم من دخانها، فهو يستعمل قلبه في شهواتها، وكلما ما<sup>(١)</sup> فعل ذلك منته حسن العاقبة والنجاة، وأحالته على العفو والمغفرة والفضل، وأن الكريم لا يستوفي حقه، ولا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، وتسمى ذلك رجاء، وإنما هو وسواس وأماني باطلة، تقذف بها النفس إلى القلب الجاهل فيستروح إليها، قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

إذا قالت لك النفس: أنا في مقام الرجاء فطالبها بالبرهان، وقل هذا أمنية فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، فالكيس يعمل أعمال البر على الطمع والرجاء، والأحمق العاجز يعطل أعمال البر ويتكل على الأماني التي يسميها رجاء.

والحاصل: أن حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساق إليه فهو صحيح ونافع، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي والانكباب على الضلالة، فهو غرور ضار مهلك لصاحبه وقاطع، وحسن الظن هو الرجاء، فمن كان رجاءه حادياً له على الطاعة زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة وتفريطاً فهو المغرور، ذكره في «الداء والدواء» وقال: لو أن رجلاً له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يبذر ما يحريثها، وحسن ظنه بأنه يأتي من مغلها ما يأتي ممن حرث وبذر وسقى وتعاهد الأرض، لعدده الناس من أسفه السفهاء، وكذلك لو حسن ظنه وقوي رجاءه بأنه يجيئه ولد من غير جماع، أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب للعلم وحرص تام

(١) في حاشية الأصل/ تأمل هنا تكرار (ما) مرتين.

عليه وأمثال ذلك، فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلا والنعيم المقيم، من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وبالله التوفيق.

ثم قال: ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه أموراً أحدها: محبة ما يرجوه، الثاني: خوفه من فواته، الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأمانى، والرجاء شيء والأمانى شيء، فكل راج خائف، والساثر على الطريق إذا خاف أسرع مخافة الفوات.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»<sup>(١)</sup>.

وهو سبحانه إنما جعل الرجاء لأهل الأعمال، فعلم أن الرجاء والخوف إنما ينفع إذا حث صاحبه على طاعة مولاه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَتَّبِعُونَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ لَهُمْ لَهَا سَعْفُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقلت: «أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ فقال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ألا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٦٣٣/٤) رقم ٢٤٥٠ وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم (٤/

٣٤٣) رقم ٧٨٥١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٧/٥) رقم ٣١٧٥، والحاكم (٤٢٧/٢) رقم ٣٤٨٦ باختلاف يسير

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ولا جرم أن من تأمل أحوال السلف الصالح وتتبّع سيرهم علم أن أكثر الناس أعمالاً وقرباً منه سبحانه أكثرهم خوفاً، وهذا لا يناعز فيه إلا مكابر، فقد أخبر النبي ﷺ أنه أشد الناس خوفاً<sup>(١)</sup>.

وهذا الصديق رضي الله عنه يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن، ذكره عنه الإمام أحمد، وذكر عنه أيضاً أنه كان يمسك لسانه ويقول: هذا أوردني الموارد.

ولعمري إنه أوردته الموارد المحمودة والمواطن المشهودة، فيا مغترا ألا تتأمل؟ من قطع له بالجنة، ومدحه في الكتاب العزيز من الجبار، حيث يقول: ﴿ثَانِفًا أَتَيْنَ إِذْ هُمْ فِي الْفَكَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]. ومع هذا كان يبكي كثيراً ويقول: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله، وهذا الفاروق قرأ يوماً: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ فِعٌّ ﴿٧﴾ مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧-٨]. فبكى حتى مرض وعادوه، وقال لولده في مرض موته: ويحك ضع خدي على الأرض عساه يرحمني، ثم قال: ويل أُمي إن لم يغفر لي ثلاثاً، ثم قضى رضي الله عنه، مع ما فتح الله على يده من الفتوحات العظيمة، وما كان عليه من الخيرات الجسيمة، وهذا عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته، وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه كان شديد الخوف، وكان يخاف كثيراً من طول الأمل واتباع الهوى، وحاشاه<sup>(٢)</sup> ثم حاشاه<sup>(٢)</sup>

(١) لعله يشير إلى ما أخرجه مسلم رقم ١١٠٨ عن عمر بن أبي سلمة «أما والله إنني لأتفاقم لله وأخشاكم له».

(٢) في الأصل (حشاه) وفي الحاشية/ قوله (وحشاه) لعله (وحاشاه) بألف بين الحاء والشين، لأنه ليس معناهما واحد، فتأمل.

من ذلك، وجميع أكابر الصحابة على هذا المنوال، يخافون بلا قنوط، والمقصود أن من زعم أنه حسن الظن بالله مع انهماكه باللذات وانكبابه على المعاصي والشبهات وإعراضه عن الأوامر والطاعات، فهو من الحمق على جانب عظيم، وليس الذي هو عليه إلا غرورا وأماني وسفها، وبالله التوفيق.

وينبغي لذي اللب الحازم إذا عرض له أمر وزنه بميزان الشرع، فإنه لا يخلو من أن يكون مأموراً به فليتبعه، أو منهيأ عنه فليجتنبه، فإن حدثته نفسه بعكس ذلك فليجاهدها، فإن غلبت عليه حتى وقع في المحذور فليستدرك التوبة، وليرجع إلى مولاه فإن أبت إلا الثبوت على ذلك فليذكرها هاذم اللذات ومفرق الجماعات، وليتفكر فيما يؤول إليه، وليستحضر نظر مولاه إليه، والوقوف بين يديه، وليتصور العرض عليه، وليعرض لذة المعصية على خزيها، ويتصور انفضاحه على رؤوس الأشهاد في يوم التناد، وكيف حاله إذا قرب المولى أقرانه وأبعد مكانه، ما حاله في تلك الساعة؟ وما سقط في يده من فوات تلك البضاعة، وما آل إليه من الفضيحة والفضاعة، قال الإمام ابن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر»: تأملت شهوات الدنيا فرأيتها مصايد هلاك، وفخوخ تلف، فمن قوي عقله على طبعه وحكم عليه سلم، ومن غلب طبعه فيا سرعة هلكته، فنسأل الله سبحانه العافية والتوفيق والهداية لأقوم طريق.

وهذا الفصل ذكرناه استطراداً لما ذكرنا حال الموحدين إذا دخلوا دار البوار، وحلوا في الباب الأول من النار، ولترجع إلى المقصود، مستمدين العون من المعبود.

## فصل

وأما أكثر أهل النار - أجارنا الله تعالى منها بمنه وكرمه - فالنساء، كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة الكسوف: «رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء، لكفرن، قيل أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»<sup>(٢)</sup>.

واعلم أن من يدخل النار من ذرية آدم أكثر ممن يدخل الجنة، ففي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف أراه قال: تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل، ويشيب الولد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبرنا»<sup>(٣)</sup>، وتقدم هذا الحديث

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ١٠٥٢، ومسلم رقم ٩٠٧.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٣٧ عن ابن عباس.

(٣) رواه البخاري رقم ٣٣٤٨، ٤٧٤١، ومسلم رقم ٢٢٢.

بتمامه والله الموفق .

واعلم أيضاً أن الذين يدخلون النار من هذه الأمة أكثر من الذين يدخلون الجنة منها، من جملتهم المنافقون، وقد وردت الأخبار وطفحت الآثار بأن هذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة وهم الذين على ما كان عليه المصطفى ﷺ وأصحابه، كما أخبر ﷺ<sup>(١)</sup>، بذلك صحت الأخبار، وصرحت الآثار بذلك، مع الذين يقترفون الذنوب المتوعد عليها من الفرقة الناجية، غير أن الخلود مجتنب فلا يخلد فيها من أمة محمد أحد، اللهم إلا أن يكون منافقاً أو كافراً ببدعته .

فالحاصل: أنه يدخل النار من ذرية آدم خلق أكثر من الجنة، والذين يدخلون النار من أمة محمد أكثر من الذين يدخلون الجنة منهم، باعتبار الدخول الأول، وأكثر من يدخل النار من أمة محمد النساء، والله أعلم .

\* \* \*

(١) يشير إلى حديث افتراق الأمة، رواه الترمذي (٢٥/٥) رقم ٢٦٤٠ وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود (٦٠٨/٢) رقم ٤٥٩٦، وابن ماجه (١٣٢٢/٢) رقم ٣٩٩٢، وأحمد (١٤٥/٣) رقم ١٢٥٠١ .

## فصل

وأما صفات أهل النار وأصنافهم، ففي الصحيحين أنه ﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر»<sup>(١)</sup>. والعتل القوي، وقيل الفاجر، وفي رواية: «لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم، فقال رجل من المسلمين: ما الجواظ والجعظري والعتل الزنيم؟ فقال ﷺ: الجواظ: الذي جمع ومنع [تدعوه لظي]<sup>(٢)</sup> نزاعة للشوي، وأما الجعظري: فالفظ الغليظ قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا آَلَقَلْبِ لَأَنْفَضُونَا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وأما العتل الزنيم فشديد الخلق»<sup>(٣)</sup>، الحديث، وقيل: الزنيم اللئيم، وفي النهاية العتل: الشديد الجافي، والفظ الغليظ من الناس، وكأنه مشتق من العتلة وهي عمود حديد يهدم به البناء، وقيل حديدة كبيرة يقلع بها الشجر والحجر، ومنه حديث هدم الكعبة: «فأخذ ابن مطيع العتلة»<sup>(٤)</sup> انتهى ملخصا، وفي البغوي: العتل الغليظ الجافي، وقال الحسن: الفاحش الخلق السيء الخلق، وقال الفراء: شديد الخصومة في الباطل، وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وكل شديد عند العرب عتل، وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف، وقال عبيد بن

(١) رواه البخاري رقم ٤٩١٨، ومسلم رقم ٢٨٥٣ بلفظ «متضعف» بدل «مستضعف» من حديث حارثة بن وهب.

(٢) ليست بالأصل وأثبتناها من لفظ الحديث.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٤٧/٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن عبد الرحمن بن غنم.

(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٢٤/٥) رقم ٩١٤٧.

عمير: العتل الأكل الشروب القوي الشديد، لا يزن في الميزان شعيرة، يدفع الملك من أولئك سبعين ألفاً دفعة واحدة، قال البغوي: والزنيمة هو الدعي الملحوق بالقوم وليس منهم، وقيل: الزنيمة الذي له زنيمة كزنيمة الشاة. قال الجوهرى: الزنيمة شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً، والله أعلم.

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال في خطبته: «وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر - أي لا عقل - له الذين هم فيكم تبعاً، لا يبغون أهلاً ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل والكذب والشنظير الفاحش»<sup>(١)</sup>، فبين ﷺ أن أهل النار خمسة أصناف.

الأول الضعيف الذي لا زبر له - يعني بالزبر القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه في الآخرة من التقوى والعمل.

وخرج العقيلي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: «إن الله تعالى يبغض المؤمن الذي لا زبر له، فقيل له أو يكون هذا؟ قال: نعم والله لقد أدركتهم في الجاهلية وإن الرجل ليرعى على الحي ما به إلا وليدتهم يطؤها»<sup>(٢)</sup>.

وهذا القسم - أعني الضعيف الذي لا زبر له - شر أقسام الناس، ونفوسهم ساقطة لأنه ليس لهم هم في طلب الدنيا ولا الآخرة، وإنما همه أحدهم شهوة البطن والفرج كيف اتفقتا له، فيخدم الناس لأجلهما.

الثاني الخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته، يعني لا يقدر

(١) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٨٦٥، وأحمد (١٦٢/٤) رقم ١٧٥١٩.  
 (٢) أخرج العقيلي أوله (٢٤٦/٤) في ترجمة مسمع بن محمد الأشعري رقم ١٨٤١، قال: ولا يتابع عليه بهذا الإسناد، وأخرج آخره من أول «والله لقد أدركتهم» مسلم رقم ٢٨٦٥، وكذا ابن حبان (٥٢٥/١٦) رقم ٧٤٨٢، موقوفاً على عياض بن حمار، وذكره بطوله ابن رجب في التخويف من النار (٢٧٣).

على خيانة ولو كانت تافهة إلا بادر واغتمها، ويدخل في ذلك التطفيف في المكيال والميزان.

قلت: وكذا الخيانة في الصلاة بأن يسرق صلاته، بل هي أسوأ سرقة، أخرج الإمام أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، قالوا: يا رسول الله كيف يسرق من صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها، أو قال: لا يقيم صلبه في الركوع والسجود»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني في معاجمه الثلاثة بسند جيد عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أسرق الناس الذي يسرق صلاته، قيل: يا رسول الله كيف يسرق صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها، وأبخل الناس من يبخل بالسلام»<sup>(٢)</sup>. وقد قال ﷺ: «يا معشر المسلمين لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود»<sup>(٣)</sup> رواه الإمام أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما، وكذا الخيانة في الأمانات القليلة كالودائع وأموال اليتامى ونحو ذلك، وهذا من جملة خصال النفاق، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن رجب: ربما دخل في الخيانة من خان الله ورسوله

(١) رواه أحمد (٥٦/٣) رقم ١١٥٤٩، و(٣١٠/٥) رقم ٢٢٦٩٥، وابن خزيمة (٣٣١/١) رقم ٦٦٣، وابن حبان (٢٠٩/٥) رقم ١٨٨٨ عن أبي هريرة، والحاكم (٣٥٢/١) رقم ٨٣٥ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٣٥٥/٣) رقم ٣٣٩٢، وفي الصغير (٢٠٩/١) رقم ٣٣٥، ولم أقف عليه في الكبير، وذكره الهيثمي (٣٠١/٢) رقم ٢٧٢٢ وقال: رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله ثقات.

(٣) جزء من حديث رواه أحمد (٢٣/٤) رقم ١٦٣٤٠، وابن ماجه (٢٨٢/١) رقم ٨٧١، وقال: في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات، وابن خزيمة (٣٠٠/١) رقم ٥٩٣ كلهم عن علي بن شيبان.

في ارتكاب المحارم سرا مع إظهار اجتنابها، قال بعض السلف: كنا نتحدث أن صاحب النار من لا تمنعه خشية الله من شيء خفي له.

**الثالث المخادع:** وهو من جملة المنافقين كما وصفهم الله تعالى بذلك، ومعناه إظهار الخير وإضمار الشر، لقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك والاستمتاع به، وذا من جملة المكر والحيل المحرمة، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار»<sup>(١)</sup>. يعني صاحبهما.

**الرابع: الكذب والبخل** ولم يحفظ الراوي ما قال النبي ﷺ في هذا حفظاً جيداً. والكذب والبخل خصلتان، وفي مسند الإمام أحمد في هذا الحديث الكذب أو البخل بالشك، وقيل إنه عددهما واحداً، قاله مطر الوراق وهو أحد رواة هذا الحديث، وهما ينشآن عن الشح كما جاء ذلك في الأحاديث، والشح: هو شدة حرص الإنسان على ما ليس له من الوجوه المحرمة، وينشأ عنه البخل، وهو إمساك الإنسان ما في يده والامتناع من إخراجه في الوجوه التي أمر الله سبحانه أن يخرج فيها، وسمعت بعض أشياخي ذكر أن البخيل هو الذي يبخل بما في يده عن إخراجه منها، والشح شدة تقتير المرء على نفسه حرصاً على المال مع محبته وميله إليه، وسمعت بعضهم قال: الشح هو البخل بمال الغير.

والتحقيق في الفرق بين الشح والبخل: أن الشح هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله، والبخل منع انفاقه

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٢٦/٢) رقم ٥٦٧، وفي (٣٦٩/١٢) رقم ٥٥٥٩، والطبراني في الكبير (١٣٨/١٠) رقم ١٠٢٣٤، وفي الصغير (٣٧/٢) رقم ٧٣٨ وأبو نعيم في الحلية (١٨٩/٤)، وذكره الهيثمي (١٣٩/٤) رقم ٦٣٤١ وقال: رواه الطبراني في الكبير والصغير ورجاله ثقات وفي عاصم بن بهدلة نزاع لسوء حفظه.

بعد حصوله وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد وصوله، فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره، وذلك هو المفلح ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. ذكره الإمام المحقق ابن القيم في كتابه: «الكلم الطيب»، وقال: جود المرء يحببه إلى أصداده، وبخله يبغضه إلى أولاده، ثم أنشد رحمة الله عليه:

ويظهر عيب المرء في الناس ببخله      ويستره عنهم جميعاً سخاؤه  
تغط بأثواب السخاء فإنني      أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

والسخي قريب من الله ومن خلقه ومن أهله، والبخيل بعيد من الله ومن خلقه ومن أهله، والسخي قريب من الله قريب من الجنة بعيد من النار، والبخيل بعيد عن الله بعيد من خلقه بعيد من الجنة قريب من النار. روى البغوي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب: فالمخادع هو الشحيح يعني الحريص، وفسر ابن مسعود الشح بأخذ المال من غير حقه، والبخل منعه من مستحقه.

وفي أثر أن الشيطان قال: مهما غلبني ابن آدم فلن يغلبني بثلاث، يأخذ المال من غير حله، أو ينفقه في غير وجهه، أو يمنعه من حقه.

وينشأ عن الشح الكذب والمخادعة والتحيل على ما لا يستحقه الإنسان، فيتوصل إليه بالطرق الباطلة كما هو دأب الهمم العاطلة.

(١) رواه البغوي في معالم التنزيل (٧٦/١)، والنسائي (١٣/٦) رقم ٣١١٠، ٣١١١، ٣١١٢، وابن حبان في صحيحه (٤٣/٨) رقم ٣٢٥١، والبخاري في الأدب المفرد (١/١٠٦) رقم ٢٨١.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار»<sup>(١)</sup>.

وفي المسند: «إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل النار»<sup>(٢)</sup> خرجه عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً.

الخامس: الشنظير وقد فسر بسوء الخلق، والفحاش هو الفاحش المتفحش.

وفي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه»<sup>(٣)</sup>.

وفي الترمذي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «إن الله يبغض الفاحش البذيء»<sup>(٤)</sup>. والبذيء الذي يجري لسانه بالسفه ونحوه من لغو الكلام.

وفي المسند أنه ﷺ قال: «بحسب امرئ من الشر أن يكون فاحشاً - من الشر فحشه، وأصل الفاحش مجاوزة الشيء محله - بذيئاً بخيلاً جباناً»<sup>(٥)</sup>. والمراد بالفاحش هنا الذي يفحش في منطقة ويستقبل الرجال

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٦٠٩٤ ومسلم رقم ٢٦٠٧ من حديث عبد الله بن مسعود.

(٢) جزء من حديث رواه أحمد في المسند (١٧٦/٢) رقم ٦٦٤١ من حديث عبد الله بن عمرو، وذكره الهيثمي (٣٦١/١) رقم ٦٠٩ وقال: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة.

(٣) رواه البخاري رقم ٦٠٥٤، ٦١٣١، ومسلم رقم ٢٥٩١.

(٤) جزء من حديث رواه الترمذي (٣٦٢/٤) رقم ٢٠٠٢ وقال: حديث حسن صحيح، والبخاري في الأدب المفرد (١٦٤/١) رقم ٤٦٤ كلاهما من حديث أبي الدرداء.

(٥) جزء من حديث رواه أحمد (١٤٥/٤) رقم ١٧٣٥١ بلفظ «حسب الرجل أن يكون فاحشاً بذيئاً بخيلاً جباناً» وفي (١٥٨) رقم ١٧٤٨٢ بلفظ «وكفى بالرجل أن يكون بذيئاً بخيلاً فاحشاً» والطبراني في الكبير (٧٩٥/١٧) رقم ٨١٤ بلفظ «حسب امرئ أن يكون فاحشاً بذيئاً بخيلاً حلافاً».

بقبح الكلام من السب ونحوه، ويأتي في كلامه ما يفحش ذكره، ولا يخفي نكتة مقارنة البخل بالجبن في قوله: بخيلاً جباناً، لأن البخل الحرص على المال، والجبن الحرص على النفس، وهما عديلان، وفي دعائه ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»<sup>(١)</sup>، وفي لفظ: «من ضلع الدين وغلبة الرجال»<sup>(٢)</sup>. والله المستعان.

\* \* \*

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٢٨٩٣، ٦٣٦٣ .

(٢) البخاري ٦٣٦٣ .

## فصل

## في ذكر أول من يدخل النار من سائر

## البشر وأول من يدخلها من عصاة الموحدين

أما أول من يدخل النار من بني آدم على الإطلاق: زية وقيل اسمها أزميل، وهي التي أمرت بقتل سيدنا يحيى الحصور عليه السلام، قال الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في «تبصرته»: عن الربيع بن أنس قال: كان لملك بنت شابة، فكانت تأتيه فيسألها حاجتها فيقضيها، وإن أمها رأته يحيى عليه السلام وكان جميلاً، فأرادته على نفسها، فأبى، فقالت لابنتها: إذا أتيت أباك فقولني: حاجتي رأس يحيى، فجاءت، فسألت ذلك فردها، فرجعت فقال: سلمي حاجتك، فقالت: رأس يحيى، فقال: لك ذلك، فأخبرت أمها فبعثت إلى يحيى إن لم تأت حاجتي قتلتك، فأبى فذبحته ثم ندمت فجعلت تقول: ويل لها ويل لها، حتى ماتت، فهي أول من يدخل جهنم، وفي حديث آخر أنها قتلت قبله سبعين نبياً، وهي مكتوبة في التوراة «مقتلة الأنبياء» وأنها على منبر في النار يسمع صراخها أقصى أهل النار.

في قصة قتلة سيدنا يحيى عليه السلام روايات على غير هذا الوجه<sup>(١)</sup> فالله أعلم بالثابت، وأيها كان، والله أعلم.

وأما أول من يدخل النار من عصاة الموحدين، فأخرج الإمام أحمد عن أي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد

(١) للاستزادة راجع - ابن كثير - البداية والنهاية (٢/٥٣، ٥٤).

وعبد مملوك لم يشغله ريق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار: فأمير متسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله، وفقير فخور<sup>(١)</sup>.

وخرج الترمذي أوله وقال: حديث حسن. قال الحافظ ابن رجب: هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النار ضد الأصناف الثلاثة من أهل الجنة المذكورين، في حديث مسلم أعني قوله ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط متصدق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال»<sup>(٢)</sup>، فإن السلطان الجائر ضد العادل المحسن، والغني الذي يمنع حق الله عز وجل ضد الرحيم الرقيق القلب بذوي القربى وكل مسلم، والفقير الفخور ضد المتعفف الصابر على شدة الفقر وضره، وأوصاف هؤلاء الثلاثة هي الظلم والبخل والكبر، وهي ترجع إلى الظلم، لأن الملك المسلط يظلم الناس بيده، والبخيل يظلم الفقراء بمنع حقوقهم الواجبة في ماله، والفقير الفخور يظلم الناس بفخره عليهم بقوله، وأذاه لهم بلسانه وبشأنه.

وعن أبي هريرة مرفوعاً نحوه وفيه: «المقاتل والقارئ والمتصدق الذين يراؤون بأعمالهم، وقال: أولئك أول خلق الله تسعر بهم النار يوم

(١) رواه أحمد (٤٢٥/٢) رقم ٩٤٨٨، وفي (٤٧٩) رقم ١٠٢٠٨ ولكن باختلاف يسير، وكذا ابن حبان في صحيحه (٥١٣/١٠) رقم ٤٦٥٦، وابن خزيمة في صحيحه (٨/٤) رقم ٢٢٤٩، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٠٥/٤) رقم ١٩٣٣٥، وأخرج الترمذي أوله (١٧٦/٤) رقم ١٦٤٢ وقال: هذا حديث حسن، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢٢٠/٢) وقال عنه العراقي: أخرجه الترمذي وقال حسن وابن حبان.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٨٦٥.

القيامة يا أبا هريرة<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب: وقد يجمع بين هذا الحديث والذي قبله بأن هؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار، وأولئك الثلاثة أول من يدخل النار، وتسعير النار أخص من دخولها، فإن تسعيرها يقتضي مع الدخول تلهيبها وإيقادها، وهو زائد على مجرد الدخول، وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة، لأن الرياء هو الشرك الأصغر، والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره.

قلت: فيه أن الشرك الأكبر أعظم منه فما بال هؤلاء أعني أصحاب الشرك الأصغر الذي هو الرياء تسعر النار بهم قبل أولئك؟ وقد يقال: إن المراد من أهل التوحيد، ويدفعه منطوق الحديث، فإنه قال: أولئك أول خلق الله تسعر بهم النار، اللهم إلا أن يخص عمومهم، ويكون المراد أول خلق الله من أهل التوحيد، أو يقال: ذاك لحكمة دقت عن فهمنا، أو لأنه مع كونه مشركاً ظلم العباد بغرورهم به وظنهم أنه مخلص، حتى ربما اقتدوا به أو غير ذلك فليتأمل، والله تعالى الموفق.

تمة في مسائل متفرقة:

المسألة الأولى: في خلود أهل الدارين فيهما أعني الجنة والنار.

أما خلود أهل الجنة فقد تقدم، وهذا بالإجماع لا ينازع فيه أحد من أهل الفهم والاطلاع ممن يثبت وجود الجنة، وأنها دار المعاد والجزاء من

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٥٩١/٤) رقم ٢٣٨٢ وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن خزيمة (١١٥/٤) رقم ٢٤٨٢، وابن حبان في صحيحه (١٣٥/٢) رقم ٤٠٨، والحاكم (٥٧٩/١) رقم ١٥٢٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

سائر الأديان، فإن قلت: هذا غير مُسَلَّم مع شهرة الخلاف واطلاعك عليه أنت وذكرك له في غير موضع، وقد ذكره جماعة من الأئمة كالإمام ابن القيم في «حادي الأرواح» والعلامة في «البهجة» وغيرهما، قلت: إن ذلك كذلك، ولكنني ما أعد ذلك خلافاً لوجهين، أحدهما: أن أول من ابتكر هذا القول جهم بن صفوان - إمام الجهمية - وليس له فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا من تابعيهم، وإذا مضت هذه القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الملة مجمعة على أمر ثم حدث من بعدهم من ليس هو مثل أديانهم، وانتحل مقالة لا تعد مقالته خلافاً، ولهذا لم يقل به أحد من أهل السنة، وأنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام، وكفروهم به وصاحوا به من أقطار الأرض، قال عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب «السنة»: عن خارجة ابن مصعب أنه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل، يقول الله سبحانه ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا﴾ [الرعد: ٣٥]. وهم يقولون: لا يدوم لها أكل ولا أهل، ويقول الله: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]. وهم يقولون: ينفذ، ويقول الله: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] وهم يقولون: لا بقاء له.

الوجه الثاني: أنه لا دليل لهذا القول إلا مجرد توهمات وقياسات فلسفية لا نعول على شيء منها معشر المسلمين، فإن قلت أليس يقول الله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمَن فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ [هود: ١٠٨]، قلنا: بلى وهي دليل عليكم لا لكم، فإن قوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ أي غير مقطوع، ومن المعلوم أن غير المقطوع دائم لا محالة، وأما ما يخيل لكم من الاستثناء في الآية الكريمة فهو راجع للذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة، يقول سبحانه: إنهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والأرض إلا مدة مكثهم في النار، قاله

معمر عن الضحاك، قال المحقق: وهو يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء، والثاني وهو الأظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء، والتخصيص في المذكورين هو في الاستثناء، وقيل: المعنى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء الله من الزيادة على ذلك، كما تقول: أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت أي سوى ما شئت من الزيادة على الحول، وقيل: هو استثناء لمدة المقام في البرزخ، لأنهم محبوسون عن الجنة فيه إلى أن يصيروا في الجنة، ثم هو خلود الأبد فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ.

وقال<sup>(١)</sup> فرقة: العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذلك، إعلام لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، وهذا كما قال لنبيه: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، وقوله: ﴿فَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقوله: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [يونس: ١٦]. فهو إخبار منه سبحانه لعباده أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وثم أقوال آخر ومدارها بأن يقال: أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة، وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابهة، وقوله فيها: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] محكم، وكذلك قوله: ﴿أَكُلُوهَا ذَائِمًا وَظِلُّهَا﴾، ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

والمقصود أن القول بفناء الجنة قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة والتابعين ولا أحد من أئمة المسلمين، وكل من قال به فهو ضال منحرف

(١) هكذا بالأصل.

عن الصواب، والله تعالى أعلم.

وأما خلود أهل النار ففيه نزاع، والتحقيق: خلودهم وبقاؤها، وأنها لا تنفى ولا تبید، والحاصل: أن في بقاء الجنة والنار وفنائهما ثلاثة أقوال: خلود أهلها وبقاؤها جميعاً وهو الصواب، فئاؤها وعدم خلود أهلها وهو ضلال وباطل، بقاء الجنة وفناء النار وهو باطل أيضاً، على أن جماعة من العلماء ذهبوا إليه، ومن ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: فيه قولان معروفان عن السلف والخلف، والنزاع في ذلك معروف عن التابعين.

قال الإمام المحقق ابن القيم في «حادي الأرواح»: «وتم أقوال سبعة أحدها: من يدخل النار لا يخرج منها أبداً، بل كل من دخلها مخلد فيها، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

الثاني: أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعتهم نارية يتلذذون بها لموافقته لطبيعتهم، وهذا قول ابن عربي صاحب «الفتوحات» وهو مخالف لما علم بالاضطرار من الآيات القرآنية والأخبار المحمدية.

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا قول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم ونص القرآن على كذبهم، فهو قول اليهود ومن سلك هذا المسلك فسلفه فيه اليهود أهل المكر والخداع، وقد علم فساده من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

الرابع: قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب، حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه عن بعض الفرق، والكتاب والسنة يردانه.

الخامس: أنها تفتنى بنفسها لأنها حادثة، وما ثبت حدوثه استحالة بقاءه، وهذا قول جهم وشيعته، ولا فرق عنده بين الجنة والنار.

السادس: أنها تفتنى حركات أهلها وحياتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم، وهذا قول أبي حسين العلاف إمام المعتزلة.

والسابع: قول من يقول: بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم تفتنى ويزول عذابها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: ونقل هذا عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم، وأخرج عبد بن حميد - وهو من أجل علماء الحديث - عن الحسن رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه.

واعلم أن الإمام المحقق ابن القيم قدس الله روحه انتصر لهذا القول انتصاراً عظيماً، ومال إليه ميلاً جسيماً، وذكر له خمسة وعشرين دليلاً، ثم رجع القهقري وقال: إن قيل إلى أين انتهى قدمك في هذه المسألة العظيمة؟ قيل: إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فيها، حيث ذكر دخول أهل الجنة وأهل النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء، قال: ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء، ثم قال: وما ذكرنا في هذه المسألة من صواب فمن الله سبحانه وهو المأنب به، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه.

وأقول: الصحيح المعتمد الذي لا محيد عنه بقاء النار كالجنة جزماً، فالنار لا تفتنى ولا تبيد، كما أن الجنة لا تفتنى ولا تبيد بالنصوص القرآنية والأحاديث المصطفوية، ونحن نقول: إن ربك فعال لما يريد، من غير

شك ولا ترديد، نجزم بأن أهل النار الذين هم أهلها يخلدون فيها أبداً لا نهاية لأبدية ذلك، وأما ما ذكره الإمام المحقق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فالحسن لم يأخذ عن عمر ولم يسمع منه جزماً، وأيضاً لو سمع منه وثبت ذلك لم ينظر إليه، لمخالفته ما هو أصح وأثبت منه، كيف ولم يسمع من عمر ولم يذكر الحسن أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه رفعه.

والحاصل: أن الدارين باقيتان باق ما فيهما خالد مخلد، وقد صنف في ذلك علماء الإسلام مصنفات من آخرهم الإمام العلامة الشيخ مرعي صنف جزءاً سماه [توقيف الفريقين على خلود الدارين].

والله تعالى أعلم بالصواب.

### المسألة الثانية: في أصحاب الأعراف:

قال تعالى: ﴿وَأَذَىٰ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨]. وقال: ﴿وَعَلَىٰ الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦]. فالأعراف جمع عُرْف، وهو: كل مرتفع، ومنه عرف الديك، واختلف المفسرون في الأعراف، فقول: أعالي الحجاب المضروب بين الجنة والنار، وهو السور الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا﴾ [الحديد: ١٣]. وعلى هذا معظم أهل التفسير، وقيل: الصراط، وقيل: جبل أحد، لما ورد عنه رضي الله عنه: «أحد جبل يحبنا ونحبه»<sup>(١)</sup>، وأنه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار، يجلس عليه أقوام يعرفون كلاً بسيماهم، وهم إن شاء الله من أهل الجنة. وقال الحسن والزجاج معنى قوله: ﴿وَعَلَىٰ الْأَعْرَافِ﴾ أي الذين على معرفة أهل الجنة والنار، رجال يعرفون من أهل الجنة والنار بسيماهم، قيل للحسن هم أقوام

(١) رواه البخاري في عدة مواضع منها رقم ١٤٨٢، ٢٨٨٩، ٢٨٩٣، ومسلم رقم ١٣٦٥،

استوت حسناتهم وسيئاتهم؟ فضرب على فخذة وقال: هم قوم جعلهم الله تعالى على أهل الجنة والنار، يميزون البعض من البعض، والله لا أدري لعل بعضهم الآن معنا. فإن قيل: أي حاجة إلى ضرب هذا السور بين الجنة والنار، وقد ثبت أن الجنة فوق النار، لأن النار أسفل سافلين، والجنة فوق السموات السبع وتحت العرش؟ فالجواب: أن بعد إحداهما عن الأخرى لا يقتضي منع جعل سور بينهما كما لا يخفى، قاله الفخر.

وعندي فيه وقفة: لكن أمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا، والله يفعل ما يشاء.

واختلف المفسرون في أصحاب الأعراف، فقليل: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فما كانوا من أهل الجنة ولا من أهل النار، أوقفهم الله على الأعراف، لأنه درجة متوسطة بين الجنة والنار، ثم يدخلهم الله تعالى الجنة بفضلهم ورحمته، وهذا قول حذيفة وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، وهو قول ابن جبير والضحاك والشعبي رحمهم الله تعالى، أخرج أبو الشيخ والبيهقي وغيرهما عن حذيفة: أصحاب الأعراف قوم قصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، جعلوا هناك حتى يقضى بين الناس، فينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربهم، فقال لهم: قوموا ادخلوا الجنة فإنني غفرت لكم.

وأخرج البيهقي عن حذيفة مرفوعاً: «يجمع الله الناس ثم يقول لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ قالوا: نتظر أمرك. فقال: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها، وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم، فادخلوا بمغفرتي ورحمتي»<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٦٣/٣) وعزاه إلى البيهقي في البعث.

وقيل: إن أصحاب الأعراف ناس خرجوا للغزو بغير إذن آبائهم، فاستشهدوا فحبسوا بين الجنة والنار، أخرج البيهقي وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ والطبراني وغيرهم أن رسول الله ﷺ سئل عن أصحاب الأعراف فقال: «هم أناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله»<sup>(١)</sup>. وقيل: أصحاب الأعراف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أجلسهم الله على أعالي ذلك السور تميزاً لهم على سائر أهل القيامة، وإظهاراً لشرفهم وعلو مرتبتهم، ليكونوا مشرفين في الدنيا والآخرة.

وقيل هم العباس وحمزة وعلي وجعفر ذو الجناحين عليهم السلام، يجلسون على موضع من الصراط، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضهم بسواد الوجوه، رواه الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: إنهم عدول القيامة الشاهدون على الناس بأعمالهم وهم من كل أمة، حكاه الزهري.

وقيل: إنهم قوم صالحون فقهاء علماء، أخرج هناد عن مجاهد.

وقيل إنهم الشهداء.

وقيل: الملائكة.

فإن قيل: قد قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾؟ فالجواب: لا مانع من إطلاق اسم الرجال على الملائكة كما نقله الرازي وغيره.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/٣٤٥) رقم ٣٨١ وصدره بقوله «وروينا في حديث مرسل ضعيف» ومجاهد في تفسيره (١/٢٣٧)، والحارث في مسنده (٢/٧٢٢) رقم ٧١٣، وذكره الهيثمي (٧/٩٤) رقم ١١٠١٤ وقال: رواه الطبراني وفيه أبو معشر نجيب وهو ضعيف.

وقيل: أصحاب الأعراف أناس رضي عنهم أحد أبويهم دون الآخر  
وقيل: أولاد المشركين.

وقيل: الذين يراؤون الناس.

وقيل هم أهل الفترة.

وقيل: قوم لهم ذنوب عظام من أهل الصلاة يعفو الله عنهم  
ويمسكهم في الأعراف، أخرج ابن جرير والبيهقي من طريق ابن أبي طلحة  
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأعراف سور بين الجنة والنار، وأصحابه رجال  
كانت لهم ذنوب عظام وكان أمرهم الله، يقومون على الأعراف، يعرفون  
أهل النار بسواد الوجوه، وأهل الجنة ببياض الوجوه، فإذا نظروا إلى أهل  
الجنة طمعوا أن يدخلوها، وإذا نظروا إلى أهل النار تعوذوا بالله منها،  
فأدخلهم الله الجنة، فذلك قوله: ﴿أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ  
- يعني أصحاب الأعراف - أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾  
[الأعراف: ٤٩].

وقيل: هم أولاد الزنا، رواه صالح المري عن ابن عباس.

وقيل: هم مساكين أهل الجنة، حكى عن ابن عباس، وقيل: غير ذلك.

والحاصل: أن أصحاب الأعراف على كل قول هم سعداء ناجون من  
أهل الجنة وإن مآلا، وأرجح هذه الأقوال: أنهم قوم استوت حسناتهم  
وسيئاتهم، كما قال القرطبي.

وجمع العلامة في «بهجته» بين هذه الأقوال: بأنه يجوز أن الجميع  
ممن ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف، يجلسون على ذلك الجسر مع  
تفاوت منازلهم، على أن جملة من هذه الأقوال متداخلة كما لا يخفى،  
والله تعالى أعلم.

## المسألة الثالثة: في أطفال المشركين:

أما أطفال المسلمين فقد تقدم الكلام عليهم أنهم في الجنة على الصحيح المعتمد، والمقصود هنا أولاد المشركين، فقيل هم في النار، وهذا قول جمهور أصحابنا، كذا في «البهجة».

وقال الإمام العلامة ابن مفلح الراميني في «فروعه»: أطفال الكفار في النار وعنه: الوقف، واختار ابن عقيل وابن الجوزي في الجنة كأطفال المسلمين، ومن بلغ منهم مجنوناً، قال: واختار شيخنا- يعني شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه- تكليفهم في القيامة للأخبار، ومثلهم من بلغ منهم مجنوناً، فإن جن بعد بلوغه فوجهان، قلت: أصحهما عندي أنه في النار، قال: ومن لم تبلغه الدعوة لا يعاقب، ذكره في «الفنون» عن الأصحاب، قال: وإذا منع حائل البعد شروط التكليف فأولى فيهما، وفي اختيارات شيخ الإسلام رحمته: أطفال المشركين أصح الأجوبة فيهم ما ثبت في الصحيحين أنه سئل عنهم رسول الله ﷺ فقال: «اللّه أعلم بما كانوا عاملين»<sup>(١)</sup>، قال: فلا يحكم على معين منهم بجنة ولا نار، ويروي أنهم يمتحنون يوم القيام، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار<sup>(٢)</sup>، وهذا أحسن والله أعلم.

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي: لا تنافي بين الحديثين، بل نقول بما دل عليه حديث أنهم في المشيئة، فيمتحنون في الآخرة، فمن كتبت له السعادة أطاع بدخول النار فيرد إلى الجنة، ومن كتب له الشقاوة امتنع

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٩٧ عن ابن عباس، ومسلم رقم ٢٦٥٩ عن أبي هريرة.  
(٢) لعله يشير إلى حديث الأربعة الذين سيمتحنون يوم القيامة، والذي رواه أحمد وابن حبان والطبراني، وسيأتي قريباً.

فيسحب إلى النار، وهذا الذي ذكرنا هو الصحيح المعتمد، وثم ستة أقوال أو أكثر، أحدها: أنهم في النار، الثاني يصيرون تراباً، الثالث: أنهم خدم أهل الجنة، وقد مر الكلام على هذا القول ونقله النسفي في «بحر الكلام» عن أهل السنة والجماعة، وفي ذلك أحاديث جمّة، الرابع: في الجنة، الخامس: أنهم في برزخ بين الجنة والنار، السادس: أنهم يمتحنون، السابع: وهو المختار الوقف، والله أعلم.

\* \* \*

## مطلب

## في أهل الفترة واختلاف العلماء فيهم

## المسألة الرابعة في أهل الفترة ونحوهم:

وقد اختلف العلماء فيهم قديماً وحديثاً، وهم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل عليهم السلام الذين لم يرسل الله إليهم الرسول الأول ولم يدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولم يدركوا نبينا عليهما الصلاة والسلام، فعلى هذا الفترة: ما كانت بي رسولين، كنوح وهود، لكن مقصودنا هنا ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وذكر البخاري عن سلمان أنها كانت ستمائة سنة، إذا علم هذا فأخرج الإمام أحمد والبيهقي وصححه أن النبي ﷺ قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة، رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام ولا أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ موثيقهم ليطيعونه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً»<sup>(١)</sup>، وأخرج أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً مثله غير أنه قال في آخره: «فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يسحب إليها»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد (٢٤/٤) رقم ١٦٣٤٤، وابن حبان في صحيحه (٣٥٦/١٦) رقم ٧٣٥٧، والطبراني في الكبير (٢٨٧/١) رقم ٨٤١، وذكره الهيثمي بعدة روايات (٤٣٦/٧) رقم ١١٩٣٦ وقال: رواه أحمد والبخاري بنحوه، هذا لفظ أحمد ورجاله رجال الصحيح وكذلك رجال البزار.

(٢) رواه أحمد (٢٤/٤) رقم ١٦٣٤٥، وانظر تخريج الحديث السابق.

وأخرج البزار وأبو يعلى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتي بأربعة يوم القيامة بالمولود، والمعتوه، ومن مات في الفترة، والشيخ الفاني، كلهم يتكلم بحجته، فيقول الرب لعنق من النار: أبرز، ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم، وإني رسول نفسي إليكم، ادخلوا هذه، فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب أندخلها ومنها كنا نفر؟ ومن كتبت له السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً، فيقول الله: أنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية، فيدخل هؤلاء الجنة، وهؤلاء النار»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه وفيه يقول الله: «إني أمركم بأمر فتطيعون؟ فيقولون نعم، فيقول: اذهبوا فادخلوا النار، قال: ولو دخلوها ما ضررتهم»<sup>(٢)</sup> الحديث، وأخرج البزار عن ثوبان أن النبي ﷺ عظم شأن المسألة فقال: «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، فيسألهم ربهم، فيقولون: ربنا لم ترسل لنا رسلاً ولم يأتنا أمر، ولو أرسلت إلينا رسولاً لكننا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم: أرايتم إن أمرتكم بأمر تطيعونني فيه؟ فيقولون: نعم: فيأخذ على ذلك موافقهم فيقول: اعمدوا لها فادخلوها، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا فرجعوا، فقالوا: ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها، فيقول: ادخلوها

(١) رواه البيهقي في الاعتقاد (١٦٩) وأبو يعلى في مسنده (٧/٢٢٥) رقم وروى نحوه أحمد (٢٤/٤) رقم ١٦٣٤٤، وابن حبان في صحيحه (١٦/٣٥٦) رقم ٧٣٥٧، والطبراني في

الكبير (١/٢٨٧) رقم ٨٤١ كلهم عن الأسود بين سريع.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/٨٣) رقم ١٥٨ باختلاف يسير، وفي مسند الشاميين (٣/٢٥٧) رقم ٢٢٠٥، وفي الأوسط (٨/٥٧) رقم ٧٩٥٥، وذكره الهيثمي (٧/٤٣٨) رقم ١١٩٣٩ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمرو بن واقد وهو متروك عند البخاري وغيره، ورمى بالكذب، وقال محمد بن المبارك الصوري: كان يتبع السلطان وكان صدوقاً، وبقية رجال الكبير رجال الصحيح.

داخرين، فقال النبي ﷺ: «لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً»<sup>(١)</sup>، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، وقيل: إن أهل الفترة ناجون إلا من بدل كعمرو بن لحي، وقيل: ناجون إلا من ورد أنه في النار كعمرو بن لحي وامرئ القيس، وقيل: إنهم هالكون لأنهم مشركون، والجنة محرمة عليهم، وقال جمع: أهل الفترة ناجون جميعاً إلا من ورد فيه حديث صحيح من أهل الفترة بأنه في النار، فإن أمكن تأويله فذاك وإلا لزمنا أن نؤمن بهذا الفرد بخصوصه، وإن لم يوافق ما مهده أئمتنا، قال: لأن الأدلة الجزئية لا يقضى بها على الأدلة الكلية، واستدل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَقًّا نَبَعْتَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قلت: وهذا الكلام لا يخفى زيفه على من حكّم الشريعة على آراء الرجال ونبذها خلف ظهره، وتمسك بأقوال المصطفى ﷺ وأفعاله، وعض على سنته الغراء بالنواجذ، وجعل شريعته المطهره أصلاً، وكل ما خطر بباله يعرضه على ذلك الأصل، فإن وافقه قبله، وإن خالفه نفض يديه منه، وأما من جعل ما انتحلته شيخه ومتبوعه أصلاً، وما ورد من الأخبار النبوية قاسه على رأي متبوعه، فهذا يرى ما لا يرى العبد المعترف بالعبودية، الخاضع لأقوال رسول معبوده وسيده ومولاه، المعترف بقصوره وعجزه عن إدراك الحكمة الربانية، المسلم للكلمات الربانية والآثار النبوية، فيالله العجب حيث ثبت ما تلوناه من الأخبار، ونقلناه من الآثار عن المصطفى المختار، ودوّنه الأخبار، وقال به الأبرار، ولم يدفعه عقل صحيح ولا نقل صريح، فما وجه العدول عنه إلى القول بنجاة أهل الفترة؟! في حديث أبي

(١) جزء من حديث رواه الحاكم (٤/٤٩٦) رقم ٨٣٩٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي.

رزين الذين ذكرناه سابقاً ما يناقض ما زعمه هؤلاء ويرده، وخبر ابن جدعان حيث سألت عائشة المصطفى عنه فقال: «إنه في النار»<sup>(١)</sup>، وهذا حاتم الطائي أكرم الجاهلية والذي يضرب بكرمه وبمكارم أخلاقه الأمثال، ورد الحديث بأنه في النار، وأيضاً فالأرض لم تخل من شرع وداع إلى الله تعالى منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة، فالذي نختاره ونذهب إليه الوقف بأنهم في الجنة أو في النار، إلا ما ثبت عن المصطفى أنه في النار، فإنه فيها، ومن لا فنكل أمره إلى الله تعالى، إن شاء رب العالمين امتحنهم كما أخبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، فمن أسعده الله سعد، ودخل النار فتكون عليه برداً وسلاماً، ثم يدخله الجنة، ومن أبى دخل النار وخلد فيها، كما نطق به الحديث الصحيح، هذا الذي ندين الله به ولا ننظر لسفساف يتشدد، ومتكلم يتونق، نعم الوالدان السعيدان نرجوا الله أن يكونا ناجيين فائزين، ببركة سيد الكونين، والله يفعل ما يريد ويختار، ما كان لهم الخيرة من أمره سبحانه، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وأنا اعتذر إلى الله تعالى من سوء فهمي، وقلة علمي، وأستمد منه المعونة والعافية، والتوفيق والهداية لأقوم طريق<sup>(٢)</sup>.



(١) تقدم ص (٤٦٠).

(٢) في حاشية الأصل/ بلغ.

## خاتمة الكتاب

## مطلب في التوبة إلى الله تعالى من الذنوب

نسأل الله تعالى أن يتوب علينا وعلى والدينا وأولادنا إنه التواب الرحيم.

وفيها فصلان:

## الفصل الأول: في التوبة

وهي في اللغة الرجوع. يقال: تاب وأتاب وآب يعني رجع، وهي في الشرع الندم على ما مضى من الذنب، والإقلاع في الحال، والعزم على أن لا يعود في المستقبل، تعظيماً لله تعالى، وحذراً من أليم عقابه وسخطه، قاله في «المطلع».

فالتوبة هي الرجوع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة، قال في «طهارة القلوب» يقال لمن رجع عن المخالفات خوفاً من العذاب تائب، ولمن رجع حياءً من الله تعالى منيب، ولمن رجع تعظيماً لجلاله سبحانه أواب، وهو معنى قول عمر رضي الله عنه: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه - على فرض ثبوت هذا الأثر - يعني أنه يترك المعاصي تعظيماً لجلال الله ولو لم يتواعد الله عليهما بعقوبة، ويقال أول التوبة يقظة من الله تقع في القلب فيتذكر العبد تفريطه وإساءته، وكثرة جنايته، مع دوام نعم الله عليه، فيعلم حينئذ أن الذنوب سموم قاتلة، يخاف منها حصول المكروه وفوات المحبوب في الدنيا والآخرة، فإذا تيقن ذلك أثمرت حالته هذه الندم على ما فات، ثم يثمر الندم عملاً صالحاً، فيبادر إلى الخيرات،

وقضاء الواجبات، ورد الظلمات، والعزم على إصلاح ما هو آت، فإذا انتظمت هذه الأمور الثلاثة فلا جرم أنها التوبة، وأما قوله ﷺ: «الندم توبة»<sup>(١)</sup>. يعني معظم أركان التوبة الندم، إذا لا تحصل التوبة إلا بعد الندم، وبعضهم قال التوبة: الحياء العاصم والبكاء الدائم، وقيل: هي قود النفس الى الطاعة بخطام الرغبة، وردها عن المعصية بزمام الرهبة، وقال ابن الجوزي في «التبصرة»: التوبة ندم يورث عزمًا وقصدًا، وعلامة الندم طول الحزن على ما فات، وعلامة القصد والعزم التدارك لما هو آت، فإن كان الماضي تفريطاً في عبادة قضاها، أو مظلمة أداها، أو خطيئة لا توجب غرامة حزن إذا تعاطاها، قال: ومن علامات التائب أن يغضب على نفسه كما غضب ما عز والغامدية وأسلماها إلى الهلاك، وهذا مثال وإلا فالأولى الستر على نفسه، وأن تضيق الأرض عليه كما ضاقت على كعب بن مالك وصاحبيه، فيستولى عليه الحزن والبكاء، فيشغله عن اللهو والضحك.

وقال الغزالي في «منهاج العابدين»: هي ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا صورة، تعظيماً لله تعالى وحذراً من سخطه، ولها إذا أربع شرائط:

إحداها ترك اختيار الذنب، وهو أن يوطن قلبه ويجرد عزمه على أن لا يعود إلى الذنب البتة، فأما إن ترك الذنب وفي نفسه أنه ربما يعود إليه، أو لا يعزم على ذلك بل يتردد، فإنه ربما يقع له العود، فإنه ممتنع عن الذنب غير تائب عنه.

(١) رواه ابن ماجه (١٤٢٠/٢) رقم ٤٢٥٢، وأحمد (٣٧٦/١) رقم ٣٥٦٨ ومواضع أخرى، وابن حبان في صحيحه (٣٧٧/٢) رقم ٦١٢، والبيهقي (٣١٠/٥) رقم ١٩٢٦، والحاكم (٢٧١/٤) رقم ٧٦١٢ وسكت عنه وصححه الذهبي كلهم عن ابن مسعود.

**والثانية:** أن يتوب عن ذنب قد سبق منه مثله، إذ لو لم يسبق منه مثله لكان متقياً غير تائب، ألا ترى أنه يصح القول بأن النبي ﷺ [كان] <sup>(١)</sup> متقياً عن الكفر، ولا يصح القول بأنه كان تائباً عن الكفر، إذ لم يسبق منه كفر بحال، وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان تائباً عن الكفر، لما سبق منه ذلك.

**والثالثة** أن الذي سبق يكون مثل ما يترك اختياره في المنزلة والدرجة لا في الصورة، ألا ترى أن الشيخ الهرم الفاني الذي سبق منه الزنا وقطع الطريق إذا أراد أن يتوب عن ذلك تمكنه التوبة لا محالة، إذ لم يغلط عنه بابها، ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق، إذ هو لا يقدر الآن على فعل ذلك، فلا يقدر على ترك اختياره، فلا يصح وصفه بأنه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن، لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة، كالقذف والغيبة والنميمة، إذ جميع ذلك معاصي وإن كان الإثم يتفاوت في حق الآدمي في كل واحدة بقدرها، ولكن جميع هذه المعاصي الفرعية كلها بمنزلة واحدة، وهي دون منزلة البدعة، ومنزلة البدعة دون الكفر - أي حيث لم تكن البدعة مكفرة - فإن كانت مكفرة فهي ومنزلة الكفر واحدة، وفهمنا من هذا أن المنازل ثلاثة، منزلة المعاصي، ومنزلة البدع، ومنزلة الكفر، ثم إن المعاصي تقسم إلى صغيرة وكبيرة، فلك أن تسميها منزلتين، والكبائر منها الموبقات السبع وهي: قتل النفس، والزنا، وأكل الربا، والسحر، والقذف، وأكل أموال اليتامى، والتولي يوم الزحف، وفهم أيضاً من كلامه أن الهرم إنما صحت توبته عن الزنا وقطع الطريق لقدرته على ما هو مثل ذلك في المنزلة،

(١) ليست بالأصل ولعلها ساقطة منه، إذ بها يستقيم السياق.

يرشدك على هذا تعليل قبول توبته بذلك، حيث قال: فلذلك صحت منه - أعني - الهَرَمِ التوبة من الزنا وقطع الطريق وسائر ما مضى من الذنوب التي عجز عن أمثالها - والله أعلم - .

ثم عنَّ لي بحث يرد على هذا التقدير، وهو: أن لو قدرنا أن رجلاً اقترف هذه الذنوب من الزنا وقطع الطريق ونحو ذلك، ثم إنه عجز عن إتيان مثلها صورة، وهو مصر على أن لو قدر على ذلك لفعله، ثم إنه عمي وصَمَّ وبِكَم وأقعد، بحيث لا يمكنه إتيان شيء من مثل هذه الذنوب لا صورة ولا منزلة، وعنَّ له أن يتوب مما كان اقترف، فندم في نفسه وعزم على التوبة وتاب في خاطره، فهل قائل بعدم توبة هذا الرجل مع صحة عقله؟ وقد يجاب بأن لا قائل بعدم صحة توبة مثل هذا، ولكن لا نسلم أنه لا يقدر على إتيان مثل هذه الذنوب منزلة، فإنه يمكنه أن يخطر في باله خاطر سوء ويعزم عليه ويصمم، والعزم والتصميم على المعصية معصية كما هو مقرر، والله تعالى كما قبل توبته بخاطره فإذا أساء بخاطره آخذه، وهذا لم أر من نبه عليه غير أنه ظاهر لذي البصائر، والله أعلم .

قال الغزالي: والرابعة أن يكون تَزُكُّ اختيارٍ ذلك تعظيماً له سبحانه وحذراً من سخطه، لا لرغبة دنيوية، أو رهبة من الناس، أو طلب ثناء وصيت أو ضعف في النفس، أو نحو ذلك، فهذه شرائط التوبة .

وأما مقدماتها فثلاث: ذكر شدة العقوبة منه سبحانه والإعراض عن العبد ومقته، الثانية: ذكر قبح الذنب، الثالثة: ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك، فإن من لا يحتمل حر شمس وقرص نملة، وضربة سوط، لا يحتمل حر نار جهنم، وضرب مقامع الزبانية، ولسع حيات كأعناق البخت، وعقارب كالبغال، خلقت من النار في دار الغضب والبوار، عياداً بك اللهم من سخطك، فإذا استحضر العبد هذه الحالة لم تَحُلْ له المعصية، وتاب

إلى ربه سبحانه، فإذا علمت ذلك فالحق أن التوبة واجبة من الكبائر والصغائر، أما الكبائر فالإجماع، وأما الصغائر فهو قول أصحابنا وغيرهم من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «شرح الأربعين النووية»: قد أمر الله بالتوبة عقب ذكر الصغائر والكبائر، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْدِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١]. فأمر بالتوبة من الكبائر والصغائر، فالنظر صغيرة، ولا جرم أن الزنا كبيرة، وذكر التوبة بعد ذلك بصيغة الأمر التي موضوعها الوجوب، وأمر التوبة من الصغائر بخصوصها في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ مَن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وزعمت طائفة من المعتزلة عدم الوجوب من الصغائر، وقالت طائفة من المتأخرين يجب أحد أمرين: أما التوبة أو الإتيان ببعض المكفرات للذنوب من الحسنات، وحكى ابن عطية في تفسيره قولين في تكفير الصغائر باجتناب الكبائر، أحدهما نعم، وحكاه عن بعض أصحاب الحديث والفقهاء، وأنه يقطع بتكفيرها بذلك لظاهر الآية، يعني قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]. وقيل: لا يقطع بذلك، وحكاه عن الأصوليين بل يظن ذلك ولا يقطع به إذ لو قطع بتكفيرها لكانت في حكم المباح الذي لا تبعة فيه وذلك نقض لعري الشريعة.

قال الحافظ: قلت قد يقال لا يقطع بتكفيرها، لأن أحاديث التكفير المطلقة بالأعمال جاءت مقيدة بتحسين العمل، كما ورد ذلك في الوضوء

والصلاة<sup>(١)</sup>، وحينئذ فلا يتحقق وجود حسن العمل الذي يوجب التكفير،  
والله الموفق.

والحاصل: أن التوبة واجبة من الكبائر والصغائر على الصحيح  
المعتمد، ولا التفات لمن لم يوجهها من الصغائر، والله سبحانه يتوب على  
من تاب بمنه وكرمه.



---

(١) لعله يشير إلى ما رواه مسلم رقم ٢٢٨ عن عثمان عن النبي ﷺ قال: «ما من امرئ مسلم  
تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من  
الذنوب ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله».

## فصل

ونحن نتلو عليك طرفا من الأخبار النبوية والآثار المرضية في التوبة إن شاء الله تعالى، أخرج مسلم والنسائي عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»<sup>(١)</sup>. وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من تاب من قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»<sup>(٢)</sup>، وأخرج ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو أخطأتم حتى تبلغ [خطاياكم]<sup>(٣)</sup> السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الحاكم وصححه عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الإجابة»<sup>(٥)</sup>.

وأخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»<sup>(٦)</sup>، وأخرج

(١) رواه مسلم رقم ٢٧٥٩ ولم أقف عليه عند النسائي.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٠٣.

(٣) ليست بالأصل وأثبتناها من لفظ الحديث.

(٤) رواه ابن ماجه (١٤١٩/٢) رقم ٤٢٤٨، وقال: في الزوائد هذا إسناد حسن. وذكره العجلوني

في كشف الخفا (١٠٨٤/٢) رقم ٢٠٨٨ وقال: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وسنده جيد.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٩٠/٧) رقم ٣٤٤٢١ بلفظ «ويرزقه الله الإجابة إليه»، والحاكم

(٢٦٨/٤) رقم ٧٦٠٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٦) رواه الترمذ (٦٥٩/٤) رقم ٢٤٩٩ وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه (١٤٢٠/٢) رقم

٤٢٥١، وأبو يعلى في مسنده (٣٠١/٥) رقم ٢٩٢٢، والحاكم (٢٧٢/٤) رقم ٧٦١٧

وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: علي بن مسعدة لئن.

البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن عبداً أصاب ذنباً فقال: يا رب إنني أذنبت ذنباً فاغفره لي، فقال له ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً آخر، وربما قال ثم أذنب ذنباً آخر، فقال: يا رب إنني أذنبت ذنباً آخر فاغفر لي، قال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر، وربما قال: ثم أذنب ذنباً آخر، فقال: يا رب إنني أذنبت ذنباً فاغفره لي، فقال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه: غفرت لعبدي فليعمل ما شاء»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ المنذري: معناه والله أعلم: أنه ما دام كلما أذنب ذنباً استغفر وتاب منه ولم يعد إليه، بدليل قوله: ثم أصاب ذنباً آخر فليفعل إذا كان هذا دأبه ما شاء، لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه، فلا يضره، لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعادوه، فإن هذه توبة الكذابين. انتهى.

ولا يخفى أن الحافظ المنذري سكت عن تاب من ذنب وأقلع عنه وعزم أن لا يعود إليه أبداً ثم عاد إليه، والحكم فيه كالذي عاد إلى مثله<sup>(٢)</sup> من القبول والغفران بلا ريب، والله أعلم.

وأخرج الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه في صحيحه والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن المؤمن إذا

(١) رواه البخاري رقم ٧٥٠٧، ومسلم رقم ٢٧٥٨.

(٢) في حاشية الأصل/ ولعل مراد الحافظ المنذري رحمته الله بقوله: عاد إلى مثله، أي مثل ذلك الذنب، يعني بأن زنا ثانياً، لأن الزنا ثانياً: مثل الأول... كما لا يخفى، بل هذا مراده بلا شبهة، وإنما دخل هذا على المؤلف من كلام الغزالي، حيث فسر المثل بالغير في حق الهرم الذي كان يزننى، فإنه يرجع عن مثله من نحو الغيبة، تأمل، والله أعلم.

أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن ماجة والترمذي وحسنه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (٢) عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر»<sup>(٣)</sup> - أي بمعجمتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وراء مكررة، معناه: ما لم تبلغ روحه حلقومه، فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به، ذكره المنذري وابن الأثير في النهاية وزاد: والغرغرة أن يجعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يُبلع. انتهى.

وفي حديث معاذ رضي الله عنه مرفوعاً: «وما عملت من سوء فأحدث له توبة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية»<sup>(٤)</sup>، رواه الطبراني بإسناد حسن غير أن عطاء وهو الراوي عن معاذ لم يدرك معاذاً، ورواه البيهقي وأدخل بينهما رجلاً لم يسم.

(١) رواه الترمذي (٤٣٤/٥) رقم ٣٣٣٤ بلفظ «العبد» بدل المؤمن واختلاف آخر يسير جداً وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه واللفظ له (١٤١٨/٢) رقم ٤٢٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤٠/٥) رقم ٧٢٠٣، والحاكم (٥٦٢/٢) رقم ٣٩٠٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) في الأصل (ابن عمرو) والمثبت هو الصواب.

(٣) رواه الترمذي (٥٤٧/٥) رقم ٣٥٣٧ وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (١٤٢٠/٢) رقم ٤٢٥٣، وأحمد (١٣٢/٢) رقم ٦١٦٠، وابن حبان في صحيحه (٣٩٤/٢) رقم ٦٢٨، والحاكم (٢٨٦/٤) رقم ٧٦٥٩ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) جزء من حديث أخرجه الطبراني (١٥٩/٢٠) رقم ٣٣١ وفي (١٧٥) رقم ٣٧٤، وابن أبي شيبة في المصنف (٧٨/٧) رقم ٣٤٣٢٥ باختلاف يسير جداً، وذكره الهيثمي (٣٩٥/٤) رقم ٧١٢٠ وقال: رواه الطبراني، وأبو سلمة لم يدرك معاذاً ورجاله ثقات، وفي (١٠/٧٢) رقم ١٦٧٥٣ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

وأخرج الأصبهاني عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض، حتى يلقي الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن ماجه والطبراني عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»<sup>(٢)</sup>.

قلت: أخرجه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وحسنه الحافظ ابن حجر بشواهد لأن في سنه أبا عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه ولم يسمع منه، وله شواهد ضعيفة، ورواه البيهقي في شعب الإيمان وزاد عن ابن عباس: «والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه»<sup>(٣)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: «الندم توبة»<sup>(٤)</sup> رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، ورواه الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه. وقال (ابن الدَّيْنَمِ) <sup>(٥)</sup> في كتابه [تميز الطيب من الخبيث فيما يدور على الألسنة من الحديث]: رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي سعيد الأنصاري مرفوعاً بزيادة: والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وسنده ضعيف.

وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله

(١) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق (١٧/١٤) وفي التوبة (٣٥) رقم ١٢، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤٨/٤) رقم ٤٧٥٦، وصدوره بصيغة التمرير.

(٢) رواه ابن ماجه (١٤١٩/٢) رقم ٤٢٥٠، والطبراني في الكبير (١٥٠/١٠) رقم ١٠٢٨١، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٣٦/٥) رقم ٧١٧٨، وفي السنن الكبرى (١٥٤/١٠) رقم ٢٠٣٤٧، وذكره الهيثمي (٣٣٠/١٠) رقم ١٧٥٢٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

(٣) انظر البيهقي في تخريج الحديث السابق.

(٤) سبق ص ٥٣٤.

(٥) في الأصل (الربيع).

ﷺ: «ما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفره منه»<sup>(١)</sup>، واعترض تصحيح الحاكم بأن فيه هشام بن زياد ساقط.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم من يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق، حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاءنا تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاموا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية «فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها»<sup>(٤)</sup> وفي رواية

(١) رواه الحاكم (٢٨٢/٤) رقم ٧٦٤٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي بأن هشام بن زياد متروك.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٤٩.

(٣) رواه البخاري رقم ٣٤٧٠، ومسلم رقم ٢٧٦٦ واللفظ له.

(٤) البخاري السابق.

«فأوحى تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له»<sup>(١)</sup>، وقال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدرة نحوها.

قلت: وأخرج ابن الجوزي هذه الزيادة في المرفوع قال: «فخرج فأدركه الموت فنأى بصدرة نحو القرية، فوجد إلى القرية أقرب بشبر، فغفر له»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة»<sup>(٣)</sup>، أي «وكان عليها طعامه وشرابه»<sup>(٤)</sup> كما في رواية فيهما.

وأخرج أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرض دويّة مهلكة، معه راحلته عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه، فأضلها، فخرج في طلبها، حتى إذا أدركه الموت ولم يجدها قال: أرجع إلى مكاني الذي أضللتها فيه فأموت فيه، فأتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه»<sup>(٥)</sup>، وأخرجاه بهذا المعنى من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم من حديث النعمان بن بشير. وأخرج الطبراني بإسناد حسن

(١) البخاري، السابق.

(٢) البخاري السابق.

(٣) رواه البخاري رقم ٦٣٠٩، ومسلم رقم ٢٧٤٧، ولكن باختلاف يسير جداً.

(٤) البخاري رقم ٦٣٠٨ ومسلم ٢٧٤٧.

(٥) رواه البخاري رقم ٦٣٠٨ باختلاف وزيادة ونقص، وكذا مسلم رقم ٢٧٤٤، والترمذي

واللفظ له (٦٥٨/٤) رقم ٢٤٩٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٣٨٣/١)

رقم ٣٦٢٧.

عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً «من أحسن فيما بقي غفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وما بقي»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البزار والطبراني واللفظ له وإسناده جيد قوي أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: «أرأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئاً، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة<sup>(٢)</sup> إلا أنها، فهل لذلك من توبة؟ قال: فهل أسلمت؟ قال: فأما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: تفعل الخيرات وتترك السيئات، يجعلهن الله لك خيرات كلهن، قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: نعم. قال: الله أكبر فما زال يكبر حتى توارى»<sup>(٣)</sup>.

قلت: وشاهده من كلام الله تعالى: ﴿يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

واعلم أن هنا بحثاً عظيماً وهو: هل السيئات تمحى بالتوبة النصوح لقوله ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»<sup>(٤)</sup> أو لا، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٦/٧) رقم ٦٨٠٦، وفي مسند الشاميين (٣٨٢/١) رقم ٦٦٤، وذكره الهيثمي (٣٣٤/١٠) رقم ١٧٥٣٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(٢) ساقطة من الأصل وفي الحاشية/ تأمل هنا لعله سقط.

(٣) الحاج والحاجة: أحد الحجاج، والدجاج والداجة: الأتباع والأعوان، يريد الجماعة الحاجة ومن معهم من أتباعهم، النهاية/ مادة: حجج.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٣١٤/٧) رقم ٧٢٣٥، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/٣٥٢)، وابن عساکر في تاريخ دمشق (٢٠٩/٥٦)، وذكره ابن حجر في الأمالي المطلقة (١٤٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والهيثمي (١٨١/١) رقم ٧٦ وقال: رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجال البزار رجال الصحيح غير محمد بن هارون أبي نسيط وهو ثقة.

(٥) جزء من حديث رواه الترمذي (٣٥٥/٤) رقم ١٩٨٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (١٥٨/٥) رقم ٢١٤٤١ عن أبي ذر.

يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٨] ويكون المحو لمجرد الإثم والمؤاخذة؟ قولان مشهوران أحدهما عندي أن المحو لمجرد المؤاخذة، وأنه لا بد له من التوقيف عليها يوم القيامة، ليظهر له عظم منة الله عليه، وأنه سبحانه ثمَّ يحول السيئة حسنة فيثبته عليها، هذا ما ظهر لي من زبدة بحث طويل فيه إجمال وتفصيل، قد نبه عليه أجلاء الفحول، وأثبتوا فيه الآثار والنقول، والله أعلم بالصواب من ذلك لا رب سواه ولا معبود إلا إياه.

إذا علم ذلك فعلى الحازم أن يبادر إلى التوبة ليحصل له التوفيق للطاعة، فإن شؤم الذنوب فساد القلوب، والحرمان من مشاهدة آثار أسماء المحبوب، والخذلان لدى علام الغيوب، فقيد الذنوب يمنع من النهوض إلى طاعة علام الغيوب، وكيف يسعى إلى مولاه من أثقلته خطاياها؟! وكيف يُنَوِّرُ قلباً بذكره وهو مصر على عصيانه ووزره؟! وكيف يذوق حلاوة الطاعة من اتخذ معصية الله له بضاعة؟! أم كيف يُدْعَى إلى الخدمة من هو مصر على الجفوة والصدمة؟! أم كيف يقرب للمناجاة من هو متلطح بالأقذار، حايد عن طرق النجاة؟! وفي الخبر «إذا كذب العبد تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه»<sup>(١)</sup>.

فإذا كان هذا حال الملكين المخلوقين، وهما عبدان، يتنحيان عن نتن لسان تضحك بالكذب فكيف هذا اللسان يناجي الحنان المنان؟! فلا جرم لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقاً، ولا تحفُّ أركانه للعبادة ولا يسلك لها طريقاً، وإن انتصب للعبادة فقد سلب حلاوتها وصفو لذتها،

(١) رواه الترمذي (٣٤٨/٤) رقم ١٩٧٢ بلفظ «إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً من نتن ما جاء به» وقال: هذا حديث حسن جيد غريب. والطبراني في الأوسط (٢٤٥/٧) رقم ٧٣٩٨ باختلاف يسير، وفي الصغير (٩٨/٢) رقم ٨٥٣ من حديث ابن عمر.

ولقد أجد في نفسي أني إذا خالطت أرباب الولايات أو أكلت من أموالهم ثقلاً، وربما معني من إتيان حزبي تلك الليلة، فأعلم أن سبب ذلك من ذلك، فنسأل الله أن يمن علينا بتوفيقه إنه ولي التوفيق.

وكل معصية أصابت العبد فبشؤم الذنوب وترك التوبة، ولقد صدق من قال: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك مكبول، وقد كبلتك خطيئتك.

واعلم أن العبادة ربما ردت ولم تقبل ممن لم يتب، فإن رب الدين لا يقبل الهدية، وذلك أن التوبة عن المعاصي وإرضاء الخصوم فرض لازم، ونوافل العبادة تبرع، والتبرع لا يقبل عليك الدين قد حل، والوقت قد فات واضمحل، وكيف تترك لأجله المباح وأنت مصر على فعل المحظور بالغد والرواح؟ أم كيف تناجيه وتثني عليه باللسان وهو سبحانه وتعالى عليك غضبان؟ وفي أثر: إني أذكر من ذكرني، وإذا ذكرني من هو مصر على معصيتي ذكرته باللعن. أو معنى ذلك، هذا وداعي الرحمن ينادي على رؤوس الأشهاد، ويدعو أهل التوفيق والسداد، في كل عصر ومصر لو كانوا يسمعون ويعقلون: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحریم: ٨]. ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]. فعلى العاقل أن يداوي ما به من الداء العضال، بالرجوع إلى حضرة ذي العزة والجلال، ويقرع باب التوبة ويرجع عن الذنب والحوية، أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود أنين المذنبين أحب إلي من صراخ العابدين. وقيل لرابعة: إني كثير الذنوب فإن تبت هل يتوب الله علي؟ قالت: لا بل إن تاب عليك تبت.

وقال ابن معاذ رحمه الله تعالى: ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها، نقله في طهارة القلوب.

واعلم أن الواجب على العبد أن يتوب، ويعزم على أن لا يعود عزمًا صادقًا، فإن عاد فليتب فإن الله يتوب عليه.

قال الغزالي في (منهاج العابدين) فيمن يقول: إني أعلم من نفسي أنني أعود إلى الذنب ولا أثبت على التوبة فلا فائدة في ذلك: إن هذا من غرور الشيطان، ومن أين هذا العلم؟ فعسى أن تموت تائبًا قبل أن تعود إلى الذنب، وأما الخوف من العود فعليك العزم والصدق في ذلك وعليه الإتمام، فإن أتم فذاك، وإلا فقد غفرت ذنوبك السالفة كلها فتطهرت منها، وليس عليك إلا هذا الحدث، فلا يمنعك خوف العود عن التوبة، فإنك من التوبة أبدأ بين إحدى الحسينين، والله ولي التوفيق والهداية.

واعلم أن الذنوب ثلاثة أقسام: ترك واجب فعليك أن تقضيه أو ما أمكنك منه، أو ذنب بينك وبينه تعالى كشرب الخمر فتندم عليه وتوطن القلب على عدم العود إليه، أو ذنب بينك وبين العباد وهذا أشكل وأصعب، وهو أقسام، إما في المال، أو في النفس، أو في العرض، أو في الحرمة، أو في الدين، فما كان في المال فعليك أن ترده عليه إن أمكن أو الاستحلال منه، فإن عجزت عن ذلك لغيبة الرجل أو موته فتصدق به عنه إن أمكن إن لم يكن له وارث، فإن تعذر ذلك كله فعليك بتكثير حسناتك والتضرع لمولائك أن يرضيه عنك، وأما ما كان في النفس فممكنه من القصاص أو أولياءه، فإذا أن يقتص أو يعفو، فإن عجزت فالرجوع إلى الله سبحانه أن يرضيه عنك يوم القيامة، وأما العرض فإن اغتبه أو شتمته فعليك أن تُكذِّب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده، فإن كان ما قلت حقًا فعليك التوبة وأن تستحل من صاحبه إن أمكن، وإلا فارجع إلى الله تعالى واسأله أن يرضيه عنك واستغفر له كثيرًا، وقل: اللهم اغفر لنا، وله فإن

ذلك كفارة الغيبة كما جاء عن حضرة الرسالة<sup>(١)</sup>، وأما الحرمة بأن خنته في أهله أو ولده ونحوه، فلا وجه للاستحلال، لأنه مثار الفتنة ومعتكف المحنة، فالرجوع إلى المولى في ذلك أن يرضيه عنك أخرى وأولى، وزعم بعضهم أنه يستحل إن أمن الفتنة، وأما في الدين بأن كفره أو بدعه ونحو ذلك - وهذا أصعب الأمر وأكثر هذا الداء في أهل العلم - فيحتاج إلى أن يكذب الإنسان نفسه عند من صدر منه ذلك عندهم، والاستحلال من صاحبه إن أمكن، وإلا فالابتهاال لذي الجلال أن يرضيه عنك في المآل، والله الموفق.

وجملة الأمر فما أمكن من إرضاء الخصم عملت، وما لا رجعت إلى الله بالتضرع والصدق إلى الله ليرضيه عنك، فيكون ذلك في مشيئة الله تعالى إذا علم من عبده الصدق أرضى الخصم من خزائن فضله، ومن رضي عنه مولاه أرضى عنه خصومه وتولاه.

قال الإمام العلامة ناصر السنة ابن الجوزي في (تبصرته): اعلم أن التوبة إذا صحت قبلت بلا شك إذا وقعت قبل نزول الموت، ولو كانت عن أي ذنب كان.

واعلم أن التوبة من أعظم الأمور اهتماماً، وقد ورد عن بعض العلماء العاملين أنه قال: دعوت الله سبحانه ثلاثين سنة أن يرزقني توبة نصوحاً، ثم تعجبت في نفسي وقلت: سبحان الله، حاجة دعوت الله فيها ثلاثين

(١) روى البيهقي في شعب الإيمان (٣١٧/٥) رقم ٦٧٨٦ «قال الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قد روينا في حديث مرفوع بإسناد ضعيف «كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبت»، وذكره الهندي في كنز العمال (٥٩٣/٣) رقم ٨٠٦٤، والذهبي في تذكرة الحفاظ (٩٦٧/٣) في ترجمة أبي الفتح محمد بن الحسين رقم ٩٠٨ وقال: هذا حديث منكر.

سنة فما قضيت إلى الآن، فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول لي: أتعجب من ذلك؟ أتدري ماذا تسأل الله تعالى؟ إنما تسأله سبحانه أن يحبك، أما سمعت قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ولا ينبغي للعاقل أن يغفل عما جرى لإبليس، فإنه كان من المقربين فأصبح من الملعونين، وبلعام ابن باعورا كان من الأولياء الكبار والمطلعين على دقائق الأسرار، وكان يحفظ الاسم الأعظم، فآل به الحال إلى قول ذي العزة والجلال: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ١٧٥]. فكان أول أمرهما ذنباً وآخره كفرأ فهلكا مع الهالكين، ومن أمثالهما خلق كثير وجم غفير، فعلى العبد المعترف بالعبودية الرجوع إلى مولاه، والإنابة إلى من يعلم سره ونجواه، فهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويهدي من أراد به خيراً إلى طريق رشاده.

قال بعض السلف: سواد القلب من الذنوب. وعلامة سواده أن لا تجد من الذنب مفرعاً، ولا للطاعة موقعاً، ولا للموعظة منجعاً، ولا يحقر العاقل من الذنوب شيئاً، فإن الله يقول: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]. وقد قال بعض السلف: أذنبت ذنباً وأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة، قيل: ما هو؟ قال زارني أخ لي في الله فاشتريت له سمكاً فأكل، فقممت إلى حائط جاري فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده.

ورأيت في بعض الإسرائيليات: أن جبريل أو غيره أخبر أن رجلين يوم القيامة توزن حسناتهما وسيئاتهما، فترجح أحدهما وترجح سيئات الآخر، فيقال: انظروا هل بقي لهذا من خير قط؟ فيقال: إنه كان جزاراً وإن فلانا- أعني الذي رجحت حسناته - طلع يوماً فوضع أصبعه

على لحم له فحملت يده من الدسومة شيئاً، فأخذ بمقدار تلك الدسومة من حسنات الذي رجحت حسناته فطاشت حسناته ورجحت سيئاته ووضعت في كفة الذي رجحت سيئاته فطاشت سيئاته ورجحت حسناته. أو هذا معناه فانظر واعتبر وبادر بالرجوع عن الذنب، وسافر بالقلب إلى الرب، وانظر حال الأب<sup>(١)</sup> الأعلى وما جرى له، مع أنه سبحانه خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأحله دار كرامته، فأخرجه من جنته بذنوب واحد، ونزع عنه تاج كرامته ثم اصطفاه ربه فتاب عليه وهدى، روي أن الله قال له: يا آدم أي جار كنت لك؟ قال: نعم الجار يا رب، قال: يا آدم أخرج من جواربي، وضع عن رأسك تاج كرامتي، فإنه لا يجاورني من عصاني، فبكى على ذنبه مائتي سنة، فقيل له: يا آدم أكل هذا البكاء على الجنة؟ فيروي أنه قال: شغفت بجار لا بدار ألفتها، على الجار أبكي لا بكاي على الدار، ويروي أن هذا قاله بعد وفاته، رآه بعض الصالحين، فعاتبه على كثرة البكاء مع تحقق الرجوع فأجابه به، فهذا حاله مع صفوته من خلقه فكيف بمن هو عن ذلك بمراحل؟ وفي مهلكات الذنوب قايل؟ فيالله العجب يرهبه المقربون ولا يخافه المدحسون، يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب؟ فعليك بالتوبة والندم، والرجوع إلى معدن الحلم والكرم، واطرق هاتيك الأبواب، ومرغ الخدود على التراب، والزم الوقوف لدى باب الرحيم الرؤوف، وناد بقلب حزين يا أرحم الراحمين عبيدك قد أتاك متصلاً، وقد دعاك متأملاً، فلا ترده خائباً، يا أرحم الراحمين، ببركة محمد ﷺ، آمين.

أنا عبدك الجاني وأنت المالك  
يا من تدارك طول جهلي حلمه  
إن لم تسامخني فإني هالك  
ذخري لحشري عفوك المتدارك

(١) يقصد آدم ﷺ.

مولاي أسرتُ القبيح وظاهري      حسن وأنت لحجب سِثري هاتك  
حَسْبِي حَسَاراً أن تراني مسرفاً      ويظن هذا الخلقُ أنني ناسكُ

والحاصل أنك إذا برأت قلبك من الذنوب كلها، وجزمت على أن لا تعود إلى الذنب والحبب جزماً صادقاً، وعزماً فائقاً، وأرضيت ما أمكن من الخصوم، وقضيت الفوائت، ورجعت فيما لا يمكن إلى الحي القيوم، فاذهب فاغتسل، واغسل ثيابك وصل أربع ركعات<sup>(١)</sup> كما يجب، وضع وجهك على التراب، ومرغ خد الذل على الأعتاب، ويكون ذلك في مكان خالٍ من سوى علام الغيوب، فإن علمه محيط بالكائنات، وعبدته في عينه أين كان، ثم ضع التراب على رأسك، ومرغ وجهك الذي هو أعز أعضائك بالتراب، بدمع جاري وقلب حزين وصوت عالٍ ونداء خفي، وتذكر ذنوبك ذنباً ذنباً، وتلوم نفسك العاصية عليها وتوبخها، وتقول أما تستحين يا نفس من مولاك؟ تبا لك فإلى متى أنهاك؟ جاء النذير ولم تتوبي، فارجعي وتيقني أن الرحيم يراك، حتى متى هذا التماذي في الهوى توبي، عسى مولى الوري يرضاك، أما آن لك أن تتوبي وترجعي، ألك طاقة بعذاب الله؟ ألك حاجة بسخط الله؟ تكثر من نحو هذا مع الدمع المسفوح، والقلب المجروح، ثم ترفع رأسك ويديك إلى أرحم الراحمين وتقول: إلهي عبدك

(١) ما ورد من السنة في ذلك هو ما رواه أحمد (٢/١) رقم ٢ عن أبي بكر عن النبي ﷺ قال: «ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء، قال مسعر: ويصلي، وقال سفيان: ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له» وفي (١٠) رقم ٥٦ ورواه الترمذي (٥/٢٢٨) رقم ٣٠٠٦ باختلاف يسير جداً وكذا ابن ماجه (٤٤٦/١) رقم ١٣٩٥، وابن حبان في صحيحه (٣٨٩/٢) رقم ٦٢٣، والطبراني في الكبير (١٨٥/١) رقم ٥٨٤، وروى الطبراني في الأوسط (١٨٦/٥) رقم ٥٠٢٦ عن أبي الدرداء قال: سمعت النبي ﷺ يقول «ما من مسلم يذنب ذنباً فيتوضأ ثم يصلي ركعتين أو أربعاً مفروضة أو غير مفروضة ثم يستغفر الله إلا غفر الله له» وذكره الهيثمي (٣٧/٢) رقم ١٦٧٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وقال: تفرد به صدقة بن أبي سهل، قلت: ولم أجد من ذكره.

الآبق رجع إلى بابك، عبدك العاصي رجع إلى الصلح ووضع خده على أعتابك، عبدك المذنب أتاك بالعدر فاعف عني بجودك وكرمك ومَنك، وتقبلني بفضلك، وانظر إليَّ برحمتك، الله اغفر لي عظام الأمور، يا منتهى همة المهمومين، يا من إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون، أحاطت بنا ذنوبنا فأنت المذخور لها، يا مذخور لكل شدة كنت أذخرُك لهذه الساعة، فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم، ثم أكثر من البكاء والتذلل وقل: يا من لا يشغله سمع عن سمع، يا من لا تُغلطه المسائل، يا من لا ييرمُهُ إلحاح المُلحين، أذقني بَرْد عفوك، وحلاوة مغفرتك، إنك على كل شيء قدير، ثم صل على النبي ﷺ واستغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات، وارجع إلى طاعة الله جل جلاله، فتكون قد تبت توبة نصوحاً، وقد خرجت من الذنوب طاهراً كيوم ولدتك أمك، وأحبك الله عز وجل، ولك من الأجر والثواب، وعليك من البركة ما لا يحيط به وصف الواصفين، وقد حصل الأمن والخلص، ونجوت من غُصَّة المعاصي وبليتها في الدنيا والآخرة، والله سبحانه وتعالى الموفق لكل خير، والمُؤقي لكل ضرر، ولا رب غيره، ولا يرجي إلا خيره.

\* \* \*

## الفصل الثاني

### في المحبة

لما ذكرنا التوبة وشرحنا لك معانيها وشروطها والآثار الحاتة على الرغبة فيها، أعقبناها بهذا الفصل العظيم، لكونه مرتباً عليها، وناشئاً عنها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وفيه مقاصد.

المقصد الأول: في لزوم المحبة له سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، قال الإمام الحافظ ابن رجب في كتابه «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس»، عن أبي عبدالله محمد بن خفيف الصوفي قال: سألتنا أبو العباس بن سريج بشيراز فقال لنا: محبة الله فرض أو غير فرض؟ قلنا: فرض قال: ما الدلالة على فرضها؟ فما منا من أتى بشيء يقبل، فرجعنا إليه وسألناه الدليل على محبة المولى الجليل، فقال: قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ الآية [التوبة: ٢٤]، فتوعدهم الله عز وجل على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله، والوعيد لا يقع إلا على فرض لازم وحتم واجب.

وفي الصحيحين عن أنس مرفوعاً: «إن محبة الله تمنعه من أن

يعصيه»<sup>(١)</sup> وقال عمر: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه، ذكره أبو عبيد في غريبه. وقال الحسن: ابن آدم أحب الله يحبك الله، واعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته. وقال رجل لرابعة إني أحبك في الله، قالت: فلا تبغض الذي أحببته له، وسئل ذو النون: متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يبغضه عندك أمرًا من الصبر، وقال النهرجوري: كل من ادعى محبة الله عز وجل ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور، وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده، وقال رويم: المحبة الموافقة في جميع الأحوال، وأنشد.

ولو قيل لي مُتُّ مُتُّ سمعاً وطاعةً      وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً<sup>(٢)</sup>  
 وخرج الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أعطى لله ومنع لله  
 وأبغض لله وأحب لله فقد استكمل إيمانه»<sup>(٣)</sup>.

وخرجه الإمام أحمد وزاد فيه: «وأنكح لله»<sup>(٤)</sup>.

وسئل ﷺ عن أفضل الإيمان فقال: «أن تحب لله، وتبغض لله،  
 وتعمل لسانك في ذكر الله»<sup>(٥)</sup>.

- (١) لم أقف عليه بهذا اللفظ فيما تحت يدي من مراجع.  
 (٢) في الأصل بياض بعد هذا البيت بمقدار أربعة أسطر وكذا في نسخة (أ).  
 (٣) رواه الترمذي (٦٧٠/٤) رقم ٢٥٢١ وقال: هذا حديث حسن، وأبو يعلى في مسنده (٣/٦٠) رقم ١٤٨٥ عن أبي أمامة، وكذا الطبراني في الكبير (١٣٤/٨) رقم ٧٦١٣، والحاكم (١٧٨/٢) رقم ٢٦٩٤ من حديث أنس وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.  
 (٤) أحمد (٤٣٨/٣) رقم ١٥٦٥٥.  
 (٥) رواه أحمد (٢٤٧/٥) رقم ٢٢١٨٣، ورقم ٢٢١٨٥، والطبراني في الكبير (١٩١/٢٠) رقم ٤٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٦/١) رقم ٥٧٩، كلهم من حديث معاذ بن أنس، وذكره الهيثمي (٢٢٧/١) رقم ٢١١ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده ابن لهيعة.

والمحبة الصادقة الصحيحة تمنع من الإصرار على الذنوب وعدم الاستحياء من علام الغيوب، ولذا قيل:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه      هذا لعمري في القياس شنيع  
لو كان حبك صادقاً لأطعته      إن المحب لمن يحب مطيع

واعلم أن من أعظم المطالب وأهمها سؤال الله تعالى المحبة على أكمل الوجوه وأتمها، وفي دعائه ﷺ «وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك»<sup>(١)</sup> خرج الإمام أحمد والترمذي وصححه والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وفي بعض الروايات: «وحب عمل يبلغني حبك»<sup>(٢)</sup>.

وفي دعاء داود ﷺ: اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد، رواه الترمذي وقال: حسن غريب، وفي دعاء نبينا ﷺ: «اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي مما تحب»<sup>(٣)</sup>، رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

وذكر الحافظ ابن رجب (أن)<sup>(٤)</sup> الله تعالى أرسل إلى سليمان بن داود عليهما السلام بعد موت أبيه ملكاً من الملائكة، فقال له الملك: إن ربي عز وجل أرسلني إليك لتسأله حاجة، قال سليمان: فإني أسأل ربي أن يجعل

(١) جزء من حديث رواه أحمد (٢٤٣/٥) رقم ٢٢١٦٣، والترمذي (٣٦٨/٥) رقم ٣٢٣٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم (٧٠٢/١) رقم ١٩١٣.

(٢) الترمذي السابق.

(٣) رواه ابن أبي شيبه (٧٦/٦) رقم ٢٩٥٩٢، والطبراني في الدعاء (٤١٤/١)، والترمذي (٥٢٣/٥) رقم ٣٤٩١ عن عبد الله بن يزيد الخطمي، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤) ليست بالأصل وأثبتها ليستقيم السياق.

قلبي يحبه كما كان قلب أبي داود يحبه، وأسأل الله تعالى أن يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب أبي داود يخشاه، فقال الرب تبارك وتعالى: أرسلت إلى عبدي ليسألني حاجة فكانت حاجته إليّ أن أجعل قلبه يحبني وأجعل قلبه يخشاني، وعزتي لأكرمنه، فوهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، ثم قال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٩) وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزْفًا وَحَسَنَ مَأَبٍ ﴿٤٠﴾ [ص: ٣٩-٤٠].

وكان الحسن رحمه الله تعالى يقول: اللهم املأ قلوبنا إيماناً بك، ومعرفة بك، ومعرفة لك وتصديقاً لك، وحباً لك، وشوقاً إلى لقائك، وعن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام أنه كان يقول في دعائه: اللهم ارزقني محبة لك تقطع بها عني محبات الدنيا ولذاتها، وارزقني محبة لك تجمع لي بها خير الآخرة ونعيمها، اللهم محبتك آثر الأشياء عندي، وأقرها لعيني، واجعلني أحبك حب الراغبين في محبتك، حباً لا يخالطه حب هو أعلى منه في صدري، ولا أكبر منه في نفسي، حتى يشتغل قلبي به عن السرور بغيره، حتى تكمل لي به عندك الثواب غداً في أعلى منازل المحبين لك يا كريم، وكان الحسن هذا من خيار أهل البيت، وكان يدعو بهذا الدعاء آخر كلامه ويبكي.

واعلم أنه لا يتصور حب إلا بعد معرفة بإدراك، وكل ما في إدراكه لذة فهو محبوب، لأن في الطبع ميلاً إليه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «حب إلي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة»<sup>(١)</sup> فجعل الصلاة أبلغ المحبوبات، قال ابن الجوزي: ومن المعلوم أنه ليس

(١) رواه أحمد (٣/١٢٨) رقم ١٢٣١٥، ١٢٣١٦، (ص ١٩٩) رقم ١٣٠٧٩، والنسائي (٧/٦١) رقم ٣٩٣٩، ٣٩٤٠، والحاكم (٢/١٧٤) رقم ٢٦٧٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

تحظى بها الحواس، بل حس سادس مظته القلب، وهذه الحاسة تدرك بالخمس، وبها يتميز الآدمي عن البهيمة، فجمال المعاني المدركة بالعقل والبصيرة أعظم من جمال الصورة الظاهرة للأبصار، فتكون لذة القلوب بما تدركه من الأمور الشريفة التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ، فيكون مثال العقل الصحيح أقوى، فلا ينكر حب الله إلا من لم يجاوز إدراك الحواس، ومن المعلوم أن الإنسان يحب نفسه ودوام وجودها، ويحب المال لأنه سبب بقائه، ويحب ولده لأنه جزء منه، ويحب أهله ومن أحسن إليه، وليس كل جمال يدركه الحس، فإن القلب أشد إدراكاً من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور المدركة بالأبصار، فإن من أحب أبا بكر وعلياً شاهد جمالهما وكمالهما في معانيه بعين علمه لا ببصره، وكذلك من أبغض إبليس وأبا جهل فمباشرة البصائر مقابحهما لا صورهما، وهذه البصيرة هي نور العقل التام المعبر بها عند القوم بالذوق<sup>(١)</sup>، فجل المعاني العظيمة إنما تدرك بالذوق لا بالحواس، فالصبي يستلذ اللعب، فإذا ترعرع رأي لذة الزينة وركوب الخيل فاحتقر ما كان فيه من اللعب، فإذا بلغ طلب النكاح فاحتقر ما كان فيه قبله، فإذا رأى الرئاسة والعلو وكثرة المال قدمه علي ذلك، فإن كان قلبه نيراً قدم حب العلوم على الكل، لأن لذة العلم تدرك بالذوق والعقل، فتزيد على اللذات

(١) الذوق عند الصوفية هو: نور يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب ولا غيره، وقال ابن عربي: الذوق أول مبادئ التجليات الإلهية، انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٣٥٣)، وكذا التعريفات للجرجاني (١٤٤).

قلت: وبناء على هذا التعريف فإن بغض إبليس وأبي جهل لم يكن بالذوق بل كان قائماً على الأدلة القطعية من كتاب الله وسنة وسيرة رسوله ﷺ، فإن عداوة إبليس ظاهرة ومنقولة في الكتاب والسنة وكذا أبي لهب ومن على شاكلته.

الحسية، فعلى هذا لا محبوب على الحقيقة للعقول النيرة إلا الله عز وجل، لأن الحب ميل النفس إلى الشيء الموافق، والكمال والجمال الإحسان موافق، والله عز وجل منفرد بذلك، فإنه تام القدرة، كامل الصنعة، ظاهر الحكمة، خالق النفس، وبه قوامها وتكملها، فمن أحب نفسه وجب عليه حب من أفاده الوجود وأدامه له، وهياً له أسبابه وأحسن إليه، وحب المحسن يقع اضطراراً، قال عليه السلام: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه»<sup>(١)</sup>.

فمن لاحظ جمال العزة وكمال العظمة وجزيل الفضل أحبه ضرورة، وهذه المحبة لا تحصل إلا بعد المعرفة، وقولنا الحب ميل النفس إلى الشيء الموافق هو أحد الأقوال في تعريف المحبة، وقيل: هي الميل الدائم بالقلب الهائم، وقيل: قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك، وقيل: ذكر المحبوب عدد الأنفاس، كما قيل:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل  
وقيل: مصاحبة المحبوب على الدوام، كما قيل في ذلك:

ومن عجبني أني أحن إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي  
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي  
وقيل: حضور المحبوب عند المحب دائماً، وأن يكون القلب في  
تطلب الوصل هائماً، كما قيل:

ومن عجبني أني أحن إليكم ولم يخل طرفي من سناكم ولا قلبي

(١) رواه الترمذي (٦٦٤/٥) رقم ٣٧٨٩ بزيادة في آخره وقال: هذا حديث حسن غريب، والطبراني في الكبير (٤٦/٣) رقم ٢٦٣٩، وفي (٢٨١/١٠) رقم ١٠٦٦٤، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٦/١) رقم ٤٠٨، والحاكم (١٦٢/٣) رقم ٤٧١٦ كلهم من حديث ابن عباس وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وأطلب قرباً من حماكم وأنتم إلى ناظري والقلب في غاية القرب  
وقيل: هي سكون بلا اضطراب واضطراب بلا سكون، فيضطرب  
القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه، ويضطرب شوقاً إليه ويسكن عنده، وهذا  
معنى قول من قال: هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب وسكونه  
عنده.

وفي اشتقاقها أقوال، قيل من حبة القلب وهي سويداؤه، فسميت بها  
لوصولها إلى حبة القلب، وقيل: مشتقة من اللزوم والثبات ومنه: أَحَبَّ  
البعير إذا برك فلم يقم، وقيل: من حَبَاب الماء - بفتح الحاء المهملة - أي  
معظمة أو ما يعلو عند المطر الشديد، فعلى هذا المحبة غليان القلب  
وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب، وقيل: من الحَبِّ وهو جمع  
حبة، أعني لباب الشيء وخالصة وأصله، فإن الحَبَّ أصل النبات والشجر،  
وقيل: من حَبِّ الماء الذي يوضع فيه، لأنه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع  
غيره إذا امتلأ، وكذلك قلب المحب إذا امتلأ من الحب فلا اتسع فيه لغير  
المحبوب، والحَبُّ بالكسر: الزير، وقيل: مشتقة من الصفاء، لأن العرب  
تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حيب الأسنان، وقيل غير ذلك.

وسئل الجنيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن المحبة لله فقال: عبد ذهب عن نفسه،  
واتصل بذكر ربه، وقام بأداء حقوقه، ونظر إليه بقلبه، فإن تكلم فبالله، وإن  
سكت فمع الله.

وقال بعضهم: الحب كامن في الفؤاد كالنار في الزناد، إن قدحته  
أورى، وإن تركته توارى، فهو أطف من أن تدركه عبارة، وأدق من أن  
تتناوله إشارة، يستدل عليه بآثاره ويعرف وجوده بأنواره، وكلامهم في هذا  
الباب كثير جداً، والظاهر أن كل محب أخبر بحسب ما أدرك من حاله

ولذيذ وصاله، فكل محب عبر عن حاله وبلباله<sup>(١)</sup> بحسب ما أمكنه، وإلا فالحب إنما يدرك بمجرد الذوق، إذ هو لا يدرك بالحواس الخمس كما أسلفنا بل بالذوق الصحيح، واللّه تعالى أعلم.

واعلم أن من الأسباب المستجلبة لمحبة رب الأرباب معرفة نعمه الوافره، ومنه السافرة، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وهذا مروى عن ابن مسعود رضي الله عنه، ولذا قال بعضهم: إذا كانت القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، فواعجبا لمن لا يرى محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته إليه؟

وقال بعضهم: ذكر النعم يورث الحب لله عز وجل.

وقال الفضيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أحبني وأحب من يحبني وحبيني إلى خلقي، قال: يا رب هذا أحبك وأحب من يحبك، فكيف أحبك إلى عبادك؟ قال: تذكرني ولا تذكر مني إلا حسناً.

وعن كعب: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: يا موسى أتحب أن أحبك وملائكتي والجن والإنس؟ قال: نعم يا رب قال: حبيني إلى خلقي، قال: كيف أحبك إلى عبادك؟ قال: ذكرهم آلائي ونعمائي، فإنهم لا يذكرون مني إلا كل حسنة.

وقال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: الفكر في نعم الله أفضل عبادة، وكلام الإمام أحمد يدل على هذا، وكان أكثر عمل أبي الدرداء رضي الله عنه الاعتبار، وقال رضي الله عنه: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

(١) البَبَلَةُ والبَلَابِلُ والبَلْبَالُ: شدة الهم والوسواس في الصدر، وحديث النفس. لسان العرب/ مادة: بلل.

وقال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك، وأفضل العبادة التفكير والورع، ومن لم يكن كلامه حكماً فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكيراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو.

قال الإمام ابن الجوزي طيب الله ثراه: وما زال أهل العلم يعودون التفكير على التذكر، وبالتذكر على التفكير، ويناطقون القلوب فإذا لها أسماع وأبصار، فنطقت بالحكمة وضربت الأمثال وأورثت العلم. وقال سفيان بن عيينة: الفكرة نور تدخله القلب، وكان رحمه الله تعالى ينشد:

إذا المرء كانت له فكرة فضي كل شيء له عبيرة  
واعلم أنه كلما قويت معرفة العبد بالله قويت محبته لطاعته وحصلت له لذة العبادات من الذكر وغيره على قدر ذلك، وقد أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخبرني أهل الكتاب أن هذه الأمة تحب الذكر كما تحب الحمامة وكرها، ولهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها.

وقال مالك بن دينار: ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل.

وقال مسلم أبو عبدالله: ما تلذذ المتلذذون بشيء في صدورهم ألد من حب الله عز وجل ومحبة أهل ذكره.

وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: أعلى الدرجات أن يكون عندك ذكر الله أحلى من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصايف.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء، قال

فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول: هل رأوني؟ فيقول: لا ما رأوك، قال: فيقول كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا لك أشد عبادة وأشد لك تمجيداً وتحميداً وأكثر لك تسييحاً<sup>(١)</sup> - الحديث.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه (استنشاق نسيم الإنس) وإذا كان مخلوق يقول في مخلوق:

وكنت أرى أن قد تناهى بي الهوى إلى غاية ما فوقها لي مطلب  
فلما تلاقينا وعانيت حسنهما علمت يقيناً أنني كنت ألعب

فكيف بالخالق جل ذكره، الملك الحق العظيم، الذي لا يقدره حق قدره أحد، ولا يحيط خلقه به علماً، ولا يحصون ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، ولا يبلغ الواصفون صفته.

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى: معاملته بالصدق والإخلاص ومخالفة الهوى، فإن ذلك سبب لتفضل الله على عبده، وأن يمنحه محبته، قال فتح الموصلي: من أدام النظر بقلبه ورثه ذلك الفرح بالمحسوب، ومن أيدته<sup>(٢)</sup> على هواه أورثه ذلك حبه إياه، ومن اشتاق إليه وزهد فيما سواه ورعى حقه وخافه بالغيب ورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم.

ويذكر عن السري السقطي رحمته الله أنه كان له دكان، فاحترق السوق الذي كان فيه الدكان ولم يحترق دكانه، فأخبر بذلك فقال: الحمد لله، ثم تفكر في ذلك فرأى أنه سر بعطب الناس وسلامته، فتصدق بما في دكانه، فشكر الله له ذلك ورقاه إلى درجة المحبة، وسئل مرة عن حاله فأشد:

(١) رواه البخاري واللفظ له رقم ٦٤٠٨، ومسلم رقم ٢٦٨٩.

(٢) هكذا بالأصل ولعلها (آثره).

من لم يبت والحب حشو فواده لم يدر كيف تفتت الأكباد  
وبلغ من أمره أنه لما مرض رفع ماؤه إلى الطبيب، فلما رآه الطبيب  
قال: هذا عاشق، فصعق حامل الماء وغشي عليه.

وقال ذو النون: من شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه نور  
الاشتياق إليه.

قال الحسن: من عرف الله أحبه، وإذا تمكنت المعرفة أوجبت  
المحبة وأخرجت كل محبوب سواه من القلب، ومتى تمت المحبة تمت،  
فظهر على الأبدان آثارها كما يظهر على الأرض أزهارها، والله أعلم.

وفي الباب أخبار كثيرة جداً، وإنما نشير إلى بعض الأصول، فافهم  
معانيها وُصول، وتها للوصول.

### المقصد الثاني في علامات المحبة الصادقة والتأذ المحبين بها.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل  
عمران: ٣١] وقال: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ  
أَذَلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَظَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ  
فَضَّلَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ مَنِيشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] فوصف سبحانه أهل  
المحبة بخمسة أوصاف:

أحدها: أنهم أذلة على المؤمنين، والمراد لين الجانب وخفض  
الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين، كما قال لرسوله: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ  
أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] ووصف أصحابه ﷺ بمثل ذلك في  
سورة الفتح في قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ  
بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وهذا يرجع إلى أن المحبين له سبحانه يبغضون

أعداءه، ويحبون أحبائه، ويعودون عليهم بالرأفة والعطف والرحمة بهم واللفظ.

الثاني: العزة على الكافرين، والمراد الشدة والغلظة عليهم، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّارُ جَهْدًا وَالْكَفَّارُ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] وهو يرجع إلى أن المحيين له يبغضون أعداءه، وذلك من لوازم المحبة الصادقة، فقد أجرى الله العادة بأن محب المحبوب محبوب، وعدوه عدو، ومحب العدو عدو، ومغبضه محبوب، قال بعضهم:

إذا صافى صديقك من تعادي فقد عاداك وانفصل الكلام  
الثالث: الجهاد في سبيله سبحانه، وهو مجاهدة أعدائه باليد واللسان، وهو من تمام معاداة أعداء المحبوب.

الرابع: أنهم لا يخافون لومة لائم، والمراد أنهم يجتهدون فيما يرضي المحبوب من الأعمال، ولا يتبرمون بلوم من لام في ذلك، رضي من رضي أو غضب من غضب، إذ مطلوب المحب رضي المحبوب، وهذا من علامات المحبة الصادقة، بأن يشتغل المحب بما يرضي حبيبه ومولاه، ولا ينظر إلى من سخط سواه، ولذا قيل: من شرب من كأس المحبة وقف مع مراد مُحِبِّه، ولقد أحسن من قال:

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي      مُتَأخِر عنه ولا متقدّم  
أجد الملامة في هواك لذيفة      حباً لذكرك فليلمني اللوم

الخامس: متابعة الرسول ﷺ: وهو طاعته وامثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والوقوف عند هديه من غير تحريف ولا إلحاد، قال الحسن: كان ناس على عهد رسول الله ﷺ يقولون: يا رسول الله إنا نحب ربنا حباً شديداً، فأحب الله أن يجعل لحبه علماً، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ

كُنْتُ نُحِبُّونَ اللَّهَ فَأَتَّبِعُونِي ﴿ الآية [آل عمران: ٣١].

والحاصل: أنه لا يُوصَل إلى الله تعالى إلا من طريق رسوله محمد ﷺ باتباعه وطاعته، كما قال الجنيد قدس الله روحه: الطرق إلى الله مسدودة إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ.

ومن ثمَّ قال شيخ الإسلام قدس الله روحه: من زعم أنه يصل إلى الله من غير طريق الرسول، أو أنه لا يحتاج إلى هديه، أو أن من عرف الله لا يلزمه اقتفاء أثره فقد كفر.

ولقد وقفت على كلام أناس ممن زعم أنه عرف الله، وأنه من أهل الحقيقة، لا يشبه كلام أهل الإسلام، بل سمعت كلاماً من بعض هؤلاء لا يكاد أن يصدر ممن يتدين بدين ما، وأنا أحلف بالله أن هؤلاء أشد كفرة من اليهود والنصارى، وقد رد كلامهم جمع من أنصار دين الله، وبينوا إلحادهم وكفرهم، وأنهم لا دين لهم قديماً وحديثاً، وحذروا من الاغترار بهم، وزجروا عن الاقتفاء بسريهم نهياً حثيثاً، ولقد أحسن في عصرنا الشيخ الإمام العارف بالله سيدي مصطفى البكري، لزال يبتكر المعاني الدقيقة، ويكشف عن وجوه مخدرات الحقيقة، بتصنيف كتابه المسمى (بالسيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد) فلقد أجاد وأفاد، وأتى بما فوق المراد، فجزاه الله عن دينه خيراً، فنسأل الله تعالى معرفة ندرك بها الأشياء على ما هي عليه، والله أعلم.

وقال إبراهيم بن الجنيد: علامة المحب على صدق الحب ست خصال: دوام الذكر بقلبه بالسرور بمولاه، وإيثاره محبة سيده على محبة نفسه والخلائق أجمعين، والأنس به دون غيره، والشوق إلى لقائه، والرضى عنه في كل شدة وضر ينزل به، واتباع رسوله ﷺ.

## مطلب

## محبة الرسول ﷺ على قسمين: فرض وفضل

ومحبة الرسول ﷺ على درجتين: إحداهما فرض، وهي التي تقتضي قبول ما جاء به من عند الله، وتلقيه بالمحبة والتعظيم، والرضى به والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والكف عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بد منه، فلا يتم الإيمان بدونه.

**الثانية فضل:** وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسى به، وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وأدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه، والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلب عند ذكره وتصوره، وكثرة الصلاة عليه لما سكن في القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره، ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، فإنه لم يزل المحب يتلذذ بكلام محبوبه، ويقدمه على كل كلام.

فمحبة كلام المحبوب أمر جبلي، ولذا قيل:

لم أسع في طلب الحديث لسمعة      أو لاجتماع قديمه وحديثه  
لكن إذا فات المحب لقاء من      يهوى تعلق باستماع حديثه.

ومن أعظم ذلك الاقتداء به ﷺ في الدنيا، والاجتزاء منها بالأدنى، مع نهوض الهمة إلى درجات العلا من الآخرة، والرغبة فيما يوصل إلى تلك المقامات الفاخرة.

## مطلب

## علامة حب الله سبحانه وتعالى حب كلامه القديم وذكره الحكيم

وقد علم مما قررنا أن من علامات محبة الله سبحانه حب كلامه القديم، وذكره الحكيم، الذي هو القرآن العظيم، وعلامة حب الله تعالى وحب كلامه حب رسول الله ﷺ، وعلامة حب رسوله ﷺ حب سنته وما جاء به، وأما الذين نبذوا السنة الغراء وراء ظهورهم، واعتمدوا كلام مقلديهم فما لهم وما لمحبة الله ورسوله، إنما يزعمون ذلك بلا برهان ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وكيف يحبه أهل التعطيل والإلحاد؟ أم كيف يحبه أهل التشبيه والتمثيل والفساد؟ وأيم الله إن أهل التعطيل إذا سمعوا الأحاديث الصحيحة، والأخبار الصريحة، المخالفة لمذهبهم المرذول، لتذهب منهم العقول، وإذا سمعوا الآيات القرآنية والكلمات الربانية المخالفة لنحلتهم لتنفّر منها قلوبهم، ويقابلون ذلك بأنواع الإلحاد والابتكار، والتأويلات الفاسدة، والإشارات الباردة، وتارة يردونها بالطعن فيها مع عدالة ناقلها، فليس لكل هؤلاء من محبة الله ورسوله إلا كمثل عطشان بعث رسوله ليأتيه بالماء في غربال، فلا يصل إليه من ذلك الماء ما ينتفع به، وهو مع ذلك مشغول البال.

وحاصل مع عليه هؤلاء من محبة الله تعالى ورسوله.

أما لا حقيقة لها في نفس الأمر      إن الأماني والأحلام تضليل  
وكل يدعي وصلاً ليلى      وليلى لا تقر لهم بوصل

## مطلب

## علامة حب السنة حب الآخرة

ومن علامة حب السنة حب الآخرة، وقال بعضهم: علامة محبة الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً يبلغه إلى الآخرة، وقال بعضهم علامة بغض الدنيا أن لا تذكرها بمدح ولا ذم، واعلم أن محبة الله سبحانه على قسمين:

واجبة: وهي تقتضي محبة ما أوجب من الطاعات وامثالها، وكراهة ما كرهه من المحرمات واجتنابها.

ومستحبة: وهو تقتضي محبة القرب إليه بالنوافل، والورع عن دقائق المكروهات، والمحبة الواجبة تقتضي مخالفة الهوى وإيثار ما يحبه ويرضاه على ما تشتهي النفس وتهواه، فإن الإناء إنما يصلح لشراب واحد واحد، لم يجعل الله لرجل من قلوبين في جوفه، فبقدر ما يدخل القلب من هم وإرادة وحب، يخرج منه هم وإرادة وحب، فهو إناء واحد، والأشربة متعددة، فبأي شراب ملأه لم يبق فيه موضع لغيره، وإنما ينبغي أن يمتلئ الإناء بأعلى الأشربة إذا صادفه خالياً، فأما إذا صادفه مملئاً من غيره لم يساكنه حتى يخرج ما فيه، وها أنت وقلبك فاختر لنفسك ما يحلو:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى      فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

وقد أحسن من قال في هذا وبالغ في التحقيق لا كمن هدى:

لقد كان ينسب القلب في كل ليلة      ثمانون بل تسعون نفساً وأزجج  
يهمُّ بهذا ثم يالف غيره      ويسلوهم من فوره حين يضحج

فكان بحب الخلق يلهو ويمرح  
فلست أراه عن جنابك يبرح  
وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح  
يُقرُّ به القلبُ الجريحُ ويفرح  
فليس له عن بابكم متزحزح  
وُحْبُكُم الفردوس أو هو أفيح  
ويا رحمة مما يجول ويكدح

وقد كان قلبي ضائعاً قبل حبكم  
فلما دعا قلبي هواك أجابه  
حرمت منى منك إن كنت كاذباً  
وإن شيء في الوجود سواكم  
وإن لعبت أيدي الهوى بمحبكم  
هوى غيركم نار تُلظِّي ومحبس  
فياضيم قلب قد تعلق غيركم

قال الإمام ابن القيم في كتابه (طريق الهجرتين ومفتاح السعادتين):  
إذا تمكنت المحبة في القلب وامتلاً القلب منها أخرجت محبة الله سبحانه  
كل ما يكره الله.

سوى حب ليلي قد تمكن في القلب  
وسارت لحن الأنس والوصل والقرب  
رقيقاً وصار القلب معترك الحب

فلم يبق في قلب المحب دقيقة  
فلو نظقت الأعضاء نادت برسمها  
فيا حبذا لما تملكني الهوى

وفي الحديث: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي  
يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»<sup>(١)</sup>، يعني توليته  
فصار نظره وسمعه وبطشه ومشيه إنما هو لي وبي، فاحذر أن تزل قدمك،  
ويستولي عليك ندمك، واحذر كل الحذر من كلام أهل الاتحاد والزندقة  
والإلحاد، واعلم أن المحبة تنتهي القرية والاجتهاد، فلا يسأم المحبون من  
طول القيام، وإدمان الصيام، والذكر والتبتل والتوجه والتوسل، فلا يسأم  
المحب من ذكر محبوبه، ولا ينفّر طالب من قرب مطلوبه، ويجتهد المحب  
في تحببه سبحانه إلى خلقه، ويمشون بين عبادته بالنصائح، ويخافون عليهم

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٦٥٠٢ عن أبي هريرة.

من أعمالهم يوم تبدو الفضائح، أولئك أولياء الله وأحباؤه، وأهل صفوته وأعزائه، فلا راحة لهؤلاء دون لقائه.

وذكر الحافظ ابن رجب رحمته الله قال: نظر الله تعالى إلى داود عليه السلام وهو وحداني منتبذ قال: مالك وحداني؟ قال: عاديت الخلق فيك، قال: أو ما علمت أن من محبتي أن تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل؟ هنالك أكتبك من أوليائي ومن أحبائي، فإذا كنت كذلك كتبتك في ديوان أهل المحبة.

وقال بعض العباد في مناجاته: إذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك.

وأوصى بعض السلف بعض المريدين فقال له:

وكن لربك ذا بر لتخدمه إن المحبين للأحباب خدام  
فصاح المريد صيحة فسقط مغشياً عليه.

وقال أبو عبدالرحمن المغازلي: لا تعطي<sup>(١)</sup> طريق المحبة غافل ولا ساه، المحب لله عز وجل طائر القلب، كثير الذكر، متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل.

وقال محمد بن نعيم الموصلي: إن القلب الذي يحب الله عز وجل يحب التعب والنصب لله، إنه لن يُنال حب الله بالراحة.

وقال رجل لبعض العارفين أوصني. قال: أدمن فعل الخيرات وتوصل إلى الله بالحسنات، فإني لم أر شيئاً قط أرضى للسيد مما يحب،

(١) هكذا بالأصل.

فبادر بمحبته يسرع في محبتك، ثم بكى، فقال له: زدني رحمك الله، قال: الصبر على محبة الله وإرادته رأس كل بر، أو قال كل خير.

واجتمع أحمد بن أبي الحواري وجماعة من الصالحين بعد صلاة العتمة وقد خرجوا من المسجد إلى بيت رجل قد دعاهم إلى طعام صنع له، فأنشدهم رجل قبل دخول الباب:

علامة صدق المستخصين بالحب      بلوغهم المجهود في طاعة الرب  
وتحصيل طيب القوت من محيائه      وإن كان ذاك القوت من مرتقى صعب

فلم يزل يردد هما وهم قيام حتى أذن مؤذن الفجر ورجعوا إلى المسجد.

وخرج ابن أبي الدنيا عن مضر قال: اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبو عبدالله، فقال رجل من الأزدي بيتاً من الشعر وهو:

ما للمحب سوى إرادة حبه      إن المحب بكل بر يضرع  
فبكى مسلم حتى خشيت - والله - أن يموت.

وبالجملة أهل المحبة هم أهل الود والصفاء، والإقبال والوفاء.

ومن أعظم علامات المحب لله حب كلامه الذي هو القرآن، وقد أخرج ابن ماجه أنه كان رجل يقرأ قراءة عالية، فمات بالمدينة، فحملوا نعشه، فقال النبي ﷺ: «ارفقوا به رفق الله به، إنه كان يحب الله ورسوله، وحفر حفرة فقال: أوسعوا له وسع الله عليه، فقال بعض أصحابه: يا رسول الله لقد حزنت عليه؟ قال: أجل إنه كان يحب الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه ابن ماجه (٤٩٧/١) رقم ١٥٥٩، وقال: في الزوائد وفي إسناده موسى بن عبيدة، قيل منكر الحديث أو ضعيف، وقيل: ثقة وليس بحجة، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٤١٧) رقم ٥٨٣، والشيباني في الأحاد والمثاني (٣٤٨/٤) رقم ٢٣٨٢.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله ، وفي رواية عن ابن مسعود : من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله عز وجل فليعرض نفسه على القرآن ، فمن أحب القرآن فهو يحب الله عز وجل ، وإنما القرآن كلام الله عز وجل .

وقال أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه : سمعت ابن عيينة يقول : لا تبلغوا ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله عز وجل ، ومن أحب القرآن فقد أحب الله عز وجل .

وقال أحمد بن أبي الحواري عن بعض السلف : حب الله عز وجل حب القرآن ، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم العمل بسنته .

وقال أبو سعيد الخراز : من أحب الله عز وجل أحب كلامه ولم يشبع من تلاوته .

وقال أبو طالب المكي : قال سهل بن عبدالله : علامة حب الله حب القرآن ، وقال الإمام الحافظ ابن الجوزي في «تبصرتة» : يا من يعاتبه القرآن وقلبه غافل ، وتناجيه الأيام والآيات وفهمه ذاهل ، اعرف قدر المتكلم ، وقد عرفت قدر الكلام ، وأحضر قلبك الغائب وقد فهمت الملام ، ثم قال : مكتوب في التوراة : يا عبدي أما تستحي مني؟ يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل معرضاً عنها ، فتقعد لأجله وتقرأه ، وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك منه شيء ، وهذا كتاب أنزلته إليك وأنت معرض عنه ، أفكنت أهونَ عليك من بعض إخوانك؟ يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبلُ عليه بكلك ووجهك ، وتصغي إلى حديثه بكل قلبك ، وها أنا ذا مقبل عليك ومُحدِّثُ لك وأنت معرض بقلبك عني .

ثم ذكر عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : لو طُهرت قلوبكم ما شبعتم من

كلام ربكم، ونقل عن كهمس بن الحسن أنه كان يختم في الشهر تسعين ختمة.

والمقصود: أن من علامة محبة الله التلذذ بكلامه، وقد جمع بعض السلف دلائل المحبة في قوله:

لا تُحْدَعَنَّ فَلِلْمُحِبِّ دَلَائِلُ	ولديه من تحف الحبيب رسائلُ
مِنْهَا تَنْعَمُهُ بِمُرِّ بَلَائِهِ	وسُرُورُهُ فِي كُلِّ مَا هُوَ فَاعِلُ
فَالْمَنْعُ مِنْهُ عَطِيَّةٌ مَقْبُولَةٌ	وَالْفَقْرُ إِكْرَامٌ وَبِرٌّ عَاجِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ يُرَى مِنْ عَزْمِهِ	طَوْعَ الحَبِيبِ وَإِنْ أَلَحَّ العَاذِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ يُرَى مُتَبَسِّمًا	وَالقَلْبُ فِيهِ مِنَ الحَبِيبِ بِلَابِلُ <sup>(١)</sup>
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ يُرَى مُتَفَهِّمًا	لِكَلَامٍ مِنْ يَخْطِي لَدَيْهِ السَّائِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ يَرَى مُتَقَشِّفًا	مُتَحَفِّظًا فِي كُلِّ مَا هُوَ قَائِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ تَرَاهُ مُشْمِرًا	فِي خِرْقَتَيْنِ عَلَى شَطُوطِ السَّاحِلِ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ ضَحْكُهُ بَيْنَ الوَرَى	وَالقَلْبُ مَحْزُونٌ كَقَلْبِ الثَّائِلِ

والبيتان الأخيران ألحقهما في التبصرة وهما مجروران، وقافية القصيدة بالرفع، فإن كانا من القصيدة ففيهما الإقواء<sup>(٢)</sup>، وهو معيب عند الشعراء<sup>(٣)</sup>، والله أعلم.

وقال بعض المريدين: وجدت حلاوة المناجاة فأدمت قراءة القرآن

(١) سبق تعريفها ٥٦١ .

(٢) الإقواء: هو أن يخالف بين قوافي الأبيات في القصيدة الواحدة فلا يلزم حرفاً واحداً، أو هو المخالفة بين حركات القافية رفعا ونصباً وجرأ. انظر - اللباب في العروض والقافية.

(٣) في حاشية الأصل/ والذي يظهر أنهما ليسا منها لقوله في الخامس «ومن الدلائل أن يرى متبسماً والقلب فيه من الحبيب بلابل»... ومعنى البيت الأخير متحد كما هو ظاهر.

ليلاً ونهاراً، ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة، قال فسمعت قائلاً يقول وأنا في المنام هذين البيتين:

إن كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي  
أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي  
قال: فانتبهت وقد أُشربَ قلبي محبة القرآن فعاودتُ إلى حالتي الأولى.

وعلى كل حال من أحب الله أحب كلامه بلا جدال، والله أعلم.

المقصد الثالث: في أنس المحبين بالله تعالى وسهرهم بمناجاته وشوقهم.

ثبت في الصحيحين والسنن والمسانيد من غير وجه أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(١)</sup>.

قال بعض العارفين: من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص، فهذان مقامان:

أحدهما: الإخلاص: وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه، وإطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد ذلك في عمله وعمل على هذا المقام فهو مخلص لله، لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غيره سبحانه بالعمل.

والثاني: المعرفة التي تستلزم المحبة الخاصة، وهو أن يعمل العبد

(١) رواه البخاري رقم ٥٠، ٤٧٧، ومسلم رقم ٨.

على مشاهدته بقلبه ربه، وهو أن يتنور قلبه بنور الإيمان، وينفذ ببصيرته في العرفان، حتى يصير الغيب عنده كالعيان، وهذا هو مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، وهو الذي دندن حوله أهل الجد والاجتهاد، وحام على سرادقاته أهل المعارف والسداد، وهو يتفاوت بحسب قوة نفوذ البصائر، وقد فسرت طائفة من العلماء المثل الأعلى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] بهذا، ومثله قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [النور: ٣٥]، قال: أبي بن كعب<sup>(١)</sup> رضي الله عنه: المراد مثل نور الله في قلب المؤمن.

ومن هذا حديث حارثة رضي الله عنه لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم «وكانني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكانني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاورون فيها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عرفت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه»<sup>(٢)</sup>، وهذا الحديث روي مسنداً ومرسلاً، وتقدم، ويتولد من هذين المقامين مقام الحياء من الله عز وجل، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سئل عن كشف العورة خالياً فقال: «الله أحق أن يستحيا منه»<sup>(٣)</sup>.

وقد ندب صلى الله عليه وسلم إلى دوام استحضار معية الله وقربه والحياء منه في غير حديث، ودل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وفي الحديث:

(١) في الأصل (كعب بن أبي).

(٢) تقدم ص ٢٦٦ .

(٣) رواه أبو داود (٤٣٧/٢) رقم ٤٠١٧، وأحمد (٣/٥) رقم ٢٠٠٤٦، والترمذي (٩٧/٥) رقم ٢٧٦٩ وقال: هذا حديث حسن، ورواه البخاري تعليقاً في ترجمة باب «من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة» من كتاب الغسل.

«أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت»<sup>(١)</sup>، رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت مرفوعاً.

وقال ﷺ لأبي أمامة: «استح من الله استحياءك من رجلين من صالح عشيرتك، هما معك لا يفارقانك»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا المعنى أنشد بعضهم وأحسن:

كان رقيباً منك يرعى خواطري	وآخر يرعى ناظري ولساني
فما بصرت عيناى بعدك منظراً	لغيرك إلا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من في بعدك لفظة	بغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة	على القلب إلا عرجاً بعناني
إذا ما تسلى القاعدون عن الهوى	بذكر فلان أو كلام فلان
وجدت الذي يسلى سواي يسوقني	إلى قربكم حتى أمل مكاني
وإخوان صدق قد سئمت لقاءهم	وغضضت طرفي عنهم ولساني
وما بغض أسلى عنهم غير أنني	أراك على كل الجهات تراني

ويتولد من ذلك الأنس به سبحانه، والخلوة لمناجاته وذكره، واستثقال ما يشغل عنه من مخالطة السوى، وقد صح ﷺ أنه قال: «إن أحدكم إذا كان يصلي فإنما يناجي ربه، أو ربه بينه وبين القبلة»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٣٦/٨) رقم ٨٧٩٦، وفي مسند الشاميين (٣٠٥/١)، وفي (٣١٨/٢) رقم ١٤١٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٢٤/٦) وقال: غريب من حديث عروة، وذكره الهيثمي (٢٢٥/١) رقم ٢٠٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وقال: تفرد به عثمان بن كثير، قلت - أي الهيثمي - ولم أر من ذكره بثقة ولا حرج.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (١٢٦/٢) في ترجمة جعفر بن الزبير الشامي رقم ٣٣٥، قال عنه يحيى ليس بثقة وفي موضع آخر ضعيف، وقال النسائي: متروك الحديث وفي (٤/٨٩) في ترجمة صفدي بن سنان البصري رقم ٩٣٩ وقال عنه يحيى: ليس بشيء.

(٣) رواه البخاري واللفظ له رقم ٤٠٥، ٤١٧، ومسلم رقم ٥٥١.

والمراد أنه معانيه سبحانه وتعالى، فهو يبصره وعلمه معه، وقد عكف العباد على العبادة في الخلوات، ليحصل لهم أنس الجلوات حتى قال قائلهم<sup>(١)</sup>: لولا الجماعة - يعني الصلاة في الجماعة - ما خرجت من بابي أبداً حتى أموت، وقال: ما يجد المطيعون لله لذة في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم، ولا أحسب لهم في الآخرة من عظم الثواب أكثر في صدورهم وألذ في قلوبهم من النظر إليه، ثم غشى عليه.

وقال إبراهيم بن أدهم: أعلى الدرجات أن تنقطع إلى ربك، وتستأنس إليه بقلبك وعقلك، وجميع جوارحك، حتى لا ترجو إلا ربك، ولا تخاف إلا ذنبك، وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر عليها شيئاً، فإذا كنت كذلك لم تبال أفي بر كنت أو في بحر، أو في سهل أو في جبل، وكان شوقك تلقاء الحبيب شوق الظمآن إلى الماء البارد، وشوق الجائع إلى الطعام الطيب، ويكون ذكر الله عز وجل عندك أحلى من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف.

وقال الفضيل: طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله أنيسه.

وكان ذو النون يقول: من علامة المحب لله ترك كل ما يشغله عن الله، حتى يكون الشغل بالله وحده، ثم قال: إن من علامة المحبين لله أن لا يأنسوا بسواه، ولا يستوحشوا معه، ثم قال: إذا سكن حب الله القلب أنس بالله، لأن الله أجل في صدور العارفين من أن يحبوا سواه.

وكانت رابعة - رحمها الله - تنشد:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

(١) في حاشية الأصل/ هو مسلم العابد.

فالجسم مني للجلس مؤانس<sup>(١)</sup> وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي  
وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه كثيراً ما يتمثل في  
خلواته بقول القائل:

وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك القلب بالسر خالياً  
قلت: والبيت لمجنون ليلي من قصيدة طويلة قد أشدها سيدي  
عبدالقادر الجيلاني قدس الله سره في بعض مجالسه لما سئل عن المحبة  
منها.

لقد لامني في حب ليلي أقاربي أخي وابن عمي وابن خالي وخالياً  
ولو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصى أصم ونادتني أجبت المناديا  
وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس يا ليلي خالياً  
واشهد عند الله أنني أحبها فهذا لها عندي فما عندها ليا

والمحب الصادق إذا سافر طرفه في الكون لم يجد له طريقاً إلا على  
محبوبه، فإذا انصرف بصره عنه رجع إليه خاسئاً وهو حسير.

ويسرح طرفي في الأنام وينثني وإنسان عيني بالدموع غريقاً  
فيرجع مردوداً إليك وماله على أحد إلا عليك طريقاً

وقيل لبعض العارفين وقد رؤي يصلي وحده: ما معك مؤانس؟!  
قال: بلى، قيل له: أين هو؟ قال: أمامي وخلفي ومعني وعن يميني وعن  
شمالي وفوقي، قيل له: معك زاد؟ قال: نعم الإخلاص، قيل له: أما  
تستوحش وحدك؟ قال: إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة حتى لو كنت  
بين السباع ما خفتها.

(١) في الأصل (مؤانسا).

وقال بعضهم: عجبت لمن عرف الطريق إلى الله كيف يعيش مع غيره؟ والله تعالى يقول: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَكُمْ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال بعض العارفين: من لزم الباب أثبت في الخدم، ومن استغنى بالله أمن من العدم.

وفي الإسرائيليات: يقول الله تعالى: ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فأتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء. وأنشد أبو الحسن بن بشار الزاهد:

تنقضي الدنيا وتفنى      والفتى فيها معنى  
ليس في الدنيا نعيم      لا ولا عيش مهني  
يا غنيا بالدنانير      محب الله اغني  
وقال غيره:

لقد كنت أخشى الفقر حتى وجدتكم      فصرت أدل المفلسين على الكنز  
فيا من اشتغل في الدنيا بالدون، أفق من هذه الغفلة واعتبر ما أنت ومن تكون، قد خطبك من نفسك من يقول<sup>(١)</sup> للشيء كن فيكون، واشترى نفسك منك، فما الذي حملك على عدم تسليم المثلثين يا مفتون، وتعرف إليك من القدم، أما تستحي منك فما الذي حملك على عدم تسليم المثلثين يا مفتون، وتعرف إليك من القدم أما تستحي من بلا غطى بلا.

اشتريتَ جارية مطربة بعشرين ألف درهم، فبينا هي يوماً تغني:  
وحقك لا نقضت الدهر عهداً      ولا كدرت بعد الصفو ودا  
ملأت جوانحي والقلب وجداً      فكيف أقر يا سكني وأهدا

(١) في الأصل (يقول).

فيا من ليس لي مولى سواه تراك رضيتني في الناس عبدا؟  
فصاح بها الذهن من باطن القلب من تعين وبمن تغنين؟ فانتبّهت،  
فعلمت أنه لا مولى سوى الحق، ولا يحسن بعد ألسنت بربكم نقض عهد،  
فتغيرت واختلطت، فقليل لها: مالك؟ فقالت:

خاطبني الحق من جناني فكان وعظي على لساني  
قربني منه بَعْدَ بُعْدٍ وخصني منه واصطفاني  
أَجَبْتُ لِمَا دُعِيْتُ طوعاً ملبياً للذي دعاني  
وَخِفْتُ مِمَّا جَنَيْتُ قَدَمَا فوق الحب بالأماني  
ثم رمى بها الفكر في بحر الوجد، واشتغلت عن الخلق بالذكر  
وجعلت تقول:

يا من رأى وحشتي فآنسني بالقرب من فضله وأنعشني  
يا سكني لا خلوت من سكني دهري ويا عدتي على الزمن  
أوحشني ما فقدت منه وقد عاد بإحسانه فقربني  
وعدت أيضاً فعاد منعطفاً كذلك مذ كنت منه عودني  
حسبي من كل من شغلت به أصحابه مؤنساً ويصحبني  
هربت من مسكني إلى سكني حقاً ومن موطني إلى وطني  
وكننت في غفلة فنبهني وكننت في رقدة فأيقظني  
يا قوم قولوا كلا بأجمعكم فجننت مستأمناً فأمنني  
ثم اشتد بها القلق وأزعجها الفرق فكانت تصيح:

هَرَبْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ بِكَيْتُ مِنْهُ عَلَيْهِ  
وَحَقُّهُ وَهُوَ سُؤْلِي لَا زَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ  
حَتَّى أَنْالَ وَأَحْظِي بِمَا أُرْجِي لَدَيْهِ

ثم لبست خميراً من صوف ومدرعة من شعر، وصاحت من شوقها  
وباحت بتوقها فقالت:

يا سرور السرور أنت سروري      وحبوري وأنت نور النور  
كم ترى يصبر المحب على البعد      وكم يلبث الهوى في الصدور  
ثم رحلت إلى مكة فطافت حول البيت وصاحت: إلهي كم ترى  
تخلفي في دار لا أرى فيها أنيساً، قد طال شوقي إليك، فوقعت ميتة،  
رحمها الله تعالى.

واعلم أن همم هؤلاء السادة متعلقة في الآخرة برؤية رب العالمين،  
والنظر إلى وجهه الكريم، في دار كرامته، والقرب منه وحسن محاضرته.  
قال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة  
لماتوا، وفي رواية لذابت أنفسهم.

وقال بعضهم: ما يسرني أن لي نصف الجنة بالرؤية، ثم تلا: ﴿كَلَّا  
إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وقال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره وما طابت الآخرة إلا  
بعفوه، وما طابت الجنة إلا برؤيته.

وكان بعض العُبَّاد يقول: ليت ربي جعل ثوابي من عملي نظرة مني  
إليه، ثم يقول لي: كن تراباً، وفي هذا المعنى أنشد بعضهم وأحسن:

وحرمة الود ما لي عنكم عَوْضُ      وليس لي في سواكم سادتي غَرَضُ  
وقد شرطتُ على قوم صحبتهم      بأن قلبي لكم من دونهم فَرَضُوا  
ومن حديثي بهم قالوا به مرضُ      فقلت لا زال عني ذلك المرضُ

وأنشد غيره في المعنى وأجاد رحمه الله تعالى:

يا حبيب القلوب مالي سواكا  
 أنت سؤلي ومنيتي وسروري  
 يا مرادي وسيدي واعتمادي  
 ليس سؤلي من الجنان نعيما  
 ارحم اليوم مذنباً قد أتاك  
 قد أبى القلب أن يحب سواكا  
 طال شوقي متى يكون لقاكا  
 غير أني أريدها لأراكا

وقد قال جل شأنه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]  
 وأشرف طمع أهل الجنة رؤية مولاهم وقربه وجواره، وأعظم خوفهم  
 حجابهم عنه، وقد أمن أهل الجنة منه.

قال حسين بن زياد: أخذ فضيل بن عياض بيدي فقال: يا حسين ينزل  
 الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل  
 نام غني، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه؟ ها أنا ذا مطلع على  
 أحبابي، إذا جنهم الليل مثلت نفسي بين أعينهم فخطبوني على المشاهدة  
 وكلموني على حضوري، غدا أقر أعينهم في جناني، وفي لفظ: جعلت  
 أبصارهم في قلوبهم، ومثلت نفسي بين أعينهم.

فإن قلت: كيف قال تعالى: ومثلت نفسي وهو سبحانه لا مثل له؟

قلنا: هذا كلام من لم يعلم الفرق بين المثل والمثال، وذلك جهل،  
 فالمِثْلُ: هو المساوي في جميع الصفات، والمِثَالُ: لا يشترط فيه  
 المساواة، وتأمل العقل فإنه لا يماثله غيره، وكثيراً ما يمثل بالشمس وليس  
 بينهما المناسبة إلا بشيء واحد، وهو أن المحسوسات تنكشف بنور  
 الشمس، كما تنكشف المعقولات بنور العقل، والمراد هنا جعلت بصائر  
 أحبابي مشاهدة لي وناظرة لجمالي وعاكفة عليه ومخاطبة لي على الحضور  
 والمشاهدة، ومن هنا ترك أهل المحبة المنام واستعذبوا صف الأقدام في  
 جملة الخدام، وأسبلوا دموع الشوق والشغف، وبذلوا النفوس النفيسة،  
 لينالوا ذلك الشرف.

قال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان فرأيت يبيكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: ويحك يا أحمد، إذا جن الليل وخلا كل حبيب بحبيبه، افترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، أشرف الجليل جل جلاله وقال: بعيني من تلذذ بكلامي، واستروح إلى مناجاتي، وأنا مطلع عليهم في خلواتهم، أسمع أنينهم، وأرى بكاءهم وحنينهم، يا جبريل ناد فيهم ما هذا الذي أرى فيكم؟ هل أخبركم مخبر أن حبيباً يعذب أحبابه بالنار؟ بل كيف يجمل أن أعذاب قوماً إذا جنهم الليل تملقوني؟ فبي حلفت إذا وردوا القيامة عليّ أن أسفر لهم عن وجهي، وأبيحهم رياض قدسي.

وكان لداود الطائي جارة يقال لها أم سعيد بن علقمة قالت: كان بيني وبين داود الطائي جدار قصير، فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ، ولربما سمعته يقول في جوف الليل: اللهم همك عطل عليّ الهموم، وحالف بيني وبي السهاد، وشوقي إلى النظر إليك وضع مني اللذات والشهوات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب، قالت: وربما ترنم في السحر بشيء من القرآن، فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنمه تلك الساعة.

أحبابي أما جفن عيني فمقروح  
يذكرني مرّ النسيم عهدكم  
أرادني إذا ما أظلم الليل أشرقت  
أصلي بذكراكم إذا كنت خالياً  
يشح فؤادي أن يخامر سرّه  
وإن لاح برق بالغويز تقطع الـ

وأما فؤادي فهو بالشوق مجروح  
فأزداد شوقاً كلما هبت الريح  
بقلبي من نار الغرام مصابيح  
ألا إن تذكارة الأحبة تسبيح  
سواكم وبعض الشح في المرء ممدوح  
فؤاد على واد به البان والشيوخ

ولم يزل المحبون يستروحون لنسيم الأسحار، ويترنمون على ذلك

بالأشعار، وذلك لأنها تمر على دار الحبيب، وتحمل من ذلك البرد والطيب، ولذا قيل:

تمر الصبا سفحا بساكن ذي الغضا      وتصدع قلبي إن يهب هبوبها  
قريبة عهد بالحبيب وإنما      هوى كل نفس حيث حل حبيبها

قال الحافظ ابن الجوزي: قال الربيع: بت أنا ومحمد بن المنكدر وثابت البناني عند ريحانة المجنونة بالأبلّة، فقامت الليل وهي تقول:

قام المحبُّ إلى المؤمِّلِ قومةً      كاد الفؤادُ من السرورِ يطيرُ  
فلما كان جوف الليل سمعتها تقول:

لا تأنسن بمن توحشك نظرته      فثمنعنَّ من التذكارِ في الظلمِ  
واجهد وكد وكن في الليل ذا شجن      يسقيك كأس وداد العز والكرم

ثم نادى واحزناه، فقلت: مماذا؟ فقالت:

ذهب الظلام بأنسه وبإلفه      ليت الظلام بأنسه يتجدد  
وقيل لبعض العارفين: متى تقع الفراسة على الغائب؟ قال: إذا كان محباً لما أحب الله، مبغضاً لما أبغض الله، وقعت فراسته على الغائب، وأنشد بعضهم:

تشاغل قوم بدنياهم      وقوم تخلوا لمولاهم  
فألزمهم باب مرضاته      وعن سائر الخلق أغناهم  
فما يعرفون سوى حبه      وطاعته طول مَحْيَاهُم  
يُضْفُون بالليل أقدامهم      وعين المهيمن تزعاهم  
فَطَوْرًا يَنَاجُونَهُ سجداً      ويبكون طورا خطاياهم  
إذا فكروا في الذي أسلفوا      أذاب القلوب وأبكاهم  
وإن يسكن الخوف لاذوا به      وباحوا إليه بشكواهم

وأضحوا صياما على جهدهم  
هم القوم أعطوا ملك الملوك  
هم المخبتون بنياتهم  
وأكسنهم في فراديسه  
فنالوا المراد وفازوا به  
تبارك من هو قَوَاهُمُ  
صدق القلوب فوالاهُمُ  
أرادوا رضاه فأعطاهمُ  
وأعلى المنازل بَوَاهُمُ  
فطوبى لهم ثم طوبى هُمُ

قال الإمام الحافظ ابن رجب رحمته الله : قرأت بخط الشيخ عبدالله بن أحمد بن صابر السلمي أنشدنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عقيل الشَّهْرُزُورِيُّ لبعضهم :

قليل العزاء كثير الندم  
جرى دمعه فبكى جفنه  
يخاف البيات كهجر الممات  
ويخفي محبة رب العلى  
وأنسبل من طرفه عبيرة  
وبات محارب مخرابه  
فلما تفتت أجساده  
وكم ليلة رام فيها النيام  
وناح على جسد ناحل  
أناب إلى الله مستغفرا  
طويل النحيب على ما اجترم  
وصار البكاء بدمع ودم  
وفقد الحياة بضر السقم  
فَظَهَرَ أَنفَاسُهُ مَا كَتَمَ  
على الصَّحْنِ من خده فانسجَمَ  
ولَمَّا تَزَلْ قَدَمٌ عن قَدَمٍ  
من الشَّوْقِ رَقَ عليه الأَلَمُ  
فصاح به حبه لا تنم  
أطال النحول به فانهدم  
وصار له من أعز الخدم

أقول: لما أشرقت القلوب بنور المحبوب اضمحل سلطان النوم، ولم يخطر ببال القوم، ومن المعلوم أنه متى أشرقت الشمس انجاب الظلام وانعكس سلطانه، وكذلك النوم متى أشرقت القلوب بالأنوار القدسية، والأسرار الأنسية تلاشى سلطانه وانمحق برهانه.

لطيفة أخرى: النوم ينشأ عن الرطوبة والأبخرة، والمحبة نار تذهب

ذلك أو تجففه وتلاشيه وتمحقه، فالمحب قليل النوم كثير التأوه، وما أحسن ما قيل:

كيف ترضى بمقلة تألف النوم      ودمع يسان في الآماق  
وزمان الصبا يمر وقد      أنفق أيامه زمان الفراق  
والليالي تمضي سراعا وما      تقبل منها حوالة في الباقي  
كانت امرأة متعبدة لا تنام في الليل إلا يسيرا، فعوتبت في ذلك  
فقالت: كفى بطول الرقدة في القبور رقادا، وأنشد بعضهم:

أيها العذال لا تغذلوا      إنما النصح لمن يقبل  
وأرى ليلي لا ينقضي      طال ليلي والهوى أطول  
ويقال: الليل للمحبين سهر على كل حال، فمن كان وقته وقت فراق  
وهجر فهو يقول:

كم ليلة فيك لا صباح لها      أفنيتها قابضاً على كبدي  
قد غصت العين بالدموع وقد      وضعت خدي على بنان يدي  
ومن كان وقته قرب وصفاء ووصل ووفاء فهو يقول:

كم ليلة قضيتها ساهراً      لما تولى هجركم معرضاً  
أطوف في ظلماتها مبصراً      وليس ضوء مثل ضوء الرضى  
والأول يقول، ولبه بالغرام مدهول، يتطلب الوصال، وقد صال عليه  
الغرام، فقطع الأوصال، وصاح يا صاح وليس تأمل كصاح، فهو ينشد:

سروري من الدهر لقياكم      ودار سلامي مغناكم  
إذا ازدحمت في فؤادي الهموم      أروح قلبي بذكراكم  
واستنشق الريح من أرضكم      لعلني أحظى برؤياكم  
فلا تنسوا العهد فيما مضى      فلسنا مدى الدهر ننساكم

واعلم أن الشوق إلى لقاء رب العالمين درجة عالية رفيعة، تنشأ من قوة محبة الله سبحانه وسهر الليالي في طاعته، وأما من طلب محبة الله والشوق إلى لقاءه، ونام الليل وأفطر النهار، فإنما يطلب جذوة نار في بحر من الماء ماله قرار، أو كطالب ماء من نار، وأني بذلك فما في النار للظمان ماء.

وكان من دعائه ﷺ: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك»<sup>(١)</sup>، رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم عن عمار بن ياسر رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وقال فتح الموصلي رحمته الله في عيد أضحى: قد تقرب المتقربون بقربانهم، وأنا أتقرب إليك بطول حزني، يا محبوب قلبي لم تتركني في هذه الدنيا محزوناً؟ ثم غشى عليه وحُمِلَ فدفن بعد ثلاث، رحمه الله.

فهذا حال من غلب عليه الشوق، والتهبت نار الغرام في قلبه، وغلب عليه الرجاء فتاق إلى لقاء ربه، وأما من غلب عليه الخوف فلا يتمنى الموت، وذلك لأن محبوبه تجلى على قلبه بصفات الجلال، فتلاشى طمعه وانمحق فرحه، وفشا جزعه، ورأى من نفسه غاية التقصير في جناب الملك القدير، فالحزن دثاره والخوف شعاره، والتأوه ديدنه، والتضرع أذكاره، قال كعب رحمته الله: من بكى اشتياقاً إلى الله عز وجل أباحه النظر إليه تبارك وتعالى.

وكان أبو عبيدة الخواص يمشي في الأسواق ويضرب على صدره

(١) جزء من حديث رواه النسائي (٥٤/٣) رقم ١٣٠٥، ١٣٠٦، وأحمد (٢٦٤/٤) رقم ١٨٣٥١، وابن حبان في صحيحه (٣٠٤/٥) رقم ١٩٧١، كلهم من حديث عمار. والحاكم (٦٩٧/١) رقم ١٩٠٠ من حديث زيد بن ثابت، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ويقول: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه<sup>(١)</sup>.

وكان بمكة امرأة من العابدات تصرخ وتقول: أوليس عجباً تروني حية بين أظهركم، وفي قلبي من الأشواق إلى ربي مثل شعل النار التي لا تطفأ، حتى أصير إلى الطبيب الذي بيده برداي وشفائي.

وذكر في «زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال» الملتقطة من تاريخ مكة للأزرقي رحمته الله أن بعض العابدين قال: رأيت شابة نحيفة الجسم خفيفة الساقين في الطواف وهي تقول: هذا بيت ربي، هذا بيت معشوقي، هذا بيت من اشتقت إليه، ثم وضعت خدها على حائط البيت فوقفت ساعة، ثم أنشأت تقول:

الشوق حيرني والشوق طيرني      والشوق قربني والشوق أبعديني  
والشوق قيدني والشوق أطلقني      والشوق فرق بين الجفن والوسن

فقال لها الشبلي: هل اشتقت إلى ربك؟ قالت: لا، لأن الشوق لا يكون إلا لغائب، وما غبت عنه طرفة عين، وأنشدت:

قلب شرود وعقل واله أبدا      وشربة سكرها باق إلى الأبد  
يا عاذل العاشقين ارفق علي فهم      أفنوا زمانهم بالهم والكمد  
أفناهم الحب والكتمان قاطبة      حتى تراهم بلا روح ولا جسد

ولقد يقوم بصدري في بعض الأحيان من الغرام ما يجرعني كأسات الحمّام، وتضيّق عليّ الأرض بما رحبت، فأخرج إلى الفلاة وأنوح على

(١) في حاشية الأصل/ ولبعضهم:

يا من يراني ولا أراه      كم ذا أراه ولا يراني  
يعني كم ذا أراه محسناً إليّ ولا يراني في طاعته وحيث ما أمرت به. والله أعلم.

نفسي، وقد أوهى جسمي شوقي وحدسي، ولقد قلت في مثل هذه الحالة وأنا أتخيل أن الغرام يفني جسمي لا محالة، من قصيدة طويلة أولها.

سقاني البين كأسات الحمام	وهاج بلابلي صدح الحمام
وفاضت عَبْرَتِي وازداد وَجْدِي	وغاضت زفرتي وفشا غرامي
وَجَدَّ الْوَجْدُ بي فغديت مما	أكابد في الهوى محنى كلام
وزاد الشوق والتبريح حتى	خفيت عن الوري لولا كلام

ومنها:

أزيد صباية وتزيد بعدا	تلطف بي بذلي وانحطامي
ترفق بي فما أبقيت مني	سوى بثي وحزني وانعدامي
وغاض السمع وانمحق اصطباري	وفاض الدمع واشتهر اكتتامي

وقلت: وقد طرقتني مثل هذا وتيقنت أن ذا الغرام من الغرام- هذا.

مالي تحيرتُ دون الناس في أمري	أحسُّ قلبي على مستوقد الجمري
أجوب في الأرض وحدي لأرى أحداً	أشكو إليه غراماً حل في صدري

وقلت في المعنى:

فوا أسفى على بلد خلِّي	عن الأغيار مع صوب الغمام
وخِلِّ صادق في الود حتى	أبثُّ له أحاديث الغرام

وشدة الشوق قد يُخرجُ الإنسان عن طور التكليف، ومن ثم ترى بعض هؤلاء يتكلم بكلام ليس من جنس كلام العقلاء، وما ذاك إلا من شدة اللذة والأنس، يذهب عن حواسه باستغراقه في لذة شوقه، حتى إنه يقول:

ولو أن ما بي في الحصى فلق الحصى	وفي الريح لم يظهر لهن هبوب
ولو أنني استغفر الله كلما	ذكرتك لم يكتب علي ذنوب

ويقول:

وبي من غرام لو تجسم بعضه      ومر بأهل الأرض لانخيل الكل

ويقول:

سقوني وقالوا لا تغني فلو سقوا      جبال حنين ما سقوني لغنت

وسمع الجنيد قدس الله سره في جوف الليل جارية تقول:

أبي الحب أن يخفي وكم قد كتمته      فأصبح عندي قد أناخ وطنبا  
إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره      وإن رمت قربا من حبيبي تقربا  
ويبدو فأفنى ثم أحيى به له      ويسعدني حتى ألد وأطربا

فقال لها: يا جارية أما تتقين الله؟ تتكلمين في مثل هذا المكان بمثل

هذا الكلام - وكانا في الطواف - فالتفتت إليه وقالت: يا جنيد:

لولا التقى لم ترني      أهجر طيب وسني  
إن التقى شردني      كما ترى من وطني  
أقر من وجدي به      فحبه هيمني

ثم قالت: يا جنيد تطوف بالبيت أم برب البيت؟ فقال أطوف بالبيت،

فرفعت رأسها وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك على خلقك، خلق

كالأحجار يطوفون بالأحجار<sup>(١)</sup>، ثم قالت:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة      إليك وهم أقسى قلوبا من الصخر

(١) ما نقل عن هذه الجارية مخالف لما نطق به القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث يقول

تعالى: ﴿وَلَيْطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَرَبِيِّ﴾ [الحج: ٢٩]، ويقول النبي ﷺ: «الطواف بالبيت

صلاة» رواه النسائي (٢٢٢/٥) رقم ٢٩٢٢، وابن حبان في صحيحه (١٤٣/٩) رقم

وتأهوا فلم يدروا من التَّيه من هم وحلوا محل القرب في باطن الفكر  
فلما أخلصوا في الود غابت صفاتهم وقامت صفات الود للحق بالذكر  
فغشي على الجنيذ من كلامها فلما أفاق لم يرها.

وذكر الحافظ بن رجب «في استنشاق نسيم الأنس» عن ذي النون  
رحمه الله تعالى أنه قال: إن المؤمن إذا آمن بالله واستحکم إيمانه خاف الله  
فولدت من الخوف هيبة، فإذا سكن درجة الهيبة دامت طاعته لربه، فإذا  
أطاع تولد من الطاعة الرجاء، فإذا سكن درجة الرجاء تولدت من الرجاء  
المحبة، فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه سكن بعدها درجة الشوق،  
فإذا اشتاق أداه الشوق إلى الأنس بالله، فإذا أنس بالله اطمأن إلى الله، فإذا  
اطمأن إلى الله كان ليله في نعيم، ونهاره في نعيم، وسره في نعيم،  
وعلايته في نعيم.

قال الحافظ: ولا ريب أن الشوق يقتضي القلق، لكن قد يمنح الله  
بعض أهله من يسكن قلقه من الأنس به والطمأنينة إليه، كما أشار إليه ذو  
النون.

وعن إبراهيم بن أدهم - قدس الله سره - قال: قلت يوماً اللهم إن  
كنت أعطيت أحداً من المحبين لك ما سكنت به قلوبهم قبل لقائك فأعطني  
ذلك فلقد أضرتني القلق، قال: فرأيتك تعالى في النوم يوقفني بين يديه وقال  
لي: يا إبراهيم أما استحييت مني؟ تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل  
لقائي؟ وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيبه؟ أم هل يستريح المحب  
إلى غير من اشتاق إليه؟ قال: فقلت: يا رب تهت في حبك فلم أدر ما  
أقول.

وأخرج أبو نعيم عن عبدالعزيز بن محمد قال: رأيت في المنام قائلاً

يقول: من يحضر؟ من يحضر؟ فأتيته فقال لي: أما ترى القائم الذي يخطب الناس ويخبرهم عن أعلى مراتب الأنبياء؟ فأدرك فلعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل انصرافه، فأتيته فإذا الناس حوله وهو يقول:

ما نال عبد من الرحمن منزلة أعلى من الشوق إن الشوق محمود  
ثم سلم ونزل، فقلت لرجل إلى جانبي: من هذا؟ قال: أما تعرفه؟  
قلت: لا، قال: هذا داود الطائي، فعجبت في منامي منه، فقال أتعجب  
مما رأيت؟ والله الذي عند الله لداود من الزلفى أكبر من هذا وأكثر.

ولا جرم أن الشوق للمحبوب مطلوب، وأن التقرب إليه بأنواع محابه  
مرغوب، فيالله كم من عاشق انصدع فؤاده، وأفناه الشوق وأباده مراده،  
وتحلى بأوصاف السقم وصار دمه كالعَنَم<sup>(١)</sup> وهام وجالت فيه الأوهام:

فهمج الرقاد وطيب الزواد	وألف السُّهَادَ وأمسى علم
إذا نام ناداه فرط الغرام	أفق إن محبوبنا لم ينم
فقام يردد زفراته	ويضرع لله مولى النعم
أجد به الوجد حتى غدا	إذا ما غدا في الغرام انعدم
جفا جفنه يا خليلي الكرى	وقام يناجي وَصَفَّ القدم
فناداه مولاه طب يا فتى	فأنت لنا من أعز الخدم

ويعجبني قول من قال من أهل الصباية والحال:

هجرت الكرى في حب من جاد بالنعم	وعفَّت الكرى شوقا إليه فلم أنم
وموهتْ دهري بالجنون عن الورى	لأكتم ما بي من هواه فما انكتم

(١) العَنَمُ: شجر لين الأغصان لطيفها، واحدها عنمة، وهو مما يستاك به، وقيل العَنَمُ: أغصان تنبت في سوق العضاة رطبة لا تشبه سائر أغصانه أحمر اللون، وقيل هو ضرب من الشجر له نور أحمر تُشَبَّه به الأصابع المخضوبة. لسان العرب/ مادة: عنم.

فلما رأيت الشوق والحب بائحاً  
فإن قيل مجنون فقد جنّني الهوى  
وحق الهوى والحب والعهد بيننا  
لقد لامني الواشون فيك جهالة  
فعاتبهم طرفي بغير تكلم  
فبالحلم يا ذا المن لا تبعدنني  
كشفت قناعي ثم قلت نعم نعم  
وإن قيل مسقام فما بي من سقم  
وحرمة روح الأنس في حندس الظلم  
فقلت لنطقي أفصح العذر فاحتشم  
وأخبرهم أن الهوى يورث الصمم  
وقرب مزارعي منك يا باري النسّم

قال ابن الجوزي: ذكر ابن الجوال المغربي قال: كنت ببيت المقدس جالساً، وإذا قد طلع شاب والصبيان حوله يرمونه بالحجارة ويقولون مجنون، قد ضل المسجد وجعل ينادي: اللهم أرحني من هذه الدار، فقلت له: هذا كلام حكيم، فقال: ليس بي جنون وولق<sup>(١)</sup> بل فرق وقلق، ثم أنشأ يقول: الأبيات المتقدمة، قال: فقلت له أحسنت لقد غلط من سماك مجنوناً، فنظر إلي وبكى ثم قال: ألا تسألني عن القوم كيف وصلوا واتصلوا؟ قلت: بلى أخبرني، قال: طهروا له الأخلاق، ورضوا منه بيسير الأرزاق، وهاموا في محبته في الآفاق، واتزروا بالصدق وارتدوا بالاشفاق، وباعوا العاجل الفاني بالآجل الباق، ركضوا في ميادين السباق، وشمروا تسمير الجهابذة الحذاق، حتى اتصلوا بالواحد الخلاق، فشردهم في الشواهد عن الخلائق، لا تأويهم دار ولا يقر لهم قرار، فالنظر إليهم اعتبار، ومحبتهم افتخار، وهم صفوة الأبرار ورهبان أخيار، مدحهم الجبار، ووصفهم النبي المختار، إن حضروا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، ثم أنشأ يقول:

(١) الولق: أخف الطعن، والولق أيضاً إسراعك بالشيء في أثر الشيء، كعدو في أثر عدو، وكلام في أثر كلام، والولق السير السهل السريع، والاستمرار في السير وفي الكذب، والولق والألق الاستمرار في الكذب. لسان العرب/ مادة: ولق.

كن من جميع الخلق مستوحشاً  
 واصبر فبالصبر تنال المنى  
 واحذر من النطق وآفاته  
 وجد في السير مُمِراً كما  
 أولئك الصفوة ممن سَمَا  
 من الورى تسري إلى الحق  
 وارض بما يجري من الرزق  
 فآفة المؤمن في النطق  
 شمر أهل السَّبِقِ للسَّبِقِ  
 وخيرة الله من الخلق  
 قال: فَأُنْسِيْتُ الدنيا عن حديثه، ثم ولى هارباً، فأنا متأسف عليه.

المقصد الرابع: في رضى المحبين بمُرِّ الأقدار، والتذاهم بما يتلهم  
 به العزيز الجبار، كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «أسألك الرضى بعد  
 القضاء، ويرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى  
 لقائك»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الترمذي عن أنس مرفوعاً: «إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم،  
 فمن رضى فله الرضى، ومن سخط فله السخط»<sup>(٢)</sup>.

وخرج الإسماعيلي عن عمر رضي الله عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى  
 مُضْعَب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب- يعني جلد كبش قد تنطق به، فقال  
ﷺ: «انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيت بين أبوين  
 يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه النسائي (٥٤/٣) رقم ١٣٠٥، وأحمد (٢٦٤/٤) رقم ١٨٣٥١ وتقدم ص ٥٨٨.  
 (٢) رواه الترمذي (٦٠١/٤) رقم ٢٣٩٦، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/  
 ١٣٣٨) رقم ٤٠٣١، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٤/٧) رقم ٩٧٨٢.  
 (٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٦٠/٥) رقم ٦١٨٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/  
 ١٠٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/٣٣٣)، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين  
 (٤/٢٩٥) وقال عنه العراقي: أخرجه أبو نعيم في الحلية بإسناد حسن.

وذكر الحافظ ابن رجب عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من عبد يحب الله ورسوله إلا الفقر أسرع إليه من جرية السيل من رأس الجبل على وجهه، ومن أحب الله ورسوله فليعد للبلاء تجحفاً يعني الصبر<sup>(١)</sup> قال: وفيه ضعف لكن روي معناه من وجوه متعددة.

ولما احتضر سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه وتغشاه الموت جعل يقول: اخنق خنقك فوعزتك إنني أحبك.

وقال الحارث بن عميرة: إن معاذاً نزع نزعاً لم ينزعه أحد، وكان كلما أفاق من غمره فتح طرفه ثم قال: اخنقني فوعزتك إنك تعلم أن قلبي يحبك، وقال حذيفة رضي الله عنه لما نزل به الموت: هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهم إنك تعلم أنني أحب لقاءك.

وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة، فما رأيت ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك؟ فقال: إن الله أحب أمراً فأحببت ما أحب الله.

وقال الفضيل: درجة الرضى عن الله درجة المقربين ليس بينهم وبين الله إلا روح وريحان، وقال: أحق الناس بالرضى عن الله العارفون<sup>(٢)</sup> بالله، وقيل له: متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى؟ فقال: إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء فقد بلغت الغاية من حبه.

وذكر أبو القاسم الدمشقي الحافظ في تاريخه عن أبي شعيب قال

(١) جزء من حديث رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/٣٨٥)، وذكره الهندي (٦/٦١٨) رقم ١٧١١١ وقال: فيه حشش، قال البخاري: لا يكتب حديثه، وقال النسائي ليس بثقة.

(٢) في الأصل (العارفين) وفي الحاشية/ لعله (العارفون).

سألت إبراهيم بن أدهم الصحبة إلى مكة قال لي: على شريطة على أنك لا تنظر إلا لله وبالله، فشرطت له ذلك على نفسي، فخرجت معه، فبينما نحن في الطواف فإذا أنا بغلام قد افتتن الناس به لحسنه وجماله، فجعل إبراهيم يديم النظر إليه، فلما أطال ذلك قلت: يا أبا إسحاق أليس شرطت علي أن لا تنظر إلا لله وبالله؟ قال: بلى قلت: فإني أراك تديم النظر إلى هذا الغلام؟ فقال: إن هذا ابني وولدي، وهؤلاء غلماني وخدمي الذي<sup>(١)</sup> معه، ولولا شيء لقبّته، ولكن انطلق فسلم عليه مني، قال: فمضيت إليه وسلمت عليه من والده، فجاء إلي والده فسلم عليه ثم صرفه مع الخدم، فقال: انتظر أي شيء يراد بك، وأنشأ سيدنا إبراهيم طيب الله ثراه يقول:

هجرت الخلق طُرّاً في هواكا      وأيتمت العيال لكي أراكا  
فلو قطعتنني في الحب إربا      لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

ذكره الحافظ في «استنشاق نسيم الأنس»، وذكر فيه عن عبدالواحد ابن زيد قال: خرجت إلى ناحية البصرة فإذا إنسان أسود مجذوم، قد تقطعت كل جارحة له من الجذام وعمي وأقعده، وإذا الصبيان يرمونه بالحجارة حتى دموا وجهه، فرأيته يحرك شفّتيه، فدنوت منه لأسمع ما يقول، فإذا هو يقول: يا سيدي إنك لتعلم أنك لو قرضت لحمي بالمقاريض، ونشرت عظامي بالمناشير، ما ازددت لك إلا حباً، فاصنع بي ما شئت، أخرجته ابن أبي الدنيا.

وقال الأوزاعي: حدثني بعض الحكماء قال: رأيت رجلاً قد ذهب يده ورجلاه وهو يقول: اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك لفضلك على سائر خلقك، إذ فضلتنني على كثير ممن خلقت تفضيلاً،

(١) هكذا بالأصل.

فقلت له: على أي نعمة تحمد؟ فقال: أليس قد ترى ما صنع بي؟ قلت بلى، قال: فوالله لو أن الله صب علي السماء ناراً فأحرقتنى، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فغرقتنى، وأمر الأرض فخسفت بي، ما أزددت له إلا حباً، وما أزددت له إلا شكراً.

ومر بعض السلف على مجذوم وهو يقول: وعزتك وجلالك لو قطعتني بالبلاء قطعاً ما أزددت لك إلا حباً، وفي هذا المعنى قال بعضهم: لو قطعني الغرام إرباً إرباً ما أزددت على الملام إلا حبا لازلت بكم أسير وجد وصبا حتى أقضي على هواكم نجبا وذكر الشيخ برهان الدين في «شرح حكم ابن عطاء الله» أن عروة ابن الزبير رضي الله عنه ابتلي بقرحه في ساقه، فبلغت إلى نشر ساقه في الموضع الصحيح منها، فقال له الأطباء: ألا نسقيك مرقداً فلا تحس بما صنع بك؟ فقال: لا ولكن شأنكم، فنشروا منه الساق ثم حسموها بالزيت المغلي، فما حرك عضواً، ولا أنكروا منه شيئاً، حتى مسه الزيت، فما زاد على أن قال: حس، وأصيب رضي الله عنه بولده محمد وكان من أحب ولده إليه، ولما رأى القدم بيد بعضهم قال: أما إن الله يعلم أنني لم أمش بها إلى معصية قط، ثم قال: يا غلام غسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول:

لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لطلما أعطيت.

وذكر الحافظ ابن رجب عن بعض العارفين قال: ليس يتحقق في الحب حتى يتلذذ بالبلاء في الحب كما يتلذذ الأغيار بأسباب النعم.

وكان عبدالصمد الزاهد يقول: أوجدتهم في تعذيبه عذوبة، يشير إلى صبرهم على الضر والفقر.

وقالت رابعة: إن أولياء الله إذا قضى لهم شيئاً لم يسخطوه.

وقال يحيى بن معاذ: لو أحببت ربك ثم جوعك وأعرارك لكان يجب أن تحتمله وتكتمه عن الخلق، فقد يحتمل المحب لحبيبه الأذى، فكيف وأنت تشكوه فيما لم يصنعه بك؟ وفي هذا قيل:

ويُقبَحُ من سواك الفعلُ عندي      وتفعله فيحسنُ منك ذاكَا

وكان علي بن بابويه الصوفي في الطواف فهجمت القرامطة على الناس، فقتلوهم، فأخذته السيوف فلما وقع تمثل بهذا البيت:

تري المحبين صرعى في ديارهم      كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

واستشهدَ لبعض السلف ولد في الجهاد، فجاء الناس يعزونه، فبكى وقال: ما أبكى على موته إنما أبكى كيف كان رضاه عن الله حين أخذته السيوف، وفي هذا المعنى يقول القائل:

إن كان سكان القضا      رضوا بقتلي فرضى

والله لا كنت لما      هوى الحبيب مبغضا

صرت لهم عبدا وما      للعبد أن يتعرضا

وسئل يوسف بن الحسين: ما بال المحبين يتلذذون بالذل في المحبة؟ فأنشأ يقول:

ذلُّ الفتى في الحب مكرمةٌ      وخضوعه لحبيبه شرفُ

وقال آخر:

مالي تطاوعني البرية كلها      وأطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى      وبه قوين أعزُّ من سلطاني  
وقال أيضاً:

أما يكفيك أنك تملكيني      وأن الناس عندي كالعبيد  
وأنت لو قطعت يدي ورجلي      لقلت من الرضى أنصفت زيدي  
فإذا كان هذا لمحبة مخلوقٍ فما بالك بمحبة من أوجدك من العدم  
وأسبل عليك غزير النعم؟.

وعلى كل حال المحب تابع لهوى محبوبه بلا محال، قال المحب:  
عذب بما شئت غير البعد عنك تجذب      أوفى محب بما يرضيك مُبتهج  
وخذ بقية ما أبقيت من رمق      لا خير في الحب إن أبقى على المهج  
وقال:

وبما شئت في هواك اخترتني      فاختياري ما كان فيه رضاك  
وقال:

لو قيل قف تيهها على جمر الغضا      لوقفت ممتثلاً ولم أتوقف  
هيهات ذهب الأبطال ولم يبق إلا كل بطال، فيا من رضي من الزهد  
بالزي، ومن الفقر بالاسم، ومن التصوف بالصوف، ومن التسبيح بالسبح،  
أين فضل الفضيل؟ أين جد الجنيد؟ أين سر السري؟ أين همة ابن أدهم؟  
ويحك إن لم تقدر على معرفة معروف فاندب على رُبُع رابعة:

هاتيك رُبوعهم وفيها كانوا      بانوا عنها فليتهم ما بانوا  
ناديت وفي حشاشتي نيران      يا دار متى تحول السكائن

يا من كان له قلب فانقلب، يا من كان له وقت مع الله فذهب، قيام  
الأسحار يستوحش لك، صيام النهار يسأل عنك، ليالي الوصال تعاتبك

على انقطاعك، والسنة تسأل عنك وعن حسن اتباعك:

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا  
وأقسمتموا أن لا نحولوا عن الهوى فقد وحياء الحب<sup>(١)</sup> حلتم وما حلنا  
ليالي كنا نجتلي من ثماركم فقلبي إلى تلك الليالي قد حنا  
ولقد كنت قلت أبياتا في بعض الخلوات، والقلب فيه لواعج  
الزفرات، ولا أذكر منها الآن غير ثلاثة أبيات وهي:

كان لي قلب أعيش به بين أخذاني وأترابي  
باد مني في قلبه في الغرام فصحت يامابي  
كيف يصحو غير منتبه في هواها منذ أحقابي<sup>(٢)</sup>  
وهكذا كان شأنهم يتلذذون بما يرضي مولاهم وإن كان صعباً،  
ويستريحون به وإن كان تعباً.

هجم عيد على عبدالصمد وليس عنده شيء، فجاءه رجل بدراهم  
فردها وقال: دعني أتلذذ بفقري كما يتلذذ الأغنياء بغناهم.

المقصد الخامس: في المحبة والأخوة في الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصِيرَةٍ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ  
[الأنفال: ٦٢-٦٣] والتأليف الجمع على ما يشاكل، والمراد بالآية الأوس  
والخزرج، وهم الأنصار ﷺ.

وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل  
المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه شيء

(١) في السنة نهى عن الحلف بغير الله.

(٢) في حاشية الأصل/ البيت الثالث ليس هو الذي يلي الثاني.

تداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر»<sup>(١)</sup>.

وفيهما عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه»<sup>(٢)</sup>.

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حق المسلم على المسلم خمس، يسلم عليه إذا لقيه، ويُسَمِّته إذا عطس، ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات، ويجيبه إذا دعاه»<sup>(٣)</sup>.

فهذه الحقوق للاشتراك في الإسلام، ثم إن الصداقة تطلق على ما دون الأخوة، فالأخوة هي المرتبة العليا، وإنما تقع الأخوة الصداقة إذا حصل التشاكل بين الأخوين في أصل الوضع.

وفي الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»<sup>(٤)</sup>.

قال أبو سليمان الخطابي: معنى هذا الحديث الإخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها الأجساد، على ما روي أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بكذا وكذا، فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنها خلقت على ائتلاف واختلاف، فتأتلف الأجساد في الدنيا وتختلف على حسب ما وقع في مبدأ الخلق.

قلت: وتقدم في مقدمة الكتاب الكلام على هذا وبيان ذلك مفصلاً.

واعلم أن الأخوة على ثلاثة أقسام:

(١) رواه مسلم واللفظ له رقم ٢٥٨٦، والبخاري رقم ٦٠١١.

(٢) رواه البخاري رقم ٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦، ومسلم ٢٥٨٥.

(٣) رواه البخاري رقم ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢، باختلاف يسير جداً.

(٤) رواه البخاري رقم ٣٣٣٦، ومسلم رقم ٢٦٣٨.

أحدها: الأخوة العامة وهي التي ذكرها الله في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

الثانية: أخوة النسب.

الثالثة: أخوة خاصة فوق الصداقة، وهي التي عقدها رسول الله ﷺ بين أصحابه كعبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وهذه هي التي توجب المحبة في الله عز وجل، وهي أوثق عرى الإيمان، أن يحب في الله ويغض في الله، ومن ثواب المتحابين ما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبْعَةٌ يَظْلَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أَظْلَهُمُ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن الجوزي بسنده عن أبي إدريس الخولاني قال: أتيت مسجد أهل دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب محمد ﷺ، وإذا شاب فيهم أكحل العين براق الشيا، كلما اختلفوا في شيء ردوه إلى الفتى، فقلت لجليس لي من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل، فجئت من العشي فلم يحضر، فغدوت من الغد فلم يجيئوا، فَرُحْتُ فَإِذَا أَنَا بِالشَّابِّ يَصِلِي إِلَى سَارِيَةٍ، فَرَكَعْتُ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ إِلَيْهِ قَالَ: فَسَلِمَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: إِنِّي أَحْبَبْتُكَ فِي اللَّهِ قَالَ: فَمَدَّنِي إِلَيْهِ وَقَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قُلْتُ: إِنِّي أَحْبَبْتُكَ فِي اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ

(١) رواه البخاري رقم ٦٦٠، ومسلم رقم ١٠٣١.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٥٦٦.

في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، قال: فخرجت حتى لقيت عبادة بن الصامت رضي الله عنه فذكرت له حديث معاذ بن جبل فقال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه عز وجل يقول: حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتبادلين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله<sup>(١)</sup>، ورواه الإمام أحمد في المسند.

وفي حديث عمرو بن عبسة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل يقول: حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتصافون من أجلي»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تعالى عبادة على منابر من نور في ظل العرش يغطهم الشهداء، قيل من هم؟ قال: المتحابون في جلال الله عز وجل»<sup>(٣)</sup>.

وإنما يحصل هذا الثواب إذا كانت المحبة لله خالصة لا يشوبها كدر،

(١) رواه أحمد (٢٣٦/٥) رقم ٢٢١١٧، والطبراني في الكبير (٨٧/٢٠) رقم ١٦٧ باختصار، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٥/٧) رقم ٣٤١٠٠، وذكره الهيثمي (٤٩٣/١٠) رقم ١٨٠٠٨ وقال: رواه عبد الله بن أحمد والطبراني باختصار، والبخاري بعض حديث عبادة فقط، ورجال عبد الله والطبراني وثقوا.

(٢) جزء من حديث رواه أحمد (٣٨٦/٤) رقم ١٩٤٥٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٨٥) رقم ٨٩٩٦، والطبراني في الأوسط (٤٠/٩) رقم ٩٠٨٠، وفي الصغير (٢/٢٣٩) رقم ١٠٩٥ بلفظ «يتصافون» بدل «يتصافون» وذكره الهيثمي (٨٧/٣) رقم ٣٩٧٥ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه منه بن عثمان ولم أجد من ترجمه.

(٣) روى الترمذي (٥٩٧/٤) رقم ٢٣٩٠ عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغطهم النبيون والشهداء» وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أحمد (٢٣٩/٥) رقم ٢٢١٣٣، وفي (٣٢٨) رقم ٢٢٨٣٤ بلفظ «المتحابون في الله تبارك وتعالى في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، يغطهم النبيون والشهداء». ولم أقف على هذا اللفظ الذي ساقه المصنف.

ومتى قويت محبة الله سبحانه في القلب قويت محبة أوليائه والصالحين من عباده، ولينظر الإنسان من يؤاخي ومن يحب، ولا ينبغي أن يتخير إلا من قد سبر عَقْلَهُ ودينَهُ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: «المرء مع من أحب»<sup>(٢)</sup>.  
فإذا أحب شخصاً فليُعلِّمه<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو زرعة بن عمر بن جرير: ما تحاب رجلان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه.

وكان يقال: اصحب من إذا صحبتك زانك، وإن خدمته صانك، وإن أصابتك خصاصة مانك، وإن رأى منك حسنة سُرَّ بها، وإن رأى منك سقطت سترها، ومن إذا قلت صدق قولك، ومن هو فوقك في الدين، ودونك في الدنيا، وكل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيراً فانبذ عنك صحبتته، فإذا صفت المحبة وخلصت، وقع الشوق والتزاور، وصار بذلك المال أحقر الأشياء.

قال مجاهد: إذا مشى أحد المتحابين إلى الآخر فأخذ بيده فضحك إليه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر.

(١) رواه أحمد (٣٣٤/٢) رقم ٨٣٩٨، وأبو داود (٦٧٥/٢) رقم ٤٨٣٣ ولكن بلفظ «الرجل» بدل «المرء»، والترمذي (٥٨٩/٤) رقم ٢٣٧٨ وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم (١٨٩/٤) رقم ٧٣٢٠ وقال: صحيح إن شاء الله ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي كلهم من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري رقم ٦١٦٩، ومسلم رقم ٢٦٤٠.

(٣) لما رواه أحمد (١٣٠/٤) رقم ١٧٢١٠ عن المقدم عن النبي ﷺ «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه».

واعلم أن هذه المحبة سارية من محبة الله سبحانه وتعالى فإذا أحب العبد ربه سرت محبته إلى كل محبوب لله سبحانه، ومحبة العبد لربه إنما سرت من محبة الرب لعبده بلا شبهة.

فإن قلت: أليس قد قدمت أن المحبة هي الميل إلى الملائم الموافق، وقد بان ذلك في محبة العبد، فهل يتهياً ذلك في محبة الحق لعبده؟<sup>(١)</sup>

قلنا: كلا، لأن العبد إذا أحب ملائماً موافقاً فليتم به نقصه، وليحصل به كماله، والحق عز وجل منزّه عن ذلك، وإنما معنى محبته لعبده أنه إذا أحب نفسه فأحب ما يصدر عنها من الأفعال الرفيعة القدر، فتأثير محبة الحق للعبد أن يقطع عنه القواطع، ويرفع عن قلبه الحجاب حتى يراه قلبه، والعبد لا يُحِبُّ حتى يُحَبَّ بلا ريب، ولا يريد حتى يراد، فإذا رأيت قصورك عن مقامات الواصلين فاعلم أنك مطرود، فليكن فرضك البكاء على إبعادك فربما أجدى، والله تعالى أعلم.

تكملة: في بعض أحوال أهل المحبة، وهي أكثر من أن تذكر في مثل هذا المختصر، وأعظم من أن تحصر أو تحد بالنظر.

قال في «زبدة الأعمال»: عن مالك بن دينار أنه قال: رأيت شاباً بمنى وهو يقول: اللهم إن الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا إليك، فما لي شيء أتقرب به إليك أكبر من نفسي فتقبلها مني، ثم شهق شهقة، فدنوت منه فإذا هو ميت.

وقال عبدالصمد: اجتمعت أنا وبشر الحافي في طريقي العمرة، ومعنا شاب تائب سريع الدمعة قليل الكلام كثير التفكير، فقلت له: هذا بشر

(١) في حاشية الأصل/ كذب المعترض، ولا يقاس لهذا الفن، والله أعلم.

الحافي فتبرك به ، فقال له : يا أبا نصر ما جزاء من خالف محبوبه؟ قال : أن يقتل بسيف العتاب ، ثم يحرق بنار الهوى ، ثم يذرى في هوى الذل ، فإن شاء جمعه وإن شاء قمعه ، فشهب الغلام لما سمع ذلك ووقع ولم يزل يثن ويرتعد ويشهب إلى أن مات ، فندمت على ذلك ، وواريناه مكانه في ثوبي إحرامه ، رحمة الله تعالى عليه .

وما أحسن ما قيل :

يا سائلي كيف مات العاشقون فما ماتوا ولكن بأسياف الهوى قتلوا  
وقال الفضيل رضي الله عنه : رأيت بالموقف شاباً ساكتاً وعليه أثر الذلة والخشوع والناس يسألون الحوائج ، فقلت : يا فتى أخرج يدك وسل حاجة ، فقال لي : يا شيخ وقعت مني وحشة وليس لي ثم وجه ، قلت : فإن كان الأمر كذلك فالوقت يفوت ، فقال لي : لا بد ، فلما أراد أن يرفع يديه بالدعاء صاح صيحة وخر ميتاً .

وفي «زبدة الأعمال» : عن أبي بكر الكتّاني قال : رأيت فقيراً ميتاً وهو يضحك ، فقلت : له : تضحك وأنت ميت؟! فقال : هكذا محبوبون الله .

وقال بعضهم : عاهدت الله أن لا أنظر إلى حسان الوجوه ، فبينما أنا في الطواف وإذا بأمرأة حسناء ، فتأملت فيها تعجباً ، فإذا بسهم من الهوى قد وقع على إحدى عيني ، فإذا عليه مكتوب : نظرت بعين الغيرة فرميناك بسهم الأدب ، فلو نظرت بعين الشهوة رميناك بسهم القطيعة .

وحكي عن ذي النون قال : رأيت أعرابياً يطوف وقد نحل جسمه واصفر لونه ودق عظمه ، فقلت له : أمحب أنت؟ قال : نعم ، قلت : أحبيك منك قريب أم بعيد؟ فقال : قريب ، قلت : موافق أم غير موافق؟ قال : موافق ، قلت : سبحان الله حبيبك منك قريب ، ولك موافق ، وأنت

على هذه الحالة؟! فقال: يا بطل أما علمت أن عذاب القرب والموافقة أشد من عذاب البعد والمخالفة؟ وجعل يقول:

سقى الله أياماً سعدنا بقربكم      فتلك طراز العمر واسطة العقد  
إذا الجد سعد والزمان مساعد      وأيماننا كانت مؤكدة العقد

وفي «استنشاق نسيم الأنس»: عن أبي معمر قال: نظرت رابعة إلى رباح القيسي يوماً وهو يقبل صبياً صغيراً من أهله، فقالت: أتجبه يا رباح؟ قال: نعم، قالت: ما كنت أحسب أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة سواه، فخر مغشياً عليه ثم أفاق وهو يمسح العرق عن وجهه وهو يقول: جعلها الله في قلوب عباده للأطفال.

وكان بعض أهل المحبة يحصل له من طرقها نوع تغير.

وتكلم بعضهم يوماً في المحبة، فاصطفقت قناديل المسجد حتى تكسرت، وتكلم يوماً فيها أيضاً فجاء طائر فضرب بمنقاره الأرض حتى مات، ذكر ذلك الحافظ «ابن رجب» في «استنشاق نسيم الأنس».

وذكر ابن الجوزي في «التبصرة» عن بعض السلف قال: صحبت في طريقي رجلاً أسود فكان إذا ذكر الله تعالى ابيض، فسبحان من منح هؤلاء الإخلاص.

وشغلت عن فهم الحديث سوى      ما كان منك وعندكم شغلي  
وأديم نحو محدثي نظري      أي قد فهمت وعندكم عقلي

وفيها أيضاً عن محمد بن ثابت البناني قال: ذهبت ألقن أبي في الموت فقلت: يا أبت قل لا إله إلا الله، فقال: يا بني خل عني فإنني في وزدي السادس أو قال السابع.

فهؤلاء غلب عليهم الشوق حتى صار قوتهم ذكر محبوبهم.

ذَكَرَكَ لِي مُؤَنَسٌ يُعَارِضُنِي      يِعِدُّنِي عَنْكَ مَنكَ بِالظَّفَرِ  
وكيف أنساك يا مدى هممي      وأنت مني بموضع النّظرِ

وذكر الحافظ ابن رجب في «استنشاق نسيم الأنس»: عن أحمد بن مخلد الخراساني قال: قال الله عز وجل: ألا قد طال شوق الأبرار إلي لقائي، وأنا إليهم أشد شوقاً، وما شوق المشتاقين إليّ إلا بفضل شوقي إليهم، ألا من طلبني وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، ومن ذا الذي أقبل إليّ ولم أقبل إليه؟ ومن ذا الذي توكل عليّ فلم أكفه؟ ومن ذا الذي دعاني فلم أجبه؟ ومن ذا الذي سألني فلم أعطه؟ وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني عمر بن أبي سلمة السراج عن أبي جعفر السراج عن أبي جعفر المصري قال: قال الله عز وجل: يا معشر المتوجهين إليّ بحبي ما ضرکم ما فاتکم من الدنيا إذا كنت لكم حظاً، وما ضرکم من عاداکم إذا كنت لكم سلماً.

شعر:

هنيئاً لمن أضحى وأنت حبيبه      ولو أن لوعات الغرام تُذِيبُهُ  
وطوبى لصب أنت ساكن سره      ولو بان عنه إلفه وقريبه  
وما ضر صباً أن يبيت وما له      نصيب من الدنيا وأنت نصيبه  
ومن تك راضياً عنه في طي غيبه      فما ضره في الناس من يستغيبه  
فيا علّة في الصدر أنت شفاؤها      ويا مرضاً في القلب أنت طبيبه  
عبيدك في باب الرجا متضرع      إذا لم تجبه أنت من ذا يجيبه  
بعيد عن الأوطان يبكي بذلة      وهل ذاق طعم الدلّ إلا غريبه  
تصدق على من ضاع منه زمانه      ولم يدر حتى لاح منه مشيبه  
غدا حاسراً فالعار يكفيه والعنا      وقد آن من ضوء النهار مغيبه

أواه على الاجتماع برجل من أحباب الله، تهب على القلب من

أنفاسه نسمة ربانية تحي ما مات منه .

قال السَّرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : بقيت ثلاثين سنة أدور وأجول لعلي أرى ولياً من أولياء الله سبحانه وتعالى .

وأشرفُ بالغور اليفاع لعلمي أرى نار ليلي أو يراني بصيرها  
ليني وجدت واحداً من القوم، إنما أسمع نشدان الضلال وما فيهم  
من يعطيني علامة، فأرجع والقلب فيه من لواعج الزفرات ما نطلب منه  
السلامة .

أحقاً رأيت بوادي الغضا من الحي أو من رآهم خبر  
أما من سبيل إلى نظرة تعاد إلينا كلمح البصر  
ألفنا خباهم إذا ما العيون عشقن الكرى وملكن السهر  
أواه من نار تهب في اللب وبلابل<sup>(١)</sup> تذهب بالقلب ولا بلل وصال  
يذهب بها عن حشا الصب :

صبا للصبأ صبب فصبت دموعه وغرد قمزي فهاج ولوعه  
يحن إلى ربح الصبا وإنما هوى كل صب حيث كان ربيعُه

فالشوق ربما أذهب المشوق وهو جاثم عليه كاظم لديه وربما ضحك  
ومزح وفي قلبه بلابل البلاء، فيصبح به الوجد ألت معي؟ فيجيبه بلى  
ولكن :

أروح نفسي بالمزاح لدى العدا وفي مهجتي نار وقلبي بها مرمي  
أري عادلي أني ضحوك لفرحتي وفي خلوتي جفني على رفقتي مدمي

(١) البَلابل والبَلْبَال: شدة الهم والوسواس في الصدور وحديث النفس . لسان العرب/ مادة: بلل .

يذكرني مر النسيم لياليا      تقضت لنا مع جيرة والنوى مقيمي<sup>(١)</sup>  
تفوق ليالي العيد لولا انصرامها      ولكنها قد شانها سرعة الصّرم  
بها الند والكافور والمِسْكُ عابِق      وكأس الهنا طِفاح من قهوة الكَزَمِ

والمحب لا يزال قلبه مع محبوبه، ولبه لدى مطلوبه، وهو مع ذلك  
يُجِلُّ جِبَهُ أَنْ يَشْكُو إِلَيْهِ مَا لَقِيَ مِنَ الْوَجْدِ بِسَبَبِ الْغَرَامِ وَالْبَعْدِ، فَلِسَانِ حَالِهِ  
يَنْشُدُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ وَلِسَانِ قَالِهِ مَعْتَقِلًا بِالْأُورَادِ.

أَجْلُكَ أَنْ أَشْكُو إِلَيْكَ الَّذِي أَلْقَى      وَأَنْتَ تَرَى حَالِي وَتَعَلَّمَهُ حَقًّا  
وإن رُمْتُ أخفي ما ألقى من الأسي      وَشَى الدَّمْعُ بِالشُّكُوى فَيَسْبِقُنِي سَبْقًا  
إذا ما تمنى الناس رَوْحًا وَرَاحَةً      تَمَنَيْتَ أَنْ أَفْنَى وَسِرُّ الْهُوى يَبْقَى  
بجودك فاجبر قلب عبد قطعته      إِلَيْكَ فَلَا غَرَبًا يَرُومُ وَلَا شَرْقًا  
تَعَطَّفَ وَلَا تَقَطَّعَهُ عَنْكَ فَإِنَّهُ      مَقِيمٌ عَلَى بَابِ الرَّجَا أَبَدًا مُلْقَى

روينا عن أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت كان رسول الله  
ﷺ إذا فرغ من حديثه وأراد أن يقوم من مجلسه يقول: «اللهم اغفر لنا ما  
أخطأنا وما تعمدنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم  
وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»<sup>(٢)</sup>. حديث ضعيف وهو مسلسل بختم

(١) يقال: ما يقاميني الشيء وما يقانيني أي ما يوافقني، وأقمي الرجل إذا سمن بعد هزال،  
وأقمي إذا لزم البيت فرارا من الفتن، وأقمي عدوه إذا أذله. لسان العرب/ مادة: قمي.  
(٢) روى البخاري رقم ٦٣٩٨ عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء «رب  
اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي  
خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت  
وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير» ورواه  
مسلم رقم ٢٧١٩، وروى أحمد (٥١٤/٢) رقم ١٠٦٧٨ عن أبي هريرة أن رسول الله  
ﷺ كان من دعائه «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وإسرافي  
وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت».  
ولم أفق على اللفظ الذي أورده المصنف إلا في «العجالة في الأحاديث المسلسلة لأبي  
الفيض المكي (١٢٢).

المجلس بالدعاء .

وأخرج النسائي عن أبي مريم وأخرجه غيره عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها قالت : « ما جلس رسول الله ﷺ مجلساً ولا تلا قرآناً ولا صلى إلا ختم ذلك بكلمات ، فقلت يا رسول الله أراك ما تجلس مجلساً ولا تتلو قرآناً ولا تصلي صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات ؟ قال : نعم ، من قال خيراً كن طابعاً له على ذلك الخير ، ومن قال شراً كانت كفارة له : سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك »<sup>(١)</sup> .

وقال علي رضي الله عنه : من أحب أن يكتال له بالمكيال الأوفى فليقل آخر مجلسه أو حين يقوم : سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وفي صحيح الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أنه لم يكن يجلس مجلساً كان عنده أحد أو لم يكن إلا قال : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين معصيتك ، وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك ، وارزقني من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا ، وبارك لي في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني ، اللهم اجعل ثأري على من ظلمني ، وانصرني على من عاداني ، ولا تجعل الدنيا أكبر همي ، ولا مبلغ علمي ، اللهم لا تسلط علي من لا يرحمني ، فسل عنهن ابن عمر فقال : كان رسول الله ﷺ يختم بهن مجلسه »<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٨٤/٦) رقم ١٠١٤٠ ، وفي عمل اليوم والليلة (٢٧٣) .

(٢) رواه الحاكم (٧٠٩/١) رقم ١٩٣٤ وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه .

والحمد لله أولاً وآخراً، وعلى كل حال وفي كل حال، اللهم يا من أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، أصلح القلب وما وعى، وارزقني الطاعة والإجابة، واستر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واغفر زلاتنا، وضاعف حسناتنا، وعاملنا بجلودك ولطفك وإحسانك وكرمك وحلمك، ولا تعاملنا بما نحن أهل، يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة، اللهم اجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهك الكريم، وسبباً للفوز في جنات النعيم.

وهذا آخر ما سمحت به القريحة، والأعضاء الجريحة، بتوفيق من إليه عرجت الأرواح، وسرحت في محبته الأشباح، وقد جاء بحمد الله فوق ما أمّله المريد، وأعلى مما تخيّله الرأي السديد، فجمع من العلوم دُرّاً فاخرة، وأحيى من القلوب والرسوم أعظماً ناخرة، فوافق الاسم المسمى وأسفر عن مخدرات الفنون كل رمز معمى، فجعله الله على الطاعة موقوفاً، ولوجهه الكريم مصروفاً، ونفع به من تأمله بعين الإنصاف، وحفظه من كل حسود وسفساف، يغمص الحق لحسده، ويحرف الكلم عن مواضعه لحقده، وما كان في هذا الكتاب من صواب فمن الله ورسوله، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه، وهو سبحانه يعامل كل إنسان بنيته، وهو مطلع على أمنيته، وها أنا أسأل بلسان التضرع والخضوع، وأبتهل إلى مولاي بعين التذلل والخشوع، أن يجعل كتابنا هذا مراداً به وجهه الكريم، مصوناً من شائبة الرياء والتعظيم، وأسأل من تصفح أبوابه، وتأمل ألفاظه وإعراجه، أن يصفح عن شينه، ولا يزدريه في عينه، وأن يبادر إلى إصلاح ما عثر عليه من السّفط، وأن يصحح ما وقف عليه من الغلط، فلعل القلم سبق إلى غير<sup>(١)</sup> المراد، أو تبادر الذهن

(١) إلى هنا آخر نسخة (١).

معان<sup>(١)</sup> فنقص من ذلك أو زاد، فإنما أنا ناقل من الطروس<sup>(٢)</sup> المتداولة، وليس لي من ذلك إلا أجر المناولة، فهذا اعتذاري لمن تأمله، والمعترف بالذنب كمن لا ذنب له، ومن لا يقبل العذر فقد حرم التوفيق، وعدم اصطناع المعروف وحلاوة التحقيق.

شعر:

جزى الله خيراً من تأمل تأليفي	وقابل بالإغضاء وضعي وتصنيفي
فلما لي شيء غير أني جمعته	وحرزته من غير شينٍ وتحريفي
وضمنته علماً نفيساً وكنت في	مناقشتي كشافاً عن كل ذي زيفي
وقمت على ساق التقشف ضارعا	إلى الله في الأسحار بالذل والخوف
عسى خالقي يمحو ذنوبي بمنه	ويمنحني الرضوان من غير تعنيفي

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على ينبوع الحكم الربانية، ومعدن الأسرار الروحانية، المنزل عليه في محكم كتابه الحكيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه ما تصاعدت الأنفاس، وما تخالطت الأغلاس، وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى الملائكة المقربين، وعلى عباد الله الصالحين من أهل السموات وأهل الأرضين، وامنح اللهم أشياخنا الرحمة والرضوان،

(١) في حاشية الأصل/ قوله: «أو تبادر الذهن معان» لا ريب أن معان في كلامه منصوب بتبادر، فيجب إثبات الياء وتظهر الفتحة عليها، كجوار في قولك: رأيت جوارى، ولو عدى تبادر بإلى ويكون معان مجروراً بها لكان أسلم.

قلت: ويرد المؤلف فيقول في الحاشية كذلك، تبادر فعل ماض والذهن مفعول به مقدم، ومعان فاعل مؤخر، فظهر فساد كلام المعترض كما لا يخفى على ذي فهم. مؤلف (٢) الطُّرُس: الصحيفة، ويقال هي التي محيت ثم كتبت، والجمع أطراس وطروس. لسان العرب/ مادة: طرس.

واجزهم اللهم عنا خيراً وإحسان<sup>(١)</sup>، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

ووافق الفرغ من تبيضه نهار الخميس لثلاثة عشر بقيت من ذي القعدة المبارك، الذي هو من شهور سنة ثلاثة وأربعين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، أمين أمين، على يد فقير رحمة ربه، الخائف وصمة ذنبه، المعترف بتقصيره وذنوبه، الراجي لطف سيده ومطلوبه، المفتقر لمولاه العلي مؤلفها الضعيف «محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي» عامله الله بلطفه الخفي والجلي، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، أمين. . دخل في ملك الفقيه الحنبلي.

(١) في حاشية الأصل / صوابه (إحساناً) بالنصب.

قوله: «إحساناً بالنصب» بل يجوز (إحسان) بالوقف على لغة ربيعة، فإنهم يقفون على المنصوب بالنون بالسكون، والله أعلم.

### فهرس مراجع التحقيق

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، الإمام أبو عبدالله عبيد الله، بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، ط: دار الراهة - الرياض، ١٤١٨ .
- ٣- الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، عبدالرؤوف بن تاج العارفين ابن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري، ط: مؤسسة الرسالة - لبنان.
- ٤- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، البنا الدمياطي .
- ٥- إثبات عذاب القبر، الإمام أبو بكر/ أحمد بن الحسين البيهقي، ط: دار الفرقان - عمان الأردن، ١٤٠٥هـ.
- ٦- الأحاديث المائة، محمد بن علي بن طولون، ط: دار الطلائع - القاهرة.
- ٧- الأحاديث الطوال، الإمام سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، ط: مطبعة الأمة - بغداد، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٨- إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط: دار المعرفة - بيروت.
- ٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الإمام أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري.

- ١١- الإصابة في تمييز الصحابة، الإمام / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.
- ١٢- الاعتصام، الإمام / إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي.
- ١٣- أهوال القبور، الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.
- ١٤- الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع، الإمام أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني.
- ١٥- الأمالي المطلقة، الإمام أحمد بن حجر العسقلاني.
- ١٦- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، ط: المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- ١٧- البداية والنهاية، الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، ط: مكتبة المعارف - بيروت.
- ١٨- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، ط: مكتبة أنس بن مالك - مكة المكرمة.
- ١٩- البحر المحيط في أصول الفقه، الإمام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، ط: وزارة الأوقاف - الكويت ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٢٠- البرهان في أصول الفقه، الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، ط: الوفاء - المنصورة - مصر، ١٤١٨هـ.

- ٢١- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الإمام الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي، ط: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، ١٤١٣ هـ.
- ٢٢- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، الإمام أبو القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، ط: دار الفكر.
- ٢٣- التاريخ الكبير، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري.
- ٢٤- تاريخ الأمم والملوك، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.
- ٢٥- تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني، ط: عالم الكتب - بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ٢٦- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري.
- ٢٧- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط: مكتبة دار البيان - دمشق، ١٣٩٩ هـ.
- ٢٨- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، الإمام أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.
- ٢٩- تذكرة الموضوعات، محمد طاهر بن علي الصديقي.
- ٣٠- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، الإمام محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح القرطبي.

- ٣١- تعزية المسلم عن أخيه، الإمام أبو القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، ط: مكتبة الصحابة - جدة، ١٤١١هـ.
- ٣٢- تعظيم قدر الصلاة، الإمام أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، ط: مكتبة الدار - المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.
- ٣٣- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٣٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، ط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.
- ٣٥- تهذيب التهذيب، الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط: دار الفكر - بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٣٦- تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، الإمام أحمد بن علي ابن حجر أبو الفضل العسقلاني، ط: المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ.
- ٣٧- التواضع والخمول، الإمام عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي ابن أبي الدنيا، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٣٨- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ط: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ.
- ٣٩- الجامع الصحيح، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري.
- ٤٠- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، الإمام محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي.

- ٤١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري.
- ٤٢- الجامع لأحكام القرآن، الإمام / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي.
- ٤٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط: دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٤٤- خزنة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي، ط: دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٧م.
- ٤٥- الدر المنثور، الإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي.
- ٤٦- الدعاء، الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٣هـ.
- ٤٧- الرقة والبكاء، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا.
- ٤٨- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ط: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٥هـ.
- ٤٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمود الألوسي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٥٠- الزهد، الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني.
- ٥١- الزهد، هناد بن السري الكوفي، ط: دار الخلفاء للكتاب

- الإسلامي - الكويت، ١٤٠٦هـ.
- ٥٢- سنن الدارقطني، الإمام علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ٥٣- سنن النسائي الكبرى، الإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٥٤- سنن ابن ماجه، الإمام محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، ط: دار الفكر - بيروت.
- ٥٥- سنن الدارمي، الإمام عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ٥٦- سنن البيهقي الكبرى، الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ط: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٥٧- سنن أبي داود، الإمام سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، ط: دار الفكر.
- ٥٨- السنة، عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط: دار ابن القيم - الدمام، ١٤٠٦هـ.
- ٥٩- سنن سعيد بن منصور.
- ٦٠- السلسلة الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.
- ٦١- السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام، ط: إدارات البحوث العلمية - الرياض.

٦٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي.

٦٣- شرح الصدور، الإمام / عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي.

٦٤- شعب الإيمان، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٥- الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ط: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ١٤١٢ هـ.

٦٦- صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الإمام محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤ - ١٩٩٣.

٦٨- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني.

٦٩- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٩٧ م.

٧٠- الضعفاء الكبير، الإمام أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى

- العقيلي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٧١- الطبقات الكبرى، الإمام محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، الناشر: دار صادر - بيروت.
- ٧٢- العجالة في الأحاديث المسلسلة، الإمام أبو الفيض محمد ياسين ابن محمد عيسى الفاداني المكي، ط: دار البصائر - دمشق.
- ٧٣- العظمة، الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، ط: دار العاصمة - الرياض، ١٤٠٨ هـ.
- ٧٤- العقوبات، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا.
- ٧٥- العلل ومعرفة الرجال، عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، الناشر: المكتب الإسلامي، دار الخاني - بيروت، الرياض، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٧٦- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الإمام علي بن عمر بن أحمد ابن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي، ط: دار طيبة - الرياض، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٧٧- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، الإمام عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- ٧٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ط: السلفية.
- ٧٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،

محمد بن علي الشوكاني .

٨٠- الفتن، الإمام نعيم بن حماد المروزي، ط: مكتبة التوحيد - القاهرة، ١٤١٢ هـ .

٨١- الفرج بعد الشدة، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا .

٨٢- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، ط: دار الآفاق الجديدة - بيروت .

٨٣- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٧ هـ .

٨٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ط: المكتبة التجارية الكبرى - مصر .

٨٥- القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد، الإمام أبو الفضل / أحمد بن علي العسقلاني، ط: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ١٤٠١ هـ .

٨٦- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي .

٨٧- كتاب التهجد وقيام الليل، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا، ط: مكتبة الرشيد - الرياض، ١٩٩٨ م .

٨٨- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ط: مكتبة الرشيد - الرياض .

٨٩- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ط:

- دار ومكتبة الهلال .
- ٩٠- كتاب العيال، الإمام عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر ابن أبي الدنيا، ط: دار ابن القيم - الدمام .
- ٩١- كتاب المجروحين، الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البستي، ط: دار الوعي - حلب .
- ٩٢- الكامل في ضعفاء الرجال، الإمام / عبدالله بن عدي بن عبدالله ابن محمد أبو أحمد الجرجاني، ط: دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- ٩٣- كشف الخفا ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي ابن عبد الغني العجلوني .
- ٩٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م .
- ٩٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، ط: دار صادر - بيروت .
- ٩٦- لسان الميزان، الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٩٧- المجتبى من السنن، الإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٩٨- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري،

- ط: دار المعرفة - بيروت.
- ٩٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الإمام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.
- ١٠٠- محاسبة النفس، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا.
- ١٠١- المحلى بالآثار، الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ط: دار الفكر.
- ١٠٢- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١٠٣- المرض والكفارات، الإمام عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي ابن أبي الدنيا، ط: الدار السلفية - بومباي، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ١٠٤- المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ١٠٥- المسند، الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، ط: مؤسسة قرطبة - القاهرة.
- ١٠٦- مسند أبي يعلى، الإمام أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، ط: دار المأمون للتراث - دمشق، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ١٠٧- مسند الشهاب، الإمام محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

- ١٠٨- مسند أبي داود الطيالسي، الإمام سليمان بن داود أبو داود  
الفراسي البصري الطيالسي، ط: دار المعرفة - بيروت.
- ١٠٩- مسند البزار، الإمام أبو بكر البزار.
- ١١٠- مسند إسحاق بن راهويه، الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد  
ابن راهويه، ط: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، ١٤١٢هـ -  
١٩٩١م.
- ١١١- مسند الشاميين، الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم  
الطبراني، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ١١٢- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ط:  
المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١١٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن  
محمد بن علي المقرئ الفيومي، ط: المكتبة العلمية - بيروت.
- ١١٤- المصنف، الإمام أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ط:  
المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ١١٥- المصنف في الأحاديث والآثار، الإمام أبو بكر عبد الله بن  
محمد بن أبي شيبة الكوفي، ط مكتبة الرشد - الرياض.
- ١١٦- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، ط:  
دار الفكر - بيروت.
- ١١٧- المعجم الكبير، الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم  
الطبراني، ط: مكتبة العلوم والحكم - الموصل ١٤٠٤هـ -  
١٩٨٣م.

- ١١٨- المعجم الأوسط، الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ط: دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
- ١١٩- المعجم الصغير، الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ط: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ١٢٠- معالم التنزيل، الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي.
- ١٢١- المنامات، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي ابن أبي الدنيا، ط: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ١٢٢- من عاش بعد الموت، الإمام عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، ط: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ١٤١٣هـ.
- ١٢٣- المنتخب من مسند عبد بن حميد، الإمام أبو محمد عبد بن حميد بن نصر، ط مكتبة السنة - القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ١٢٤- الموضوعات، الإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزي.
- ١٢٥- الموطأ، الإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، ط: دار إحياء التراث العربي - مصر.
- ١٢٦- الموافقات في أصول الشريعة، الإمام / إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي، ط: دار المعرفة - بيروت.
- ١٢٧- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عزوجل من التوحيد، الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي.

## الفهرس

- الباب الثامن: في الانصراف من الموقف وذكر شفاعة النبي ﷺ:
  - الخاصة وشفاعة بقية الأنبياء والعلماء والصالحين .....
- فصل في الشفاعة الخاصة .....
- فصل في شفاعة الأنبياء والملائكة: والعلماء والشهداء والصالحين  
والمؤذنين والأولاد .....
- فصل: في سعة رحمة الله تعالى .....
- الكتاب الرابع: في ذكر الجنة وصفاتها وذكر نعيمها ولذاتها .....
- الباب الأول: في ذكر أبوابها وما يتعلق بذلك .....
- فصل في مفتاح الجنة .....
- الباب الثاني: في مكان الجنة ومنشورها وتوقيعها وتوحد طريقها ..
- فصل في جواز الصراط .....
- فصل في توحيد طريق الجنة .....
- الباب الثالث: في درجات الجنة وأعلاها، وما اسم تلك الدرجة؟ .....
- فصل في سؤال الله الوسيلة لسيدنا محمد ﷺ .....
- الباب الرابع: في عرض الرب الجنة على العباد، وعدد الجنان وأسمائها  
وذكر السابقين إليها وأن أكثر أهلها هذه الأمة .....
- فصل في الاجتهاد في طلب الجنة وسؤال الله إياها .....
- فصل: في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها .....
- فصل: في عدد الجنات وأنواعها .....
- فصل في اصطفاء الله جنة الفردوس .....

- فصل: في ذكر أول من يقرع باب الجنة ..... ١١١
- فصل في أول زمرة تدخل الجنة ..... ١١٧
- فصل دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء ..... ١٢١
- فصل: في أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم ..... ١٢٥
- فصل: في أن أكثر أهل الجنة هذه الأمة المطهرة ..... ١٢٨
- الباب الخامس: في تربة الجنة ونورها وغرفها وقصورها: وخيامها  
وما يلحق بذلك ..... ١٣٤
- فصل: نور الجنة وبياضها ..... ١٣٨
- فصل: غرف الجنة وقصورها وخيامها ومقاصيرها ..... ١٤٠
- فصل في استقبال أهل الجنة ..... ١٤٤
- الباب السادس: في صفة أهل الجنة وأعلامهم وأذنانهم: منزلة وتحفتهم  
إذا دخلوا ..... ١٤٧
- فصل في أعلى أهل الجنة منزلة ..... ١٥٣
- فصل في تحفة أهل الجنة ..... ١٥٦
- الباب السابع: في ريح الجنة ومناديا وأشجارها وثمارها وزرعها ..... ١٦٠
- فصل في مناداة أهل الجنة ..... ١٦٤
- فصل في أشجار الجنة وبيساتينها وظلالها ..... ١٦٦
- فصل في ثمار الجنة ..... ١٧٦
- فصل في زروع الجنة ..... ١٨١
- الباب الثامن: في ذكر أنهار الجنة وعيونها وطعام أهلها: وشرايهم  
ومصرف ذلك وأنيتهم ..... ١٨٣
- فصل في عيون الجنة ..... ١٨٩

- فصل في طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه ..... ١٩٢
- فصل في آنية أهل الجنة ..... ١٩٨
- الباب التاسع: في ذكر لباس أهل الجنة وحليتهم ومناديلهم وفرشهم  
وبسطهم ووسائدهم وسررهم وأرائكهم ..... ٢٠٠
- فصل: ومن ملابس أهل الجنة التيجان على رءوسهم ..... ٢٠٨
- فصل في فرش أهل الجنة ..... ٢١٠
- فصل: في خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم ..... ٢١٣
- الباب العاشر: في ذكر خدم أهل الجنة وغلماهم ونسائهم ..... ٢١٦
- فصل في نساء أهل الجنة ..... ٢١٩
- فصل في المادة التي خلق منها الحور العين ..... ٢٣٢
- فصل في نكاح أهل الجنة ..... ٢٣٦
- فصل: في اختلاف الناس: هل في الجنة حمل أم لا؟ ..... ٢٤٠
- فصل في شرح حديث لقيط ..... ٢٤٦
- الباب الحادي عشر: في ذكر سماع أهل الجنة وغناء الحور العين  
وذكر مطاياهم وزيارة بعضهم بعضاً ..... ٢٥٦
- فصل في مراكب أهل الجنة ..... ٢٦٢
- فصل في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً ..... ٢٦٥
- فصل: في ذكر سوق الجنة وما أعد الله فيه لأهلها ..... ٢٧٠
- الباب الثاني عشر: في السعادة العظمى، وزيارة إله الأرض والسماء  
ورؤيته ..... ٢٧٤
- فصل في رؤية أهل الجنة الحق سبحانه وتعالى ..... ٢٧٦
- فصل: في تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة ..... ٢٨٧

- الباب الثالث عشر: في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال ويتوهمه ... .. ٢٩٠
- الباب الرابع عشر: في فصول جامعة وحكم هامة ... .. ٢٩٣
- الفصل الأول: في ذكر آخر أهل الجنة دخولاً ... .. ٢٩٣
- الفصل الثاني: في لسان أهل الجنة ... .. ٢٩٧
- الفصل الثالث: في احتجاج الجنة والنار ... .. ٢٩٨
- الفصل الرابع: في امتناع النوم على أهل الجنة ... .. ٢٩٩
- الفصل الخامس: في ارتقاء العبد وهو في الجنة من: درجة إلى درجة أعلى منها ... .. ٣٠٠
- الفصل السادس: في إلحاق ذرية العبد المؤمن به في: الدرجة وإن لم يعملوا عمله ... .. ٣٠١
- الفصل السابع في مسألة وجوابها ... .. ٣٠٣
- الفصل الثامن في رفع العبادات في الجنة إلا الذكر ... .. ٣٠٥
- الباب الخامس عشر: فيمن يستحق لهذه الدار من الملل والأنفار ... .. ٣٠٦
- الكتاب الخامس: في ذكر النار وصفاتها وشدة عذابها وزفرتها ... .. ٣١٢
- الباب الأول: في ذكر الإنذار والتحذير من النار: والخوف منها وأحوال الخائفين من تلك الدار ... .. ٣١٤
- فصل: في الخوف من النار ... .. ٣١٨
- فصل في من منعه الخوف من النار من النوم ... .. ٣٣٦
- فصل في التحذير من نسيان الجنة والنار ... .. ٣٤٠
- فصل في أن النار للعصاة من الجن والإنس ... .. ٣٤٥
- فصل في البكاء من خشية الله ... .. ٣٥٤
- فصل في التعمد من النار ... .. ٣٦٠

- الباب الثاني: في ذكر مكان جهنم، وطبقاتها، ودركاتها: وصفاتها،  
 وقعرها، وعمقها ..... ٣٦٢
- فصل في طبقات النار ودركاتها ..... ٣٦٦
- فصل في صفة النار ..... ٣٦٩
- فصل في قعر النار وعمقها ..... ٣٧٠
- الباب الثالث: في ذكر أبواب جهنم وسرادقها، وظلمتها وشدة سوادها ..... ٣٧٤
- فصل في غلق أبواب النار ..... ٣٧٧
- فصل في سرادق النار ..... ٣٨٠
- فصل في ظلمتها وشدة سوادها ..... ٣٨٤
- الباب الرابع: في شدة حر جهنم، وزمهيرها، وسجرتها، وتسعيرها،  
 وتغيظها، وزفيرها ..... ٣٨٧
- فصل في زمهير جهنم ..... ٣٩٠
- فصل في سجر جهنم وتسعيرها ..... ٣٩٢
- فصل في تغيظ جهنم وزفيرها ..... ٣٩٧
- فصل: في ذكر دخان جهنم، وشررها، ولهبها ..... ٤٠١
- الباب الخامس: في ذكر أودية جهنم وجبالها وعيونها وأنهارها ..... ٤٠٤
- الباب السادس: في ذكر سلاسل جهنم وأغلالها وحجارتها وأنكالها  
 وحياتها وعقاربها ..... ٤١٤
- فصل: وأما حجارتها ..... ٤٢٢
- فصل: وأما حيات جهنم وعقاربها ..... ٤٢٦
- الباب السابع: في ذكر طعام أهل النار، وشرابهم، وكسوتهم، وثيابهم ..... ٤٢٩
- فصل في شراب أهل النار ..... ٤٣٥

- ٤٤٢ .. .. . فصل في كسوة أهل النار ولباسهم
- ٤٤٥ .. .. . فصل: في قوله تعالى ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾
- الباب الثامن: في عظم خلق أهل النار وقبحهم: وأنواع عذابهم
- ٤٤٧ .. .. . بحسب أعمالهم
- فصل: في أنواع عذاب أهل النار، وتفاوتهم في ذلك: في دار البوار،
- ٤٥٥ .. .. . على حسب ما اقترفوا من الذنوب والأوزار
- ٤٦٥ .. .. . فصل في طرف من عذاب أهل النار
- ٤٦٨ .. .. . فصل في أنواع أخرى من العذاب
- ٤٧١ .. .. . فصل في أن عذاب أهل النار دائم غير منقطع
- ٤٧٤ .. .. . فصل: فيما يتحلف به أهل النار عند دخولهم دار البوار
- ٤٧٦ .. .. . فصل في بكاء أهل النار
- ٤٧٩ .. .. . فصل في ذبح الموت وانقطاع رجاء أهل النار
- ٤٨١ .. .. . فصل في نداء أهل النار أهل الجنة والعكس
- ٤٨٣ .. .. . الباب التاسع: في ذكر خزنة جهنم وزبائيتها
- ٤٨٦ .. .. . الباب العاشر: في ذكر حال الموحدين في النار، وخروجهم منها:
- ٤٩٢ .. .. . فصل في أن عذاب الموحدين على قدر ذنوبهم
- ٤٩٦ .. .. . فصل: في حسن الظن بالله تعالى
- ٤٩٨ .. .. . فصل في سعة رحمة الله
- ٥٠٧ .. .. . فصل في أكثر أهل النار
- ٥٠٩ .. .. . فصل في صفات أهل النار وأصنافهم
- فصل: في ذكر أول من يدخل النار من سائر: البشر وأول من يدخلها
- ٥١٦ .. .. . من عصاة الموحدين

- مطلب: في أهل الفترة واختلاف العلماء فيهم ..... ٥٢٩
- خاتمة الكتاب: مطلب في التوبة إلى الله تعالى من الذنوب ..... ٥٣٣
- الفصل الأول: في التوبة ..... ٥٣٣
- فصل في بعض ما ورد في التوبة من الأحاديث والآثار ..... ٥٣٩
- الفصل الثاني: في المحبة ..... ٥٥٤
- مطلب: محبة الرسول ﷺ على قسمين: فرض وفضل ..... ٥٦٧
- مطلب: علامة حب الله سبحانه وتعالى حب كلامه القديم وذكره  
الحكيم ..... ٥٦٨
- مطلب: علامة حب السنة حب الآخرة ..... ٥٦٩
- فهرس مراجع التحقيق ..... ٦١٦
- الفهرس ..... ٦٢٩

تم الصف والإخراج

بشركة غراس للطباعة

هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥